عبد الغني النابلسي

كشف السر الغامض
في شرح ديوان ابن الفارض

تحقيق ودراسة: خالد الزرعي



كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

عنوان الكتـــاب: كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض (٢-٤)

اســـم المؤلـــف: الشيخ عبد الغني النابلسي

تحقيـــــــــق: خالد الزرعي

المـوضـــــــوع: شعر صوفي

عدد الصفحات: 2190 ص

القيــــــــاس: 17.5 × 25 سم

الطبعـة الأولى: 1000 / 2017 م - 1438 هـ

ISBN: 978-9933-580-60-5

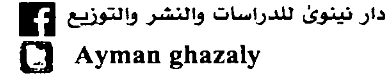


سورية . دمشق . ص ب 4650

تلفاكس: 2314511 11 963+

هاتـــف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org


دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
Ayman ghazaly

العمليات الفنية:

التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

تأليف الشَّيخ

عبد الغني النابلسي

الكتاب الثاني

قدّم له

الدكتور بكري علاء الدين

دراسة وتحقيق خالد الزرعي

عُمَرُ بنُ الفَارِض

هو أبو حفص، أو أبو القاسم، شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحمويّ الأصل، المصريّ المولد، والدار، والوفاة. المعروف بابن الفارض.

ولقد برع ابن الفارض في فنون الشعر، وأوتي حسّاً شعريّاً مرهفاً عالياً، وتمكّناً من نواصي اللّغة، وبراعة في اختيار الألفاظ، وروائع التركيب، وحُسن الصورة وإبداعها. وكان يمتلك حسّاً نقدياً متميّزاً تمكن فيه من الحكم بين الشعراء لمّا احتكموا إليه.

يقول خير الدين الزركلي في ترجمة ابن الفارض في كتابه الأعلام معرّفاً به: «أشعر المتصوّفين، يُلقّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بما يسمّى وحدة الوجود».

اعتنى ابن الفارض في ديوانه بعلوم البلاغة؛ بيانها وبديعها، لكنّه ساقها ببراعة الفنّان ومقدرة الشعراء الكبار، حتّى إنّه يبدو للوهلة الأولى كأنّما كان يسوقها عفو الخاطر.

إنّ ابن الفارض في حبه الإلهيّ، يصور أطوار المحبّة الإلهيّة، ويكتشف عجائب الحبّ، وحقائق المعرفة، ويتذوّق عطاءات التجلّيات.

الشيخ عبد الغني النابلسي

الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، واحد من أولئك الذين لهم تأثيرهم الكبير في الأمّة في عصره وفي العصور اللاحقة؛ ذلك أنّه عالم غزير العلم متنوّعه، فهو مجموعة موسوعات علميّة متعدّدة الجوانب، فإضافة لكونه صوفيّاً هو أكبر شارح للتصوّف، وباعه في الحديث كبير. كذلك هو فقيه حنفيّ يُعتمد رأيه، ويُقرّ اجتهاده. وهو شاعر مكثر، له أربعة دواوين، أكبرها وأهمّها ديوان الحقائق. وهو ناظم كبير لا يعلم عدد أبيات نظمه إلّا الله. وهو مؤرّخ فذّ لرحلاته التي قام بها إلى بغداد وطرابلس الشام، وبلاد الشام ومصر والحجاز. ويكتسب النابلسيّ رتبة مؤرّخ لوصفه الدقيق كلّ أشكال الحياة الموجودة في عصره بدقّة متناهية، فهو يصف البلدة التي ينزل بها، وأولياءها، وعلماءها، ورجالها، ومساجدها، والدروس، والمجالس، وحياتها العلميّة، والاجتماعيّة؛ فيعطينا صورة واضحة يندر وجودها في المصادر الأخرى لتلك الفترة التاريخيّة التي شحّت أخبار الحياة العلميّة بمثلها.

نَظْمُ السُّلُوك
«التَّائِيَّةُ الكُبْرَى»
سَقَتْنِي حُمَيَّا الحُبِّ

[الطويل]

وقال الشيخ رضي الله تعالى عنه وقدّس سرّه العزيز:

١- سَقَتْنِي حُمَيَّا الحُبِّ راحةُ مُقْلَتِي وَكَأْسِي مُحَيَّا مَن عَنِ الحُسْنِ جَلَّتِ

(سقتني حُميّا): أي خمرة. مفعول سقتني. (الحبّ): بضمٍّ الحاء المهملة. بمعنى المحبَّة. وقوله (راحة): أي كفّ. (مقلتي): بمعنى عيني التي أنظر بها. والمقلة في الأصل كما قال في القاموس: «شَحْمَةُ العينِ التي تَجمع البياض والسواد والحدقة. وجمعها: مُقَل، كَصُرَد». شبّه عينه الباصرة بكفٍّ سقته خمرة المحبَّة، فلمّا شربها بيد عينه سرت في عروقه وأعضائه. والخمرة من شأنها السُّكْر، وهو الغيبة عمّا هو سوى المحبوب. وراحته الّتي هي كفّه لم تسقه خمرة المحبّة الإلهيّة إلّا لأنها يده التي قال صلَّى الله عليه وسلَّم في حديث المتقرِّب بالنوافل: «كنت يده التي يبطش بها»[1] الحديث؛ فالساقي هو الحقُّ تعالى كما قال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٢٢]. وقوله (وكأسي): الكأس هو القدح المملوء من الشراب. يعني: الذي شربت به تلك الخمرة هو في يدي/ [٩٦/ أ] وهو(محيّا): أي وجه. (مَنْ): بفتح الميم، أي: المحبوبة الحقيقيّة التي (عن الحُسْن جَلَّتِ): أي عظُمَت وتنزَّهَت عن الاتِّصاف به؛ لأنَّ لها الجمال من قوله عليه السلام: «إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال»[2].

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) انظر تخريجه ص٣٢٧.

والحُسْن هو أثر الجمال؛ فالجمال ما كان بالذّات، والحُسْن ما كان بالعَرَض، وكون وجه هذه المحبوبة كأسه إشارة إلى ما ورد بأنّ الله تعالى كتب الحُسْن على كلِّ شيْ، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧]. والحُسْن أثر الجمال، والجمال للوجه الإلهيّ الذي قال تعالى فيه: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقال تعالى: ﴿ كُلُّ شَىۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧].

٢- فَأَوْهَمْتُ صَحْبِي أَنَّ شُرْبَ شَرَابِهِمْ بِهِ سُرَّ سِرِّي فِي انْتِشَائِي بِنَظْرَتِي

(فأوهمتُ صحبي): أي أوقعتهم في الوهم من عدم فهمهم حالي، وما أنا فيه من شهود الوجه الحقّ في كلِّ شيء ولاشيء؛ لأنَّ كلَّ شيء فانٍ هالكٌ وليس له إلّا الوجه الواحد الحقُّ، وما سواه باطل، قال تعالى: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ [١٦/ الإسراء/ ٨١] وقال صلّى الله عليه وسلَّم: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كلُّ ما خلا الله باطل»(١). قوله (صحبي): أي مَنْ يصحبني من الناس وأراه ويراني في غالب الأوقات؛ فإنّ عندهم في شهودهم جميع الأشياء موجودات بالوجود الذي استفادته من توجّه أمر الله تعالى عليها بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَىۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٠]. وهذا النظر حظّ العقل من الإدراك، وعليه تبنّى العقلاء جميع ما يدركونه من المحسوسات والمعقولات. وهو كذلك لا شُبهة فيه عند النظر العقليّ، وقد وفّى العقل ما عليه من الإدراك بمقدار طاقته وقدرته. والتكاليف الشرعيّة كلّها متوجِّهة عليه بسبب نظره ذلك؛ فإذا تحقّق العاقل للبيت، وفتح على قلبه القريب المجيب، وعرف ربّه، وتحقَّق قربه، صار له في مقام العرفان رتبة، وانكشف له أنّ في الغيب وجوداً حقّاً، وقَيُّوماً صدقاً، وهو الوجود الحقيقيّ،

(١) انظر تخريجه ص٤٠٢.

وظهر له أنّ كلّ وجود بالنسبة إلى وجوده عدم، وهي الحوادث، كلّها سواء، وما هناك غير الوجود الواحد الذي له القدم؛ فيرسخ في شهود ذلك الوجود الحقّ ويصير له فيه أرسخ قدم، ويغيب عن مدركات العقلاء بشهود عرفانه، في مقام كامل إيمانه. ويسمّي تلك الغيبة عنده سُكْراً بشراب المحبّة الإلهيّة؛ فيقع الوهم عند أصحابه أنّه سكر بما يسكروا به من معاني تلك الأعيان الكونيّة لوقوع نظرهما معاً في منظور واحد. وهيهات هيهات أنْ يتساوى الفاقد بالواجد؛ فإنّ شراب الغافلين أعيان الحوادث الفانية، وشراب العارفين أعيان التجلّيات الإلهيّة الباقية.
وقوله (به): أي بشرب شرابهم. (سُرَّ): بضمّ السين المهملة وتشديد الراء، فعل ماض مبني للمفعول. و(سِرِّي): بكسر السين المهملة، نائب الفاعل، وأصل السرّ: ما يُكْتَم. والمراد به هنا الخاطر والبال، أي: صار مسروراً بما هم مسرورون به، وذلك توهُّم منهم. وقوله (في انتشائي): أي سُكْري، قال في القاموس: «نَشَا نُشْوَةً، مثلَّثة: سَكِرَ، كانْتَشَى وتَنَشَّى» انتهى.

فمصدر انْتَشَى انْتِشَاءً. والجار والمجرور متعلّق بقوله سُرَّ. وقوله (بنظرتي): متعلّق بانْتِشَائِي، أوبقوله فأَوْهَمْتُ.

٣- وَبِالْحَدَقِ اسْتَغْنَيْتُ عَنْ قَدَحِيْ وَمِنْ   شَمَائِلِهَا لَا مِنْ شَمُوْلِيَ نَشْوَتِي

(**وَبِالْحَدَق**): محرَّكاً جمع حَدَقَة، قال في القاموس: «الحَدَقَةُ محُرَّكة: سواد العين كالحُنْدُوْقَةِ والحِنْدِيْقَة، جمعها: حَدَق وأَحْدَاق وحِدَاق». أراد أحداق المحبوبة: يعني عيونها السود، كناية عن ظلمات الكائنات؛ فإنّ النور الحقّ من ورائها كما قال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقال:/ [٩٦/ ب] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤]. وقوله (**استغنيت عن قدحي**): والقَدَح بالتحريك: آنية تروي الرجلين، أو اسم يجمع الصغار والكبار، وجمعه أقداح، كذا في القاموس. أشار بالقَدَح هنا إلى ما تقدّم في البيت الأوّل من قوله وكأسي محيًّا ...إلى آخره؛ فإنّه بعدما أخبر أنّ كأسه وجه الحقّ في كلّ شيء كما قدّمنا ـ وهي حالة السالك في

بداية أمره ـ لدخوله في حضرة الفناء عن كلِّ شيء، وتحقُّقه بالوجود الواحد الحقّ نور السموات والأرض انتقل إلى شهود أعيان الكائنات التي هي ظلمات سود؛ فسمَّاها أحداقاً لذلك النور الذي وراءها، فاستغنى بهذه الأحداق عن ذلك الكأس الذي سماه قدحاً، وهو مقام جمع الجمع بعد مقام الجمع. ثمّ قال **(ومن شمائلها)**: أي المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة العليّة، وهي جمع شِمال، قال في القاموس: «الشِّمال: الطَّبْع، وجمعه: شمائل» انتهى. والمراد الخلق. يعني: أخلاقها كناية عن صفاتها وأسمائها الحسنى كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٠]، أي: توجَّهوا إليه في حوائجكم وأنتم قائمون بها لا بأنفسكم، فمن قام بها غاب عن قيامه بنفسه فسكر بها، فكان سُكره بأسماء هذه المحبوبة الحقيقيّة، كما قال **(ومن شَمائلها لا من شَمُولِي نَشْوتي)**: أي سكرتي من أسمائها الحسنى وصفاتها. (لا من شمولي): أي خمرتي النفسانيّة. و(الشَّمُول): بالفتح الخمرة.

٤ - فَفِي حَانِ سُكْرِي حَانَ شُكْرِي لِفِتْيَةٍ بِهِمْ تَمَّ لِي كَتْمُ الهَوَى مَعَ شُهْرَتِي

الحَانِيَّة: بالحاء المهملة الخَمْرة. و(الحَان): موضع بيعها، كذا في القاموس. يُقال: حانة أيضاً. فقوله **(حان سكري)**: أي حانة سكري. كناية عن مجلس الذكر الإلهيّ. وقوله **(حان)** قال في القاموس: «حان يحين قرُب»[1]. و**(الشكر)**: هو الثناء الجميل. **(لفتية)**: جمع فتى، وهو الموصوف بالفتوّة. كناية عن مشايخه العارفين بربِّهم، أصحاب الأخلاق المحمّديّة. ثمّ قال **(بهم)**: أي بسببهم. **(تمّ)**: أي كمل كتمي، أي: سِتري. **(الهوى)**: أي المحبّة الإلهيّة الحقيقيّة؛ بحيث تحقّقت بحقائق الوجود، ولزمت معاني المعرفة والشهود، فجهلت أحوالي أهل العقول، وخفي عنهم معنى القرب والوصول، فتمّ لي الكتم والاستتار، مع حصول الإفشاء والاشتهار. وهذه طريقة الصادقين في مقامات المعرفة واليقين.

---

(١): العبارة من المصباح المنير.

٥- وَلَمَّا انْقَضَى صَحْوِي تَقَاضَيْتُ وَصْلَهَا وَلَمْ يَغْشَنِي فِي بَسْطِهَا قَبْضُ خَشْيَةِ

(**ولـمّا انقضى**): أي زال، قال في القاموس: «تَقَضَّى: فَنِيَ وانصرم كانقضى **(صحوي)**: أي إفاقتي من سُكْر الغيب المطلق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [١٦/ النحل/ ٧٨]: أي شيؤوا بمشيئته الأزليّة، وهو نكرة في سياق النفي فلها العموم؛ وذلك لاستغراقهم بصفة العلم في الاسم الذاتيّ الذي هو الله ، والله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] وهو سكر الغيب المطلق، وهي: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠]. والصحو من هذا السكر الذاتيّ بسريان صفة العلم في حضرات الأسماء الإلهيّة، والصفات الرّبّانيّة، وتلك الحضرات هي المسماة بالآثار الكونيّة، والأغيار الإمكانيّة؛ لأنّه لا صحو إلّا بعد سُكْر، كما أنّه لا سكر إلّا بعد صحو، والسكر الذاتيّ الذي ذكرناه كان بعد صحو الميثاق في عهد الربوبيّة المأخوذ على الذرّ في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف / ١٧٢] فإنّهم ما قالوا بلى إلّا وهم صحاة بالصحو الأسمائي والصفاتي، ثمّ سكروا بعده بالسكر الذاتيّ كما ذكرنا، وكانوا قبل هذا الصحو الميثاقيّ في سكون ذاتيّ بعد صحو أسمائي صفاتي؛ هو عين هذا الصحو الدنيويّ الذي ذكره الناظم هنا، وهذا دور لا يزال إلى الأبد على مقتضى ما هو ثابت في حضرة العلم القديم، وهي حضرة العلم الإلهيّ كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [ي٨/ الرعد/ ١٣] وقال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا /[٩٧/ أ] خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ٢١] وهذا من فيض للوقت لم أجد من صرّح به من أهل الله . ومعنى قوله **(انقضى صحوي)**: أي رجعت إلى السكر الذاتيّ الذي قبله. وقوله **(تقاضيت)**: أي استوفيت، قال في القاموس: «تقاضاه الدَّين: قبضه». **(وصلها)**: مفعول تقاضيت، أي: استوفيت وصل هذه المحبوبة، أي: كمال القرب إليها لزوال المانع، وهو الغيريّة بزوال الصحو. وقوله **(ولم يَغْشَني)**: من غَشِيَه الأمرُ،

بالغين المعجمة والشين المعجمة، أي: أصابه ودهمه. وقوله (**في بسطها**): أي بسط هذه المحبوبة لي، والبسط صحوٌ من سكر. وقوله (**قبض**): فاعل يغشني. (**خَشيةٍ**): مضاف إليه، والخَشْيَة خوف الإجلال، أي: من إجلاله وهيبته خشية. والخوف يكون من العقاب، وهذا الفرق بينهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٨] فالخشية للعلماء بالله، والخوف للعوام.

٦- وَأَبْثَثْتُهَا مَا بِي وَلَمْ يَكُ حَاضِرِي   رَقِيبُ بَقَا حَظٍّ بِخَلْوَةِ جَلْوَتِي

(**وأَبْثَثْتُها**): من بَثَثْتُكَ السِرَّ، وأَبْثَثْتُكَ: أَظْهَرْتُه لك، كذا في القاموس. والضمير للمحبوبة. وقوله (**ما بي**): أي الذي بي؛ وهو سرّه، وما يقاسيه في طريق محبّتها. وقوله (**ولم يكُ**): أي يكن، وحذْفُ النون لغة معروفة. وقوله (**حاضري**): أي حاضراً عندي في ذلك المقام. (**رقيب**): اسم **يكُ**، و(حاضري): خبرها منصوب بفتحة مقدّرة على ما قبل ياء المتكلِّم. وقوله (**بقا حظّ**): بإضافة البقاء ـ وهو ضدّ الفناء والزوال ـ إلى الحظّ بالحاء المهملة والظاء المعجمة، وهو حظّ النفس، أي غرضها، وقصدها، وحيث زالت النفس، وخمدت سَوْرَتُها: زالت حظوظها، وجعل حظَّ النفس رقيباً؛ لانّه يتوسّط بين المحبّ والمحبوب، ويفسد الخلوة بينهما، فلا خلوة مع الرقيب. وقوله (**بخلوة**): بالخاء المعجمة، متعلِّق بأبثثتها. والباء بمعنى في. و(**جَلْوَة**): بالجيم مضاف إليه، قال في القاموس: «جلا العروس على بعلها جَلوة وتثلّث. وجِلَاءُ، ككِتاب. واجْتَلَاهَا عَرَضَهَا عليه مَجْلُوَّةً».

٧- وَقُلْتُ وَحَالِي بِالصَّبَابَةِ شَاهِدٌ   وَوَجْدِي بِهَا مَاحِيَّ وَالفَقْدُ مُثْبِتِي

(**وحالي**): الواو للحال، وحالي مبتدأ، و(**شاهد**): خبره. وأشار بحاله إلى ما يظهر عليه من آثار المحبّة، كالنحول، والبكاء، والتأوّه، ونحو ذلك. وقوله (بالصبابة): متعلّق بشاهد. والصَّبَابَة: الشوق، أو رِقّته، أو رِقَّة الهوى، كذا في القاموس. وقوله (**ووجدي**): قال في القاموس: «وَجَدَ به وَجْداً: في الحبّ فقط،

وكذا في الحزن لكن بكسر ماضيه». وقوله (بها): متعلّق بوجدي. والضمير للمحبوبة، أوللصبابة. وقوله (ماحيَّ): بتشديد الياء؛ فإنّ ماحي اسم فاعل من المحوِ، ضدّ الإثبات، مضافاً إلى ياء المتكلّم. يعني: حيث اعتراني الوجد بالمحبوبة حصل لي المحو والفناء فيها من كلّ ما سواها. وقوله (والفقد): أي حيث تعتريني الغفلة عنها فأفقدها فذلك (مُثبتي): أي جاعلني ثابتاً عند نفسي، والثُّبُوت: ضدّ النفي؛ ولهذا قابله بالفقد، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [١٤/ ابراهيم/ ٢٧] وهو أمره القديم؛ فهو ثابت عند نفسه، وليس بموجود؛ لأنّ الوجود يقابله العدم، والعوالم في نظر المحقّقين ثابته. يعني: ليست بمنفيّة، ولكنها غير موجودة؛ فهي معدومة ثابتة لا معدومة منفيّة.

٨- هَبِي قَبْلَ يُفْنِي الحُبُّ مِنِّي بَقِيَّةً   أَرَاكِ بِهَا لِي نَظْرَةَ المُتَلَفِّتِ

(هَبي): بفتح الهاء، فعل أمر، خطاب للمحبوبة، من وَهَبَ يَهَبُ هِبَةً، وهي العطيّة. وقوله (قبل يُفْنِي): أي أن يفنى، على معنى قبل إفناء (الحبّ) أي: المحبّة منِّي (بقيّة): مفعول يُفني، ثمّ وصفت تلك البقيّة بقوله (أراكِ): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة. وقوله (بها): أي بتلك البقيّة / [٩٧/ ب] وهي بقيّة النفس التي يكون بها راءٍ ومرئيٌّ؛ إذْ لو زالت لم يبقَ هناك راءٍ ولا مرئيٌّ؛ فإنّ شرط الرؤية أن تحصل بين راءٍ ومرئيٍّ، فإذا زال الرائي بالتحقُّق في مقام الفناء في وحدة الوجود لم يبقَ رائياً؛ فلم تفِ رؤية، فلم يبقَ مرئيّاً. وقوله (لي): الجار والمجرور متعلّقان بِهَبي، أو بواجب الحذف، صفة لبقيّة. وقوله تعالى: ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ [١١/ هود/ ٨٦]، أي: البقيّة التي بالله لا بالنفس، وهي المطلوبة هنا، وذلك صفة أهل الجنّة؛ فإنّهم بها يأكلون ويشربون في الجنّة، وبها ينكحون ويتنعَّمون، وبها يرون ربَّهم، ولا يزيلها إلّا غلبة المحبّة عليهم في مقام الفناء بالاتّحاد عند رؤيتهم ربّهم، ومشاهدة جماله المطلق، كما أشار إلى ذلك الشيخ الناظم لبدء الأمالي في

عقيدته المشهورة حيث قال:

فينـــــسَوْن النعـــــيم إذا رأوه　　فيـــا خـــسران أهـــل الاعتـــزالِ

وذلك لإنكار أهل الاعتزال رؤية الربِّ تعالى في الآخرة فيُحَرِّمونها. وقوله (نَظرة المتلفّت): أي الذي يتلفَّت يميناً وشمالاً؛ فإنّ نَظرته قليلة. يعني: المتلفِّت من طرف الرائي؛ وهو العبد، بقرينة قوله (أراكِ بها): إذْ التلفت من صفات العبد، وهو مستحيل في حقِّ الربّ تعالى، ويجوز أنْ تكون نظرة المتلفِّت من طرف الرّبِّ تعالى المكنّى عنه بالحضرة الربوبيّة المحبوبة للعبد على طريقة الاستعارة المكنيّة. والمعنى: هبي لي نظرة منك، أي: انظري إليّ نظرةً مقدار نظرة المتلفّت قبل أن يُفني حبّك بقيةً مني أراكِ بها؛ فإنّ رؤيتي لك مظهر رؤيتك لي من حيث أنا رؤية تنزيليّة كباقي الصفات من قوله: «ينزل ربّنا...»[1] الحديث، ونحو ذلك. ورؤيتك لي من حيث أنت رؤية قديمة أزليّة؛ فإنّه تعالى كما قال: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [٥٤/ فصّلت/ ٤١] فإحاطته بكلِّ شيء من جهتين، من جهته تعالى، ومن جهة كلّ شيء، فله تعالى مرتبة التنزّه من حيث هو، ومرتبة التنزّل من حيث كلّ شيء. وإلى مرتبة التنزّل أشار تعالى بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٤٩] برفع كلّ كما قُرِئ[2] فيما أشار إليه العلماء.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب التهجّد، باب: ما جاء في الدعاء،٥٠٢، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ينزل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخرفيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له. كذلك أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجّد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ١١٤٥.

(٢) يعتمد الشيخ هنا الرفع مع أنّ الجمهور قرأها بالنصب كما قال القرطبي: قرأها العامّة بالنصب، وقرأ أبو السَّمّال بالرفع. وذهب الشيخ محمّد علي طه الدُّرّة إلى أنّ القراءة بالرفع شاذّة. انظر تفسير القرطبي، وتفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه للشيخ محمّد علي طه الدرّة لهذه الآية الكريمة.

٩- وَمُنِّي عَلَى سَمْعِي بِلَنْ إِنْ مَنَعْتِ أَنْ أَرَاكِ فَمِــنْ قَــبْلِي لِغَــيْرِيَ لَــذَّتِ

(ومُنِّي): معطوف على هَبِي، وهو بتشديد النون وضمِّ الميم، فعل أمر من المَنّ، قال في القاموس: «مَنَّ عليه مَنّاً: أَنْعَمَ، واصْطَنَعَ عنده صنيعةً» قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ﴾ [٤٩/ الحجرات/ ١٧] ومن أسمائه تعالى المنّان. وقوله (على سمعي): متعلّق بمُنّي، والخطاب للمحبوبة. كناية عن الحضرة الربّانيّة؛ فإنّه تنزّل من طلب الرؤية في مقام بقيّة الله كما ذكرنا من حضرة الميراث المحمّدي إلى طلب سماع الكلام الربّاني في مقام تلك البقيّة المذكورة من حضرة الميراث الموسوي؛ فإنّ الرؤية والسماع كلاهما لا يكونان إلّا في تجلّي الاسم الربّ تعالى من جهة كلّ شيء في مقام التنزّل، قال تعالى في الرؤية: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [٧٥/ القيامة/ ٢١-٢٢] وقال في طلب موسى عليه السلام للرؤية من المقام المحمّدي وهو ليس مقام ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] وفي الحديث: «إنّكم سترون ربّكم»[1] وقال تعالى في السماع: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣]. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [٤/ النساء / ١٦٤] بذكر الاسم الجامع؛ فهو في مقابلة قولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [٢/ البقرة/ ٥٥] وربّما أنهم لو قالوا: حتى نرى ربّنا لرأوه؛ ولكنهم لم يعرفوا الفرق بين الاسم، الله، الجامع لجميع الأسماء، وبين الاسم الربّ الذي ينزل كلّ ليلة إلى سماء الدنيا كما ورد في الحديث، فأخبرهم تعالى أنّه كلّم موسى عليه السلام من حيث الاسم الجامع الذي طلبوا رؤيته فصُعِقوا ليعلموا ثبات موسى عليه السلام ويتحقّقوا صدقه. وقوله (بلن): الجار والمجرور/ [٩٨/ أ] متعلّقان بمُنّي. يعني: لن تراني الذي خاطب تعالى به موسى عليه السلام. ثمّ قال(إنْ مَنَعتِ أنْ أراكِ): وأتى بأَنْ لعدم تتحقّق المنع. والمعنى: إنْ وقع منكِ المنع للرؤية فَمُنِّي عليَّ بالسماع ولو كان

---

(١)انظر تخريجه ص٢٧٠.

سماع قولكِ لن تراني. وقوله (فمِنْ قَبلي لِغَيري): وهو موسى عليه السلام. (لذَّتِ): بتشديد الذال المعجمة، أي: صارت كلمة لن تراني منكِ له لذيذة عنده فعساها تكون لي منك فتصير لذيذة عندي أيضاً من مقام الميراث الموسوي.

١٠ - فَعِنْـدِي لِـسُكْرِي فَاقَـةٌ لإِفَاقَـةٍ   لَـهَا كَبِـدِي لَـوْلَا الـهَوَى لَـمْ تُفَتَّـتِ

(فعندي): خبر مقدّم. وقوله (فاقة): مبتدأ مؤخر. والفاقة: الفقر والحاجة. وقوله (لسُكْري): الجار والمجرور صفة لفاقة، أي: فاقة كائنة لسُكْري، وهو الاستغراق في المحبّة الإلهيّة، أي: أنا مفتقر، محتاج للاستغراق في المحبّة ، وهو الصعق الموسوي، وهو قوله تعالى له بعد طلب الرؤية: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ أي: من عدمه الأصلي. ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣]. وقوله (لإفاقة): أي لأجل إفاقة موجودة عندي، وهي ضدّ السُّكْر بمعنى الصحو، وهي الإفاقة الأولى قبل السُّكْر في حال البداية العشقيّة؛ ولهذا وصفها بقوله (لها): أي لأجل تلك الإفاقة. (كبدي لولا الهوى لم تُفَتَّتِ): بتشديد التاء المثنّاة الفوقيّة، أي: لم تتقطّع لولا المحبّة؛ فإنّ العاشق إذا أفاق من عشقٍ وجدِ ألمِ العشق، وقاسى شدائده، فإذا غاب واستغرقه الحبّ اشتغل سرّه باللذائذ الروحانيّة، ولم يشعر بآلامه الجسمانيّة.

١١ - وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالجِبَالِ وَكَانَ طُوْ   رُ سِـيْنَا بِهَـا قَبْـلَ الـتَّجَلِّي لَـدُكَّـتِ

(ولو أنَّ ما): أي هذا الأمر العظيم الذي (بي): أي قائم بي من الشوق والحنين والحزن والغرام. (بالجبال): أي بجميع جبال الدنيا، جمع جبل. (وكان): أي والحال أنَّ. (طور سيناء): وُجِد. (بها): أي في جملة تلك الجبال كلّها. وقوله (قبل التجلِّي): أي قبل وقوع التجلِّي من الربِّ تعالى على طور سيناء. و(الطُّور): بالضمِّ: الجبل، وجبل قرب أَيْلَة يضاف إلى سِيناء وسِينِين، وجبل بالشام. وقيل هو المضاف

إلى سيناء، وجبل بالقدس عن يمين المسجد، وآخر عن قِبلته، به قبر هارون عليه السلام، وجبل برأس العين، وآخر مطلّ على طبريّة كذا في القاموس. والمراد هنا جبل أَيْلَة. وأيلة بلاد بين ينبع ومصر، وهو الجبل المشهور بطور سِيناء، وطور سِينين. وتفتح، وتكسر سينه المهملة، وهو الذي كلَّم عليه موسى عليه السلام ربّه تعالى. وقوله (لَدُكَّتِ): جواب لو. ودُكَّتِ: بضمِّ الدال المهملة وتشديد الكاف وبتاء التثنية الساكنة المكسورة للقافية، والضمير للجبال. والمعنى: لو تحمَّلت الجبال كلِّها- ومن جملتها جبل طور سيناء قبل أنْ يتجلَّى عليه الربّ فيجعله دكاً كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] الآية - ما بي من الآلام والشدايد التي أقاسيها في المحبّة والعشق لدُكَّت تلك الجبال كلُّها واندرست. قال في القاموس: «الدَّكُّ: الدَّقُّ والهدم» وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ وهي دوام الصدق في العبوديّة:﴿ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾ أي: امتنعن من حملها لضعفهِنَّ عنها ﴿وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾ أي: حَذِرْنَ. يقال: أَشْفَقَ، وشَفَقَ: حَاذَر، أو لا يُقال: إلّا أشفق، كذا في القاموس. ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٢] فثبت؛ إنّ الإنسان أقوى من الجبال في حمل ما يقاسيه؛ فإنّ طور سيناء ما دُكَّ إلّا بعد التجلِّي كما هو صريح الآية.

١٢- هَوَىً عَبْرَةٌ نَمَّتْ بِهِ وَجَوَىً نَمَتْ ... بِــهِ حُـــرَقٌ أَدْوَاؤُهَـــا بِيَ أَوْدَتِ

(هَوَىً): بالتنوين، نكرة للتعظيم، وهو بدل من ما في قوله (ما بي) في البيت الذي قبله/ [٩٨/ ب] أو خبرمبتدأ محذوف تقديره هو هوىً، قال في القاموس: «الهَوَى بالقصر: العِشْقُ، يكون في الخير والشر وإرادة النفس». وقوله (عَبْرة): بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحّدة، وهي الدمعة قبل أن تفيض، أو تَرَدُّد البكاء في الصدر، أو الحُزْن بلا بكاء، كذا في القاموس. (نمّت): بتشديد الميم، من النميمة، وهي إشاعة الحديث، نَمَّ يَنِمُّ فهو نَمُوم ونَمّام. وقوله (به): أي بذلك

الهوى؛ فَعَبْرَة مبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة لإرادة القليل كقوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [٩/ التوبة/ ٧٢] فكيف بالكثير من ذلك. وجملة نَمَّتْ به خبر المبتدأ، وجملة المبتدأ والخبر صفة هوى. يعني: مدامع العيون كشفت سرّ ذلك الهوى المصون. وقوله (وجَوَىً): معطوف على هَوَىً، والجوى بالجيم هو الهوى الباطن، والحزن، والحُرقة، وشِدّة الوجد، كذا في القاموس. (نَمَت): بفتح الميم، أي: زادت، يقال: نَمَا يَنْمُو نُمُوّاً: زاد به، أي: بسببه .(حُرَق): بضمِّ الحاء المهملة وفتح الراء، جمع حَرْقَة، قال في القاموس: «في جوفه حَرقة، وتضمّ، وحَرِيقَة: حرارة. والحُرقة بالضمّ: اسم من الاحتراق كالحريق». وهو فاعل نمّت. وقوله (أدواؤها): أي أدواء تلك الحُرَق، جمع دواء، هو المرض. (بي): متعلّق بـ (أَوْدَتِ): أي لا بغيري، أي: أهلكت، قال في القاموس: «أودى هلك ، وأودى به الموت ذهب». وفاعل أودت ضمير يعود إلى أدوائها.

١٣- فَطُوْفَانُ نُوْحٍ عِنْدَ نَوْحِي كَأَدْمُعِي وَإِيْقَـادِ نِـيْرَانِ الخَلِيْـلِ كَلَـوْعَتِي

(طوفان): مبتدأ مضاف إلى نوح النبيّ عليه السلام، وهو الماء الذي كانت أمواجه تلاطم السحاب، عمّ الدنيا، وقال في القاموس: «والطُّوفان بالضمّ: المَطَر الغالب، والماء الغالب يَغْشى كلَّ شيء، والسيل المُغْرِق». وقوله (عند نَوحي): من نا ح الرجل: بكى واستبكى غيره. وقوله (كان معي): جار ومجرور، خبر طوفان. و(إيقاد): مبتدأ، أي: اشتعال، مضاف إلى (نيران): جمع نار. (الخليل): إبراهيم عليه السلام. وقوله (كلوعتي): الجار والمجرور خبر المبتدأ. وقال في القاموس: «اللَّوْعَة حُرْقَةٌ في القلب، وألم من حبّ، أو همٍّ، أو مرضٍ. ولَاعَهُ الحبّ: أَمْرَضَهُ». وهذا من الناظم على وجه المبالغة في الكلام، وكذلك أمثاله، والمبالغة ادّعاء المتكلِّم حقيقة كلامه، لا الحكم منه بحقيقة كلامه؛ وبذلك يفرِّق بينها وبين الكذب، وهي من المحسِّنات المعنويّة المقبولة في الكلام. وقالوا خير الكلام ما بولغ فيه.

١٤- وَلَــوْلَا زَفِـيْرِي أَغْرَقَتْنِـي أَدْمُعُـي وَلَــوْلَا دُمُــوعِي أَحْرَقَتْنِــي زَفْــرَتِي

(**لولا زفيري**): بالزاي والفاء، زَفِرَ يَزْفِر زَفْراً وزَفِيْراً: أَخْرَج نَفَسَه بعد مدِّهِ إيَّاه، كذا في القاموس؛ والمراد لولا تنفسّه الحار من شدّة العشق. وقوله (**أغرقتني**): جواب لولا. وأدمعي فاعل أغرقتني، وكذلك قوله في عكس ذلك. (**ولولا دموع أحرقتني زفرتي**): وهي فعل مرّة من الزفير الذي هو تنفسه الحار.

١٥- وحُـزْنِي مـا يَعْقُـوبُ بَـثَّ أَقَلَّـهُ وَكُــلُّ بَــلا أيــوبَ بَعْــضُ بَلِيَّتِــي

(**وحزني ما**): أي حزن عظيم. (**يعقوب**):النبيّ عليه السلام. (**بثّ**): فعل ماض من بَثَّ الخبر: نَشَرَهُ وفَرَّقَه، وَبَثَثْتُكَ السِّرَّ وَأَبْثَثْتُكَ: أَظْهَرْتُهُ لك، والبَثُّ: الحال، وأشدُّ الحُزْن، كذا في القاموس. قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [١٢/ يوسف/ ٨٦] وكان يجلس على الطريق، ويشكو حاله لكلِّ من يمر به، فقال ذلك حين قالوا له: ﴿ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: ذائباً من العِشق، أو الحُزن، أو مشرفاً على الهلاك، والمضنى مرضاً وسقماً، أشار إليه في القاموس.﴿ أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [١٢/يوسف/ ٨٥]. وقوله (**أَقَلَّهُ**): مفعول بثَّ، والضمير لحزني؛ لقدرته عليه السلام على الكتم من قوة النبوّة دون غيره وإنْ اشتركا في التعلُّق بالجناب الإلهيّ في/[٩٩/ أ] المظهر الكونيّ؛ فإنَّ قوله فيما حكاه تعالى عنه من قوله: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ [١٢/ يوسف/ ٨٤] فعيل صيغة مبالغة من الكظم، قال في القاموس: «كَظَمَ غَيْظَهُ يَكْظِمُه: رَدَّه، وحبسه». وأشار إلى تعلّقه بمظهريّة يوسف عليهما السلام، وبقيّة المظاهر بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٢/ يوسف/٨٦] وهو الاسم الجامع لتجلِّيات الأسماء المختلفة الآثار، ثمَّ قال: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من ذلك. وقوله (**وكلّ بَلا أيوب**): النبيّ عليه السلام. (**بعض**

بليَّتي): يعني من جهة خطر البلاء لجواز صدور البلاء في الدين كالمعاصي والكفر على غير الأنبياء عليهم السلام، بخلاف الأنبياء فإنّ ذلك يستحيل في حقِّهم بعصمتهم من ذلك دون غيرهم فلا يردّ على الناظم قوله صلّى الله عليه وسلَّم: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثمَّ الأمثل فالأمثل»[1] ويمكن أنْ يُقال بأنّ الأشديّة من جهة الألم، أو من مخافة التقصير فيما هم بصدده من المخاطبة بالوحي دون غيرهم في الأوامر والنواهي، والتبليغ في حقّ االرسل منهم عليهم السلام، وإنْ قصدت المبالغة في ذلك بطريق الادّعاء دون إرادة معنى ظاهر الكلام كما هو دأب البلغاء فلا إيراد ما، وكذلك إن أريد ما هو أعلى من ذلك؛ وهو التكلُّم عن الحقيقة المحمَّديّة النور الذي هو أول مخلوق كما ورد في الحديث: «أوَّل ما خلق الله نور نبيِّك يا جابر ثمّ خلق منه كذا وكذا...»[2] الحديث في مسند عبد الرزاق وغيره بمعناه؛ فالناظم من جملة من خلق من نوره صلىَّ الله عليه وسلّم. ثمّ بعد اضمحلال الغيريّة عنه بالفناء في المحبّة والعشق تكلَّم على لسان الحقيقة المحمّديّة بطريق الميراث للمقام المحمَّدي كما هو دأبه رضي الله عنه في هذه ا لقصيدة (نظم السلوك) وغيرها كقوله :

لقد خضتُ بحراً دونه وقف الأولى ... بساحله صون لموضع حرمتي[3]
ومن فضل أسارت شرب معاصري ... ومن كان قبلي فالفضائل فضلتي[4]

١٦- وَآخِرُ مَا أَلْقَى الأُلَى عَشِقُوا إِلَى الـ ... ـرَّدَى بَعْضُ مَا لاَقَيْتُ أَوَّلَ مِحْنَتِي

(ألقى): فعل ماض، أي: طرح ورمى. **(الأُلى)**: بالضمّ، اسم موصول مبني

---

(١) انظر تخريجه ص ٤١٨.
(٢) انظر تخريجه في ص١٤٤.
(٣) هو البيت رقم ٢٨٨ من قصيدة نظم السلوك، انظر شرحه هناك.
(٤) هو البيت الأخير من قصيدة نظم السلوك رقم ٧٦٢.

مقصور بالألف على وزن الفتى، بمعنى الذين، جمع لا واحد له من لفظه. وجملة (**عشقوا**): صلة الموصول، والعائد الواو. وقوله (**إلى الردى**): متعلّق بألقى. و(**الرَّدى**): بفتح الراء الهلاك، رَدِيَ كرضي رَدَىً: هلك، كذا في القاموس. والمعنى[1]. (**آخر ما**): أي آخر أمرعظيم، أو الأمر العظيم الذي طرح العشّاق في مهاوي الهلاك. (**بعض ما**): أي أمراً، والأمر الذي. (**لاقيتُ**): أي قاسيت ووجدت، من الملاقاة، والضمير محذوف، أي: لاقيته. (**أوّلَ**): بالبناء على الفتح للظرفيّة. (**محنتي**): أي اختياري قال في القاموس: «مَحَنَهُ كمنعه: اخْتَبَره كامْتَحَنَه، والاسم المِحْنَة، يريد بذلك العشق والمحبّة الإلهيّة.

١٧ - فَلَوْ سَمِعَتْ أُذْنُ الدَّلِيْلِ تَـأَوُّهِي ... لِآلَامِ أَسْـقَام بِجِـسْمِي أَضَرَّتِ

١٨ - لأَذْكَرَهُ كَرْبِي أَذَى عَيْشِ أَزْمَةٍ ... بِمُنْقَطِعِـي رَكْـبٍ إذَا العِـيْسُ زُمَّـتِ

أشار بـ(**الدليل**): إلى المرشد الكامل، حقيقة أو وراثة. (**والتأوّه**): قول أوّاه بتشديد الواو، كلمة تقال عند الشكاية أو التوجّع. وقوله (**لآلام**): جمع ألم، وهو الوجع، متعلّق بتأوّهي؛ لأنّه مصدر تأوّه يتأوّه. وقوله (**أسقام**): مضاف إليه، والسُّقم: المرض. (**بجسمي**): متعلّق بـ(**أضرّتِ**): والتاء مكسورة للقافية. وقوله (**لأذكره**): أي أذكر الدليل. (**كَربِي**): فاعل أذكره من شدّة تلك الأسقام. (**أَذَى**): بفتح الهمزة، مصدر أَذِيَ، كَبَقِيَ أَذَىً وَتَأَذَّى، والاسم: الأَذِيَّة والأَذَاة؛ وهي المكروه اليسير، كذا في القاموس. وقوله (**عَيش**): أي حياة، أو معيشة، أو ما يعيش به. قال في القاموس: «العَيْشُ الحَيَاة، عاش يَعِيْشُ عَيْشاً ومَعِيشَةً وعِيْشَةً/ [٩٩/ ب] بالكسر، والطعام وما يُعَاش به، والخُبْز، والمَعِيْشَة التي تَعِيْش بها من المَطْعَم والمَشْرب وما تكونُ به الحياة، وما يُعاش به أو فيه». و(**الأزمة**): الشدَّة. والمعنى: لأذكره أذيّة العيش الضنك في زمن الشدّة والقحط القائم ذلك

(١) لعلّه يوجد هنا كلام سقط من الناسخ عن معنى الردى.

الأذى الشديد. (بمُنقطِعِي): أصله منقطعين؛ فحُذفت النون للإضافة إلى ركب، قال في القاموس: «الرَّكْبُ رُكْبَان: الإبل، اسم جَمْع، أو جَمْعٌ، وهم عشرة فصاعداً، وقد يكون للخيل». (إذا): بكسر الهمزة ظرف زمان. (العِيس): بكسر العين المهملة، الإبل البيض، يخالط بياضها شُقْرة. وقوله (زُمَّتِ): بضمّ الزاي وتشديد الميم وكسر التاء للقافية، فعل ماض مبني للمفعول، قال في القاموس: «زَمَّه فَانْزَمَّ: شدّه، والزِّمام ككتاب ما يُزَمُّ به، وجمعه: أَزِمَّة. وزَمّ البعير: خَطَمَه». أي: في وقت شدّ زِمام الإبل للسير. والمعنى لَأذكره الكرب الذي أقاسيه من كثرة الآلام والأوجاع في طريق المحبّة؛ الأذى الذي يعهده ذلك الدليل من عيش الشدّة الحاصلة للمنقطعين عن الركب إذا شدّ الركب أزمّة عيسهم وقصدوا السير، فإنّ الضعفاء المنقطعين المشاة ذوي العيش الضنك يجدون حينئذ غاية المشقّة، وزيادة التحيُّر والتلهُّف لفقدهم آلة السير، وعدم الزاد، وكثرة الضعف في أبدانهم، وأحوالهم، وعجزهم عن اللحوق بالركب السائرين إلى ديار الأحبّة.

١٩- وَقَدْ بَرَّحَ التَبْرِيْحُ بِي وَأَبَادَنِي   وَأَبْدَى الضَّنَى مِنِّي خَفِيَّ حَقِيْقَتِي

(بَرَحَ): بتشديد الراء، من البَرْح؛ وهو الشدّة، وبَرْحَاً الحمى وغيرها شدّة الأذى، ومنه بَرَّحَ به الأمرُ تَبْرِيْحاً، وتَبَارِيح الشَّوْق: تَوَهُّجُه، كذا في القاموس. (وأبادني): أي أهلكني وأفناني، بحيث لم يبقَ مَنِّي ما أعرف نفسي به في الظاهر والباطن. وقوله (وأبدى): أي أظهر. (الضَّنى): وهو المرض الملازم، قال في القاموس: «ضَنِيَ كرَضِي ضَنَىً مَرِضَ مَرَضاً مُخامِراً كلَّما ظُنَّ بُرْؤُه نُكِسَ». وقوله (مِنِّي): أي من ذاتي. (خَفِيَّ): مفعول أبدى. و(حقيقتي): مضاف إليه، وهي ماهيَّته، ما هو بها هوَ هُوَ، وهي غيره؛ لأنّه حجاب عليها قال الشيخ الأكبر قدَّس الله سرَّه:

حقيقتي هِمت بها   وما رآها بصري
ولو رآها لغدا   قتيل ذاك الحور

٢٠- فَنَادَمْتُ فِي سُكْرِي النُّحُولَ مَرَاقِبِي   بَجُمْلَةِ أَسْرَارِي وَتَفْصِيْلِ سِيْرَتِي

(نادمتُ): من المنادمة، وهي في الأصل المجالسة على الشرب. قال في القاموس: «نَادَمَه مُنادَمَةً ونِدَاماً: جالسه على الشرب. والمراد هنا المحادثة والمكالمة. وقوله (في سكري): أي في حال سكري. كنَّى بذلك عن الغيبة في شهود المحبوب الحقيقي. وقوله (النُّحُول): بضمِّ النون، مصدر نَحِل جسمُه كَسَمِع ونَصَر وكَرُم نُحولاً: ذهب من مرض أو سفر، كذا في القاموس بدل من سُكري؛ لأنَّ النُّحُول هو السكر، وهما ذهاب واضمحلال. ويجوز أنْ يكون النَّحُول: بفتح النون، فَعُوْل، صيغة مبالغة نعت لسكري، أي سكر الناحل، أي: المذهب لنفْسي بالكليّة ظاهراً وباطناً بطريق المبالغة، وشرح المنصري على سكر النحول بالإضافة أو بنزع الخافض، أي: سكري من النحول. ثمّ قال: والأوَّل أولى» انتهى. فالمنادمة بسبب السكر ؛ لأنّ السكران لا يفرِّق بين من يخاطب من الناس وكون المنادمة بجملة أسراره من شدّة نحوله فلا يستطيع التكلُّم. وقوله (مراقبي): مفعول نادمت، وهو الذي يراقبني ليكشف عن حقيقة حالي وجليّة أمري، بسبب كثرة التحيُّر في شأنه. وقوله (بجملة أسراري): متعلِّق بنادمت، أي: بطريق الإجمال لأسراري، وهي التي يسرّها في نفسه. (وتفصيل سيرتي): أي بطريق التفصيل لسيرتي، وهي حالته الظاهرة، وأحواله الظاهرة؛ فاطلع مراقبه على طاعاته وعبادته وزهده وصبره وورعه/[١٠٠/أ] وشكره بالتفصيل، ولم يطلع على أسراره وحقائقه ومعارفه إلّا بطريق الإجمال.

٢١- ظَهَرْتُ لَهُ وَصْفاً وَذاتِيْ بِحَيْثُ لَا   يَرَاهَا لِبَلْوَى مِنْ جَوَى الحبِّ أَبْلَتِ

(ظهرتُ له): أي لمراقبي حين نادمته بما نادمته. وقوله (وصفاً): تمييز، أي: من جهة الوصف، فعرف وصفي الظاهر له، وهو تفصيل سيرته الذي نادمه به في سكره .ثمّ قال (وذاتي): بحيث لا يراها. يعني: من شدّة نحوله؛ ففهم منادمته

عنها بطريق الإجمال في إسراره. وقوله (لِبَلْوَى): عِلّة لعدم رؤيته ذاته، أي: بليَّته. ومحنته ناشئة من (جوى): أي حُرقة الحبّ ـ بضمِّ الحاء المهملة ـ بمعنى المحبَّة. (أبلتِ): بسكون التاء، وحُرِّكت بالكسر للقافية. والضمير المستتر راجع إلى قوله **لِبَلوى**، قال في القاموس: «بَلِيَ الثوبُ كَرَضِي، يَبْلَى بلاء، وأبلاه هو». يعني: هذه البلوى هي التي أبلته ونحلته.

٢٢- فَأَبْدَتْ وَلَمْ يَنْطِقْ لِسَانِي لِسَمْعِهِ   هَـواجِسُ نَفْسِي سِرَّ مَا عَنْـهُ أَخْفَـتِ

(**فأبدت**): أي أظهرت وبَيَّنَت. و(**هواجسُ**): مرفوع لأنّه فاعل أبدت. وقوله (**لم يَنْطِق لساني لسمعه**): أي سمْع مراقبي في البيت المتقدّم، أي: لم أسمع نطق لساني، و(**الهواجس**): جمع هاجس، قال في القاموس: «هَجَسَ الشيءَ في صدره يَهْجِس: خطر بباله، أو هو أنْ يُحدِّث نفسَه في صدره، مثل الوَساوس المنبِّئة تسمعها ولا تفهمها، وكلّ ما وقع في خلدك». وقوله (**سرَّ**): مفعول أبدتِ. و (ما): نكرة موصوفة، أي: أمر عظيم، أو موصولة، أي: الأمر الذي (**عنه**): أي عن مراقبي. (**أخفتِ**): بكسر التاء للقافية. وفاعل أخفتِ ضمير راجع إلى هواجس. وعائد الموصول محذوف تقديره أخفته. يعني: كلَّمتُ مراقبي بحديث نفسي، وكشفت له عن سرِّ قلبي، ولم أنطق له بلساني؛ وهي طريقة النقشبنديّة اليوم يلزمون السكوت في مجالس مراقبتهم، ويفهمون الكلام النفسي من بعضهم بعضاً، من غير نطق اللسان، ولنا في طريقهم كتاب شرحنا به رسالة لبعض الكاملين منهم، سميناه «مفتاح المعيّة في طريق النقشبنديّة». ومعنى سلسلة طريقهم إلى الصديق الأكبر أبي بكر خليفة رسول الله صلَّى الله علي وسلَّم بنسبة المعاهدة بالتخليق من شيخنا العارف بالله أبي سعيد البلخيّ قدّس الله سرَّه.

٢٣- وَظَلَّتْ لِفِكرِي أُذْنُهُ خَلَداً بِهَا   يَـدُوْرُ بِـهِ عَـنْ رُؤْيـةِ العَـيْنِ أَغْنَـتِ

(**ظلَّت**): من أخوات كان، ترفع الاسم؛ وهو (**أُذْنُهُ**): بضمِّ الهمزة، والضمير راجع إلى مراقبي، أي: أُذْنُ مراقبي قال في القاموس: «الأُذُنُ بالضمّ، وبضمَّتين،

مؤنَّثة». و(خَلَداً): بالتحريك، خبر ظلَّت، والخَلَد: القلب، أي: صارت أُذْنُه قلباً لفكري، أي: لمّا أفكر فيه، ثمّ بيَّن ذلك بقوله (بها): أي بأُذنه لا بغيرها. (يدور): أي يجول ذلك المراقب بأذنه في تقليب أحوالي الباطنيّة والظاهريّة بالإصغاء إلى الكلمات التي تخرج مِنّي، والتأوّه والأنين والحُرقة. وقوله (به): أي بذلك الدوران (عن رؤية العين): أي عينه، متعلِّق بأغنتِ بكسر التاء للقافية. وفاعل أغنتِ ضمير راجع إلى أُذنه. والمعنى: ظلَّ مراقبي يدور بأذنه في أحوالي وقد صارت أذنه قلباً له يدرك بها ويرى بها، وقد أغنته عن رؤية عينيه.

٢٤- فَأَخْبَرَ مَنْ فِي الحَيِّ عَنِّي ظَاهِراً بِبَاطِنِ أَمْرِي وَهْوَ مِنْ أَهْلِ خِبْرَةِ

(فأخبر): أي مراقبي. (مَن في الحيِّ): وهو البطن من بطون العرب، والمراد هنا أهله وقومه. وقوله (عنِّي): مُتَعلِّق بأخبر. (ظاهراً): أي إخبار ظاهر بلا تكنية ولا رمز. وقوله (بباطن): متعلِّق بأخبر أيضاً. و(أمري): أي شأني وما أنا منطوٍ عليه. و(هو): أي ذلك المراقب المذكور من أهل خبرة. و(الخِبرة): بكسر الخاء المعجمة وضمِّها: الاختبار، وهو العلم بالشيء، وقد خَبُرَ كَكَرُمَ. والمعنى: إنّ ذلك المراقب صرَّح ببواطن أموري وخفايا أسراري عند أهلي وقومي وعشيرتي، ولم يكتم عليّ شيئاً من ذلك، وهو من أهل المعرفة بالأمور، له خبرة وإدراك/ [١٠٠/ ب] بخفايا الأحوال.

٢٥- كَأَنَّ الكِرَامَ الكَاتِبِيْنَ تَنَزَّلُوا عَلَى قَلْبِهِ(١) وَحْيَاً بِمَا فِيْ صَحِيفَتِي

(الكرام الكاتبين): أي الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد وأقوالهم؛ الخير والشرّ. وقوله (تَنَزَّلُوا): بتشديد الزاي، قال في القاموس: «تَنَزَّلَ: نَزَلَ في مهلة». (على قلبه): أي قلب مراقبي المذكور. وقوله (وحياً): تمييز من جهة الوحي، وهو الإشارة، والكتابة، والإلهام، والكلام الخفيّ، وكلُّ ما ألقيته إلى غيرك، كذا في القاموس. والمراد الإلهام هنا. (بما): أي بالذي (في صحيفتي): أي بما هو مكتوب فيها من أسراري

---

(١) في (ق): سمعه.

وبواطن أحوالي. و (الصحيفة): الكتاب. والمعنى: كان الملائكة الحفظة عَلَيَّ ألهموا مراقبي جميع أسراري وما تضمَّنته صحيفتي التي كتبوها في أعمالي وبواطن أحوالي.

٢٦- وَمَا كَانَ يَدرِي مَا أُجِنُّ وَمَا الذِي حَشَايَ مِنَ السِّرِّ المَصُوْنِ أَكَنَّتِ

(**وما كان يدري**): أي مراقبي المذكور. (**ما**): أي الذي. (**أُجِنُّ**): أي أستر وأُخفي ، يقال أَجَنَّه: سَتَرَه، وكلُّ ما سُتِرَ عنك جُنَّ عنك. وجملة أُجِنّ صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره أُجِنُّه. وقوله (**وما**): أي الأمر العظيم. (**الذي حَشَايَ**): أي باطني وما اشتمل عليه من الكبد، والطحال، والكرش. وما يتبع ذلك. وقوله (**من السِّرِّ**): بيان لما. (**والمصون**): نعت للسرّ. وقوله (**أَكَنَّتِ**): بكسر التاء للقافية، وضمير أكنّتِ يعود على أحشايَ. ومعنى أكنّت سترت.

٢٧-وَكَشْفُ حِجَابِ الجِسْمِ أَبْرَزَ سِرَّ ما بِـهِ كَـانَ مَـسْتُوراً لَـهُ مِـنْ سَرِيـرَتِي

(**وكشف حجاب الجسم**): أي كشف مراقبي المذكور. (**حجابِ الجسم**): أي الحجاب الذي هو جسمي بكمال مراقبته لي. وقوله (**أبرز**): أي أظهر بعد الخفاء، يقال: بَرَزَ بُرُوْزاً إذا ظَهَرَ بعد الخفاء، كذا في القاموس. وقوله (**سِرَّ**): مفعول أبرز (**ما**): أي أمر عظيم. (**به**): بالجسم. (**كان**): أي ذلك الأمر العظيم مستوراً. وقوله (**له**): متعلِّق بأبرز. والضمير عائد إلى مراقبي المذكور سابقاً. وقوله (**من سريرتي**): بيان لما. والمعنى: إنَّ كشفه لحجاب جسمي أظهر له سرَّ أمرٍ عظيم كان مستوراً عنه من سريرتي. والسريرة هي السرّ وهو ما يُكْتَم، والجمع: الأسرار.

٢٨- وَكُنْتُ بِسِرِّي عَنْهُ فِي خُفْيَةٍ وَقَـدْ خَفَتْـهُ لِـوَهْنٍ مِـنْ نُحُـولِيَ أَنَّتِـي[1]

(**وكنتُ بسرِّي**): أي بما أكتمه من أحوالي. (**عنه**): أي مراقبي المذكور سابقاً. وقوله (**في خُفْيَةٍ**): أي غير معلوم عنده. (**وقد**): الواو للحال. و(**خَفَتْه**): بالخاء المعجمة والفاء، أي: أظهرته، قال في القاموس: «خَفَاهُ يَخْفِيْهِ خَفْياً: أَظْهَرَهُ،

(١) البيت في (ق): «وعنه بسرّي كنت في خفية وقد جفته لوهنٍ من نحولي آنتي».

واسْتَخْرَجَهُ». والضمير البارز يعود إلى سرّي. وقوله (لِوَهْنٍ): بسكون الهاء هنا، ويحرّك، أي: لضعف. وقوله من (نحولي): أي ذهابي واضمحلالي من السقم، والجار والمجرور متعلّقان بوهن. و(أَنّتِي): بتشديد النون، فاعل خَفَتْهُ. والأَنّة: فِعْلُ مرَّة من أَنَّ يَئِنُّ أَنِيْناً: تأوَّه. يعني: أنا كنت سابقاً مخفياً بسرِّي عن مراقبي المذكور، والحال: إنّ أنّتي ـ لضعفي من شدّة النحول والسقم ـ أظهرت سرِّي لمراقبي.

٢٩- فَأَظْهَرَنِي سُقْمٌ بِهِ كُنْتُ خَافِياً ... لَـهُ والهَـوَى يَـأْتِي بكُـلِّ غَرِيْبَـةِ

(**فأظهرني**): أي كشف عن حالي وعن عشقي الذي أخفيه. (**سقم**): أي مرض ظاهر عليّ. وقوله (**به**): أي بسبب ذلك السقم كنت خافياً له متعلّق بأظهرني. والضمير لمراقبي وقوله. (**والهوى**): أي الحبّ والعشق. (**يأتي بكلّ غريبة**): أي بكلِّ حالة غريبة، والحالة الغريبة هنا ـ أي سقمه ـ أظهره وأخفاه؛ فقد عمل فيه الضدّين الإظهار والإخفاء، فمن الإخفاء قول البوصيري رحمه الله تعالى:

فكيـفَ تُنْكِرُ حبّـاً بعـد مـا شـهِدتْ ... بـه عليـك عُـدولُ الـدمعِ والـسقمِ

/[١٠١/أ] ومن الإخفاء قول المتنبّي:

كَفَـى بجِـسمي نُحُـولاً أَنّني رَجُـلٌ ... لَـولا مُخَـاطَبَتِي إيـاكِ لم تَـرَنِي

٣٠- وَأَفْـرَطَ بِي ضُرٌّ تَلاشَـتْ لِـمَسِّهِ ... أَحَادِيْـثُ نَفْـسٍ كَالمَـدَامِعِ نَمَّـتِ

(**أفرط**): أي زاد وجاوز الحدّ. (**بي ضُرٌّ**): وهو ضِدُّ النَّفْعِ، ويُضَمُّ، أو بالفتح: مصدر، وبالضمّ اسم، يُقال: ضَرَّهُ وضَرَّ به وأَضَرَّهُ وضَارَّهُ مُضَارَّةً وضِراراً، كذا في القاموس. وقوله (**تلاشت**): صفة ضرّ، ومعنى تلاشتِ فنيت وتفرّقت كأنّه تفاعل من لا شيء. وقوله (**لِمَسِّه**): متعلّق بتلاشت، والضمير للضُّرِّ. و(**أحاديث**): فاعل تلاشت. و(**نَفْسٍ**): مضاف إليه. يعني: ذهبت وفنيت أحاديث نفسه من زيادة الضُّرِّ الذي مسَّه، وألم العشق، وأوجاعه الملازمة له، ثمّ أخبر عن أحاديث نفسه التي ذهبت واضمحلّت من إفراط الضُّرِّ إنّما كانت منه (**كالمدامع**): أي مثل

دموع عينيه. (نَمَّتِ): بتشديد الميم وكسر التاء للقافية. أي: نقلت أخبار عشقه الذي يكتمه، وأحوال غرامه الذي يلزمه، وكون أحاديث نفسه تنمّ عليه مثل دموع عينيه، إنّما ذلك بالنسبة إلى مراقبه الذي سبق ذكره، وانطوى في الأبيات المتقدِّمة نشره، وأخبر عنه بأنَّ الكرام الكاتبين كأنّما تنزّلوا على قلبه بإلهام ما في صحيفته من أحوال عشقه وحبّه. ثمّ أخبر هنا بأنّ أحاديث نفسه تلاشت وزالت، وذلك بسبب فناء نفسه، وانمحاق هويته، وطمسه في تجلّيات ربِّه، حيث مسَّه الضرّ، وأفرط به من غلبة الحقِّ بالحقيقة في جذبه. وإذا زالت النفس زالت أحاديثها؛ فإنّه بالبلوى ومسّ الضرّ يسرع تمويت النفوس وتُمِيْثُها[1]، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٨٣-٨٤] فإنّ حكمة البلوى لتحصيل مقام القربى، وكشف حجاب الأغيار، ومسح الغبار عن عيون الأسرار؛ وهذا معنى الاستجابة له فيما دعا بزوال ما لم يكن، وظهور من لم يزل حيث توجّه إليه وسعى، وبعد ذلك آتاه أهله ومثلهم معهم؛ وهو رجوعه كما كان متحقّقاً بمعرفة ربِّه، وبمعرفة الأكوان من عالم النفوس، وعالم الأرواح، وعالم الأجسام، حتى عالم المثال؛ وهو قوله: ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٤١] كما هو عند المحقِّقين من الرجال.

٣١- فَلَوْ هَمَّ مَكْرُوْهُ الرَّدَى بِي لَمَا دَرَى … مَكَانِي وَمِنْ إِخْفَاءِ حُبِّكِ خُفْيَتِي

(**فلو هَمَّ**): أي توجّه وقصد. (**مكروه الردى**): أي الهلاك. يعني: الردى المكروه الذي تكرهه النفوس. وقوله [بي] متعلِّق بِهَمَّ. وقوله (**لَمَا دَرَى مكاني**): وذلك لأنّ حياته بأمر ربّه لا بتوجُّه روحه على قلبه، لانخراق حجبه؛ فهو حيّ بالحياة الربّانيّة، قائم بالروح الآمريّة، على الكشف والمشاهدة وعقد النيّة. و(**الردى**): وهو الهلاك والموت لا يدرك الأرواح الأمريّة؛ وإنّما يدرك الحياة الحيوانيّة بواسطة

(١) مَثَّ اليد مسحَها، ومثَّ الشارب أطعمه دسماً، انظر القاموس المحيط، مادّة: مثث.

القوى النفسانيّة، فإذا ارتفعت همّة العارف عن ملاحظة الأغيار، وتقطعت به الأسباب من داخله وخارجه لظهور الواحد القهار لا يموت أبداً، ويبقى بإبقاء الله تعالى له سرمداً؛ وإنّما ينتقل من دار إلى دار، ويتقلّب بأمر الله تعالى في الأطوار والأوطار. فلو همَّ به مكروه الردى لما درى مكانه، ولا عرف مناله ولا إمكانه.

وقوله (**ومن إخفاء حبِّكِ**) بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، والحضرة المتجلِّية عليه بأسمائها الحسنى العليّة، وهو رجوع إلى خطابها، وشكوى نفسه ما قاسته من مصابها، وهذا الجار والمجرور خبر مقدّم لإفادة الحصر. وقوله (**خُفْيَتِي**): مبتدأ مؤخّر. يعني: ليست خفيتي، أي: اختفائي عن الأغيار كلِّها إلّا من سبب إخفاء **حبّك** عن الأغيار؛ فإنّ الأغيار إذا انقلبت أعياناً، والأعيان عيناً واحدة من قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] كانت المحبّة كلّها واحدة لعين/ [١٠١/ ب] واحدة من تلك العين الواحدة لنفسها، وفنيت كثرة الأغيار، في حقيقة الوجود الحقِّ الواحد، فكانت خفية عند أهل الأوهام بثبوت الأغيار، ناشئة من أخفياء الحبّ عندهم، فلا يعرفون ما هناك، والله ولي التوفيق، والهادي إلى مقام التحقيق.

٣٢- وَمَا بَيْنَ شَوْقٍ وَاشْتِيَاقٍ فَنِيتُ فِي ... تَـوَلٍّ بِحَظْـرٍ أَوْ تَجَـلٍّ بِحَظْـوَةِ

(**وما بين شوقٍ**): وهو نزاع النفس وحركة الهوى. (**واشتياق**): وهو زيادة الشوق؛ ولهذا قال الأكابر من المحقِّقين: «الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق يزيد» ذكره البساطي المالكي[1] في شرحه. (**فَنِيْتُ**): أي ذهبت إلى ما كنت فيه قبل أنْ أكون، وكان تسبب ذلك الشوق والاشتياق إلى المحبوبة الحقيقيّة. ثمّ قال (**في تولٍّ**): هو مصدر تولّى عنه: أعرض. يعني: في حالة إعراض من المحبوبة عنّي.

---

(١) محمّد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن مقدم بن محمّد بن حسن بن غانم بن محمّد علي البساطي المالكيّ، قاضي القضاة شمس الدين، توفي بالقاهرة ٧٦٠هـ عن٨٢سنة برع بعلوم المعقول والعربيّة والبيان والحديث والفقه، وله تصانيف في ذلك. انظر الضوء اللامع للسخاوي ج٥ ص٢٠.

(**بحَظْرٍ**): بالحاء المهملة والظاء المعجمة، أي: منع صادر منها لي. وقوله (**أو تجلٍّ**): أي انكشاف بحظوة بالحاء المهملة والظاء المعجمة، قال في القاموس: «الحُظْوَة بالضمّ والكسر: المكانة، والحظ من الرزق». والمعنى: إنّ رجوعه إلى عالم فنائه واضمحلاله حصل في حالتين كانتا تتعاقبان عليه: حالة الإعراض عنه بمنعه عن الشهود، وحالة الإقبال عليه بكشف حقيقة الوجود، والحظوة لديه، بما يمنّ به عليه ويسوقه من النعم إليه. وفي نسخة (**بحضرة**): بالضاد المعجمة والراء مكان الواو. والمعنى: ذلك التجلّي بحضرة من حضرات الأسماء الإلهيّة.

٣٣- فَلَـوْ لِفَنَـائِي مِـنْ فِنَائِـكِ رُدَّ لِي ... فُـؤَادِيَ لَمْ يَرْغَـبْ إلَى دَارِغُرْبَـةِ

(**فَلَوْ لفَنائي**): بفتح الفاء، أي: لعدمي الأصلي واضمحلالي. (**مِنْ فِنائكِ**): بكسر الفاء وكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، وأصل الفِناء بالكسر ما اتسع من الدار، قال في القاموس: «فِناء الدار كَكِساء: ما اتسع من أمامها» كنَّى بذلك عن حضرتها الواسعة. وقوله (**رُدَّ**): بضمِّ الراء، فعل ماض مبني للمفعول. (**لي فؤادي**): أي قلبي، نائب فاعل رُدَّ. والمعنى: لو رُدّ لي قلبي من حضرة أسمائك الحسنى لعدمي الأصلي الذي كنت فيه قبل ظهوري بنور وجودك الحقّ الذي هو حضرة الأسماء الحسنى. وقوله (**لم يرغب**): يعني فؤادي إلى دارغربة؛ فإنّه يصير في عالم الفناء ودار العدم الأصلي في دار غربة؛ لأنّ وطنه الثاني الذي هو حضرة الأسماء الحسنى ووطن قديم له، ووطنه الأوّل الذي هو الفناء والعدم بَطُل عنده بسبب وطنه الثاني، والوطن الأصلي يبطل بمثله كما قرره العلماء، فلو رجع إليه كان فيه غريباً مسافراً حتّى ينوي الإقامة فيه فيصير مقيماً، وما ثمّ الآن له إلّا وطن الحضرة الأسمائيّة الإلهيّة الأزليّة، وهي الحضرة العلميّة المحيطة بكلّ شيء، وفي الأثر : «حُبّ الوطن من الإيمان»[1].

---

(١) ذكره العجلونيّ في الكشف، ١١٠٢، وقال: «حبّ الوطن من الإيمان». قال الصغانيّ: موضوع. وردّ القاريّ: قوله ومعناه صحيح بأنّه عجيب. قال: إذ لا تلازم بين حبّ الوطن والإيمان. وقال: وردّ أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [٤/ النساء/ ٦٦] الآية. بتشديد اللام وكسر التاء الساكنة للقافية، والضمير المؤنّث راجع إلى الأمور المذكورة، أي: ظهرة قليلة، أي: على خلاف ما هي عليه في نفس الأمر من الكثرة، أو العِظَم والشِّدَّة.

٣٤- وعُنْوانُ شَأْنِي ما أَبُثُّكِ بَعْضَهُ وَمَا تَحْتَهُ إِظْهَارُهُ فَوْقَ قُدْرَتِي

(وعُنْوان): أي ظاهر، قال في القاموس: «كُلُّ مَا استدللتَ بشيء تُظهره على غيره فعُنوانٌ له، ومنه عُنوان الكتاب». و(الشأن): الأمر. يعني: ظاهر أمري دون باطنه هو (ما): أي أمرعظيم، أو الذي (أَبُثُّكِ): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، ومعنى البثُّ بالباء الموحّدة والثاء المثلثة الشكاية. قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٢/ يوسف/ ٨٦]. وقوله (بعضه): مفعول أبثُكِ، والضمير راجع إلى شأني وما تحته، أي: ذلك البعض، أو تحت شأني، أو تحت عنوان شأني، أي: باطن ذلك العنوان الذي هو الظاهر مما لم أبثّه إظهاره فوق قدرتي، أي: لا [١٠٢/ أ] أقدرعلى بثّه لكثرته، أو لعِظَمِه وشدَّته؛ فلا تحمله العبارة، ولا تفهمه الإشارة.

٣٥- وَأُمْسِكُ[1] عَجْزاً عَنْ أُمُوْرٍ كَثِيْرَةٍ بِنُطْقِيَ لَنْ تُحْصَى وَلَوْ قُلْتُ قَلَّتِ

(وأمسك): أي أمنع نفسي عن البيان. (عجزاً): تمييز، أي: من جهة العجز لا غيره عن أمور تتعلّق بأُمْسِك. و(كثيرة): صفة لأمور. يعني: أتركُ شكوى أمور كثيرة وقعت لي في طريق المحبّة عجزاً مِنّي عن بيانها؛ لأنّها أمور ذوقيّة لا يعرفها إلّا مَنْ ذاقها، قال الشاعر:

لا يعرفُ الشوقَ إلّا مَنْ يكابِدُهُ ولا الصَّبابةَ إلّا مَنْ يُعانيها

واختصره بعضهم:

لا يعرف الشوق إلّا ولا الصبابة إلّا

وقوله (بنطقي): متعلّق بقوله (لن تُحصي): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة مبنياً للمفعول، أي: لا يمكن عدّها بنطقي، أي: بتكلّمي ولو قلتُ، أي: نطقتُ بها، وتكلّمت. (قَلَّتِ): بتشديد اللام، وكسر التاء الساكنة للقافية. والضمير المؤنث

---

(١) في (ق): وأسكتُ.

راجع إلى الأمور المذكورة. أي: ظهرت قليلة، أي: على خلاف ما هي عليه في نفس الأمر [كذا] من الكسرة أو العِظَم والشِّدة.

٣٦- شِفَائِي أَشْفَى بَلْ قَضَى الوَجْدُ أَنْ قَضَى وَبَــرْدُ غَلِــيلِي وَاجِــدٌ حَــرَّ غُلَّتِــي

(**شِفائي**) بكسر الشين المعجمة، وهو الدواء والبُرْء. وقوله (**أشفى**): أي زال منه الشفاء؛ فالهمزة للسلب، أي: هو صورة شفائه في الظاهر، وفي نفس الأمر ليس بشفاء؛ بل هو هلاك. وقوله (**بَلْ**): حرف إضراب عن قوله أشفى. و(**قضى**): أي حكم. (**الوجد**): أي الحبّ والعشق. (**أن قضى**): أي مات، والضمير راجع إلى شفائي. (**وبرد غليلي**): الغليل بالغين المعجمة، حرارة الحبّ والحزن. (**واجد**): اسم فاعل من وجد يجد. (**حَرَّ**) ضدّ برد. (**غُلَّتي**): والغلّة بضمّ الغين المعجمة وتشديد اللام: العطش، أو شِدَّتُه، أو حرارة الجوف، كذا في القاموس. يعني: إنّ حرارة المحبَّة والعِشق حيث بردت منّي؛ فَبَرَدَ غليلي بلقاء المحبوبة؛ فهو بَرْدٌ لغليلي في الظاهرة صورة، وذلك البَرْدُ في باطن الأمر عين حرارة الغُلَّة، أي: الحُرقة، وزيادة العطش، وشدّته، كما قال الشاعر:

أعانقُــهُ والــنفسُ بعــدُ مَــشوقةٌ إليــه وهــل بعــدَ العنــاقِ تــداني
وألــثمُ فــاكِ تــزولُ حــرارتي فيــشتدُّ مــا عِنــدي مــن الهــيمان
وأقــسم لا تنفــكُّ نــار صــبابتي ســوى أن تــرى الروحــان يمتزجــان

٣٧- وَبَـالِي أَبْـلَى مِـنْ ثِيَـابِ تَـجَلُّدِي بَلِ الـذَّاتُ فِي الأَعْـدَامِ نِيطَـتْ بِلَذَّتِـي

(**وبالي**): أي حالي. قال في القاموس: «البال الحال والخاطر والقلب». وقوله (**أبلى**): من بَلِيَ الثوبُ، كرَضِيَ، يَبْلَى بَلاءً. وقوله (**من ثياب تجلُّدي**): أي الثياب التي هي تجلّدي، ثمّ أضرب عن ذلك بقوله (**بل الذات**): أي ذاتيّ. (**في الأَعْدَام**): أي الفناء والاضمحلال. (نِيطَتْ): أي عُلِّقَتْ، قال في القاموس: «ناطَه نوْطاً: علَّقه، وانْتَاطَ: تَعَلَّقَ». وقوله (بِلَذَّتِي): متعلّق بنيطت. يعني: إنَّ ذاتيّ تعلّقتْ بلذّتي في الأَعْدام؛ فانعدمت لذّتي أوّلاً، ثمّ انعدمت ذاتي بعدها.

٣٨- فَلَوْ كُوشِفَ العُوَّادُ وتَحَقَّقُوا مِنَ اللَّوْحِ مَا مِنِّي الصَّبَابَةُ أَبْقَتِ
٣٩- لَمَا شَاهَدَتْ مِنِّي بَصَائِرُهُم سِوَى تَخَلُّلِ رُوْحٍ بَيْنَ أَثْوَابِ مَيِّتِ

(**فلو كوشف**): قال في القاموس: «الكَشْفُ كالضَّرْبُ، والمُكَاشَفَة: الإظهار، ورَفْعُ شيءٍ عمّا يواريه ويغطِّيه، كالتكشيف». كنّى به عن رفع الحجاب. و(**العُوّاد**): جمع عائد/ [١٠٢/ ب] وهو الذي يزورالمريض. (بي): الجار والمجرور متعلِّقان بكوشف، أي: لو كشف الله تعالى لعُوَّادي الذين يزوروني وأنا مريض حجابهم، وتحقّقوا من اللوح المحفوظ أحوالي المقدّرة فيه عليّ مما هو في الماضي والحال والاستقبال. وقوله (**ما**): مفعول تحقّقوا، أي: أمراً عظيماً، أو الأمر الذي. (**منِّي**): متعلِّق بأبقتِ. (**والصَّبَابَةُ**): مبتدأ، وهي زيادة المحبّة والعشق. و(**أبقت**): فعل ماض، والتاء ساكنة، وكسرها للقافية. والجملة خبر المبتدأ. والعائد محذوف إن قدرت. (**ما**): موصولة. والمعنى: لو تحقَّقوا ما أبقته الصبابة منِّي. وقوله (**لما شاهدت**): هذا جواب لو. و(**مِنِّي**): متعلّق بشاهدت. و(**بصائرهم**): جمع بَصيرة، فاعل شاهدت، وهي نظر القلب. (وسوى): بمعنى غير، مفعول شاهدَتْ. والمعنى: لمّا رأت عيون قلوبهم فضلاً عن عيون وجوههم من جميع أحوالي غير (**تَخَلُّلِ**): مصدر تَخَلَّلَ الشيءَ: نَفَذَ فيه. (**روح**): أي سريانها من غير نفس مدبرة. وقوله (**بين أثواب**): كنّى بالأثواب ـ جمع ثوب ـ عن الجسد وتوابعه من الأعضاء الظاهرة والباطنة؛ لأنّه يستر سريان الروح كما تسترالأثواب الجسد الإنساني. ثمّ أضاف الأثواب إلى (**مَيِّتِ**): بتشديد الياء التحتيّة، ضدّ حيّ؛ فيقال: مَيْت، بالسكون، ومَيِّت؛ بالتشديد، لغتان، قال في القاموس: «مَيْت ومَيِّت ضدّ حَيّ». وهذا هو الموت الاختياري الذي ورد في الأثر: «موتوا قبل أنْ تموتوا»(١) وهو

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٢.

موت النفس المُدبِّرة؛ فلا يبقى في الجسد غير توجه الروح الآمر في يدبِّره بقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٥].

٤٠ - وَمُنْذُ عَفَا رَسْمِي وَهِمْتُ وَهَمْتُ فِي وُجُودِي فَلَمْ تَظْفَر بِكَوْنِيَ فِكْرَتِي

(مُنذُ): اسم بسيط، مبني على الضم، مبتدأ، وما تعدّه خبره، ومعناه الأمر في الحاضر، وأوّل المدة في الماضي. وقوله (عفا): أي اندرس وانمحى. (رسمي): أي أثري وشخصي، قال في القاموس: «الرسم الأثر، أو بَقِيَّتُهُ، أو ما لا شخصَ له من الأثار». (وهِمْتُ) الواو حرف عطف، و(هِمْتُ): معطوف على عفا، وهو من هَامَ يَهِيم هُياماً، والهُيام: الجنون من العشق. وقوله (وَهَمْتُ): من الوَهْم، وهو من خَطَرَاتِ القَلْب وَوَهِمَ في الحساب، كَوَجِلَ: غَلِطَ، وفي الشيءِ كوَعَدَ: ذَهَبَ وَهْمُهُ إليه. وتَوَهَّمَ: ظَنَّ، كذا في القاموس. وقوله (في وجودي): أي دخل منِّي الوَهْمُ في وجودي الذي أنا ظاهر به لي مع تحقُّقي بالوجود الحقّ الواحد الأحد. ثمّ بين تَوَهُّمَهُ في وجوده بقوله (فلم تظفر): ظَفِر به كفَرِح، وجده. وقوله (بكوني): أي بتكويني وإيجادي. (فكرتي): فاعل تظفروا. والمعنى: إنِّي لَمّا انمحت رسوم ذاتيّ بمعرفة الوجود الحقّ، وتحقّقي به سرحت فكرتي في وجودي الذي هو كناية عن ايجاد الله تعالى لي؛ فأنا موجود، بصيغة اسم مفعول، أي: واقع على إيجاد الله تعالى، لا أنا وجود؛ فإنّ الوجود حقيقة الحقّ تعالى وحده، وهذا معنى وحدة الوجود، والعوالم كلّها بإيجاد الله تعالى موجودات، والإيجاد معنى مصدر له أثر ظاهر، يقال له موجودات بصيغة اسم المفعول، ولا يقال للوجود الحقّ تعالى موجود بصيغة اسم المفعول؛ لأنّه تعالى ليس بإيجاد غيره. ومن قال عنه تعالى موجود بنفسه، فكأنه يقول: إنّه أوجد نفسه، فإنّ صيغة موجود تقتضي وقوع الإيجاد عليه، فإذا كان إيجاده من نفسه لزم تقدّمه على نفسه، وهو محال أنْ يتقدّم الشيء على نفسه، ولعدم السماع في ذلك. ولا يقال له تعالى وجود أيضاً لعدم السماع؛ ولكن معناه صحيح لأنّه بمعنى ينبوع الإيجادات للموجودات كلّها؛

فكلّ موجود له إيجاد منه، أي: فعل؛ فمن [١٠٣/أ] تحقّق بوجود نفسه علم إيجاد الله تعالى له، وعرف أنّه موجود بإيجادٍ هو فعل الله تعالى. وعرف أنّه لا وجود له، وأنّ الوجود كلّه للحقّ تعالى لا لغيره، وأنَّ الوجود واحد قديم أزلي، وليس إيجاد الله تعالى للأشياء الموجودات كما ذكرنا بتقييم وجوده على الأشياء، ولا بتولدها منه؛ وإنّما ذلك بطريق التجلِّي والظهور، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/الزمر/٦٩] وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/النور/٣٥] أي: منوِّرهما بنوره، ونوره وجوده؛ لأنّه يجعل المعدومات موجودات، كما أنّ النور يجعل الظلمات منيرات، والذوق يكشف ما لا يكشف العلم.

٤١- وبَعْدُ فَحَالِي فِيْكِ قَامَتْ بِنَفْسِهَا ... وَبَيِّنَتِــي فِي سَــبْقِ رُوْحِــي بَنِيَّتِــي

(وبعد): ظرف مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، ونيَّة معنى المضاف إليه. يعني: بعد ما تقدّم من شكايات الأحوال، فحالي الآن **(فيكِ)**: بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(قامت بنفسها)**: وذلك لأنّي رجعت إلى العدم الأصلي، المكشوف عنه بالعلم القديم الأزلي؛ لأنّ العلم صفة تكشف عن المعلومات على ما هي عليه، وتحيط بها إحاطة واحدة من غير زيادة علم بمعلوم دون معلوم، ولا فرق عندها بين موجود ومعدوم، فحال الذي انكشف بالعلم القديم الإلهي هو حالي الذي تخصص بالإرادة القديمة، الأزليّة، وهو حالي الذي أظهرته القدرة القديمة، هو حالي الذي تكوَّن بالأمر القديم المترجم عنه بكن فيكون. فإذا تحقَّق العارف بالوجود القديم، والإيجاد الحادث انكشف له حاله المعدوم بالعدم الأصلي؛ فوجد حاله قائماً بنفسه، لا بمعنى أنّه موجود بنفسه؛ وإنّما معنى قيامه بنفسه أنّه على ما هو عليه في نفسه، وهو معدوم بعدمه الأصليّ، والوجود الحقّ تعالى بأسمائه الحسنى متوجِّه عليه بعلمه، وإرادته، وقدرته، وأمره، وباقي فروع أسمائه. وهو على ما هو عليه؛ فيظهر بها، ويبطن بها، ثمّ يظهر بها، ولا يظلم ربّك أحداً. وقوله **(وبيِّنتي)**: أي شهودي وحجَّتي فيما قلته من قيامي

بنفسي، وهو سبق روحي قبل تكوُّن جسدي؛ فإنّها كانت قائمة من غير جسد، كما ورد في الحديث: «إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»[1]. وقوله (**بَنِيَّتي**): أي بدني وجسدي؛ فإنّه متأخِّر عن روحي بسبب أنّه ينمو ويتجدد ثمّ يفنى ويزول، والروح على ماهي عليه. فلولا قيام الروح بنفسها بأمر الله تعالى على طبق قيامها بنفسها في عدمها الأصلي لأنّها مخلوقة كسائر المخلوقات لما كانت قبل الجسد، وما بقيت بعده، والبَنِيَّة المذكورة تفنى وتزول كما كانت قبل تعلق الروح بها.

٤٢ - وَلَمْ أَحْكِ فِي حُبِّيْكِ حَالِي تَبَرُّمَاً بِهَا لِاضْطِرَابٍ بَلْ لِتَنْفِيسِ كُرْبَتِي

(**ولم أحكِ**): من الحكاية. (**في حُبِّيكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة، أي: في حُبِّي إيَّاكِ، أي: محبَّتي لك. (**حالي**): مفعول أحكي. وقوله (تبرماً): أي سآمة، وتضجُّراً، ومللاً. (بها): أي بحالي التي حكيتها في طريق محبَّتي. ثمّ قال (**الاضطراب**): أي الجزع وقلَّة الصبر. (**بل لتنفيس**): أي تفريج. (**كُرْبتي**): بضمِّ الكاف، هي الحزن يأخذ النفَس؛ وذلك لأنّ العارف المحبّ الإلهيّ إذا تحقَّق بمعرفة نفسه ومعرفة ربِّه تمتلئ حقيقته بما ينافي بشريّته من الأحوال؛ فيشتدُّ عليه أمره؛ فيسلِّي نفسه بشرح حاله نظماً ونثراً ليخفِّف عليه ما يجده من ذلك./ [١٠٣/ ب].

٤٣ - وَيَحْسُنُ إِظْهَارُ التَّجَلُّدِ لِلعِدَى وَيَقْبُحُ غَيْرُ العَجْزِ عِنْدَ الأَحِبَّةِ

(**ويحسن إظهار التجلّد**): أي الشدّة والقوّة. من تجلَّد: إذا تكلَّف ذلك. (**للعدى**): أي المعادين له حذر الشماتة به، كما قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «رحم الله امرأً أظهر الجَلَادَةَ من نفسه في هذا اليوم»[2] وكانت الصحابة حين دخلوا مكة أصابتهم الحمّى فقال المشركون: أصابتهم حمّى بيثرب. فأمرهم النبيّ صلى الله عليه وسلَّم أنْ يتبختروا في الطواف، وهو الرَّمَل فيه، فبقي سُنَّة في الثلاثة أشواط

(١) انظر تخريجه ص٣٨٧.

(٢) ذكره الماوردي في الحاوي في فقه الشافعي، باب عمرة القضاء، ج١ ص٥٧.

الأُوْلى [إلى] يوم القيامة؛ وهو مما زال سببه وبقي حكمه، كما قال الشاعر:

وتجلُّدي للشامتين أريهم ... أنّي لريب الدهر لا أتضعضعُ[1]

وقوله (**ويقبح غير العجز**): وهو إظهار القوّة والقدرة. (**عند الأحبّة**): أي في وقت ملاقاتهم، لأنّهم يرأفون ويشفقون على من يحبّهم، فيحسن إظهار التضاعف لهم، وشكوى الحال إليهم، كما قال الشاعر:

ولا بدّ من شكوى إلى ذي مروءة ... يواسيك أو يسليك أو يتوجّع

وهذه من أخلاق الرجال، وهي الطريقة المسلوكة بين أهل الكمال خصوصاً للمحبّ الذي هو ذو الإكرام والجلال.

٤٤- وَيَمْنَعُنِيْ شَكْوَايَ حُسْنُ تَصَبُّرِي ... وَإِنْ أَشْكُ لِلأَعْدَاءِ مَا بِيَ أَشْكَتِ[2]

(**ويمنعني شكواي**): مفعول يمنعني، وحُسْنُ فاعل يمنعني. و(**تصبُّري**): أي تكلُّفي الصبر. وقوله (**وإنْ أشكُ للأعداء ما بي**): من مصائب المحبّة والعشق لَأصابها الكرب الشديد، والألم الفظيع من سماع ذلك. (**فأشكت**) من كثرة أوجاعها بسماع ذلك، فضلاً عن مقاساته.

٤٥- وَعُقْبَى اصْطِبَارِي فِي هَوَاكِ حَمِيْدَةٌ ... عَلَيكِ وَلكِنْ عَنْكِ غَيْرُ حَمِيْدَةِ

(**وعقبى اصطباري**): أي جزاؤه، قال في القاموس: «العُقْبَى: جَزاء الأمرِ، وَأَعْقَبَهُ: جازاه». و(**الاصطبار**): مبالغة في الصبر، وهو نقيض الجزع. وقوله (**في هواكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. و(**حميدة**): بمعنى محمودة. وقوله (**عليكِ**): بكسر الكاف أيضاً، أي: على ما تفعلين بي. يعني: عاقبة تكلّفي للصبر على الهجر، والجفاء، ومقاساة الآلام والأوجاع في طريق المحبّة والعشق عاقبة حميدة، وجزاء محمود. وقوله (**ولكنْ**): بسكون النون، حرف استدراك.

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي، انظر المفضليّات للضبّي، ج١ ص٤٢٢.

(٢) الشطرة الثانية في (ق): «ولو أشكُ ما بي للأعادي لأشكتِ».

(عنكِ): بكسر الكاف أيضاً، أي: عقبى اصطباري عنكِ، أي: حبس نفسي عن طلب رؤيتكِ والاجتماع بكِ، بحيث أصبر عن ذلك فلا أطلبه عقبى (**غير حميدة**): أي ما هي محمود عندي، ولا عند غيري من المحبِّين. وفي نسخة (**وأمّا عنكِ**) موضع (ولكن عنكِ).

٤٦- وَكُلُّ أَذَىً فِي الحبّ مِنْكِ إذَا بَدَا   جَعَلْتُ لَهُ شُكْرِي مَكَانَ شَكِيَّتِي

(**وكلّ أذى في الحبّ**): أي في المحبّة والعشق. (**منكِ**): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، هو متعلّق بقوله (**بدا**): أي ظهر لي. وقدّم الجارّ والمجرور لإفادة الحصر، أي: بدا منكِ لامن غيرك. وقوله (**جعلتُ له شكري**): على ذلك حيث كان له حِكَم وأسرار في علمك القديم وإن خفي ذلك عن علمي الحادث؛ وهو نعمة منك عليّ، وشكر النعمة واجب. وقوله (**مكان شكيّتي**): أي فلا أشكو من ذلك؛ وإنّما أشكر عليه، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٦] وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [٤/ النساء/ ١٩].

٤٧- ومَا حَلَّ بِي مِن مِحْنَةٍ فَهْي مِنْحَةٌ   وَقَدْ سَلِمَتْ مِن حَلِّ عَقْدِ عَزِيْمَتِي

(**وما**): أي أمر عظيم. (**حلّ**): أي نزل بي. وقوله (**من محنة**): أي بليّة، بيان لما. وقوله [١٠٤/ أ] (**فهي**): أي تلك المِحْنَة. (**مِنْحَة**): أي عطيّة عظُمت منك لي. وقوله (**وقد سلمت**): الواو للحال. و(**من حلّ**): أي انفكاك. (**عقد**): أي عهد بيننا. و(**عزيمتي**): فاعل سَلِمت. يعني: إنني واجد كلّ مِحنة وبَليّة تصيبني منكِ في طريق هواكِ منحة، وعطيّة، ونعمة منك عليّ. وتنكير كلٍّ منهما للتعظيم، وذلك كأين منّي حال كون عزيمتي سالمة من حلّ عقدها وانفكاكها عن طلبك، والرغبة في لقائك. والعزيمة: مصدر عَزَمَ على الأمرِ يَعْزِمُ: أراد فعلَهُ، وقطع عليه، أوجدّ في الأمر، كذا في القاموس. ويجوز أن يكون فاعل سلمت ضمير راجع إلى المحنة. يعني: حال كون تلك المحنة والبليّة سالمة من أن تحلّ عقد عزيمتي في طريق المحبّة

والعشق وتوجّب تركي لسلوك طريق الشوق والغرام، والوجد والهُيام.

٤٨- **نَعَمْ وَتَبَارِيحُ الصَّبَابَةِ إنْ عَدَتْ عَلَيَّ مِنَ النَّعْماءِ فِي الحبّ عُدَّتِ**

(**نعم**): كلمة جواب، وضعت للتصديق والتحقيق. ومعناها في هذا الموضع تحقيق ما تقدّم من الكلام في مقام الصبر والشكر، وهي في محلّ خبر المبتدأ، أي: ما مضى من القول محقّق مقدّر. (**التباريح**): جمع تبريح من قولهم بَرَّحَ به الأمرُ تَبْرِيحاً وبَرْحاً الحمّى وغيرها: شدّة الأذى، وتَبَارِيْحُ الشوقِ: توهّجُه، كذا في القاموس. وقوله (**إنْ عَدَتْ**): أي ظلمت، والضمير للتباريح، يقال: عَدَا عليه عَدْواً وعُدُوّاً بالضمّ والكسر: ظلمه كتَعَدَّى عليه واعْتَدَى. وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة. (**من النَّعماء**): بفتح النون ممدوداً، أي: النعمة، قال في القاموس:" النِّعمَة بالكسر، المَسَرَّة، واليد البيضاء الصالحة، كالنُّعْمَى، بالضمِّ، والنَّعماء، بالفتح ممدوداً». والجار والمجرور متعلّق بعُدَّت آخر البيت. و(**عُدَّتِ**): بضمّ العين المهملة مبني للمفعول، والتاء لتأنيث الضمير الراجع إلى التباريح، وكُسرت للقافية.

٤٩- **وَمِنْكِ شَقَائِي بَلْ بَلَائِي مِنَّةٌ وَفِيْكِ لِبَاسِي البُؤْسِ أَسْبَغُ نِعْمَةِ**

(**ومنكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. (**شقائي**): الذي هو حرماني لقائكِ، والتمتّع برؤيتكِ. (**بل بلائي**): ومحِنتي في طريق المحبّة. (**مِنَّةٌ**): خبرشقائي. و(**بل**): حرف عطف. و(**بلائي**): معطوف على شقائي. والمِنَّة: اسم من قولك مَنَّ عليه مَنّاً: أنعم واصطنع عنده صنيعة، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [٣/آل عمران/ ٢٦] فقد ذكر تعالى الشيء وضدّه، إيتاء الملك ونزع الملك، والإعزاز والإذلال. ثمّ قال: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ فعلّمنا أنّ كلّ ذلك منه تعالى خير لا شرّ فيه، والشرّ في عدم الملائمة للعبد، وأكمل ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٣/آل عمران/ ٢٦] فكلّ أفعاله خير، وهذه رؤية المحبّين، وهي الموافقة لنفس الأمر. وقوله (**وفيكِ**): بكسر الكاف أيضاً. (**لباسي**): اللباس ما يلبس من الثياب مضافاً

إلى ياء المتكلِّم. وفي نسخة من غير ياء، مضافاً إلى (**البُؤْسِ**): مصدر بَئِسَ كسَمِعَ بُؤْساً وبُؤُوْساً، والبَأْسُ: العذاب والشِّدَّةُ. بَؤُسَ ـ كَكَرُمَ ـ بأساً. والمراد: شدّة الألم والوجع في مقاساة الحبّ والعشق . وقوله (**أَسْبَغُ**): أي أوسع. (**نَعمةِ**): أي إنعام، قال في القاموس: «سَبَغَ الشيءُ سُبُوغَاً: طال إلى الأرض، و[سَبغَتِ] النِّعْمَةُ: اتسعتْ ، ونعمة سابغة: تَامَّةٌ». وانقلاب المضار منافع، والآلام والأوجاع لذائذ إنّما يكون في مقام المحبّة الإلهيّة، والعشق الربّاني المقتضي للفناء النفسانيّ والبقاء الروحانيّ؛ بل إدراك المنافع، والمضارّ، والآلام، والأوجاع، واللذائذ، والشهوات لا يكون إلّا بالنفوس؛ فإذا ارتفع حكم النفوس عن العبد بالفناء الكلّيّ في الوجود الحقّ الواحد/[١٠٤/ب] الأحد، وتجرّدت الروح عن جميع ذلك ارتفعت العلل كلُّها والأغراض، كما قال شيخنا الكامل أبو صالح عبد القادر الجيلانيّ قُدّس سرّه[١]:

أصـــبحتُ لا أمَـــلاً ولا أُمنيـــة أرجـــو ولا موعـــودة أترقَّـــبُ

ومن كلام العارف بالله الشيخ أرسلان الدمشقي قُدّس سرّه في رسالته: «من تلذّذ بالبلاء فليس منّا». يعني: لأنّ الإنسان له نفساً يتلذّذ بها ولو كان تلذّذه على خلاف عادة النفوس؛ لأنّ عادتها أن تتلذّذ بالنعمة لا بالبلاء، وإنْ أُريد بالبلاء ما يعمُّ الخير، والشر كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٥] فقد شمل كلّ ما ذكر.

٥٠- أَرَانِيَ مَا أُوْلِيتُهُ خَيرَ قِنيَةٍ[٢] قَدِيْمُ وَلَائِي فِيْكِ مِنْ شَرِّ فِتيَةٍ[٣]

(**أراني**): فعل ماض ينصب ثلاثة مفاعيل، الأوّل: ياء المتكلّم، والثاني قوله: ما أوليته. (ما): موصولة بمعنى الذي أُوليته، أو نكرة موصوفة بقوله: أُوْلِيْتُه، بضمّ

---

(١) انظر ترجمته ص١٤٦.

(٢) في (ق): فِتْنَةٍ.

(٣) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي بلغ مقابلة نسخته مع نسخة المؤلّف رحمهما الله.

الهمزة، فعل ماض مبني للمفعول، أي: أولاني إياه ربِّي، بمعنى أعطاني إياه من الأحوال العشقيّة، والأمور الشوقيّة. والثالث: (خير قنية): أي ذات ذخيرة أَقْتَنيها وأَدَّخِرُهَا، قال في القاموس: «القِنْيَة بالكسر والضمّ: ما اكتُسِب، قَنِيَ المال ـ كرَمَى قَنْياً وقِنياناً بالكسر والضمّ ـ اكْتَسَبَهُ». وقوله (**قديمُ**): بالرفع فاعل أَراني مضافاً إلى (**ولائي**): أي قُربي من جناب الحقّ تعالى، أو محبّتي له، أو نصرتي منه، أو له؛ لأنّ الوليّ هو المحبّ والناصر. (**فيكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**من شرّ فتية**): من بيانيّة، أي: حاصل لي ذلك من شرٍّ فتية، جمع فَتَى من الفتاة، كَسَمَا الشباب، كنّى بذلك عن العواذل الذين يلومونه على المحبّة والعشق من عدم معرفتهم بالحِكَم الإلهيّة، والأسرار الرّبّانيّة لغلبة جهل الشباب عليهم فسمّاهم فِتيَة.

٥١- فَلَاحٍ وَوَاشٍ ذَاكَ يُهْدِيْ لِعَزَّةٍ[١] ضَلَالاً وَذَا بِي ظَلَّ يَهْذِي لِغِرَّةِ[٢]

[فلاحٍ] الفاء للتفريع على قوله (شرّ فتية) في البيت قبله. و(لاحٍ): وكذلك (واشٍ): أصلهما لاحي وواشي بالياء التحتيّة الساكنة، حُذفت لالتقاء الساكنين في حالة التنكير: الياء الساكنة والتنوين. والتنوين فيهما للتحقير، أو الجنسيّة، أو الإبهام. و(اللاحي): اسم فاعل من لَحَاهُ يَلْحُوْهُ: شَتَمَه. ولَحَيْتُ فُلَاناً أَلْحَاهُ: لُمته. و(الواشي): اسم فاعل أيضاً من وَشَى به إلى السُّلطان وَشْياً ووِشَايَة: نمَّ، وسَعَى، كذا في القاموس. وقوله (ذاك): يشير إلى اللاحي. (يُهْدِي): أي يدلني ويرشدني بلومه لي وتعنيفه. (لِعَزّة): وهي بالعين المهملة والزاي: بنت الظبية، وبها سُمّيت عَزّة، كذا في القاموس: اسم محبوبة في العرب، كنَّى بذلك عن المحبوبة الحقيقيّة. يعني: إنّ اللائم على حُبِّها بكثرة لومه، وامتناعي عن موافقته، يدلُّني على حبِّها، ويرشدني إلى عشقها؛ لأنّ نفوس المحبِّين مجبولة على مخالفة اللوائم والعُذَال. وقوله (ضَلالاً): أي من جهة الضلال الذي فيه، وهو الحيرة وعدم الاهتداء إلى

(١) في (ق): لغرّة.

(٢) في (ق): لغيرة.

الصواب. وفي بعض النسخ لغِرّة بكسر الغين المعجمة وبالراء، قال في القاموس: «غَرَّهُ غُرُوراً وغِرَّة، بالكسر: خَدَعَهُ، وأَطْمَعَهُ بالباطل فَاغْتَرّ هو. وقوله (وذا): إشارة إلى الواشي. (بي): متعلّق بيهذي. و(ظلّ): بالظاء المعجمة، أي: استمرّ (**يهذي**): بالذال المعجمة من الهذيان، قال في القاموس: «هَذَى يَهْذِي هَذْياً وهَذَيَاناً: تَكَلَّمَ بغير معقولٍ لمرض أو غيره. وقوله (**لِغِرَّةِ**): بالغين المعجمة والراء إن كان قوله أولاً (لعَزّة) بالعين المهملة والزاي . وإنْ كان الأوّل بالغين المعجمة والراء ففي النسخة الأخرى قافيته لغِرَّة/ [١٠٥/ أ] بالغين المعجمة بعدها ياء تحتيّة، من قولهم غار على امرأته وهي تغار، وقد تطلق الغَيرة على طلب المساواة مع العجز عنها.

٥٢- أُخَالِفُ ذَا فِي لَوْمِهِ عَنْ تُقَىً كَمَا أُحَالِفُ ذَا فِي لُؤمِهِ عَنْ تَقِيَّةِ

(**أخالف**): بالخاء المعجمة، من المخالفة؛ وهي عدم الموافقة. و (**ذا**): اسم إشارة إلى اللّاحي في البيت قبله؛ وهو اللائم. وقوله (**في لَومه**): أي معاتبته لي على المحبّة والعشق، وطلبه السلوان منّي. وقوله (**عن تُقَىً**): أي مخالفة صادرة منّي عن تقوى؛ لأنّ محبّتي محبّة إلاهيّة للحضرة الربّانيّة؛ وهو لا يشعر بذلك لجهله بمدارك الحقيقة. وقوله (**كما أحالف**): بالحاء المهملة، من الحِلْفِ، بالكسر، وهو العهد بين القوم، والصداقة، والصديق يَحْلِفُ لصاحبه أن لا يغدر به، كذا في القاموس. وقوله (ذا): إشارة إلى الواشي في البيت قبله؛ وهو النّمام الذي ينقل الكلام ويسعى بالفساد بين المحبّين. وقوله (**في لؤمه**): اللُّؤْمُ، بالضمّ: ضِدُّ الكَرَم، لَؤُمَ، كَكَرُمَ لُؤْماً، بالضمّ؛ فهو لَئِيمٌ، كما في القاموس. (**عن تقيّة**): أي محالفتي له، وصداقتي معه، ومعاهدتي صادرة منّي عن تقيّة واحتراز من أذاه وحذر، قال في القاموس: «اتَّقَيْتُ الشيءَ وتَقَيتُهُ اتَّقِيْته تُقَى وتَقِيَّةً وتِقَاءً كَكِسَاء: حَذِرْتُه.

٥٣- وَمَا رَدَّ وَجْهِي عَنْ سَبِيلِكِ هَوْلُ مَا لَقِيتُ وَلَا ضَرَّاءُ فِي ذَاكَ مَسَّتِ

(**وما ردَّ**): أي ما صرف وجهي، يعني: حَوَّله. (**عَن سبيلكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، أي: طريقكِ الموصل إليكِ، وهو الشريعة المحمّديّة؛

ظاهراً بأحكام العبادات والمعاملات، وباطناً بالأخلاق المحمودة: كالزهد، والتقوى، والورع، والتوكّل، والصبر، والشكر، وترك الأخلاق المذمومة كحُبِّ الدنيا، وفعل المعاصي وحبِّها، والانهماك في الشهوات ولو مباحة، وتتبُّع الرُّخص، والحرص، وطول الأمل، والجزع، والغفلة عن نعم الله تعالى. وهذا هو الطريق الموصل إلى معرفة الحقّ سبحانه، ويتبع ذلك الصدق والإخلاص. وقوله (هولُ): فاعل ردّ مضاف إلى (ما): أي الذي. (لقيتُ): أي لقيته. بمعنى: وجدته في هذا الطريق من الأهوال والشدائد من الجاهلين بالطريق المستقيم لخفاء ذوقه على كثير من الناس وإنْ عرفوا ألفاظه، والعبارة عنه؛ فإنَّ الأمر لا يتحقَّق به إلّا ذائقه، وفاعله، والمتَّصف به:

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده ... ولا الصبابة إلّا من يعانيها

فبالضرورة يجد الجاهل الغافل في نفسه الإنكار والتكذيب لمن اتّصف بأوصاف الطريق المستقيم لعدم معاناته لذلك، وقلّة سلوكه لهذه المسالك؛ فيلوم المحبَّ، ويعذله، ويذمّه، ويشتمه، وإذا رآه مصرّاً خاصمه. ومن هذا السبب أنكر الجاهلون بطريق العرفان على أهل هذه الحقائق والإيقان، والله يعلم المفسد من المصلح. وقوله (ولا ضرّاء): معطوف على هول. والضرّاء بالمدّ: الشدّة. (في ذاك): أي في سبيلكِ، وهو الطريق المذكور. وقوله (مسَّتِ): بتشديد السين المهملة وكسر التاء المثنّاة الفوقيّة. وجملة مسَّتِ صفة ضرّاء.

٥٤- وَلَا حِلْـمَ لِيْ فِيْ حَمْـلِ مَا فِيْـكِ نَـالَنِي ... يُـؤَدِّي لِحَمْـدِي أَوْ لِمَـدْحِ مَـوَدَّتِي

(ولا حِلْم): أي احتمالي .... **(لي)**: من جهة نفسي تكلَّفتُه فحصّلتُه. **(في حمل)**: أي تحمُّل. **(ما)**: أي الأمر العظيم الذي. **(نالني)**: أي أصابني من جهة سلوكي في الطريق المستقيم، معاناة ومنازلة كما سبق في البيت قبله. وقوله **(يؤدّي)**: أي ذلك الحلم. بمعنى: يوصل. **(لحمدي)**: أي الثناء عليّ به عندك، أوعند الناس العارفين

بي. وقوله (أو لمدح مودَّتي): أي محبّتي لك؛ فإنَّ ذلك كلّه لا صنع لي فيه، ولا جاءت به نفسي الأمّارة بالسوء من تلقاء حالها، ولا هي أهل أن يصدر منها ذلك في جنابك، لأنّها عدوّة لك، والعدوّ لا يأتي منه ما يرضي به/ [١٠٥/ ب] عدوّه، كما ورد: عاد نفسك؛ فإنّها انتصبت لمعاداتي؛ ولهذا ترى أهل الجهل والغفلة لاتطاوعهم أنفسهم في سلوك الطريق المستقيم إلّا بعناية ربّانيّة و(سابقة) أزليّة[1].

٥٥- **قَضَى حُسْنُكِ الدّاعِي إِلَيْكِ احْتِمَالَ مَا قَصَصْتُ وَأَقْصَى بُعْدَ مَا بَعْدَ قَصَّتِي**

(**قضى**): أي حكم عليّ. يعني: إنّما ذلك كلّه حاصل منّي بسبب أنّه قضى. (**حُسنكِ**) بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، أي: حَكَمَ عليّ بذلك فنفذ حُكمه فيَّ. وقوله: (**الداعي**): صفة حُسْنُكِ، أي: يدعو. بمعنى: يجذب إليكِ كلَّ من شعر به وعرفه في الآثار الجميلة، والألوان البديعة؛ فإنّ الحُسن الإلهيّ هنا بمعنى الإحسان والإنعام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٩] أي: من كرمه وفضله وإحسانه إليكم، وإنعامه عليكم، أو من ظهوره لكم، وتجلّيه لديكم؛ فإنّ [في] السموات الأسباب، وفي الأرض المُسَبَّبات، وكلُّها خلقُ الله تعالى، مظاهرُ حسنه الصفاتي، وجماله الذاتيّ عند العارفين به دون البهائم والغافلين؛ فإنّ العارف لا يغيب عن شهود اللطف الظاهرة، والإحسان الباهرة، وتزول عنه تهمة الأكوان، في تأثير نوع من أنواع الإحسان، ولهذا قالوا: «مَنْ عرف الله أزال التهمة، وعلم أنّ كلّ شيء لحكمة». خصوصاً وقد قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٦] . وقوله (**احتمال**): مفعول قضى، أي: قضى وحكم باحتمال. (**ما**): أي الأمر العظيم الذي (**قصصتُ**): أي قصصته. يعني: أعلمت به، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

---

(١) بياض في المخطوط.

﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [١٢/ يوسف/ ٣] نبيّن لكَ أحسن البيان؛ والمراد ما ذكره في الأبيات قبله من مشقات الهوى وشدائد المحبّة، ومقاساة العواذل واللُّوام، ومكابدة جهلهم. وقوله **(وأقصى)**: بالصاد المهملة معطوف على ما، أي: واحتمال أقصى، أي: أبعد. وقوله **(بُعْدَ)**: بضمِّ الباء الموحَّدة، أي: أبعد. **(بُعدَ ما)**: أي الأمر الذي بَعْدَ بفتح الباء الموحَّدة ظرف مضاف إلى قصَّتي. والمعنى: حَكَمَ حُسنكِ عليَّ بأن أحتمل جميع ما قصصته وأنْ أحتمل أيضاً أَبْعَدَ بُعدِ الأمر الذي بعدما قصصته من قصّتي المذكورة، أي: أن أحتمل فوق ما احتملته بمراتب عديدة؛ فإنّ الحال إذا كان بالله لا بالنفس فهو أعظم حال، وأوسع مجال، ولا تكون الأحوال الصادقة في طريق الله تعالى إلّا بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ ثمَّ قال: ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [١٦/ النحل/ ١٢٧] وهكذا جميع الأمور في الغيبة والحضور.

٥٦- وَمَا هُوَ إلّا أَنْ ظَهَرْتِ لِنَاظِرِي بِأَكْمَلِ أَوْصَافٍ عَلَى الحُسْنِ أَرْبَتِ

(وما هو): أي ذلك الحُسن الداعي إليكِ الذي قضى عليَّ بما قضى في البيت الذي قبله **(إلّا أن ظهرتِ)**: بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. **(لناظري)**: متعلّق بظهرتِ، وظهورها إيجادها للأكوان بإشراق أنوار وجودها الحقّ على المعدومات العلميّة، حيث توجّهت بها الإرادة الأزليّة، والقدرة الصمدانيّة بالكلام النفسانيّ القديم، والأمر الواحد من حضرة تجلّي الاسم الواجد باليدين الأسمائيّة ذات الجلال والجمال، بالانفصال والاتّصال، وهو الغيريّة والعينيّة في كلّ حال. وقوله **(بأكمل)**: متعلّق بظهرتِ أيضاً. **(أوصاف)**: جمع وصف، أي: بالأوصاف الكاملة التي على الحُسْن. **(أربتِ)**: بكسر التاء الساكنة للقافية المكسورة. و**(أربتِ)**: أي زادت ونمت على الحُسن؛ فالحُسْن كلُّه الذي هو ظاهر في جميع أنواع الأكوان أثر من آثارها، قال الشاعر:

نَأى والأمَانِي الكاذباتُ بِهِ تَدْنُو بَدِيعُ صِفَاتٍ مِنهُ مَحَاسِنُهُ الحُسنُ

وقدّمنا معنى الحُسن الإلهيّ.

٥٧- فَحَلَّيْتِ لِي البَلْوَى فَخَلَّيْتِ بَيْنَهَا وَبَيْنِي فَكَانَتْ مِنْكِ أَجْمَلَ حِلْيَةِ

[١٠٦/أ] (فَحَلَّيْتِ): بالحاء المهملة وكسر التاء المثنّاة الفوقيّة، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، حَلَّيتِ: بتشديد اللام، من الحُلْو، ضدّ المرّ، حَلَا الشيءَ يَحْلُو في الفم، وحَلِيَ بعيني وقلبي كرَضِيَ، ودَعَا حَلَاوَةً وحُلْوَاناً، ذكره في القاموس، أو من التَّحْلِية بمعنى الزينة، يقال: حَلَّيْتُ المرأةَ تَحْلِيَةً: أَلْبَسْتُها حَلْيَاً. وقوله (لي): متعلّق بحلَّيتِ. و(البلوى): اسم من ابتليته: اختبرته؛ وهي ما يقاسيه من شدائد المحبّة، وتحليتها له: جعلها حلوة لذيذة عنده، أو جعلها زينة له. وقوله (فخَلَّيتِ): بالخاء المعجمة وتشديد اللام وبكسر التاء، خطاب للمحبوبة أيضاً، أي: تركتِ. (بينها): أي بين البلوى وبيني على معنى أنّها تفعل بي ما تقتضيه من أليم شدائدها، ووجيع مصائدها. ثمّ قال (فكانت): أي البلوى. (منكِ): بكسر الكاف، خطاب أيضاً للمحبوبة، أي: حاصلة لي منك. (أجملَ): بالنصب، خبر كانت. (حِلية): مضاف إليه. و(الحِلْية): بالكسر، ما يُزيَّن به، من مصوغ المعدنيّات، كذا في القاموس. وقدَّم الجار والمجرور لحصر كونها حِليَة بكونها من المحبوبة، فلو كانت منسوبة إلى سبب من الأسباب لم تكن حلية فضلاً عن كونها أجمل حِلية، قال الشاعر مضمِّناً المثل المشهور:

كـأنّ دمعـي عـلى هَـواكِ لُـجَيناً فأحالتـه نـار قلبـي نـضاراً
حَلْيـةٌ لا أُعيرهـا الـمُحبَّ شـغل الحَـلْيُ أهلَـه أنْ يُعـاراً

٥٨- ومَن يَتَحَرَّشْ بالجَمَالِ إلى الرَّدَى أَرَى نَفسَهُ مِنْ أَنْفَسِ العَيْشِ رُدَّتِ

(ومن يتحرَّش): من حَرَشَ الضّبَّ يَحْرِشُه حَرْشاً وتَحْرَاشَاً: صاده، كاحْتَرَشَه، وذلك بأنْ يحرِّكَ يده على باب جحره ليظنَّه حَيَّةً؛ فيُخرج ذنبَه ليضربها؛ فيأخذَه. والتَّحْرِيشُ: الإغراء بين القوم أو الكلاب، كذا في القاموس. والمراد هنا التعرّض بإدامة النظر، وكثرة جولان الفكر. وقوله (بالجمال): متعلّق بيتحرَّش، وهو الجمال

الإلهيّ الذاتيّ الذي هو كناية عن الوجود الحقّ الحقيقيّ، الظاهر بالتجلّي على صور الكائنات العدميّة، العلميّة، من الحضرة الغيبيّة، لمن شهد ذلك مجرّداً عن جميع الصور الكونيّة، الحسيّة والعقليّة. وهذا بيان من الناظم قُدِّس سرّه لمعنى قوله (**وما هو إلّا أن ظهرتِ لناظري**) في البيت السابق[1]. وقوله (**إلى الردى**): متعلّق بقوله (**رُدَّتِ**): في آخر البيت. و(**الردى**): بالقصر الهلاك. وقوله (**أَرَى نفسَه**): أي أنظرها، أو أعتقدها. (**من أَنْفَسِ**): يقال شيء نَفِيسٌ: يُتَنَافَسُ فيه ويُرْغَب، وقد نَفُسَ كَكَرُمَ نَفَاسَةً. و(**العَيْشِ**): مضاف إليه، وهو الحياة. عَاشَ يَعِيشُ عَيْشاً ومَعَاشاً ومَعِيْشاً ومَعِيْشَةً وعِيْشَةً بالكسر، كذا في القاموس. وقوله (**رُدَّتِ**): إلى الردى من أنفس عيشة، وأرغب معيشة.

٥٩- ونَفْسٍ تَرَى فِي الحبّ أَنْ لَا تَرَى عَنا ... مَتَى مَا تَصَدَّتْ لِلصَّبَابَةِ صُدَّتِ

(**ونفس ترى**): أي تظنُّ وتعتقد. (**في الحبّ**): أي في طريق المحبّة. (**أنْ لا ترى**): أي لا تبصر ولا تلقى. (**عَنَاً**): بفتح العين المهملة، أي: تعباً، وهمّاً، وغمّاً. وقوله (**ما تصدَّتِ**): أي قصدتِ وأرادت. (**للصبابة**): أي المحبّة والعشق. (**صُدَّتِ**): بضمّ الصاد المهملة وتشديد الدّال المهملة والتاء ساكنة وكُسرت للقافية، قال في القاموس: «صَدَّ فلاناً عن كذا صَدّاً: مَنَعَهُ وصَرَفَه». يعني: مُنعتْ عن ذلك، وصرفت عنه، لأنّ مَنْ يحبُّ نفسه فيحبُّ أن لا يصيبها تعب ولا مشقّة، لا يقدر أن يحبّ غيره، والمحبَّة الإلهيّة / [١٠٦/ ب] لا غير فيها، ولا نفس فيها؛ فلا يصل إليها من يحبّ نفسه، ويحبُّ راحتها، وسلامتها من آفات الدنيا والآخرة، قال السودي[2] قُدّس سرّه:

---

(١) انظر البيت ٥٦ من القصيدة نفسها.

(٢) محمّد بن علي بن محمّد السودي، أبوعبد الله ، الشهير بالهادي اليمني. متصوّف شاعر من أهل اليمن له ديوان « بلبل الأفراح وراحة الأرواح» في شعره جودة وطلاوة به يد طولى في علم الفلك والفقه والقراءة. ولد في قرية مشضب في تعز وتوفي فيها سنة ٩٣٢هـ. انظر فهرس الموسوعة الشعريّة حرف العين١/ ١٦٥٩ والنور المسافر في أخبار القرن العاشرج١ص٤٩ .

يـــا ســـاكناً قلبـــي المُعنَّـــى ولـــيس فيـــه ســـواكَ ثـــانِ
لأيِّ مَعْنـــىً كَـــسرْتَ قلبـــي ومـــا التقـــى فيـــه ســـاكنانِ

٦٠- **وَمَا ظَفِرَتْ بِالوُدِّ رُوْحٌ مُرَاحَةٌ وَلَا بِالوَلَا نَفْسٌ صَفَا العَيْشِ وَدَّتِ**

(**وما ظفرتْ**): أي فازت بمطلوبها، من الظَّفَر، بالتحريك، وهو الفوز بالمطلوب، ظَفِرَه، وظَفِرِ به، وعليه، كَفَرِحَ، كذا في القاموس. وقوله (**بالوُدِّ**): مثلث الواو: الحبّ. بمعنى: المحبَّة. وقوله (**رُوْحٌ**): فاعل ظَفِرتْ، ولم يقل نفس؛ لأنَّ النفس لا تظفر بالحبّ الإلهيّ من حيث هي نفس؛ لأنّها تنافس فترى أن لا ترى العناء والتعب كما مرّفي البيت قبله بخلاف الروح؛ لأنّها من أمر الله كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [١٧/الإسراء/ ٨٥] فإذا زالت النفس المنافسة، وأسلمت لحكم ربِّها، وكلّ حكم هو حكم ربّها، إمّا حكم ابتلاء بخير، أو حكم ابتلاء بشرّ قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/ ٣٥] فعند ذلك تظهر الروح مكانها من أمر الله تعالى قائمة به، له فتظفر بالودِّ الإلهيّ من اسمه الودود، ويتميَّز عندها العدم من الوجود . وقوله (**مُراحة**): بضمِّ الميم، أي تلك الروح. يعني: من الأتعاب والمشقّات. وقوله (**ولا بالولا**): معطوف على قوله (**بالودّ**): أي ولا ظفرت بالولاء، و(**الوَلاء**): بفتح الواو ممدود، ويقصر للوزن، في الأصل: المِلْك، والمَوْلَى: المَالِك، والعَبْدُ، والمُعْتَق، والمُعْتِق. وتَوَلَّى الأمْرَ: تَقَلَّدَهُ، وإنّه لَبَيِّنُ الوَلَاءِ، ذكره في القاموس. والمناسب هنا الأوّل أو الثاني؛ لأنَّ وَلِـيَّ الله مَنْ تولّاه الله تعالى في جميع أموره، فتحقَّقَ بالعبوديّة الصرفة لله تعالى، أو مَنْ قلَّده تعالى أمور عباده، فتجري أمورهم على مقتضى أنفاسه. وقوله (**نفسُ**): مرفوع على أنّه فاعل الفعل المُقَدَّر، وهو ظفرت. وقوله (**صفا**): مفعول قوله ودَّتِ.

و(**العيش**): مضاف إليه، والجملة صفة نفس. والمعنى: ولا ظفرت بالولاء

نفسٌ ودّت صفاء العيش، أي: الحياة الخالية من الأكدار، يُقال: ودَّ الأمر يودَّه أحبّه. والتاء ساكنة، وكسرت للقافية.

٦١- **وَأَيْنَ الصَّفَا هَيْهَاتِ مِنْ عَيْشِ عَاشِقٍ   وَجَنَّـــةُ عَـــدْنٍ بِالْمَكَـــارِهِ حُفَّـــتِ**

(**أين**): سؤال عن المكان. و(**الصفا**): أي صفاء العيش المذكور في البيت قبله، والصَّفَا والصَّفْو: نقيض الكَدَر. و(**هيهاتِ**): مثلثة التاء، اسم فعل بمعنى بَعُدَ، والتقدير هيهات الصَّفا من عيش حياة عاشق. وقوله (**وجنّة عدن**): الواو للحال، وجنّة عَدْن هي التي وعدها الله تعالى لعباده المؤمنين في الآخرة، وعَدَنَ بالبلد يَعْدِنُ ويَعْدُنُ عَدْناً وعُدُوْناً: أقام، ومنه جنَّات عَدْن، كذا في القاموس. وقوله (**بالمكاره**): متعلّق بحُفَّتِ، قُدِّم عليه لإفادة الحصر، أي: لا بغيرها. والمَكَارِه: ما تكرهه النفس، من: البلايا، والمصائب، والشدائد. و(**حُفَّتِ**): بالحاء المهملة مضمومة وبتشديد الفاء، والتاء ساكنة، وكسرها للقافية، يقال: حَفَّه بالشيء: أحاط به؛ وهو اقتباس من الحديث: «حُفَّتِ الجَنَّة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات»(١) وفيه تشبيه المحبّة بالجنّة من حيث....؛ إذ النفس بها، وتشبيه بلايا المحبّة ومصائبها من العواذل واللوّام والرقباء بالمكاره، أو تشبيه المحبوبة بالجنّة وما يصيب المحبّ من هجرها وإبعادها محفوفاً بالمكاره.

٦٢- **وَلِي نَفْسُ حُرٍّ لَوْ بَذَلْتِ(٢) لَهَا عَلَى   تَسَلِّيْكِ مَا فَوْقَ الْمُنَى مَا تَسَلَّتِ**

(**ولي نفس حرٍ**): أي نفس رجل حرّ، أي: مُعْتَق من رِقِّ الأغيار، لم يستبعده شيء من/ [١٠٧/ أ] القيود والحظوظ في الحس ولا في الأفكار من حظوظ الدنيا والآخرة. وقوله (**لو بذلتِ**): بكسر التاء خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. والبذل بالذال

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: الجنّة وصفة نعيمها، باب: حدّثنا عبد الله بن مسلمة، ٧٣٠٨.
(٢) في(ق): بذلتُ.

المعجمة العطاء. وقوله (لها): أي لتلك النفس التي لي. وقوله (على تَسَلِّيْكِ): بكسر الكاف أيضاً، والتَّسَلِّي: النسيان. وقوله (ما): مفعول. (بذلتِ): أي أمراً عظيماً موصوفاً بأنّه فوق ظرف مبني على الفتح، أي: أعلى من (المُنى): بضمِّ الميم والكسر، من تمنّاه: أراده. يعني: فوق كلّ شيء يريده. وقوله (ما تسلَّتِ): بتاء ساكنة حُرِّكت بالكسر للقافية، أي: ما نسيَتْ الهوى ولا عهود المحبَّة[1].

٦٣- وَلَو أُبْعِدْتُ بِالصَّدِّ وَالهَجْرِ والقِلَى وَقطْعِ الرَّجَا عَنْ خُلَّتِي مَا تَخَلَّتِ

(ولو أُبْعِدْتُ): بضمِّ الهمزة مبنياً للمفعول. (بالصدّ): متعلِّق بأبعدت، يقال صَدَّ عنه صدوداً: أعرض. و(الهجر): الترك. (والقِلى): بكسر القاف: البغض، قَلاهُ كرَمَاهُ ورَضِيَهُ قِلَىً: أَبْغَضَهُ وكَرِهَهُ غايةَ الكَرَاهَة فتَرَكَه أو قَلاه في الهَجْر، وقَلِيَهُ في البغض، كذا في القاموس. (وقطع الرجاء): هو ضدّ اليأس، وقَطْعُهُ اليأس هو اليأس.يعني: لو كان إبعادها بسبب ذلك كلّه عن (خُلَّتي): بضمّ الخاء وتشديد اللام، قال في القاموس: «الخُلَّةُ بالضمِّ: الصداقة المُخْتَصَّة، لا خَلَلَ فيها، تكون في عفاف، وفي دَعَارَة، ـ أي: فِسْقٌ وخُبْث ـ والخِلّة بالكسر أيضاً بمعنى الصداقة والإخاء». وقوله (ما تخلَّتِ): أي تركتِ، يقال: تخلّى منه وعنه تركه، كذا في القاموس. وقدّم الجارّ والمجرور لإفادة الحصر، أي: عن خلّته فقط ما تجلى، وقد تخلّى عن كلّ ما سواها.

٦٤- وَعَنْ مَذْهَبِي فِي الحبّ مَا لِيَ مَذْهَبٌ وَإنْ مِلْتُ يَوْمَاً عَنْهُ فَارَقْتُ مِلَّتِي

(وعن مذهبي): جار ومجرور متعلِّقان بمذهب الثاني، وهو مصدر ميمي بمعنى الذهاب، وقُدِّم للحصر. وقوله (في الحبّ): أي المحبَّة الإلهيّة، وهي طريقته التي هو سالك عليها في المحبّة الإلهيّة. وقوله (ما لي) الجار والمجرور خبرمقدّم.

---

(١) سواد في أصل المخطوط بمقدار كلمة، لعلها: الحفّ.

وقوله (مذهب): مبتدأ مؤخر. وقوله (وإنْ مِلتُ يوماً): أي وقتاً من الأيام، أي: الأوقات، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣] وهو يوم الأمر كما قال: ﴿أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [٥٥/ القمر/ ٥٠] وقوله (عنه): أي عن ذلك المذهب.(فارقت مِلّتي): بكسر الميم، أي: ديني وشريعتي؛ لأنَّ صاحب التوحيد إذا فارق توحيده وقع في الشرك سواء كان الشرك خفيّاً أو جليّاً، وصاحب المعرفة الكاملة بالله متحقِّق بأنّ كلّ محبّة واقعة على الله تعالى ذوقاً وكشفاً، فإذا عدل عن الله مع معرفته فقد أشرك على علم، ولا كذلك الجاهلون الغافلون، ولهذا نسب المذهب إليه واختصّ به.

٦٥- وَلَوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكِ إِرَادَةٌ عَلَى خَاطِرِي سَهْوَاً قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

(ولو خطرت لي): خَطَرَ بباله و ـ على باله، يَخْطِر خُطُوْراً: ذَكَرَه بعد نسيان، كذا في القاموس. وقوله (في سواكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، أي: في شيء سواكِ من جميع الأكوان الدنيويّة والأُخرويّة. وقوله (إرادة): فاعل خطرت، أي: ميل وتوجّه أفضل وتشوّق. وقوله (على خاطري): أي بطريق الغلبة والاستعلاء على الخاطر، والجار والمجرور متعلّق بخطرت ، والخاطر الهاجس. وقوله (سهواً): تمييز، أي: على جهة السهو فضلاً عن القصد، قال في القاموس: «سها: نَسِيَه وغَفَلَ عنه، وذَهَبَ قَلبُه إلى غيره». وقوله (قَضَيْتُ): أي حكمتُ. (بردّتي): عن ديني وشريعتي التي تقدّم ذكرها في البيت قبله، ولكن هنا لم يغتفر على نفسه الخاطر، ولا السهو مبالغة في طريق المحبّة والعشق. ولعل مراده بالردّة عن دين المحبّة والعشق لا الردّة عن دين الإسلام؛ لأنّ ذلك مغتفر في الشرعة المحمّديّة قال صلّى الله عليه / [١٠٧/ ب] وسلّم: «إنّ الله غفر لأمّتي ما حدّثتْ به أنفسها»[1].

(١) ذكره القيرواني في مقدّمته ، انظر شرح مقدّمة القيرواني للشيخ أحمد النقيب، الدرس الثالث، ج٣ ص١٦.

وقال: «رُفع عن أمَّتي ثلاث: الخطأ والنسيان وما أُكرهوا عليه»[1]. وأحوال أهل التمكُّن في العرفان خارجة عن أحوال العامّة من أهل الإيمان؛ لأنّهم في الطور الذي فوق طور العقول، وهم محفوظون بحفظ الله تعالى الحفيظ وإنْ لم يكونوا من أهل العصمة كالنبيّ والرسول.

٦٦- لَكِ الحُكْمُ فِي أَمْرِي فَمَا شِئْتِ فاصنع   فَلَـمْ تَـكُ إلّا فِيـكِ لَا عَنْـكِ رَغْبَتِـي

(لك الحكم): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، والجار والمجرور خبر مقدّم، والحُكْم: مبتدأ مؤخر، وتقدُّم الخبر لإفادة الحصر، أي: لا لغيرك، وتعريف الحكم للعهد، أو لاستغراق الجنس. وقوله (في أمري): متعلّق بالحكم، والأمر: الحالة، يقال: أمره مستقيم، كذا في المصباح. وقوله (فما): أي الذي شئتِ، بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة. (فاصنعي): أي اعملي ما شئتيه في جميع أمري وأحوالي في الظاهر والباطن. وقوله (فلم تكُ): أي تكن، وحُذفت النون من تكن تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ذكره في المدارك[2]، وقال البيضاوي: «وحذف النون من غير قياس تشبهاً بحروف العلّة»[3]. وقال الطيبي[4] في حاشية الكشّاف: «قال الزجاج: الأصل في تكن تكون فسقطت الضمّة للجزم، والواو لسكونها وسقوط النون. وأمّا سقوط النون فلكثرة الاستعمال تشبيها بحروف اللين؛ لأنّها ساكنة فحُذفت استخفافاً، كما قالوا: لم أدرِ، ولم أبلُ». وقوله (فيكِ): بكسر الكاف، والجارّوالمجرور خبر لم تكُ، مقدّم للحصر. (لا عنكِ): بكسر الكاف أيضاً. (رغبتي): اسم تكُ، ويقال: رغب فيه

---

(١) ذكره الشيباني في المبسوط، باب الكسب، ج٣٤ ص١٥٨.

(٢) هو كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض.

(٣) لم أعثر عليه عند البيضاوي؛ وإنّما ذكره الفيروزآبادي في كتابه «بصائر ذوي التمييز من لطائف الكتاب العزيز».

(٤) هو شرف الدين الحسن بن محمّد الطيبيّ، صاحب الحاشية على الكشاف المسمّى: فتوح الغيب في الكفّ عن قناع الريب. انظر التفسير والمفسرون للدكتور محمّد حسين الذهبيّ، باب الكشاف عن حقائق التنزيل ج٤ ص١٠٧.

إذا أقبل عليه، ورغب عنه إذا أعرض عنه، وبعكسه زَهَدَ؛ فإنّه يقال: زهد فيه إذا أعرض عنه، وزهد عنه إذا أقبل عليه. وقال في القاموس: رَغِبَ فيه كسَمِعَ رَغْباً، ويُضَمُّ، ورَغْبَةً: أرادَهُ، ورَغِبَ عنه: لم يُرِدْهُ، ورَغِبَ إليه: ابْتَهَل، أو هو الضَّرَاعَةُ والمَسْأَلَةُ». وقال في الصحاح: «الزّهْدُ خلافُ الرَّغبة، تقول: زَهِدَ في الشيء وعن الشيء يَزْهَدُ زَهْداً وزَهَاداً.

٦٧- وَمُحْكَمِ حُبٍّ لَمْ يُخَامِرْه بَيْنَنَا تَخَيُّلُ نَسْخٍ وَهْوَ خَيْرُ أَلِيَّةِ

(**ومحكم**): الواو للقسم، والمُحكَم بفتح الكاف: اسم مفعول من أَحْكَمْتُ الشيءَ ـ بالألف ـ أَتْقَنْتُهُ فَاسْتَحْكَمَ هو: صار كذلك، كما في المصباح. و(**الحبّ**): بالعلم المحبّة. وقوله (**لم يخامره**): بالخاء المعجمة، خامره خالطه. وقوله (**بيننا**): أي بيني وبين المحبوبة الحقيقيّة؛ لأنّ المحبّة من الجانبين، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤]. وقوله (**تخيُّل**) فاعل يخامر، مصدر خَيَّلَ الرجلُ على غيره تَخْيِيلاً مثل لَبَّسَ تَلْبِيساً وزناً ومعنى إذا وجَّهَ الوهم إليه، كذا في المصباح. (**نسخ**): بالخاء المعجمة، مضاف إليه، والنسخ: الإزالة، يقال: نسخ الشيبُ الشبابَ: أزاله، فإذا لم يخالطه تخيّل، أي: تلبّس. وتوهُّم النسخ لم يخالطه: تحقُّق النسخ بالأولى. ثمّ قال (**وهو**): أي ذلك الحبّ المُحكَم المذكور. (**خير أَلِيَّة**): بتشديد الياء التحتيّة، والأَلِيَّة: الحَلِفُ، والجمع: أَلَايَا، مثل عَطِيَّة وعَطَايَا، قال الشاعر:

قليلُ الأَلايا حافظٌ ليَمِينِهِ فَإنْ سَبَقَتْ منه الأَلِيَّةِ بَرَّتِ

كذا في المصباح.

٦٨- وَأَخْذِكِ مِيثَاقَ الوَلَا حَيْثُ لَمْ أَبِنْ بِمَظْهَرِ لَبْسِ النَّفْسِ فِي فَيْءِ طِيْنَتِي[1]

(**وأخذكِ**): بكسر الكاف، والواو للقسم، أو للعطف على المُقسَم به في البيت قبله. وقوله (**ميثاق**): أي عهد مضاف إلى (**الولا**): بفتح الواو، مصدر وَالَاهُ

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي بلغ مقابلة على نسخة المؤلّف.

مُوَالَاةً ووَلَاءً، من باب قاتل: تابعه، كذا في المصباح، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢]/ [١٠٨/ أ] ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وقوله (**حيث لم أبن**): أي لم أظهر، من باب يَبِيْنُ بَيَاناً: اتّضح. يعني في حالة لم أكن فيها ظاهراً. وقوله (**بمظهر**): متعلّق بابن. والمظهر: موضع الظهور، مضاف إلى لَبْس، مصدر لَبَسْتُ الأمرَ لَبْساً، من باب ضرب: خَلَطْتُهُ، والْتَبَس الأمر: أشكل، كذا في المصباح. ولَبْس النفس الْتِباسها بالغيريّة الفاعلية. وقوله (**فِي فَيْء**): بفتح الفاء وبالهمزة، أي: ظلّ. (**طِيْنَتِي**): أي جسمي؛ فإنّ حركة الجسم من توجّه النفس بمنزلة حركة الظلّ بحركة الشاخص. والجار والمجرور متعلّق بلَبْس. يعني: ذلك اللَبْس كائن في ظلّ الطينة؛ فهي سترة؛ فلا ترى إلّا غيريَّتها، وأفعالها. والمعنى: قبل أنْ أظهر في هذه الصورة العنصريّة الجسمانيّة ذات النفس الملتبسة البشريّة حين كنت في ظهر آدم عليه السلام وقد أُخِذ عليّ ميثاق الربوبيّة، وعلى بقيّة الذَّر من البَرِيّة.

٦٩- وَسَابِقِ عَهْدٍ لَمْ يَحُلْ مُذْ عَهِدْتُهُ ... وَلَاحِقِ عَقْدٍ جَلَّ عَنْ حَلِّ فَتْرَةِ

(**وسابق عهد**): أي عَهد سابق على زماننا هذا، وهو عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلَّم مع خلفائه وأصحابه رضي الله عنهم في قبول دينه، والتزام شرائعه وأحكامه. وقوله (**لم يَحُلْ**): بفتح الياء وضمّ الحاء المهملة، لم يتحوَّل، من حَال يَحُوْلُ: إذا تَحَوَّل وتَغَيَّر؛ فإنّ ذلك العهد واصل إلينا بالخبر المتواتر في الكتاب والسنّة وإجماع الأمّة. وقوله (**مذ عهدته**): أي مذ عرفته. قال في المصباح: «عَهِدْتُهُ بِمالٍ: عَرَّفْتُهُ به، والأمرُ كما عَهِدْتُ، أي: كما عرفت». (**ولا حق**): الواو للقسم أيضاً، أو للعطف. و(**عقدٍ**): مضاف إليه، والعَقْد، بفتح العين المهملة: بمعنى العهد، من عَقَدَ العَهْدَ يَعْقِدُهُ: شَدَّهُ؛ وهو عهد مشايخه الذي أخذوه عليه بالاستقامة في الدين المحمّدي؛ فإنّه لاحق لذلك العهد الأوّل، عهد النبوّة على الخلفاء الراشدين.

وقوله (جَلَّ): بالجيم، أي: عَظُم عن (حلّ): بفتح الحاء المهملة، أي: انحلال، قال في الصحاح: «حَلَلْتُ العُقدةَ أَحُلُّهَا حَلَّاً: فَتَحْتُهَا فانْحَلَّت» . وقوله (فَتْرَةٍ): بالفاء والتاء المثنّاة الفوقيّة، مضاف إليه، قال في المصباح: «فَتَرَ عن العَمَلِ فُتُوراً، من باب قَعَدَ: انكَسَرتْ حِدَّتُه، ولان بعد شِدّتِه، ومنه فَتَرَ الحَرُّ: إذا انكسر، فُتُوْراً وفَتْرَة». والمعنى: عَظُمَ ذلك العهد عن انحلال فترة وضعف؛ فهو معقود، شديد العقد، يَجِلّ عن الضعف، فضلاً عن الفقد. قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في أواخر كتاب (التجلّيات الإلهيّة): «له المبايعون ثلاثة: الرسل، والشيوخ الورثة، والسلاطين. والمبايع على الحقيقة في هؤلاء الثلاثة واحد؛ وهو الله تعالى. وهؤلاء الثلاثة شهود الله عزّ وجلّ على بيعة هؤلاء الأتباع، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القيام بأمر الله تعالى، وعلى الأتباع الذين بايعوهم شروط يجمعها المتابعة فيما أُمروا به. فأمّا الرسل والشيوخ فلا يأمرون بمعصية أصلاً؛ فإنّ الرسل معصومون من هذا. والشيوخ محفوظون. وأمّا السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظاً، وإلّا كان مخذولاً، ومع هذا لا يطاع في معصية. والبيعة لازمة حتى يلاقوا الله . ومن نكث من هؤلاء الأتباع فحسبه جهنّم خالداً فيها، لا يكلّمه الله ، ولا ينظر إليه، ولا يزكّيه، وله عذاب أليم، هذا حظه في الآخرة. وأمّا الدنيا فقد قال أبو يزيد البسطاميّ في حقّ تلميذه لمّا خالفه: دعوا مَن سقط من عين الله . فرؤي بعد ذلك مع المخنَّثين، وسرق فقُطِعت يده، هذا لمّا نكث. أين هو ممن وَفَّى ببيعته مثل تلميذ داوود الطائيّ الذي قال له: ألقِ نفسك في التنّور. فألقى نفسه فيه فعاد عليه برداً وسلاماً. هذا نتيجة الوفاء». انتهى كلامه قدّس الله سرّه. والمذكور هنا بيعتان، وهما عهدان وموثقان فقط؛ وهما بيعة/[١٠٨/ب] الرسل المعصومين، وهي السابقة. وبيعة المشايخ المحفوظين، وهي اللاحقة. وأمّا بيعة السلاطين فلا يعتمد عليها، ولا يحلف بها؛ لترددها بين الحقّ والباطل. فإنْ حقَّت فهي ملحق ببيعة المشايخ المحفوظين، وإلّا فلا. وكهذا ذكر الناظم ـ قُدِّس سرُّه ـ العهدَ السابق، والعهدَ اللاحق، وأقسم بهما لشرفهما، وشهده بدوامهما، وبقائهما

في أهل التوفيق والعناية. وعهود بقيَّة المشايخ غير الورثة المحفوظين كعهود الأمراء، والعساكر، ومشايخ الحرف، والصنائع، ملحقة ببيعة السلاطين، إنْ حَقّتْ لَحِقَتْ بالمشايخ المحفوظين، وإلّا فلا، والله الموفّق.

٧٠- وَمَطْلِعِ أَنْـوَارٍ بِطَلْعَتِـكِ التِـي لِبَهْجَتِهَـا كُـلُّ البُـدُورِ اسْتَـسَرَّتِ

(**ومطلع**): الواو للقسم، أو للعطف، ومطلَع بفتح اللام وكسرها: مصدر ميمي، يُقال: طَلَعَ الكوكبُ طُلُوْعاً ومَطْلَعاً ومَطْلِعاً: ظَهَرَ، كأَطْلَعَ، وهما للموضع أيضاً، كذا في القاموس. (**أنوار**): جمع نور، قال في القاموس: «النُّوْر بالضمِّ: الضوء أيّاً كان، أو شُعَاعُه، والجمع أَنْوَار. ومحمَّد صلّى الله عليه وسلَّم، والذي يُبيِّن الأشياء» انتهى. فاما أن يراد، وطلوع أنوار، وموضع طلوع أنوار. والأنوار منها القرآن، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [٥/ المائدة/ ٤٤]. ومحمّد صلّى الله عليه وسلّم نور قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [٥/ المائدة/ ١٥] والحقّ سبحانه وتعالى نور، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥]. والنور من حيث هو تنكشف به الأشياء، وتبين، وتظهر للعقول أوللحسّ أولهما إمّا من عدمها الأصلي وهو النور القديم، أو من ظلمتها وخفائها عن العقل أو الحسّ أو عنهما، وهو النور القديم والنورالحادث. وفي نفس الأمر لا يكشف عن الأشياء ويبيّنها إلّا النور القديم، ولا نور إلّا نوره؛ ولذا قال (**بطلعتِكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، وهي الحضرة الإلهيّة ذات النور الحقيقيّ؛ فإنّه النور الظاهر بنفسه، الذي به كلّ ظهور؛ فهو ظاهر في نفسه، مظهر لغيره. ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود، ولا ظلام أظلم من العدم؛ فالبريء عن ظلمة العدم؛ بل عن إمكان العدم، المخرج كلَّ الأشياء عن ظلمة العدم إلى ظهور الوجود أحقّ وأولى أنْ يُسمّى نوراً. والوجود نور مضيء على الأشياء كلها، فهو نور السموات والأرض وما بينهما. وكما أنّه لا ذرّة من نور إلّا

وهي دالّة على وجود الشمس المنوِّرة فلا ذرّة من وجود السموات والأرض وما بينهما إلّا وهي دالّة على وجود مخترعها، وتحقيق وحدانيّة مبدعها. وكما أنّه لم ينفصل من نور الشمس شيء، ويحلّ في ذرَّة من المنيرات بها لم ينفصل من نور الوجود الحقيقيّ شيء ويحلَّ في شيء أصلاً، ولا اتّحد به، ولا نقص هو في نفسه، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض. وقوله (**التي**): نعت لطلعتك. وقوله (**لبهجتها**): متعلِّق باستسرَّتِ. و(**البهجة**): الحسن. وقوله (**كلّ البدور**): مبتدأ، وخبره جملة استسرّتِ، والبدور جمع بدر، وهو القمر الممتلئ من نور الشمس التي تقابله ليلاً؛ فهو مظهرها، ومطلع نورها، بحيث لم ينتقل من نورها شيء، ويحلّ في البدر. وكنّى بالبدورعن الأولياء العارفين بربهم. وقوله (**استسرّتِ**): بكسر التاء للقافية، قال في القاموس: «اسْتَسَرَّ: اسْتَتَرَ». يعني: استترت البدور كلّها؛ بمعنى فَنيَت، وانمحت، واضمحلَّت، ورجعت إلى عدمها الأصلي؛ حيث ظهر لها الوجود الحقيقيّ، وانكشف لأعين بصائرها، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ /[١٠٨/أ] إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] وقال صلّى الله عليه وسلَّم: «كان الله ولا شيء معه، وهوالآن على ما عليه كان»[١].

٧١- وَوَصْفِ كَمَالٍ فِيْكِ أَحْسَنُ صُورَةٍ ... وَأَقْوَمُهَا فِي الخَلْقِ مِنْهُ اسْتَمَدّتِ

(**ووصف**): الواو للقسم أو للعطف. (**كمال**): مضاف إليه، والكمال هو الجمع بين الجلال والجمال. وقوله (**فيكِ**): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. ثمّ قال: (**أَحْسَنُ**): مبتدأ. (**صورة**): مضاف إليه، وحُسْنُ الصورة إمّا في الظاهر المحسوس، أو في الباطن المعقول، أو فيهما. قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٤] وقوله (**وأقومها**): معطوف على أحسن من قوله

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٩٥/ الزيتون/ ٤]. وقوله (**في الخلق**): أي في جملة المخلوقات، ونعت لأحسن صورة. وقوله (**منه**): أي من وصف الكمال المذكور لا من غيره. (**استمدّتِ**): بكسر التاء للقافية من الاستمداد، وهو طلب المدد بإعطائها ذاتها وصفاتها.

٧٢- وَنَعْتِ جَلَالٍ مِنْكِ يَعْذُبُ دُوْنَهُ عَـذَابِيْ وَتَحْلُـوْ عِنْـدَهُ لِيَ قِتْلَتِـي

(**ونعت**): الواو للقسم أيضاً، أو للعطف.(**جلال**): مضاف إليه، والجلال: العَظَمة والهيبة المقتضية للخوف والخشية. وقوله (**منكِ**): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. ثمّ قال (**يَعْذُبُ**): أي يصير عذباً، والعَذْبُ من الطعام والشراب: كلُّ مُسْتَسَاغ، كذا في القاموس. وقوله (**دون**): نعت ذلك الجلال. يعني: أمامه وقبل الوصول إليه. وقوله (**عذابي**): فاعل يعذب، والعذاب هوالتعذيب؛ فإنّ النفس تستعذب من محبوبها ما تكرهه من غيره، من شدّة المحبّة وزيادة العشق، والجلال مقتضاه التعذيب والقهر. كما أنّ الجمال مقتضاه الإحسان واللطف. وقوله (**وتحلو**): أي تصير حلوةً، ضدّ المُرَّة. (**عنده**): أي عند نعت ذلك الجلال. (**قتلتي**): بكسر القاف فاعل تحلو. و(**القِتلة**) بالكسر نوع من القتل، يقال: قتله قِتلةِ سوء بالكسر.

٧٣- وَسِرِّ جَمَالٍ عَنْكِ كُلُّ مَلاحَةٍ بِـهِ ظَهَـرَتْ في العَالَـمِينَ وَتَـمَّتِ

(**وسرِّ**): الواو للقسم أوللعطف. (**جمال**): مضاف إليه. وخص السرّ بالجمال لأنّه يجذب القلوب إليه بأمر خفي لا يعرفه أحد. وقوله (**عنكِ**): بكسر الكاف متعلّق بظهرت، أي: لا عن غيركِ. وقوله (**كلُّ ملاحة**): مبتدأ. وجملة (**به ظهرت**): خبره. وضمير به يعود إلى سرّ الجمال. وقوله (**ظهرت**): أي تلك الملاحة، وهي حسن الظاهر والباطن في العالمين، أي: في جميع الأشياء من الإنسان وغيره، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال صلّى الله

عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الحُسْنَ على كلّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة»[1].

وقوله (وتمّتِ): بتشديد الميم وكسر التاء للقافية، أي: تلك الملاحة الظاهرة على كلّ شيء تامّة كاملة لا نقص فيها، ولكن الله يقلّب القلوب والأبصار كما يقلّب الليل والنهار؛ فيرى من شاء كمالاً، ويرى من شاء نقصاً ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ [٦/ الأنعام/ ١١٠]. واستعمل (في) عند ذكر الكمال لإفادة عموم الظرفيّة، واستعمل (من) في الجلال لإفادة معنى التبعيض؛ فإنّ الكون أجمعه لا يحتمل تمام ظهور الجلال؛ بل بعض ظهوره، واستعمل عن سرّ الجمال لإفادة إستناد الملاحات إليه، لا كما قال بعضهم: أتى بمن في الجلال، وبعن في الجمال، تنبيهاً على أنّ الجلال لا يتعدّى من الذات، والجمال يتعدّى، حتى ردّه القيصري بقوله: وأنت تعلم أنّ الأعيان الكونيّة كلّها مظاهر الجمال والجلال الإلهيّين؛ إذ القهر واللطف الصادران في العالم من القهر واللطف/[١٠٩/ب] الإلهيَّين، لا من غيره. والوصف والنعت في اللغة بمعنى واحد، وقد استُعمل الوصف في الكمال، والنعت في الجلال. وقد اعتبر بعضهم في الوصف جهة الموصوف، واعتبار جهة الموصوف من الكمال، واعتبر في النعت جهة الناعت، فيناسب ما ظهر له من الجلال على مقدار احتماله.

٧٤- وَحُسْنٍ بِهِ تَسْبِي النُّهَى دَلَّنِي عَلَى   هَـوىً حَـسُنَتْ فِيـهِ لِعِـزِّكَ ذِلَّتِـي

(وحُسْنٍ): الواو للقسم، أو للعطف أيضاً. وقوله (به): أي بذلك الحسن. والجار والمجرور متعلّقان بتَسْبِي، قُدِّم عليه للحصر، أي: لا بغيره، أو للاهتمام. و(تسبي): من سَبَى العدو سَبْياً وسِبَاءً: أَسَرَهُ. (والنُّهى): أي العقول، جمع نُهْيَة، سمي بذلك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل، ٥١٦٧، عن شدّاد بن أوس.

لكونه ينهى عمّا لا ينبغي، قال في القاموس: «النُّهيَة بالضمّ: العقل». وقوله (دلّني): من الدلالة. والجملة صفة حُسن. وقوله (على هوى): متعلّق بدلّني. والهَوَى: المحبّة. وقوله (حسنت): أي صارت ذات حُسْنٍ، أو صارت ذات حَسَنَةٍ من الحَسَنَات أثاب عليها فيه، أي: في ذلك الهوى. وقوله (لعِزِّكِ): بكسر الكاف، والعِزّ خلاف الذلّة. وقوله (ذِلَّتِي): بكسر الذال المعجمة، مصدر ذَلَّ يَذِلّ ذُلًّا وذُلَالَة، وذِلَّة بالكسر ومَذَلَّةً وذَلالاً هان فهو ذَليل، وذُلّان بالضمّ، كذا في القاموس.

٧٥- وَمَعْنًىً وَرَاءَ الحُسْنِ فِيْكِ شَهِدْتُهُ بِهِ دَقَّ عَنْ إِدْرَاكِ عَيْنِ بَصِيرَتِي

(ومعنى): الواو للقسم أيضاً، أو للعطف، والمراد بالمعنى: ما لا يدرك بالحسّ أو بالعقل في الدنيا، لا المعنى الذي يقابل الجوهر، لأنّه عَرَض من قسم الخيال العقليّ. وقوله (وراء الحسن): أي أعلى وأعظم من الحُسْن الذي يظهر للحسِّ أو للعقل في كلّ شيء، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ ثمّ قال ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: كلام نفسي إلهيّ قديم ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠-٢٢] بحروف الحدود والمقادير والصور، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٤٩] برفع كلّ؛ إذ لا غير الوجود الحقّ الواحد الأحد كثرتْ ظهوراته بكثرةِ ذرات العوالم في المركّبات والبسائط المحسوسة والمعقولة، وكلّها فانية عدميّة، والوجود الحقّ لا يتجزّأ ولا ينقسم، ولا يحلّ في شيء من العدميّات، ولا يتّحد بها، ولا يشغله منها شأن عن شأن؛ فهو من وراء كلّ شيء بعينه الواحدة، وكلّ شيء غير الشيء الآخر، وكلّ شيء هالك إلّا وجهه؛ فالأشياء كثيرة، والوجه واحد؛ وهوالذات الإلهيّة، الوجود الحقّ تعالى وتقدّس، وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] فذكر الاسم الجامع لجميع الأسماء؛ وهو اسم الله، وبسبب ذلك اختلفت العوالم، وتنوّعت أنواعاً لا يحيط بها العدُّ والإحصاء، وهذا هو المعنى الذي وراء الحسّ؛ بل وراء كلّ شيء، قال في القاموس: «وَرَّاهُ تَوْرِيَةً: أَخْفَاهُ، كَوَارَاهُ،

ورّاه عن بصره: دفعه، ووراء مثلثة الآخر مبنيّة، والوراء معرفة: خلف وقدّام، ضدّ، وهو ما توارى عنك».

وقوله (فيكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة؛ وهي الحضرة العليّة، حضرة الأسماء والصفات الإلهيّة، المتجلّية بالآثار الكونيّة على حسب ما هي ظاهرة للعقول والبصائر الإمكانيّة؛ لا من حيث هي هي في نفسها العليّة، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/الأنعام/ ٩١]. وقوله (شهدته): أي بعين البصيرة، وذلك الشهود؛ هو المقتضي للمحبّة، قال العارف الكامل عفيف الدين التلمساني قُدّس سرّه:

حتّام تبذل في هواك الأنفس ... وتصان عنها بالجمال وتحرس
وإلامَ يوحشك الغنا عن مغرم ... أبداً بوحشة ذاته يتآنسُ / [١١٠/أ]
مالي وللأكوان تهواني ولي ... حسن عن الكون الكثيف مقدّسُ
معنى به لَطُفَ الكثيفُ فأصبحتْ ... صمّ الجبال هي الغصون الميّسُ
وحقيقة طوتِ البعيد فرامة ... نجد وليث الغاب ظبي أخنسُ
ووراء ذاك ولا أشير لأنّه ... سرّ لسان النطق عنه أخرسُ
أمر له وبه ومنه تعيَّنت ... أعياننا ووجوده المتلبِّسُ

بعد ذلك أقول: والله أكبر عن جميع ما تشير إليه العارفون، وكلّ حزب بما لديهم فرحون. ولا أقرب من العلوم الذوقيّة اللدنيّة؛ فإنّها ميراث النّبوَّة المحمَّديّة، ونتيجة الفتوّة الأحمديّة، وهم أهل القرب بالنسبة إلى من سواهم من جميع البريّة كالمُجَلّي والمُصَلّي من خيل السباق؛ فإنّ الأوّل هو المتفرِّد بالسبق، ويليه الثاني، وليس الكاشف عن الأسرار، كالذي يتلو كلمات السبع المثاني. وما بعد ذلك من الخيل فهم المتأخِّرون لعدم القوّة والحَيْل.

وقوله (به): أي بسبب ذلك المعنى نفسه، لا بسبب آخر غير نفسه. (دقّ): من

الدِّقّة، بكسر الدال المهملة وتشديد القاف الأمر الغامض، كذا في القاموس، أي: صار أمراً دقيقاً غامضاً. وقوله (**عن إدراك**) متعلّق بدقّ. وقوله (**عين بصيرتي**): يعني فضلاً عن عين بصري، قال في القاموس: «البصيرة بالهاء: عَقِيْدَةُ القلبِ، والفِطْنَة».

٧٦- **لَأَنْـتِ مُنَـى قَلْبِـي وَغَايَـةُ مَطْلَبِـي وَأَقْـصَى مُـرَادِي وَاخْتِيَـارِي وَخِـيرَتِي**

(**لأنت**): اللام في جواب القسم. و(**أنتِ**): بكسر التاء خطاب للمحبوبة المذكورة. وقوله (مُنَى): بضمِّ الميم جمع مُنْيَة، بضمِّ الميم وبكسرها. و(**قلبي**): مضاف إليه، أي جميع ما يتمنّاه قلبي، والجملة جواب القسم المتقدّم في الأبيات كلِّها. وقوله (**وغاية**): معطوف على مُنَى. و(**مطلبي**): مضاف إليه، أي: نهاية جميع ما أطلبه من أمور الدنيا والآخرة. (**وأقصى**): بالقاف والصاد المهملة، أي: أبعد، من قَصِيَ: بعُد؛ فهو قَصِيّ وقَاصٍ. (مرادي): أي ما أريده. (**واختياري**): من اختار الشيء: انتقاه، كتخيَّره. (**وخيرتي**): بكسر الخاء المعجمة: مصدر خَار الرجل على غيره خِيْرَةً بالسكون، وخِيَرَة بالتحريك: فَضَّلَه، والوصف بالمصدر فيهما للمبالغة في ذلك. قال الشيخ شهاب الدين السُّنْبُلي[1] (بضمّ السين المهملة وسكون النون وبالباء الموحّدة واللام، ولعله منسوب إلى سُنْبل، بلد بالروم، أو منسوب إلى سنبل بن علي الشاشي[2]، محدِّث ذكره في القاموس رحمه الله تعالى): قرأتُ ذات ليلة ـ أي: في نفس ليلة من الليالي، قال في القاموس: «جاء من ذي نفسه، ومن ذات نفسه، أي: طبعاً، ويقال: ذات بينِكم، أي: حقيقة وصلكم، أو ذات البين: الحال التي بها يجتمع المسلمون» ـ القصيدة، أي: هذه القصيدة، المسمّاة «نظم

---

(١) أحمد بن صالح، أبو العباس، شهاب الدين السنبليّ، كان فاضلاً، شاعراً، كثير المروءة والأخلاق، كان مباشر أعمال الجامع الأموي بدمشق زمن نجم الدين الصالح، توفي ٦٩٣هـ. انظر الوافي بالوفيات، باب أبي السرايا، ج٢ص٢٦٧.

(٢) في القاموس المحيط للفيروز آبادي: سُنبل بن علي الشاميّ المحدِّث. ولعل الشاشيّ تحريف للشاميّ. انظر القاموس مادّة (السنبلة).

السلوك» من أوّلها إلى أن وصلت إلى البيت منها الذي أوّله قوله (لأنت منّي قلبي... إلى آخره) وهو هذا البيت السابق المذكور فنمت بعد ذلك فرأيت في منامي الشيخ الناظم شرف الدين عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه، والحال: نسخة هذه القصيدة بيده، وأشار إليَّ بها، أي: بهذه القصيدة، وقال قدّس الله سرّه: أَلْحِقْ هذا البيت، أي: اجعله ملحقاً في هذه القصيدة، خلف هذا البيت الذي وقفتَ عليه في قراءتك وهو هذا، وأشار إلى البيت الآتي.

قلت[1]: ونظير هذا ما وقع لي مع حضرة الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه، وذلك أنّ رجلاً من أقربائي الأعزّة كان يقرأ عندي كتاب «شؤون المسجون وفنون المفتون» للشيخ الأكبر رضي الله عنه فوصل في قراءته إلى محل في ذلك الكتاب، فرأى الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في المنام/ [١١٠/ ب] فقال له: أَلْحِق في هذا المحل زجرة: اعرفْ نفسك وهي بين جنبيك قبل أن تفرّ من بين يديك ثمّ سكت حصّة ثمّ قال له: فات وقت ذلك. فانتبه الرجل، وجاء فأخبرني، فكتبت ذلك عنه، وعَيَّنَ المحلّ؛ ولكن لم ألحقه به؛ لإعراض الشيخ عن ذلك. ثمّ نسيت المحلّ، ومضى الأمر على ذلك.

٧٧- خَلَعْتُ عِذَارِي وَاعْتِذَارِيَ لَابِسَ الْـ ـخَلَاعَةِ مَسْرُوْراً بِخَلْعِي وَخِلْعَتِي

(خلعت): أي نزعتُ، قال في القاموس: «الخَلْعُ كالمَنْع: النَّزْع، إلّا أنّ في الخَلْعِ مُهْلَة». وقوله **(عِذاري)**: أصل العِذار، بالعين المهملة والذال المعجمة: من اللجام ما سال على خدّ الفرس، ثم صار قولهم: «خَلَعَ عِذَارَهُ» كناية عن إزالة قيد المبادلة في الأمور، وإطلاق نفسه في جميع الأعمال. وقوله **(واعتذاري)**: معطوف على عذاري، أي: خلعت اعتذاري أيضاً؛ بمعنى نزعتة عني وتركته، والاعتذار: إقامة العذر عن نفسه فيما يلحقه اللّوم فيه. واعتذر: شكا. وقوله **(لابس)**: بالنصب، حال من ياء المتكلّم فيهما. و**(الخَلاعة)**: بفتح الخاء المعجمة عدم المبالاة في الأقوال

(١) القائل الشيخ عبد الغني النابلسي.

والأفعال، ومنه الخليع للغلام، والكثير الجنايات، والأحمق. ولبس الخلاعة كناية عن ملازمة الشطح والتهتّك في طريق المحبّة. وقوله (**مسروراً**): حال أيضاً من ياء المتكلّم. وقوله (**بخَلعي**): متعلّق بمسروراً؛ وهو خلعه لعذاره. وقوله (**وخِلعتي**): معطوف على خلعي، أي: مسروراً بخلعتي أيضاً، وهو راجع إلى قوله لابس الخلاعة. (**والخِلْعة**): بكسر الخاء المعجمة ما يُخلَع على الإنسان، وخيار المال، ويضم، كذا في القاموس.

٧٨- وَخَلْعُ عِذَارِي فِيْكِ فَرْضِي وَإِنْ أَبَى اقْـ ـتِـرَابِيَ قَـوْمِي وَالخَلَاعَـةُ سُـنَّتِي

وهذا البيت كأنّه بيان للبيت الذي قبله، ولهذا نصّ الشيخ الناظم قُدِّس سرّه على وضع ذلك البيت قبل هذا. (وخَلْعُ العِذَار والخَلاعَة): قد بينَّا معناهما من قبل. وقوله (**فيكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**فرضي**): أي أمر لازم يلزمني شرعاً؛ فإنّ السالك إذا تحقّق بمعرفة نفسه ذوقاً وكشفاً وجد نفسه في قبضة تصريف الله تعالى، فيترك مراعاة أمورها، ولا يبالي بما يصدر من تصرّف أمر الله تعالى به كيفما كان، وهو تسليم أمورها كلِّها إلى ربّه حيث لم يبقَ فيه منازع بدعوى أنيّة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣١] وهذه المقالة من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ليس معناها طلب مجرّد قوله ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣١]؛ بل المطلوب حالة ذوقيّة يصدق فيها العبد، وهو الإسلام الحقيقيّ، ولهذا قال تعالى بعده: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ إلى آخر الآية. [٢/ البقرة/ ١٣٢] وهو إسلام الأنبياء المطلوب شرعاً، كما قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [٢/ البقرة/ ١٣٢] أي: بهذا الإسلام المذكور الحقيقيّ، وهو فرض على المكلّفين بحسب ما يقدرون، وعلى قدر استطاعتهم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٦] فإذا تركت وسعها في ذلك فقد

تركت أمراً مفروضاً عليها، فإسلام العامّة بمجرّد القول والاعتقاد مع بقاء الدّعاوى النفسانيّة معصية عند الخاصّة من أهل الله ،أصحاب التحقّق في العرفان؛ لأنّهم المسلمون على الحقيقيّة إرثاً نبويّاً، واقتداء مصطفويّاً؛ فلا يشهدون لأنفسهم تأثيراً في شيء من الأفعال والأحوال مطلقاً، قال الشيخ أبو الحسن الشاذليّ[1] قدّس الله سرّه: «شهود التقصير دعوى تأثير». وقوله (**وإن أبى**): أي امتنع وكره. و(**اقترابي**): مفعول أبى، قال في القاموس: «أَبَى الشيءَ يَأْبَاهُ ويَأْبِيهِ إِبَاء وإِباءَةً بكسرهما: كَرِهَهُ، ومعناه كَرْه. (**قَومِي**): أي أهلي، وعشيرتي أن يقتربوا إليّ./ [١١١/ أ] ويقاربوني تحاشياً ومخافة أنْ يلحقهم العار والذمّ، أو كرهوا أنْ يعدّوا أحوالي اقتراباً في دين الله لشناعة ذلك عندهم، وبشاعته في رؤيتهم. وقوله (**الخلاعة سنّتي**): أي طريقتي التي أنا سالك عليها. والجملة حال من ياء المتكلّم. والمراد بالقوم الذين ينتسبون إلى الطريقة والسلوك ظاهراً من الصوفيّة الرسميّة، أصحاب العبادات العاديّة، الذين ما بلغوا الحقائق وبواطن الأشياء، وقصروا نظرهم في ظواهر الأخبار، فيعيبون على أهل السكر والجذبات الإلهيّة، وينكرون كلام أهل الحقيقة.

٧٩- وَلَيسُوا بِقَوْمِي مَا اسْتَعَابُوْا تَهَتُّكِي فَأَبْدَوْا قِلَىً وَاسْتَحْسَنُوا فِيْكِ جَفْوَتِي

(**وليسوا بقومي**): أي ما هم قومي، تبرّأً منهم لإعابتهم عليَّ طريق الحقِّ والحقيقة، جهلاً بما هنالك. وقوله (**ما**): ظرفيّة، مصدريّة. (**استعابوا**): بالعين المهملة أي:طلبوا العيب، ووجدوا العار والقبح. والمعنى: مدّة استيعابهم. (**تهتّكي**): أي فضيحتي واستهتاري بالعشق والمحبّة. وأشار بذلك إلى أنّهم إذا تركوا تلك الإعابة والتقبيح علي، والإنكار لحالي، ولو لم يعرفوا حقيقة ذلك، واعتقدوني ظاهراً على الحقّ؛ فإنّهم قومي، وهم منّي، وأنا منهم؛ فإنّ المرء مع من

(١) انظر ص٢١٨.

أحبّ ولو لم يعمل بعمله، كما ورد في الحديث الصحيح: «أنّ إعرابياً دخل على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ولمّا يلحق بهم ـ يعني: إلى الآن لم يلحق بهم ـ فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: المرء مع من أحبّ»[1]. وقوله (**فأبدوا**): أي أظهروا لي. (**قِلى**): بكسر القاف، أي: بغضاً. قال في القاموس: «قَلاهُ كَرَماهُ ورَضِيَه قِلَىً وقِلاءً: أبْغَضَه وكَرِهَهُ غاية الكراهة فَتَرَكَهُ». وإظهارهم البغض والقَلى بسبب تهتّكي في محبّة الله تعالى من حيث لا يشعرون لجهلهم وغفلتهم عن إدراك معارف أهل الله تعالى. وقوله (**واستحسنوا**): أي وجدوا حسناً. (**فيكِ**): بكسر الكاف، أي: في طريق محبَّتكِ. (**جَفْوَتي**): مفعول استحسنوا، من الجَفَاء، وهو نقيض الصِّلَة، ويقصر، جَفَاه جَفْوَاً وجَفَاءً، وفيه جَفْوَة، ويكسر، أي: جِفَاء، كذا في القاموس.

٨٠- وَأَهْلِيْ فِي دِيْنِ الهَوَى أَهْلُهُ وَقَدْ ... رَضُوْا لِيَ عَارِي وَاسْتَطَابُوْا فَضِيحَتِي

(**وأهلي**): أي قومي وعشيرتي. (**في دين الهوى**): أي شرع المحبّة الإلهيّة. (**أهله**): أي أهل دين الهوى، وهم المحبّون الإلهيّون، والعشّاق الربّانيّون، وهم الذين صبروا على بلايا المحبوب، واختاروا ذلك على الدنيا والآخرة من كلٍّ أمر مطلوب. وقوله (**وقد رضوا لي عاري**): جملة حاليّة. والعارُ: كلُّ شيءٍ لَزِمَ به عَيْبٌ. وتَعَايَروا: عَيَّرَ بعضُهم بعضاً. وقوله (واستطابوا): أي وجدوا طيباً، أي: لذيذاً. (**فضيحتي**): قال في القاموس: «فَضَحَه كَمَنَعَه: كَشَفَ مَسَاوِيَهُ، فَافْتُضِحَ، والاسم: الفضيحة». وفيه إشارة إلى مقام الملاميّة الذين آثروا المَلامَةَ على السلامة، وهؤلاء هم الذين لم يميِّزوا أنفسهم من عامة المؤمنين في الظاهر، وإنْ كانوا في الباطن من الأوتاد والأقطاب الذين بهم قيام العالم، قال الشيخ الأكبر محيي الدّين ابن العربي قدّس الله سرّه في فتوحاته المكيّة: «إنّ للملاميّة ألفاً ومئتين من القوى،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب مسند حديث صفوان بن عسّال، ١٨٥٧٩. وله أطراف كثيرة.

لو سلّط قوّة منها على العالم لأفناه. ومن جملتها قوّة يخفي حاله؛ بحيث لا يطلع عليه غيره إلّا مَنْ كان من أهل مقامه، ونبينا صلّى الله عليه وسلّم وأبو بكر وعمر منهم، هذا كلامه رضي الله عنه»؛ فهم في الظاهر مع الخلق، وفي الباطن مع الحقّ، وهم على قسمين: يحفظون الظواهر أيضاً كما يحفظون البواطن. وقسم لا يحفظون جميع الظواهر؛ بل يأتون بما فرض الله تعالى عليهم، وينتهون بأنفسهم عمّا نهى الله تعالى عنه فقط، ويتركون الناس مع/ [١١١/ ب] ربّهم، لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، ولا يزهدون في الأشياء؛ بل يخترقون في بعض ظواهر النواميس الإلهيّة بحضورهم في مجامع أهل الضلال والفساد، وانخراطهم بالصورة في زمرة المطرودين من الناس؛ لا أنّهم يأتون بمثل ما يأتي به أهل الحجاب، حاشاهم من ذلك؛ بل يكونون معهم من غير إنكار عليهم، وكلّ ذلك لحفظ حالهم، وعدم إنكارهم عليهم؛ إنّما هو لاطّلاعهم على سرِّ القدر، ووقوفهم عند الإرادة الإلهيّة، وتأدّبهم بين يدي الله تعالى بعدم الاعتراض في أفعاله، وفراغهم من إقرار الخلق وإنكارهم، واطِّلاعهم على أسرار القبضتين، وشهودهم هويّة الحقّ سبحانه مع كلّ شيء، وعلمهم بنهاية مقام الجهنّميّين، وأسرارهم المختفية عن أعين العالمين، ذكر ذلك القيصري في شرحه.

٨١- فَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْضَبْ سِوَاكِ فَلا أَذَى إذا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي

(**فمن شاء**): يعني من الخلق. (**فليغضب**) عليَّ. (**سواكِ**): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. فإنّ غضبهم عليّ ورضاهم عنّي سواء عندي، لا أبالي بشيء من ذلك ما عدا غضبكِ عليَّ، ورضاكِ عنّي يا أيتها المحبوبة؛ فإنّ ذلك هو المعتبر عندي وعند أمثالي من أهل هذا الطريق. ثمّ قال (**فلا أذى**): أي شرّ يصيبني، ولا ضرّ في الدنيا والآخرة (**إذا رضيتْ عنّي كرام عشيرتي**): وهم سادتي ومشايخي من أهل طريق الله تعالى؛ فإنَّ رضاهم من رضا الله تعالى. والمعنى: إنّ مقامي يقتضي أن لا أبالي بغضب أحد غير الله تعالى، ولا برضائه بسبب شهودي

أنْ لا غضب، ولا رضا إلّا وهو أثر من آثار غضب الله تعالى ورضائه؛ فإنْ كان بحقّ شرعي فهو غضب الله تعالى ورضاؤه. وإنْ كان بباطل ذلك الغضب والرِّضا؛ فهو غضب الله تعالى أيضاً، لكن على مَنْ صَدَر منه في حقِّي أو في حقِّ غيري. واحتماله هو احتمال بلاء ابتلى الله تعالى به عباده؛ فالصبر عليه طاعة؛ فالكلّ غضب الله تعالى ورضاؤه. ولا وصف للمخلوق في حقيقة الأمر على كلّ حال، والمصارف الشرعيّة والحقيقيّة لا يعرفها ويتحقّق بها إلّا أهل الله تعالى من خاصّة البريّة.

٨٢- وَإنْ فَتَنَ النُّسَّاكَ بَعْضُ مَحَاسِنٍ لَـدَيْكِ فَكُـلٌّ مِنْـكِ مَوْضِـعُ فِتْنَتِـي

(**وإن فتن**): من الفِتْنَة بالكسر: الخِبْرَة، وإعجابُكَ بالشيء، فَتَنَهُ يَفْتِنُهُ فَتْناً وفُتُوْنَاً وأَفْتَنَهُ المِحْنَة، كذا في القاموس. و(**النُّسَّاك**): جمع نَاسِك، مِنَ النُسُك مثلثة، وبضمَّتين: العبادة، وكلّ حقّ لله تعالى. والمراد بهم العبّاد والزهّاد. وقوله (**بعض**): فاعل فتن. و(**المحاسن**): قال في القاموس: «الحُسْنُ، بالضمّ: الجَمال، وجمعه: مَحَاسِن على غير قياس». وقوله (**لديك**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. كَنَّى ببعض محاسن هذه المحبوبة عن الآثار الإلهيّة التي تظهر من قدرة الله تعالى للعُبَّادِ والزهّاد من: تيسير الأرزاق، والحفظ من المؤذيات، ودفع مضرّة الأعداء، والظفر بالمطلوب، والتوفيق لأعمال البرّ، ونحو ذلك. وقوله (**فكلّ**): بالرفع والتنوين، أي: كلّ شيء يكون من المحاسن في جميع العوالم، سواء ظهر في عالم الإنسان أو غيره؛ فإنّه منسوب عندي إلى الحقّ سبحانه وتعالى، لا إلى أحد غيره، ولا إلى شيء منه، وكلّ ذلك محاسن إلاهيّة وإن كانت لا تلائم الأمزجة البشريّة والحيوانيّة. فعدم ملائمتها ملائمةً لمنافعها الدنيويّة والأخرويّة، وكلها محاسن ربّانيّة، وإحسانات رحمانيّة. وهي (**موضع فتنتي**). أي: استقرّت فتنتي فيها، واستمرّت متوجّهة إليها في كلّ حال. ولا شك أنّ المحبّة الإلهيّة إذا صدق فيها المُحبّ وكانت للذات من/ [١١٢/ أ] حيث هي ذات لزم من ذلك أن تسري تلك

المحبَّة إلى محبَّة الصفات والأسماء الإلهيّة أيضاً كلِّها؛ فيصير المحبّ يحبّ الله تعالى، ويحبّ جميع صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه، حتى يحبّ تعذيبه كما يحبّ تنعيمه. ويحبّ غضبه كما يحبّ رضاه، كما قال أبو يزيد البسطاميّ قدّس الله سرّه:

أحبُّك لا أحبُّك للثواب ... ولكنِّي أحبُّك للعقاب

وكلّ مآربي قد نلت منها ... سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

وهذا أمر خفي في الناس، ولهذا رتّب فقهاء الحنفيّة على ذلك مسألة شرعيّة، قال في تنوير الأبصار(1) في مَن قال لامرأته: «إنْ كنتِ تحبين عذاب الله تعالى فأنت طالق. فإنّها إن قالت: أحبّ، طلقت.

٨٣- وَمَا احْتَرْتُ حَتَّى اخْتَرْتُ حُبِّيكِ مَذْهَباً ... فَوَا حَيْرَتِي إنْ لم تَكُنْ فِيكِ خِيْرَتِي

(وما احترتُ): بالحاء المهملة، أي: وقعتُ في الحَيْرَة، وهي: الدهشة، وعدم الاهتداء إلى الصواب. وقوله (حتى اخترت): بالخاء المعجمة، قال في القاموس: «اختار الشيءَ: انتقاه، واختاره على غيره فضَّله». وقوله (حُبيكِ): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وأصله حبِّي لك؛ فاتصل الضمير بالفعل، وحذفت اللام. أو أصله: حبِّي إياك بالضمير المنفصل. والمعنى: استمر تحيُّري واندهاشي في محبّة المظاهر الجماليّة والآثار الكونيّة، حتى انكشف لي الأمر الإلهيّ، والسرّ الربّانيّ، فوجدت المحبّة كلّها واقعة في نفس الأمر على الحضرة الإلهيّة، فانصرف اختياري وقصدي كلّه إلى تلك الحضرة. (ومذهباً): مفعول ثان لاخترت. والمفعول الأوّل حبيكِ. وكأنّه ضمن اختيار معنى جعل، فاخترت محبّتك مذهباً، أي: جعلت ذلك مذهباً أعبد الله تعالى به، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة ... فدير لرهبان وبيت لأوثان

---

(1) في الفقه الحنفي للشيخ التمرتاشي: محمّد بن عبد الله بن أحمد الخطيب التمرتاشي الغزّي، وقد شرحه محمّد بن علي الملقّب علاء الدين الحصفكي الدمشقي في الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار.

ومرعى لغزلان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحبّ أنى توجّهت ركائبه فالدين ديني وإيماني

وقوله (فوا حيرتي): بالحاء المهملة، أي: تحيري، واندهاشي، قال في القاموس: «واتكون حرفاً، وتختصّ في النداء بالندبة». وقوله (إنْ لم تكن فيكِ) بكسر الكاف، أي: في محبَّتكِ، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (خِيْرَتِي): بالخاء المعجمة مصدر خَار يَخِير خِيْرَة بمعنى اختار اختياراً.

٨٤- فَقَالَتْ هَوَى غَيْرِي قَصَدْتَ وَدُوْنَهُ اقْـ تَـصَدْتَ عَمِيّاً عَـنْ سَـوَاءِ مَحَجَّتِـي

(فقالت): أي المحبوبة التي يخاطبها فيما سبق من الكلام. (هوى): أي محبّة (غيري): من مخلوقاتي. (قصدت): أي أردتَ في محبّتكَ لي على زعمك؛ فإنّك تحبّني على حسب ما تدرك من المعاني التي أخلقها لك بمقتضى فقه عقلك، ومزاج طبيعتك، وجهد معرفتك لي بقدر ما أخلقه فيك؛ فأنت في نفس الأمر لا تحبّني من حيث ما هو أنا عليه في نفس أمري، ولا يمكنك ذلك أصلاً، وأنت إنّما تحبّ صورة استعدادك، وما أنت موصٍ به مما خلقته فيك على أنّه أنا، ومن هذا القبيل قول أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى:

إنّ الإله الذي يبدو لكم وبكم والله والله ما هذا هو الله

وإنّما ذاك معنى قد فتنت به فإنّ تحققت معناه هو الله

وقوله (ودونه): بمعنى عنده. (اقتصدت): أي اتّحد قصدك. والضمير لهوى الغير. و(عميّاً): بتشديد الياء التحتيّة حال من التاء في اقتصدت، قال في القاموس: «عَمِيَ كَرَضِيَ، عَمَىً: ذهب بصرُه /[١١٢/ب] كلُّهُ كَأَعْمَايَ يَعْمَايُ اعْمِيَاءً، وقد تشدّد الياء، والعَمَى أيضاً: ذهاب بصر القلب». وقوله (عن سواء): متعلق بعمياً. (سَوَاء): بفتح السين المهملة والمدّ، قال في القاموس: «السَّوَاءُ العَدْلُ والوَسَطُ». وقوله (مَحَجَّتي) مضاف إليه. والمحجّة الطريق الواضح. يعني: أعمى

عن طريقتي الواضحة الموصلة إليّ، وهي الطريقية السواء، أي: العدل الوسط بين الإكثار والتقليل، والتحكُّم والتعليل، والاختصار والتطويل.

٨٥- وَغَرَّكَ حَتَّى قُلْتَ مَا قُلتَ لابِسَاً بِـهِ شَـيْنَ مَـيْنٍ لَـبْسَ نَفْـسٍ تَمَنَّـتِ

(وغرَّك)َ: بفتح الكاف، خطاب من المحبوبة الحقيقيّة للناظم قُدِّس سِرُّه. وفاعل غرّكَ ضمير عائد إلى هوى غيري في البيت قبله، وهو من الغُرُور، بالغين المعجمة، يقال: غَرَّته الدنيا غُرُوْراً، من باب قعد: خَدَعَتْهُ بزينتها، كذا في المصباح. **(حتى قُلْتَ)**: بفتح التاء، خطاب له أيضاً، وادعيت ما ادعيت من المقام العالي. والمعنى الذي قلته في الأبيات السابقة كلِّها من شكوى المحبّة، والعشق، وذكرالمحبوبة، ونشر صفاتها الحسنى، وبيان المجاهدات في طريق الله تعالى. يعني: اشتبهت عليك الأمور، وغرَّكَ هوى الغير فوقعت في شرك الغرور، وظننت أنّك في الحاصل من محبتي، وأنت في هوى غيري منحرف عن محجتي. وقوله **(لابِسَاً)**: حال من فاعل قلت، وفي المصباح لَبَسْتُ الأمرَ لَبْساً، من باب ضَرَب: خَلَطْتُهُ. وفي التنزيل: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [٦/الأنعام/٩]. وقوله (به): أي بهوى غيري، أو بما قلت. وقوله **(شَيْنَ)**: بالشين المعجمة، وهوالعيب، يقال: شَانَهُ شَيْناً، من باب باع: عَابَهُ، والشَّيْنُ خلاف الزين، كذا في المصباح. **(وهو)**: مفعول لابساً. وقوله **(مَيْن)**: مضاف إليه. والتنوين للتعظيم. و**(المَيْنُ)**: بفتح الميم: الكَذِب. قال في المصباح: «مَانَ يَمِيْنُ مَيْناً، من باب بَاع: كَذَبَ». والمعنى: مُلبساً بهوى غيري، أو بما قلته عيب كذب؛ فإنّ من الكذب ما ليس بعيب، كالكذب المباح في الحرب، وللإصلاح بين المتخاصمين، ولدفع الظالم. ثمّ قال: **(لَبْسَ)**: مصدر مؤكد لاسم الفاعل. و**(نفس)**: مضاف إليه. وقوله **(تمنّتِ)**: بكسر التاء الساكنة للقافية. والجملة صفة نفس؛ فإنّ النفس إذا تمنَّت أمراً عظيماً كذبت فيه، ولَبَسَتْ فيه على الغير. والناقد البصير لا تخفى عليه خافية قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [٥٠/ق/١٦].

٨٦- وَفِي أنفَسِ الأَوْطَارِ أمْسَيْتَ طَامِعاً   بِـنَفْسٍ تَعَـدَّتْ طَوْرَهَـا فَتَعَـدَّتِ

(وفي أنفس): أفعل تفضيل، من نَفُسَ الشيءُ بالضمّ نَفَاسَةً: كَرُمَ، فهو نفيس. و(الأوطار): جمع وَطَر، بالتحريك: الحاجة، والبُغْيَة. كنّى بأنفس الأوطار عن مطلوب السالك في طريق الله تعالى من كشف الحجاب، وشهود الوجه المهاب في مقام الاقتراب. وقوله (أمسيتَ): بفتح التاء، خطاب له. و(طامعاً): خبرأمسى. والمعنى: دخلتَ في المساء زمان ملازمة العبادة والطاعة، وقيام الليل، والخلوة، والانفراد، وأنت طامع في نيل الوصال، وحصول الإقبال. (بنفس): متعلّق بطامعاً. وتنكيرها للتحقير. وقوله (تعدّت): صفة نفس، بمعنى جاوزت. (طورها): بفتح الطاء المهملة، أي: قدرها، قال في القاموس: «الطَّوْرُ الحَدّ بين الشيئين، والقَدْر». والضمير للنفس. وقوله (فتعدَّتِ): بكسر التاء للقافية، من التعدِّي، وهو الظلم؛ لأنّه مجاوزة عن حدود الشرع.

٨٧- وَكَيْفَ بِحُبِّي وَهْوَ أَحْسَنُ خُلَّةٍ   تَفُـوْزُ بِـدَعْوَى وَهْـيَ أَقْـبَحُ خَلَّـةِ

(وكيف:) اسم استفهام، أي: على أي كيفيّة. (بحُبِّي): أي بسبب حبِّي بالضمّ، أي: محبَّتي. قوله (وهو): أي حُبِّي. (أحسن خُلَّة): بالخاء المعجمة، أي: صداقة ومحبّة. قال في المصباح: «الخَلّة: الصداقة، بالفتح، والضم لغة». وفي الصحاح: «الخُلَّة: الخَليل يستوي فيه المذكَّر/ [١١٣/ أ] والمؤنّث»؛ لأنّه في الأصل مصدر قولك خليل بيِّن الخلّة. يعني: إنّ محبَّتها أحسن محبّة وأشرفها. وقوله (تفوز): أي تزعم أنّك فزت وظفرت بشيء عظيم؛ وإنّما هو (بدعوى): أي مجرّد دعوى للمحبّة لا حقيقية لها. وقوله (وهي): الدعوى. (أقبح خَلَّة): بفتح الخاء المعجمة، أي: خصلة؛ فإنّ الدعوى الكاذبة تسوِّد وجه المدعي فتكون أقبح ما يكون من الخصال.

٨٨- وَأَيْنَ السُّهَى مِنْ أَكْمَهٍ عَنْ مُرَادِهِ   سَـهَا عَمَهَـاً لَكِـنْ أَمَانِيْـكَ غَـرَّتِ

(وأين): اسم استفهام، يطلب به تعيين المكان. و(السُّهى): بالضم، كوكب

خفي في بنات نعش الكبرى. والناس يمتحنون به أبصارهم، وفي المثل «أُريها السُّها وتريني القمر» كذا في الصحاح. وقوله (من أَكْمَه): كَمِهَ كَمَهاً، من باب تَعِب، فهو أَكْمَه. والمرأة كَمْهَاء، مثل أَحْمَر وحَمْرَاء، وهو العَمَى يولد عليه الإنسان، وربّما كان من عرض، كذا في المصباح. كنّى بذلك عن الغافل المحجوب الذي ولد كذلك، واعتاد السلوك مع الغافلين المحجوبين فيما هم عليه من المسالك، كما أنّه كَنّى بالسهى عن الكوكب الخفي في سماء الغيب والحضرة المنزّهة عن مشابهة الأكوان المقدّسة عن النقص والعيب. وقوله (عن مراده): أي عن مراد ذلك الأكمه. (سَهَا): أي أدركه السهو أيضاً زيادة على ما هو فيه من الكَمَه. وتقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر. يعني: لم يسهُ عن غير مراده، بل هو متذكّر للأغيار، منهمك فيما يظهر له من أنواع الآثار. وقوله (عَمَهاً): منصوب على التمييز من نسبة السهو إليه، قال في المصباح: «عَمِهَ في طغيانه عَمَهاً، من باب تَعِب: إذا تردد مُتَحَيِّراً، وتَعَامَهَ مأخوذ من قولهم: أرض عَمْهَاء: إذا لم تكن فيها أَمَارات تدلّ على النجاة فهوعَمِهٌ، وأَعْمَهُ». وقوله (لكنْ): حرف استدراك، من نسبة قصد ذلك له، والتعمّد فيه. وقوله (أمانيكَ): بفتح الكاف خطاب له، والأماني: جمع أُمنية بالضمّ، اسم مَن قولك مَنَى اللهُ الشيءَ، من باب رَمَى: قَدَّرَه. والاسم المَنَا، مثل العَصَا. وتَمَنَّيْتُ كذا، قيل: مأخوذ من المَنَا؛ وهو القَدَر؛ لانّ صاحبه يُقَدِّرُ حصوله، والاسم المُنْيَة والأُمْنِيَة. وجمع الأولى: مُنَىً، مثل غُرْفَة وغُرَف. وجمع الثانية: الأَمَاني، كذا في المصباح. وقوله (غرَّت): بكسر التاء للقافية. يعني: سبب السهو والعَمَه غرور الأماني لك، والتمنيات المستحيلة على أمثالك؛ فتطلب منِّي إدراك ما لا يدرك بالبصائر والأبصار، مع ضعف بصيرتك، وقلّة استعدادك. وفيه تنبيه للسالك على بعد المناسبة بينه وبين مطلوبه؛ ليرى الوصول من فضل الله ، لا من استعداده واستحقاقه، وإن كان في الواقع كذلك؛ فإنّ إعطاء الاستعداد أيضاً إنّما هو من فضل الله وكرمه لاغير، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٨٩- فَقُمْتَ مَقَامَاً حُطَّ قَدْرُكَ دُوْنَهُ عَلَى قَدَمٍ عَنْ حَظِّهَا مَا تَخَطَّتِ

(فقمتَ): بفتح التاء، خطاب له من المحبوبة. (مقاماً): منصوب على الظرفيّة، أي: في مقام، وتنكيره للتعظيم. وقوله (حُطَّ): بضمّ الحاء المهملة وتشديد الطاء المهملة، فعل ماض مبني للمفعول، أي أَنزلَ وأَسْقَطَ. (قَدْرُكَ): بالرفع، نائب الفاعل، والقَدْرُ بسكون الدّال المهملة وبفتحها: الحُرْمَة والوَقَار، يقال: ما له عندي قَدْر ولا قَدَر، أي: حُرْمَةٌ ووقار، كذا في المصباح. وقوله (دونه): أي دون ذلك المقام. وقوله (على قَدَمٍ): بالتحريك، متعلّق بقمت، وأفردها لأنّ الإنسان إذا قام على قدم واحدة لا يمكنه المشي لها، ولا التحوّل من مكانه فيقف من غير سير في طريق وإنْ عبد الله تعالى في ذلك الوقوف على القدم، وأجهد نفسه في الطاعة ما لم يسر بوضع قدمه الآخر الروحاني، ويرفع قدماً، ويضع قدماً في طريق الله تعالى، فينفي ويثبت، ويفنى ويبقى، ويغيب/[١١٤/ ب] ويحضر، ويصحو ويسكر. وقوله (عن حظها): أي حظّ تلك القدم، وهي مؤنّثة، ولهذا تصغير قديمة بالهاء، و(الحَظُّ): بالحاء المهملة والظاء المعجمة الجَدُّ، وفلان محظوظ، وهو أَحَظُّ من فلان، والحَظُّ: النصيب، كذا في المصباح. والجار والمجرور متعلّق بقوله (ما تَخَطَّتِ): بالخاء المعجمة والطاء المهملة المشدّدة وكسر التاء للقافية، أي: ما تجاوزت تلك القدم عن حَظِّها وغرضها، أي: غرض نفسها، فلا تمشي إلاّ في ما فيه غرضها، ولها فيه لذة عاجلة أو آجلة من لذائذ الدنيا، أو لذائذ الآخرة. يُقال: تَخَطَّيْتُه: إذا تَجَاوَزْتُهُ، ويُقال: تَخَطَّيْتُ رقاب الناس، وتَخَطَّيْتُ إلى كذا، ولا تقل تَخَطَّأْتُ، بالهمز، كذا في الصّحاح. وكنّى بالقدم عن النفس الإنسانيّة كلّها، كما يكنّى بالرقبة عن الإنسان كلّه، قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [٤/ النساء/ ٩٢] وكما كنّى تعالى بالقدم عن السابقة والمنزلة الرفيعة بقوله سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [١٠/ يونس/ ٢] قال البيضاوي في تفسيره: «سابقة ومنزلة رفيعة سُمِّيَتْ قدماً لأنَّ السبق بها، كما سُمِّيَتْ النعمة يداً

لأنّها تُعطى باليد»[1].

٩٠- وَرُمْتَ مَرَاماً دُوْنَهُ كَمْ تَطَاوَلَتْ بِأَعْنَاقِهَا قَوْمٌ إلَيْهِ فَجُذَّتِ[2]

(وَرُمْتَ): بفتح التاء، خطاب له أيضاً، أي: طلبتَ. (مَراماً): أي مطلباً عالياً. ونَكَّرَهُ تعظيماً له. وقوله (دونه): أقرب منه. وقوله (كم تطاولت): أي امتدَّت. (بأعناقها): متعلّق بتطاولت. و(الأَعنَاقُ): جمع عُنُق. والضمير يعود لمتأخِّر لفظاً، متقدِّم رتبة؛ وهو الفاعل، وهو قوله قوم، قال في المصباح: «القَوْم جماعة الرجال، ليس فيهم امرأة، الواحد: رجل، وامرؤ من غير لفظه، والجمع: أقوام، سُمُّوا بذلك لقيامهم بالعظائم والمهمات، ويذكَّر القوم ويؤنَّث؛ فيُقال: قام القوم، وقامت القوم». وتنكير قوم هنا للتعظيم. وضمير إليه راجع إلى قوله مراماً. وقوله (فجُذّتِ) بالجيم المضمومة وتشديد الذال المعجمة المفتوحة، وكسر التاء للقافية، والفاء للفور، والجَذّ: القطع والكسر، وضمير جُذَّتِ للأعناق. وهذه إشارة إلى أنَّ مقام القرب إلى الله تعالى والوصول، وحصول القبول عنده، والازدلاف لديه لا يحصل للسالك ما دام باقياً على تعيينه، واقفاً عند حظوظ نفسه سواء كانت دنيويّة، أو أخرويّة، جسمانيّة، أو روحانيّة. ولا بدّ من فناء النفس والتعين بالكليّة، قال ابن غانم المقدسي قدّس الله سرَّه:

فامحُ العلوم ولا تبقي الرسوم ولا تنظر لأياك لا عيناً ولا أثر

وقال الشيخ إبراهيم بن رفاعة الخليلي قُدِّس سرِّه:

وكم من هامة طاحت فناحت عليها الخيل فانسحقت غباراً

٩١- أَتَيْتَ بُيُوتاً لَمْ تُنَلْ مِنْ ظُهُورِهَا وَأَبْوَابُهَا عَنْ قَرْعِ مِثْلِكِ سُدَّتِ

(أتيتَ): بفتح التاء خطاب له. وكنّى بالبيوت عن المقامات والدّرجات العلية

---

(١) انظر تفسير البيضاوي ج٢ ص٢.

(٢) في (ق): فجدَّتِ.

التي يقصدها السالك فيتَّصف بها في حال سلوكه، كالصبر، والشكر، والرضا، والمحبّة، والمعاينة، والمشاهدة، وأمثالها. أو الحضرات التي يتَّصف بها بعد الوصول من الحضرات الإلهيّة الأسمائيّة والصفاتيّة. وقوله **(لم تُنل)**: بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وبالنون، من نَال يَنال نَيْلاً: إذا بَلَغَ مطلوباً، وضمير **تُنَلْ** عائد إلى قوله بُيُوتاً. وقوله **(من ظهورها)**: أي ظهور تلك البيوت، جمع ظهر، وهو غير الباب من نقب أو فرجة ، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٩] وقوله **(وأبوابها)**: الواوللحال. والجملة في محل نصب على الحاليّة من قوله بيوتاً بعد وصف النكرة بقوله **(لم تنل من ظهورها)** [١١٤/ أ] وقوله **(عن قَرْع)**: بفتح القاف وسكون الراء بالعين المهملة، مصدر قَرَعَ، يُقال: قَرَعْتُ الباب قَرْعاً: طَرَقْتُهُ ونَقَرْتُ عليه، كذا في المصباح. وقوله **(مثلِك)**: بخفض اللام، لأنّه مضاف إليه، والكاف مفتوحة للخطاب. وقوله **(سُدَّتِ)**: بضم السين المهملة وتشديد الدّال المهملة مفتوحة، فعل ماض مبني للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود إلى الأبواب. والمعنى: أبواب تلك البيوت سُدّت عن قرع سالك مثلك فضلاً عن غلقها دونه، فلا يستطيع قرعها؛ لأنّها مسدودة عنه فضلاً عن فتحها له، أو دخوله منها.

٩٢- وَبَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكَ قَدَّمْتَ زُخْرُفاً تَرُوْمُ بِهِ عِزّاً مَرَامِيْهِ عَزَّتِ

(وبين يديّ نجواكَ): بفتح الكاف خطاب له أيضاً. و**(النجوى)**: الاسم من نَاجَيْتُهُ: سَارَرْتُهُ، وتَنَاجَى القومُ: نَاجَى بعضُهم بعضاً، كذا في المصباح. يعني: قبل وصولك إلى مساررتنا ومناجاتنا. **(قدّمتَ)**: بتشديد الدّال المهملة وفتح التاء للخطاب. وقوله **(زُخرفاً)**: مفعول قدَّمت. والزُّخْرُفُ بالزاي المضمومة، وسكون الخاء المعجمة وبالراء والفاء: الزينة المموَّهة. وأصل الزخرف الذهب، ثمّ يشبَّه به كلّ مموَّه. والمزخرَف: المزيَّن، والزخرف من القول: الكذب المزيّن

المموّه. كنّى بذلك عن الكلام الذي يأتي به صاحبه، ولا يكون شرحاً لحاله؛ فالكلام صادق، وصاحبه كاذب. وقوله (**تروم**): أي تطلب. (**به**): أي بذلك المزخرف. (**عِزّاً**): مفعول تروم. والعِزّ: ضدُّ الذُّل. وقوله (**مراميه**): أي مرامي ذلك العِزّ. جمع مرمى، وهو مكان الرمي، وهي المقاصد التي ترمي بالهمم والعزائم، أي: تقصد وتطلب. وقوله (**عزَّتِ**): أي قَلَّتْ أنْ تُنَال، وأنْ يُوصل إليها، أو يُقدر عليها، قال في المصباح: «عَزَّ الشيءُ يَعِزُّ، من باب ضَرَب: لم يقدرعليه». وفي هذا تنبيه للسالك على أنّ الكلمات المزخرفة، والعبارات المزينة التي تحصل بالتعلُّم والتعليم لا يمكن الوصول بها إلى حضرة القرب الإلهيّ؛ وإنّما ذلك بالعمل الصالح، والفناء في الله.

٩٣- وَجِئْتَ بِوَجْهٍ أَبْيَضٍ غَيْرِ مُسْقِطٍ لِجَاهِكَ فِي دَارَيْكَ خَاطِبَ صِفْوَتِي

(**وجئتَ**): بفتح التاء، خطاب له أيضاً. يعني: جئتَ إلى حضرتنا. (**بوجه أبيض**): كناية عن المدح بين الناس، والوصف عندهم بأكمل الأوصاف، كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ ﴾ [٣/آل عمران/١٠٦] الآية. وقوله (**غيرِ مسقطٍ**): بخفض غيرِ على أنّه صفة لوجه، أو بالنصب على الحال من فاعل جئت، وهو التاء ضمير المخاطب. و(**مُسْقِط**): مضاف إليه بصيغة اسم الفاعل، من أسقط، قال في المصباح : «سَقَطَ سُقُوْطاً: وقع من أعلى إلى أسفل. ويتعدّى بالألف فيقال: أَسْقَطْتُهُ». وقوله (**جاهك**): متعلّق بمسقط، وبفتح الكاف، خطاب له. والجاه: القَدْرُ والمَنْزِلَة. وقوله (**فِي دَارَيْكَ**): أصله في دارين لك، بفتح الراء، تثنية دار، فأضيف إلى الكاف، فحذفت النون؛ والمراد في دار الدنيا وفي دار الآخرة. والمعنى: جئت إلى حضرتنا ووجهك الذي تواجه به الناس أبيض، يرون منك كمال الأوصاف الحسنة، ولم يسقط جاهك وقدرك عندهم في الدنيا والآخرة لِتَقَيُّدِكَ بفعل ما يرضونه منك، كما قال تعالى: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ [٤/النساء/ ١٠٨]. وقوله (**خاطِب**): بصيغة اسم الفاعل، من

خطب العروس: إذا طلب أن يتزوّج بها، وهو منصوب حال من فاعل جئتَ. (صِفْوَتِي): مضاف إليه. والصِّفوة بكسر الصاد المهملة، وحُكِيَ بالتثليث فيها، صِفوة الشيء: خالصه، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «وصَفْوة الشيء خالصه»، ومُحَمَّدٌ صَفوة الله من خلقه ومصطفاه/ [١١٤/ ب] وكنّى بالصفوة هنا عن حضرة الذات العليّة التي هي خالصة مجموع الصفات والأسماء. يعني: من يطلب لقائي يلازم طريق الفقر، والفقر سواد الوجه في الدارين، كما ورد في الأثر. وذلك كناية عن سقوط الجاه والقدرعند الناس.

٩٤- وَلَوْ كُنْتَ بِي مِنْ نُقْطَةِ البَا خَفْضَةً رُفِعْتَ إِلَى مَا لَمْ تَنَلْهُ بِحِيْلَةِ

(ولو كنت): بفتح التاء، خطاب له من المحبوبة الحقيقيّة، أي: لو وجدتَ، من كان التامَّة، إشارة إلى عدم التعمّد في ذلك والتكلُّف، كما قال تعالى لنبيّه عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [٣٨/ ص/ ٨٦] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّا وأتقياء أمّتي براء من التكلُّف»[1] . أو من كان الناقصة، أي: اتصفت بالانخفاض لي. وقوله (بي): أي لا بنفسك، كما قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [٩٦/ العلق/ ١] وقال تعالى: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [١١/ هود/ ٤١] وقوله (من نقطة البا): بيان لكونه به. وقوله (خفضة): منصوب على التمييز لقوله من نقطة البا؛ فإنّ الباء حرف علوي وانحراف ربّاني منزَّه عن نقطة الأكوان، وقد امتدّ عن الألف التي تألف بها كلّ شيء، فقالت له الحضرة الغيبيّة، والمحبوبة الحقيقيّة لو كنت قائماً بي لا بنفسك، منخفضاً بالفناء عن وجودك الذي تدّعيه فإنّه وجودي لا وجودك، ولكن لا تعيه». كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: «الباء ظهرالوجود، وبالنقطة تميّز

(١) ذكره الشوكانيّ في الفوائد، ٧٤، بلفظ: أنا وأتقياء أمّتي براء من التكلّف وقال: «قال النووي: ليس بثابت. وقال في المقاصد: روى معناه بسند ضعيف». ولكن يؤيّد معناه ما رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام بالكتاب، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، ٧٢٩٣، بلفظ: عن أنس قال كنّا عند عمر فقال: نهينا عن التكلّف.

العابد من المعبود؛ فأوّل ما خلق الله تعالى العقل فتعيَّن عند نفسه بالنقطة التي هي تعينه الذي به تميّز عن معبوده وهي التي لأجلها شقّ عن قلب نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم وغسل منها ليلة المعراج، وكان يقول صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليُغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله أكثر من مائة مرّة»[1] . وقال في ذلك العارف بالله أبو الحسن الشاذليّ قُدِّس سِرُّه: «هو غين أنواره، لا غين أغياره، فتختلف النقطة العقليّة بحسب غلبة الأحوال الإنسانيّة، وتعلو وتسفل، وتطلع وتأفل، وكمالها في نقصانها، ورفعها في خفضها بفناء روحها وجسمانها». وقوله (رُفعتَ): بفتح التاء خطاب له، والفعل مبني للمفعول. ونائب الفاعل ضمير المخاطب، وقوله (إلى ما): أي مقام عالي. (لم تنله): أي تصل إليه بحيلة من الحيل، لا بذكر، ولا بفكر، ولا بعلم، ولا بعمل، إلّا بمحض فضل من الله تعالى، وأوفر مِنّة منه، وكرمٍ، والذكر، والفكر، والعلم، والعمل، أسباب لحصول الإخلاص، والتقوى، والورع، والزهد، والصبر، والشكر، ونحو ذلك من الأحوال والمقامات، وهي أسباب لحصول المراقبة، والمشاهدة، والمعاينة، والمعرفة، والتحقيق، وعين اليقين، وهذه أسباب لظهور حقائق الأمر الإلهيّة والصفات الربّانيّة في الحقيقة الوجوديّة؛ فيفضي من لم يكن، ويبقى من لم يزل.

وبعد فناء الأكوان يظهر المتجلِّي على العرش الرحمن، والله الموفِّق، وهو الحقيقة والمتحقّق.

٩٥- بِحَيْثُ تَرَى أَنْ لَا تَرَى مَا عَدَدْتَهُ وَأَنَّ الَّذِي أَعْدَدْتَهُ غَيْرُ عُدَّةِ

(بحيث): متعلِّق برُفعتَ في البيت قبله. وحيث ظرف مبني على الضمّ. وقوله **(ترى)**: أي تعلم؛ وهي الرؤية القلبيّة، والخطاب للناظم - قُدِّس سرُّه - من المحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(أن لا ترى)**: أي لا تجد. **(ما)**: أي الذي. **(عددته)**: من

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

العدّ، وهو الإحصاء، قال في المصباح: «عَدَدْتُهُ عَدّاً، من باب قتل، والعَدَد بمعنى المَعْدود». والمراد: ما عددته من أعمالك الصالحة، وأحمالك الفالحة، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٠] فإذا ارتفع فلا يراه العبد. وإذا لم يرتفع فيكون نصب عينه فيتكبّر به على غيره، ويُرائي الناس به، ويعجب به، إلى غير ذلك من المفاسد المترتِّبة على العمل غير المقبول، كما ورد في الأثر في حقِّ المسيء/ [١١٥/ أ] صلاته أنّها تُلَف كما يُلف الثوب الخَلِق ويُضرَب بها وجهه، ولهذا تكون مواجهة له، فيراها في كلِّ حين. وقوله (**وأنَّ الذي**): أي وترى أنّ الذي. (**أعددته**): أي حصّلته، وهيئته من الأعمال والأحوال. (**غير عدّةٍ**): أي ليست بأمر مهيَّأٍ ولا محضر، أو ليست بعدّة لك، أي: سلاح تقاتل به عدوَّك: الشيطان، والهوى، والدّنيا، قال في المصباح: «العُدَّةُ بالضمّ: الاستعداد والتأهّب، والعُدّة: ما أعددتَه من: مال، أو سلاح، أو غير ذلك، والجمع عُدَد، مثل غُرْفَة وغُرَف، وأَعْدَدْتُهُ إعْدَاداً: هيَّأْتُه، وأحضرته.

٩٦- وَنَهْجُ سَبِيلِي وَاضِحٌ لِـمَنِ اهْتَدَى ... وَلكِنَّهَــا الأهْــوَاءُ عَمَّــتْ فَأعْمَــتِ

(**النَّهْجُ**): بسكون الهاء، الطريق الواضح. و(السبيل): الطريق، يذكَّر ويؤنّث، قال تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [١٢/ يوسف/ ١٠٨] فأنّث. وقال: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٦٢] فذكَّر، كذا في الصحاح. وإضافة نهج إلى سبيل كإضافة جرد قطيفة، أي: قطيفة جرد. وسبيل نهج أي: طريق واضح. وقوله (**واضح**): أي: ظاهر لا خفاء فيه على أحد. وقوله (**لمن اهتدى**): أي ذلك الوضوح إنّما هو عند مَنْ هداه الله تعالى فاهتدى. وقوله (**ولكنَّها**): بتشديد النون، والهاء ضمير القصّة والحالة. وفي نسخة ولكنّما، فما كافَّة. وقوله (**الأهواء**): جمع الهوى، قال في الصحاح: «والهَوَى، مقصور: هوى النفس. والجمع الأَهْوَاء». وهو ميل النفس إلى الشهوات واللذائذ الدنيويّة والأخرويّة. وقوله :(**عمّتْ**) يقال: عَمَّ المطرُ وغيرُه عُمُوماً، من باب

قَعَدَ؛ فهو عامٌّ، كذا في المصباح، أي: شملت الأهواء ظاهرالعبد وباطنه، واستغرقت حسّه وعقله. وقوله (**فأعمَتِ**): بكسر التاء للقافية، قال في الصحاح: «العَمَى: ذهاب البصر. وقد عَمِيَ؛ فهو أَعْمَى، وأَعْمَاهُ الله». يعني: إنّ الأهواء والأغراض النفسانيّة لّما عمّته واستولت على باطنه وظاهره أعمتْ بصيرته؛ فلا يرى طريق الحقّ الواضح، ويظهر منه مقتضاه، وكلّ إناء بما فيه ينضح.

٩٧- وَقَدْ آنَ أَنْ أُبْدِي هَوَاكَ ومَنْ بِه ضَنَاكَ بِمَا يَنْفِي ادِّعَاكَ مَحَبَّتِي

(**قد**): للتحقيق و(**آنَ**): بمدِّ الهمزة، قال في المصباح: «آنَ يَئِيْنُ أَيْناً، مثل حَانَ يَحِيْنُ حَيْناً، وزناً ومعنىً». وقوله (**أن أُبدي**): أي أظهر هواكَ بفتح الكاف، خطاب له، أي: محبّتك. وقوله (**ومَن به**): أي وأبدي أيضاً بمعنى أظهر المحبوب الذي بسببه ضناكَ، خطاب له أيضاً. و(**الضنى**): مصدر قولك ضَنِي ضَنَىً، من باب: تَعِب، مَرِضَ مَرَضاً ملازماً حتى أشرف على الموت، كذا في المصباح. وقوله (**بما**): أي بدليل قاطع ينفي عندك وعند غيرك. (**ادّعاكَ**): بفتح الكاف، خطاب له أيضاً. و(**الادّعا**): بالقصر للوزن، وأصله ممدود، مصدر ادَّعَى يَدَّعِي ادِّعَاءً، والادِّعَاء قد يكون باللسان، وقد يكون بالقلب. وقوله (**محبَّتي**): مفعول المصدر؛ وهو الادّعاء. قال القائل فيمن يعصي ويدّعي المحبّة بلا طائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبَّه هذا لعمري في القياس شنيعُ
لو كان حبُّك صادقاً لأطعته إنّ المحبّ لمن يحبُّ مطيعُ

٩٨- حَلِيْفُ غَرَامٍ أَنْتَ لَكِنْ بِنَفْسِهِ وَإِبْقَاكَ وَصْفاً مِنْكَ بَعْضُ أَدِلَّتِي

(**حليف**): بالحاء المهملة، أصله: المعاهد، يقال منه: تحالفا إذا تعاهدا وتعاقدا. والمراد هنا ملازم غرام. والغرام بالغين المعجمة: المحبّة الملازمة للقلب. وقوله (**أنت**): خطاب له. ثمّ قال (**لكن**): حرف استدراك. وقوله (**بنفسه**): متعلّق بحليف. يعني: صدقت، أنت حليف غرام، وصاحب محبّة زائدة، لكن محبّتك

لنفسك؛ فمحبوبك نفسك؛ لأنّكَ تريد الوصال، واللقاء، والرؤية، وذلك حظُّها، فأنت ساعٍ في تحصيل حظوظها/ [١١٥/ ب]؛ وذلك من زيادة محبَّتكَ لنفسك. وقوله (وأَبقاك): مبتدأ، وخبره بعض. والإبقاء بكسر الهمزة مصدر مضاف إلى كاف الخطاب المذكَّر، أي: إبقاؤك، وقُصر للوزن. وقوله (وصْفاً): مفعول المصدر. و(منكَ): الجار والمجرور صفة للنكرة. وقوله (بعض أدلَّتي): أي من جملة أدلّتي التي تنفي دعواك محبَّتي، وتثبت أنّك محبّ لنفسك؛ لا لي إبقاؤك. (وصفاً): واحداً من أوصافك؛ فإنّ الوصف إذا بقي دلّ على بقاء الموصوف به. والموصوف به هو نفسك؛ فأنت محبّ لها ساعٍ في تحصيل حظوظها، ولذائذها، وشهواتها، ومن جملة ذلك وصالي ورؤيتي، والقرب إلى حضرتي؛ فإنّك تطلب ذلك مني لأجل محبوبتكَ التي هي نفسك، لا لأجلي؛ ولهذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذليّ قدّس الله سرَّه: «من أقطع القواطع عن الله شهوة الوصول إلى الله» وصدق في ذلك رضي الله عنه؛ لأنَّ شهوة الوصول إلى الله تعالى من جملة حظوظ النفس، وحظوظ النفس هي القواطع.

٩٩- فَلَمْ تَهْوَنِي مَا لَـمْ تَكُـنْ فِيَّ فَانِيَاً ... وَلَـمْ تَفْـنَ مَـا لَمْ تُجْتَلَى فِيْكَ صُوْرَتِي

(فلم تهوني): أي لست أنت محبّاً لي ما لم تكن. (فيَّ): بتشديد الياء، جار ومجرور متعلّقان بفانياً، خبر تكن، واسمها ضمير المتكلّم. و(ما): ظرفيّة مصدريّة. والمعنى: لستَ محبّاً لي مدَّة عدم كونكَ فانياً في محبَّتي، فإذا فنيتَ في محبَّتي فأنت تحبُّني حينئذٍ. وقوله (فيَّ فانياً): إشارة إلى أنَّ الفناء المطلوب حصوله في هذا المقام ليس انعداماً محضاً؛ بل انعدام التعين والأنانيّة كانعدام تعين قطرات الماء في البحر عند وصولها إليه، وانعدام الموجات والفقاقيع عند ذهابها من الماء بسكون الريح المثير لها. وقوله (ولم تفنَ): بيان للمراد من الفناء. يعني: لا يمكنك الفناء المطلوب ما لم. (تُجتلى): بضم التاء الأولى، مبني للمفعول، من الانجلاء؛ وهو الانكشاف. وقوله (فيكَ): أي في نشأتك كلِّها ظاهراً وباطناً. وقوله (صورتي): نائب الفاعل لقوله

تُجتلى. والمعنى: لا يمكنك الفناء مدّة عدم اجتلائك، أي: كشفك صورتي فيك، وفيه إشارة إلى أنّ تلك الصورة التي تنكشف لك هي صورتكَ التي تدَّعي أنّها لك، فليس تجلِّي الحقّ سبحانه على العبد من خارج ذات العبد أصلاً. وهذا مما لا يكون، والجاهل بالله يظن أنّه رآه في الخارج عن نفسه لشهوده إياه في صورة مثاليّة خارجة عن صورته، وهو المنزّه عن ذلك كلّه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

١٠٠ - فَدَعْ عَنْكَ دَعْوَى الحبّ وَادْعُ لِغَيْرِهِ فُؤَادَكَ وَادْفَعْ عَنْكَ غَيَّكَ بِالّتِي

(دع): أي اترك. (عنكَ): بفتح الكاف، خطاب له. (دعوى الحبّ): بالضمّ، أي: المحبّة لي، وارفع هذه الدعوى من قلبك بالكليّة. وقوله (وادع لغيره): أي إلى غيره، أي: غير الحبّ، أي: حبِّي الذي تدّعيه، قال الراغب[1]: «الدّعاء إلى الشيء: الحثّ على قصده» قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [١٠/ يونس/ ٢٥]. وقوله (فؤادك): مفعول ادعُ، والكاف حرف خطاب له. وقوله (وادفع عنك): أي أزل من قلبك. (غيَّكَ): بفتح كاف الخطاب فيهما. والغَيُّ: الضَّلال والخَيبة، كما في الصحاح. ولا شك أنّ دعوى النفس للمحبّة الإلهيّة كذب منها، فإنّ تلك المحبّة في نفس الأمر تراجعه إليها، لا إلى ربِّها؛ فإنّها تحبّ ربّها لنفسها كي تلتذّ برؤيته ومشاهدته وتنتفع برضوانه وهدايته كمن يحبّ المأكل، والشراب، والمناكح، والمساكن، والملابس، ونحو ذلك؛ فإنّه في نفس الأمر إنّما يحبّ نفسه فيسعى في تحصيل ما يلائمها ويدفع عنها ما لا يلائمها، والدعوى الكاذبة قبيحة مذمومة، فهي ضلال عن المقصود، وخيبة وحرمان. وقوله (بالّتي): اكتفاء، أي: بالّتي هي أحسن،/ [١١٦/ أ] كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [١٦/ النحل/ ١٢٥] أي: بالحالة التي هي أحسن الحالات، والمراد بالحالة هنا التي هي أحسن فناء

---

(١) هو الحسين بن محمّد بن المفضل، الإمام أبو القاسم الراغب الأصفهانيّ، تُوفي ٥٠٢ هـ. أديب من الحكماء العلماء، له التفسير الكبير في عشرة أسفار، وله مفردات القرآن لا نظير له في معناه، انظر البلغة في أئمّة النحو واللغة للفيروزآبادي ج١ ص١٩، والأعلام للزركلي ج٢ ص٢٥٥.

النفسيّة بالكليّة حتى يكون العبد صادقاً في محبّة الله تعالى بأنْ يعرف نفسه بنفسه، وذلك بأن ينكشف له بأنّه كلّه ظاهراً وباطناً مجرّد فرض، وتقدير ذلك هو التخليق الإلهيّ كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] فإنّ قوله قدَّره بيان لقوله خلق، وهو الخلق الأوّل القديم، كما قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] فالخلق الأوّل هو التقدير الأزليّ الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل كما قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [٥٠/ ق/ ٢٩]. والخلق الثاني وهو الخلق الجديد، هو الذي يتغيَّر ويتبدّل قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩]. يعني: في الخلق الجديد. ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩]. يعني: في الخلق الأوّل والتغيير، والتبديل والمحو والإثبات مقدر في الخلق الأوّل، فيظهر في الخلق الجديد، فلا تغيير ولا تبديل، ولا محو ولا إثبات في نفس الأمر، وإنّما الخلق الثاني هو التجلّي الوجود الحقّ، الواحد الأحد، وانكشافه محيطاً بكلِّ شيء، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [٤/ النساء/ ١٢٦] وهو من وراء كلّ شيء، كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠]. وكلّ شيء هو عين الخلق الأوّل، وهو التقدير الأزليّ، وهذا الخلق الثاني هو الخلق الجديد الذي هم في لَبْس منه، كما قال تعالى. واللبس هو الالتباس عليهم حيث قال هم، ولا لبس في نفس الأمر، فإذا تحقّق العبد بمعرفة نفسه وزال عنه الالتباس بالوجود المتجلّي عليه، الواحد الأحد، الذي أمره إذا أراد شيئاً أنْ يقول له كن فيكون، أي: أوجِد فيوجد. يعني: شيئاً من الخلق الأوّل في الخلق الثاني، الذي هو الخلق الجديد، الذي هم في لبس منه، ومَن تحقّق بما قلناه عرف معنى الفناء الذي أجمع عليه جميع العارفون، وأوقفوا عليه معرفة الله تعالى، وعلى معرفة الله تعالى، وعلى المعرفة تتوقّف المحبّة الإلهيّة.

١٠١- وَجَانِبْ جَنَابَ الوَصْلِ هَيْهَاتَ لَمْ يَكُنْ   وَهَا أَنْتَ حَيٌّ إِنْ تَكُنْ صَادِقاً مُتِ

(وجانب): فعل أمر من المجانبة، وهي المباعدة، أي: باعد. وقوله (جناب):

مفعول جانب، والجَنَاب بالفتح، يقال: جناب الحقّ، وجناب السلطان، أي: جانبه، وقد أضيف هنا إلى الوصل لشرفه وعظمه بكونه وصل الحقَّ تعالى، المكنّى عنه فيما سبق بالحضرة المحبوبة؛ لأنّه ظهور وتجلٍّ للعبد، على مقدار استعداد العبد؛ فهو حضرة محبوبة للعبد، لا هو هو على ما هو عليه في نفس الأمر؛ فإنّ ذلك لا يكون إلّا بتجلٍّ منه له تعالى لا لغيره، وهذا الظهور والتجلّي بحسب الاستعداد يسمى قرباً ودنوّاً، ونحو ذلك. ثمّ قال (**هيهات**): اسم فعل بمعنى بَعُدَ، وفيها لغات خمس عشرة ذكرها ابن مالك في (تسهيله)، الأولى: هيهاتَ، بفتح التاء، والثانية: هيهاتُ بضمِّها، والثالثة: هيهاتِ بكسرها، والرابعة: هيهاةً بفتح مع تنوين، والخامسة: بضمّ مع تنوين، والسادسة: بكسر مع تنوين، والسابعة: ايهات بفتح الهمزة، وفيها الست لغات(كذا) المذكورة، والثالثة عشر: إيهاتِ، بكسر الهمزة، والرابعةعشر: إيهاه بكسر الهمزة، وبالهاء عوض التاء، والخامسة عشر إيهاكَ، بكسر الهمزة، وبالكاف المفتوحة عوض التاء. وقوله (**لم يكن**): أي الوصل. وها: حرف تنبيه، تقول: ها أنتم هؤلاء. وقوله (**أنت حيّ**): أي متّصف بالحياة عند نفسك فتنبَّه لذلك. ثمّ قال (**إن تكن صادقاً**)/ [١١٦/ ب] في دعواك المحبَّة لنا (**مُتِ**): وهو فعل أمر مبني على السكون، حركت التاء بالكسر للقافية، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: مات ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ أي: الموت في سلوكه ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٣] من فطرتهم التي فطروا عليها.

١٠٢- هُوَ الحُبّ إِنْ لَمْ تَقْضِ لَمْ تَقْضِ مَأرَباً   مِنَ الحِبّ فَاخْتَرْ ذَاكَ أَوْ خَلِّ خُلَّتِي

(**هو**): ضمير الشأن مبتدأ.(**الحُبّ**): بضمِّ الحاء المهملة، بمعنى المحبّة، خبر المبتدأ. وقوله (**إنْ لم تقضِ**): من قضى، مات، قال في الصحاح: «ضربه فقضى عليه، أي: قتله، كأنّه فرغ منه. وسُمٌّ قاضٍ، أي: قاتل، وقضى نحبه قضاء: أي

مات». وقوله (لم تقضِ): أي لم تنل، ولم تبلغ مأرباً، أي: وطراً وحاجة، قال في المصباح: «قَضَيْتُ وَطَرِي: بَلَغْتُهُ وَنِلْتُهُ، وقَضَيْتُ الحاجةَ كذلك». وقوله (من الحِبّ): بكسر الحاء المهملة، أي: المحبوب، قال في المصباح: «أَحبَبْتُ الشيءَ، بالألف، وحَبَبْتُهُ من باب ضرب. والحُبّ يعني - بالضمّ - اسم منه» وهو ميل القلب إلى الشيء، وقد يكون بالتفضيل له على غيره؛ فهو محبوب، وحبيب، وحِب بالكسر. وقوله (فاخْتَرْ): فعل أمر، قال الراغب في مفرداته: «الاختيار: طلب ما هو خير وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيراً وإنْ لم يكن [خيراً]». وقوله (ذاك): إشارة إلى أنه يقضي، أي: يموت. وقوله (أو خَلِّ): بالخاء المعجمة وتشديد اللام، أي اترك، من قولك: أَخَلَّ الرجلُ بكذا: تركه ولم يأتِ به، كما في المصباح. وقال الراغب: «خليتُ فلاناً: تركته في خلاء، ثمّ يقال لكل ترك تخلية، نحو: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ٥] وقوله (خُلَّتي): بضمّ الخاء المعجمة وتشديد اللام، قال الراغب: «الخُلّة المودّة إمّا لأنّها تخلل النفس، أي: تتوسطها وإمّا لأنّها تخلّي النفس فتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية».

١٠٣ - فَقُلْتُ لَهَا رُوْحِي لَدَيْكِ وقَبْضُهَا إِلَيْـكِ وَمَـا لِي أَنْ تَكُـوْنَ بِقَبْـضَتِي

(فقلت لها): أي للمحبوبة الحقيقيّة في جواب ما قالته هي له في الأبيات السابقة، وهذا القول منها له، ومنه لها بطريق الإلهام، وهوإلقاء المعنى في القلب من حضرة الغيب الحق على الكشف والبصيرة. وقوله (روحي لديكِ): بكسر الكاف، أي: عندك، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقوله (قبضها): أي قبض الروح، بمعنى سلبها وأخذها إليكِ بكسر الكاف، أي: موكول إليك، ومفوّض إلى أمرك قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَـا ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٤٢] الآية. وقوله (وما لي): ما استفهاميّة، بمعنى أيّ شيء لي. يعني: يا ليتها. (أنْ تكون): أي الروح. (بقبضتي): أي في يدي يمكنني أن أتصرّف فيها فأسلمها إليك طوعاً واختياراً.

١٠٤ - وَمَا أَنَا بِالشَّانِي الوَفَاةَ عَلَى الهَوَى وَشَـانِي الوَفَـا تَـأْبَى سِـوَاهُ سَـجِيَّتِي

(وما): نافية. وقوله (**بالشّاني**): الباء زائدة في خبر ما، كما زيدت في خبر ليس، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٤٩] و(**الشاني**): بالشين المعجمة بمعنى العائب، ويجوز أن يكون الشاني أصله **الشانئ** بالهمز، فخفف بإبدال الهمزة ياء، قال في المصباح: «شَنِئْتُهُ أَشْنَؤُهُ، من باب تعب، شَنْأً، مثل فَلْس، وشَنْآناً بفتح النون وسكونها: أبغضته، والفاعل شانِئ». قال في المصباح: «شَانَهُ شَيْناً، من باب باع: عابه/ [١١٧/ أ] والشين خلاف الزين». و(**الشاني**): اسم فاعل يضاف إلى مفعوله، أو ينصب المفعول. و(**الوفاة**) مفعوله. وقوله (**على الهوى**): أي المحبّة. والجار والمجرور محلّه النصب حال من الوفاة. و(**الوفاة**): الموت. يعني: ما أنا بعائب الموت في طريق الهوى والمحبّة، أو ما أنا بمبغض الموت في ذلك، ولا كاره له. ثمّ قال (**وشاني**): أصله شأني، بالهمز على الألف، فحذف الهمز تخفيفاً، قال الراغب: «الشأن الحال والأمر الذي يتقن ويصلح، ولا يُقال إلّا في ما يعظم من الأحوال والأمور». وقوله (**الوفا**): وهو ضدّ الغدر، يقال: وفَى بعهده وأوفى بمعنىً، كذا في الصحاح. وقوله (**تأبى**): من« الإباء بالكسر، مصدر أَبَى يَأْبَى، بالفتح - وفيهما مع خلوِّه من حروف الحلق، وهو **شاذ** - أي: امتنع، كذا في الصحاح. وقال الراغب: «الإباء شدَّة الامتناع؛ فكلّ إباء امتناع، وليس كلّ امتناع إباء». وقوله (**سواه**): أي سوى الوفاء، وهو الغدر. و(**سجيّتي**): فاعل تأبى، والسَّجِيَّة بالسين المهملة: الغريزة، والجمع: سَجَايَا، مثل عَطِيَّة وعَطَايَا كما في المصباح. وفي الصحاح: السَّجِيَّة: الخلق والطبيعة. يعني: طبيعتي تأبى الغدر، وعدم الوفاء، وتمنع من ذلك غاية الامتناع.

١٠٥ - وَمَاذَا عَسَى عَنِّي يُقَالُ سِوَى قَضَى فُـلَانٌ هَـوَى مَـنْ لِي بِـذَا وَهْـوَ بُغْيَتِـي

(**وماذا**): ما اسم استفهام، مبتدأ، وذا: اسم موصول، والجملة بعده صلة. و(**عسى**): فعل ماض جامد غير متصرّف، وهو من أفعال المقاربة، وفيه تَرَجٍ وطَمَع،

كذا في المصباح. وقوله (**عَنِّي**): متعلِّق بـ(يقال). وقوله (**سوى قضى**): أي غير قولهم. (**قضى**): أي مات. و(**سوى**): مضاف إلى جملة قضى خبر المبتدأ. و(**فلان**): فاعل قضى، قال في المصباح: «فُلان وفُلَانَة وبغير ألف ولام: كناية عن الأُناسيِّ، وبهما: كناية عن البهائم، فيقال: ركبْتُ الفُلانَ، وحَلَبْتُ الفُلانَة». وقوله (**هَوَىً**): تمييز. والهوى: المحبّة. ثمّ قال (**مَن لي**): أي أين الذي يسعفني بذا؛ إشارة إلى الموت. وهو أي المشار إليه، وهو الموت. (**بِغيتي**): البِغية بكسر الباء الموحّدة وبالغين المعجمة: الحاجة التي تبغيها، وضمّ الباء لغة. وقيل: بالكسر الهيئة، وبالضمّ الحاجة.

١٠٦ - أَجَلْ أَجَلي أَرْضَى انْقِضاهُ صَبَابَةً   وَلَا وَصْلَ إنْ صَحَّتْ لِحُبِّكِ نِسْبَتِي

(**أجلْ**): بسكون اللام حرف جواب مثل نعم. وقوله (**أجلي**): أي مُدّتي. والأجل مدّة الشيء؛ والمُراد هنا مدّة العمر، قال في المصباح: «أَجَلُ الشيء: مُدَّتُه، ووقته الذي يَحِلُّ فيه». وقوله (**أرضى انقضاه**): بالقصر، وحذف الهمزة للوزن، والأصل انقضاءه بالمدّ، مفعول أرضى، والضمير يعود إلى أجلي. والمعنى في تقدير سؤال كأنّه قيل له: هل ترضى بانقضاء أجلك؟. فقال: أجل، أي: نعم أرضى بانقضاء أجلي (**صبابة**): بالنصب على التمييز. وقوله (**ولا وصل**): الواو للحال، وخبر لا محذوف، تقديره حاصل لي ونحوه. وقوله (**إنْ صحَّتْ لحبِّكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. يعني: إلى حبِّكِ. وقوله (**نِسبتي**): فاعل صحّت. والنِّسبَة بالكسر: الاسم، من نَسَبْتُه إليه، من باب قتل: عزوته إليه. وتجمع على نِسَب، مثل: سِدْرَة وسِدَر. وقد تُضمّ، فتجمع، مثل: غُرْفَة وغُرَف، كذا في المصباح. يعني: إن كانت محبّتي لك صحت في نفس الأمر نسبتها إليك، وكانت واقعة عليك؛ لأنّ الممكن المخلوق هل يصحّ أنْ يحبّه الحقّ القديم، الخالق، والمحبّة التي هي صفة العبد مخلوقة، فكيف تقع على القديم ؟! وإنّما هي واقعة على مقدار استعداد العبد من علمه الحادث المتعلّق بالقديم، والأصل في ذلك/ [١١٧/ ب] أنَّ العدم لا يدرك الوجود؛ لأنّه ضدّه، والممكن مادّته العدم،

وصورته العدميّة مستفادة من الوجود بتجلّيه به، قال تعالى: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [٨٢/ الإنفطار/ ٨] فصحَّة نسبة المحبّة من الحادث القديم مشكوك فيها، ولهذا أتى بأن الشرطيّة بدلاً من إذا فقال: (إنْ صَحَّتْ).

١٠٧ - وإنْ لَمْ أفُزْ حَقّاً إلَيْكِ بِنِسْبَةٍ لِعِزَّتِهَا حَسْبِي افْتِخَاراً بِتُهْمَتِي

(وإنْ لم أفز): أي أظفر. وقوله (حقّاً): أي على وجه الحقيقة. (إليكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (بنسبة): متعلّق بأفز، أي: بمناسبة. يعني: إذا لم يكن بيننا هنا نسبة حقيقيّة، لأنّ العدم لا يناسب الوجود أصلاً، ولا بوجه من الوجوه، ولا باعتبار من الاعتبارات. وقوله (لعزّتها): أي النسبة. يعني: لقلّتها، من قولهم عَزَّ الشيء: قلّ، وشاة عزوز: قلّ درّها، كذا في مفردات الراغب. أو من العِزَّة التي هي ضدّ الذلّ، أي: لعظمتها. وقوله (حسبي): أي يكفيني. (افتخاراً): أي أنْ أفتخر افتخاراً. (بتهمتي): متعلّق بافتخاراً. والمعنى: يكفيني افتخاري بتهمتي، أي: بكوني متهوماً بمحبّتي لك بين الناس.

١٠٨ - وَدُوْنَ اتِّهَامِي إنْ قَضَيْتُ أَسَىً فَما أَسَأْتُ بِنَفْسٍ بِالشَّهَادَةِ سُرَّتِ

(ودون اتهامي): أي من غير اتهامي بالمحبّة، وقبل الوصول إلى الاتّهام بها، أي: قضيت، أي: مُتّ، من قولهم قضى فلان، يعني: مات. و(أسىً): تمييز، أي: من جهة الأسى، وهو الحزن. وقوله (فما أسأْتُ): بضمّ التاء، من الإساءة، والسوء وهو فعل القبيح، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ [٣٠/ الروم/ ١٠] وعبّر بالسوء عن كلّ ما يقبح، كذا في مفردات الراغب. وقوله (بنفس): متعلّق بأسأتُ. وقوله (بالشهادة): متعلّق بسُرَّتِ، أي: صارت النفس مسرورة بتحصيل مقام الشهادة في طريق المحبّة، لما روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «مَن عشق فعفَّ فمات مات شهيداً»(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير. وأخرج

---

(١) انظر تخريجه ص١٧٧.

أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «مَن عشق فكتم وعفَّ فمات فهو شهيد». وقوله (سُرَّتِ): أصله ساكن التاء، لأنّه فعل ماض مبني للمفعول، وحرِّكت التاء بالكسر لأجل القافية.

١٠٩ - وَلِيْ مِنْكِ كَافٍ إنْ هَدَرْتِ دَمِيْ وَلَمْ أُعَدُّ شَهِيْدَاً عِلْمُ دَاعِي مَنِيَّتِي

(لي): جار ومجرور، خبر مقدّم. و(مِنْكِ): بكسر الكاف متعلّق بكافٍ، قُدِّم للحصر. و(كافٍ): بالخفض والتنوين مرفوع تقديراً على أنّه مبتدأ. وقوله (إنْ هدرتِ): بكسر التاء، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة في المُحِلِّين (دمي): مفعول هدرت. قال في المصباح : «هَدَرَ الدَّمَ هَدْراً، من بابي: ضرب وقتل، وأَهْدَرَ ـ بالألف ـ لغة، وهَدَرْتُهُ من باب قتل، وأَهْدَرْتُهُ: أَبْطَلْتُه، يُستعملان مُتعدِّيين أيضاً. وقوله (ولم أعدُّ شهيداً): الواو للحال، أي: إنْ ذهب دمي هدراً في محبّتكِ، والحال أنِّي لم أكن شهيداً أيضاً؛ لأنّ الشهادة مقام عالٍ، ولحصولها شروط. وقوله (عِلْمُ): مرفوع على أنّه فاعل كافٍ. وجملة (إنْ هدرتِ دمي ولم أعدّ شهيداً): معترضة بين اسم الفاعل وفاعله. وقوله (داعي): مضاف إليه، وهو مضاف إلى منيَّتي. والمنيَّةُ بتشديد الياء التحتيّة: الموت، (وداعي المنيّة): أي المنيّة الداعية. بمعنى الطالبة لصاحبها. والعلم بها مخصوص بالحقِّ سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [٣١/ لقمان/ ٣٤] والمعنى: إنْ هدرت دمي ولم أكن معدوداً من الشهداء فيكفيني منك عملك بوقت موتي التي هو طالب/ [١١٨/ أ] لي فإنَّ شرفي كون داعي منيتي معلوماً لك.

١١٠ - وَلَمْ تَسْوَ رُوحِي فِي وِصَالِكِ بَذْلَهَا لَدَيَّ لِبَوْنٍ بَيْنَ صَوْنٍ وبِذْلَةِ

(ولم تَسْوَ): أي ليست روحي مساوية. (بَذْلَها) مفعول تَسْوَ، والضمير للروح. وقوله (وصالِكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. يعني: إنّ بَذْل روحي في وصالك، ووصالك أمر عظيم الشأن. و(روحي): حقيرة القَدْرِ بكونها منسوبة إليّ، والحقير لا يساوي العظيم. وقوله (لديّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي:

عندي، وهو التواضع المطلوب شرعاً بأنْ يرى نفسه دون كلّ جليس. وقد ورد: «مَن تواضع لله رفعه الله»(١). وأمّا عند الحقّ تعالى فكلّ شيء معتبرعنده، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] الأية. ثمّ قال (لِبَوْنٍ): أي بُعد. (بَيْنَ صَوْنٍ): أي صيانة في وصالك، وعِزّة، وكمال شرف، (وبِذْلَة): بكسر الباء الموحّدة، مثال سِدْرَة: ما يُمتهن من الثياب في الخدمة، والفتح لغة، قال ابن القوطيّة: بَذَلتُ الثوبَ بِذلةً: لم أَصُنْهُ، وابْتَذَلْتُ الشيء: امتهنتُه، كذا في المصباح؛ فإنّ روحي مبتذلة حقيرة بالنسبة إلى وصالك العزيز المنال، العظيم الجلال.

١١١ - وَإِنِّي إِلَى التَّهْدِيدِ بِالمَوْتِ رَاكِنٌ وَمِنْ هَوْلِهِ أَرْكَانُ غَيْرِيَ هُدَّتِ

(وإنّي): أي تحقيقاً أنا إلى التهديد، مصدر هَدَّدَهُ وتَهَدَّدَهُ: تَوَعَّدَهُ بالعقوبة، كذا في المصباح؛ بمعنى التخويف. والجار والمجرور متعلّقان براكن، وبالموت متعلّق بالتهديد (وراكن): أي معتمد، يقال: رَكَنْتُ إلى زيد: اعتمدتُ عليه، وذلك الركون لعلمه بأنّ الوصال لا يحصل له إلّا بعد موته، كما ورد في الأثر: «إنّكم لن تروا ربّكم حتى تموتوا»(٢). وقوله (ومِن هَوْلِه): أي الموت، قال في المصباح: «هَالَنِي الشيءُ هَوْلاً، من باب أَفْزَعَنِي؛ فهو هَائِل». وقوله (أركان): جمع رُكْن، وأركان الشيء أجزاء ماهيّته. وقد أضيفت أركان إلى غيري على معنى أجزاء ماهيّة

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف، باب الجزء الثامن، ٩، ٧/ ٤٧٦.

(٢) قطعة من حديث ذكره السيوطي في جامع الأحاديث، باب: إنّ المشدّدة مع الهمزة، ٩٣٢٣، بلفظ: «إني قد حدّثتكم عن الدجال حتّى خشيت أنْ لا تعقلوا؛ إنّ المسيح رجل قصير، أفحج، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة، ولا حجراء؛ فإنْ أُلبس عليكم فاعلموا أنّ ربّكم ليس بأعور، وإنّكم لن تروا ربّكم حتّى تموتوا». (أحمد، وأبو داوود، ونعيم بن حمّاد في الفتن، وأبو نعيم في الحلية، والضياء عن عبادة بن الصامت). كما أخرجه النسائي في سننه الكبرى، باب: المعافاة والعقوبة، ٧٧٦٤.

ذلك الغير. (هُدّتِ): بضمّ الهاء وتشديد الدال المهملة، والتاء ساكنة، وحُرِّكت بالكسر للقافية.

١١٢- وَلَمْ تَعْسِفِي بِالقَتْلِ نَفْسِيَ[(١)] بَلْ لَهَا بِهِ تُسْعِفِي إنْ أنْتِ أتْلَفْتِ مُهْجَتِي

(ولم تَعْسِفِي): بالعين المهملة بعدها سين مهملة وفاء، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، قال في المصباح: «عَسَفَهُ عَسْفَاً من باب ضرب: أخذه بقوة». وقوله (بالقتل): متعلّق بتعسفي. و(نفس): مفعول تعسفي. (بل لها): أي لنفسي (به): أي بالقتل. (تُسْعِفِي): بتقديم السين المهملة على العين المهملة، قال في المصباح: «أَسْعَفْتُهُ بحاجته إسْعَافاً: قضيتها له، وأَسْعَفْتُهُ: أَعَنْتُهُ على أمره». وقوله (إن أنت): بكسر التاء لخطاب المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (أتلفتِ): أيضاً قال في المصباح: «تَلِفَ الشيءُ تَلَفاً: هَلَكَ؛ فهو تالِف، وأَتْلَفْتُهُ». و(مُهْجَتِي): مفعول أتلف. والمُهجة في الأصل الدم، ويقال: دم القلب خاصّة، يقال: خرجت مُهجته إذا خرجت روحه، كذا في الصحاح. وإتلاف المهجة كناية عن الإهلاك له والإماتة، وذلك كناية عن كشف السالك عن موت العوالم كلّها بظهور سرّ لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، والتحقّق بمعنى قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠] وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [٢/ البقرة / ١٥٤] ومن تحقّق بموت نفسه ظهرت له الحياة الحقيقيّة، حياة ربّه تعالى. وكان حُكي عن شيخنا القطب الصمدانيّ الشيخ عبد القادر الكيلانيّ رضي الله عنه أنّه كان يقول: «لا آكل حتى يقال لي/ [١١٨/ ب] بحياتي: كُلْ. ولا أشرب حتى يقال لي بحياتي: اشرب. ولا أنام حتى يقال لي بحياتي: نم». ومن المعلوم أنّ مَنْ مات في نفسه تحقّق في أفعاله كلّها بحياة ربّه تعالى، كما أنّ مَنْ تحقّق بفناء نفسه عرف وجود ربّه تعالى وتقدّس.

---

(١) في (ق): روحي.

١١٣ - **فَإِنْ صَحَّ هَذَا الفَأْلُ مِنْكِ رَفَعْتِنِي وَأَعْلَيْتِ مِقْدَارِي وأَغْلَيْتِ قِيْمَتِي**

(**فإِنْ صحَ هذا الفأل**): بالفاء والهمزة الساكنة، قال في المصباح: « الفَأْلُ بهمزة ساكنة، ويجوز التخفيف: هو أنْ تسمع كلامنا حسناً فتتيمَّنَ به، وإنْ كان قبيحاً فهو الطِّيَرَة. وجعل أبو زيدٍ الفأل في سماع الكلامين. وتَفَاءَلَ بكذا تَفَاؤُلاً». وقال في القاموس: «الفَأْلُ ضِدُّ الطِّيَرَة، كَأَنْ يسمع مريضٌ: يا سالم، أو طالب: يا واجد، ويستعمل في الخير والشرّ». وأشار بقوله (**هذا الفأل**) إلى قوله في البيت قبله (**إنْ أنت أتلفت مهجتي**) كناية عن موته وإتلافه. وقوله (**منكِ**): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. والجار والمجرورمتعلّقان بصحّ وصحَّة هذا الفأل الذي تفاءل به وقوع الموت له باختياره. وقوله (**رفعتِنِي**): بكسر التاء، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [٩٤/ الانشراح/ ٤] فإذا رُفِع ذكره فَنِيَ؛ فلم يبقَ له ذكر، وصار الذِكْر للحقّ تعالى، كما قال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٤٥]. وقوله (**وأَعْلَيْتِ**): بكسر التاء أيضاً، من العلو، وهو الارتفاع. وقوله (**مقداري**): مفعول أَعليتِ، قال في المصباح: «أَخَذَ بِقَدْرِ حَقِّهِ وبِقَدَرِهِ ـ يعني بسكون الدال المهملة وفتحها ـ أي بمقداره؛ وهو ما يُساويه» وأراد: بإعلاء مقداره هنا جَعْلَ الحُرْمَةَ له، والوَقَار في قلوب المؤمنين، وإفناء جملته عند نفسه؛ بحيث أَرْجعَهُ إلى حضرة العلم القديم من أسفل سافلين. وقوله (**وأَغْلَيْتِ**): بكسر التاء أيضاً، يُقال: غَلَا السِّعْرُ، أي: ارتفع، وكلّ شيء زاد وارتفع فقد غَلَا، كذا في المصباح. وقوله (**قيمتي**): مفعول أَغلتِ.

١١٤ - **وَهَا أَنَا مُسْتَدْعٍ قَضَاكِ وَمَا بِهِ رِضَاكِ وَلَا أَخْتَارُ تَأْخِيرَ مُدَّتِي**

(**وها**): الواو لعطف هذه الجملة على ما قبلها، أو للاستئناف. وقوله (**ها**): بالقصر حرف تنبيه، وهي الدّاخلة على اسم الإشارة نحو: هذا وهذه وهؤلاء. وقوله (**أنا مستدعٍ**): أي طالب، قال في الصحاح: «دَعَوْتُ فُلاناً: صِحْتُ به واسْتَدْعَيْتُهُ». وقوله (**قضاكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وأصله

بالمدِّ، فقصر للوزن، من قضى: إذا حكم. قال في الصحاح: «والقضاء: الحكم، وأصله قضايي» لأنّه من قَضَيْتُ، إلّا أنّ الياء لمّا جاءت بعد الألف هُمِزَتْ. وقوله (وما): أي بالأمر الذي. (به): أي بذلك الأمر. و(رضاكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة أيضاً، و(ما): معطوف على قضاك، أي: ومستدعٍ أيضاً الأمر الذي به رضاك. قال في المصباح: «رَضِيْتُ عنه رضىً مقصور: مصدر محض، والاسم: الرضا، ممدود». وقوله (ولا أختار تأخير مدّتي): أي مدّة عمري، وطول حياتي.

١١٥ - وَعِيْدُكِ لِي وَعْدٌ وَإنجَازُهُ مُنَى   وَلِــيٍّ بِغَـيْرِ البُعْـدِ إنْ يُـرْمَ يَثْبُـتِ(١)

(وعيدكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، والوعيد بالياء مصدر وعده: في الشرّ، والوَعْد ـ بغير ياء ـ في الخير ، قال في المصباح: «وَعَدَه وَعْدَاً يُستعمل في الخير والشرّ، ويُعدَّى بنفسه وبالباء، فيُقال: وَعَدَهُ الخيرَ وبالخيرِ، وشرّاً وبالشرّ. وقد أسقطوا لفظا الخير والشرّ، وقالوا في الخير: وَعَدَه وَعْدَاً وَعِدَةً. وفي الشرّ: وَعَدَهُ وَعِيْداً. فالمصدر فارقٌ، وأَوْعَدَه إيعاداً. وقالوا: الله أوعده خيراً وشراً بالألف أيضاً. وقد أدخلوا الباء مع الألف في الشر خاصة». وقال الراغب : «الوعد يكون في الخير والشر، يقال: وعدته بنفع وضر وعداً وموعداً وميعاداً، والوعيد في الشرّ خاصّة، يُقال منه: أوعدته، ويقال: واعدته وتواعدنا» يعني: إنّ الوعيد بالشرّ/ [١١٩/ أ] من هذه المحبوبة لهذا المحبّ هو عين الوعد بالخير؛ لأنّ الخير والشرّ منها قد استويا عنده لزيادة محبّته لها ولجميع أفعالها. ثمّ قال (وإنجازه): أي الوعد الذي هو وعيد بالشرّ، والإنجاز بالجيم والزاي مصدر أنجزه: إذا عجّل له الوعد. وقوله (مُنى): بضمّ الميم وفتح النون، جمع مُنية، كغُرفة وغُرَف، وهي المأمول والمقصود. وقوله (وليٍّ): بكسر اللام وتشديد الياء، من الولاية؛ وهي القرب على معنى: مُنَى وليٍّ، بالجرِّ وإضافة مُنَى إليه. وقوله

(١) الشطرة الثانية في (ق): «ولي بمهما يُرَمَ في الحبّ يَثْبُتِ».

(**بغير البعد إنْ يُرْمَ**): بالبناء للمفعول، أي: ذلك الوَلِيّ. وقوله (**يَثْبُتِ**): بفتح الياء، أي: يسكن ولا يضطرب، ومفهومه إن يرم بالبعد يضجر ويضطرب ويقْلَق غاية القلق، ويمكن أن يقال: وَلَيّ، بفتح اللام وتشديد الياء التحتيّة، أي: مُطْل لذلك الوعد الذي هو وعيد بالشرّ في مقابلة الإنجاز المذكور، قال في المصباح: «لَوَاهُ بدَيْنِهِ لَيّاً، من باب رمى، ولَيَّاناً أيضاً: مَطَلَه». وقوله (**بغير البُعد**): أي البعد الحاصل في إبعاد المحبوبة للمحبّ؛ فإنّه نوع من المطل أيضاً؛ بل هو أشدّ المطل؛ لأنّه يقتضي مفارقة المحبوبة بالغفلة عنها مع حضورها لديه، وهو الطَّرْد واللَّعْن كما فُعل بإبليس. وقوله (**إن يُرمَ**): بضمّ الياء التحتيّة وسكون الراء وبالميم، نائب فاعله ضمير راجع إلى اللّي المذكور. ومعنى يرمي: يطرح ويلقى، أي: تطرحه المحبوبة، وتلقيه على المحبّ. وقوله (**يَثْبِتِ**): بضمّ الياء التحتيّة وسكون الثاء المثلثة وكسر الباء الموحّدة وكسر التاء للقافية، أي: يثبت من رمى به فيجعله ثابتاً. يعني: ينقله من لَبْس الوجود الذي كان فيه إلى حقيقته الأصليّة التي هو فيها من حيث لا يشعر، وهي مجرد الثبوت بلا وجود، وذلك إيجاد الموجد وتثبيته، كاستحضارنا وتذكرنا للمعاني المحفوظة لنا، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] أي: يجعلهم ثابتين، ضدّ منفيّين، لا موجودين؛ فإنّ الوجود ضدّ العدم، والثبوت ضدّ النفي؛ فقد يكون ثابتاً معدوماً، وهذا معنى تثبيتهم؛ وهو مقام الفناء الذي يشير إليه العارفون، ثمّ قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ﴾ أي: يحيِّر الله ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الغامسين الوجودَ، يدعونه مع الله ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] وهذا إذا كان ذلك اللَّي[كذا] الذي هو المطل بغير البعد. وأمّا بالبُعد فهو مما يقع في الوهم واللبس.

١١٦- وَقَدْ صِرْتُ أَرْجُو مَا يُخَافُ فأَسْعِدِي بِهِ رُوحَ مَيْتٍ للحَياةِ اسْتَعَدَّتِ

(**وقد صرتُ**) بضمّ التاء ضمير المتكلّم. وقوله (**أرجو**): من الرجاء وهو ضدّ اليأس، وقال في الصحاح: «والرَّجَاء من الأمل، ممدود، يقال: رَجَوْتُ فُلَاناً رَجْواً

وَرَجَاءً ورَجَاوَةً». وقوله (**ما**): أي الأمر الذي. (**يُخاف**): بضمِّ الياء التحتيّة، مبني للمفعول، أي: يُخاف منه. يعني: يخاف الناس منه لهوله وشدّته. وقوله (**فَأَسْعِدِي**): فعل دعاء، يخاطب به المحبوبة، من الإسعاد والمساعدة، وهي المعونة، يقال: أَسْعَدَهُ الله، قال في الصحاح: «والإسعاد: الإعانة، والمُسَاعَدَة: المعاونة». وقوله (**به**): أي بها يخاف. (**روح مَيْتٍ**) مفعول أسعدي. ومَيْت بسكون الياء التحتيّة، أي: إنسان ميت. وقوله (**للحياة**): أي الحياة الحقيقيّة الربانيّة. متعلّق بـ(**استعدَّتِ**): بكسر التاء للقافية من الاستعداد، وهو التهيُّؤ. يعني: روحه تهيّأت لقبول ظهور الحياة الحقيقيّة بانتشار قوَّتها في أعضاء البدن، وموت النفس البشريّة الداعية إلى الشهوات والغفلات، وحبّ العاجلة.

١١٧ - وَبِيْ مَنْ بِهَا نَافَسْتُ فِي الحبّ(١) سَالِكاً سَبِيْلَ الأُلَى قَبْلِـي أَبَـوْا غَـيْرَ شِرْعَتِـي

(**وبي**): أي أفدي بنفسي، مثل قولهم بأبي وأمي. و(**مَنْ**): بفتح الميم. كناية عن المحبوبة/ [١١٩/ ب] وقوله (**بها**): أي بسببها وبحولها وقوّتها، وعظيم قدرتها. وقوله (**نافستُ**): أي جاريت، وباريت، وفاخرت، قال الراغب في مفرداته: المنافسة مجاهدة النفس للتشبيه بالأفاضل واللحوق بهم». وقال في القاموس: «نفس فيه رغب على وجه المباراة في الكرم كتنافس». وقوله (**في الحبّ**): متعلّق بنافست. و(**سالكاً**): مفعول نافست، من السلوك، قال في المصباح: «سلكتُ الطريق سُلُوكاً، من باب: قَعَدَ: ذَهَبْتُ فيه». ويجوز أن يكون (**سالكاً**) حالاً من التاء في نافست، أي: حال كوني **سالكاً**. وقوله (**سبيل**): أي طريق، مفعول سالكاً، والسبيل مضاف إلى (**الأُلَى**): بضمّ الهمزة وفتح اللام مقصوراً، اسم موصول، قال الرضي: «الأُلَى جمع الذي والّتي، لا من لفظه، فالذي والتي يشتركان في الأُلى واللائِي، إلّا أنّ الأُلى في جمع المذكّر أشهر، واللائي بعكسه. وقوله (**قبلي**): أي من المتقدّمين عليّ. وقوله (**أَبَوْا**): قال في المصباح: «أَبَى الرجلُ

(١) في (ق): بالنفس.

يَأبى إباءً: بالكسر والمدّ، وإباءَةً: امتنع». وقال الراغب: «الإباء شدّة الامتناع». فمعنى أبَوْا: امتنعوا. وقوله (غَيْرَ): بالنصب مفعول أبَوْا، قال في الصحاح: «وأبَيْتَ اللَّعْنَ: كان تحيّة الملوك في الجاهليّة» فنصب المفعول. وقال في القاموس: «أَبى الشيءَ يَأْبَاهُ: كَرِهَهُ». وقوله (شِرْعَتِي): مضاف إليه، قال في المصباح: «الشِّرْعَةُ، بالكسر: الدِّين والشَّرْع». والمعنى: أفدي بنفسي المحبوبة التي فاخرتُ في محبَّتي لها السالكَ على طريق القوم الذين كانوا قبلي تابعين ديني وشريعتي من الأولياء العارفين، والأتقياء المقرّبين.

١١٨- بِكُلِّ قَبِيْلٍ كَمْ قَتِيْلٍ قَضَى بِهَا أَسَىً لَـمْ يَفُـزْ يَوْمَـاً إِلَيْهَـا بِنَظْـرَةِ

(بكلّ): أي في كلّ (قبيل): بالقاف والباء الموحّدة، وهي الجماعة، ثلاثة فصاعداً من قوم شتى، كذا في المصباح. وقوله (كَمْ): بفتح الكاف وسكون الميم: اسم يُخبر به عن الكثرة. و(قتيل): مضاف إليه، وهو بمعنى مقتول. وقوله (قضى): أي مات. وقوله (بها): أي بسبب هذه المحبوبة. يعني: في محبَّتها. وقوله (أَسَىً): تمييز، والأسى هو الحُزن. وقوله (لم يفز): أي يظفر. (يوماً): من الأيام. (إليها): أي إلى هذه المحبوبة. وقوله (بنظرةٍ): متعلّق بيَفُز. يعني: لم يرها في عمره ولا مرّة واحدة، قال الشاعر:

سمعتُ أوصافها الحُسنى فهِمْتُ بها والأُذن تعشق قبل العين أحياناً

وقال عفيف الدين التلمسانيّ:

يا بديع الجمال فاز محبٌّ بلذيذ الوصال فيكَ تهنّى
كيف يرجوا الحياة وهو مع الهجـ ـرِ قتيل وعند رؤياكَ يفنى

١١٩- وَكَمْ فِي الوَرَى مِثْلِي أَمَاتَتْ صَبَابَةً وَلَـوْ نَظَـرَتْ عَطْفَـاً إِلَيْـهِ لأَحْيَـتِ

(كم): خبريّة. و(الورى): مقصور، بمعنى الخلق. وقوله (مثلي): أي عاشق يماثلني في صدق المحبّة شعراً ولم يشعر؛ فإنّ كلّ إنسان محبٌّ لنوع من الصور

المحسوسة أو المعقولة، وكلّ الصور مظاهر تجلّيات هذه المحبوبة الحقيقيّة تُصَوِّر الصور لها كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] وقوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] والغافلون يظنّون بالله الظنون. وقوله **(أماتت صبابة)**: منصوب على التمييز، أو مفعول من أجله. وقوله **(ولو نظرتْ)**: أي هذه المحبوبة الحقيقيّة. **(عطفاً)**: أي من جهة العطف، أو لأجله. والعطف: الحُنُو، يقال: عَطَفَتِ الناقةُ على ولدها عَطْفاً، من باب ضرب: حَنَّتْ عليه، ودَرَّ لَبَنُهَا، كذا في المصباح. وقد ورد من أسماء الله تعالى الحَنَّان. وقد سُئل عليّ رضي الله عنه عن معنى الحنّان فقال: «هو الذي يُقْبِل على مَن أعرض عنه». وقوله **(إليه)**: الضمير راجع إلى مثلي. وقوله **(لَأَحْيَتِ)**: بكسر التاء للقافية، وهي تاء التأنيث الساكنة، والضمير راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. يعني: لأحيته بحياتها الحقيقيّة بعدما أماتته من حياته الوهميّة.

١٢٠ - إذا مَا أَحَلَّتْ فِي هَوَاهَا دَمِي فَفِي ذُرَى العِزِّ والعَلْيَاءِ قَدْرِي أَحَلَّتِ

/ [١٢٠/ أ] **(إذا ما أحلّتْ)**: ما زائدة. و**(أحلّت)**: بالحاء المهملة وتشديد اللام، والضمير المستتر للمحبوبة الحقيقيّة، ومعنى أحلَّتِ أي أباحت. وقوله **(في هواها)**: أي في محبَّتها. **(دمي)**: مفعول باحت. وقوله **(ففي ذُرَاهَا)** بضمِّ الذال المعجمة وفتح الراء مقصور، جمع ذِرْوَة بالكسر والضمّ؛ وهو من كلّ شيء أعلاه، كذا في المصباح. والجار والمجرور متعلّقان بأحلّتِ. وقوله **(العِزّ)**: ضدّ الذُّلّ. و **(العَلياء)**: بفتح العين المهملة والمدّ. قال في المصباح: «العُليا خلاف السفلى، تُضَمّ العين فيُقصر، وتُفتح فيُمدّ. قال ابن الأنباري: والضمّ مع القصر أكثر استعمالاً». وقوله **(قدري)**: مفعول أحلّت بكسر التاء للقافية، والضمير للمحبوبة. وأحلت بمعنى أنزلت، يقال: حَلَلْتُ بالبلد حُلُولاً من باب قعد: إذا نزلتُ به، كذا في المصباح. وقال الراغب: «وحللت نزلت، أصله من حلّ الأحمال عند النزول، ثمّ جرِّد استعماله للنزول، فقيل: حلّ حلولاً، وأحلّه غيره».

١٢١ - لَعَمْرِي وإنْ أَتْلَفْتُ عُمْرِي بِحُبِّهَا رَبِحْتُ وَإِنْ أَبْلَتْ حَشَايَ أَبَلَّتِ

(**لعمري**): بفتح اللام وفتح العين المهملة. و(**العمر**): البقاء، بتثليث العين، ولا يكون القسم إلّا في المفتوح العين، وتدخل لام القسم على المصدرالمفتوح فتقول: لعَمْرُكَ لأفعلَنَّ. والمعنى: وحياتك وبقائك، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «عَمْرَ الله ما فعلت كذا، وعَمْرَكَ اللهَ ما فعلتَ كذا، أصله: عَمَّرْتُكَ اللهَ تَعْمِيْراً، وأُعَمِّرُكَ اللهَ أنْ تفعلَ: تُحَلِّفُهُ بالله ، وتسأله بطول عُمْرِهِ، أو لَعَمْرُ الله، أي: وبقاء الله ، فإذا سَقَطَ اللامُ نُصِبَ انتِصاب المصادر، أو عَمْرَكَ اللهَ : أذَكِّرَكَ اللهَ تذكيراً ، وجاء في الحديث النهي عن قول لعَمْرُ اللهَ . وقوله (**لعمري**): أي أقسم بحياتي التي هي الحياة الأزليّة؛ إذ لا حياة لي من أجل تحقّقي بمقام الموت الاختياري عن الحياة الوهميّة، يدلّ عليه قوله (**وإن أَتلفتُ**): أي أهلكت، وأفنيتُ عُمْري بضمّ العين المهملة، أي: مدّة حياتي الوهميّة بحبِّها في طريق محبّتها، أو بسبب محبّتها، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**ربحت**): جواب القسم، والربح: ضدّ الخسران. وقوله (**وإنْ أَبْلَتِ**): من البلاء. قال في المصباح: «بَلَاه اللهُ بخيرٍ أو شرٍّ يَبْلُوْهُ بَلْواً، وأَبْلَاه بالألف، وابْتَلَاه ابْتِلَاءً بمعنى: امتحنه». وضمير أبلت للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**حَشايَ**): مفعول أبلت، أي: قلبي وكبدي، وجميع ما اشتمل عليه بدني. وقوله (**أبلَّتِ**): بتشديد اللام، قال في المصباح: «بَلَّ من مرضه وأَبَلَّ إبْلَالاَ أيضاً: بَرَأ». والضمير للمحبوبة أيضاً.

١٢٢ - ذَلَلْتُ بِهَا فِي الحَيِّ حَتَّى وَجَدتُنِي وَأَدْنَى مَنَالٍ عِنْدَهُمْ فَوْقَ هِمَّتِي

(**ذللت**): بالذال المعجمة، أي: صرتُ ذليلاً. (**بها**): أي بسبب محبّتها. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**في الحيّ**): وهو واحد أحياء العرب وقبائلها. وقوله (**حتّى وجدتني**): أي وجدت نفسي وأدنى، أي: أقل. (**منال**): مصدر ميمي، بمعنى الشيء الذي ينال عندهم، أي: عند أهل الحيّ. وقوله (**فوق همّتي**): أي

أعلى من منالي الذي أنا متّهم به. والمعنى: إنني وجدت نفسي من كمال ذلِّي وضعف همّتي عند أهل الظاهر بحيث ظنّوا أنّ من له أدنى حالة من الأحوال هو أعلى مرتبة منِّي، وهمَّته أشرف من همَّتي.

١٢٣ - وَأَخْمَلَنِي وَهْناً خُضُوعِي لَهُمْ فَلَمْ ... يَرَوْنِي هَوَاناً بِي مَحَلّاً لِخِدْمَتِي

(**وأخملني**): بالخاء المعجمة، من خَمَلَ الرجلُ خُمُولاً، من باب قَعَد؛ فهو خامل، أي: ساقط النباهة، لاحظَّ له مأخوذ من خَمَلَ المنزلُ خُمُوْلاً: إذا عَفَا ودَرَسَ، كذا في المصباح. وقوله (**وهناً**): أي ضعفاً، منصوب على التمييز. وقوله (**خضوعي**): فاعل أخملني لهم، أي: لأهل الحيّ/ [١٢٠/ ب] المذكورين في البيت قبله. وقوله: (**فلم يروني**): أي يجدوني في أنفسهم. وقوله (هواناً): مصدر هَانَ يَهُوْنُ هُوْناً - بالضمّ- وهَوَاناً: ذَلَّ وحَقُر، كذا في المصباح. وهو منصوب على التمييز، أو مفعول لأجله. وقوله (بي): متعلّق بهواناً. وقوله (**محلاً**): مفعول ثاني ليروني. (**لخدمتي**): متعلِّق بمحذوف صفة لمحلّا. يعني: لم يروني أهلاً لأن يخدمني أحد من كمال ذلِّي وحقارتي عندهم.

١٢٤ - وَمِنْ دَرَجَاتِ العِزِّ أَمْسَيْتُ مُخْلِداً ... إِلَى دَرَكَاتِ الذُّلِّ مِن بَعْدِ نَخْوَتِي

(**الدرجات**): جمع درجة، قال في المصباح: «الدَّرَج: المَرَاقِي، الواحدة دَرَجَة، مثل: قَصَب وقَصَبَة». وقال في الصحاح: «الدَّرَجَة: المِرْقَاة، والجمع: **الدَّرَج**، والدَّرَجَةُ: واحدة الدَّرَجَات، وهي الطبقات من المراتب» وأضاف الدرجات إلى العزِّ؛ لأنّه أراد بها المراتب. وقوله (**أمسيت**): أي دخلت في المساء، خلاف الصباح؛ فالصباح للأنوار، والمساء للظلمات التي هي إشارة إلى معاني الأسرار، وقوله (**مُخْلِداً**): بكسر اللام بعد سكون الخاء المعجمة، اسم فاعل من أَخلد إلى فلان: ركَنَ إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٦] وأخلد بالمكان أقام به ، كذا في الصحاح. وقوله (**إلى دَرَكات**): جمع دَرَكَة، قال في

الصحاح: «دَرَكَات النار: منازل أهلِها. والنار دَرَكَات، والجنّة دَرَجَات. والقعر الآخر دَرْك ودَرَك». يعني: بالفتح وبالسكون، كذا في الصحاح. وقال الراغب: «الدرك كالدرج، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود، والدرك اعتباراً بالحدور؛ ولهذا قيل: درجات الجنّة ودركات النار». وأضاف الدركات إلى الذلّ، كما أضاف الدرجات إلى العزّ. يعني: بعد أن كان بيِّناً معروفاً بين الناس بالعلم والعمل الصالح المقتضي لذلك العزّ بينهم، الموجب للتكبّر والتعاظم دخل في مساء الأسرار، فاختفى عن عيون الأبرار، وخواطرالأخيار؛ وهي دركات الذلِّ بين الغافلين، كما ورد في الحديث: «ربَّ أشعث أغبرلا يؤبه له، مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه»[1]. وقوله (**من بعد نخوتي**): بالنون والخاء المعجمة، قال في المصباح: «النَّخْوَةُ: العَظَمَة، وانْتَخَى: تَعَاظَم وتَكَبَّر». يعني: هو في الأصل بين الناس صاحب قدر وجاه معروف.

١٢٥ - فَلَا بَابَ لِي يُغْشَى وَلَا جَاهَ يُرْتَجَى وَلَا جَـارَ لِي يُحْمَـى لِفَقْـدِ حَمِيَّتِـي

(**يُغشى**): بالبناء للمفعول، قال في المصباح: «غَشَيْتُهُ أَغْشَاه، من باب تَعِب: أَتيته، والاسم: الغِشْيَان، بالكسر». يعني: صرتُ ليس لي باب مشهور بقضاء حوائج الناس بحيث يدخلون عليّ منه لذلك كأبواب الأعيان من الأكابر. وقوله (**ولا جاه**): أي قدر ومنزلة يُرتَجَى بالبناء للمفعول، أي: يرتجيه أحد لنفع، أو دفع ضرر. وقوله (**ولا جار**): وهو المجاور في السكن، والجمع جيران. وقوله (**يُحمى**): بالبناء للمفعول، من الحماية وهي الحفظ. وقوله (**لفقد حميّتي**): بتشديد الياء، قال الراغب: «عبّر عن القوّة الغضبيّة إذا ثارت وكثرت بالحميّة، فقيل: حميت على فلان: أي غضبت عليه، قال تعالى: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [٢٤/ الفتح/ ٢٦]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والأدب، باب: فضل الضعفاء والخاملين، رقم ٦٨٤٨، دون لفظ (لا يؤبه له). وللحديث أطراف أخرى، وطرق كثيرة.

وسبب ذلك كثرة اشتغاله بتجلّيات الحقّ تعالى عليه وعلى غيره بحيث صار غائباً عن العوالم كلّها، فرأته الناس لايعرف شيئاً مما هم عليه من أحوال الدنيا والآخرة فلم يعتبره أحد.

١٢٦ - كَأَنْ لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ خَطِيْراً وَلَمْ أَزَلْ لَـدَيْهِمْ حَقِـيراً فِي رَخَـائي وشـدَّتي

(كأنْ): بفتح الهمزة وسكون النون، أي: كأنّي فخففت النون، وأُلْغِيَت عن العمل. وقوله (لم أكن فيهم): أي في الحيّ كما تقدّم، ذكره في البيت السابق. وقوله (خطيراً): بالخاء المعجمة والطاء المهملة، أي: ذا قدر واعتبار، قال في المصباح: «خَطُرَ الرجل يَخْطُرُ خطَراً، وِزَان شَرُفَ شَرَفاً إذا/ [١٢١/ أ] ارتفع قدْرُه ومنزلته؛ فهو خطير».

وقوله (ولم أزل لديهم): أي عند أهل الحيّ المذكورين. (حقيراً): من الحقارة، قال في المصباح: «حَقُر الشيءُ ـ بالضمّ ـ حَقَارَةً: هَانَ قَدْرُه، فلا يُعبَأ به فهو حَقِيْر». وقوله (في رخائي): أي في حال رخائي وحال شدّتي، قال في المصباح: «رَخِيَ ورَخَوَ من بابي تَعِبَ وقَرُبَ رَخَاوَةً بالفتح: إذا لان، وكذلك العيش رَخِيَ ورَخُوَ: إذا اتَّسَعَ؛ فهو رَخِيّ، على فعيل، والاسم: الرَّخاء، وزيد رَخِيُّ البال: أي في نِعْمَة وخِصْب». و(الشدّة): ضدّ الرخاء. والمعنى: أنا حقير عندهم على كلّ حال من أحوالي؛ سواء كنت في رخاء العيش وسعة الحال، أو كنت في ضيق العيش وعسر الحال.

١٢٧ - فَلَوْ قِيْلَ مَنْ تَهْوَى وَصَرَّحْتَ بِاسْمِهَا لَقِيْـلَ كَنَـى أوْ مَـسَّهُ طَيْـفُ جِنَّـةِ

(فلو قيل): أي قال لي أحد منهم. (من تهوى): استفهام له عمَنْ يحبّه بعد علمهم بأنّه محبّ لظهور آثار المحبّة عليه. وقوله (وصرّحت): الواو للحال. ووقوع الفعل الماضي حالاً بدون قد مختلف فيه. وقد تكون مقدّرة، قال ابن هشام في المغني بوجوب دخول قد عند البصريين ـ إلّا الأخفش ـ على الماضي الواقع

حالاً إمّا ظاهرة نحو:﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٦] أو مقدّرة نحو:﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾ [١٢/ يوسف/ ٦٥]. وخالفهم الكوفيّون والأخفش؛ فقالوا: لا يُحتاج إلى ذلك لكثرة وقوعه حالاً بدون قد، والأصل عدم التقدير لا سيما فيما كثر استعماله». والتصريح ضدّ الكناية. وقوله (**باسمها**) متعلّق بـصرّحت. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. والمعنى: ذكرت لهم اسمها الصريح. وقوله (**لقيل كَنَى**): بتخفيف النون، قال في المصباح: «كَنَيْتُ بكذا عن كذا، من باب رمى، والاسم الكناية؛ وهي أن يتكلّم بشيء يُستدلّ به على المَكْنِيِّ عنه». وقال في الصحاح: «الكناية: أنْ تتكلَّمَ بشيء وتريد غيره. وقد كَنَيْتُ عن كذا بكذا وكَنَوْت». والمعنى: لقالوا كنى بذكر ذلك عمَّنْ يحبّه ولم يصرِّح لنا بذكره، لاستبعادهم المحبّة منّي للمحبوبة الحقيقيّة من عدم أهليّتي لذلك عندهم من هَوَاني عليهم وحقارتي لديهم. وقوله (**أو مسّه**): معطوف على كَنَى، أي أصابه. وقوله (**طَيفُ**): فاعل مسّه، قال في المصباح: «طَيْفُ الشيطانِ وطائفُه: إلمامُه بمَسٍّ أو وسوسةٍ. وقال ابن فارس: الطَّيْفُ والطَّائِف: ما أطاف بالإنسان من الجن، والأنس، والخيال». وقوله (**جِنّة**): بكسر الجيم وتشديد النون، قال في المصباح: «الجِنُّ والجِنَّةُ: خلاف الإنس. والجِنَّةُ: الجُنُون». والمعنى: أو أصابه المسّ من الجِن؛ وهو الصَّرَع فتكلّم بما لا يعقل من أمثاله لبعد مناله.

١٢٨ - وَلَوْ عَزَّ فِيهَا الذُّلُّ مَا لَذَّ لِي الهَوَى وَلَمْ تَكُ لَوْلَا الحبّ فِي الذُّلِّ عِزَّتِي

(**ولو عزّ**): أي قلّ، فلا يكاد يوجد، كذا في القاموس. وقوله (**فيها**): أي في هذه المحبوبة الحقيقيّة. يعني: في طريق محبّتها. (**والذلّ**): فاعل عَزَّ، يعني: لو كان الذلُّ مفقوداً في طريق محبّتها. (**ما لَذّ**): بتشديد الذال المعجمة، أي: صار لذيذاً لي. (**الهوى**): فاعل لَذّ، أي: الميل إليها، وذلك لأنّ الذلّ من كمال صفات العبد، ولا يحصل كمال العبوديّة إلّا به؛ لأنّه صفة أصليّة في العبد؛ فلهذا لا يصير الهوى

والعشق لذيذاً عند العاشق إلّا بالذّل للمعشوق. وقوله (**ولم تكُ**): أصله تكن؛ فحُذفت النون تخفيفاً. وقوله (**لولا الحبّ**): بالضمّ، أي: المحبّة. وقوله (**في الذلّ**): الجار والمجرور خبر تكُ مقدّم، واسمها عزّتي. يعني: لم تكن عزّتي في الذلّ لولا المحبّة فإنّها التي ذليلها عزيز، وحقيرها المهان في حرز حريز.

١٢٩ - فَحَالِي بِهَا حَالِي بِعَقْلِ مُدَلَّهٍ وَصِحَّةِ مَجْهُودٍ وَعِزٍّ مَذَلَّةِ

(**فحالي**): أي شأني وأمري (**بها**): أي بسبب هذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**حالي**): اسم فاعل، أي: مزيِّن، من حَلِيَتِ المرأةُ حَلْياً، ساكن اللام: لَبِسَتْ، ذكره في المصباح. وقوله/ [١٢١/ ب](**بعقل**): أي بمصاحبة عقل. (**مدلَّه**): بضمّ الميم وفتح الدّال وتشديد اللام مفتوحة، وبالهاء: نعت لعقل، قال في القاموس: «الدَّلَه، ويُحَرَّك ذهاب الفؤاد من همّ ونحوه. ودَلَّهَهُ العِشْقُ تَدْلِيْهَاً فَتَدَلَّهَ، والمُدَلَّهُ كمُعَظَّم: الساهي القلب، الذاهب العقل من عشق ونحوه، أو من لا يحفظ ما فَعَل وفُعِل به». (**وصحّة**): معطوف على عقل، مضاف إلى مجهود. و(**المجهود**): اسم مفعول وهو من أجهده المرض، أي: أضعفه، قال في المصباح: «جَهَدَه الأمرُ والمرض جَهْداً: إذا بلغ منه المشقّة، ومنه جَهْدُ البَلاء». وإضافة صحّة إلى مجهود على معنى في، أي: صحّة في مجهود، كقولهم: مكر الليل؛ أي: في الليل. وقوله (**عِزٍّ**): الإضافة إلى مذلّة، قال في المصباح: «ذَلَّ ذَلّاً، من باب ضَرَب، والاسم: الذُّلّ، بالضمّ. والذِّلَّةُ، بالكسر، والمَذَلَّةُ: إذا ضَعُفَ وَهَان؛ فهو ذليل». والمعنى: إنّ حاله مزيِّن بعقله المخيّل الذاهب، وبالصحّة في المرض، وبالعزّ في الذلّ، بعكس ما عليه الناس لكمال استغراقه في شهود تجلّيات ربّه عليه، وتركه مقتضى العقول البشريّة من: حبِّ السلامة، والرغبة في الراحة.

١٣٠ - أَسَرَّتْ تَمَنِّي حُبِّهَا النَّفْسُ حَيْثُ لَا رَقِيْبَ حِجَىً سِرَّاً لِسِرِّي وَخَصَّتِ

(**أَسَرَّتْ**): أظهرت أو أخفت، قال في المصباح: «أسررته: أظهرته، وأخفيته؛ فهو من الأضداد». وقال الراغب في قوله تعالى: «﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [٦٠/ الممتحنة/ ١]

أي تطلعونهم على ما تسرّون من مودّتهم . وقد فُسِّر بأنّ معناه تظهرون». وهذا صحيح؛ فإنّ الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضي إليه بالسرّ وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره؛ فإذا قولهم أسررت إلى فلان يقتضي من وجه الإظهارَ ومن وجه الإخفاء». وقوله (تَمَنِّي): مفعول أسرّت. (حُبِّها): مضاف إليه، أي: محبّتها. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. والنفس فاعل أسرّت؛ فإنّ هذه المحبوبة لمّا كانت عنده عظيمة القدر كان حبّها عنده أمراً عظيماً، لا يكاد يتمناه أحد، فضلاً عن طلبه منها، فضلاً عن دعواه، فضلاً عن حصوله لأحد. فأخبر أنّ نفسه أظهرت تمنّي حبّها، وقد ورد في الأثر : «عادِ نفسك؛ فإنّها انتصبت لمعاداتي»[1]. وورد «أعدى عدويك نفسك التي بين جنبيك»[2]. والعدو لا يتمنّى محبّة عدوّه؛ لأنّ لقاء الحقّ يُفْنِي النفس ويبطلها، إلّا في نفوس أهل العناية من السالكين، أصحاب النفوس المطمئنّة. وقوله (حيث لا رقيب حجى): جملة معترضة بين أسرَّتْ النفس وبين لسرّي. (والرقيب): المراقب . و(الحجى) كإلى: العقل؛ فإنّ العقل عقال يربط النفس عن السير مع الإرادة الإلهيّة لنظره في عواقب الأمور، فإذا ارتفع حكمه عن السالك كان السالك سالكاً في طريق الله تعالى بحكم الإرادة الإلهيّة، لا بحكم عقله. وقوله (سرّاً): منصوب على الظرفيّة لقوله (أسرّت): أي كان ذلك في حالة السرّ دون الجهر. وقوله : لسرِّي متعلّق بـ(أسرّت). و(السرّ): ما يُكتم، وما هو مخفي، ويكنِّي به هنا عن الروح الأمري المنفوخ في الإنسان البشري. وقوله (وخصَّتِ): بكسر التاء للقافية، معطوف على أسرت.

---

(١) ذكره ابن حزم في الإحكام في أصول القرآن، باب في المحكوم عليه، وهو المكلّف، ج١ ص٥٦.

(٢) ذكره العجلوني في الكشف، ٤١٢، المجلّد الأوّل، ١٤٣، بلفظ: أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك وقال: «رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف، وله شاهد من حديث أنس، ويجري على ألسنة كثيرين، بلفظ: أعدى عدوَّيْك ـ بالتثنية في الموضعين ـ ولا أصل له بهذا اللفظ. والمشهور على الألسنة: أعدى عدوّك، بالإفراد في عدوّك».

١٣١ - فَأَشْفَقْتُ مِنْ سَيْرِ الحَدِيْثِ بِسَائِرِي   فَتُعْـــرِبُ عَـــنْ سِرِّي عِبَـــارَةُ عَـــبْرَتِي

(فأشفقت): الفاء للتفريع على البيت قبله، قال في المصباح: «أشفَقتُ من كذا، بالألف حَذِرتُ، قال الراغب: الإشفاق عناية مختلطة بخوف؛ لأنّ المشفِق يحبُّ المشفَق عليه، ويخاف ما يلحقه، قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٨] فإذا عُدِّيَ بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عُدِّي بعلى فمعنى العناية فيه أظهر». وقال في الصحاح: «أشفقت عليه فأنا مُشفِق وشفيق. وإذا قلت أشفقت منه فإنّما تعني حَذِرْتُهُ، وأصلها واحد. ولا يُقال: شَفِقْتُ». وقوله (من سير): أي سريان، وذهاب. (الحديث): أي الذي يتحدّث به وينتقل، كذا في المصباح. واللام للعهد، وهو الحديث الذي حَدَّثَتْهُ به نفسه؛ وهو تمنِّي حبّ المحبوبة في البيت قبله. وقوله (بسائري): أي بجملتي، وجميع أعضائي، وجوارحي ما عدا نفسي التي أسرّتْ. و(سرّي): الذي أسرَّتْ إليه فسائر بمعنى/ [١٢٢/ أ] باقي على أصله، لا بمعنى جميع، قال في المصباح: «قال الأزهري: اتّفَقَ أهل اللغة أنّ سائر الشيء باقيه، قليلاً كان أو كثيراً. وقال الصغانيّ: سائر الناس باقيهم، وليس معناه جميعَهم كما زعم من قَصُرَ في اللغة باعه، وَجَعْلُهُ بمعنى الجميع من لحن العوام». وقوله (فتُعرب): الفاء للتفريع. وتعرب أي: تبيِّن، وتكشف. وقوله (عن سرّي): أي عمّا أسرّته نفسي لروحي، من السرّ الذي هو تمنِّي محبّة هذه المحبَّة به. وقوله (عبارةُ): فاعل تعرب. والعبارة: ما يعبِّرُ به الإنسان عن نفسه أو عن غيره، قال في القاموس: «عَبَّرَ عمّا في نفسه: أَعْرَبَ، وعَبَّرَ عن غيره فأعرب عنه، والاسم: العِبَارَة». وقوله (عَبْرتي): أي دمعتي، قال في القاموس: «العَبْرَةُ، بالفتح: الدمعة». يعني: دمعة بكائه تكشف عن عشقه، وأليم بلائه.

١٣٢ - يُغَالِطُ بَعْضِي عَنْهُ بَعْضِي صِيَانَةً   وَمَيْنِـــي فِي إِخْفَائِـــهِ صِـــدْقُ لَـــهْجَتِي

غَالَطَهُ مُغَالَطَة وغِلَاطاً، والغَلَطُ، محرَّكَة: أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه، وقد غَلِطَ، كفَرِح، في الحِساب وغيره، أو خاصٌّ بالمنطق، كذا في

القاموس. وقوله (**بعضي**): فاعل يغالط، وكنّى بذلك عن نفسه. وقوله (عنه): أي عن سرِّي المذكور في البيت قبله. فمعنى المغالطة عنه الإيقاع في الغلط بتلبيس الأمر. وقوله (**بعضي**): مفعول يغالط، كناية عن العقل؛ لأنّه يقتضي الربط والتقييد. وقوله (**صيانة**): أي حفظاً لذلك السرّ أن يدخل في ربط العقل وتقييده؛ فيفسد على النفس. وقوله (**وَمَيني**): بفتح الميم، أي: كذبي، من مَان يَمِين مَيْناً، من باب باع: كَذَبَ ، كما في المصباح. وقوله (**في إخفائه**): متعلّق بمَيْنِي. والضمير للسرّ، أي: كتمانه عن العقل بتلبيس الأمرعليه حتى لا يشعر بذلك. وقوله (**صدق**): خبرالمبتدأ الذي هو ميني. و(لهجتي) مضاف إليه، قال في المصباح: «اللَّهْجَةُ، بفتح الهاء، وإسكانها لغة: اللسان، وقيل طَرَفُهُ. وهو فصيح اللَّهْجَة، وصادق اللَّهْجَةِ.

١٣٣- ولَمَّا أَبَتْ إظْهَارَهُ لِجَوَانِحِي بَدِيْهَـةُ فِكْـرِي صُـنْتُهُ عَـنْ رَوِيَّتِـي

(**ولـمّا أبت**): أي امتنعت. (**إظهاره**): مفعول أبت. والضمير للسرّ في البيت قبله. وقوله (**لجوانحي**): وهي الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر، واحدته: جانحة. كذا في القاموس. وقوله (**بديهة**): فاعل أبت، قال في القاموس: «البَدْهُ والبَدَاهَة، ويضمّان، والبَدِيْهَةُ: أَوَّلُ كلّ شيء، وما يَفْجَأُ منه». وقوله (**فكري**): مضاف إليه، وبديهة الفكر، وهو الخاطر الأوّل، فإنّه صواب ولا يخطئ، وعليه المعوّل. وقوله (**صُنْتُهُ**): أي حفظت ذلك السرّ المذكور عن (**روِيَّتِي**): بتشديد الياء التحتيّة ، قال في القاموس: «رَوَّيْتُ في الأمر: نظرتُ وفكَّرْتُ، والاسم: الرَّوِيَّة». ومعنى صيانته عن رَوَّيْتُه: ترك التفكّر فيه، والعدول عن تردد الخاطر.

١٣٤- وَبَالَغْـتُ فِي كِتْمَانِـهِ فَنَـسِيْتُهُ وَأُنْـسِيْتُ كَتْمِـي مَـا إِلَيْـهِ أَسَرَّتِ

(**وبالغت في كتمانه**): أي ذلك السرّ. (**فنسيته**): أي لم يخطر في بالي من شدّة كتماني له. وقوله (وأُنسِيتُ): بضمّ الهمزة، أي: أنساني الحقّ تعالى (**كتمي**): مفعول ثان لأُنسيت. وقوله (**ما**): أي الذي، مفعول كتمي؛ لأنّه مصدر مضاف إلى فاعله. وقوله (**إليه**): أي إلى سرّي. (**أسرَّتِ**): بكسر التاء للقافية. يعني أُنسيت

أنّي كتمت ذلك السرّ الذي أسرَّته نفسي إلى سرِّي. (سراً): أي خفية كما سبق في البيت المتقدّم، وقريب من المعنى قول بعضهم:

أفـــرط نـــسياني ليَّ حالـــة   لم يـــترك النـــسيان لي حـــسّا
فـصرت مهـما اعترضـتْ حاجـة   مهمّـــة أودعتهـــا طرســـا
وصرت أنـسى الطـرس في راحتـي   وصرت أنسى أنني أنسى / [١٢٢/ ب]

١٣٥ - فَإنْ أجْنِ فِي غَرْسِ المُنَى ثَمَرَ العَنَا   فَلِلّـــهِ نَفْـــسٌ فِي مُنَاهَـــا تَعَنَّـــتِ

(فإنْ أَجْنِ): أي أقتطف. قال في القاموس: «جَنَى الثمرةَ: اجْتَنَاهَا كتَجَنَّاهَا». وقوله (في غرس): بالغين المعجمة وسكون الراء. قال في القاموس: «غَرَسَ الشجَرَ يَغْرِسُهُ: أثْبَتَه في الأرض كأغْرَسَه، والغَرْسُ: المَغْرُوس». وقوله (المُنى): مضاف إليه، جمع منية، بالضمّ والكسر. والأُمنية، بالضمّ: من تمناه وأراده. وقوله (ثمر): مفعول أجنِ. (العنا): بالعين المهملة، التعب، والنصب. وقوله (فللّه): الفاء تفريعيّة. و(لله): اللام للتعجب. قال في القاموس: «من معاني اللام: القَسَم والتعجب معاً، ويختص باسم الله ، نحو قوله: لله يبقى على الأيام ذو حَيَدِ. والتعجّب المجرد عن القسم ، ويستعمل في: فلله درّه». وقوله (نفس): أي أتعجّب من نفس (في مناها): أي مراداتها ومقاصدها. (تعنتِ): بكسر التاء للقافية، أي: تعبت، ونصبت، وصبرت على مشقات أمورها، وأغراضها، وشهواتها.

١٣٦ - وَأحْلَى أمَانِي الحبّ لِلنَّفْسِ مَا قَضَتْ   عَنَاهَـا بِـهِ مَـنْ أذْكَرَتْهَـا وَأنْـسَتِ

(وأحلى): أي أكثر الأماني حلاوة. (والأماني): جمع أمنية، وهي المأمول والمقصود. (للنفس): أي نفس الإنسان في طريق المحبّة. وقوله (ما): أي شيء، أو الذي. (قضت): أي حكمت وألزمت. وقوله (عناها): أي عنا النفس، بمعنى تعبها ونصبها. وقوله (به): متعلّق بقضت. و(عناها): مفعول قضت، أي: ألزمت. (به): أي بسببه. وقوله (من أذكَرَتها): مَنْ بفتح الميم، كناية عن المحبوبة الحقيقيّة، فاعل قضت. وضمير أذكرتها للنفس، أي: أذكرت النفس. (وأنْسَتِ):

بكسر التاء للقافية، أي: وأَنْسَتِ النفس، والمفعول محذوف في الفعلين، أي: أذكرت النفس كلّما شاءت أن تذكّرها أياه من أي أمر كان، وأنست النفس كلّما شاءت أن تنسيها إياه. والحاصل: إنّ المعنى أحلى ما تتمناه نفس المحبّ من المحبوبة الحقيقيّة ما حكمت تلك المحبوبة، وألزمت العناء والتعب بسببه فإنّها هي التي تذكر وتنسى، وكلّ أفعالها بالمحبّ حسنة مرضية عنده.

١٣٧ - أَقَامَتْ لَهَا مِنِّي عَلَيَّ مُرَاقِبَاً   خَوَاطِرَ قَلْبِي فِي الهَوَى إنْ أَلَمَّتِ

(**أقامت**): أي نصبت، ودلّت، والفاعل ضمير راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. وكذلك ضمير (**لها**): أي لأجلها. وقوله (**مِنّي**)على طريق التجريد، أي: مجرداً منّي. وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: على جميع أحوالي وأموري في ظاهري وباطني. وقوله (**مراقباً**): مفعول أقامت. وقوله (**خواطر**): مفعول مراقباً، جمع خاطر، وهو ما يلقيه الله تعالى في نفس العبد من خير أو شرّ، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٧-٨]. وقوله (**قلبي**): أشار بذلك إلى أنّ له قلباً مُتَقَلِّباً بأمر الله ، فخواطره خير لكنها قد تكون في السوى والغير غفلة منه عن مراقبة الحقّ تعالى في كلّ شيء. وقوله (**في الهوى**): أي في طريق المحبّة الإلهيّة. وقوله (**إنْ ألـمَّتِ**): بتشديد الميم وكسر التاء للقافية، أي: نزلت به تلك الخواطر. من ألمّ به: إذا نزل عنده.

١٣٨ - فَإِنْ طَرَقَتْ سِرَّاً مِنَ الوَهْمِ خَاطِرِي   بِلَا خَاطِرٍ أَطْرَقْتُ إجْلَالَ هَيْبَةِ

(**فإن طرقت**): أي أتت ليلاً، قال في القاموس: «الطَّرْق: الإتيان بالليل كالطروق فيها». وفاعل طرقت ضمير راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. وكون إتيانها بالليل يعني في ظلمة ليل الأكوان فإنّ الأكوان كلّها ظلمة بالنسبة إلى نور وجود الحقّ تعالى. وقوله (**سرّاً**): منصوب على الحال، أي: خفية بحيث لا يشعر بذلك أحد؛ لأنّ طروقها دائم لا ينقضي، لأنّ به ظهور الأكوان ومن كثرة اعتياد الغافلين على شهود وجود الأكوان، لا يشعرون بطروقها، فإذا العارف في شهود وجودها

طرقته سرّاً من غيره فلا يشعر بها غيره./ [١٢٣/ أ] وقوله (**من الوهْم**): بسكون الهاء، يعني: وهم الغافلين عنها، المشغولين بشهود الأكوان عن شهودها. و(**الوَهْمُ**): الغلط أو ذهابه، يقال: وَهِم في الحِساب، كوَجِلَ: غَلِطَ، و- في الشيء، كوَعَدَ: ذهب وَهْمُهُ إليه، كذا في القاموس. وقوله (**خاطري**): مفعول طرقت، قال في القاموس: «الخاطِر: الهاجِس، خَطَرَ بباله و ـ عليه، يَخْطِر ويَخْطُرُ خُطُوْراً: ذكره بعد نسيان». وقوله (**بلا حاظر**): بالحاء المهملة والظاء المعجمة، أي: مانع يمنع من ذلك الطروق المذكور، من حَظَرَ الشيءَ و ـ عليه: منعه، كذا في القاموس. والمعنى من غير مانع من توسّط تصاوير الخيال، وأشكال الطبيعة؛ فإنّ نفوس الجاهلين بالله، الغافلين عن شهوده في مقام العرفان واليقين به إذا طرق سبحانه خواطرهم بطريق التجلّي عليهم لا يظهر لهم ويحضر لديهم إلا في صورة متخلية[1] لهم ، تنشأ من خيالهم على أشكال طبائعهم وأمزجتهم، غير ذلك لا يكون. كما أجمعت العقلاء بأنّ الحكم فرعُ التصوُّر، فلا يحكم العقل بوجوده تعالى، وإثبات صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه له عزّ وجلّ إلّا بعد تصوّره في النفس كما ذكرنا. وقول علماء العقائد من أهل السنّة كلّ ما خطر في بالك فالله بخلاف ذلك؛ للتنبيه على ما ذكرنا من ضرورة الحكم العقلي، وهو مغفور لعامّة المؤمنين لا لأهل الخصوص من العارفين المحقّقين؛ لمعرفتهم بنفوسهم وبربّهم المعرفة الكثيفة؛ لأنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه في فتوحاته المكيّة: «إنّ الحقّ تعالى ما حجر علينا أن نتخذ له صورة في خيالنا الباطني، وإنّما منعنا وحجرعلينا أن نتخذ له صورة في الظاهر المحسوس، أو عبارة هذا معناها، كما بسطنا الكلام في هذا المقام في كتابنا «الوجود الحقّ والخطاب الصدق» وغيره. وأمّا عقول العارفين به تعالى، فإنها معطّلة عن الاستعمال في حقّ الله تعالى؛ فلا حكم عندهم عقلاً في معرفة ربِّهم؛ وإنّما يتلقون المعرفة بقبول الشرع المحمّديّ،

(١) كذا وردت ولعلّها مُتَخَيَّلَة.

والطريق الأحمدي، بعد موت نفوسهم، واضمحلال قوّة خيالهم، وضعف طبائعهم، وأمزجتهم بالتحقّق بالفناء والعدم في الوجود الحقّ؛ فلا علم بالله إلّا علمهم، ولا معرفة به إلّا معرفتهم، ولا قيام بالشريعة المحمّديّة إلّا قيامهم، ولا أدب مع الله ورسوله إلّا أدبهم. يعرف ذلك مَن عرفه، ويجهل من جهله، وينكره مَن ينكره من الجهل والغفلة والغرور. وقوله (**أطرقت**): جواب الشرط، من قولهم أطرق: سكت ولم يتكلّم، وأَرْخَى عينيه ينظر إلى الأرض، كذا في القاموس. ومعناه هنا: سكوته في وقت ظهور تجلّي الحقّ تعالى عليه، وإرخاء عيني قلبه اللذين هما عقله وخياله لمعرفته بالعجز عن المعرفة، وهو ينظر إلى أرض نفسه، قال الصّدِّيق الأكبر رضي الله عنه: «العجزعن درك الإدراك إدراك». وقوله (**إجلال**): بالنصب مفعول من أجله. و(**الإجلال**): التعظيم، أجلّه:عظّمه. وقوله (**هيْبةِ**): مضاف إليه، أي: تعظيم هيبة. قال في القاموس: «الهَيْبَةُ: المَخَافَةُ، والتَّقِيَّةُ، كالمَهَابَة، وهَابَهُ يَهَابُهُ هَيْباً ومَهَابَةً: خافه».

١٣٩ - وَيَطْرَفُ طَرْفِي إنْ هَمَمْتُ بِنَظْرَةٍ وإنْ بُسِطَتْ كَفِّي إلى البَسْطِ كُفَّتِ

(**وَيَطْرَفُ**): بالبناء للمفعول، من طَرَفَهُ عنه يَطْرِفُهُ: صَرَفَهُ، ورَدَّهُ، أو من طَرَفَ بَصَرَهُ: أَطْبَقَ أَحَدَ جَفْنَيْهِ على الآخر، أو من طرف عينيه: حرّك جفنيها، والمرّة منه طَرْفَة، أو من طَرَفَ بصره: أصابها بشيء فدمعت، كذا في القاموس. والمناسب المعنى الأوّل والأخير. يعني: يصرف بالعجز والقصور، أو يصاب بذلك؛ فيرجع كليلاً. وقوله (طرفي): الطَّرْف العين، لا يُجمع؛ لأنه في الأصل مصدر، أو اسم جامع للبصر، لا يثنّى ولا يجمع؛ وقيل: جمعه أطراف، كذا في القاموس. وقوله (**إنْ هممت**): أي قصدت وتوجّهت إلى المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**بنظرة**): متعلّق بهممت. والمعنى: يصرف طرفي، ويجعل إلى جهة/ [١٢٣/ ب] غير جهة المحبوبة إنْ قصدتُ أن أنظر إليها وذلك لعظمها، وحقارة العبد السالك باعتبارها؛ بل لكمال وجودها الحقيقيّ، وعدم ما سواها من الأكوان بالنسبة إليها. وقوله (**وإنْ بُسطت**):

بالبناء للمفعول، من بسط يده: مدّها. وقوله (**كفّي**): نائب الفاعل. وقوله (**إلى البسط**): أي الانبساط، من بسطه: سرّه. يعني: إنْ انبسطتْ كفّي وامتدت إلى تلك المحبوبة لأجل المباسطة معها. وقوله (**كُفَّتِ**): بضم الكاف وتشديد الفاء وكسر التاء للقافية، أي: دفعته وصرفت، يقال: كفَفْتُه وصرفته، كذا في القاموس.

١٤٠ - فَفِي كُلِّ عُضْوٍ فِيَّ إِقْدَامُ رَغْبَةٍ وَمِنْ هَيْبَةِ الإِعْظَامِ إِحْجَامُ رَهْبَةِ

(**ففي كلِّ عُضو**): قال في القاموس: «العُضْو، بالضمِّ والكسر: كلُّ لحمٍ وافرٍ بِعَظْمِهِ». وقوله (**فِيَّ**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: من أعضاء. وقوله (**إقدام**): بكسر الهمزة، من أَقْدَمَ على الأمرِ: شَجُعَ. وقد قَدَمَ كنَصَرَ وعَلِمَ، وأَقْدَمَ وتَقَدَّم واسْتَقْدَمَ. وقوله (**رَغْبَة**): مضاف إليه، من رَغِبَ فيه، كسَمِعَ، رَغْباً، ويضم. ورَغْبَةً: أَرَادَهُ، كذا في القاموس. يعني: في كلّ عضوٍ فيّ إقدام برغبة على المحبوبة الحقيقيّة مع رغبة فيها. وقوله (**ومن هيبة الإعظام**): بكسر الهمزة، أي: الإجلال للمحبوبة المذكورة. وقوله (**إحجام**): بكسر الهمزة، من أحجم عنه: كفّ. وقوله (**رهبة**): مضاف إليه، من رَهِبَ، كعَلِمَ رَهْبَةً ورُهْباً، بالضمِّ، ويحرّك: خاف، كذا في القاموس. يعني: في كلِّ عضو من أعضائي إقدام وإقبال على المحبوبة المذكورة رغبة فيها، ومحبّة لها مع إحجام وكف وامتناع من خوفي منها، ومهابتي لها، وإعظامي لقدرها لمعرفتي بنفسي، ومعرفتي بعدمها الأصلي، وذلّها وحقارتها، ومعرفتي بتلك المحبوبة الحقيقيّة، ومعرفتي بوجودها الحقّ الحقيقيّ، وعزِّها وعظمها؛ فأنا بين الرجاء منها لعلمي بكثرة كرمها وإحسانها، وجزيل إنعامها، وبين الخوف منها، والخشية لها؛ لعلمي بأليم عقابها، ووجيع عذابها، كما قال تعالى لنبيِّه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [١٥/ الحجر/ ٤٨-٥٠].

١٤١ - لِفِيَّ وَسَمْعِي فِيَّ آثَارُ رَحْمَةٍ عَلَيْهَا بَدَتْ عِنْدِي كَإِيثَارِ رَحْمَتِي

(**لِفِيَّ**): بكسر اللام وتشديد الياء، أي: لفمي. (**وسمعي**): معطوف على فِيَّ،

والمراد بالسمع هنا الأذن، قال في القاموس: «السَّمْعُ: حِسُّ الأُذُن والأُذُنُ، وما وقر فيها من شيء تَسْمَعُهُ. وقوله (فِيّ): بتشديد الياء، أي: الكائنين في جملتي. وقوله (**آثار**): جمع أَثَر، مُحَرَّكَة: بقيَّة الشيء». وقال: «أَثَّرَ فيه تَأْثِيراً: تَرَكَ فيه أثراً»، كذا في القاموس. وقوله (**زَحْمَةٍ**): بالزاي والحاء المهملة، أي: مضايقة، قال في القاموس: «زَحَمَه كمَنَعَه، زَحْماً وزِحَاماً، بالكسر: ضايَقَهُ». وقوله (**عليها**): أي على المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**بدت**): أي ظهرت تلك الآثار عندي. وقوله (**كإيثار**): أي بمنزلة إيثار، أي: اختيار وتقديم رحمة، بالراء، وهي الرِقّة، والمغفرة، والعطف، كذا في القاموس. والمعنى: لفمي ولأذني آثار ازدحام على تللك المحبوبة يؤثران حظّيهما منها على جميع حظوظها، كإيثارهما رحمتها، وعطفها، ومغفرتها، على كلّ رحمة وعطف ومغفرة من سواهما، فحظّ فمي من اللذة لثمها وتقبيلها، وحظّ أذني من اللذّة سماع خطابها وحلاوة كلامها، فيزدحم فمي مع أذني، كلّ منهما يطلب حظّه منها. وتظهر آثار ذلك الازدحام عليهما؛ فأثرٌ في فمي حلاوة كلامي، وأثره في أذني حلاوة فمي فهمي لكلام المحبوبة، فكلامي المنظوم والمنثور يستلذّ به أسماع العاشقين، وفهمي لمعاني القرآن تستلذّ به عقولهم.

١٤٢ - لِسَانِيَ إنْ أَبْدَى إذا مَا تَلا اسْمَهَا لَهُ وَصْفُهُ سَمْعِي وَمَا صَمَّ يَصْمُتِ

(**لساني**) مبتدأ. وجملة الشرط والجزاء خبره. وقوله (**إنْ أبدى**): أي أظهر. وسمعي فاعل أبدى. وقوله (**وصفه**): مفعول أبدى. والضمير لسمعي. ووصف سمعي هو استماعه وتنصته. وقوله (**إذا ما تلا**): أي لساني. (**اسمها**): أي المحبوبة الحقيقيّة. (**له**): لسمعي؛ وهو متأخّر لفظاً متقدّم رتبة. **وقوله/ [١٢٤/أ]** (**وما صَمَّ**): بفتح الصاد المهملة، أي: ما ثقل سمعه، قال في القاموس: «الصَّمَمُ، محرّكة: انسداد الأذن، وثِقَل السَّمْع، صَمَّ يَصَمُّ بفتحهما». وقال في المصباح: «صَمَّتِ الأُذن صَمَماً، من باب تعب: بَطَلَ سَمْعُها، ويسند الفعل إلى الشخص أيضاً فيقال: صَمَّ يَصَمُّ صَمَماً. وجملة (ما صَمَّ) نعت لسمعي. وقوله (**يصمت**):

جواب إن الشرطيّة، وحرِّكت بالكسر للقافية. والمعنى: إنّ لساني يصمت إذا تلا اسم هذه المحبوبة لسمعي، وذلك إذا بدأ سمعي وصفه وما صمّ؛ وإنّما يصمت لساني شفقة على سمعي، ورحمة له حتى لا ينزعج ويقلق ويشتدّ عليه الحال.

١٤٣- وَأُذْنِيَ إنْ أَهْـدَى لِـسَانِيَ ذِكْرَهَـا   لِقَلْبِي وَلَـمْ يَسْتَعْبِدِ الـصَّمْتَ صَـمَّتِ

(وأذني إنْ أهدى): أي أعطى هديّة. (لساني): فاعل أهدى. وقوله (ذكرها): مفعول أهدى، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (لقلبي): متعلّق بأهدى. و(الذكْر): بمعنى التذكّر؛ فإنَّ اللسان إذا تكلّم سمعت الأذن، وإذا سمعت الأذن تذكر القلب ذلك المذكور. وقوله (ولم يستعبد الصمت): أي لم يتخذه عبداً. يعني: لم يملكه؛ بحيث يتصرّف فيه بأنْ لم يقدر اللسان على ترك الذكر لغلبة الشوق عليه. وقوله (صَمَّتِ): بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم وكسر التاء للقافية، أي: أصابها الصمم حتى لا توصل إلى القلب بواسطة سماعها ما ينزعج به القلب من تذكّر المحبوبة شفقة عليه من الأذن، ورحمة له منها.

١٤٤- أَغَـارُ عَلَيْهَـا أنْ أهِـيْمَ بِحُبِّهَـا   وأعْـرِفُ مِقْـدَارِي فَـأُنْكِرُ غَـيْرَتِي

(أغار عليها): أي على هذه المحبوبة. وقوله (أن أهيم): من هَامَ يَهِيْمُ هَيْماً وهَيَماناً: أحبّ امرأة، كذا في القاموس. وقوله (بحبّها): أي بمحبّة المحبوبة الحقيقيّة. والمعنى: إنّ هذه الغَيرة على هذه المحبوبة حاصلة عنده عليها من نفسه، فيغارعليها أن تهيم نفسه بها مبالغة في غيرته، وفي هذا المعنى قول الشاعر:

أغـار عليـك مـن غـيري ومنّـي   ومنـك ومـن مكانـك والزمـان

ولـو أني جعلتـك وسـط عينـي   إلى يـوم القيامـة مـا كفـاني

ومعنى (الغيرة): بالفتح إرادة المحبّ إزالة تعلّق محبّة الغير بمحبوبه، أو إرادة انفراده بمحبّة المحبوب، وبقربه، وكلامه، ووصاله، حفظاً، وضيانة لشأنه. والغيريّة الإلهيّة من الجانبين؛ لأنّ كلّ واحد منهما محبّ ومحبوب؛ فالعبد يغار على

الرّبّ أنْ يحبّه غيره، كما قيل للشبلي قدِّس سرّه: متى تجد راحة؟. فقال: إذا لم أجد له ذاكراً. وكأن هذا من غيرته؛ لأنّ الذاكر له محبّ له. والربّ إذا غار على العبد يغار عليه أن يحبّ غيره، فيريد أنْ يفرده بالمحبّة، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] قال العارف نجم الدين بن إسرائيل[1] قُدِّس سرّه:

مـــا في محبّتهـــا ضـــدٌّ أضـــيق بـــه   هـــي المـــدام وكـــلّ الخلـــق نـــدماني

وهذه حالة الواصلين المحقّقين، والأولى حالة السالكين العارفين. وقوله (**وأعرف مقداري**): أي قدري، ومقامي، ومبلغ أمري؛ فأعرف أنّي مخلوق معدوم في صورة موجود، فكيف أناسب الخالق القديم الموجود بالوجود الحقيقيّ وجوداً حقيقيّاً. وقوله (**فأنكر غَيرتي**): أي لا أجدها لائقة مني؛ وهي فضول من الأمر.

١٤٥- فَتُخْتَلَسُ الرُّوحُ ارْتِيَاحَاً لَهَا وَمَا   أُبَـــرِّئُ نَفْـــسِي مِـــنْ تَـــوَهُّمِ مُنْيَتِـــي

(**فتُختلَس**): بالبناء للمفعول، أي: تُسْلَب، وتُخْتَطَفُ. و(**الروح**): نائب الفاعل. والألف واللام عوض عن ياء المتكلّم، أي: روحي، واختلاسها: انقباضها إلى أمر الله الذي هو منشؤها كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وأمر الله كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] فالروح تقبض وتبسط في كلّ لمحة بحكم قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] ارتياحاً تمييزاً/ [١٢٤/ ب] ومفعول من أجله، والارتياح: النشاط والرحمة، كذا في القاموس. وقوله (**لها**): أي للمحبوبة الحقيقيّة. يعني: يكشف للسالك عن حال روحه، وأنّها تقبض إلى روح الله، وتبسط منها في كلّ لمحة. ثمّ قال (**وما أبرِّئ نفسي**): يعني في

(١) محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن الحسين بن نجم الدين أبو المعالي الشيبانيّ، ولد بدمشق (٦٠٣-٦٧٧)هـ لبس الخرقة من الشيخ شهاب الدين السهروردي، وسمع عليه، وأجلسه ثلث خلواته، كان قادراً على النظم، مكثراً منه، توفي في دمشق ٦٧٧هـ ودفن عند الشيخ رسلان. الوافي بالوفيات للصفدي، باب ابن سوار/ ١ ٢٥٥.

وقت بسط الروح. (**من توهّم مُنيتي**): بضمّ الميم وبكسرها، وهي ما يتمنّاه. كناية عن المحبوبة الحقيقيّة، وتوهّمها إحساس روحه بها على الوهم بتخيّلها. وقوله (**وما أبرِّئ نفسي**): إشارة إلى أنّ ذلك التوهّم لها تنقيص منه لها؛ لأنّها في كمال التنزّه عن مشابهة المعاني والمحسوسات، كما قالوا: كلّ ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] الآية. لكن من ضرورة الروح هذا التوهّم لأنّه مخلوق فلا يدرك إلا مخلوقاً مثله، كما قال يوسف عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [١٢/ يوسف/ ٥٣] الآية.

١٤٦ - يَرَاهَا عَلَى بُعْدٍ عَنِ العَيْنِ مِسْمَعِي ... بِطَيْـفِ مَـلَامِ زَائِـرٍ حِـيْنَ يَقْظَتِـي

(**يراها**): أي يرى هذه المحبوبة الحقيقيّة على جهة المتوهِم كما في البيت قبله. وقوله (**على بعد عن العين**): أي عين القلب والباصرة، وذلك بعد المناسبة بين القديم والحادث، والوجود الحقّ، والعدم الباطل. وقوله (**مِسْمَعِي**): فاعل يراها بأن يسمع ذكر اسمها من لسان اللائم له. و(**المِسمع**): بكسر الميم، الأذن. وقوله (**بطيف**): قال في القاموس: «الطَّيْفُ: الخَيَال الطَّائِف في المنام، أو مجيئه في النوم، وطاف الخيال يَطِيْفُ طَيْفاً». و(**مَلام**): مضاف إليه، والمَلَام هو اللوم، وهو العذل، والعتاب، والتعنيف على المحبّة والهوى، فلائم على المحبّة يتخيَّل المحبوب في نفسه، ويلوم المحبّ عليه، فالذي تخيّله في نفسه خيال المحبوب، وهو طيف المنام؛ لأنّ اللائم في نوم الغفلة والجهل والغرور، فلا يرى إلّا طيف المحبوب؛ لا حقيقة المحبوب. ثمّ قال (**زائر**): بالجرّ نعت لذلك الطيف، أي: زائر للمحبّ، لأنَّ المحبّ يعرف ذلك من كلام اللائم، فيتخيّل في نفسه ما تخيَّل اللائم في نفسه، ويعرف أنّ ذلك طيف خيال المحبوب طرق ذلك اللائم في منامه بحكم قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٤/ النساء/ ١٣١] وقوله (**حين يقظتي**): يعني ذلك الطيف زارني في

حال يقظتي، وهي مقام التحقيق والعرفان، وزوال نوم الغفلة والتلاهي عن قلب الإنسان؛ فلا يخفى أمر ذلك الطيف على ذلك اليقظان.

١٤٧- فَيَغْبِطُ طَرْفِيْ مِسْمَعِي عِنْدَ ذِكْرِهَا وَتَحْسِدُ مَا أفْنَتْهُ مِنِّي بَقِيَّتِي

(فيغبط): غَبطْتُهُ، من باب ضرب: إذا تمنَّيت مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه لِمَا أعجبك منه، وعَظُمَ عندك، وهذا جائز؛ فإنّه ليس بحسد. فإن تمنيت زواله فهو الحسد، كذا في المصباح. وقوله (طرْفي): فاعل يغبط ، قال في المصباح: «طَرْفُ العين نَظَرُها، ويُطلق على الواحد وغيره؛ لأنه مصدر». وقوله (مِسْمَعِي): مفعول يغبط، قال في المصباح: «طَرَقَ الكَلامُ السَّمْعَ والمِسْمَع بكسر الأوّل، والجمع: أَسْمَاع ومَسَامِع». وفي القاموس: «المِسْمَع، كمِنْبَر: [الأُذُن]، والجمع: مَسامِع» وقوله (عند ذكرها): أي ذكر هذه المحبوبة الحقيقيّة بلساني، حيث أنّ الأذن تسمع الذكر دون العين، فتتمنى العين لو أنّها تسمع الذكر أيضاً مثل الأذن، من غير أن يذهب سماع الأذن عنها؛ فكان غبطة لا حسد. وقوله (وتحسد ما): مفعول تحسد، قُدِّم للحصر، أي: الجزء الذي (أفنته): أي محقته وأزالته هذه المحبوبة الحقيقيّة. (منّي): أي من بين أجزائي، وذلك الجزء الذي أفنته المحبوبة المذكورة منه هو نفسه؛ فإنّ تجلِّي الوجود الحقّ وظهوره للنفس يبطل النفس، ويفنيها، ويمحقها، ويزيلها بالكليّة. وقوله (بقيَّتي): فاعل تحسد، وكان حسداً، لا غبطة؛ لأنّ مراده زوال الفناء عن النفس، وحصوله لبقيّة الأجزاء الإنسانيّة لترى النفس بالوجود الذي يظهرعليها ما أفناه الوجود من البَقيَّة فيحصل الترقي في المعرفة.

١٤٨- أَمَمْتُ إمَامِي فِي الحَقِيقَةِ فَالوَرَى وَرَائِي وَكَانَت حَيثُ وَجَّهْتُ وِجْهَتِي

[١٢٥/ أ](أممت): من أَمَّهُ، وأمّ به إمامة: صلّى به إماماً، كذا في المصباح. فإنْ أَمَّهُ وأَمَّ به بتشديد الميم، ثمّ لمّا اتصل به ضمير المتكلِّم وهو التاء، فُكَّ الإدغام فقيل: أممت. وقوله (إمامي): بكسر الهمزة، أي: صرت إماماً لإمامي، وكنت مقتدياً به، فصار مقتدياً بي. وقوله (في الحقيقة): متعلّق بأممت، أو بمحذوف صفة

لإمامي، أي: في علم الحقيقة، أو في حقيقة الأمر لزيادة اختصاص الحقّ تعالى له بعلوم ليست عند شيخه، كما قال أبو الحسن الشاذليّ قدّس الله سرّه: «أخذت عن ستمئة شيخ، ثمّ وُزنت بهم فرجحتهم». وقوله (**أممت في الحقيقة إمامي**): أي مَن كنت أقتدي به في العلوم الظاهرة من مشايخ الحديث والفقه وعلوم العربية وغيرها، فكنت أقتدي بهم في ذلك، ويقتدون بي في علوم الباطن. حتى شيخه الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، قدّس الله سرّه، من حيث أنّ الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه، وكذا بقيّة مشايخه في العلوم الباطنة؛ إذ جميع مشايخه من قبيل قولهم: «المريد شيخ الشيخ بالحال، والشيخ شيخ المريد بالقال». وذلك لأنَّ المريد يستخرج بصدق حاله من باطن الشيخ علوم التحقيق، فتجري على لسانه بعناية التوفيق، فهو إمامه بهذا الاعتبار. أو أنّه قال: **أممت إمامي** بعد تحقّقه بالفناء في جميع باطنه وظاهره، بحيث وجد الحقّ تعالى هو الحيّ القيّوم عليه، والوجود للحقّ وحده، ووجد نفسه، وجميع ظواهره وبواطنه مجرد شؤون وتقادير عدميّة، متجلّياً بها الحقّ تعالى فانمحت ذاته في ذات الحقّ، وصفاته في صفاته، وأفعاله في أفعاله. وصار من قبيل قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩]. وقوله سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [١٠/ يونس/ ٦١] فالشؤون له تعالى بحكم الأصالة، وهي لنا أيضاً بحكم التبعيّة، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

إنّما نحن للإله شؤون ... فهو فينا في كلّ آن يكون

نزلت شمسه المنازل منّا ... فظهور لها بنا وكمون

فإنّ المنازل مجرد تقادير تنزلها الشمس فتختلف أحكام الشمس بها، والشمس في نفسها على ما هي عليه. وإذا كان الأمر كذلك فقد رجعت ذاته إلى ذات الحقّ تعالى بعد فناء ذاته هو، ورجعت صفاته إلى صفاته بعد فناء صفاته وأفعاله إلى

أفعاله، فكان بهذا الاعتبار إماماً لكلّ إمام في الظاهر والباطن من حيث أنّهم كلّهم سواه، وغيره، وهم كلّهم مخلوقون مثله من حيث أنّه مثلهم مخلوق للحقّ تعالى، وهو إمامهم من حيث أنّه فانٍ عن وجوده، شاهد بشهود الحقّ تعالى في تحقيق شهوده، فليس هوغيرهم بهذا الاعتبار؛ بل هوعينهم وحقيقتهم بعد طهارتهم منهم بتنزههم عنهم، وطهارته هو أيضاً منه بتنزهه عنه، فهو إمامهم الذي هم مقتدون به في كلّ حال، وصحّ قوله؛ فالورى كفَتى: الخلق، كذا في القاموس. والخلق بمعنى المخلوقات كلّها. وقوله (ورائي): قال في القاموس: «وراء مثلثة مبنيّة، والوراء معرفة، تكون خلف وقدّام، ضدّ أولاً؛ لأنّه بمعنى. وهو ما توارى عنك». وكون الورى وراءه من حيث أنّهم ورى؛ أي: خَلْف، لا من حيث أنّهم فانون عن وجودهم الوهميّ مثله، لأنّهم عينه، وحقيقته بذلك الاعتبار حينئذ؛ ولهذا كان مبنى كلام المحقِّقين من أهل الله تعالى على تحقيق مقام الفناء في الوجود. وذوق ذلك بدوام الشهود بخلاف كلام الصوفيّة كلِّهم؛ فإنّه مبني على حسن المعاملة مع الحقّ ومع الخلق؛ من حيث أنّهم صوفيّة، ولا تتحقَّق لهم في المعرفة. وقوله (**وكانت**): أي تلك المحبوبة الحقيقيّة حيث (**وجَّهت وجهي**): قال في القاموس: «الجهة مثلثة، والتوجهة بالكسر والضمّ: الجانب والناحية». وهذا من قوله:/ [١٢٥/ ب] ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] قال في القاموس: «الوَجْه نفس الشيء».

١٤٩- يَرَاهَا أَمَامِي فِي صَلَاتِيَ نَاظِرِي وَيَشْهَدُنِي قَلْبِي أَمَامَ أَئِمَّتِي

(**يراها**): أي يبصرها ويتحقَّقها. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**أمامي**): بفتح الهمزة. قال في المصباح: «أمام الشيء بالفتح: مُستَقْبَلُهُ، وهو ظرف، ولهذا يذكَّر ويؤنَّث على معنى الجهة». قال في القاموس: «والأمَام نقيض الوراء، كقُدّام، يكون اسماً وظرفاً، وقد يُذَكَّر». وقوله (**في صلاتي**): من قوله عليه السلام: «إنّ الله

في قبلة أحدكم»[1] الحديث. وقوله (**ناظري**): فاعل يراها، من قول الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه: «ما رأيت شيئاً إلّا رأيت الله فيه». وهذه الصلاة هي المعتبرة عند أهل التحقيق، وهي الصلاة التي فيها قرّة عين النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كما ورد في الحديث: «حُبِّب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرّة عيني في الصلاة»[2]. وكون قرّة عينه صلّى الله عليه وسلَّم في الصلاة أي: غاية فرحه بلقاء ربّه فيها، ورؤيته له في قبلته، وقوله (**ويشهدُني**): أي يشاهدني ويراني. (**قلبي**): فاعل يشهدني. وياء المتكلِّم مفعول أوّل ليشهدني، والمفعول الثاني (**إمام**): بكسر الهمزة، وهو ما ائتُمّ به، من رئيس وغيره، وجمعه: أيمَّة، وأَئِمَّة شاذّ، كذا في القاموس. وكون قلبه يشهد نفسه أمام أئمّته، أي: مشايخه؛ إنّما ذلك بعد تحقُّقه بمقام الفناء في الوجود؛ فالإمام في الحقيقة هو الوجود الحقّ لا غير كما سبق في البيت قبله.

١٥٠ - ولَا غَرْوَ أَنْ صَلّى الأنَامُ[3] إلَيَّ أَنْ ثَوَتْ بِفُؤادِي وَهْيَ قِبْلَةُ قِبْلَتِي

(**ولا غرو**): بالغين المعجمة، قال في المصباح: «غَرَوْتُ غَرْوَاً، من باب قَتَل: عجبت، ولا غرو: ولا عجب». وقوله (**إنْ**): بكسر الهمزة، والنون ساكنة. (**صلّى**) : أي الصلاة المعهودة. (**الأنام**): فاعل صلّى. والأنام بالنون: الخَلْقُ، أو الجِن، أو الإنس، أوجميع ما على وجه الأرض، كذا في القاموس. وفي نسخة الأمام بالميم، أي: إمام الصلاة بالجماعة. وقوله (**إليّ**): بالتشديد، أي: إلى جهتي. وقوله (**أنْ**): بفتح الهمزة، أي: لأنْ مخففة من الثقيلة. وقوله (**ثوت**): بالثاء المثلّثة، أي: سكنت. ثَوَى بالمكان وفيه، أي: أقام، كذا في المصباح. والمعنى: أقامت، يعني: المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**بفؤادي**): أي في فؤادي، أي: قلبي، من قوله عليه السلام في الحديث القدسيّ: «ما وسعني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي

---

(١) انظر تخريجه ص٢٧٣.

(٢) انظر تخريجه ص٤٨٤.

(٣) في (ق): الإمام.

المؤمن»[1]. وهذا الوسع وسع معرفة، لا وسع حلول؛ لأنّه تعالى لا شيء معه، والوجود له وحده؛ فالموجودات كلّها كناية عن تجلّيه بمعلوماته ومراداته التي هي مقدرات ومرتبات في حضرة علمه القديم. وقوله (**وهي**): الواو للحال، أي: المحبوبة الحقيقيّة (**قِبْلَةُ**): بكسر القاف، قال في القاموس: «القِبلة بالكسر التي يُصَلِّى نحوها، والكعبة، وكلّ ما استقبلك. وقوله (قبلتي): مضاف إليه، يعني: هيّ، أي: المحبوبة الحقيقيّة قبلة قبلتي التي أنا متوجّه إليها في صلواتي؛ فإنّها متوجّهة مثلي إليها أيضاً، فإنّ الكعبة بيت الله ، حكماً إلهيّاً، شرعيّاً، محمّديّاً، لا حقيقة؛ لأنّ الله تعالى لا مكان له، وهو خالق المكان.

١٥١ - وَكُلُّ الجِهَاتِ السِّتِّ نَحْوِي تَوَجَّهَت[2] بِـمَا ثَـمَّ مِـنْ نَـسْكٍ وَحَـجٍّ وَعُمْـرَةِ

(**وكلّ الجهات**): جمع جِهة، مثلّثة؛ وهي الجانب والناحية. وقوله (**السِّتّ**): بالكسر، أصله سِدْس، فأُبْدِل السينُ تاءً، وأُدْغِمَ فيه الدال، كذا في القاموس. و(**الجهات الستّ**): هي فوق وتحت ويمين وشمال وقدّام وخلف. والمراد أهل الجهات الستّ من العابدين. وقوله (**توجّهَتْ**): من وجَّهَهَ بالتشديد تَوْجِيْهاً: أرسله، أي: مرسلة نحوي، قاصدة لي. وقوله (**بما ثَمّ**): أي بمصاحبة ما. (**ثَمّ**): بفتح الثاء المثلثة، أي: هناك أي: بما هو لدى العابدين، والجار والمجرور متعلّقان بتوجّهت. وقوله (**من نَسْك**): بيان لما، والنُّسْك بسكون السين المهملة. قال في القاموس: «النَّسْك مثلثة، وبضمّتين: العِبادة، وكلُّ حقّ لله تعالى. وقد نَسَكَ كنَصَرَ وكَرُمَ». وقوله (**وحج**):/ [١٢٦/ أ] معطوف على نسك. والحج: القصد، وقصد مكّة للنسك. وقوله (**وعمرة**): معطوف عليه. والعُمْرَةُ: الزيارة، وقد اعْتَمَرَ وأَعْمَرَهُ: أعانه على أدائها، كذا في القاموس. والمعنى: جميع أهل الجهات الستّ متوجِّهون نحوي وجهتي في حال توَجُّههم إلى الكعبة بالنسك والحجّ

(١) انظر تخريجه ص٣٢٤.

(٢) في (ق): مشيرة.

والعمرة. كما أنّهم إذا صلّوا فهم متوجِّهون إلى جهتي أيضاً، بسبب أنّ المحبوبة الحقيقيّة أقامت بقلبي كما سبق في البيت قبله، أي: وسعها قلبي؛ على معنى أنّه عرفها حقّ معرفته، لا حقّ معرفتها؛ لأنّها لا يعرفها حقّ معرفتها إلّا هي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١].

١٥٢- لَـهَا صَـلَوَاتِي بِالمَقَـامِ أُقِيْمُهَـا وأَشْـهَدُ فِيْهَـا أَنَّهَـا لِـيَ صَـلَّتِ

(لها): أي لهذه المحبوبة الحقيقيّة. (صلواتي): جمع صلاة، وإنّما جمعها لاختلافها باختلاف صورها باختلاف مواضع ظهورها؛ فصلاة الجسد ذات الركوع والسجود. وصلاة النفس بالموت لاختياري. وصلاة الروح بالفناء في المشاهدة. فهذه الصلوات الثلاث هي قوله (في المقام): أي مقام إبراهيم عليه السلام. (أقيمها): يعني بعد كلّ أسبوع من الطواف. فطواف الجسد معروف بكعبة الحسّ ذات الأركان الأربعة. وكعبة النفس: حضرة الأسماء والصفات ذات الأركان الأربعة: الحيّ بالحياة، والعالم بالعلم، والمريد بالإرادة، والقادر بالقدرة. وكعبة الذاتِ الإلهيّة ذات الأركان الأربعة: التجلّي، والاستتار، والمحو، والإثبات. قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [٢/ البقرة/ ١٢٥]. فمقام إبراهيم في كلّ صلاة من هذه الصلوات الثلاث. أمّا في مقامه في كعبة الحسّ فمعلوم مقامه في كعبة الأسماء والصّفات، مقام الإسلام ، قال تعالى في إبراهيم:﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ الأية [٢/ البقرة/ ١٣١]. ومقامه في كعبة الذات دوام شهود الوجود الحقّ. ثمّ قال الناظم قُدّس سرّه. (وأشهد فيها): أي في تلك الصلوات المذكورة. (أنّها): أي هذه المحبوبة الحقيقيّة. (لِيَ): بفتح الياء التحتيّة. (صَلَّتِ): بكسر التاء للقافية، أي: أنّها رحمتني بصلاتها؛ لأنّ الصلاة من الله تعالى الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾: أي ظلمة الجسد، وظلمة النفس، وظلمة الروح الإنساني ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤٣] أي: نور الوجود الحقّ؛ فالظلمات ثلاث، والنور واحد. والصلاة من المكلّفين بها

الدعاء. قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٠] أي اعبدوني بالصلاة أجبكم بالرحمة.

١٥٣- كَلَانَا مُصَلٍّ وَاحِدٌ سَاجِدٌ إلى حَقِيْقَتِهِ بِالجَمْعِ فِي كُلِّ سَجْدَةِ

(**كلانا**): أي كلّ واحد منّا أنا والمحبوبة الحقيقيّة (**مصلٍّ واحد**): صلاة واحدة، هي منّي دعاء لها، ومنها رحمة لي. والفاعل واحد: أنا بالروح والنفس والجسد؛ الصلوات الثلاث التي ذكرناها في ما سبق في البيت قبله. والمحبوبة الحقيقيّة بالوجود الحقّ الحقيقيّ. ثم قال (**ساجدٌ**): أي ذلك المصلّي الواحد إلى حقيقته التي هي الوجود الحقّ الحقيقيّ، الذي لا يشعر به كيف، ولا حدّ، وليس له صورة، ولا مثل، ولا شبه المطلق حتى من الإطلاق؛ لأنّه قيّد، وهو المنزّه من جميع القيود الحسّيّة والمعنويّة. وقوله (**بالجمع**): أي بسبب الجمع. والجار والمجرور متعلّقان بساجد. والجمع هو اتّحاد الحقيقتين في الغيب. كما أنّ الفرق تعدّدهما في الشهادة؛ فإنّ القيوم على كلّ نفس بما كسبت باعتبار مبلغها من العلم. وقوله (**في كلّ سجدة**): أي من سجدات الصلوات الثلاث؛ فسجدة الجسد معروفة. وسجدة النفس اندراجها في حضرة الأسماء والصفات. وسجدة الروح اندراجها في أمر الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] الآية.

١٥٤- وَمَا كَانَ لِي صَلَّى سِوَايَ وَلَمْ تَكُن صَلَاتِي لِغَيْرِي فِي أَدَا كُلِّ رَكْعَةِ

(**وما كان لي صلّى**): من حيث الحقيقة الواحدة. (**سواي**): أي غيري. (**وإنّما**): من حيث تلك الحقيقة الواحدة صَلَّيت بأنْ فعلت فعل الصلاة بتصوير الصورة قائمة، قارئة، راكعة، ساجدة/ [١٢٦/ ب] قاصدة بذلك تلك الحقيقة المذكورة، وصورة المعبر عنها بأنّا عند الغافلين من جملة أفعال تلك الحقيقة وتصاويرها. وقوله (**ولم تكن صلاتي**): المذكورة صادرة عنّي؛ بل هي صادرة عن تلك الحقيقة لتلك الحقيقة نفسها، لا صادرة منّي لغيري. (**في أدا كلّ ركعة**). من ركعات تلك الصلاة؛ والحاصل أنّه لمّا كانت الحقيقة واحدة، وقد صوِّرت لها صورة من قوله:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٤/ النساء/ ١٣١] وقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وهو تعالى من حيث هو لا صورة له، ومن حيث أسمائه وصفاته له كلّ الصور، كان له سبحانه حضرتان: حضرة غيبه المنزّهة عن مشابهة الأكوان. وحضرة شهادته التي هي أعيان الأكوان. وأعيان الأكوان عدم صرف في الوجود الواحد القديم الحقّ، فإذا صلّى بصورته العدميّة في وجوده الحقّ صلّى لنفسه بنفسه لا بغيره لغيره، والله على كلّ شيء قدير.

١٥٥- إِلى كَمْ أُوَاخِي السِّتْرَ هَا قَدْ هَتَكْتُهُ وَحَلُّ أَوَاخِي الحُجْبِ فِي عَقْدِ بَيْعَتِي

(إلى كم): أي إلى كم وقت وزمان. فكم استفهاميّة بمعنى أيّ عدد. أو خبريّة بمعنى كثير، أي: إلى زمن كثير. وقوله **(أُوَاخِي)**: بضمّ الهمزة فعل مضارع من المؤاخاة، لغة المُآخاة. قال في الصحاح: «واخَاه لغة ضعيفة في آخاه، يبنى على يُوَاخِي». ومعنى أُواخي: أتّخذ أخاً، أي: ألتزم. **(السِّتْر)**: بكسر السين المهملة، أي: الحجاب، وبفتحها: مصدر سَتَرت الشيءَ سَتْراً من باب قتل. وحاصل المعنى إلى كم مدّة ألتزم الحجاب عن الحقّ تعالى فأستره بذكر نفسي بين الغافلين عنه مماثلة لهم، ومراعاة لطريقهم وعاداتهم. ثمّ قال **(ها)**: وهي كلمة تنبيه، وتدخل في ذا وذه، تقول: هذا وهذه، كما في القاموس. وقوله **(قد هتكته)**: الضمير للسِّتر. وقال في القاموس: «هَتَكَ السِّتْرَ وغيرَه يَهْتِكُهُ فَانْهَتَكَ وتَهَتَّكَ: جَذَبَه فَقَطَعَهُ من موضعه. أو شَقَّ منه جُزْءاً فَبَدا ما وراءه». وقوله **(وحلّ)**: يقال حلّ العقدة: نقضها فانحلّت. وقوله **(أُوَاخي)**: جمع أُخيّة، قال في القاموس: «الأُخيّة ويمدّ، وقد يخفف كآنية، عود في حائط أو في حبل، يدفن طرفاه في الأرض، ويبرز طَرَفُه كالحلقة تُشدّ فيها الدّابة. والجمع: أَخَايَا وأُوَاخِي. والآخيّة: الطُّنُبُ، والحُرْمَة، والذِّمَّة». وقد أضيف أُواخي إلى الحجب؛ فإنّ إيراد المعنى الأوّل كناية عن ما تشدّ به عقول دواب الغافلين المحجوبين من زخارف الدّنيا، وعوائد المعاش، ومطلق الأسباب؛ فإنّها حجب كلّها. أو إيراد المعنى الثاني استعارة بالكناية؛ شبه الحجب

بالخيمات على أهلها، وأثبت الأطناب تخييل للاستعارة ، والحلّ ترشيح، أو إيراد المعنى الثالث أو الرابع؛ فإنّ الحجب لها حرمة عند أهلها، ولها ذمّة محفوظة بينهم لا يتعدّونها. والحُجُب جمع حِجَابَ، وما احْتُجِب به. وقوله (**عقد بيعتي**): قال في القاموس: «عَقَدَ الحبْلَ والبَيْعَ والعَهْدَ يَعْقِدُه: شَدَّهُ، و ـ البَيْعَةَ بفتح الباء ـ فعل مرّة من بَاعَه يَبِيْعَهُ بَيْعاً: إذا بَاعَهُ وإذا اشْتَرَاهُ ، ضدّ، صرّح به في القاموس؛ فالبَيْعَةُ: العهد والموثق بين اثنين، كأنّ كلًّا منهما يبيع نفسه للآخر. والأخر يشتريها منه، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [٩/ توبة/ ١١١] الآية. وفي الحديث «فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[١] المراد عقد بيعته للمشايخ الصادقين. يعني: من جملة عهودي من مشايخي زالت قيود العادات عن قلبي، وفك أغلال الأسباب عن عقلي ولبّي حتى أبقى منكشف الحجاب، مرتفع النقاب، فليس في هتك الستر مخالفة لآراء الرجال إذا كان ذلك بسبب غلبة الحال. والمراد عقد بيعة الربوبيّة بين العباد وبين ربّهم يوم الميثاق في عالم الذرّ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ / [١٢٧/ أ] ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [٧/ الأعراف / ٧٢] فإنَّ هذا الميثاق لا حجاب فيه بين العبد وربّه، ومقتضاه ترك الحجب وإزالتها.

١٥٦- مُنِحْتُ وَلَاهَا يَوْمَ لَا يَوْمَ قَبْلَ أنْ بَـدَتْ عِنْـدَ أَخْـذِ العَهْـدِ فِي أَوَّلِيَّتِـي

(**منحتُ**): بضمّ الميم فعل مبني للمفعول، أي: أعطيت. وقوله (**ولاها**): بالفتح والقصر، وأصله المدّ، أي: قرّبها والدنوّ منها ومحبّتها. وقوله (**يوم لا يوم**):

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء، ٥٥٦، عن أبي مالك الأشعري، بلفظ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجّة لك أو عليك. كلّ الناس يغدو؛ فبائع نفسه؛ فمعتقها، أو موبقها». وللحديث أطراف كثيرة عند المحدّثين.

أي الوقت الذي خلقت فيه الأرواح قبل ظهور عالم الأفلاك وحركاتها، وقبل ظهور الزمان. وهو اليوم القائم من الأزل إلى الأبد من حيث هو قطع النظر عن انصباغه في كلّ دورة فلكيّة بصبغة طلوع الشمس، وصبغة غروبها. وهو يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وهو يوم ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٦]. وقوله **(قبل أن بدت)**: أي ظهرت وانكشفت لي؛ يعني: المحبوبة الحقيقيّة التي منحتني، أي: أعطتني ولاها فشغفت بحبّها، والقرب إليها، والدنوّ منها في عالم الأرواح. ثمّ لمّا ظهرت لي في عالم الذرّ من الخلقة الأدميّة أخذت عليّ ميثاق عهدها ما حرّكت به داعية المحبّة الأوّليّة بإظهار تجلّي الربوبيّة. وفي قوله **(منحت)**: إشارة إلى الاستعداد من أوّل الخلقة. وإنّ الأمر وهبي لا كسبيّ.

١٥٧ - فَنِلْتُ هَوَاهَا لَا بِسَمْعٍ وَنَاظِرٍ   وَلَا بِاكْتِسَابٍ وَاجْتِلَابِ جِبِلَّةِ

(فنلت): الفاء تفريعيّة على ما تقدم من قوله في البيت قبله منحت ولاها. وقوله **(هواها)**: أي محبّتها، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(لا بسمع)**: أي باستماعي لأوصافها الحسنى وأسمائها العليا من قبيل قول الشاعر:

سمعت أوصافك الحسنى فهمت بها   والأذن تعشق قبل العين أحياناً

وقوله **(وناظر)**: أي ولا بناظر، أي: بسبب رؤية رأيتها بها فهويتها. وقوله **(ولا باكتساب)**: مصدر اكتسب تصرف واجتهد، أي: من غير تصرّف منّي ولا اجتهاد لي في ذلك. وقوله **(واجتلاب)**: مصدر اجتلبه: ساقه من موضع إلى آخر، كذا في القاموس. و**(جبلّة)**: مضاف إليه، قال في القاموس: «الجِبِلَّة محرّكة وهو الخِلْقَة والطبيعة»؛ والمعنى: إنني نلت المحبّة لها منحة لي منها، وعطيّة من الأزل قبل خلق الزمان وما فيه، وأنا في حضرة علمها بتجلّي اسمها العليم، وفي حضرة كلامها القديم. ثمّ لمّا كان عالم الذرّ أخذت عليّ العهد بربوبيّتها، ثمّ لمّا ظهرت بحركة محبّتها من عالم الذرّ إلى عالم الأجسام انكشفت محبّتها في قلبي، ولم يكن ذلك عندي بسبب استعمال شيء من الحواس، أو العقل، أومن جهة الطبيعة والخلقة.

١٥٨- وَهِمْتُ بِهَا فِي عَالَمِ الأَمْرِ حَيْثُ لَا ظُهُورٌ وَكَانَتْ نَشْوَتِي قَبْلَ نَشْأَتِي

(**وهمت**): من هَام يَهيم: أحبّ امرأة، كذا في القاموس. وقوله (**بها**): أي بهذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**في عالم**): بفتح اللام. و(**الأمر**): هو الأمر الإلهيّ الذي قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وهو الذي قام به الخلق كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥] وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] فإنّ الخلق صور الأمر، والخلق كثير، والأمر واحد قائم على كلّ أحد من ذلك الخلق الكثير، والأمر قديم، والخلق حادث، وحدوثه ترتيبه في الظهورعلى حسب ما سبق به العلم القديم، واقتضته الإرادة الأزليّة، والمشيئة الأبديّة. وقوله (**حيث لا ظهور**): يعني في عالم الخلق، وهيامه بها في ذلك العالم الأمري القديم هوعين هيامه بها في هذا العالم الذي هو عالم الظهور، لكنّه من غير ظهور، فإنّ الخلق ما زاد على الأمر إلّا بالظهور فقط، والظهور إنّما هو للخلق على حسب الترتيب الذي في العلم والإرادة والمشيئة. وأمّا له سبحانه فلا ظهور ولا بطون. والكلّ حاضر لديه جملة واحدة مشهود لا يغيب عنه. وقوله (**وكانت**): أي وجدت نشوتي، قال في القاموس/ [١٢٧/ ب]: «نَشى نَشْوَة مثلّثة كانتشى». وقوله (**قبل نشأتي**): من نشأ، بالهمزة، كمَنَع وكَرُم. نَشْأً ونَشْأَةً: حَيِيَ وَرَبَا وَشَبَّ؛ يعني: كانت سكرتي بخمر محبَّتها قبل وجود حياتي وزيادة مادّتي التي هي ماهيَّتي، على ما كنت فيه حيث كنت في عالم الأمر مجرّداً عن عالم المادة والماهيّة.

١٥٩- فَأَفْنَى الهَوَى مَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّ بَاقِياً هُنَا مِنْ صِفَاتٍ بَيْنَنَا فَاضْمَحَلَّتِ

(**فأفنى الهوى**): أي ذهبت المحبّة الإلهيّة. وقوله (**ما**): أي الذي لم يكن قبل، أي: لم يوجد، بأن كشفت عن ذلك من قبيل قول العريف قدَّس الله سرّه: «حتّى يفنى مَنْ لَمْ يَكُن، ويظهر مَنْ لم يزل». فإنّ فناء الفاني ـ بمعنى انكشاف فنائه ـ وظهور من لم يزل التحقّق به، وبأنّه هو الموجود لا غيره. وقوله (**ثَمّ**): بفتح الثاء المثلّثة، أي:

هناك، وقال في القاموس: «ثَمَّ بالفتح: اسم يشار به إلى المكان البعيد، ظَرْفٌ لا يتصرّف. فقول مَن أعربه مفعول لرأيت في ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٢٠] وَهْمٌ». والإشارة بثَمّ إلى حال اضمحلال الأكوان، وظهور فناء الأعيان. وقوله (**باقياً**): حال من فاعل يكن إنْ كانت تامّة، وخبرها إنْ كانت ناقصة. وقوله (**هنا**): بضمّ الهاء، اسم إشارة إلى المكان القريب. وهو حال توهّم وجود الأكوان، وتحقُّق حقائق الأعيان في حضرة غفلة الإنسان عن شهود تجلِّي الوجود الحقّ على عرش الرحمن. وقوله (**من صفات**): بيان لما لم يكن. وقوله (**بيننا**): أي بيني وبين المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**فاضمحلّت**): بكسر التاء للقافية، أي: تلك الصفات المذكورة من حيث أنّها صفات كونيّة؛ والمعنى: إنّ المحبّة الإلهيّة أفنت ذات المحبّ، فرجعت ذاته أمراً تقديرياً كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [٦٧/ يس/ ٩٦] والتقدير أمر نسبي. والنسب لا حقيقة لها؛ وإنّما هي اعتبارات يعتبرها الوجود الحقّ فيظهر بها، وهي فانية في نفسها مضمحلّة. فأمّا الصفات التي تتصف بها تلك الذات من الحياة، والعلم والإرادة، والخشية، والقدرة، والقول، والكلام، والسمع، والبصر، إلى غير ذلك؛ فهي مجرّد تقديريّة ونسب واعتبارات من حيث خصوصيّات تعلّقاتها من بقيّة التقادير الكونيّة كما ذكرنا في الذات، فإذا انكشف الوجود الحقّ بطل وجود جميع ذلك، وتبيّن قوله: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»[1] كما في الحديث القدسي الوارد في حقِّ المتقرِّب بالنوافل.

١٦٠- فَأَلْفَيْتُ مَا أَلْقَيْتُ عَنِّيَ صَادِرَاً   إِلَـيَّ وَمِنِّـي وَارِدَاً بِمَزِيْدَتِـي[2]

(فألفيت): بالفاء، أي: وجدت، ألفاه: وجده. وقوله (ما): مفعول أوّل لألفيتُ، أي: الذي. (ألقيتُ): بالقاف، أي: طرحتُ وأزلتُ. والعائد محذوف،

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) في (ق): ببصيرتي.

أي: ألقيته عنّي. متعلّق بـ(صادراً). أراد: إنه طرح عن دعوى نفسه تلك الصفات التي كان يدّعيها لفناء نفسه، ورجوع صفاته إلى حقيقة الوجود الحقّ الذي ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. وقوله (صادراً): مفعول ثانٍ لألفيت، أي: وجدت الذي ألقيته من الصفات والذات صادراً ذلك الإلقاء عنّي. وقوله (إليّ): متعلّق بوارد، أي: صادراً عنّي ومنّي؛ أي: من حقيقتي وارد إليّ. وقوله (بمَزِيدَتِي): أي مع مزيدتي، وهي ذاتي ونفسي التي أردت ذلك. والحاصل: إنّه بعد تحقّقه بفناء ذاته وصفاته وجد ذلك كلّه صادراً من حقيقة الوجود الحقّ، وارداً على حقيقة الوجود الحقّ.

١٦١- وَشَاهَدْتُ نَفْسِي بِالصِّفَاتِ التي بِها تَحَجَّبَتِ عَنِّي فِي شُهُودِي وحِجْبَتِي

(**وشاهدت**): أي عاينت نفسي على ما هي عليه من حقيقتها الوجوديّة الحقّة المستترة بالتقدير الفاني الحاصل منها. وقوله (**بالصفات**): متعلّق بـ(**شاهدت**). أي: بحقائق الصفات الراجعة في نفس الأمر إلى حقيقة الوجود الحقّ بعد ظهور فناء تقاديرها/[١٢٨/أ] الوهميّة حقيقة نفسي وذاتي التي هي حقيقة الوجود الحقّ. وقوله (**في شهودي وحِجْبَتِي**): من قبيل اللف والنشر: المراتب. فقوله: في شهودي متعلّق بشاهدت. وقوله: وحِجْبَتي راجع إلى قوله تحجّبت.

١٦٢- وَإِنِّي الّتِي أَحْبَبْتُهَا لا مَحَالَةً وَكَانَتْ لَهَا نَفْسِي عَلَيَّ مُحِيلَتِي

(**وإنّي**): أي شاهدت أيضاً. (**إني التي أحببتها**): أي المحبوبة الحقيقيّة التي أحببتها؛ فإنّها أنا في نفس الأمر بعد تحققي بفناء نفسي وذاتي الوهميّة التقديريّة، وفناء صفاتها الوهميّة التقديريّة أيضاً. وقوله (**لا مَحالة**): من المَحال، ككتاب: المَكيد، وروم الأمر بالحيل، والتدبير، والمكر، كذا في القاموس. أي: لا شيء من ذلك فيما ذكرته. وقوله (**وكانت لها**): أي للتي أحببتها؛ نفسي الحقيقيّة لا الوهميّة التقديريّة. (**عليّ**): بتشديد الياء، أي: على نفسي الحقيقيّة على معرفة نفسي الوهميّة

التقديريّة، كما ورد في الأثر ـ من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[1] وقال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٤٣] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصلت/ ٥٣] قال الشيخ الأكبر محيي الدين:

حقيقتي همت بها ... وما رآها بصري

ولو رآها لغدا ... قتيل ذاك الحور

١٦٣ - فَهَامَتْ بِهَا مِنْ حَيْثُ لَمْ تَدْرِ وَهْيَ فِي ... شُهُودِي بِنَفْسِ الأمْرِ غَيْرُ جَهُولَةِ

(فهامت): أي نفسي الوهميّة التقديريّة. **(بها)**: أي بنفسي الحقيقيّة من حيث لم تدرِ، أي: نفسي الوهميّة التقديريّة أنّ هيامها في نفسها الحقيقيّ، وإلى ذلك أشرت بقولي من قصيدة لي في ديواني:

وبذات المليح ذات مليح ... كلّما شئت كلّمتني شفاها

أي: مشافهة من حيث أنا؛ والمعنى: إنّه بذات المليح الوهميّة التقديريّة ظاهرة لي ذات مليح حقيقي، وإنّما يكون ذلك بعد التحقُّق بالفناء الحاضر لا محالة. وقوله **(وهي)**: أي نفسي وذاتي الحقيقيّة في حال شهودي ومعاينتي لها بها. وقوله **(بنفس الأمر)**: متعلّق بـ**(جهولةِ)**: أي غير جاهلة بنفس الأمر؛ بل عالمة بذلك، ولكنها تفعل ما تشاء وتحكم ما تريده.

١٦٤ - وَقَدْ آنَ لِي تَفْصِيلُ مَا قُلْتُ مُجْمَلاً ... وَإِجْمَالُ مَا فَصَّلْتُ بَسْطاً لِبَسْطَتِي

(وقد آن): أي قرب وحان. **(لي تفصيل ما قلت)**: أي الذي ذكرته في الأبيات قبله.

(مجملاً): حال من ما، وهذا إشارة منه أنّ كلامه السابق في قوله: وأنّي التي أحببتها ، ونحو ذلك كلام منه مجمل محتاج إلى التفصيل والبيان؛ فإنّ ظاهره في

---

(١) ذكره العجلونيّ في الكشف، ٢٥٣٢، وقال: قال ابن تيميّة: موضوع. وقال النوويّ: ليس بثابت، انظر الكشف للعجلونيّ ٢/ ٢٦٢.

فهم الغافل المحجوب الذي لا يعرف الفناء الحاضر الشامل له، ولا يعترف به لغلبة الوهم على قلبه أنّ المصنّف يقول باتحاد العبد والرب بحيث أنّ ذات كلّ واحد منهما عين ذات الآخر، وحاشاه أن يقول ذلك، أو أنّ مجمل كلامه معناه ذلك؛ وإنّما مراده ما قدّمناه في شرح كلامه قريباً بأنّ ذات العبد ونفسه مجرد تقدير واعتبار، وكذلك جميع صفاته قدر ذلك، واعتبره الوجود الحقّ فظهر به، والتقادير والاعتبارات أمور نسبيّة لا حقائق لها في نفس الأمر؛ وإنّما الحقيقة الواحدة المقدّرة المعتبرة بصيغة اسم الفاعل؛ لذلك كلّه هي الوجود الحقّ الواحد الأحد، الظاهر بكلّ شيء، قدّره واعتبره من غير أنْ ينقسم وجوده على الأشياء، ولو استفادت الأشياء منه وجوداً أصلاً غير وجوده الحقّ الواحد؛ لأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولا يشبهه شيء، ولا يشبه شيئاً، وهو الكافي لكلّ شيء، ولا يشغله شيء عن شيء، وكلّ شيء هالك؛ فانٍ مضمحل. لا وجود له أصلاً إلّا وجهه؛ أي: توجّهه إلى تقدير كلّ شيء، واعتباره، وتصويره، وهو الحيّ القيّوم لا إله إلّا هو. والحاصل: إنّ الوجود الحقّ المطلق بالإطلاق الحقيقيّ /[١٢٨/ب] حتى عن معنى الإطلاق المفهوم لنا قدَّر لنفسه في نفسه تقادير عدميّة، وصوَّر لظهوره تصاوير، واعتبر اعتبارات ورتب ومراتب؛ فظهر بها لمن شاء وأراد من تلك التقادير وتلك الصور، والاعتبارات، والمراتب العدميّة الفانية بظهور، وعلوم، وفهوم؛ وهي تقادير، وتصاوير، واعتبارات، ومراتب عدميّة فانية أيضاً، على حسب ما شاء وأراد، واستتر، واحتجب عن من شاء وأراد أيضاً، باستتار واحتجاب هو تقدير واعتبار عدمي فانٍ، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد في تلك التقادير والتصاوير والاعتبارات والمراتب العدميّة الفانية، وليس عين تلك التصاوير والتقادير. ولا تلك التصاوير والتقادير عينه؛ وإنّما ليس في الوجود غيره؛ وهذا معنى الاتحاد عند المصنِّف قدّس الله سرّه، وضاعف أنعامه وبرُّه. وقوله **(وإجمال)**: هو ضدّ التفصيل. وقوله **(ما فصَّلت)**: أي الذي فصَّلته أجمله أيضاً؛ لأنّ الأمر الإلهيّ ظاهر، باطن، مستتر، مكشوف، لا يحتجب مطلقاً من كلّ

وجه، ولا ينكشف مطلقاً من كلّ وجه، ولم يزل كذلك إلى أبد الآبدين، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٢]. وقوله (بسطاً): مصدر مؤكّد لفصّلت، يقال: بسطه نشره، بمعنى التفصيل من غير لفظه، أي: إجمال ما فصّلت، أي: بسطت بسطاً نحو قمت وقوفاً، وقعدت جلوساً. وقوله (بسطتي): من قولهم بسط فلان سرّه، أي: لسروري في حالة سكري بخمر المعارف الإلهيّة؛ فإنّ ذلك يقتضي إجمال التفصيل. إشارة منه قُدّس سرّه إلى أنّ ما وقع منه من الإجمال كان في حال سكره، وغلبة السرور على قلبه بلقاء ربّه تعالى.

١٦٥- أَفَادَ اتِّخَاذِي حُبَّهَا لاتِّحَادِنا   نَوَادِرَ عَنْ عَادِ المُحِبِّيْنَ شَذَّتِ[1]

(أفاد): أي أعطى. وقوله (اتّخاذي): بالخاء والذال المعجمتين، مصدر اتّخذ، بمعنى تناول، قال في القاموس: «الأخذ: التناول». وقوله (حبّها): مفعول اتّخاذي، أي: تناولي حبّها، وجمعي له، واستيلائي عليه. والضمير في حبِّها راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (لاتّحادنا): بالحاء والدّال المهملتين، وهو اطّلاعي على أنّ ذاتي وذاتها واحدة في الحقيقة. وكذلك صفاتي وصفاتها صفات واحدة في نفس الأمر، على معنى ذاتي وصفاتي تقاديرها العدميّة الفانية التي هي عدم صرف في وجودها الحقّ الحقيقيّ، ولا وجود إلا وجودها ظاهر لي بتقاديرها العدميّة الفانية؛ فأنا من حيث كلّ ما يظهر مِنّي ويصدر عَنّي هي لا غيرها. وأمّا من حيث صور ما يظهر منّي ويصدر عنّي فتقادير عدميّة، وصور فانية، ما شمّت رائحة الوجود، ولا يمكن أن تشمّ رائحة الوجود أصلاً؛ وإنّما هذا المسمى مخلوقات عند المخلوقات على تناويع أجناسها وأنواعها وأشخاصها فيما مضى، وما هو مستقبل، وما هو حاضر من الأزل إلى الأبد، هو الواحد الأحد،

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ رحمه الله: «بلغ». أي: بلغ مقابلة على نسخة المؤلّف رحمه الله.

الفرد الصمد، الوجود الحقّ الحقيقيّ، ظاهر بجميع التصاوير والتقادير العدميّة الفانية، يفعل بها ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو منزَّه مقدّس عنها جميعها، ولا يشغله منها شيء عن شيء، وسِع كلّ شيء رحمة وعلماً، ورحمته وسعت كلّ شيء. وليس هو عين شيء من الأشياء أصلاً، ولا شيء من الأشياء عينه أصلاً؛ لأنّه لا شيء معه، وهو مع كلّ شيء. ولولا معيَّتُه للأشياء لما كانت الأشياء بالأشياء غير كائنة إلا بوجوده الذي معها، وهذا معنى الاتّحاد عند المصنّف قُدِّس سرّه كما قدّمناه. وقوله (**نوادر**): جمع نادرة، وهي اللطيفة من كلّ شيء القليلة الوجود، قال في القاموس: «نَوَادِر الكلام: ما شَذَّ، وخرج من الجمهور. ونَادِرَة الزمان: وحيد العصر». والمراد هنا: علوم، وحقائق، ومعارف نادرة، وأفعال وأحوال لا تكاد/[١٢٩/أ] توجد في الغير كالكرامات وخوارق العادات، وذلك قوله (**عن عاد**) جمع عادة، قال في القاموس: «العادة: الدَّيْدَن، وجمعه: عاد». و(**المحبِّين**): جمع محبّ، وهم الذين يحبّون هذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**شذّتِ**): أي قلّتِ، قال في القاموس: «شَذَّ يَشِذُّ شَذّاً وشُذُوذاً: نَدَرَ عن الجمهور». وكسر التاء للقافية.

١٦٦- يَشِي لِي [بِيَ] الوَاشِي إلَيْهَا وَلَائِمِي عَلَيْهَا بِهَا يُبْدِي لَدَيْهَا نَصِيْحَتِي(١)

(**يشي**): فعل مضارع، من وَشَى به إلى السلطان وَشْياً بالشين المعجمة، وَوِشَايَةً: نَمَّ، وسعى ليفسد بينه وبين السلطان. وقوله (**لي**): إشارة لمعنى الاتّحاد الحاصل بينهما بحيث أنّ (**الواشي**): أي النمّام الساعي بالفساد بينهما يشي إليها به، فيشي له من حيث لا يشعر أنّه هي بسبب اتّحاده معها كما مرّ. ثمّ قال أيضاً (**ولائمي عليها**): أي العاذل الذي يلومني على محبّتها. وقوله (**بها**): أي بسببها، أي: بسبب محبّته لها أو بها، بظهوره، بوجودها، وقوّتها، وقدرتها. (**يُبْدِي**): بضمّ

---

(١) الزيادة [بي] من الديوان.

الياء التحتيّة، أي: يظهر. وقوله (لديها): أي عندها. (نصيحتي): فيظهر نصيحته عندي، ولا يشعر أنّه أبدى النصيحة عندها؛ لأنّ عندي عندها، وعندها عندي لاتِّحادي بها، واتِّحادها بي، على حسب ما ذكرناه فيما سبق من معنى ذلك، كما قلنا من قصيدة لنا في معنى ذلك:

أنكرَتْهــا منّــي العــدا بعيــون ... هــي مــا بــين جفنهــا والــسواد

١٦٧ - فَأُوسِعُهَا شُكْرَاً وَمَا أَسْلَفَتْ قِلَى ... وَتَــمْنَحُنِي بِــرَّاً لِــصِدْقِ المَحَبَّــةِ

(فأُوسعها): أي دأبي ذلك، بمعنى أُكثر لها. (شكراً): تمييز، أي: من جهة الشكر. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. والشكر: مقابلة النعمة بالثناء باللسان، وامتثال الأمر، واجتناب النهي بالأركان والجنان. وقوله (وما أسلفت): أي ما قدمت لي في الأزل في حضرة علمها وتقديرها. (قِلَى): بكسر القاف، أي: بفضائل لي، إنّما سبقت لي منها محبّة أزليّة هي عين محبّتي لها فيما لا يزال كما قال سبحانه: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فيحبّهم، فبخلقهم له[1] فيحبّونه في كلّ صورة يظهر لهم بها، فالصورة المحبوبة له أوّلاً في الواحدة. ولهم ثانياً في الكثرة، وهم العارفون بأنفسهم وبربّهم على الكشف التامّ، وإنْ كان الكلّ كذلك؛ ولكنّه تعالى احتجب عن من شابهم، وقلَّب قلوبهم وأبصارهم، فأوقعهم في الحيرة، ولا غيره. وقوله (وتمنحني): أي تعطيني تلك المحبوبة الحقيقيّة. (بِرّاً): بكسر الباء الموحّدة، قال في القاموس: «البِرّ: الصِّلَة، والجَنَّة والخير، والاتساع في الإحسان». وقوله (لصدقه المحبّة): أي محبّتي لها ومحبّتها لي، لأنّ هذه المحبّة غير معلّلة بعلَّة؛ لكونها قديمة أزليّة من مقتضى الذات العليّة حيث انكشفت لها أعيان الممكنات العدميّة بكشف العلم القديم؛ حيث لا بداية ولا نهاية، فتوجّهت الذات إلى تلك

---

(١) أي: طُبِعُوا على أخلاقه، أو يُسِّروا لمحبّته فهم مُهَيَّؤُون، مَصرُوفونَ، مُسَهَّلُونَ له، أو أخلاقهم له. أمّا إذا كانت بمعنى الإيجاد فلعلّ صواب العبارة «فبخلقه لهم» والله أعلم.

الأعيان الممكنة بتخصيص الإرادة والمشيئة الأزليّة، على حسب كشف العلم وإحاطته، ولتلك الأعيان الممكنة ترتيب في أنفسها، وتخصيصات بقيود ممكنة حكمت بها الإرادة والمشيئة السابقة الأزليّة، فظهرت تلك الأعيان بالوجود الذاتيّ المتوجّهة عليها بالإرادة القديمة المترتّبة على كشف العلم،على حسب ما هي عليه تلك الأعيان، فسمّيت أشياء، جمع: شيء، أصله شيء، فعيل بمعنى مفعول، أي: مشيوء؛ لأنّ المشيئة الأزليّة توجّهت بها الذات العليّة عليه. وسمِّي ذلك التوجّه الذاتيّ محبّة، وهو الوجه الإلهيّ الذي قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] ولا تكون تلك المحبّة إلّا صدقاً؛ إذ هي حيث لا شيء، ولا تظهر للمريد الصادق إلّا حيث لا شيء عنده من جميع الأكوان، وليست هي كوناً من الأكوان وإنْ ظهرت بكون من الأكوان، وهو الميل النفسانيّ؛ فإنّه بالنسبة إليها معنى من المعاني؛ وهو حال مضمحلّ فانٍ، والكلام في الحقائق الأُوَل القديمة لا في الثواني./ [١٢٩/ ب]

١٦٨- تَقَرَّبْتُ بِالنَّفْسِ احْتِسَاباً لَهَا وَلَمْ أَكُنْ رَاجِياً عَنْهَا ثَوَاباً فَأَدْنَتِ

(**تقربت**): أي طلبت القرب بمعنى الدنو، وهو ضدّ البعد؛ فإنّ علوم العارفين بربِّهم أقرب إلى ما هو سبحانه عليه من علوم غيرهم من الجاهلين به تعالى، وعلوم الكلّ به تعالى دون ما عليه سبحانه في نفسه، قال تعالى:﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١] وعلمه تعالى بنفسه هو لا يساويه علم أحد به أصلاً كائناً من كان، قال تعالى:﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٦٦]. ولمّا كان منشأ الجهل به تعالى هوى النفس قال (**تقرّبتُ بالنفس**): أي بإفنائها وإذهابها من البين؛ لينكشف للقلب الروحانيّ العلم الإلهيّ على حسب استعداد ذلك القلب؛ فإنّه الروح، والروح صادرة عن أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] فحيث كانت الروح من أمر الله تعالى فلا واسطة بينها وبين الأمرالإلهيّ القديم فهي؛ أكمل استعداداً من النفس لتلقى

العلوم الإلهيّة، والحقّ تعالى أعلى من ذلك كلّه وأكمل، قال الشيخ محيي الدين بن العربيّ قدّس الله سرّه العزيز:

مـــا قلتـــه قلـــت عنـــي　　　فـــلا أرى القـــول يغنـــي

هيهـــــات أدرك ذاتـــــا　　　إلَـــيَّ أقـــرب منِّـــي

وقال أيضاً من أبيات له:

ونـــدرك منـــه في أتـــمّ صـــفاتنا　　　كما يدرك الخفّاش من باهر الشمس

وقوله (**احتساباً**) قال في القاموس: «احْتَسَبَ بكذا أجراً عند الله: اعْتَدَّهُ ينوي [به] وجه الله. وقوله (**لها**): أي للمحبوبة الحقيقيّة. يعني: لأجلها. وقوله (**ولم أكن راجياً**): أي مترجياً (**عنها**): أي عن المحبوبة المذكورة، والجار والمجرور مقدّمان من تأخير، أي: ثواباً صادراً عنها. وقوله (**فأدنتِ**): أي فقرّبتني على طبق ما طلبت منها. وكسر التاء للقافية.

١٦٩ - وَقَدَّمْتُ مَا لِي فِي مَآلِيَ عَاجلاً　　　وَمَـا إنْ عَـسَاهَا أنْ تَكُـونَ مُنِيلَتِـي

(**وقدَّمتُ**): بتشديد الدال المهملة، أي: بذلت ولم أتوقّف في الإعراض عن ذلك، وتركت طلب (**ما**): أي الذي لي، أو شيئاً موصوفاً بأنّه كائن لي عند الله تعالى من الثواب الجزيل والأجر الجليل. وقوله (**في مآلي**): أي في آخرتي التي هي مرجع أموري كلّها. وقوله (**عاجلاً**): حال من فاعل قدّمت، أي: مسرعاً في ذلك التقديم. وقوله (**وما**): معطوف على ما الأولى، أي: وقدّمت ما، أي: أيضاً، أي: الذي أو أمراً عظيماً. وقوله (**إن**): بكسر الهمزة وسكون النون زائدة، كقوله: «ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه»[1]. وقوله (**عساها**): قال في القاموس: «عسى: فِعلٌ مطلقاً، أو حرفٌ مطلقاً، للترجّي في المحبوب، والاشفاق في المكروه». والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**أن تكون**): أي المحبوبة الحقيقيّة. و(**مُنيلتي**): بضمّ

---

(١) شطرة من بيت للنابغة الذّبياني، وعجزه: «إذن فلا رفعت سوطي إلى يدي».

الميمم وكسر النون، اسم فاعل، من أَنَالَه نَيْلاً ونَالَة: أعطاه؛ والمعنى: إنيّ قدّمت بين يديها، وفي طريق محبّتها جميع ما أعددته لي في الآخرة من درجات الجنان والحور والولدان، وكلّ ما تعطيني إيّاه من أنواع اللذائذ والشهوات الأخرويّة، ولم أرغب في شيء من ذلك دونها؛ فإنّ مطلوبي هي؛ لا شيء منها كما قالت رابعة العدويّة[1]: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا رغبة في جنّتك؛ وإنّما عبدتك تقرّباً إلى وجهك الكريم». وقال تعالى في شأن الأنصار: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٢].

١٧٠ - وَخَلَّفْتُ خَلْفِي رُؤْيَتِي ذَاكَ مُخْلِصَاً ... وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَكُونَ مَطِيَّتِي

(وخلفت): بتشديد اللام، أي: رميت وألقيت خلفي؛ نقيض قدامي. وقوله **(رؤيتي)**: مفعول خلّفت، أي: كَوني أرى ذاك، أي: ما أَعَدَّه الله لي في الآخرة، وما ينيلني إيّاه من رفع الدرجات؛ يعني: ألقيت عنّي رؤية ذلك كلّه؛ فلا يخطر شيء منه ببالي. وقوله **(مخلصاً)**: أي حال كوني/ [١٣٠/ أ] مخلصاً في أعمال البرّ والخير التي أنا عاملها؛ فلا أترجّى بها جزاءً في الآخرة، ولا رفع درجة، ولا أعملها أيضاً مخافة العقاب على تركها. وقوله **(ولست براضٍ أن تكون)**: أي رؤيتي ما أعدّه الله تعالى لي في الآخرة **(مطيّتي)**: لأنّه يقال: نيّتك مطيّتك، أي: تحمّلك إلى ما تعلّقت به من الأمور؛ يعني: ما أنا راضٍ أن تكون رؤيتي لثواب الأعمال الصالحة مطيّتي التي تحملني إلى نيلها في الآخرة. والمطيّة بتشديد الياء التحتيّة: الدّابّة تمطو في سيرها، أي: تسرع وتجد.

١٧١ - وَيَمَّمْتُهَا بِالفَقْرِ لَكِنْ بِوَصْفِهِ ... غَنِيتُ فَأَلْغَيْتُ[2] افْتِقَارِيْ وَثَرْوَتِي

(ويممتها): أي قصدتها. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(بالفقر)**: أي

---

(١) انظر ما كتبه عنها الشيخ علي جامع الديوان في ديباجة الديوان ص٢٤٢.

(٢) في (ق): فألقيت.

الاحتياج إليها في الإيجاد والإمداد على كلّ حال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٥] الآية. أو (**بالفقر**): أي الفراغ عن كلّ ما سواها من الأعمال والأحوال، والدنيا والآخرة، وكلّ مطلوب وكلّ مرغوب، كما قال الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس الله سرّه العزيز:

أصبحت لا أملاً ولا أمنية أرجو ولا موعودة أترقّب

وقال الشيخ عبد الهادي السودي اليمني قُدِّس سرّه:

أتيناك بالفقر لا بالغنى وأنت الذي لم تزل محسنا

وقوله (**لكن بوصفه**): أي وصف الفقر حيث هو وصفي الذاتيّ؛ لأنّ الكائنات جميعها أصلها العدم المحض، وهو حقيقة الفقر. فهي محتاجة دائماً ما بقيت إلى إيجاد الموجد وإمداده، والاحتياج لها إلى شيء سواه تعالى لعدم تأثير شيء مطلقاً معه تعالى، فالفقر لها وصف ذاتيّ على كلّ حال. وقوله (**غنيت**): أي صرت غنياً بوصف الفقر المذكور باعتبار من افتقرت إليه؛ فإنّه غني بالذات، وله الغنى المطلق الذاتيّ بحكم قوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٩٧] والعبد غني بغنى سيِّده ومولاه. أو غنيت من الفقر لمبالغتي فيه، فلم أكن قابلاً لزيادة فقر آخر. وقوله (**فألغيت**): أي أبطلت، ولم أعتبر افتقاري الذي غنيت به. (**وثروتي**): أي غنائي أيضاً، قال في القاموس: «الثَّرْوَةُ: كَثْرَةُ المال». والمعنى لم ألتفت إلى شيء سوى المحبوبة الحقيقيّة أصلاً.

١٧٢ - فَأَثْبَتَ لِيْ إِلْقَاءَ فَقْرِيَ وَالغِنَى فَضِيْلَةَ قَصْدِيْ فَاطَّرَحْتَ فَضِيْلَتِي

(**فأثبت لي إلقاء**): فاعل أثبت فقري والغنى المذكورين في البيت قبله. (**فضيلة**): مفعول أثبت. (**قصدي**): مضاف إليه، أي: قصدي إلقاء ذلك، ونيَّتي تركي وإعراضي عن إلقائهما؛ فإنّ إلقاء ذلك فضيلة؛ لأنّه زهد في السوى، وتجريد لقصد التوجّه إلى إرادة الموجّه الباقي بمفرده. وقوله (**فاطّرحت**): بتشديد الطاء

المهملة، أي: ألقيت. يقال: طَرَحَهُ وطَرَحَ بِهِ، كَمَنَعَ: رَمَاهُ وأَبْعَدَهُ، كذا في القاموس. وقوله (**فضيلتي**): أي تلك الفضيلة التي ثبتت لي بإلقاء فقري والغنى، كما ذكرنا؛ وإنّما ألقى ذلك حتى لا يبقى عنده التفات إلى سوى محبوبته الحقيقيّة.

١٧٣ - فَلَاحَ فَلَاحِي فِي اطِّرَاحِي فَأَصْبَحَتْ ثَــوَابِيَ لا شَــيْئاً سِــوَاهَا مُثِيْبَتِــي

(**فَلَاحَ**): أي فظهر وتبيّن. (**فَلَاحِي**): فاعل لاح، والفلاح: الفوز، والنجاة، والبقاء في الخير، كذا في القاموس. وقوله (**في اطراحي**): أي في تركي وإعراضي عن تلك الفضيلة المذكورة في البيت قبله. وقوله (فأصبحت): أي المحبوبة الحقيقيّة؛ يعني: دخلت في الصباح، وهو النور المنفهق عن ظلمة الليل، وفيه إشارة إلى ظهورها له، وبطلان ظلمة كونه. وقوله (**ثوابي**): خبر أصبح، أي: جزائي الذي أطلبه منها بعد إلقاء كلّ ما سواها من أمور الدنيا وأمور الآخرة. وقوله (**لا**): نافية. و(**شيئاً**): مفعول مُثِيْبَتِي، قدّم عليه، وهو نكرة في سياق النفي؛ فتعم كلّ شيء من الأشياء مطلقاً. (سواها): أي غيرها. وقوله (**مُثِيْبَتِي**): اسم فاعل، من أثابته: جعلت له ثواباً، وأعطته له.

١٧٤ - وَظَلْتُ بِهَا لَا بِي عَلَيْها أَدُلُّ مَنْ بِهِ ضَلَّ عَنْ سُبْلِ الهُدَى وَهْيَ دَلَّتِ

(**وظَلْت**): بفتح الظاء وكسرها وسكون اللام، قال في القاموس: «ظَلَّ نهارَه يفعل كذا، يَظَلُّ بالفتح /[١٣٠/ب] ظَلّاً وظُلُولاً، وظَلِلْتُ، بالكسر، وظَلْتُ، كلَسْتُ، وظِلْتُ كمِلْتُ». وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة؛ يعني: بقوّتها، وقدرتها. وقوله (**لا بي**): أي لا بنفسي، وقوّتي، وقدرتي، عدم وجودها الحقّ الحقيقيّ. وقوله (**عليها**): أي على المحبوبة الحقيقيّة، أي: لا على غيرها؛ لأنّ غيرها عدم في وجودها. والجار والمجرور متعلّقان بأدلّ، و(**أدلّ**): فعل مضارع من الدّلالة، وهي الإرشاد إلى المطلوب. وقوله (**مَنْ**): بفتح الميم، مفعول أدلّ، بمعنى الذي. وقوله (**به**): متعلّق بضلّ، قُدِّم عليه للحصر، والأصل ضلّ به، أي: بنفسه؛ فإنّ نفسه سبب ضلال لقيامه بها في وهمه، وغلبة غفلته عليه، وتراكم الحجاب

على قلبه. والضلال ضدّ الهداية. وقوله (**عن سبل**): متعلّق بضلّ، وسُبْل بضمّ السين المهملة وسكون الباء الموحّدة تخفيفاً، والهُدَى، بضمّ الهاء وفتح الدال المهملة: الرشاد والدِّلالة، ويذكر، كذا في القاموس. وقوله (**وهي**): أي المحبوبة الحقيقيّة. (**دلّتِ**): بالدال المهملة وتشديد اللام، وكسر التاء الفوقيّة للقافية؛ والمعنى: إنّي صرت بالحضرة الإلهيّة، وحولها وقوّتها، لا بنفسي وحولي وقوّتي أدلّ عليها أهل الضلال بأنفسهم، وفي حقيقة الأمر هي التي دلّتهم، وأرشدهم إليها؛ لا أنّي أنا الذي أدلّهم.

والحاصل: إنّ القرآن العظيم، والسّنّة النبويّة في شأن الأفعال الإنسانيّة وغير الإنسانيّة على جهتين، تارة منسوبة إلى الله تعالى بالإنسان المكلّف أو غيره، كما قال تعالى: ﴿ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [٩/ التوبة / ١٤]، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [٢/ البقرة / ٢٢]. وتارة منسوبة إلى الإنسان المكلّف بالله تعالى قال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة / ٢٤٩] فإنّ نسبت الأفعال إلى الله تعالى بالإنسان فقيل الفاعل هو الله تعالى نبا، فالباء للملابسة والمصاحبة، كما يقال: دخلت عليه بثياب السفر، ومعنى المصاحبة من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٧٥/ حديد/ ٤] وإنْ نسبتْ الأفعال إلى الإنسان بالله تعالى، فقيل في الفاعل هو الإنسان بالله تعالى؛ فالباء للاستعانة، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [١/ الفاتحة/ ٤]. وهنا جهتان أيضاً للأفعال الإنسانيّة وغيرها، تارة تنسب إلى الله تعالى وحده من غير ذكر أحد، كما قال تعالى:﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٦٤]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧]، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٤٢] . وتارة تنسب إلى غيره تعالى من دون ذكره سبحانه ، كما قال سبحانه: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [٢/ البقرة / ٣]، ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [٤/ النساء / ٩٣] ، ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [٣٢/ السجدة/ ١١] فهذه أربع جهات وردت في الشرع، جاء بها

القرآن العظيم، وأمثلتها فيه كثيرة، مَن تتبّعها وجدها. والجهتان الأَولَيان مسلَّمتان للعارف وغيره، كيف قال صحّ. والجهة الثالثة مخصوصة بالعارف لغنائه في وجوده الحقّ تعالى، لا يجوز لغيره التشبّه به من غير عرفان. والجهة الرابعة جهة الغافلين، وهم مأذونون فيها لورودها في الشرع مع الاحتراز عن اعتقاد التأثير، وهي جهة العارفين المحقِّقين أيضاً، مع اعتقاد التأثير لطهارتهم بالفناء في الوجود الحقّ، كما قال الغوث البغدادي قدّس الله سرّه: «وحباني الربّ المهيمن خِلعَه؛ فالأرض أرضي، والسماء سمائي». وإذا لم يطهروا بالتحقّق بالفناء في الوجود الحقّ فهي نزعة فرعونيّة، قال تعالى فيها: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [٧٩النازعات/ ٢٣-٢٥] ولهذا قلنا في مطلع قصيدة لنا:

إنّ الفنا طهارة الإنسان كـ صلاة معرفة القريب الدّاني

١٧٥- فَخَلِّ لَهَا خِلِّي مَرادَكَ مُعْطِيَاً قِيَادَكَ مِنْ نَفْسٍ بِهَا مُطْمَئِنَّةِ

(فخلّ) الفاء تفريعيّة على ما قبله. و(خَلِّ) بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام: فعل أمر من التخلية، بمعنى الترك، أي: اترك. وقوله (لها): أي للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (خِلِّي): بكسر الخاء المعجمة/ [١٣١/ أ] وتشديد اللام مكسورة لمناسبة ياء المتكلِّم، وقد حذف منه حرف النداء، والتقدير: يا خِلِّي، قال في القاموس: «الخِلّ بالكسر والضمّ الصديق المختصّ، ولا يضمّ إلّا مع ودّ، يقال: كأنّ لي وُدّاً وخُلاًّ». وقوله (مرادك): مفعول خلّ، أي: اترك لها مرادك، فلا ترد شيئاً لك، واصبر على ما تريده هي لك في كلّ حال. وقوله (معطياً): حال من خِلِّي. وقوله (قيادك): بالنصب مفعول معطياً. و(القِياد): بكسر القاف القَوْد، نقيض السوق؛ فهو من أمام، والسوق من خلف. قال تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [١١/ هود/ ٥٦] فقيادها بيده تعالى، يجذبها حيث شاء. و(القِياد): أيضاً ما يقاد به، كذا في القاموس. والمعنى: أعطِ الحقيقة المذكورة قَوْدَكَ تجذبك بأمرها حيث أرادت، وأعطها ما تقاد به من مراداتك وأغراضك. وقوله (من

نفس): بيان لقيادك، فإنّ النفس قياد الإنسان الذي ينجذب به للأشياء كلّها من الذوات والأعمال. وقوله (بها): أي بهذه المحبوبة الحقيقيّة. والجار والمجرور متعلّقان بمطمئنّة، قُدّم للحصر. و(**مطمئنّة**): وصف لنفس، قال تعالى:﴿ **أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ** ﴾ [١٣/ الرعد/ ٢٨]. والمطمئن: الساكن، أي: تسكن حركات قلوب العارفين بتذكّر استيلاء الله تعالى عليهم وتصرّفه في جميع أحوالهم ظاهراً وباطناً.

١٧٦ – وَأَمْسِ خَلِيّاً مِنْ حُظُوظِكَ واسْمُ عَنْ   حَضِيضِكَ وَاثْبُتْ بَعْدَ ذَلِكَ تَنْبُتِ

(وأمْسِ): بفتح الهمزة وقطعها، فعل أمر بمعنى الدخول في المساء، ضدّ الصباح، وهو ظلمة العدم. وقوله (خَلِياً): بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء التحتيّة: خبر أمسِ. و(الخَلِيّ): الخالي الفارغ. وقوله (**من حظوظك**): متعلِّق بـ(**خلياً**). و(**الحظوظ**): جمع حظّ، بالحاء المهملة، والظاء المعجمة، بمعنى النصيب، أو خاص بالنصيب من الخير والفضل، كذا في القاموس. والمراد: حظوظ النفس؛ وهي الأغراض الآجلة أوالعاجلة. وقوله (**وَاسْمُ**): فعل أمر من سما يِسمو سُموّاً: ارتفع، أي: ارتفعْ عن حضيضك با لحاء المهملة والضادين المعجمتين بينهما ياء تحتيّة، قال في القاموس: «الحَضيض: القَرار في الأرض». والمراد هنا: عالم الطبيعة، والشهوات العاجلة، وحب الدنيا وما فيها، كما قال تعالى في فاعل ذلك: ﴿**وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ**﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٦] الآية. وقوله (**واثبت**): أي استقم، ودم بعد ذلك المذكور من الخلوِّ عن الحظوظ والسمو عن الحضيض الأسفل. وقوله (**تنبتِ**): بكسر التاء الساكنة لأجل القافية، وهو فعل مضارع مجزوم في جواب الشرط، مشتق الأمر من الإنبات؛ وهو النمو والزيادة، يقال: نَبَتَتِ الأرضُ وأَنْبَتَتْ، وهذا كما قيل: «مَنْ ثَبَتَ نَبَتَ».

١٧٧ – وَسَدِّدْ وَقَارِبْ وَاعْتَصِمْ وَاسْتَقِمْ لَهَا   مُجِيْبَاً إِلَيْهَا عَنْ إِنَابَةِ مُخْبِتِ

(**وسدّد**): بالسين المهملة، فعل أمر من قولك سَدَّدَهُ تَسْدِيداً: قَوَّمَهُ للسَّداد،

أي: الصَّواب من القول والعمل. وقوله **(وقارب)**: فعل أمر من المقاربة، وهي الدنوّ شيئاً فشيئاً، كما ورد في الآثر: «ساددوا وقاربوا وأبشروا وبشِّروا»[1]. وقوله **(واعتصم)**: أمر من الاعتصام، وهو الامتناع عن النقائص، واعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية. وقوله **(واستقم)**: من الاستقامة وهي الاعتدال في الأمور، وعدم الانحراف عن الصراط المستقيم. وقوله **(لها)**: أي للمحبوبة الحقيقيّة بحيث لا تتغيّر عن محبّتها، وطلب لقائها، والقرب إليها. وقوله **(مجيباً)**: حال من فاعل الأفعال المذكورة على التنازع، وهو اسم فاعل من أجابه: إذا امتثل أمره. وقوله **(إليها)**: متعلّق بمجيباً. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(عن إنابة)**: أي رجوع إلى الله تعالى وتوبة، يقال: تاب إلى الله تعالى، كأناب: تاب إليه، والمُخبت اسم فاعل من أخبت: خشع وتواضع.

١٧٨ - وَعُدْ مِنْ قَرِيبٍ واسْتَجِبْ وَاجْتَنِبْ غَدَاً ... أُشَمِّرُ عَنْ سَاقِ اجْتِهَادٍ بِنَهْضَة

(وعُدْ): أي ارجع من قريب عمّا أنت فيه من القيام بالنفس والاشتغال بغير الله تعالى من الأكوان. وقوله **(واستجب)**: أي امتثل ما أمرت به ظاهراً وباطناً من الأعمال الحسنة؛ الحسنة/[١٣١/ب] عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ [٤٢/ الشورى/ ٤٧]. وقوله **(واجتنب)**: أمر من الاجتناب؛ وهو التباعد عن الشيء، والترك له. وقوله **(غداً)**: بالغين المعجمة والدال المهملة: اسم لليوم الذي بعد يومك. وقوله **(أُشَمِّرُ)**: فعل مضارع من شمَّر للأمر: تهيّأ له. وقوله **(عن ساق)**: هو ما بين الكعب والركبة. وقوله **(اجتهاد)**: مضاف إليه، والاجتهاد الدأب في العمل. وقوله **(بنهضةٍ)**: متعلّق بأُشَمِّر. و**(النهضة)**: من النهوض؛ وهو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، ٣٩، بلفظ : إنّ الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلّا غلبه، فسدّدوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة والدلجة. وله أطراف كثيرة عند البخاريّ وغيره.

القيام، يقال: نهض كمنع نَهْضاً ونُهُوضاً: قام. وجملة أشمِّر ..إلخ مفعول اجتنب.

١٧٩- وَكُنْ صَارِماً كَالوَقْتِ فَالمَقْتُ فِي عَسَى
وَإِيَّـــاكَ عَـــلَّ فَهْـــيَ أَخْطَـــرُ عِلَّـــةِ

(وكن صارماً): أي سيفاً قاطعاً. **(كالوقت)**: أي الزمان الحال الذي أنت فيه؛ فإنّه يمضي كلمح بالبصر؛ فيصير ماضياً، وقد كان مستقبلاً. والإقرار له. وقوله **(فالمقت)**: مصدر مَقَتَه، كمَنَعَه مَقْتاً ومَقَاتَة: أبغضه. وقوله **(في عسى)**: أي في قولك عسى، وهو فعل ترجِّي للأمر المحبوب، فتقول: عسى أنْ يكون كذا وكذا لأمر مرغوب فيه بلا إقبال منك على فعله؛ فإنّ في ذلك المقت والبغض من أمر الله تعالى لك. وقوله **(وإياك)**: أي احذر. **(علَّ)**: بفتح العين المهملة وتشديد اللّام، كلمة طمع وإشفاق، يقال: علّ أفعل كذا. وقوله **(فهي)**: أي كلمة علّ. **(أخطر علّة)**: أي أكثر العلل خطراً بالتحريك، قال في القاموس: «الخَطَر، بالتحريك: الإشراف على الهلاك». يعني: احذر أنْ تقول لعلِّي غداً اشتغل بالعبادة والإقبال على معرفة الله تعالى؛ فإنّ ذلك من أهلك تعللات النفس وأقبحها.

١٨٠- وَقُمْ فِي رِضَاهَا وَاسْعَ غَيْرَ مُحَاوِلٍ نَـشَاطَاً وَلا تُخْلِـدْ لِعَجْـزٍ مُفَـوِّتِ

(وقم): أي انهض مسرعاً. **(في رضاها)**: أي المحبوبة الحقيقيّة، فامتثل جميع أوامرها الشرعيّة ونواهيها. وقوله **(واسع)**: فعل أمر من السعي، أي: اجتهد **(في رضاها)**: أي كلّ ما يرضيها من الأعمال والأفعال. وقوله **(غير محاول)**: من فاعل واسْعَ. وقوله **(محاول)**: بصيغة اسم الفاعل، أي: طالب. **(ونشاطاً)**: مفعول محاول، يقال: نَشِطَ كسَمِع، نَشَاطاً، بالفتح: طابَتْ نفسه للعمل وغيره، كذا في القاموس؛ يعني: إذا قمت في رضاء هذه المحبوبة الحقيقيّة، وسَعَيْتَ باجتهادٍ في طاعتها لا تكن طالباً بذلك حصول نشاط لك، وطِيب نفس في أعمالك؛ فتكون ساعياً في حظ نفسك لا في مرضاة ربّك. وقوله **(ولا تُخْلِدْ)**: من أخْلَد بالمكان: أقام

فيه، وأخلد إلى كذا: رَكَنَ، كما في المصباح. (**لعجز**): متعلّق بتُخْلِدْ. وقوله (**مُفَوِّتِ**): بصيغة اسم الفاعل، وتشديد الواو: وصف لعجز، و(**العَجْزُ**): الضعف.

١٨١ - وسِرْ زَمِناً وَانْهَضْ كَسِيراً فحَظُّكَ الـ ـبَطَالَةُ مَا أَخَّـرْتَ عَزْمَـاً لِـصِحَّةِ

(**وسر**): فعل أمر من السير، وهو الذهاب ليلاً أونهاراً. وقوله (زَمِناً): بكسر الميم، صفة مشبّهة، وهو حال من فاعل، قال في المصباح:« زَمِنَ الشخصُ زَمَناً وزَمَانَةً؛ فهو زَمِن، من باب تَعِب: وهو مرض يدوم زماناً طويلاً». وقوله (**وانهض**): من النهوض، يقال: نَهَضَ عن مكانه يَنْهَضُ نُهُوضاً: ارتفع عنه، ونَهَضَ إلى العَدوِّ: أسرع [إليه]، كذا في المصباح. وقوله (كسيراً): فعيلاً بمعنى مفعول، قال في المصباح: «شَاةٌ كَسِيرٌ فعيل بمعنى مفعول: إذا كُسِرَت إحدى قوائمها، وكَسِيْرَةٌ بالهاء أيضاً». وهو حال من فاعل انهض. ويجوز أن يكون زَمِناً وكَسِيْراً خبر عن كان المحذوفة. وتقدير المعنى: سِرْ في سبيل الله تعالى ولو كنت زمناً، وانهض في طاعته ومرضاته ولو كنت كسيراً بأنْ تأتي من ذلك بما استطعت كما قال تعالى:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [٦٤/ التغابن/ ١٦] وقال صلّى الله علي وسلّم: «يصلِّي المريض قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإنْ لم يستطع فعلى جنبه يومي إيماء»[١] وعلى الأوّل إذا كان حالاً. والحال قيد في المعنى/[١٣٢/ أ] أي: لا تسرْ إلّا زَمِناً، ولا تنهض إلّا كسيراً. فمعناه: إذا سرت في سبيل الله فليكن سيرك بالله لا بنفسك، وبحول الله وقوته، لا بحولك وقوتك؛ وكذلك إذا نهضت في مرضاة الله تعالى فانهض بالله لا بنفسك، وبحول الله وقوته، لا بحولك وقوّتك؛ فإنّك في نفس الأمر زمِن وكسير. فإنْ توهّمت خلاف ذلك وقد ورد في حديث المتقرِّب بالنوافل: «وكنت رجله التي يمشي بها»، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] وفي ذلك إشارة إلى الردّ على طائفة من عوام

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الصغرى، كتاب الصلاة، باب: صلاة المريض، ٥٨٧، كما للحديث أطراف أخرى عند الطبراني والدارقطني.

المتشبِّهين بأهل المعرفة إذا سمعوا باستيلاء الحقِّ تعالى على العبد في ظاهره وباطنه، واعتقدوا إسقاط التكاليف الشرعيّة عنهم، وخرجوا إلى الزندقة والإلحاد. وقوله (**فحظّك**): أي نصيبك البطالة بفتح الباء الموحّدة، قال في المصباح: «بَطَلَ الأجير من العمل؛ فهو بَطَّال بيِّنُ البَطَالَة، بالفتح. وحكى بعض شارحي المعلّقات: بالكسر، وقال: هو أفصح اللغات، وربّما قيل: بُطَالَة، بالضمّ، حَمْلاً على نقيضها، العُمالة». وقوله (ما): ظرفيّة مصدريّة. (**أخّرت**): أي مدّة تأخيرك. وقوله (**عزماً**): مفعول أَخَّرْتَ، وهو مصدر عَزَمَ: على الشيء وعَزَمَهُ عزماً، من باب ضرب: عَقَدَ ضميرَه على فعله، كذا في المصباح. وقوله (**لصحّة**): أي عافية بدن وسلامة قوّة؛ يعني: إذا أخّرت عزمك على السير في طريق الله، والنهوض إلى طاعته إلى وقت صحّتك وسلامتك من العوائق الدنيويّة، والشواغل الطبيعيّة، فإنّما حظّك ونصيبك البطالة، وقد ورد أنّ الله يكره العبد البطال.

١٨٢ - وَأَقْدِمْ وَقَدِّمْ مَا قَعَدْتَ لَهُ مَعَ الْـ ـخَوَالِفِ وَاخْرُجْ عَنْ قُيُوْدِ التَّلَفُّتِ

(**وأقدمْ**): فعل أمر، من الإقدام، يقال: أَقْدَمَ على العَيب إقداماً: كناية عن الرضا، وَأَقْدَم على قِرْنِه بالألف: اجْتَرَأ عليه، كذا في المصباح. يعني: أقبل على ما فيه رضا الله تعالى، وتقدّم إلى عمل طاعته. وقوله (**وقدّم**): بتشديد الدّال المهملة، أمر من التقديم. وقوله (ما): أي عملاً صالحاً، وهو مفعول قَدِّم. ثمّ وصفه بقوله (**قعدتَ له**): أي لذلك العمل الصالح؛ يعني: تركته. (**مع الخوالف**): أي المتخلِّفين عن النهوض إلى معالي الأمور كالضعفاء من الناس والنساء والولدان، جمع خالف، وهو الذي يقعد بعدك، قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [٩/ التوبة/ ٨٧] نزلت فيمن تخلّف عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك. وقوله (**واخرج عن قيود**): جمع قيد، وهو ما يربط النفس عن الانطلاق. و(**التلفُّت**): تفعُّل؛ وهو تكلّف الالتفات يميناً وشمالاً بكثرة الميل إلى الأشياء، وكلّ قيود للنفس تمنعها عن الانطلاق في سبيل السعادة، ولا بدّ من الخروج عن تلك القيود كلّها.

١٨٣ - وَجُدَّ بِسَيْفِ العَزْمِ سَوفَ فَإنْ تَجُدْ　　تَجِدْ نَفَسَاً فَالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جَدَّتِ

(**وجُدَّ**): بضمّ الجيم وتشديد الدّال المهملة، فعل أمر، قال في المصباح: «جَدَّهُ جَدّاً، من باب قتل: قطعه». وقوله (**بسيف العزم**): وهو عقد الضمير على الفعل. وقوله (**سوف**): مفعول جُدَّ؛ يعني: اقطع بسيف عزمك كلمة سوف أفعل؛ فلا تقل سوف أفعل. وقوله (**فإنْ تجُدْ**): بضمِّ الجيم، فعل مضارع، أي: فإنْ تقطع بسيف العزم سوف. وقوله (**فإنْ تجِد**): بكسر الجيم، فعل مضارع، من وَجَد يَجِد، قال في المصباح: «وَجَدْتُه أَجِدُهُ وِجْدَاناً ـ بالكسر ـ وَوُجُوْدَاً، في لغة لبني عامر: يَجُدُهُ، بالضمّ، ولا نظير له في باب المثال. ووجه سقوط الواو على هذه اللغة وقوعها في الأصل بين ياء مفتوحة وكسرةٍ، ثمّ ضُمَّت الجيم بعد سقوط الواو من غير إعادتها؛ لعدم الاعتداد بالعارض. وقوله (**نَفَساً**): بالتحريك، قال في المصباح: «النَّفَس، بفتحتين: نسيم الهواء، والجمع أَنْفَاس. وتَنَفَّسَ: اجتذب النفس بخياشيمه إلى باطنه وأخرجه». والمعنى: بقوله نَفَسَاً، أي: راحة، وتنفيس كرب، وكشف همّ وغمّ. ونفحة من نفس/ [١٣٢/ ب] الرحمن بطريق الإرث من المقام المحمّدي في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي لأجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن»[١] فكان الأنصار من أهل اليمن. أي: اليمين. وقوله (**فالنفْس**): بسكون الفاء، وهي: اسم لجملة الحيوان. قيل سُميت نفساً لتولّد النَّفَس ـ بالتحريك ـ منها، قال في المصباح: «والنَّفْسُ: أنثى إنْ أُريد بها الروح، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [٤/ النساء/ ١] وإن أُريد الشخص فمذكر». وقوله (**جُدْت**): بضمّ الجيم، أي: قطعت بسيف العزم سوف. وقوله (**جَدَّتِ**): بفتح الجيم وتشديد الدّال المهملة وكسر التاء للقافية، من الجَدّ، خلاف الهَزْل؛ يعني: إذا قطعت نفسك علاقة التسويف، ومطل الأوقات أسرعت في الأعمال الصالحة، وقويت على السعي في مرضاة الله تعالى،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، باب مسند أبي هريرة، ١١٢٦٩، بلفظ: ألا إنّ الإيمان يمان، والحكمة يمانيّة، وأجد نَفَسَ ربكم من قبل اليمن.

وزال عنها الهزل، واللعب، واللهو، والغرور.

١٨٤ - وَأَقْبِلْ إِلَيْهَا وَانْحُهَا مُفْلِساً فَقَدْ   وَصَيْتَ لِنُصْحِي إنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي[1]

(وأقبِل): فعل أمر، من أقبَل فهو مقبل؛ خلاف أدبَر، فهو مدبِر. وقوله **(إليها)**: أي إلى المحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(وانْحُها)**: انْحُ، بضمّ الحاء المهملة، فعل أمر من نَحَوْتُ نَحْوَ الشيءِ، من باب قتل: قصدت، فالنحو القصد، ومنه: النحو؛ لأنّ المتكلّم يَنحُو به منهاجَ كلام العرب إفراداً وتركيباً: ، كذا في المصباح، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(مفلساً)**: بصيغة اسم الفاعل، من أَفْلَسَ الرجلُ كأنه صار إلى حال ليس له فُلُوس، كما يقال: أَقْهَر: إذا صار إلى حال يُقْهَر عليها، وبعضهم يقول: صار ذا فُلُوس بعدَ أن كان ذا دراهم، فهو مُفْلِس، والجمع: مَفَالِيس، وحقيقته: الانتقالُ من حالة اليُسر إلى حالة العُسر، كما في المصباح؛ والمعنى: مُفلِساً من كلّ شيء؛ فلا يملك شيئاً؛ لأنّه عبد للحقّ المالك، ولا يملكه شيء غير الحقّ المالك لكلّ شيء، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١]. وقوله **(فقد وصَيْتَ)**: بالصاد المهملة الخفيفة، أي: أكثرت وأوصلت من وَصَى بالتخفيف، كوَعَى، يقال: وَصَيَتِ الأرضُ وَصْياً ووَصَاءً ووَصَاءَةً: اتّصل نباتها، كذا في القاموس، وفي المصباح: «وَصَيْتُ الشيءَ بالشيءِ أَصِيْهِ، من باب وَعَدَ: وَصَلْتُهُ». وفي الصحاح: «وَصَيْتُ الشيءَ بكذا: إذا وَصَلْتُه به، قال ذو الرمّة:

نَـصِي الليـلَ بالأيـام حتّـى صـلاتُنا   مُقاسَـمةٌ يَـشْتَقُ أنـصافَها الـسَّفَرُ

وأرضٌ وَاصِيَةٌ: مُتَّصلة النبات، وقد وَصَتِ الأرضُ: إذا اتّصل نباتها، وربّما قالوا تَوَاصَى النبتُ: إذا اتّصل، وهو نَبْتٌ واصٍ». وقوله **(لنصحي)**: أي لما ذكرته لك من النصيحة في طريق الله تعالى. وقوله **(إنْ قبلت نصيحتي)**: أي امتثلتها.

---

(١) في (ق):وصيّتي.

وفي نسخة :(إن قبلت وصيّتي). والوصيّة: اسم من وصّاه ـ بالتشديد ـ تَوْصِيَة: عهد إليه؛ يعني: إنْ قبلت ذلك الذي ذكرت من شرائط السلوك فإنّك تسعد السعادة الأبديّة وتحظى بالوصول إلى الحضرة القدسيّة.

١٨٥ - فَلَمْ يَدْنُ مِنْهَا مُوسِرٌ لاجْتِهَادِهِ وَعَنْهَا بِهِ لَمْ يَنْأَ مُؤْثِرُ عُسْرَةِ

(فلم يدنُ): بضمّ النون، أصلها يدنو، بالواو، فحُذفت لدخول الجازم، أي: لم يقرب. وقوله **(منها)**: أي من المحبوبة الحقيقيّة. وقوله: **(موسِر)**: فاعل يدنو، والموسِر بكسر السين المهملة، قال في القاموس: «اليُسْرُ بالضمّ وبضمّتين: الغنى، وأَيْسَرَ: صار ذا غنى، فهو مُوسِر. واليُسْرُ ضدّ العُسْر؛ والمعنى: هنا لا يقرب من حضرتها صاحب الغنى بعلمه، وماله، وحاله، وإنْ نشر علمه، وفرّق ماله، وأرشد بحسن حاله، كصبره، وشكره، وزهده، وورعه، وتقواه. وهذا معنى قوله **(لاجتهاده)**: أي لأجل اجتهاد ذلك الموسر في بذل يسره لطالبه، كما قال العارف الكامل الشيخ محمّد البكريّ الصدّيقيّ[1] قدّس الله سرّه من قصيدة له:

صلّوا وصاموا ولا نالوا ولا صلّوا وقد وصلت مقاماً عنه قد صرفوا

/ [١٣٣/أ] وقوله **(وعنها)**: أي عن المحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(به)**: الضمير راجع إلى **(مؤثِّر عسرة)**: وهو مقدّم من تأخير، والأصل: مؤثّر عسرة لم ينأ عنها به، أي: بنفسه، على معنى أنّ تقديم حظّ نفسه على مقتضى طاعة ربّه هو الذي اقتضى بُعده عنها، وطرده عن بابها. وقوله **(لم ينأ)**: أي لم يبعد، قال في القاموس: «نَأَيْتُهُ ونَأَيْتُ عنه كسَعَيْتُ: بَعُدْتُ». وقوله **(مُؤْثِر)** بالهمزة الساكنة وكسر الثاء المثلّثة من قولهم: رجل يستأثر على أصحابه، أي: يختار لنفسه أشياء حسنة، وأَثِرَ على أصحابه كفَرِحَ: فَعَلَ ذلك، واسْتَأْثَرَ بالشيء: اسْتَبَدَّ به، وخَصَّ به نفسه، كذا في القاموس. و**(العُسْرَة)**: هي العُسْرُ: ضِدّ اليُسر، والعُسْرُ في المال، والعلم، والحال: بأنْ كان

---

(١) سبقة ترجمته في ص٥٠٠.

خالياً عن ذلك كلّه. وقد آثَرَ واختار ما هو فيه، ورضي بذلك لنفسه؛ فإنّه لم يبعد عنها بسبب ذلك أيضاً، فإنّه تعالى يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء من غير سبب، ولا غرض، ولا علّة تحمله على ذلك؛ وإنّما ذلك بمشيئته القديمة، ومحض إرادته السابقة من الأزل قبل خلق الأكوان، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾ [٢١/الأنبياء /١٠١] الآية، وقال تعالى:﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٧١-١٧٣]؛ وذلك لأنّ الله تعالى من الأزل خلق خلقاً للجنّة واستعملهم في أعمال أهل الجنّة، وخلق خلقاً للنار واستعملهم في أعمال أهل النار، كما قال سبحانه: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٧] فلا يدخل أحد الجنّة بعمله، ولا يدخل النار أحد بعمله؛ وإنّما ذلك سوابق، ولهم روائح عوابق.

١٨٦ - بِذَاكَ جَرَى شَرْطُ الهَوَى بَيْنَ أَهْلِهِ وَطَائِفَةٌ بِالعَهْدِ أَوْفَتْ فَوَفَّتِ

(بذاك) : أي بما ذكر في البيت قبله من أنّه لم يقرب من هذه المحبوبة صاحب كدّ واجتهاد بكدّه واجتهاده، ولا بَعُد عنها صاحب تقصير في العمل الصالح بسبب تقصيره وقعاده، وإنّما الفتح مواهب على حسب مراد الواهب. وقوله (جرى): أي عرف (شرط الهوى): أي المحبّة الإلهيّة. وقوله (بين أهله): أي أهل المحبوب؛ فشرط المحبّة الحقيقيّة عند المحبِّين الإلهيّين أن يكون المحبّ فقيراً من كلّ شيء إلى ربّه؛ بحيث لا يزال غنيّاً بربِّه تعالى عن كلّ ما سواه. فلو نظر إلى عمله الصالح، أوحى له الفالح نظر إلى ما سواه تعالى، فلا يكون فقيراً إلى ربِّه بل يكون فقيراً إلى ما نظر إليه من عمله وحاله؛ فلا يكون محبّاً إلهيّاً، بل هو محبّ كوني. وشرط المحبّة أيضاً أن يعتقد المحبّ الإلهيّ أنّ كلّ من كان بعيداً عن حضرة الحقّ تعالى لتقصيره في العمل الصالح، أو ارتكابه لمعاصيه تعالى ما كان سبب بعده وطرده عن حضرة الحقّ تعالى ذلك التقصير والارتكاب؛ لأنّه لا تأثيرلشيء من ذلك في ملك الله وملكوته؛ وإنّما التأثير كلّه لله تعالى؛ فالله تعالى هو الذي شاء له

من الأزل أنْ يكون بعيداً عن حضرته، مطروداً عنها بلا سبب أصلاً، ولا غرض، ولا علّة. واختار ذلك له وأراده لذلك، ثمّ إنّه تعالى استعمله في أعمال أهل البعد والطرد عن جنابه. ومتى اعتقد خلاف ذلك في أحد من خلق الله تعالى لم يكن يعتقد أنّه تعالى غنيّ عن العالمين، وأنّ جميع العالمين مفتقرون إليه سبحانه وتعالى بحكم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٥] وإذا لم يكن كذلك فما هو فقير إلى الله تعالى. وإذا لم يكن فقيراً إلى الله تعالى فما هو محبّ الله تعالى. ثمّ المراد بكونه فقيراً من كلّ شيء إلى ربّه، غنيّاً بربّه عن كلّ شيء أن يكون ناظراً إلى الوجود الحقّ الظاهر بكلّ شيء، والشيء عدم فانٍ، فلا يجد تأثيراً يظهر له من شيء أصلاً؛ لأنّ الشيء فانٍ عنده، وإنّما يظهر له التأثير من الوجود الحقّ تعالى وحده، وذلك التأثير أيضاً فانٍ هالك، ولا ظهور إلّا للوجود الحقّ/ [١٣٣/ ب] الظاهر به، ولا ظهور له تعالى بشيء أيضاً؛ بل بظهوره بنفسه، وبطونه بنفسه؛ فهو تعالى الأوّل والآخر، والظاهر والباطن. وكذلك احتجابه سبحانه، واستتاره بشيء من الأشياء مطلقاً. إنّما ذلك الاحتجاب والاستتار بنفسه تعالى، لا بذلك الشيء؛ إذ لا تأثير للشيء أصلاً، لأنّه عدم فانٍ، والعدم لا يحجب الوجود، ولا يستره. كما لا يظهره، ولا يكشفه في زمانه؛ وإنّما هو سبحانه يظهره بما شاء لمن شاء، ويبطن بما شاء عمّن شاء، يشير إلى ذلك قول العارف الغريب الحسين بن منصور الحلّاج[1] قُدِّس سرّه من جملة رسالة أرسلها إلى بعض تلامذته مبنيّة على طريقته المخفيّة: «أمّا بعد حمد الله تعالى الذي تجلّى عن رأس إبرة

---

(١) قال الصفدي في الوافي بالوفيات ج٤ ص٢٩٦: الحسين بن منصور الحلّاج، الزاهد المشهور، من أهل البيضاء، بلدة بفارس، نشأ بواسط العراق، وصحب الجنيد وغيره. والناس مختلفون في أمره؛ فمنهم من يبالغ في تعظيمه، ومنهم من يكفّره. قال ابن خلّكان: ورأيت في كتاب مشكاة الأنوارلأبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله، وقد اعتذر له عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه، مثل قوله: أنا الحقّ، وما في الجبّة سوى الله، وهذه الإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها. وحملها على محامل حسنة، وأوّلها، وقال: هذا من فرط المحبّة.

لمن شاء، وتستّر في السموات والأرضين عمّن شاء». وقوله (**وطائفة**): أي جماعة، وهم الأولياء العارفون، المتحقِّقون بالفقر إليه تعالى لا إلى سواه كما ذكرنا، المحبّون الإلهيّون على التحقيق بالعناية الربّانيّة والتوفيق. وَنَكَّرَهم للتعظيم. وقوله (**بالعهد**): أي عهد الربوبيّة، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] إلّا به. والجار [والمجرور] متعلّقان بقوله (**أوفتِ**): قال في الصحاح: «الوفاء ضدّ الغدر، يقال: وَفَى بعهده وأَوْفَى بمعنىً». وقوله (فَوَفَّتِ): بتشديد الفاء وكسر التاء للقافية، يقال: أوفاه حقّه ووفّاه بمعنىً، أي: أعطاه حقّه وافياً، كذا في المصباح؛ والمعنى أعطت حقّ العهد وافياً، ولم تنقص منه شيئاً.

١٨٧ - مَتَى عَصَفَتْ رِيحُ الوَلَا[1] قَصَفَتْ أَخَا غَنَاءٍ وَلَوْ بِالفَقْرِ هَبَّتْ لَرَبَّتِ

(**متى عصفت**): قال في المصباح: «عَصَفَتِ الريحُ عَصْفاً، من باب ضرب، وَعُصُوْفاً: اشتدّت؛ فهي عاصِف وعاصِفَة». وقوله (**ريح الوَلا**): بالفتح، أصله القرابة، بمعنى القرب إلى الله تعالى. والولي هو المتصف بالقرب؛ لأنّ الحقّ تعالى متولٍّ جميعَ أموره على الكشف منه؛ والمعنى: متى اشتدّت ريح الولاية الإلهيّة، وهي المحبّة الربّانيّة بأن ظهر للسالك استيلاء الحقّ تعالى على ظاهره وباطنه كاستيلاء الذهن على ما فيه من المعاني المتخيّلة. وقوله (**قَصَفَتْ**): قال في المصباح: «قَصَفْتُ العُودَ قَصْفاً فانقصَف، مثلُ: كسرته فانكسر، وزناً ومعنىً» . وقوله (**أخا غَناء**): مفعول قصفت. ويقال: هو أخو الصدق، أي: ملازم له، وأَخُو الغَنَاء، أي: ذُو غَنَاء كذا في المصباح. والغَنَاء، بفتح الغَيْن المعجمة. قال في المصباح: «الغَنَاء، مثلُ كلام الاكتفاء، وليس عنده غَنَاءٌ، أي: ما يَغْتَنِي به، يقال: غَنِيتُ بكذا عن غيره، من باب تَعِب: إذا اسْتَغْنَيْتُ به». والمعنى: إنّ تلك المحبّة الإلهيّة تكسر ما صَلُبَ من نفس ذلك السالك، وتغنيه بالكليّة عن كلّ شيء سوى الحقّ تعالى؛

(١) في (ق): الغنى.

لأنّها صادفته مكتفياً بالأغيار، مستغنياً في نظره بما يظنّه مؤثِّراً مع الواحد القهار، فيرجع مجذوباً غير سالك، لا يعي ولا يدرك كيف الطريق السالك، ولا يعرف الفرق بين المملوك والمالك، فهو المخطوف المسلوب، والمأخوذ المنهوب، والمقهور المغلوب، المستغرق في بحر غيب الغيوب. وقوله (ولو بالفقر): أي الاحتياج إلى الحقّ تعالى في عين احتياجه إلى كلّ شيء؛ إذ لا شيء عنده بالنسبة إلى الحقّ تعالى، كما قال تعالى:﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] والجار والمجرور متعلّقان بـ(هَبَّت)، يقال: هبَّتِ الريح هُبُوباً، من باب قَعَدَ: هاجَتْ، كذا في المصباح. ومعنى هبّتِ بالفقر، أي: بسبب الافتقار والاحتياج إلى الحقّ تعالى في كلّ شيء، بأنْ كان السالك يرى ذلك ويشهده في نفسه وفي الآفاق، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصلت/ ٥٣]. وقوله (لربّتِ): بتشديد الباء الموحّدة وكسر التاء للقافية، قال: في المصباح: «رَبِيَ الصغيرُ يَرْبَى، من باب تعِب، وَرَبَا/ [١٣٤/ أ] يَرْبُو، من باب عَلَا: إذا نَشَأَ، ويتعدّى بالتضعيف، فيقال: رَبَّيْتُهُ فَتَرَبَّى». وقال الراغب في مفرداته: «إنّ التربية هي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام، يقال: ربّه وربّاه وربَّبه، وقيل لَأَن يُرَبِّيني رجل من قريش أحبّ إليّ أنْ يُرَبِّيني رجل من هوازن»[1]. وفي الصحاح: «إنّ هذا القول لصفوان». والمعنى: لربته ريح الولاء فأنشأته، وأوصلته إلى كماله في مقام الولاية شيئاً فشيئاً، حيث هبّت عليه بالافتقار منه على حدّ ما ذكرنا، فلم تزعجه، ولم تخرجه عن مقتضى عادته في أحوال أبناء جنسه؛ فينتفع بتربيته السالكون، ويرشد بعلومه وتحقيقاته المريدون.

١٨٨- وَأَغْنَى يَمِيْنٍ بِاليَسَارِ جزاؤها مَدَى القَطْعِ مَا لِلْوَصْلِ فِي الحبّ مُدَّتِ

(**وأغنى**): أفعل تفضيل، أي أكثر غَنَاء. وقوله (**يمين**): مضاف إليه، وهي

---

(١) هو من قول: صفوان بن أميّة بن خلف لأبي سفيان يوم حنين لمّا انهزم الناس أوّل المعركة. انظر مفردات القرآن للراغب الأصفهانيّ ١ / ٢٧٥.

الجارحة. قال الأزهري وغيره: اليد اليَمين واليُمنى، وأخذت يَمينه، أي: قبضتها، وبيمينه، أي: أمسكت عليها. وقال ابن قتيبة: «واليَسار واليَمين مفتوحتان، والعامّة تكسرهما». وقال ابن فارس: «اليَسار أخت اليَمين، وقد تُكسر، والأجود الفتح» كذا في المصباح. والمعنى: أغنى يد يمين، أي: ذات قوّة؛ فإنّها أقوى من اليَسار، ثمّ بين غناها بقوله (باليَسار). أي: بسبب اليَسار، بالفتح لا غير، وهو الغِنَى والثَّروة، مذكر. وأيسرَ بالألف صار ذا يَسار، كذا في المصباح. فاليَسار هنا بمعنى الغِنَى. والباء للسببيّة، أي: بسبب اليسار، أي: الاستغناء بشيء سوى الحقّ تعالى، وهو ضدّ الفقر؛ يعني كلّ يد يمنى ذات قوّة لها زيادة غنى عندها بشيء من علومها، وأعمالها، وأحوالها، وماهي متَّصفة به، بحيث لا تجد فيه الافتقار والاحتياج إلى الحقّ تعالى على العموم. ثمّ قال (**جزاؤها**): أي الجزاء الذي تستحقّه في دين أهل المحبّة الإلهيّة. وقوله (**مدى**): جمع مُدية، وهو السكين، قال في المصباح: «المُدْيَة: الشَّفْرَة، والجمع مُدَىً ومُدْيات مثل: غُرْفَة وغُرَف وغُرْفات بالسكون والفتح. وبنو قُشَيْر تقول: مِدْيَة بكسر الميم، والجمع مِدَى، مثل سِدْرَة وسِدَر، ولغة الضمّ هي التي يُراد بها المماثلة في هذا الكتاب». وقوله (**القطع**): مضاف إليه، أي: سكاكين القطع عن جناب الحقّ تعالى، جزاء تلك اليد التي استغنت عن الحقّ تعالى في شيء من الأشياء مطلقاً ولم تفتقر إليه فيه؛ لأنّها سرقت غناه تعالى، وادّعته لنفسها أو لشيء سواه، وقال تعالى: ﴿**وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ**﴾ [٥/ المائدة / ٣٨]. وكنّى بالسكاكين عن تلك الأشياء التي استغنى بشيء منها عن الحقّ تعالى، فإنّ ذلك الشيء بيد الحقّ تعالى، يقطعه به عن جنابه سبحانه؛ لأنّه الواحد القهّار. وقوله (**ما**): هي ظرفيّة مصدريّة تُسبَك مع الفعل الذي دخلت عليه بالمصدر، وهي داخلة هنا على قوله. (**مُدَّتِ**): بضمّ الميم وتشديد الدّال المهملة وكسر التاء للقافية، وهي فعل ماضٍ مبني للمفعول، والتقدير مُدَّةِ مَدِّها، فإذا لم تمتدّ إلى اليسار والاستغناء بشيء عن الحقّ سبحانه لا يكون جزاؤها ذلك، فلا تقطع عنه. وكذلك إذا امتدّت ثمّ

رجعت. وقوله (**للوصل**): أي الاتّصال بالحقّ تعالى في الحبّ؛ أي: المحبّة الإلهيّة وفي شرع المحبِّين. والجار والمجرور متعلِّقان بمُدَّتِ، قُدِّم عليه للحصر؛ أي: إذا مُدَّت للاتّصال به تعالى لا إلى غيره من أغراضها؛ فإنّها لا تقطع عن نيل ذلك الغرض دنيويّاً كان أو أخرويّاً، كما هو شأن أهل الغفلة والحجاب ممن ليسوا من الأحباب.

١٨٩ - وَأَخْلِصْ لَهَا واخْلُصْ بِهَا مِنْ رُعُوْنَةِ افْــ ـــتِقَارِكَ مِــنْ أَعْــمَالِ بِــرٍّ تَزَكَّــتِ[١]

(**وأخلِص**): فعل أمر من الإخلاص، وهو في الأصل الخُلُوص من الكَدَر، يقال: خَلَصَ الماءُ من/[١٣٤/ب] الكَدَر، من باب قَعَدَ: إذا صفا، وخُلاصة الشيء بالضمّ: ما صَفا منه، ذكره بالمصباح. وقوله (**لها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**واخلُص**): بضمّ اللام، فعل أمر أيضاً من الخُلُوص، وهو الصفا من الكدر، قال الراغب في مفرداته: «فحقيقة الإخلاص التعرِّي[٢] عن كلّ ما دون الله». وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة؛ لا بنفسك. ثمّ قال (**من رُعونة**): قال في القاموس: «الأَرْعَنُ: الأَهْوَج في مَنْطِقِهِ، والأَحْمَقُ الْمُسْتَرْخِي، وقد رَعُنَ، مثلثة رُعُونَة ورَعَناً، محرّكة، وما أَرْعَنَهُ». وقوله (**افتقارك**): هي احتياجك. وقوله (**من أعمال**): جمع عمل متعلِّق بافتقارك. و(**البِرّ**): بالكسر، الخير والفضل. وقوله (**تَزَكَّتِ**): بتشديد الكاف، أي: نَمَتْ وزَادَتْ، من الزَّكَاء، بالمدّ: النَّماء والزيادة. يقال: زَكَا الزَّرْعُ يَزْكُو، من باب قعد، وأَزْكَى الله المال وزَكَّاهُ، بالألف والتثقيل، كذا في المصباح. والمعنى: أخلصْ لهذه الحضرة، وهي المحبوبة الحقيقيّة في جميع أعمالكَ الصالحة من: الرياءِ، والسمعة، والعُجب، وغيرها من المقابح. وتخلّص بها لا بنفسك من رُعُونة افتقارك واحتياجك إلى الحقّ تعالى من أعمال البرّ الزكيّة، فإنّك حيث افتقرت إلى الله تعالى من أعمال البرّ الزكيّة فلم تحتج إليها، وكان فقرك

---

(١) في (ق): تقضّتِ.

(٢) عند الراغب في مفرداته: فحقيقة الإخلاص التبرّي. انظر مفردات القرآن للراغب الأصفهانيّ، مادّة: خلص، ج١ ص٢١٢.

واحتياجك مجرّداً إلى الحقّ تعالى لا إلى شيء سواه، بقي عليك التخلّص من ذلك الافتقار المذكور فإنّه سوى الحقّ تعالى فتحتاج إلى التجرّد عنه أيضاً؛ فإنّ التفاتك إليه رعونة نفسانيّة، وحماقة إنسانيّة.

١٩٠ - وَعَادِ دَوَاعِي القِيْلِ والقَالِ وَانجُ مِنْ عَـوَادِيْ دَعَـاوِ صِـدْقُهَا قَـصْدُ سُـمْعَةِ

(وعادِ): بكسر الدال المهملة، فعل أمر من المعاداة، وهي ضدّ المصادقة، أي: اتخذ عدوّاً. وقوله (دواعي): جمع داعية، وهي التي تسوق إلى الشيء، من دعاه: ساقه. و(القيل والقال): اسمان من القول، لا مصدران، قاله ابن السِّكِّيت. ويُعربان بحسب العوامل. وقال في الإنصاف: «هما في الأصل فعلان ماضيان جُعلا اسمين، واستُعملا استعمال الأسماء، وأُبقي فتحُهما ليدل على ما كانا عليه». قال: ويدلّ عليه ما في الحديث: «نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن قيل وقال»[1] بالفتح، وحكى القولين في التهذيب، ولا يستعمل القيل والقال إلّا في الشرّ. والحديث مقول على النقص، كذا في المصباح. والمعنى: اترك كلّ ما يدعو ويسوق إلى الباطل وإلى مجرّد القول والحكاية. وقوله (وانجُ): فعل أمر من النجاة، وهي السلامة. وقوله (من عوادي): جمع عادي، من عَدَا عليه: ظَلَمَ وجَاوَزَ الحَدَّ؛ فهوعادٍ، كذا في المصباح. وقوله (دَعَاوٍ): مضاف إليه، جمع دعوى. والفتح والكسر في الدّعاوى سواء، ومثله الفَتْوَى والفَتَاوَى. وقال الأزهري: قال اليَزيدي: «يقال: لي في هذا الأمر دَعْوَى ودَعَاوَى، أي: مطالب، وهي مضبوطة في بعض النسخ بفتح الواو وكسرها معاً، كما في المصباح». والمعنى: من دعاوى نفسانيّة ظالمة للحقّ خارجة عن الحدود. وقوله (صدقها): أي صدق تلك الدعاوى، أي: الصادق منها، المطابق للواقع. وقوله (قصد سمعة): بضمّ السين المهملة، أي: حاصلة بقصد السمعة

(١) أخرج البخاريّ في صحيحه، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب: ما يُكره من كثرة السؤال، وتكلّف ما لا يعنيه، ٦٨٦٢، بلفظ: «وكتب إليه» ـ يعني: المغيرة بن شعبة كتب إلى معاوية ـ إنّه كان ينهى عن قيل وقال... وللحديث أطراف أخرى كثيرة عند البخاريّ وغيره.

والرياء فكيف إذا كانت كاذبة. وقال في القاموس: «مَا فَعَلَهُ رِيَاء وَسَمْعَة، ويُضَمّ ويُحَرَّكُ وهي ما نُوِّه بذكره ليَرَى ويَسْمَع».

١٩١- فَأَلْسُنُ مَنْ يُدْعَى بِأَلْسَنِ عَارِفٍ
وَقَدْ عُبِّرَتْ كُلَّ العِبَارَاتِ كَلَّتِ

(فَأَلْسُنُ): جمع لسان، قال في المصباح: «اللِّسان: العُضو، يذكَّر ويؤنَّث؛ فمَنْ ذَكَّرَ جمعه على: أَلْسِنَة، ومن أَنَّثَ جمعه على: أَلْسُن، قال أبو حاتم: والتذكيرُ أكثر، وهو في القرآن كلّه مذكر. واللِّسان: اللغة، مؤنّث، وقد يُذكَّر باعتبار أنه لفظ، فيقال: لسانُه فصيحة وفصيح، أي: لغته فصيحة، أو نُطْقُهُ فصيح، وجمعه على التذكير والتأنيث كما تقدّم، كذا في المصباح. والمعنى: هنا، فلغات/ [١٣٥/أ] ولهذا جمعه على أَلْسُن، جمع لِسان، مؤنث، بمعنى اللغة. واللغات مختلفة كثيرة. وقوله (يُدعى): بضمّ الياء التحتيّة فعل مبني للمفعول، أي: يدعوه الناس، بمعنى يسمّونه. وقوله (مَن): بفتح الميم، أي: الذي، أو إنسان. وقوله (بأَلْسَنِ): متعلّق بيُدعى. وأَلْسَن صيغة أفعل التفضيل. قال في المصباح: «لَسِنَ لَسْناً، من باب تَعِب: فَصُحَ؛ فهو لَسِن، وأَلْسَنُ، أي: فَصيحٌ بليغ». ويقال: «دعوت الولد زيداً وبزيد: إذا سميته بهذا الاسم». والمعنى جميع اللغات المختلفة التي يعرفها أفصح عارف ينطق بها، وهو أفصح الفصحاء بها. وقوله (وقد): الواو للحال. وقوله (عُبِّرَتْ): بتشديد الباء الموحّدة، قال في المصباح: «عبّرت عن فلان ـ بالتشديد: تكلّمت عنه، واللسان يعبر عمّا في الضمير، أي: يُبَيِّنُ». وقوله (كلّ العبارات): جمع عبارة، وهي اسم من عَبَّرَ عَمَّا في نفسه: أعرب، وعَبَّرَعنه غيره فأعرب عنه، كذا في القاموس. يعني: جاءت تلك اللغات المختلفة بكلّ العبارات المختلفة من أفصح عارف وأبلغه. وقوله (كَلّتِ): بفتح الكاف وتشديد اللام وكسر التاء للقافية، قال في المصباح: «كَلَّ يَكِلُّ، من باب ضرب كَلّاً: تَعِبَ وأَعيا». وفاعل كَلّتِ ضمير راجع إلى أَلْسُن، أي: تكلّ تلك الألسن، وتتعب،

وتعيا عن بيان الحقيقة المطلوبة للرجال، فدع عنك دواعي القيل والقال، ودعاوى المعرفة الإلهيّة، وانجُ من هذا المجال؛ ولهذا قالوا: من عرف الله كَلَّ لسانه، وجَنَّ في بيان المعاني جَنَانُه.

١٩٢- وَمَا عَنْهُ لَمْ تُفْصِحْ فَإِنَّكَ أَهْلُهُ وَأَنْتَ غَرِيْبٌ عَنْهُ إِنْ قُلْتَ فَاصْمُتِ

(وما): أي المعنى الإلهيّ الذي. **(عنه)**: أي عن ذلك المعنى. **(لم تفصح)**: يقال أَفصح عن مراده، بالألف: أظهره. يعني: إذا كتمت المعنى الوارد عليك ولم تظهره بلسانك. وقوله **(فإنّك)**: أي تحقيقاً. **(أنت أهله)**: أي أهل ذلك المعنى الإلهيّ الوارد عليك بطريق الفيض والإلهام ما لم تكن في مقام الدعوة إلى الله تعالى، وقد وجدت الطالب الصادق؛ فإنّه يجب عليك الإفصاح له، وإلّا كنت ممن كتم علماً فأُلجِم بلجام من نار، كما ورد في الحديث النبوي، فإنّ الله لا ينفعك بذلك المعنى حينئذ فيقلبه عليك باطلاً، فيكون لجامك، وهو من النار، وإذا لم تصادف أهله حُرِّم عليك إظهاره والإفصاح عنه لغير أهله، لأنّه أمانة عندك، فإذا دفعتها إلى غير أهلها فقد خنتها، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [٤/ النساء/ ٥٨] ومن هنا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه وقد طُلب منه شيء من العلم الإلهيّ:

أأنثــر درّاً بــين ســارحة الــنعم وأنظــم منثــوراً لراعيــة الغــنم
لــئن يــسر الله الكــريم بفــضله وصادفت أهلاً للمعارف والحكم
بثثــت مفيــداً واســتنفدت ودادهــم وإلّا فمحــزون لــديّ ومكتــتم
ومَــن مَــنَح الجُهــال عِلــماً أضــاعه ومــن منع المستوجبين فقــد ظلــم

وإنّما بثّ رضي الله عنه علوم الفقه والحديث والأصول والعربيّة، وعُرف بذلك. وهذا كلّه لم يكن مغلوباً في البيان بتراكم الواردات على قلبه، وغلبتها على اللسان، وإلّا فحاله كما قال الشيخ الأكبر عليه الرحمة والرضوان في أبياته التي في

ابتداء كتابه الفتوحات المكيّة الظاهرة للعيان:

أنـــا القـــرآن والـــسبع المثـــاني وروح الـــــــروح لا روح الأواني
فـــؤادي عنـــد معلـــومي مقـــيم يناجيـــــه وعنـــــدكم لـــــساني
فـلا تنظـر بطرفـك نحـو جـسمي وعـــد عـــن التـــنعم بالمغـــاني
وخض في بحـر ذات الـذات تبصر عجائب ما تبدّت للعيان/ [١٣٥/ب]
وأسرار تـــــبراءت مـــــبهمات مُـــــسْتَرَةٌ بـــــأرواح المعـــــاني

ثمّ قال رضي الله عنه: «فوا الله ما أنشدت من هذه القطعة بيتاً إلّا وكأنِّي أسمعه ميتاً» ...إلى آخر كلامه بمقتضى حاله ومقامه، ولنا من هذا القبيل أبيات على طريقة التضمين وهي قولنا:

يقولـون لا تنطـق بـها أنـت عـارف بـه بـين أهـل الجهـل ذاك معيب
فقلــت لهــم: خلّــوا المــلام فإننــا بحكــم الــتجلّي والمجــال قريــب
شربنـا وأهرقنـا عـلى الأرض جرعـة وللأرض من كاس الكـرام نـصيب

وقوله (**وأنت غريب**): أي بعيد، قال في المصباح: «غَرُبَ الشخصُ - بالضمّ- غَرَابةً: بَعُدَ عن وطنه؛ فهو غَرِيْب» فعيل بمعنى فاعل. وقوله (**عنه**): أي عن ذلك المعنى الذي أفصحت عنه. وقوله (**إنْ قلت**): أي أفصحت عنه، وفي نسخة (**ما قلت**): أي مدّة قولك. وقوله (**فاصمتِ**): بكسر التاء للقافية، واصمتِ فعل أمر من الصمت، قال في المصباح: «صَمَتَ صَمْتاً، من باب قتل: سَكَتَ؛ يعني: إنْ تكلّمتَ بالمعنى الوارد عليك، فأنت أجنبيّ عن ذلك المعنى، غير متحقّق به في وقت التكلُّمِ فاسكت، ولا تتكلّم بالمعاني الواردات عليك في ابتداء السلوك حتى تتحقّق فيها، وترسخ في انكشافها لك، وتجلّيها، قال عفيف الدّين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من قصيدة له:

عجبـت لـصحبي والغـرام يحـثّهم يقولــون حــدِّثنا فأنــت أمينهــا

ألا فاسمحوا أن يشتموها بأنفس طويل إلى تلك الديار حنينها
ولا تنطقوا حتى تروا نطقها بكم يلوح لكم منكم فتلكم شؤونها

١٩٣ - وَفِي الصَّمْتِ سَمْتٌ عِنْدَهُ جَاهُ مُسْكَةٍ غَدَا عَبْدَهُ مَنْ ظَنَّهُ خَيْرَ مُسْكَتِ

(وفي الصمت): مصدر صَمَتَ: إذا سَكَتَ. وقوله **(سَمْتٌ)**: قال في المصباح: «السَّمْتُ: الطريق. والسَّمْتُ: القصد والسكينة والوَقار. وَسَمَتَ الرجل سَمْتاً، من باب قتل: إذا كان ذا وَقَار، وهو حَسَنُ السَّمْتِ، أي: الهيئة». والمعنى: إن الصمت عن الكلام فيه وقار وسكينة، وهو حال حسن، ممدوح عند الله، وعند الناس. وقد كان عبادة في بعض الملل الماضية. وقوله **(عنده)**: أي عند السمت أو الصمت. وقوله **(جاه)**: أي قدر ومنزلة. وقوله **(مُسْكَةٍ)**: بضمّ الميم وسكون السين المهملة وفتح الكاف والتنوين، قال في القاموس: «المُسْكَةُ بالضمّ: ما يُتَمَسَّكُ به، وما يُمْسِكُ الأَبْدَانِ من الغِذاء والشراب، أو ما يُتَبَلَّغُ به منهما، والعقل الوافِر. يعني: إنّه جاه عظيم لأنّه الجاه الذي به قوام الأبدان، أو الذي به قوام الأبدان أو الذي به العقل الوافر للإنسان. وقوله **(غداً)**: أي صار. **(عبده)**: أي عبد ذلك السمت الموصوف بما ذكر، أو عبد الصمت المذكور. وقوله **(مَن)**: أي الإنسان الذي. **(ظنّه)**: أي ظن ذلك السمت، أو الصمت. **(غير مُسْكِتٍ)**: بضمّ الميم وسكون السين المهملة وكسر الكاف، صيغة اسم الفاعل. والمعنى: إنّ مظنّة خير أمر مسكت، فإنّه يشتغل به، وينقاد إليه، فيصير عبده، لا عبد الحقّ تعالى، مشغولاً به، لا بالحقّ تعالى، والمراد أنْ يصمت ويترك الصمت حتى يكون مشغولاً بالله تعالى في الصمت، لا مشغولاً بالصمت؛ ولهذا ذكر الشيخ الأكبر رضي الله عنه في فتوحاته المكيّة باب التوبة، ثمّ ذكر بعده باب ترك التوبة؛ بمعنى: عدم النظر إليها وتركها بهذ المعنى أعلى منها، ثمّ ذكر باب المجاهدة وبعده باب ترك المجاهدة. وبعده باب الخلوة، ثمّ باب ترك الخلوة. ثمّ باب العزلة، وباب

ترك العزلة. وباب التقوى، وباب ترك التقوى. وباب الورع، وباب ترك الورع. وباب الزهد، وباب ترك الزهد. وباب الخوف، وباب ترك الخوف. وباب الرجاء، وباب ترك الرجاء./ [١٣٦/ أ] وباب الحزن، وباب ترك الحزن. وباب الجوع، وباب ترك الجوع. وباب الخشوع، وباب ترك الخشوع. وباب التوكّل، وباب ترك التوكّل. وباب الشكر، وباب ترك الشكر. وباب اليقين، وباب ترك اليقين. وباب الصبر، وباب ترك الصبر. وباب المراقبة، وباب ترك المراقبة. وباب الرضا، وباب ترك الرضا. وباب العبوديّة، وباب ترك العبوديّة. وباب الاستقامة، وباب ترك الاستقامة. وباب الإخلاص، وباب ترك الإخلاص. وباب الصدق، وباب ترك الصدق. وباب الحياء، وباب ترك الحياء. وباب الذكر، وباب ترك الذكر ...إلى آخر ما ذكر من ذلك. وعنده أنْ ترك كلّ مقام مع وجوده أكمل منه مع ملاحظته.

١٩٤ - فَكُنْ بَصَراً وَانْظُرْ وَسَمْعاً وَعِ وَكُنْ ... لِسَاناً وَقُلْ فَالْجَمْعُ أَهْدَى طَرِيقَةِ

(فكن): الفا للتفريع على ما قبله. و(كن): فعل أمر من كان الناقصة، اسمها ضمير المخاطب، وخبرها بصراً. والمعنى: اتصف من حيث أنّك الوجود الحقيقيّ بأنّك بصر، كما ورد في الحديث: «كنت بصره الذي يبصر به»[1]. ويجوز أنْ يكون من كان التامّة بمعنى وجد، فتكتفي بالمرفوع، وهو الفاعل، نحو: كان زيد، أي: وجد زيد. والمنصوب بعدها حال من الفاعل. والمعنى: أوجد بنسبة الوجود الحقيقيّ إليك حال كونك مبصراً، أي: صاحب قوّة باصرة، أو تمييز، أي: من جهة كونك بصراً، بمعنى مبصراً على أنّك تبصر بوجودك الذي صرت موجوداً به، وأنت في حدّ ذاتك عدم صرف، من قبيل قوله تعالى للشيء الذي يريد تكوينه وإيجاده من عدمه الذي هو فيه ﴿كُن﴾ أي: أوجد ﴿فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] أي: فيوجد، وهو في حدّ ذاته على ما هو عليه من العدم الأصليّ. غير أنّ الوجود الحقيقيّ لم توجّه

(١) انظر تخريجه في ص١٤٦.

بالإرادة والمشيئة على ذلك الشيء، وهو عدم مكشوف عنه بالعلم الإلهيّ القديم، انتسب الوجود الحقيقيّ إليه لانصباغه به، وظهوره عليه، كما قال تعالى:﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[٢/ البقرة/ ١٣٨] وقال تعالى:﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩]؛ فاللون الصابغ وهو الوجود لله تعالى، والمصبوغ به هو المعدوم المعلوم. وكلّ واحد منهما على حاله لم يتغيَّر، وكذلك الإشراق لنورالربّ، وهو الإيجاد؛ لأنّ النور الحقيقيّ هو الوجود الحقيقيّ، لا هو نور بمعنى العرض الحادث الذي هو أيضاً، فإنّه مستحيل عليه تعالى. وقوله (وانظر): يعني إذا نظرت إلى الأشياء فلا تنظر إليها ببصرك الذي هو قوّتك الباصرة العدميّة؛ وإنّما انظر إليها بما كنت به. (بصر): أي وجدت، وهو الوجود الحقيقيّ حيث هو صبغتك، وهو مشرق عليك، ولم تزل أنت وبصرك عدماً صرفاً. وكذلك قوله (وسمعاً): أي كن سمعاً، أي: أوجد بالوجود الحقيقيّ بطريق نسبته إليك حال كونك سمعاً، أي: قوّة سامعة. وقوله (عِ): فعل أمر من الوعي، قال في المصباح: «وَعَيْت الحديثَ وَعْياً، من باب وَعَدَ: حَفِظْتُهُ وتَدَبَّرْتُهُ». يعني: احفظ وتدّبر ما تسمعه بوجودك الحقيقيّ الذي هو عندك منسوب إليك وأنت على ما أنت عليه من عدمك الأصلي المقدّر لم تتغيّر. كما أنّ الوجود الحقيقيّ الذي هو منسوب إليك عندك أيضاً على ما هو عليه من وجود القديم الحقيقيّ لم يتغيّر، وكيف يمكن أنّ يتغيّر أو يتبدّل بنسبته إلى المعدومات!. أو نسبة المعدومات إليه، والمعدومات كلّها معلوماته أزلاً وأبداً، ومقدّراته ومصوراته من حيث لا بداية لها ولا نهاية وإنْ كانت هذه المعدومات كلّها مترتّبة في العلم القديم، يتقدّم بعضها على بعض، ويتأخّر بعضها عن بعض، ويقارن بعضها لبعض في نسبة الوجود الحقيقيّ إليها عندها؛ لأنّ هذه النسبة من جملتها معدومة مثلها، مترتّبة مثلها. وكذلك قوله (وكن): أي أوجد أيضاً بنسبة الوجود الحقيقيّ إليك. وقوله (لساناً): حال أو تمييز بتأويل العضو المعروف على/[١٣٦/ ب] معنى أنّه فعل من أفعال الوجود

الحقيقيّ، أو بتأويل متكلّماً أو تكلّماً. وقوله (**وقل**): فعل أمر. يعني: تكلّمْ، وهذا كلّه من قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ...» إلخ. والمفهوم من هذا الحديث: إنّ من كان هكذا حاله فهو محبوب الله تعالى على الحقيقة، وإنّ الطريق الموصل إلى ذلك إنّما هو دوام العبوديّة، ونيّته مجملة للتقرُّب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة النافلة زيادة على الفرائض. وقوله: «سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به» فيه إشارة إلى أنّ الله تعالى لا يكون سمعه الذي لا يسمع به، وهو القوّة المنبثّة في العضو المخصوص؛ فإنّ ذلك ليس هو سمعه الذي يسمع به، لأنّه يسمع بالله لا بقوّة تلك الجارحة؛ إذ لا تأثير لشيء مع الله تعالى مطلقاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٢] الآية. وكذلك الحال في بصره ولسانه، كما قال سبحانه: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصلت / ٢١] وفي شأن البصر قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ﴾ [٨/ الأنفال/ ٤٢-٤٤] الآية. وقوله (**فالجمع**): أي هذا الجمع المذكور هو مقام الجمع الجامع بين العبد والرّب بوجود واحد، وهو الذي يعني به الناظم قدّس الله سرّه الاتّحاد، بأن يكون العبد والربّ واحداً؛ لأنّ الوجود بينهما واحد، والعبد فانٍ من الأصل، معدوم؛ لأنّه مجرد عدم، مقدّر، مصوّر، بتقدير وتصوير الوجود الحقّ الحقيقيّ الواحد الأحد، قدَّره وصوّره لنفسه، كما قال سبحانه: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] وقال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [٢٠/ طه/ ٤١] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] وقال: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وإنّما يحتاج الأمر إلى الصدق في المعرفة والذوق، ومتى غاب عن هذا المشهد؛ فالعبد عبد، والربّ ربٌّ. والمدّعي مع عدم الذوق والمعرفة فيه نزعة فرعونيّة، وهو ضال

مضلّ، والله بصير بالعباد. وقوله (أَهْدَى طَرِيْقَةٍ): أي ذلك أكثر الطرق كلّها إلى الله تعالى هداية، وهي طريقة الأنبياء والمرسلين وسبيل الصدِّقين.

١٩٥ - وَلَا تَتَّبِعْ مَنْ سَوَّلَتْ نَفْسُهُ لَهُ فَصَارَتْ لَهُ أَمَّارَةً وَاسْتَمَرَّتِ

(ولا تتبع): بتشديد التاء المثنّاة الفوقيّة الثانية نهى عن الاتباع. وقوله (مَنْ): أي الذي (سوّلت): بتشديد الواو، قال في المصباح: «سَوَّلْتُ الشيءَ بالتثقيل زَيَّنْتُهُ». ونفسه فاعل سوّلت، و(له): الجار والمجرور متعلّقان بسوّلت. والمعنى: من زينت له نفسه الباطل فرآه حقّاً، وهم أهل الغفلة والحجاب، فلا تتبع أحداً منهم إذا نهاك عن السلوك في طريق الله تعالى لالتباس الأمر عليهم، ورؤيتهم الحقّ باطلاً، والباطل حقّاً. ثمّ قال (فصارت): أي نفسه (له أمّارة): بتشديد الميم، أي: كثرة الأمر بالسوء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾. وقوله (واستمرتِ): بكسر التاء للقافية، أي: دامت على فعلها ذلك ، ولم تتركه؛ فإنّ مَن هذا شأنه لا يؤمن على نصيحة يبديها، أو حكمة يبتديها؛ لسكون السوء في قلبه، وكمون الحياة في عقله.

١٩٦ - وَدَعْ مَا عَدَاهَا وَاعْدُ نَفْسَكَ فَهْيَ مِنْ عِدَاهَا وَعُذْ مِنْهَا بِأَحْصَنِ جُنَّةِ

(ودعْ): أي اترك. (ما): أي الذي، أو كلّ شيء (عداها): أي المحبوبة الحقيقيّة؛ يعني: غيرها. وقوله (واعْدُ): بضمّ الدال المهملة، فعل أمر من عدا يعدو: إذا جاوز، قال في الصحاح:« عداه يعدوه: أي جاوزه». وقوله (نفسَك): مفعول اعْدُ، أي: تجاوز نفسك، واعدل عنها، وانصرف/ [١٣٧/ أ] عن صحبتها. وقوله (فهي): أي نفسك. (مِنْ عِداها): بكسر العين المهملة، جمع عَدُوّ، أي: من جملة عِداء المحبوبة الحقيقيّة كما ورد «عادِ نفسك»[١]؛ فإنّها انتصبت لمعاداتي. وقوله (وعُذ): بضمّ العين المهملة وسكون الذّال المعجمة، فعل أمر من العَوْذ والعِيَاذ؛ وهو الالتجاء والاحتماء. وقوله (منها): أي من نفسك وشرِّها. (بأَحْصَنِ): أفعل

(١) انظر تخريجه ص٦٠٢.

تفضيل من حَصُنَ، بالضمّ، حَصَانَةً؛ فهو حَصِيْن، أي: مَنِيع، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أحْصَنْتُه وحَصَّنْتُه، كذا في المصباح. وقوله (**جُنّةِ**): بضمّ الجيم وتشديد النون، قال في المصباح»[1]: «الجُنَّةُ، بالضمّ: ما استترتَ به من سلاح وغيره» والمعنى: استعذ من نفسك بالله تعالى، واحتمِ بجنابه؛ فإنّه تعالى أعظم ما تحصّنت به، واستترت عن عيون الأغيار، حيث أقبلت عليه، وتركت كلّ ما سواه في جميع الأطوار.

١٩٧ - فَنَفْسِيَ كَانَتْ قَبْلُ لَوَّامَةً مَتَى أُطِعْهَا عَصَتْ أَوْ تُعْصَ كَانَتْ مُطِيْعَتِي

(**فنفسي**): الفاء للتفريع على ما قبله من النصيحة، والتعليل لذلك بشرح أحوال نفسه. وقوله (**كانت قبلُ**): بضمّ اللام، ظرف مبني لنيّة معنى المضاف إليه، أي: قبل ما ساء ذكره. وقوله (**لوّامه**): بتشديد الواو، أي: كثيرة اللوم لنفسها على ما يصدر منها من المخالفات، وهي نفس الصالح من عباد الله تعالى؛ فإنّها لا تزال تلومه حتى يتوب من ذنبه. كما أنّ الأمّارة نفس الفاسق العاصي لا تزال تأمره بالسوء حتى توقعه في العذاب الأليم. وقوله (**متى أطعها**): أي أدخل تحت طوعها فيما تأمرني به من الشهوات العاجلة، والمخالفات المستلذّة. (**عصت**): أي امتنعت عليّ فلا تطيعني هي فيما آمرها به من التوبة والرجوع، ولكنها تكثر لومي على ما فرط منّي وتزيد ألمي بذلك. وقوله (**أو تُعْصَ**): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة، فعل مضارع مبني للمفعول. والتقدير: ومتى تَعْصِ، وأصله تعصي بالياء فحذفت لوقوعه فعل الشرط مجزوم بحذف الياء؛ يعني: متى أعص نفسي اللوّامة؛ فلا أطيعها فيما تأمرني به. (**كانت**): أي نفسي مطيعتي، أي: تطيعني حينئذ حيث عصيتها فتمتثل أمري، وتنقاد إليّ.

---

(١) لم أعثر عليه في المصباح، وإنّما في مختار الصحاح.

١٩٨- فَأَوْرَدْتُهَا مَا المَوْتُ أَيْسَرُ بَعْضِهِ وَأَتْعَبْتُهَا كَيْمَا تَكُوْنَ مُرِيْحَتِي

(فأوردتها): أي نفسي، وأصله: وَرَدَ البعيرُ وغيرُه الماءَ وُرُوداً: بَلَغَهُ ووافاه، وأوردته الماء، كذا في المصباح. يعني: فبلغت نفسي . وقوله (ما): أي أمراً عظيماً من المجاهدات والرياضات، ثمّ وصف ذلك بقوله (الموتُ أَيسَرُ بعضه): بإرجاع الضمير إلى ما. و(أيسر): بمعنى أسهل، قال في المصباح: «يَسِر الأمرُ يَيْسَرُ، من باب: تَعِب، ويَسُر يُسْراً، من باب: قَرُبَ؛ فهو يَسير، أي: سَهُلَ، ويَسَّرَهُ الله فتيَسَّرَ. وقوله (وأتعبتها): أي نفسي. يعني: ألقيتها في الأتعاب والمشقات بمخالفة هواها وشهواتها. وقوله (كيما): قال ابن هشام في المغني: إنْ كي تكون بمنزلة لام التعليل معنىً وعملاً، وهي الداخلة على ما الاستفهاميّة في قولهم في السؤال عن العلّة كَيْمَه بمعنى لِمَه وعلى ما المصدريّة في قول الشاعر:

إذا أنت لم تنفع فضرّ فإنّما يرجى الفتى كيما يضرّ وينفع

وقيل: (ما) كافّة، وعلى هذا فالمعنى كي تكونُ برفع النون؛ لأنّ ما كافة لكي عن عمل النصب. وعلى المصدريّة الفعل بعدها منصوب بأنْ مضمرة في تأويل مصدر. والمعنى: لكونها ترتجي بصيغة اسم الفاعل، أي لتكون في المستقبل. (مريحة): يعني تريحني، من أراحه من التعب: أزاله عنه، قال في المصباح: «أرحت الأجير راحة: أذهبت عنه ما يجد من تعبه فاستراح».

١٩٩- فَعَادَتْ وَمَهْمَا حُمِّلَتْهُ تَحَمَّلَتْـ ـهُ مِنِّـيْ وَإِنْ خَفَّفْتُ عَنْهَا تَأَذَّتِ

/ [١٣٧/ ب] (فعادت): أي رجعت؛ يعني: نفسي بعد ذلك. وقوله (مهما): قال في القاموس: «هي بسيطة لا مركّبة من: مَهْ وَمَا، ولا مِنْ مَا مَا ، خلافاً لزاعميها؛ ومعناها لا يعقل غير الزمان مع تضمّن معنى الشرط نحو قوله تعالى: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٢٣] الآية. والمعنى: فصار كلّ شيء من المجاهدات والمشقّات. (حُمِّلَتْهُ): بضمّ الحاء وتشديد الميم مكسورة وفتح اللام

وسكون التاء المثنّاة الفوقيّة، يعني: حَمَّلْتها إياه من ذلك. وقوله (تَحَمَّلَتْه): بتشديد الميم مفتوحة، أي: قبِلَتْ حَمْلَهُ منّي. وقوله (وإن خَفَّفْتُ): بتشديد الفاء الأولى، أي: نَقَّصْتُ عنها، أي: عن نفسي شيئاً من تلك المجاهدات والمشقّات. (تأَذَّتِ): بتشديد الذال المعجمة مفتوحة، وكسر التاء للقافية، أي: حصل لها الأذى بذلك التخفيف عنها لاعتيادها على تحمّل المشقّات؛ فإنّ كلّ شيء اعتادت عليه يصعب عليها تركه من خير أو شرّ كالطفل الصغير إذا تركته يرتضع ثدي أمّه يصعب ترك الرضاع، وإنْ فطمته ومنعته من الرضاع مدّة يصعب عليه الرضاع بعد ذلك. البوصيري في ميميّة المديح النبويّ:

والنفس كالطفل إنْ تهمله شبّ على ... حبّ الرضاع وإنْ تفطمه ينفطم

٢٠٠- وَكَلَّفْتُهَا لَا بَلْ كَفَلْتُ قِيَامَهَا ... بِتَكْلِيْفِهَا حَتَّى كَلِفْتُ بِكُلْفَتِي

(**وكلّفتها**): بتشديد اللام، أي: نفس من التكليف، وهو الأمر بما يشقّ عليها من طاعة ربّها على مقتضى ما أمرها به ربّها. ثمّ قال: (**لا**): أي: لم أكلّفها. ثمّ قال (**بل**): وهو حرف إضراب. (**كَفَلْتُ**): من الكفالة، وهي الضمان، أي: ضمنت. (**قيامها**): أي قيام نفسي؛ يعني: دوام عملها لله تعالى. (**بتكليفها**): أي بكلّ ما كلّفها به من الأوامر والنواهي، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٢] أي: حَذِرْنَ؛ لعظم خطرها عند الله تعالى؛ لأنّها أمانة التكاليف المشروعة من الأوامر والنواهي بلا زيادة ولا نقصان، على وجه الإخلاص. ثمّ قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٢] أي: تكفّل لله تعالى بالقيام بها على الوجه المشروع كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [٨٩/ البينة/ ٥]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الإنسان ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٣]، أي: كثير الظلم لمنع ما تحمله، أو تنقيصه كثير الجهل لما هو عليه، ولما هو المطلوب منه. وقوله

(حتّى كَلِفْتُ): بكسر اللام، أي: تولّعت، قال في القاموس: «كَلِفَ بِهِ كَفَرِح: أُولِع، والكَلِف بالكسر : الرجل العاشق. وقوله (بكُلْفَتِي): بضمّ الكاف، أي: مشقّتِي ومجاهدتي، فصرت متولّعاً بها بحيث لا أقدر على تركها من محبّتي لها.

٢٠١- وَأَذْهَبْتُ فِي تَهْذِيْبِهَا كُلَّ لَـذَّةٍ بِإِبْعَادِهَـا عَـنْ عَادِهَـا فَاطْمَأَنَّـتِ

(وأذهبت): أي أزلت، من ذهب به: أزاله، كأذهبه. وقوله (في تهذيبها): أي النفس. هَذَّبَه، بالتشديد: خلّصه وأصلحه. وقوله (كلّ لذة): مفعول أذهبتُ، أي: شهوة من شهوات الدنيا بأنْ تركت الشهوات، وكلّ ما لنفسي فيه غرض حتى تهذّبت نفسي، وصارت مُهَذَّبَة. وقوله (بإبعادها): أي إبعاد نفسي. والجار والمجرور متعلّقان بأذهبت. والإبعاد: التنحية، أبعده الله: نحّاه. وقوله (عن عادها): أي النفس. و(العَاد): جمع عادة، قال في القاموس: «العَادَة الدَيْدَن، وجمعه: عَاد وعِيد؛ والمراد عن عاداتها. وقوله (فاطمأنّتِ): بكسر التاء للقافية، أي: صارت نفساً مطمئنّة، من الاطمئنان وهو السكون؛ يعني: إنّها ساكنة على أمر الله تعالى غير مضطربة به؛ وهو النفس الكاملة.

٢٠٢- وَلَـمْ يَبْقَ هَوْلٌ دُوْنَهَا مَا رَكِبْتُهُ(١) وَأَشْـهَدُ نَفْـسِي فِيْـهِ غَـيْرَ زَكِيَّـةِ

(ولم يبق هول): قال في القاموس: «الهَوْلُ المَخَافَة من الأمر، لا يَدْرِي ما هَجَمَ عليه منه، والجمع:/[١٣٨/أ] أهوال». وقوله (دونها): أي دون نفسي؛ يعني:

(١) في طبعة الشريف الرضي لأمين الخوري (رَكِتُهُ) ولا بأس بذلك؛ بحيث يعود الضمير فيها على النفس التي ألقت عنها الذنوب المخيفة، وطَرَحَتْها، وتخلّصتْ منها، حتّى زَكَتْ كما ذكر في البيت قبله، وصار دأبها العبوديّة التي تحقّقت بالعبودة في البيت بعده. وإنّ معاني ركّ في المعاجم تثبت ما ذهبت إليه؛ فقد قال في الصحاح: «رَكَكْتُ الغلّ في عنقه أرُكُّه رُكّاً: إذا غللتُ يدَهُ إلى عنقه. ورَكَكْتُ الذنبَ في عنقه: إذا ألزمتُه إياه. ورَكَكْتُ الشيءَ بعضه على بعض: إذا طرحته، ورَكَّ الشيءُ، أي: رَقّ وضَعُفَ، ومنه قولهم: اقطعْهُ حيث رَكَّ، والرَّكِيْكُ الضَّعِيْفُ». انظر البيت في جلاء الغامض في شرح ديوان ابن الفارض لأمين خوري ص٨٢.

عندها. وقوله (**ما رَكِبْتُهُ**): أي الهول، بمعنى: علوته واقتحمته في تهذيبها وتخليصها، حتى صارت مطمئنّة. وقوله (**وأَشْهَدُ**): الواو للحال، وأشهد: أي أرى. (**نفسي فيه**): أي في حال ارتكاب ذلك الهول أو في ذلك الهول. (**غير زَكِيَّةٍ**): أي ليست نفساً مزكّاة، أي: مطهّرة عن قبائح العادات، ورذائل الأخلاق.

٢٠٣- وَكُلُّ مَقَامٍ عَنْ سُلُوْكٍ قَطَعْتُهُ عُبُوْدِيَّةٌ حَقَّقْتُهَا بِعُبُوْدَةِ

(**وكلّ مقام**): أصله اسم لموضع القدمين في حال القيام، وأُريد به هنا الحال الحسن شرعاً إذا دام عليه العبد، فإنْ كان غير دائم له فهو حال، وليس بمقام. ومقامات السالكين في طريق الله تعالى كثيرة: كمقام الشكر، ومقام الصبر، ومقام الورع، ومقام التوكّل، ومقام اليقين، ومقام الزهد، ومقام الإخلاص... إلى غير ذلك مما هو في كتب التصوّف. وقوله (**عن سلوك**): أي دخول في طريق الله تعالى بالمجاهدة الشرعيّة. وقوله (**قطعته**): أي حصلت عليه وجاوزته. وقوله (**عبوديّة**): تمييز، أي: عبديّة؛ بمعنى: إقرار بالرِّقّ لله تعالى، وإنّي عبد له. قال في القاموس: «العَبْدِيَّةُ والعُبُودِيَّةُ والعُبُودَةُ والعِبَادَةُ: الطَّاعَةُ» انتهى. وقد فرّقوا بينها اصطلاحاً؛ فالعبادة: فعل ما يرضي الربّ، والعبوديّة: الرضا بما يفعل الربّ. والعَبديّة: الإقرار بالرِّقّ للربّ، والعُبُودَة: الفناء في وجود الربّ. وقوله (**حققتها**): أي تلك العبوديّة؛ يعنى: تحقّقتُ بها بسبب عُبُودَة، أي: الفناء في الوجود الحقّ.

٢٠٤- وَكُنْتُ بِهَا صَبّاً فَلَمَّا تَرَكْتُ مَا أُرِيْدُ أَرَادَتْنِي لَهَا وَأَحَبَّتِ

(**وكنت بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**صَبّاً**) : أي متعلّقاً تعلّق عشق، قال في الصحاح: «الصِّبَا ـ يعني بالكسر ـ من الشوق، يقال: فيه تَصَابَى وصَبَا يَصْبُو صَبْوَةً وصُبُوءاً، أي: مال إلى الجهل والفتوّة». وقوله (**فلما تركت ما أريد**):

أي أعرضت عن جميع مراداتي، كما قيل لأبي يزيد البسطاميّ قدّس الله سرّه في نفسه ماذا تريد يا أبا يزيد؟. فقال: أريد أن لا أريد. فقال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي قدّس الله سرّه: لم ينتبه أبو يزيد لما قال؛ فإنّه أراد، ولو قال: أريد ما تريد لكان لم يُعيِّن مراداً. وقوله (أرادتني): أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (لها): أي لنفسها لا لي، كقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [٢٠/ طه/ ٤١] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] أي: ذاتي؛ يعني: غطاء عليها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] الآية..وقوله (وأحبّت): بتشديد الباء الموحّدة وكسر التاء للقافية معطوف على أرادتني. والمعنى: إنّها أرادتني لنفسها، وذلك لما تركتُ جميع مراداتي فصلحتُ لها، قال الشيخ العارف أرسلان الدمشقيّ قدس الله سرّه: «ما صلحتَ لنا وفيك بقيّة لسوانا». ثمّ إنّه لما صلح لها بنفي الأغيار عنه أحبّته، فكان محبوباً لها، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فلولا أنّه يحبّهم ما ظهر فيهم أنّهم يحبونه، ولكن لما ظهر فيهم أوّلاً أنّهم يحبّونه ظنّوا أنّ ذلك منهم، كما قال: (وكنت بها صبّاً) أي: محبّاً لها. ثمّ إنّ تلك المحبّة اقتضت ترك المُحِبّ جميع مراداته. وذلك الترك اقتضى ظهور أنّه تعالى يحبّهم من قبل؛ لأنّ محبّته لهم أزليّة خفيت عنهم أولاً ثمّ ظهرت لهم.

٢٠٥- فَصِرْتُ حَبِيْباً بَلْ مُحِبّاً لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ كَقَوْلٍ مَرَّ نَفْسِي حَبِيْبَتِي

(**فصرت حبيباً**): أي محبوباً؛ يعني: للمحبوبة التي قال عنها في البيت قبله: أرادتني لها وأحبت. ثمّ أضرب عن ذلك فقال (**بل محبّاً لنفسه**): أي لحقيقته التي هو موجود بها، وذلك بعد فناء نفسه المغايرة للحقيقة الوجوديّة التي هو موجود بها، فهو المحبّ والمحبوب، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

حقيقتـــــي همـــت بهـــا ومـــا رآهـــا بـــصري

وقوله (**وليس/** [١٣٨/ ب] **كقول مَرَّ نفسي حبيبتي**): أي كالقول السابق في

كلامه قُدّس سرّه على لسان المحبوبة أنّها قالت له على طريقة الإنكار لحاله: «**حليف غرام أنت لكن بنفسه**»(1) لأنّه لم يكن يعرف نفسه حينئذٍ لعدم تحقّقه بالفناء، فإنّه كان في الاثنينيّة، وقد صار في الوحدة الوجوديّة بفناء من لم يكن، وظهور من لم يزل.

٢٠٦- خَرَجْتُ بِهَا عَنِّي إِلَيْهَا فَلَمْ أَعُدْ إِلَــيَّ وَمِــثْلِي لَا يَقُــوْلُ بِرَجْعَــةِ

(**خرجت**): أي أعرضت بالكليّة. (بها): أي بقوّة أمر هذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**عنّي**): متعلّق بـ (**خرجت**)، أي: عن نفسي وجملتي. ولو خرج عن نفسه بنفسه لما أمكنه الخروج، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في بعض كتبه: «قُمْ به عليه، لا بك عليه». وقوله (**إليها**): أي خروجاً منتهياً إليها، أي: إلى تلك المحبوبة؛ بحيث لا تبقي له نفساً أصلاً، ولا شيئا من توابعها، وذلك بالكشف والتحقّق بالفناء والاضمحلال كما كان من قبل، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [١٩/ مريم/ ٩] إشارة إلى خلقه له منه قبل، حيث لا ابتداء له، أي: تقديره كما قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] فإنّ المُقَدَّر ـ بصيغة اسم المفعول ـ لا وجود له مع المُقَدِّر ـ بصيغة اسم الفاعل ـ وهو الخلق الأوّل الأزليّ الذي قال فيه: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] الخلق الجديد هو الملبوس عليهم، وهو نسبة تجلّي وانكشاف الوجود الحقّ لهم بهم، ودعواهم له. والتحقّق بالفناء هو شهود العدم الأصليّ، كما ذكرنا. ومعرفة أنّ التقدير لا يحتاج إلى الإيجاد بالوجود؛ لأنّ الإيجاد بالوجود مجرد توهّم والتباس عليهم. والتوهّم والالتباس تقدير من الوجود الحقّ سبحانه يتصف بذلك التوهّم والالتباس العبد المتوهّم المتلبس عليه، وذلك الفناء والاضمحلال إنْ كان من العبد السالك بقوّة نفسه فإنّه لا يحصل له أصلاً وإنْ أجهد نفسه كلّ الإجهاد؛ لأنّ

(١) انظر البيت ٩٨.

نفسه عدم مقدّر كما ذكرنا؛ فالحاصل بها فناء، هو عدم مقدّر مثلها، وهو التخيّل النفسانيّ، ما هو الكشف الربّانيّ. وإنْ كان ذلك الفناء من العبد السالك بقوّة ربّه لا بقوّة نفسه فهو الكشف الحقيقيّ بالوجود الحقّ عن الوجود الواحد الأحد.

وقوله (**فلم أعد**): أي لم أرجع بعد ذلك. (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى نفسي التي خرجت عنها، كما ذكرنا. ثمّ قال (ومثلي): أي وعارف كامل يشبهني. (**لا يقول برجعةٍ**): أي برجوع عن هذا التحقيق والعرفان؛ يعني: برجوع إلى دعوى الوجود مع الوجود الحقّ عن قصد وتعمّد، وإلّا فالرجوع الحاصل عن غلبة الضرورة البشريّة لأجل حكمة التكاليف الشرعيّة، والقيام بالأحكام الربّانيّة كما كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في وقت الإنذار والتبشير يرجع إلى بشريته؛ لأنّه بشر، قال تعالى له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] الآية. وقال عليه السلام: «إنّه ليغان على قلبي، وإنّني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة»[١] وفي رواية مئة مرّة، لأنّه كان صلّى الله عليه وسلّم بعد ذلك يعدّ ذلك من الذنوب من قبيل قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، وقال تعالى له عليه السلام: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [٦٤/ الانشراح/ ٧-٨] أي فرغت مما أمرناك به من: التبليغ، والإنذار، والتكاليف؛ فاتعب بالمجاهدة النفسانيّة، والرجوع إلينا، وذلك قوله: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [٦٤/ الانشراح/ ٨].

٢٠٧- وَأَفْرَدْتُ نَفْسِي عَنْ خُرُوْجِي تَكَرُّمَاً فَلَمْ أَرْضَهَا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ لِصُحْبَتِي

(**وأفردت نفسي**): أي جعلت نفسي التي خرجت عنها مفردة قائمة بي وأنا قائم عليها/ [١٣٩/ أ] بما أكسبت، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وذلك لأنّ حقيقتي ظهرت لحقيقتي على ما هي عليه في غيبها بعد فنائي فيها كما ذكرنا. وقوله (**عن خروجي**): أي خروجي عنها الذي

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

كان منِّي في الحال الأوّل؛ فانفصل عن حقيقتي خروجي عن نفسي أيضاً؛ لأنّه صفة من صفات نفسي. وقوله (**تكرّماً**): تمييز، أي: من جهة تكرّمي، أي: تكرّم حقيقتي على نفسي التي خرجت عنها وأفردتها، وخرجت أيضاً عن خروجها ذلك؛ ليتمّ لها وصفها الذي قدّر لها كما قدّرت له، وتكون حقيقتي منزّهة عن الأكوان المخلوقة المقدّرة، وعن جميع صفات الأكوان، وهذا هو الكرم الفيّاض، والنعمة الكاملة التي ذيلها فضفاض. وقوله (**فلم أرضها**): أي لم أرض نفسي التي خرجت عنها وأفردتها، ولا الصفة التي هي من صفاتها. وقوله (**من بعد ذاك**): أي الخروج المذكور والإفراد. (**لصحبتي**): أي مصاحبة لي لتحقّقي بفنائها، وفناء أوصافها جميعها، وذلك قول الشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه:

إنّـــما الكـــون خيـــال وهـــو حـــقّ في الحقيقـــة

كـــلّ مـــن يعـــرف هـــذا حـــاز أسرار الطريقـــة

فإنّ قوله (**إنّما الكون خيال**): أراد بالخيال الفاني المضمحل، الذي هو مجرّد تقدير وتصوير، والوجود ليس له في نفس الأمر وإنْ كان منسوباً إليه عند العقول المتوهّمة الملبس عليها الأمر. وقوله (وهو حقّ): أي الكون حقّ من جهة أنّه وجود حقّ، مَنزّه، مقدّس عن جميع ما يقدِّره ويصوِّره من العدميّات، وذلك من قوله (في الحقيقة): أي فيما يظهر للعقول من ظاهر الحال.

٢٠٨- وَغُيِّبْتُ عَنْ إفْرَادِ نَفْسِي بَحَيْثُ لَا يُزَاحِمُنِي إبْدَاءُ وَصْفٍ بَحَضْرَتِي

(**وغُيِّبْتُ**): بضم الغين المعجمة وتشديد الياء التحتيّة مكسورة وسكون الباء الموحّدة، أي: حقيقتي رجعت إلى ما هي عليه من غيبتها الأصليّة بلا صنع منّي. وقوله (**عن إفراد نفسي**): الذي حصل لي في الحال في الأوّل، وذلك لأنّ الإفراد المذكور هو أيضاً من صفات نفسي المقدّرة هي وصفاتها. ثمّ قال (**بحيث لا يزاحمني**): أي في حقيقتي الوجوديّة. (**إبداء**): أي إظهار وصف منه أوصافي

أصلاً. وقوله (بحضرتي): أي في حضرتي من حيث أنّي مجرّد منزّه عن جميع الأكوان وسائر صفاتها. ومن المعلوم أنّ الذات الكونيّة إذا انكشف فناؤها ظهر وجود الحقيقة الأزليّة. والصفات الكونيّة أيضاً إذا انكشف فناؤها ظهرت الصفات الربّانيّة على التنزّه التامّ، وكان ذلك الانكشاف والظهور لها لا لسواها، قال عفيف الدين التلمسانيّ قُدِّس سرّه:

أرى رسمها في الحبّ عوض عن رسمي فما بالهم في الحيّ يدعونني باسمي

وهل بعد ضوء الشمس يبدو لك الرجا وهل عندها يبقى على الأفق من نجم

إذا ما دعا الدّاعي بعلوة فاستجب ولكن إذا أفتك عنك على علم

إلى آخر الأبيات. وهو من قوله: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [١٧/الإسراء/٨١] وقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الصحيح: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[1] أخرجه مسلم في صحيحه بالروايات المتعدّدة. ومعلوم أنّ الباطل خلاف الحقّ، وهو الأمر الفاني الهالك المضمحل. وقد ورد أنه صلّى الله عليه وسلّم كان يقول: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبي مرسل»[2] يعني: فضلاً عن غيرهما من الأكوان.

وقد أشار ابن الكمال رحمه الله تعالى في رسالته في الروح إلى أنّه صلّى الله عليه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الشعر، باب: حدّثنا عمرو الناقد، ٦٠٢٩. وللحديث أطراف أخرى عند أحمد والبخاريّ والترمذيّ وابن ماجه.

(٢) ذكره العجلونيّ في الكشف،٢١٥٩، وقال: تذكره الصوفيّة كثيراً، وهو في رسالة القشيري، بلفظ: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي». وقريب منه ما رواه الترمذي في شمائله، وابن راهويه في مسنده عن عليّ من حديث: «كان صلّى الله عليه وسلّم إذا دخل منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله ، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه. ثمّ جزّأ جزأه بينه وبين الناس». كذا في اللآلىء. وزاد فيها: ورواه الخطيب بسند قال فيه الحافظ الدمياطيّ: إنّه على رسم الصحيح.

وسلّم أراد بالملك المقرّب جبريل، وبالنبيّ المرسل نفسه عليه السلام، وهو ما ذكرناه للورثة المحمّديين شربٌ من ذلك./ [١٣٩/ ب]

٢٠٩- وَهَا أَنَا أُبْدِي فِي اتّحَادِيَ مَبْدَئِي وَأُنْهِـي انْتِهَـائِي فِي تَوَاضُـعِ رِفْعَتِـي[١]

(وها): الواو للاستئناف. وكلمة **(ها)**: بالقصر، كلمة تنبيه. وقوله **(أنا أُبدي)**: بضمّ الهمزة، أي: أُظهر. وقوله **(في اتّحادي)**: أي ظهر أنّي والمحبوبة الحقيقيّة حقيقة واحدة، ووجود واحد، لا تركيب في ذلك، ولا تجزيء، ولا تبعيض، ولا اتّصاف بشيء من أوصاف الأكوان مطلقاً. وهو ما ذُكر في الأبيات قبله. وقوله **(مبدئي)**: مصدر ميمي، وهو بضمّ الميم وفتحها وفتح الدال المهملة فيهما، كما في القاموس، أي: ابتداء ظهور ذلك الاتّحاد المذكور وانكشافه. وقوله **(وأُنهي)**: بضمّ الهمزة، معطوف على أُبدي، وهو فعل مضارع من الإنهاء، وهو الإعلام. وقوله **(انتهائي)**: مصدر انتهى، أي: فرغ ووصل إلى غايته. وقوله **(في توا ضع)**: أي انخفاض. **(رفعتي)**: أي مقامي الرفيع، وذلك أنّ أسفار السالكين إلى الله تعالى أربعة، **الأوّل**: سفر السالكين من الخلق إلى الحقّ بالفناء عمّا سواه سبحانه. **والثاني**: سفر الحقّ إلى الحقّ بالتحقّق به سبحانه، والتنزّه عن الأكوان وصفاتها بالكليّة. **والثالث**: الحقّ إلى الخلق بالتنزّل في مراتب الأسماء الإلهيّة والصفات الربّانيّة . **والرابع**: سفر الخلق إلى الخلق بالمعرفة الكاملة، والحقيقة الشاملة؛ وهو النزول بظهور الآثار وانصباغها بوجود الواحد القهّار، كما يشير إليه قوله تعالى:﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣٨] وهو قولهم: «النهاية رجوع البداية». وهو ميراث المرسلين من أولي العزم المشار إليه بقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «ينزل ربّنا كلّ ليلة إلى سماء الدنيا..»[٢] الحديث. وقوله:

---

(١) ترتيب رقم هذا البيت في (ق): ٢١٣، ثمّ البيت الذي مطلعه جلت ترتيبه فيها ٢١٤.

(٢) ذكره في الجمع بين الصحيحين: البخاري ومسلم باب: المتّفق عليه من مسند أبي هريرة، ٢٢٥٧.

«لو دليتم بحبل لهبط على الله...»[1] وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] الآية. ولكن هذا المقام عزيز، ولا يفهمه على ما هو عليه إلّا الكاملون، والورثة المحمّديّون.

٢١٠- جَلَتْ فِي تَجَلِّيْهَا الوُجُودَ لِنَاظِرِي   فَفِـي كُـلِّ مَرْئِـيٍّ أَرَاهَـا بِرُؤْيَتِـي

(**جَلَتْ**): بالجيم، أي: كشفت وأظهرت. وقوله (**في تجلّيها**): أي انكشافها وظهورها. وقوله (**الوجود**): أي الحقيقة الواحدة القائمة بنفسها، المقوِّمة لكلّ شيء من محسوس، ومعقول، وموهوم، التي بها كلّ موجود من جميع ما ذكر موجود؛ فانَّ كلّ شيء موجود لا بدّ أنْ يكون له وجود هو به موجود، والشيء نفسه معدوم، لا وجود له من نفسه؛ وإنّما وجوده من ذلك الوجود الواحد الأحد؛ بل وجوده الذي هو به موجود هو بعينه ذلك الوجود الواحد الأحد، وهو الحقيقة الذاتيّة المتحقّقة بنفسها. وكلّ ما سواها ممّا ذكرنا معدومات مقدّرة هي تقديراتها العدميّة، وتصويراتها الإمكانيّة، يتوجه هذا الوجود الحقّ الواحد الأحد بالشيء؛ أي: المشيوء، بمعنى: الذي يشاء، وهو معلوم في علمه الأزليّ فيظهر ذلك الشيء، وهو على ما هو عليه من عدمه الأصليّ في نفسه بسبب إشراق نور الوجود الحقّ عليه من غير أنْ يستفيد ذلك الشيء المعدوم من توجّه ذلك الوجود به وجود أصلاً؛ لأنّه جلّ وعلا لم يلد ولم يولد؛ فإنّه لو استفاد وجوداً لكان ذلك الوجود متولّداً من الوجود الحقّ، وهو محال. قال تعالى: ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٥٢] فالشيء على ما هو عليه من عدمه الأصليّ، والوجود الحقّ على ما هو عليه من وجوده القديم الأزليّ. ثمّ إنّ ذلك

---

(١) قطعة من حديث طويل، أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٢٨٣.

التوجّه المذكور بالشيء يسمى وجه الله كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٧/ القصص/ ٨٨] أي: إلّا ذاته المتوجّهة بذلك الشيء. والهالك هو: الفاني المضمحل، وفي الحديث النبويّ «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه»[١]/ [١٤٠/ أ] كان. وقوله (ناظري): أي لعيني التي أنظر بها. ثمّ قال (ففي كلّ مرئيٍّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: مرئيّ من المرئيات، أي: المدركات بالحسّ أو العقل. (أراها): أي هذه المحبوبة الحقيقيّة التي هي حقيقة الوجود الحقّ كما ذكرنا. وقوله (برؤيتي): أي بما أرى به كلّ شيء. ومنه قول الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه: «ما رأيت شيئاً إلّا رأيت الله فيه» أي: في ذلك الشيء، ولا شيء، فلا حلول ولا اتحاد، والله بصير بالعباد.

٢١١- وَأُشْهَدُ عَيْنِي[٢] إِذْ بَدَتْ فَوَجَدْتُنِي　　هُنَالِكَ إِيَّاهَا بِجَلْوَةِ خَلْوَتِي

(**وأُشْهَدُ**): بضمّ الهمزة، مبني للمفعول، أي: أشهدتني المحبوبة الحقيقيّة. (**عَيْنِي**): أي نفسي وذاتي، فتحقّقت بمعرفة نفسي وذاتي. وقوله (**إذْ**): أي حين. (**بدت**): أي ظهرت وتجلّت لي؛ يعني: للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**فوجدتني**): أي فوجدت نفسي وذاتي. وقوله (**هنالك**): إشارة إلى الحين الذي ظهرت فيه. وقوله (**إيّاها**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: نفسها وذاتها. ومعلوم أنّها إذا ظهرت وتجلّت لا يبقى معها شيء موجود أصلاً؛ فيتحقّق الاتّحاد في الوجود، لا في التقديرات العدميّة التي هي المخلوقات، والذين يمنعون الاتّحاد ينسبون الوجود للمخلوقات، ويقسمون الوجود إلى قديم وحادث. ومعلوم أنّ الوجود إذا كان على قسمين، وجود قديم، ووجود حادث يمتنع أنْ يتحد أحدهما بالآخر، أو يحلّ

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

(٢) وأُشهِدتُ عَيْنِي.

أحدهما في الآخر، أو ينحلّ أحدهما من الآخر عقلاً وشرعاً، ويستحيل ذلك جملة واحدة. وأمّا إذا كان الوجود واحداً كما ذكرنا، والمخلوقات كلّها منسوبة إليه؛ لأنّها تقاديره ومنفَعَلاته، وآثار أسمائه وصفاته، وهي كلّها شؤون عدميّة في نفسها كما قال سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩]؛ فالاتّحاد في الوجود أمر محقّق، لا شبهة فيه عند العارفين، والكثرة والتعدّد في التقادير العدميّة، والشؤون والآثار دون الوجود، والوجود هو الظاهر في كلّ شأن كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

إنّما نحن للإله شؤون ... فهو فينا في كلّ آن يكون

نزلت شمسه المنازل منّا ... فظهور له بنا وبطون

إلى آخر الأبيات في ديواننا، وقد حقّقنا في هذه المسألة في كتابنا في وحدة الوجود كتاب: «الوجود الحقّ والخطاب الصدق»[1]. وقوله (**بجلوة**): بالجيم متعلّق بوجدتني. (وخلوتي): بالخاء المعجمة مضاف إليه. قال في القاموس: «جَلَا العروسَ على بعلها جَلْوَةً، ويثلّث، وجِلَاء ككِتاب. واجْتَلَاهَا: عَرَضَهَا عليه مُجْلُوَّةً» والمعنى: شهدت وتحقّقت حقيقتي، هي حقيقة المحبوبة المذكورة حين جُلِيَتْ عليَّ مثل جَلْوَة العروس على بعلها في حال خَلْوَتِي بها، حال: خلا معه وبه خَلَاءً وخَلْوَةً: اجتمع به في موضع خالٍ لا نراهم فيه. ومعنى الخَلْوَة هنا: الكشف عن فناء الأغيار، حتى فناء نفسه، بحيث لم يبقَ شيء موجود غير تلك المحبوبة المذكورة؛ فهي المجتمِع، والمجتمَع معه، ولا ثاني هناك؛ فهو العارف والمعروف، والذاكر والمذكور. وزال البين من البين، وقرّت العين بالعين. وهذا هو الوصال الذي يطلبه السالك كالفَراش؛ لما يلقي نفسه في النار، ليتّحد بها، وتزول الاثنينيّة من بينها؛ بل أقوى طلباً لذلك من الفَراش؛ لأنّ الفَراش لا تعلّق له بالنار، لأنّ النار ليست ممدّة له، ولا هو مخلوق منها.

---

(١) انظر كتاب الوجود الحق للشيخ عبد الغني النابلسي، تحقيق د. بكري علاء الدين، الفصل الخامس والتاسع والرابع عشر.

وأمّا السالك فإنّه متعلّق بالفاعل الخالق؛ لأنّه مخلوقه، وهو فعله واستمداده منه في جميع أحواله؛ فاتّحاده به بعد فناء المغايرة أولى وأحقّ.

٢١٢- وَطَاحَ وُجُوْدِيْ فِيْ شُهُوْدِيْ وَبِنْتُ عَنْ
وُجُــوْدِ شُــهُوْدِيْ مَاحِيَــاً غَــيْرَ مُثْبِــتِ

(وطاح): بالحاء المهملة، يَطوحُ ويَطِيحُ: هلك، أو أشرف على الهلاك، وذهب، وسقط، كذا في/ [١٤٠/ ب] القاموس. وقوله **(وجودي)**: أي الذي كنت أجد أنه لي، وأَشهد نفسي موجودة به. وقوله **(في شهودي)**: أي معاينتي الأمر على ما هو عليه في نفس الأمر من غير التباس. وقوله **(وبِنْتُ)**: أي بعُدتُ، وتجاوزت عن وجود شهودي ذلك المذكور أيضاً؛ فإنّ ذلك الشهود كان مجرّد تقدير عدمي مثلي لأنّه صفة من صفاتي، ولا وجود لي ولا لشيء من صفاتي. وقوله **(ماحياً)**: حال من فاعل بِنْتُ، وهي التاء، ضمير المتكلّم. والمحو ضدّ الإثبات. مَحَاهُ يَمْحُوهُ ويَمْحَاهُ: أذهب أَثَرَه، كذا في القاموس، قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] والله عَلَمٌ على الذات المستجمِع لجميع الأسماء والصفات؛ فالمَحْو: الاستتار، والإثبات: التجلّي، ولم يزل الحقّ تعالى، وهو الوجود الذاتيّ الحقيقيّ، يتجلّى فيثبت بتجلّيه ما تجلّى عليه من معلوماته المقدّرة على مقتضى مشيئته القديمة، ويمحو بمشيئته من ذلك ما استتر هو تعالى عنه. وقوله **(ماحياً)**: أي لشهودي من حيث حقيقتي التي محت غير مثبت لما محته من جميع الأشياء.

٢١٣- وَعَانَقْتُ مَا شَاهَدْتُ فِي مَحْوِ شَاهِدِي بِمَشْهَدِهِ لِلْصَّحْوِ مِنْ بَعْدِ سَكْرَتِي

(وعانقت): أي التزمت. **(ما شاهدت)**: أي الذي شاهدته وكشفت عنه. وقوله **(في محو شاهدي)**: أي زوال واضمحلال الذي شهد منّي؛ يعني: في وقت ذلك المحو، بحيث صارت حقيقتي هي حقيقة ذلك الذي شهدته في وقت محو الشاهد منّي، قال تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [٨٥/ البروج/ ٣] وقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا

نُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا نُبۡصِرُونَ﴾ [٦٩/ الحاقة/ ٣٨ ـ ٣٩] فما لا تبصرون هو المبصرون؛ لأنّ المبصر منّا لا يبصر نفسه، وما أقسم تعالى بغيره فيما ذكرنا وما لم نذكر، كما قاله الشيخ الأكبر بن العربي قدّس الله سرّه. وقوله (**بمشهده**): بصيغة اسم الفاعل، وهو الحقّ تعالى، والمجرور متعلّقان بمحو؛ فإنّه ما محا شاهده إلّا بقوّة الذي أشهده، لا بقوّة نفسه، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: «قم به عليه لا بك عليه» والضمير لشاهدي. وقوله (**للصحو**): أي لأجل الصحو الحاصل لي من بعد) سكرتي): أي غيبتي التي كانت لي وقت السلوك من عدم التحقّق بحقيقة ملك الملوك. ولقد تكلّمت مرّة مع مغلوب عليه بالجذب الإلهيّ فقال لي: «أنتم تؤكِّدون ونحن لا نؤكّد» يريد أنتم تحقِّقون ونحن لا نحقِّق.

٢١٤ - فَفِي الصَّحْوِ بَعْدَ المَحْوِ لَمْ أَكُ غَيْرَهَا وَذاتِي بِذاتِي إِذْ تَحَلَّتْ تَجَلَّتِ

(**ففي الصحو**) : أي في حال الصحو وزوال الاستغراق. وقوله (**بعد المحو**): أي بعد الفناء والاستغراق في الوجود الحقّ لا الصحو الذي هو قبل ذلك؛ فإنّه في غفلة واشتغال بعالم الأكوان، وتضمخ بنجاسات الأغيار، وحدث الحوادث؛ ولهذا قلنا في مطلع قصيدة لنا:

إنّ الفنا طهارة الإنسان لصلاة معرفة القريب الداني

وقوله (لم أكُ): أي لم أكن. (**غيرها**): أي غير المحبوبة الحقيقيّة، لأنّه فني منّي ما يغايرها، فظهرت حقيقتي لصلاة معرفتها، قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٧٦] أي: القرآن الذي قال تعالى عنه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] أي: الله الذي هو من ورائهم محيط. ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢١-٢٢] أي: طاهر فيه بما فيه إلّا المظهرون بالمحو والفناء والاضمحلال بالكليّة. وقوله (**وذاتي**): أي حقيقتي التي هي محض الوجود الحقّ المطلق عن جميع القيود حتى عن قيد الإطلاق. وقوله (بذاتي): متعلّق (بتحلت): بالحاء المهملة آخر البيت، أي:

بمجموع القيود الظاهرة بمحض الوجود. وقوله (إذ): أي حين (تجلّتِ): بالجيم، أي: انكشفت ذاتي الوجوديّة التي هي/[١٤١/أ] هي محض الوجود المذكور. وقوله (تحلّتِ) بالحاء المهملة، أي: لبست الحلية، وهي الزينة؛ فإنّ الوجود متزيّن بالقيود، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢] أي: العارفين به، المتحقّقين بحقيقته. وأمّا قوله:﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [١٨/ الكهف/ ٤٦] فذلك في حقّ الغافلين الجاهلين به تعالى، ولنا موشّح في هذا المعنى قولنا:

كــــلّ شيء عقــــد جـــوهره حليـــــة الحـــسن المهيـــب

٢١٥- فَوَصْفِيَ إذْ لَمْ نُدْعَ بَاثْنَيْنِ وَصْفُهَا وَهَيْئَتُهَـا إذْ وَاحِـدٌ نَحْـنُ هَيْئَتِـي

(فوصفي): أي كلّ وصف أنا موصوف به هو (وصفها): أي المحبوبة الحقيقيّة من حيث اسمها الظاهر بالقيود المقدّرة، والحدود، والكيفيّات، المفروضة، لا من حيث اسمها الباطن؛ فإنّها من هاتيك الحيثيّة، لا توصف بوصف أصلاً، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٨٠] أي: عن جميع الأوصاف، ثمّ قال تعالى:﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٨١] أي: أمان منّا عليهم فيما يصفون به ربّهم؛ لأنّهم لا يصفونه إلّا بما وصف به نفسه عندهم، رحمته بهم وبأمثالهم من المخلوقين، ولهذا قال بعده: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٨٢] أي: الشكر له على صفة ربوبيّته للعالمين التي اقتضت الاتّصاف بالأوصاف الواردة على ألسنة المرسلين تعريفاً به سبحانه؛ فإنّ وجوده الحقّ المطلق لمّا ظهر بالقيود العدميّة عند القيود العدميّة، وهوعلى ما هو عليه من إطلاقه الحقيقيّ كان ذلك نعمة عليهم من أكمل النعم، فصاروا إذا عرفوا أنفسهم عرفوه، وإذا جهلوا أنفسهم جهلوه؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [٥/ المائدة/ ١٠٥] أي: الزموا معرفتها لتعرفوا ربّكم. وقال تعالى: ﴿ مَّنِ

ٱهْتَدَىٰ﴾ [١٧/ إسراء/ ١٥] أي وصل إلى معرفة ربّه ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٥] أي: لمعرفة نفسه. ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ فلم يعرف ربّه ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٥] أي: على معرفة نفسه. وقال سبحانه: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١] فإنّ من عرف الفاني عرف الباقي، ومن عرف العاجز عرف القادر، وهكذا... فظهر سبحانه بالحياة، والعلم، والقدرة. والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وغير ذلك من أوصاف العباد، وميّز العباد عنه بالموت، والجهل، والعجز، والقهر، والصمّ، والعمى، والبكم. وغير ذلك ظهوراً وتمييزاً، لا خفاء فيه، فكان ظهوره بأوصاف الكمال فقط عند الناقصين من الغافلين، وظهوره بجميع الأوصاف عند الكاملين العارفين، فإنّ الظاهر بالحياة عندهم ظاهر بالموت أيضاً، والظاهر بالعلم ظاهر بالجهل أيضاً عندهم، وكذلك الظاهر بالقدرة والإرادة ظاهراً أيضاً بالعجز والقهر. والظاهر بالسمع والبصر والكلام ظاهراً أيضاً عندهم بالصمّ والعمى والبكم اقتداراً إلهيّاً في الكلّ. وإنْ لم يوصف بذلك ظاهراً فإنّ الوجود الحقّ موصوف بجميع ما اتّصف به مما يقال عنه موجود، وهذا عند العارف المحقّق من باطن الأمر عند أولي الأمر لا عند أهل الظاهر الذين قال تعالى في حقّهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [٣٠/ الروم/ ٧] فكلّفهم الله تعالى بوسعهم في المعرفة من حيث ما عندهم، وكلّف الكاملين بوسعهم في المعرفة من حيث ما عندهم. والكلّ شَرْعٌ وبيانٌ إلهيّ، ورد على ألسنة المرسلين، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٦] وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [٦٤/ التغابن/ ١٦] وقال سبحانه: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٠٢] في شأن الكاملين، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [٣٢/ السجدة/ ١١] وهو في حقّ الغافلين الناظرين إلى الأسباب الظاهرة، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [٢٩/ الزمر/ ٤٢] وهو في حقّ العارفين المحقّقين، وهكذا ورد الشرع الحقّ عن/ [١٤١/ ب]

الشارع فلا معاند، ولا منازع. وقوله (**إذْ**): تعليليّة. (**لم نُدْعَ**): بضمّ النون، فعل مضارع مبني للمفعول، من دعاه باسم كذا: سمّاه به، قال في القاموس: «دعوته زيداً، وبزيدٍ سمّيته به». وقوله (**باثْنَيْنِ**): متعلّق بنُدعَ، والجملة معترضة بين المبتدأ والخبر للتعليل؛ والمعنى: لأننا حينئذٍ لم نسمَّ باثنينِ لأنّه هو الوجود الحقّ المطلق، وأنا قيوده العدميّة الصادرة عنه بإرادته ومشيئته على مقتضى علم السابق بنفسه في الأزل، وليس للقيود المذكورة وجود آخر غير وجوده سبحانه حتى يكون وجودان فندعي باثنينِ، فإنّ الثَّنْوِيَّةَ تقتضي وجودين مستقلّين، لا وجوداً واحداً له تحقّق في نفسه، وله ظهور لغيره من القيود بغيره من القيود؛ فإنّه حينئذٍ لا ثَنْوِيَّةَ فيه، وهذا كلّه عند الكاملين دون القاصرين من المحجوبين. وقوله (**وهيئتها**): أي المحبوبة الحقيقيّة؛ يعني: مجموع أوصافها، وأسمائها، وأفعالها، وأحكامها، لا الهيئة بمعنى الشكل المحسوس. وقوله (**إذْ**): تعليليّة أيضاً. (**واحداً نحن**): أي أنا وإياها وجود واحد، وما عدا الوجود عدم محض من جميع القيود الحسيّة والعقليّة.

وقوله (**هيئتي**): خبر المبتدأ، أي: هيئتها هي هيئتي؛ لأنّي أنا وإيّاها وجود واحد لا تعدّد له، ولا انقسام ولا تجزيء ولا تبعيض. والقيود العدميّة كلّها تقاديره وتصاويره ظهر بها لبعضها من البعض، واختفى بها عن بعضها من البعض، وكان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، كما ورد في الحديث.

٢١٦- وَإنْ دُعِيَتْ كُنْتُ الْمُجِيْبَ وَإنْ أكُنْ مُنَـادىً أجَابَـتْ مَـنْ دَعَـانِي وَلَبَّـتِ

(**وإنْ دُعيت**): بضمّ الدال المهملة، فعل ماض مبني للمفعول، والتاء الساكنة للتأنيث، أي: دعا المحبوبة الحقيقيّة داعٍ من الناس أو غيرهم. وقوله (**كنتُ**): بضمّ التاء، ضمير المتكلِّم، (**المجيب**): أي لمّا دعاها، لأنّي وإيّاها واحد. وقوله (**وإنْ أكن مُناديً**): بصيغة المفعول، أي: ناداني أحد من الناس أوغيرهم. وقوله (**أجابتِ**): أي تلك المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**مَنْ**): أي الذي، مفعول أجابت.

وقوله (**دعاني**): صلة الموصول. وقوله (**لبّتِ**): بتشديد الباء الموحّدة وتحريك التاء المثنّاة الفوقيّة بالكسر للقافية، معطوف على أجابت، ومعنى لبّى ـ بالتشديد ـ أجاب تأكيد له.

٢١٧- وإنْ نَطَقَتْ كُنْتُ المُنَاجِي كَذَاكَ إنْ قَصَصْتُ حَدِيْثاً إنَّمَا هِيَ قَصَّتِ

(**وإنْ نطقت**): أي تكلّمت. يعني: المحبوبة الحقيقيّة، قال في القاموس: «نَطَقَ يَنْطِقُ نُطْقاً ومَنْطِقاً ونُطُوقاً: تكلّم بصوت وحروف تُعْرَف بها المعاني». فإذا كانت تلك الحروف والأصوات التي نطق هو بها مثله فانية في الحقيقة الوجوديّة، فكلامها عينها، وهو ليس بحروف، ولا أصوات وإنْ ظهر عندنا بحروف وأصوات من جنس حروفه وأصواتنا؛ ولهذا قال (**كنت المناجي**): بصيغة اسم الفاعل من ناجاه مناجاة: سارّه، والقوم تناجوا: تسارّوا، أي: كنت أنا وإيّاها أسارّها بعين ما نطقت به هي، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

ولا تنطقوا حتى تروا نطقها بكم يلوح لكم منكم فتلكم شؤونها

ولم يكن الفرق بين نطقها ونطقه إلّا ظهور الحروف والأصوات، وهي المادّة اللفظيّة. كما أنّ الفرق بينها وبينه مجرّد الصورة الروحانيّة، والصور الجسمانيّة، وهي المادّة الكونيّة. فإذا فني من لم يكن ظهر من لم يزل؛ وهو الاتّحاد الصحيح مراد الناظم قدّس الله سرّه. وقوله (**كذاك**): أي مثل ما /[١٤٢/أ] ذكر في النطق. (**إن قصصتُ حديثاً**): أي خبراً، قال في القاموس: «قَصَّ الخبَرَ: أعلمه». وقوله (**إنّما هي**): أي المحبوبة الحقيقيّة. (**قَصَّتِ**): بكسر التاء للقافية، وذلك بعد فناء المواد التي تقع المغايرة بينه وبينها كما ذكرنا.

٢١٨- فَقَدْ رُفِعَتْ تَاءُ المُخَاطَبِ بَيْنَنَا وفِي رَفْعِهَا عَنْ فُرْقَةِ الفَرْقِ رِفْعَتِي

(**فقد**): الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (**رُفِعتْ**): أي أزيلت، قال في القاموس: «رَفَعَهُ كَمَنَعَه، ضدّ وَضَعَهُ». وقوله (**تاء المخاطب**): بصيغة اسم المفعول، أي: الذي يخاطب غيره وهي التاء المفتوحة، فيقول له: فعلتَ وقلتَ،

بفتح التاء. وقوله (**بيننا**): أي بيني وبين المحبوبة الحقيقيّة؛ وإنّما رُفعتْ التاء بينهما لأنّهما رجعا حقيقية واحدة باتّحادها بعد فناء المواد الروحانيّة والجسمانيّة كما مرّ. ثمّ قال في (**رفعها**): أي التاء المذكورة. وقوله (**عن فِرقَةٍ**): بكسر الفاء، وهي الطائفة من الشيء. و(**الفَرْق**): بفتح الفاء وسكون الراء، مصدر فَرَقَ بينهما فَرْقاً وفُرْقَاناً: فَصَل، كذا في القاموس. ومعناه هنا: انفصال العبد عن الرّب؛ بحيث يشهد العبد من نفسه أنّه مستقلّ بالحركات والسكنات غفلة منه وذهولاً عن معنى اتّصاله بأمر ربّه. وطائفة هذا المقام هم الغافلون المحجوبون. والجار والمجرور متعلّقان بـ (**رفعتي**): قال في القاموس: «رَفَعَ ككَرُمَ رِفْعَةً، بالكسر: شَرُف وعَلَا قدرُهُ؛ فهو رفيع». والمعنى: في إزالة التاء المذكورة من بيننا شرفي وعلو قدري عن الطائفة الغافلين المحجوبين.

٢١٩- فَإِنْ لَمْ يُجَوِّزْ رُؤْيَةَ اثْنَيْنِ وَاحِدَاً ... حِجَاكَ وَلَمْ يُثْبِتْ لِبُعْدِ تَثَبُّتِ

(**فإنْ لم يجوِّزْ**) بتشديد الواو، أي: لم يسوِّغ، من جَوَّزَهُ: سَوَّغَهُ، أي: اعترف بإمكانه. وقوله (**رؤية اثنين**): أي عبد وربّ، هما اثنان عندك: عبد طاهر، وربّ في الغيب غير ظاهر عندك. وفيه إشارة إلى أنّ مراده بالاتّحاد الذي يشير إليه في كلامه الاتّحاد الذي لا يخالف ما عليه أهل الظاهر من اعتقاد: عبد وربّ في المفهوم العقلي بحسب الظاهر، وفي الباطن: عبد فانٍ، وربّ وحده ليس معه غيره. وقوله (**واحداً**): أي هما واحد: ربّ وجوده الحقّ، وعبد هو مخلوق، خلقه ذلك الرّب، أي: قدَّرَهُ، ووجوده به، وجميع أحواله به، وهو فانٍ مضمحلّ في وجود ربّه. وقوله (**حِجاك**): فاعل يجوّز. والحِجَا كإلى: العقل والفطنة، كذا في القاموس. والكاف حرف خطاب للغافل المحجوب. (**ولم يُثْبِتْ**): أي حجاك؛ يعني: عقلك هذا الأمر العظيم، وأنكره. وقوله (**لِبُعْد**): بضمّ الباء الموحّدة، ضد قرب، و(**التَّثَبُّت**): بتشديد الباء الموحّدة، هو التأنّي في الأمور، والتبصّر فيها، لعلّ لها معنى صحيحاً سيفتح الله به، فلا يبادر إلى إنكاره مَنْ تَثَبَّتَ، ككرم، ثَبَاتَةً وثُبُوتَةً، كذا في القاموس. والذي ينبغي للإنسان إذا سمع كلاماً لم يفهمه، أوفهم منه معنى باطلاً

أن لا يبادر من إنكاره من أوّل وهلة من غير سؤال وتفهّم ممن يعرف ذلك الكلام؛ فيدخل تحت قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من بلغه عن الله تعالى فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها»[1] : وقال القائل:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

٢٢٠- سَأَجْلُو إِشَارَاتٍ عَلَيْكَ خَفِيَّةً ... بِهَا كَعِبَارَاتٍ لَدَيْكَ جَلِيَّةِ

(سَأَجْلُو): السين تُمَحِّض الفعل المضارع للاستقبال، و(أَجْلُو): أي أُظْهِر وأكشف، من جَلَا الأمرَ: كَشَفَهُ. وقوله (إشاراتٍ): جمع إشارة، أصله شَار إليه أَوْمَأَ كأشار، ويكون بالكف والعين والحاجب، كذا في القاموس. والمراد هنا الإشارة بالكلام، وسُمِّيَتْ/ [١٤٢/ ب] إشارة لأنَّ الأذواق لا تؤدِّيها عبارة، ولو أفصح العارف غاية الإفصاح لا يحصل بذلك بيان لمراده ولا إيضاح؛ ومن يقدر أن يوصل إلى العِنِّين فهم لذّة النكاح.

قوله (عليك): متعلِّق بقوله (خَفِيَّةً) قُدِّم للحصر. يعني: لا على غيرك من العارفين. وقوله (بها): أي بالمحبوبة الحقيقيّة، يقال: أشار إليه، أو بقوّتها وقدرتها؛ لا بقوّتي وقدرتي. والضمير إلى رؤية الاثنين واحداً في البيت قبله. وقوله (كعبارات): جمع عبارة، فيقال: عبّر عما في نفسه: أَعْرَبَ، والاسم: العِبَارة كذا في القاموس. والعبارة: هي ما إذا تكلّم بها المتكلِّم شاركه في فهمها السامع. وقوله (لديك): أي عندك. (جليّة): بتشديد الياء التحتيّة، نعت لعبارات، أي: واضحة منكشفة. والمعنى: إنّ الإشارات التي أظهرها لك كالعبارات الواضحة عندك؛ يعني: هي مثلها في نظري، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٢٢١- وَأُعْرِبُ عَنْهَا مُغْرِباً حَيْثُ لَاتَ حيـ ... ـنَ لَبْسٍ بِتِبْيَانَيْ سَمَاعٍ وَرُؤْيَةِ

(وأعرب): أي اكشف وأظهر. (عنها): أي عن المحبوبة الحقيقيّة، أو عن رؤية

---

(١) انظر تخريجه ص٤٧٧.

الاثنين واحداً. وقوله (**مغرباً**): بالغين المعجمة، من أغرب إذا أتى بأمر غريب عن العقول، وردت به قواطع النقول، ولهذا قال (**حيث لات حين لبس**): بالباء الموحّدة، مصدر لَبَسَ عليه الأمرَ يَلْبِسُهُ: خَلَطَهُ، وأَلْبَسَهُ: غَطَّاهُ، وأَمْرٌ مُلْبِسٌ ومُلْتَبِسٌ: مُشْتَبِهٌ. والتَّلْبِيس: التَّخْلِيْط والتَّدْلِيْس، كما في القاموس. يعني: حيث لا تلبيس، ذلك الحين حين التباس، وتغطية، وتخليط، واشتباه، قال تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [٣٨/ ص/ ٣] أي: ليس ذلك الحين حين فرار. وقوله (**بتِبيانَيْ**): أصله تِبيانَينِ؛ فحذفت النون للإضافة إلى سماع ورؤية. والتِّبْيان: بالكسر، ويُفتح مصدر شاذ، يقال: بَانَ وبَيَّنَ وتَبَيَّن وأَبَانَ واسْتَبَان كلُّها لازمة ومُتَعَدّية، كذا في القاموس. و(**السماع**): سماع الآيات القرآنيّة، والأخبار النبويّة. والرؤية رؤية الأمثال المضروبة، والأشكال المنصوبة، الدّال جميع ذلك على رؤية الاثنين واحداً.

٢٢٢- وَأُثْبِتُ بِالْبُرْهَانِ قَوْلِيَ ضَارِباً مِثَالَ مُحِقٍّ والحَقِيْقَةُ عُمْدَتِي

(**وأُثبتُ**): أي ألزم بالبرهان، أي: بالدليل القاطع، قال في القاموس: «البُرْهَان بالضمّ: الحُجَّة، وبَرْهَن عليه: أَقَامَ البُرْهَان». وقوله (**قولي**): أي الذي ذكرته من رؤية الاثنين واحد، وهو الاتِّحاد الذي أراده بحيث تندرج فيه التنويه في الوجود. وقوله (**ضارباً**): حال من فاعل أُثْبِتُ. و(**مثالَ**): بالنصب مفعوله. وضرب المَثل: تمثيل الشيء بالشيء ليُفْهم المراد منه. مشتق من الضَّرب، وهو المِثْل. والنوع: من الشيء بالكسر فالسكون. والمَثَل بالتحريك: الصفة، والمِثال شِبْه الشيء. وقوله (**محقّ**): مضاف إليه، أي: رجل محقّ بصيغة اسم الفاعل، أي: صادق في قوله فلا يداخله الرَّيب. وقوله (**والحقيقة**): الواو للحال، وهي حقيقة الأمر التي عليها الوجود في نفسه. وقوله (**عمدتي**): أي اعتمادي كله على ما نفس الأمر، لا على ظاهر الحال من حيث ما يدركه العقل بطريق الوهم، وإن كنت مسلِّماً ذلك لأهله؛ لأنّ الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى.

٢٢٣- بِمَتْبُوْعَةٍ يُنْبِيْكَ فِي الصَّرْعِ غَيْرُهَا عَلَى فَمِهَا فِي مَسِّهَا حَيْثُ جُنَّتِ

(بِمَتْبُوْعَةٍ): متعلّق بـ (ضارباً): في البيت قبله، والمتبوعة هي امرأة لها تابع أو تابعة من الجنّ، قال في القاموس: «التَّابع والتَّابِعَة: الجِنِّيّ والجِنِيَّةُ، يكونان مع الإنسان يَتْبَعَانِه حيث ذهب». وقوله (يُنْبِيْكَ) أي يخبرك. وقوله (في الصَّرْعِ): قال في القاموس: «الصَّرْع ـ ويكسر ـ الطَّرْحُ على الأرض، وقد صَرَعَهُ كمَنَعَهُ، والصَّرْعُ عِلَّةٌ تمنع الأعضاء النَّفيسَة من أفعالها منعاً غير تام. وسببه: شدّة تعرض في بعض بطون الدماغ/[١٤٣/أ] وفي مجاري الأعصاب المحرِّكة للأعضاء من خلط غليظ، أو لزج كثير؛ فيمتنع الروح عن السلوك فيها سلوكاً طبيعيّاً فتتشنّج الأعضاء» انتهى. ولا مانع أن يحصل ذلك بسبب مسّ الجنّ فيتوافق الشرع مع الطبّ، قال تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٧٥]. وقوله (غيرها): فاعل ينبيك وهو الجِنِّيّ الذي استولى وغلب على باطن الإنسيّة وجرى منها مجرى الدّم، بحيث تصرَّف في أعضائها بما أراد. وقوله (على فمها): أي بفمها، متعلّق بـ(يُنْبيك): أي يخبرك على لسانها فيستعمل فمها ولسانها في ذلك الإخبار. وقوله (في مسِّها): أي مخالطة الجنِّيّ لتلك المتبوعة، قال في القاموس: «المَسُّ: الجُنُون، مُسَّ: بالضمّ؛ فهو مَمْسوس». وقوله (حيث جُنَّتِ): بضمّ الجيم وتشديد النون وكسر التاء للقافية، يقال: جُنَّ بالضمّ جُنُوْناً، واسْتُجِنَّ مبنياً للمفعول. وتَجَنَّنَ وتَجَانَّ وأَجَنَّه الله فهو مجنون، كذا في القاموس.

٢٢٤- وَمِنْ لُغَةٍ تَبْدُو بِغَيْرِ لِسَانِهَا عَلَيْهِ بَرَاهِيْنُ الأدِلَّةِ صَحَّتِ

(ومن لغة): متعلّق بـ(يُنبيك غيرها) في البيت قبله. و(اللغة): أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، والجمع لُغَات ولُغُون، كذا في القاموس. وقوله (تبدو): أي تظهر، صفة للغة. وقوله (بغير لسانها): أي تلك المتبوعة. والجار والمجرور متعلّقان بتبدو؛ فقد تكون المتبوعة عربيّة لا تعرف لسان العجميّة، فيتكلّم الجنّيّ على لسانها باللغة الأعجميّة، وبالعكس. وقوله (عليه): أي على هذا الأمر

المذكور. (**براهين**): جمع برهان، وهو الحجّة القطعيّة. و(**الأدلّة**): جمع دليل، وهو عام شامل للقطعي والظنّيّ. وقوله (**صحّتِ**): أي كانت صحيحة مطابقة للواقع، لأنّها تدلّ على أنّ النفوس الجنيّة تستولي على النفوس الإنسانيّة، وتتصرّف في أبدانها بحيث لا تدع للنفوس الإنسانيّة تصرُّف أصلاً، وهو أمر معروف مشهور، فكيف الحقّ الواحد الأحد المتصرِّف في الملك والملكوت؛ وعوالم الغيب والجبروت، بلا منازع، ولا مشارك، ولا معين، ولا مساعد؛ فإنّه أولى أن يتصرّف في عبده المسلم له، كلِّه: ظاهره وباطنه، من غير دعوى منه أصلاً لشيء من الأشياء، ويتكلّم بلسانه بكلّ كلام يريده ويختاره، ويفعل بيديه ما يشأ من الأفعال والآثار، وهذا المعنى المراد بالاتّحاد في رأي الناظم قدّس الله سرّه؛ فإنّ فيه اتّحاد الفاعل والموجود. وشرطه التحقّق بالفناء في الوجود.

٢٢٥- وَفِي العِلْمِ حَقّاً أَنَّ مُبْدِيْ غَرِيبَ مَا سَمِعْتَ سِوَاهَا وَهْيَ فِي الحُسْنِ أَبْدَتِ

(**وفي العلم**): أي علم السامعين لكلام تلك المتبوعة. وقوله (**حقاً**): أي محقّق حقّاً لا شبهة فيه عندهم. وقوله (**أن مبدي**): بصيغة اسم الفاعل، أي: مظهر. وقوله (**غريبَ**): مفعول المبدي. وقوله (**ما سمعت**): أي الذي سمعته من كلام تلك المتبوعة إذا كانت عربيّة، وقد سمعت منها كلاماً أعجميّاً وبالعكس. وقوله (**سواها**): خبر أنّ، ولها معنى أنّه محقّق في العلم أنّ الذي أظهر غريب الكلام هو غير تلك المتبوعة، لأنّها لا تعلم تلك اللغة. وقوله (**وهي**): الواو للحال، أي: تلك المتبوعة وهي التي في الحسّ؛ أي: الإحساس بحاسّة السمع. (**أبدتِ**): بكسر التاء للقافية، أي: أظهرت ذلك الكلام، وأحسّ الناس بالسماع منها في ظاهر الحال مع أنّ المتكلّم غيرها على لسانها.

٢٢٦- فَلَوْ وَاحِداً أَمْسَيْتَ أَصْبَحْتَ وَاجِداً مُنَازَلَـةً مَـا قُلْتُـهُ عَـنْ حَقِيْقَـةِ

(**فلو**): الفاء للتفرّع على ما قبله. وقوله (**واحداً**): بالحاء المهملة، أي: متّحداً بربّك في وجودك به، ودوام بقائك به، وحركاتك، وسكناتك به، عن كشف منك

لنفس أمرك، وشهودك به. لذلك كلّه كما قال سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ / [١٤٣/ ب] ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١]. وهذا كلّه لا يتحقَّق لك إلّا بعد فنائك في وجوده الحقّ، وذهاب حجاب دعواك الوجود معه. وقوله (**أمسيت**): أي دخلت في المساء، وهو إرشاد ذلك إلى وقت الخلوة والمجاهدة؛ وهو الليل، لأنّ فيه تسكن الأصوات، وتستتر المرئيّات والملهيّات. وقوله (**أصبحت**): أي دخلت في صباح التوحيد، ونور التغريد. وقوله (**واجد**): بالجيم، من وجد المطلوب: أدركه. وقوله (**منازلة**): أي ذو وقار ووجدان. و(**المنازلة**): عبارة عن تداني العبد من ربّه. وتدلّي الربّ إليه كأنّهما يجتمعان في منزل واحد، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

دنـــا فتـــدلّى عبـــد ربّ وربّـــه فلـــما التقينـــا لم أجـــد غـــير واحـــد

وقوله (ما): أي: الذي مفعول واجداً، وجملة قلته صلة الموصول، والعائد الضمير. وقوله (عن حقيقة): متعلّق بـ (قلته): أي عن تحقيق ويقين ثابت.

٢٢٧- وَلَكِنْ عَلَى الشِّرْكِ الخَفِيِّ عَكَفْتَ لَوْ عَرَفْتَ بِنَفْسٍ عَنْ هُدَى الحَقِّ ضَلَّتِ

(ولكن): حرف استدراك من قوله (**فلو واجداً أمسيت**): أي لا تمسي واحداً. ولكنّك على الشرك بالله تعالى. (**الشرك الخفيّ**): عنك وأنت لا تدري، وهو اعتقاد تأثير الأسباب، مع الغفلة المتراكمة على القلب، عن شهود الفاعل الحقيقيّ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [١٢/يوسف/١٠٦] وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»(١)، وقال الشيخ أرسلان الدمشقيّ قدّس الله سرّه في ابتداء رسالته: «كلّك شرك خفي». وقوله (**عكفت**): خطاب للغافل المحجوب، قال في القاموس: «عَكَفَ عليه عُكُوفاً: أقبل عليه مُوَاظِباً. وقوله (لو): حرف يقتضي في الماضي

---

(١) ذكره السيوطيّ في جمع الجوامع، باب: حرف الشين، ٩٤. وقال: ذكره الحكيم ٤/ ١٤٢، وأورده ابن طاهر المقدسي في تذكرة الموضوعات ١٠٨١، ص١٤٩.

امتناع ما يليه واستلزامَهُ لتاليه، كذا في القاموس. وقوله (**عرفت**): أي حالك الذي أنت فيه. وقوله (**بنفس**): متعلّق بـ (**عكفت**). وقوله (**عن هدى الحقّ**): متعلّق بـ(**ضلّت**) قُدِّم عليه للحصر؛ أي: لا عن غيره من أمور الدنيا، فإنّك لم تضلّ عن ذلك دناءة همّة منك. و(ضلَّتِ): بكسر التاء للقافية.

٢٢٨- وَفِي حُبِّهِ مَنْ عَزَّ تَوْحِيْدُ حِبِّهِ   فَبِالشِّرْكِ يَصْلَى مِنْهُ نَارَ قَطِيْعَةِ

(**وفي حُبِّه**): بضمّ الحاء المهملة، أي: محبّته. والضمير راجع إلى (**الحقّ**) في البيت قبله؛ يعني: في محبّة الحقّ تعالى. وقوله (**مَنْ عَزَّ**): أي قلّ فلا يكاد يوجد. (**توحيد**): فاعل عزّ. و(**حِبِّه**): بكسر الحاء المهملة. والضمير راجع إلى مَنْ. والمعنى: في محبّة الله تعالى مَنْ قلّ توحيد محبوبه عنده. ومحبوبه هو الحقّ تعالى. وسبب قلّة توحيد محبوبه رؤية غيره معه من الأشياء مطلقاً. وقوله (**فيه الشرك**): أي بسبب شركه معه غيره. و(**يصلى**) قال في القاموس: «صَلَى اللحم يَصْلِيْه صَلْيَاً: شَوَاهُ، وأَلقَاهُ في النار للإحراق. وصَلِيَ النارَ، كرَضِيَ، وبها: قاسى حَرَّها، وأَصْلَاهُ النارَ، وصَلَاهُ إياها وفيها وعليها: أدخله إياها وأَثْوَاهُ فيها». وقوله (**منه**): أي من (**حِبِّه**): أي محبوبه. وقوله (**نار**): مفعول يصلى. و(**قطيعة**): مضاف إليه. والقطيعة كشريفة: الهجران، كالقطع. واعلم أنّ التوحيد أربعة : **توحيد الرتبة**؛ وهو توحيد اللسان بأنّ يشهد أن لا إله إلّا الله بلسانه، ويصدّق ذلك بقلبه. وهذا يدفع الشرك الجليّ، وما يترتّب عليه من الأحكام الشرعيّة. **وتوحيد الأفعال** أرقى منه، وهو الذي لا يشاهد فاعلاً ومتصرِّفاً في الكائنات إلّا الله تعالى. **وتوحيد الصفات والأسماء**، وهو الذي لا يشاهد صفة كماليّة جلاليّة أو جماليّة اشتق منها اسم الله تعالى. **وتوحيد الذّات**؛ وهو أنْ لا يشاهد لشيء ذاتاً، ولا وجوداً إلّا الله تعالى، وهو تعالى القائم على كلّ شيء؛ فيرى الأشياء كلّها قائمة / [١٤٤/ أ] بالحقّ تعالى موجودة بوجوده، وهي مظاهر لذاته وصفاته وأفعاله؛ فيخلص مَن هذه صفته عن الشرك الجليّ والشرك الخفيّ، ويكتال بالكيل الوفي.

٢٢٩- وَمَا شَانَ هَذا الشَّأْنَ مِنْكَ سِوَى السِّوَى   وَدَعْـوَاهُ حَقّـاً عَنْـكَ إنْ تُـمْحَ تَثْبُتِ

(ما شان): فعل ماض من الشين وهو العيب. وقوله **(هذا الشأن)**: أي الأمر العظيم، وهو التوحيد الحقيقيّ. وقوله **(منك)**: متعلّق بشان، أي: من جهتك. **(سوى)**: أي غير السوى، أي: سوى الحقّ تعالى؛ فإنّ إثبات ذلك السوى ناشئ من جهة رؤيتك ذلك. وإلّا فإنّ الحقّ تعالى لا سوى له أصلاً في نفس الأمر. وقوله **(ودعواه)**: أي دعوى وجود السوى، بيان للحقّ تعالى. وقوله **(حقّاً)**: أي محقَّق ذلك حقاً. وقوله **(عنك)**: متعلّق بـ **(تُمْحَ)**: قُدّم عليه للحصر؛ أي: تمحى عنك لا في نفس الأمر، لأنّه في نفس الأمر لا دعوى سوى؛ فإنّ الذي تدّعي أنّه سوى الحقّ هو الحقّ تعالى لا سواه، ولكنّك لا تعرف ذلك. وقوله **(إنْ تُمْحَ)**: بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة، فعل مضارع مبني للمفعول، من مَحَاهُ: أذهبه وأزاله. وقوله **(تَثْبُتِ)**: بكسر التاء للقافية، أي: تبقى أنت ثابتاً في التوحيد الحقيقيّ، وتلحق بالموحِّدين صدقاً وعدلاً، وذلك لأنّ دعواك السوى مانعة ذلك عن اللحاق بهم.

٢٣٠- كَذَا كُنْتُ حِيناً قَبْلَ أَنْ يُكْشَفَ الغِطَا   مِـنَ اللَّـبْسِ لا أَنْفَـكُّ عَـنْ ثَنَوِيَّـةِ

(كذا): أي مثل ذا؛ يعني: مثلك في الأحوال المذكورة. **(كنت)**: أنا. **(حيناً)**: منصوب على الظرفيّة، أي: زماناً قال في القاموس: «الحِيْنُ: الدَّهر، ووقت مبهم يصلح لجميع الأزمان، طال أو قَصُرَ. يكون سَنَةً وأكثر، أو يَختصُّ بأربعين سنة، أو سَبعَ سنين، أو سنتين، أو ستة أشهر، أو شهرين، أو كلّ غدوة وعشيّة». وقال في تنوير الأبصار: «الزمان والحين ومنكر، هما ستّة أشهر، وهذا ما ارتضاه الفقهاء في كتاب الأيمان والحلف». وقوله **(قبل أن يُكْشَفَ)**: بالبناء للمفعول. **(الغطاء)**: نائب الفاعل، أي: حجاب أحديّة الوجود الحقّ الظاهر في جميع تقادير الصور العدميّة. وقوله **(من اللبس)**: أي الالتباس؛ يعني: من استيلائه على بصري وبصيرتي. **(لا أَنفكّ)**: بتشديد الكاف، أي: لا أنفصل وأخلص. **(عن ثَنْوِيَّةٍ)**:

بتشديد الياء التحتيّة، أي: اعتقاد المتعدّد والكثرة، وإنّها أمور حقيقيّة، لا ترجع في نفس الأمر إلى وحدة حقيقيّة كما يزعم المحجوبين.

٢٣١- أَرُوْحُ بِفَقْـدٍ بَالـشُّهوْدِ مُـؤَلِّفِي وَأَغْـدُو بِوَجْـدٍ بِـالوُجُوْدِ مُـشَتِّتِي

(أروح): من الرواح، وهو العشيّ، أو من الزوال إلى الليل، وجعله رواحاً لأنّه إقبال على ظلمة الأكوان بالاشتغال بها. وقوله (بفقد): متعلّق بأروح. وفقد الشيء: عدم وجدانه. كناية عن الغفلة عن الحقّ تعالى. وقوله (بالشهود): متعلّق بمؤلّفي. وقُدّم عليه للحصر، أي: ليس مؤلّفي بغير الشهود، أي: شهود الحقّ تعالى؛ يعني: معاينة تجلية بصور آثاره. وقوله (مُؤَلِّفي): أي هو مؤلِّفي. والجملة صفة لفقد، وهو اسم فاعل من تَأَلَّفَ فلاناً: دَارَاهً، وقاربه، ووصله حتى يستميله إليه. وتَأَلَّفَ القومُ: اجْتَمَعُوا، كأْتَلَفُوا، كما في القاموس؛ يعني: إنّ ذلك الفقد وصلني بشهود الحقّ تعالى، واستمالني إليه سبحانه، وجمعني عليه تعالى، وبسببه كان إقبالي عليه تعالى، ورغبتي في معرفته وقربه. وقوله (وأغدو): بالغين المعجمة، من غَدَا عليه غُدُواً وغُدْوَةً بالضمّ، واغْتَدَى: بَكَّرَ، وغَادَاهُ: بَاكَرَهُ، كما في القاموس. وجعله غدواً لأنّه إقبال على نور الحقّ تعالى. وقوله (بِوَجْدٍ): متعلّق بـ(أَغْدُو)، والوَجْدُ: مصدر وَجَدَ المطلوبَ، كوَعَدَ، ووَرِمَ يَجِدُهُ ويَجُدُه، بضمّ الجيم ولا نظير له، وَجْداً بالسكون: أَدْرَكَهُ. وقوله/ [١٤٤/ ب] (بالوجود) متعلّق بـ (مُشَتِّتِي): وهو الوجود الكوني الذي تشهده الغافلون. و(المُشتِّت): بصيغة اسم الفاعل: المُفرِّق، من شَتَّتَهُ، بالشين المعجمة، أي: فرقة. وهو ضدّ مؤلّفي؛ والمعنى: إنِّي أمسي بفعله تجمعنى على الحقّ تعالى بشهوده ، وأصبح بيقظة تفرِّقني عن الحقّ تعالى بملاحظتي للأكوان، فتارة أغفل عن شهود الحقّ تعالى فتسوقني الغفلة عليه تعالى بشهوده في كلّ شيء، وتارة أستيقظ له، وأتنبَّه لأجتلي تجلِّيه فتسوقني اليقظة إلى التفرقة عنه.تعالى، والغيبة عن تجلِّيه؛ والمراد أنَّه في ذلك متلوِّن لا متمكّن. ثمّ بيَّن ذلك بقوله بعده:

٢٣٢- يُفَرِّقُنِي لُبِّي الْتِزَامَاً بِمَحْضَرِي وَيَجْمَعُنِي سَلْبِي اصْطِلَامَاً بِغَيْبَتِي

(يفَرِّقني): بتشديد الراء، أي: يَكثُر عليّ وجود الصور الكونيّة، وتعدُّدها في بصري وبصيرتي، فيوقع الفرق بيني وبين الحقّ تعالى. وقوله (لُبّي): أي عقلي لرؤيتي بنظر العقل. وقوله (التزاماً): أي لزوماً ضرورياً. وقوله (بمَحْضَري): مصدر ميمي، أي: بسبب حضوري عند نفسي، أو المحضر: مكان حضوره مع الناس، قال في القاموس: «حَضَرَ كنَصَرَ وعَلِمَ حُضُوراً: ضِدّ غاب، وكان بحَضْرَتِه مثلثة، وحَضَرِهِ وحَضَرَتِه، محرَّكتين، ومَحْضَرِه. بمعنى: ولا شكّ أنّ الحضور مع نفسه، أو مع غيره من الناس في المحضر يفرِّق جمعيّة العبد السالك قبل رسوخه في المقام، فإذا رسخ كانت جمعيّته بالحقّ تعالى في نفسه، وفي حضوره مع الناس، سواء مع غيبته عن ذلك. وقوله (ويجمعني): أي بالحقّ تعالى. (سَلْبِي): أي خروجي عن الأكوان كلِّها، حتى عن نفسي. وأصل السَّلْب: مصدر سَلَبَه سَلْبَاً بالتحريك: اخْتَلَسَهُ كاسْتَلَبَه، والسَّلِيْب: المُسْتَلَب العقل، كذا في القاموس. وقوله (اصطلاماً): يقال اصْطَلَمَه: استأصله؛ بحيث لم يبقَ منه شيء. وقوله (بِغَيْبَتِي) متعلِّق بسلبي؛ والمعنى: إنّ عقلي يجعلني في الغفلة والذهول عن شهود الحقّ تعالى بسبب حضوري مع نفسي، أو غيري. والذّهول يجعلني مسلوباً في الاصطلام، غائباً عن نفسي وعن غيري، فتارة أكون في جمع، وتارة في فرق. وهو معنى التلوين في مقام اليقين.

٢٣٣- إخَالُ حَضِيضِي الصَّحْوَ والسُّكْرَ مَعْرِجِي إِلَيْهَا وَمَحْوِي مُنْتَهَى قَابَ سِدْرَتِي

(إخال): بكسر الهمزة وبالخاء المعجمة، أي: أظنّ. وقال في القاموس: «إخال بكسر الألف ويُفتح في لُغَة». وقوله (حضيضي): الحضيض: القرار في الأرض. (والصحو): ذهاب السُّكْر؛ يعني: أظن ذهاب سكر الغرام عنِّي هو حضيضي الأسفل، أي: مقامي الذي أنزل فيه إلى أسفل سافلين، وهو الذي ردّ فيه الإنسان الذي خلق في أحسن تقويم، وهو عالم الطبيعة. وقوله (والسكر): بالنصب مفعول إخال الأوّل، والمفعول الثاني قوله (مَعْرِجِي): بفتح الميم مصدر ميمي،

قال في القاموس: «عَرَج عُرُوجَاً ومَعْرَجاً: ارْتَقَى». والمعنى: أظنّ غيبتي عن نفسي وعن سائر الأكوان عروجي وارتقائي. (إليها): أي إلى حضرة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ومحوي): أي انمحاء رسومي كلِّها بحيث لم يبقَ منِّي عالم ولا معلوم بخلاف السُّكْر؛ فإنّه الغيبة عن حالته التي كان فيها بدخوله في حالة أخرى ذات لذّة وطرب. وقوله (منتهى): أي آخر وغاية. (قاب سدرتي): والقاب من القوس ما بين المِقبض والسِّيَة، ولكل قوس قابان، كذا في القاموس. وسِيَة القوس بالسين المهملة مكسورة وفتح الياء التحتيّة، قال في القاموس: «سِيَة القَوس بالكسر: ما عطف من طرفيها، والجمع سِيَات» . و(السِّدْرَة): شجرة النبق، قال في القاموس: «السِّدْرُ: شجر النَّبْق، الواحدة بهَاء، وسِدْرَةُ المنتهى في السماء السابعة. وكنّى / [١٤٥/ أ] بالسدرة عن نشأته الإنسانيّة كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧-١٨]. وكنّى (بالقاب) عن حضرة روحانيّته المنفوخة عن قوس الأمر الإلهيّ الذي تظهر عنه توجّهاتُ القلب كالسهام، كما أشارإليه تعالى في مقام القرب المحمَّدي من جناب القدس بقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [٥٢/ النجم/ ٨-٩].

٢٣٤- فَلَمَّا جَلَوْتُ الغَيْنَ عَنِّي اجْتَلَتْنِي مُفِيْقَـاً وَمِنِّـي الْعَـيْنُ بِـالْعَيْنِ قَـرَّتِ

(فلمّا جلوت): جَلَا الهمَّ عنه: أَذْهَبَهُ، و ـ فلاناً الأمرُ كَشَفَهُ عنه، كذا في القاموس. و(الغين): بالمعجمة، وهو الغين، كناية عن حجاب الغفلة. وقوله (عَنِّي): أي عن قلبي وعين بصيرتي، وكان ذلك بالمجاهدة الشرعيّة والرياضة الربّانيّة. وقوله (اجتلتني): أي اجتليت نفسي وذاتي؛ يعني: كشفت عنها وعرّفتها، يقال: جَلا العروسَ على بَعْلِها جَلْوَة، ويثلث، وجِلَاء ككِتَاب واجْتَلَاهَا: عَرَضَهَا مَجْلُوَّة. واجْتَلَاهَا: نظر إليها، كما في القاموس. وقوله (مفيقاً): حال من ضمير المتكلّم في قوله اجتلتني، وهو الياء، أي: كشفت نفسي حال كوني مفيقاً من سكر الغيبة في شهود الوجود الحقّ. وقوله (ومنِّي): الجار والمجرور متعلّقان بواجب الحذف،

صفة للعين، أي: العين الكائنة منّي؛ يعني: عيني وهي الباصرة في القلب، بمعنى البصيرة، أو في الرأس. وقوله (**بالعين**): متعلّق بقرّتِ. و(**العين**) الثانية: الذات، أي: ذات الوجود الحقّ. و(**قرّتِ**): بتشديد الراء والتاء المكسورة للقافية، يقال: أقرّ الله عينه، أي: أبكاه دمعاً بارداً من القُرّ، بالضمّ، وهو البرد؛ فإنّ شدّة السرور تبكي بدمع بارد، وشدّة الحزن تبكي بدمع حار؛ والمعنى: حين كشفتْ حجاب الغفلة عنّي عرفتُ نفسي ففقتُ من سكر الفناء والمحو في شهود الوجود الحقّ. وقرّتْ عيني بعين الوجود الحقّ؛ فلم أكن غيره، ولم يكن غيري، وذهبت الصورة العدميّة، والنشأة الوهميّة في الحقيقة الحقّيّة.

٢٣٥- وَمِنْ فَاقَتِي سُكْرَاً غَنِيْتُ إفَاقَةً لَدَى فَرْقِيَ الثَّانِي فَجَمْعِي كَوَحْدَتِي

(**ومن فاقتي**): أي فقري وحاجتي. وقوله (**سُكْراً**): تمييز، أي: من جهة السُّكر بخمر المشاهدة والمعاينة. وقوله (**غَنِيت**): أي صرت غَنياً مُثْرِياً. وقوله (**إفاقة**) تمييز، أي: من جهة الجمع؛ فالفرق: ما أشهدك عبداً وربّاً، والجمع ما أشهدك ربّاً بلا عبد. والفرق اثنان: فرق أوّل؛ وهو حالة الغفلة، والحجاب، والجهل بربّ الأرباب. وفرق ثانٍ؛ وهو مقام العِرفان، وتحقيق الكشف والإيقان، والفرق بين الوجود الحقّ، والممكن، الفاني، الهالك الذي به ملحق. وقوله (**فَجَمْعِي كَوَحْدَتِي**): أي اجتماعي مع الحقّ تعالى؛ بحيث هو ولا أنا كوحدتي، أي: مثل حالتي الأولى في الفرق الأوّل بحيث أنا وحدي ولا هو، وذلك لأنّهما اتحدا ذاتاً في الغيب، وزاد العبد على الربّ بصورة فانية، ونشأة هالكة، كان يظن في الفرق الأوّل أنّ الوجود لها، فلمّا جمع استغرقت صورته ونشأته في ذلك الوجود بالكليّة، ولم يبق لهما عين ولا أثر، لمّا أفاق من سكره ذلك ووصل إلى الفرق الثاني رجع إلى حالته الأولى في الفرق بينه وبين ربّه، كما قالوا: «بأنّ النهاية رجوع إلى البداية»، وصار جمعه بربّه الذي اقتضى اتّحاده به كوحدته بنفسه، وانفراده بها، لكنّها وحدة معدوم بأحواله

العدميّة، والوجود واحد، وهو الجود الحقّ الحقيقيّ، وقد انتسب هذا المعدوم مع أحواله العدمية لهذا الوجود بالواحد الحقّ في فرقه الثاني بعدما كان الوجود منسوب إلي عنده في فرقه الأوّل، ورجع كلّ منهما إلى أصله، فرجع الوجود إلى ما هو عليه منزّهاً عن كلّ شيء، ورجع كلّ شيء إلى ما كان عليه من/ [١٤٥/ ب] عدمه الأصلي وهذه في النهاية في الوصول إلى عين الهداية.

٢٣٦- فَجَاهِدْ تُشَاهِدْ فِيْكَ مِنْكَ وَرَاءَ مَا وَصَفْتُ سُكُوْناً عَنْ وُجُوْدِ سَكِيْنَةِ

(**فجاهد**): خطاب منه للسالك في طريق معرفة الله تعالى، المعرفة الذوقيّة، لا المعرفة العقليّة التي توصل إليها الأدلّة والبراهين القطعيّة؛ فإنّها معرفة بالنسبة إلى أهل التقليد في الإيمان، لا بالنسبة إلى أهل الشهود والعيان، وذكر المجاهدة، وهي الرياضة الشرعيّة، أي: تعليم النفس فعل الطاعات، وترك المنهيّات ظاهراً، وحمل النفس باطناً على معاينة التجلّيات الإلهيّة بالأفعال الربّانيّة في قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٦] وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقوله سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [٦٧/ الملك/ ١] وقوله: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٣] إلى غير ذلك من غير أن يصرفه تأويل عقلي عن هذا النص النقلي، فيكلّف نفسه رؤية ذلك، ومشاهدة ما هنالك شيئاً فشيئاً حتى يترشّح فيه، ويزول عنه التّكلُّف في معاينته، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٦٩]؛ فإنّه متى كانت مجاهدته في الله تعالى بالله تعالى لا بنفسه هداه الله تعالى إلى شهوده، ومعاينته ذوقاً، ومن أوفى بعهده من الله تعالى؛ فإنّه تعالى لا يخلف الميعاد؛ ولهذا جزم الناظم قُدِّس سرّه الفعل المضارع في جواب الأمر فقال (**تشاهدْ**): أي تعاين، وتتحقّق ذوقاً ووجداناً. وقوله (**فيك**): أي في نفسك وذاتك متعلّق بتشاهد.(**ومنك**): أي من نفسك وذاتك، لا من شيء خارج عنك. وقوله (**وراء**): أي أمراً عظيماً كائناً وراء،

وهو ظرف متعلّق بواجب الحذف، صفة لـ (أمراً) كما ذكرنا، وهو ما توارى عنك مما كنت غافلاً عنه من الأمور العظام الإلهيّة. وقوله (**ما**): الذي وصفت لك مما تقدّم في الأبيات السابقة من العلوم الإلهيّة، والحقائق الرّبانيّة. وقوله (**سُكُونا**): أي ساكناً سكوناً، وهو حال من فاعل جاهد. و(**السكون**): ضدّ الحركة. كنّى بالسكون عن عدم الفكر؛ فإنّ الفكر حديث النفس، وهو منهيّ عنه في ذات الله تعالى، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «تفكَّروا في آلاء الله ولا تفكَّروا في ذات الله فإنّكم لن تقدِّروا قدره»[1]، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١]. ولنا من المواليا في هذا المعنى:

غب عن وجودك تجد في وسط قلبك وسم
به حبيبك قسم لك من شهود وقسم
وسلِّم الأمر واحسم داء فكرك حسم
واعلم بأنّ التفكّر من بقايا الرسم

ولنا أيضاً من المواليا قولنا:

كن باسم حبّك تكن موجوداً باسمك
واخرج عن الفكر إنّ الفكرّ من رسمك
وانسب إلى الحبّ كلَّك واجعل قسمك
ورح عن الروح وامحق في الهوى جسمك

ويجوز أنّ يكون سكوناً بدل من قوله (وراء). أي: تشاهد سكوناً من قبيل قوله تعالى في حقّ موسى عليه السلام: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ

---

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، باب: فصل في الإشارة إلى أطراف الأدلّة في معرفة الله عزّ وجلّ في حدث العالم، ١٢٠، عن ابن عمر بلفظ: «تفكّروا في آلاء الله ـ يعني عظمته ـ ولا تتفكّروا في الله». وقال البيهقيّ هذا إسناد فيه نظر. وللحديث طرق عديدة.

مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [٧/الأعراف / ١٤٣] الآية فيكون السكون كناية عن الفناء والمحو في تجلِّي الحقّ تعالى، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [٧/الإعراف/١٤٣] فإنّ الفناء والمحو استقرار الممكن مكانه. وقوله (**عن وجود سكينة**): الجار والمجرور متعلّقان بـ(**سكونا**)، أي: بواجب الحذف، صفة سكوناً؛ أي: سكوناً حاصلاً عن وجود سكينة في القلب، وهي الطمأنينة. وقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ [٢/البقرة/٢٤٨] أي ما تسكنون به إذا أتاكم، كذا في القاموس. وذلك قول إبراهيم عليه السلام لما قيل له: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ﴾ [١٤٦/ أ].

٢٣٧- فَمِنْ بَعْدِ مَا جَاهَدْتُ شَاهَدْتُ مُشْهِدِي وَهَادِيَّ لِي إِيَّايَ بَلْ بِيَ قُدْوَتِي

(**فمن بعد ما جاهدت**): ربِّي في نفسي، لا بنفسي. وهذا إخبار عن كيفيّة سلوكه في طريق الله تعالى؛ ليعلم السالك أنّ قوله في البيت قبله: فجاهد تشاهد، أمر منه بـ(**ما**): نازلة من المجاهدة، وحصل له من المشاهدة ذوقاً، لا مجرد علم، وهو غائب عمّا هنالك. وقوله (**شاهدت**): أي عاينت بعين البصيرة أو البصر. ومعلوم أنّه إذا عاين الحقّ تعالى لا يعاين شيئاً؛ بل يعاين من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [٤٢/الشورى/١١] ويعاين شيئاً هو أكبر شهادة، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [٦/الأنعام/١٩] ومعلوم أنّ كلّ مرئي إنّما يرى على حسب ما هو عليه في نفسه، وإلّا فلو رآه الرائي على حسب ما يعطيه استعداده فما رآه على حسب ما هو عليه في نفسه وإنّما رأى استعداده، قال القائل:

كالنجم تستصغر الأبصار طلعته والذّنْب للطرْف لا للنجم في الصغر

فلو سمَّينا رؤية الاستعداد رؤية ذلك المرئي لسمَّينا رؤية كلّ شيء من كلّ أحد رؤية الحقّ تعالى. وقد أنكر ذلك الحقّ تعالى بقوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [٧/أعراف/١٩٨] وسمّاهم عُمياً بقوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [٢/البقرة/١٧١] وأخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنّه طلب الرؤية بقوله: ﴿رَبِّ

أَرِنِيٓ أَنظُرۡ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] ولو كانت الرؤية مستحيلة لما طلبها، ولا يرتكب سوء الأدب مع ربِّه لأجل قومه الطالبين لها بقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [٤/ النساء/ ١٥٣] كما قالت المعتزلة؛ لعصمته عليه السلام من طلب المستحيل المقتضي للنقص في حقِّه تعالى، ومحمّد نبينا صلّى الله عليه وسلّم رأى ربّه، وسيراه المؤمنون في الجنّة، فعلمنا من ذلك أنّ الاستعداد في الرائين يختلف باختلاف أحوالهم؛ فالأنبياء والأولياء يرونه بعد فناء نفوسهم وصورهم في نور وجوده الحقّ؛ فيكون هو الرائي والمرئي، كما قال تعالى: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [٨٥/ البروج] بطريق القَسَم، وما أَقسم سبحانه بغيره، وفي الحديث: «كنت بصره الذي يبصر به»[1] وعامة الناس لم تفنَ نفوسهم ولا صورهم؛ فلا يرون إلّا نفوسهم وصورهم، ونفوس الأغيارِ وصورهم، ولا يرونه تعالى؛ لعدم استعدادهم لرؤيته. فلو جاهدوا في الله حقّ جهاده، ولم يروا معه شيئاً من عباده. وذلك في حال رؤيته على مقتضى تجليه عليهم بمراده. وللحلّاج في هذا المعنى قوله:

وأي الأرض تخلــو منــك حتــى ... تعــالَوا يطلبونــك في الســما
تــراهم ينظــرون إليــك جَهــراً ... وهــم لا يبــصرون مــن العمــى

وقوله (مُشهدي): بضمّ الميم وسكون الشين المعجمة وكسر الهاء، اسم فاعل من أشهده، أي: كشف عنه حجابه؛ وهو الحقّ تعالى الذي أشهده. وقوله **(وهاديَّ)**: بتشديد الياء التّحتيّة مفتوحة، معطوفة على مشهدي، وهو اسم فاعل من هدى يهدي، مضاف إلى ياء المتكلّم. وقوله **(لي)**: متعلّق بهاديَّ؛ يعني: وشاهدت الذي هداني لنفسي. وقوله **(إيّاي)** ضمير منفصل في محل نصب على المفعوليّة لشاهدت، وهو المفعول الثاني، والمفعول الأوّل هاديَّ. يقال: شهدت زيداً فاضلاً؛ والمعنى: وشاهدت الذي هداني لنفسي. **(إيّاي)**: أي المعبّر عنه بنفسي عندي. وقوله **(بل)**:

(١) انظر تخريجه ص ١٤٦.

حرف إضراب. (بي): خبر مقدّم لقوله (قدوتي): قال في القاموس: «القُدْوَةُ، مثلّثة: ما تَسَنَنْتَ به واقتديتَ به. وقدّم الخبر للحصر؛ أي: ليس قدوتي بغيري؛ إذ لا غير في هذه الحضرة الإلهيّة وإنْ تنوَّعت عليها الصور الكونيّة».

٢٣٨- وَبِي مَوْقِفِيْ لَا بَلْ إِلَيَّ تَوَجُّهِيْ   كَــذَاكَ صَـلَاتِي لِي وَمِنِّــيَ كَعْبَتِــي

(وبي): أي بوجودي الذي أنا موجود به عند المحجوبين حيث لا وجود لي عندي في/ [١٤٦/ ب] نفس الأمر، والجار والمجرور خبر مقدّم لإفادة الحصر. (وموقفي): مبتدأ مؤخّر. والموقف موضع الوقوف، وهو جبل عرفات وموقف المزدلفة؛ يعني موجود موقفي في الحجّ بوجودي الذي هو أنا، لا بغيره. وقوله (لا): أي لا لغيري. وقوله (بل إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى نفسي التي هي عين وجودي الذي أنا فانٍ فيه مضمحل. (توجّهي): يعني بقصد الحجّ والعمرة. وإذا كان هناك صور كونيّة مسمّاة بعرفات، والمشعر الحرام، ومكة، والمدينة، وغير ذلك؛ فإنّها كلّها فانية مضمحلّة في الوجود الواحد الحقّ، وإن كنت أنا فيه من حيث أني صورة كونيّة أحجّ بالذهاب إلى تلك الأماكن، وأفعل المناسك كلّها امتثالاً لأمر ربّي في عالمي الذي هو عالم الأكوان. وأمّا في حقيقة الأمر؛ فأنا وجميع ذلك وجود واحد حقّ. وكلّ ما سواه فانٍ مضمحلّ. وقوله (كذاك): أي مثل ما ذكر (صلاتي): التي أصلّيها فإنّها مثلي فانية مضمحلّة؛ فهي صادرة من الوجود الحقيقيّ للوجود الحقيقيّ، وهو معنى (صلاتي لي). وقوله (ومِنّي): أي من حقيقتي التي بها أنا أنا، وهي الوجود الواحد الحقّ الذي به كلّ شيء في نفسه كلّ شيء. وقوله (كعبتي): أي بيت الله الحرام الذي في مكّة يحج إليه الناس ويعتمرون؛ فإنّه صورة قائمة بها أنّا به قائم؛ وهو الوجود الحقّ، وكلّ ما سواه تقاديره وتصاويره.

٢٣٩- فَلَا تَكُ مَفْتُوْنَاً بِحُسْنِكَ مُعْجِبَاً   بِنَفْسِكَ مَوْقُوْفَاً عَلَى لَبْسِ غِرَّةِ

(فلا تكُ): أي لا تكن، نهيٌ للسالك في طريق الله تعالى على وجه النصيحة له. وقوله (مفتوناً): من الفتنة، وهي المحنة والابتلاء. وأصل الفِتْنَة من قولك فَتَنْتُ

الذهبَ والفضّة: إذا أدخلته النار لِيَبِيْنَ الجيدُ من الرديء، كذا في المصباح. وقوله (**بحسنك**): أي بحسن صفاتك، وأفعالك، وأحوالك، الموافقة للشريعة المحمّديّة والطريق المرضيّة؛ فإنّ ذلك كلّه فتنة لك وابتلاء من الله تعالى، واختبار ليظهر منك الاغترار بذلك، وأنّه نافعك دون الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٥] وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٦٨] يعني: إلينا من كلّ ذلك، أي: من الاعتماد عليه إنْ كان خيراً، والنفور عنه إنْ كان شرّاً؛ فإنّ النافع والضار هو الله تعالى لا سواه. وقوله (**معْجِباً**): بكسر الجيم، اسم فاعل من العُجْب، بالضمّ؛ وهو الزُّهُو والكِبْر، كما قال في القاموس. وقوله (**بنفسك**): أي متكبِّراً بها مترفِّعاً على غيرك في باطنك ونيِّتك، وإنْ كنت في ظاهرك متواضعاً، وبلسانك منخفضاً، فإنّ ذلك من النفاق المذموم. وموجب ذلك كلّه أنّك جاهل بنفسك وبربك، مغرور بما لديك، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه شرح الوصايا اليوسفيّة: «وإنْ كبرتْ عند العارف نفسه فليس ذلك الكِبْر بمذموم؛ فالكبر لله لا لها، وإنْ كَبُرَتْ عند المريد نفسُهُ فليس بمريد لله ؛ بل هو من العوام. وقوله (موقوفاً): أي محبوساً بحيث لا تحوّل له عمّا وقف عليه. وقوله (**على لبس**): أي على التباس. (**غِرّة**): بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء، قال في المصباح: «الغِرّة بالكسر الغَفْلَة» يعني: على الالتباس الحاصل من الغفلة عن شهود الحقّ تعالى الذي آياته ظاهرة في الآفاق وفي الأنفس.

٢٤٠- وَفَارِقْ ضَلَالَ الفَرْقِ فَالجَمْعُ مُنْتِجٌ   هُدَى فِرْقَةٍ بِالاتِّحَادِ تَحَدَّتِ

(**وفارق**): أي اجتنب وباعد عنك. (**ضلال**): بالنصب مفعول فارق. وقوله (**الفرق**): بفتح الفاء وسكون الراء، وهو إثبات المغايرة بينه وبين الفاعل له بغير ماهيّته الشاملة لصورته الظاهرة والباطنة، والقيام بنفسه دون ربّه ؛ فإنّ هذا الفرق ضلال؛ لأنّ صاحبه يجد من نفسه الانقطاع والانفصال عن إمداد ربّه له فيعتقد/ [١٤٧/ أ] أنّه مستقلّ بنفسه في كلّ ما يصدر عنه. وقوله (**فالجمع**): وهو قيامه

بربّه تعالى: إيجاداً وإمداداً، ظاهراً وباطناً؛ بحيث يجد نفسه فانية في ظهور الوجود الحقّ تعالى. وقوله (**مُنْتِجٌ**): أي موصل إلى هدى. (**فِرْقَة**): بكسر الفاء، أي طائفة من الناس، وهم العارفون بنفوسهم وبربّهم، المحقّقون للحقّ المبين. وقوله (**بالاتّحاد**): وهو الكشف عن القائم على كلّ نفس بما كسبت بحيث يشهد العبد ربّه تعالى فاعلاً له ولجميع أفعاله، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] ويشهد الوجود كلّه له تعالى، وهو العدم المقدّر بتقدير ربّه تعالى أزلاً، والعدم المقدّر لا يذكر مع الوجود الحقّ؛ وإنّما يذكر بالوجود الحقّ؛ فهو الوجود الحقّ لا غيره، ظاهر في شؤونه التي هي ذلك العدم المقدّر كما قال سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] وهذا هو معنى الاتّحاد عند أهل هذه الطريقة، لامعناه أنّ ذلك العدم المقدّر هو عين الوجود الحقّ، بل ظاهر فيه كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] وقال سبحانه: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١] يعني: هو ظاهر في أنفسكم وأنتم لا تبصرون فإنّ أنفسكم أعدام مقدّرة، وهي شؤونه تعالى، وهو ظاهر فيها؛ لأنّه الوجود الحقّ، وليس هذا بحلول، لأنّ الوجود لا يحلّ في العدم، وليس أيضاً باتّحاد مذموم؛ فإنّ الاتّحاد المذموم عند أصحاب العقائد من المتكلّمين أن يكون الوجود الحقّ تعالى القديم هو عين العبد الذي هو العدم المقدّر، وهو محال عقلاً وشرعاً فافهم هذا؛ وكن منه على علم في كلّ ما تجده للعارفين المحقّقين دون الجاهلين الغافلين. وقوله (**تحدّتِ**): بكسر التاء للقافية. قال في المصباح: «تَحَدَّيتُ النّاسَ القرآنَ: طلبتُ إظهارَ ما عندهم ليُعْرَفَ أيّنا أقْرَأ، وهو المعنى مثل قول الشخص الذي يفاخر الناس بقومه: هاتوا قَوْماً مثلَ قَوْمي أو مثلَ واحد منهم».

٢٤١- وَصَرِّحْ بِإِطْلَاقِ الجَمَالِ وَلَا تَقُلْ بِتَقْييدِهِ مَيْلاً لِزُخْرُفِ زِيْنَةِ

(**وصرّح**): بتشديد الراء فعل أمر خطاب للسالك في طريق الله تعالى، من صَرُحَ الشيءُ - بالضمّ - صَرَاحَةً وصُرُوحَةً: خَلَصَ من تَعَلُّقَاتِ غيره؛ فهو صَرِيح، وعربيٌّ

صَرِيح: خَالِصُ النَّسَب وكلُّ خالصٍ صَرِيح، ومنه: القولُ الصَّرِيحُ وهو الذي لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل. وصَرَّحَ بما في نفسه: أَخْلَصَه للمعنى المراد على التفسير الأوّل، أوأذهب عنه احتمالات المجاز والتأويل على التفسير الثاني. وصَرَّحَ الحقُّ عن مَحْضِه مِثْلُ: انكشف الأمر بعد خفائه. وصَرَّحَ اليومُ: إذا لم يكن فيه غيمٌ ولا سَحَاب، كذا في المصباح. والمعنى: أَظْهِرْ واكشِفْ لنفسك، ولا تكتمْ عنها، وارفع احتمالات الأغيار؛ فإنّها كلّها وهميّة. وقوله **(بإطلاق)**: متعلّق بصرِّحْ، وهو ضدّ القيد **(والجمال)**: هو ما كان بالذات، والحُسْن: بالعَرَض؛ ولهذا ورد في أسمائه تعالى الجميل، ولم يرد الحَسَن. وفي الحديث: «إنَّ الله جميل يحبّ الجمال»(١) ولم يقل يحب الحُسْن، فإنّ كلّ ما يظهر على الكائنات حسن، وهو أثر الجمال الذاتيّ الإلهيّ، والمأمور به هنا إطلاق الجمال الذاتيّ الإلهيّ في كلّ حُسن يظهر على كلّ شيء محسوس أو معقول؛ فإنّه أثر ذلك الجمال المطلق الإلهيّ، والأثر مُظهِر للمُؤَثِّر. ومعنى التصريح بإطلاق الجمال: شهود الجمال الإلهيّ في كلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وروى الإمام أحمد في مسنده، والإمام مسلم، وأبو داوود، والترمذيّ، والنَّسائيّ، وابن ماجه عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة»(٢) الحديث. وروى الدارميّ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال عليه السلام: « حسِّنوا القرآن بأصواتكم؛ فإنّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً»(٣). وروى أبو داوود عن / [١٤٧/ ب] أبي هريرة رضي الله عنه قال صلّى الله عليه وسلَّم: «حُسن الظنّ من حسن العبادة»(٤). فإنّ هذا الحسن كلّه أثر الجمال الإلهيّ كما ذكرنا. وقوله **(ولا تقل)**: من القول، وهو الكلام. ويطلق على الرأي

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٧.

(٢) انظر تخريجه ص٦٥٦.

(٣) أخرجه الدارميّ في سننه، باب التغنّي بالقرآن، ٣٥٠١.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، باب مسند أبي هريرة، ٨١٧٦.

والاعتقاد؛ يقال: هذا قول أهل السُّنَّة، أي: رأيهم واعتقادهم الذي ذهبوا إليه، وقول أبي حنيفة رضي الله عنه، أي: مذهبه. والمعنى هنا: ولا تتمذهب. (**بتقييده**): أي تقييد الجمال الظاهر بالحُسن في صورة محسوسة في إنسان، أو حيوان، أو جماد، أو نبات، أو غير ذلك، أو صورة معقولة من صور المعاني. وقوله (**ميلاً**): أي تميل بسبب ذلك التقييد ميلاً لزخرف زينة، قال في القاموس: «الزُّخْرُف، بالضمّ: كمالُ حُسْنِ الشيء». و(**الزِّينة**): بالكسر، ما يُتَزَيَّن به. والمعنى: لا تمل للشيء المزخرف فتُقَيِّدَ به إطلاق الجمال؛ فإنّ زخرفة الشيء وتزيينه لك إنّما هو بحسب طبعك، فتكون محبوساً في سجن طبيعتك، ومربوطاً بحبال عقلك، ومقهوراً تحت حكم شهواتك.

٢٤٢- فَكُلُّ مَلِيْحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِهَا مُعَارٌ لَهُ بَلْ حُسْنُ كُلِّ مَلِيْحَةِ

(**فكلّ**): الفاء للتفريع. (**وكلّ مليح**): أي شيء مليح بالملاحة المحسوسة أو المعقولة. وقوله (**حُسْنُهُ**): أي الحسن الظاهر عليه لحاسَّة من حواسك، أوبصرك، أو سمعك، أو ذوقك، أو شمّك، أو لمسك، أو لعقلك...[الخ] من المعاني؛ فإنّ ذلك الحسن كلّه أثر ظاهر. (**من جمالها**): أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**مُعار**): بصيغة اسم المفعول. (**له**): أي المليح المذكور؛ ولهذا لا يبقى ذلك الحُسْنُ على ذلك المليح؛ بل يذهب عنه لعدم ملكه له؛ فإنّ العواري مردودة على أصحابها. وقوله (**بل**): حرف إضراب؛ لئلّا يفهم الاختصاص في العارية بالمذكّر فقط. وقوله (**حسن كلّ مليحة**): محسوسة، كامرأة، أو دابّة، أو ثمرة، ونحو ذلك. أو معقول كمشيئة، أو نكتة، وغير ذلك. وإن اشتُهر المليح والمليحة في نوع الإنسان خاصّة لكمال ظهور الجمال الإلهيّ في هذا النوع. ولقد قدّمنا في **شرح ديباجة هذا الديوان** أنّ الناظم قدّس الله سرّه كان يحبّ بُرْنِيَّة في دكان عطار. وكان يأتي حتى ينظر إليها، كما نقل في ترجمته قُدِّس سرّه. وهذا من إطلاق الجمال في نظره. والناس لا يعرفون المليح والمليحة إلّا في الإنسان، فيميلون إلى ذلك خاصّة، ويعشقونه، وإليه يشير قوله:

٢٤٣- بِهَا قَيْسُ لُبْنَى هَامَ بَلْ كُلُّ عَاشِقٍ كَمَجْنُونِ لَيْلَى أَوْ كُثَيِّرِ عَزَّةِ

(بها): أي المحبوبة الحقيقيّة. (قيس): اسم رجل من العرب عشق امرأة اسمها (لُبْنَى): على وزن بُشْرَى. وقوله (هام): قال في المصباح: «هَامَ يَهِيْمُ هَيْماً وهُيَاماً و[هَيَماناً] خرج على وجهه لا يدري أين يتوجّه؛ فهو هائم إن سلك طريقاً مسلوكاً؛ فإنْ سلك طريقاً غير مسلوك فهو راكب التعاسيف». والمعنى: إنّه هائم بلبنى عشقاً؛ بسبب حُسْنِها، وهو أثر من جمال المحبوبة الحقيقيّة، فهيامه في الحقيقة بالمحبوبة الحقيقيّة وهو لا يشعر؛ لأنّ الآثار لا وجود لها، فإنّها أعدام مقدرة، والوجود كلّه هو الوجود الحقيقيّ، وهو الحقّ تعالى لا غير. وقوله (بل): حرف إضراب؛ لئلا يفهم الاختصاص بالعين المذكور في قيس لبنى. وقوله (كلّ عاشق): ممن عشق: مذكراً أو مؤنّثاً من نوع الإنسان، أوغيره. والعشق الإفراط في المحبّة. وقوله (كمجنون ليلى): فإنّه رجل من العرب عشق امرأة اسمها ليلى، وازداد عشقه لها حتى توسوس، ودخل في نوع من الجنون بحيث لا يقدر أن يخرج من ذلك، فيقال: إنّه قيل لأبيه: لو أخذته إلى مكّة أيام الموسم في الحجّ فأمرته أن يدعو الله تعالى بأنْ يخلِّصه من حبّ ليلى. فأخذه، فكان من أمره أنه كلّما أمره أنْ يدعو بالخلاص بكى ثمّ أنشد:

ذكرتك والحجيج له ضجيج بمكّة والقلوب لها وجيب
فقلت أتوب يا رحمن مما جنيت فقد تكاثرت الذنوب/ [١٤٨/أ]
وأمّا من هوى ليلى وتركي زيارتها فإنّي لا أتوب

فإنّه كان يحبّ ليلى بسبب حُسْنِهَا في نظره. وحسنها أثر من جمال المحبوبة الحقيقيّة؛ فحبّه في الحقيقة للمحبوبة الحقيقيّة، والأثر عدم؛ وإنّما الوجود هو الوجود الحقيقيّ كما ذكرنا. وقوله (أو كُثير): بضمّ الكاف وفتح الثاء المثلّثة وتشديد الياء التحتيّة مكسورة: تصغير كَثير، قال في القاموس: «كَثير، كأمير:

اسم، وبالتصغير صاحب عزّة» وقال في الصحاح: «العَزّة بالفتح بنت الظبية» وبها سُمِّيت المرأة عزّة، والمعنى فيه ما ذكرنا.

٢٤٤- فَكُلٌّ صَبَا مِنْهُمْ إِلَى وَصْفِ لَبْسِهَا بِصُوْرَةِ حُسْنٍ لَاحَ فِي حُسْنِ صُوْرَةِ

(فكلٌّ): بالتنوين، أي: كلّ واحد مما ذكر في البيت قبله من قيس لبنى، ومجنون ليلى، وكُثَيِّر عزّة ، ومثلهم كلّ عاشق. وقوله **(صَبَا)**: أي مال حبّاً وعشقاً. **(منهم)**: أي مما ذكر. وقوله **(إلى وصف لبسها)**: أي للمحبوبة الحقيقيّة، و**(اللَّبْس)**: بالباء الموحّدة والسين المهملة، مصدر لَبَسْتُ الأمرَ لَبْساً من باب ضَرَب خَلَطتُه. قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/الأنعام/٩] وفي الأمر لُبْسٌ بالضمّ، ولُبْسَةٌ أيضاً، أي: إشكال. والْتَبَسَ الأمرُ: أشكلَ، كذا في المصباح. والمعنى: في وصف لَبْسها ما تصف به الْتِبَاسَها من الصور المحسوسة والمعقولة، وهي الكائنات المعدومة المقدّرة الظاهرة بالوجود الحقّ القديم. وقوله **(بصورة حُسْن)**: أي أثر الجمال الإلهيّ. وقوله **(لاح)**: أي ظهر ذلك الحُسْن لمن شاء تعالى أنْ يظهره له، كإظهارصورة حُسْن لُبْنى في نظر قيس، وإظهار صورة ليلى في نظر مجنونها، وإظهار صورة حسن عزّة في نظر كُثَيِّر، وكذلك وإظهار صورة حُسْن كلّ محبوبة أو محبوب في نظر العاشق. وقوله **(في حُسْن صُورة)**: متعلّق بلاح، وهذا الإظهار على حسب إرادة الله تعالى.

٢٤٥- وَمَا ذَاكَ إِلّا أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ فَظَنُّوا سِوَاهَا وَهْيَ فِيهِمْ تَجَلَّتِ

(وما ذاك): أي اللَّبس المذكور في البيت قبله. وقوله **(إلّا أن بدتْ)**: أي ظهرتِ المحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(بمظاهر)**: جمع مظهر، وهو ما فيه الظهور، وهي الآثار التي بظهورها يظهر المؤثّر فيها على قدرها بحكم ما هي عليه في علمه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [١٥/الحج/٢١] وقوله **(فظنّوا)**: أي العشّاق المذكورون وغيرهم أيضاً. **(سواها)** : أي سوى المحبوبة الحقيقيّة يعني: غيرها. وسبب ظنّهم ذلك رؤيتهم للصور

المقدرة المعدومة، وهم منها التي يظهر بها الوجود الحقّ فيظنُّون أن الظهور لها، وأنّها موجودة؛ وإنّما الظهور في الأمر للوجود الحقّ الواحد الأحد بها؛ لأنّها شؤونه، وأحكام ظهوره. وقوله (**وهي**): يعني المحبوبة الحقيقيّة. (**فيهم**): أي في تلك المظاهر ذكوراً كانوا أو إناثاً، وفيه تغليب الذكور على الإناث. وقوله (**تجلّت**): أي ظهرت، وكسرت التاء للقافية.

٢٤٦- بَدَتْ بِاحْتِجَابٍ وَاخْتَفَتْ بِمَظَاهِرٍ عَلَى صِيَغِ التَّلْوِيْنِ فِي كُلِّ بَرْزَةِ

(**بَدتْ**): أي المحبوبة الحقيقيّة، يعني: ظهرت. وقوله (**باحتجاب**): أي استتار عن أبصار الجاهلين بها وعن بصائرهم. وهذا الاحتجاب إنّما حصل للجاهلين من جهتهم، لا من جهتها هي؛ لأنّها هي ظاهرة في نفسها؛ وإنّما الجاهلون ناظرون إلى أنفسهم وغيرهم من الأكوان، وجاعلون ظهورها بوجودها الحقّ لأنفسهم، ولغيرهم من الأكوان. وأنفسهم وغيرهم من جميع الأكوان أمور عدميّة صادرة عن ذلك الوجود الحقّ، كصدور المعاني الواردة على خواطر البشر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١] وقال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢٣] وهو النطق النفسانيّ المخصوص بالنوع الإنساني. وقد أشرنا إلى ذلك بقولنا/ [١٤٨/ ب] في مطلع قصيدة لنا في ديواننا:

لمائه كلّنا أواني ونحن في نفسه معاني

وقوله (**على صيغ**): قال في القاموس: «صَاغَ الله فلاناً صِيْغَةً حَسَنَةً: خَلَقَهُ». وقوله (**التلوين**): مصدر لوّنه بتشديد الواو، أي: جعله ذا لون، أي: هيئة كالسواد. وقوله (**في كلّ برزة**): أي ظهور من ظهوراته سبحانه؛ فإنّ له تعالى ظهورات بعدد كلّ شيء محسوس ومعقول في الدنيا والآخرة إلى الأبد، وهو الواحد الأحد.

٢٤٧- فَفِي النَّشْأَةِ الأُوْلَى تَرَاءَتْ لِآدَمٍ   بِمَظْهَرِ حَوَّا قَبْلَ حُكْمِ الأُمُوْمَةِ

(ففي النشأة) : أي الخلقة الأولى من هذا النوع الإنساني. وقوله (تراءت): أي ظهرت. يعني: المحبوبة الحقيقيّة، يقال: تراءى لي: تصدّى لأراه. (لآدم): وهو أبو البشر عليه الصلاة والسلام. وقوله (بمظهر): متعلّق بتراءى، أي: بما فيه الظهور؛ وهو عدم مقدّر، وهو حوّاء، زوجة آدم عليه السلام. وقوله (قبل حكم الأمومة): أي قبل ظهور حكم الأمومة في هذا النوع الإنسانيّ، لأنّ بها ظهر حكم الأمومة، وحوّاء قبل الولادة لم يكن لها أمومة؛ فأوّل ظهور هذه المحبوبة الحقيقيّة بصفة المحبوبيّة لآدم عليه السلام في صورة حوّاء لإظهار هذا الحكم المذكور.

٢٤٨- فَهَامَ بِهَا كَيْمَا يَكُوْنَ بِهَا أَبَاً   وَيَظْهَرُ بِالزَّوْجَيْنِ حُكْمُ البُنُوَّةِ

(فهام): أي آدم عليه السلام. (بها): أي بِحَوَّا وأحبّها. (كيما): كي تعليليّة، وما زائدة. وقوله (يكونَ): منصوب بأن مضمرة بعد كي، أي: لكي أن يكونَ، أي: آدم عليه السلام. وقوله (بها): أي بِحَوَّاء، يعني: بسببها. وقوله (أباً): خبر يكونَ؛ فإنّ حكم الأُبوّة أوّل ما ظهر بآدم عليه السلام في هذا النوع. وقوله (ويظهر بالزوجين): أي بسببهما، وهما: آدم وحوّاء عليهما السلام؛ فالألف واللام للعهد. وقوله (حكم): فاعل يظهر. و(البنوّة): بتقديم الباء الموحّدة على النون؛ فإنّ الأولاد لا يقال لهم أبناء إلّا بالأبوين، وهما الزوجان.

٢٤٩- وَكَانَ ابْتِدَا حُبُّ المَظَاهِرِ بَعْضِهَا   لِبَعْضٍ وَلَا ضِدٌّ يُصَدُّ بِبِغْضَةِ(١)

(وكان): أي ذلك الحبّ الواقع من آدم لحوّاء عليهما السلام. وقوله (ابتدا): بالقصر لضرورة الوزن، خبر كان. و(حبّ): أي محبّة. وقوله (المظاهر): مضاف إليه، جمع مظهر، وقدّمنا بيانه. وقوله (بعضها): بدل من المظاهر، بدل بعض من كلّ، والضمير للمظاهر. وقوله (لبعض): متعلّق بحبّ. وقوله (ولا ضدّ): بكسر

---

(١) في (ق): لبِغضة.

الضاد المعجمة، أي: مخالف ومنافر بين المحبّ ومحبوبه؛ إذ المحبّة تحرق بنارها رؤية مثل للمحبوب، أو مغاير له، فيما أنفرد به من الحسن، فلا يتصوّر المخالف والمنافرمع المحبّة. وقوله (**يصدّ**): أي يمنع ويصرف عن المحبوب. قال في القاموس: «صَدَّ فلاناً عن كذا مَنَعَه وصَرَفَه كَأَصَدَّهُ». وقوله (**بِبِغْضَةٍ**): بكسر الباء الموحّدة، متعلّق بيصدّ. و(**البُغض**): بالضمّ ضِدّ الحبّ. والبِغْضَة، بالكسر والبَغْضَاء: شدّته، وبَغُضَ كَكَرُمَ ونَصَرَ وفَرِحَ؛ فهو بَغِيْضٌ». كذا في القاموس.

٢٥٠- وَمَا بَرِحَتْ تَبْدُو وَتَخْفَى لِعِلَّةٍ عَلَى حَسَبِ الأَوْقَاتِ فِي كُلِّ حِقْبَةِ

(**وما برحت**): أي ما زالت، من برِحَ مكانه ـ كَسَمِع ـ زَالَ عنه، والضمير المستتر راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**تبدو**): أي تظهر. (**وتخفى**): أي تستتر. وقوله (**لعلّة**): أي لأجل وجود علّة في الذي تبدو له وتخفى عنه، لا فيها هي، وتلك العلّة قوّة بصيرة في الذي تبدو له بإمداد منها روحانيّ، وضعف قوّة في بصيرة الذي تخفى عنه بعدم ذلك الإمداد الروحانيّ، ومرجع تلك الصلة إلى حكمة من جهة أفعالها/ [١٤٩/ أ] تقتضي ظهورها واختفائها من قبيل قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣٩]. وقوله (**حسب**): أي مقتضى الأوقات، جمع وقت، وهو المِقدار من الدّهر، وأكثر ما يُستعمل في الماضي، كذا في القاموس. فإنّ كلّ وقت يقتضي إظهار ما يناسبه مما لا يعلمه إلّا الله تعالى، ولنا من المواليا في هذا المعنى قولنا:

هـذا زمـان لـه أهـل إذا حقّقـت وجـدتهم مثلـه سـترت أو شـققت
ولا تعانـد وسـلّم للـصفا والمقـت فإنّما الغالـب المغلوب حكـم الوقـت

وقولنا الغالب، أي: على غيره من الأوقات، المغلوب بحكم إيجاده تعالى له في محلّه. واعلم أنّ ظهور هذه الحقيقة الإلهيّة في المظاهر كما مرّ ذكره، واختفاءها في المظاهر المذكورة على حسب مراد الله تعالى أمر دائم لا ينقطع إلى الأبد؛ لكن في بعض الأزمان تتجلّى للعارفين فيعرفونها، ويتحقّقون بها، وفي بعض الأزمان

تختفي اختفاء بحيث لا يمكن الاطّلاع عليها، فيؤمنون بها غيباً، لا حضوراً. وقوله (في كلّ حِقْبَةٍ): بكسر الحاء المهلة، هي من الدهر مُدَّة لا وقت لها، وجمعها حِقَب وحُقُوب، كعِنَب وحُبُوب، والحُقْب، بالضمّ وبضمَّتين: ثمانون سنة أو أكثر، والدهر، والسَّنَة أو السِّنُونَ، وجمعه: أَحْقَاب وأَحْقُب، كذا في القاموس.

٢٥١- وَتَظْهَرُ لِلْعُشَّاقِ فِي كُلِّ مَظْهَر مِنَ اللَّبْسِ فِي أَشْكَالِ حُسْنٍ بَدِيْعَةِ

(وتظهر): أي وما برحت تظهر للعشاق؛ يعني: المحبوبة الحقيقيّة. وقوله في كلّ مظهر): أي أثر من آثارها معدوم في نفسه، فتكون هي وجوده الذي هو موجود بها، لا وجود له غيرها. وقوله (من اللَّبس): أي الالتباس، بيان المظهر، فإنّ ذلك الأثر المعدوم قي نفسه يحجبها عند نفسه، لا عندها، فيحصل به التباسها عنده، فيشهد غيرها، وما في الوجود غيرها؛ لأنّه ليس في الوجود إلّا الوجود؛ وهو الحقّ. وقوله (في أشكال): جمع شكل بالفتح، وهو الشَّبَه والمِثْل، ويُكسر، وواحد الأشكال للأمور المُخْتَلِفَة: المُشْكِلَة، وصورة الشيء المحسوسة والمتوهّمة، كذا في القاموس. وقوله (حُسْن): مضاف إليه، وهو أثر الجمال الذاتيّ كما ذكرنا. وقوله (بديعة): وصف لأشكال. والبديع: المبتدع المخترع، وهو الغاية من كلّ شيء.

٢٥٢- فَفِي مَرَّةٍ لُبْنَى وَأُخْرَى بُثَيْنَةٌ وَآوِنَةً تُدْعَى بِعَزَّةَ عَزَّةِ

(ففي مرّة): يعني المحبوبة الحقيقيّة. (لُبنى): أي هي لُبنى، وهي محبوبة قيس؛ يعني: تظهر في مظهرها. وقوله (وأخرى): أي في مرّة أخرى. (بُثَيْنَة): أي هي بُثَيْنة بضمّ الباء الموحّدة وفتح الثاء المثلّثة وسكون الياء التحتيّة، والنون، والهاء: اسم امرأة من محبوبات العرب. وهي مرفوعة كلبنى على أنّها مبتدأ، وما قبلها خبر. وقال في القاموس: «بُثَيْنَةُ العُذْرِيَّةُ ـ كجهينة ـ صاحبة جميل». اسم رجل عاشق من العرب. ومعنى العُذْرِيَّة: منسوبة إلى بني عُذْرَة، قبيلة من العرب. وقوله (وآونة): جمع أَوَان، وهوالحِين، ويُكْسَر، وجمعه آوِنَة، ويَصْنَعُهُ آوِنَة وآيِنَة: إذا كان يَصْنَعُهُ

مراراً، ويَدَعُهُ مراراً، كذا في القاموس. وقوله (تُدْعَى): بالبناء للمفعول، أي: تسمّى. يعني: المحبوبة الحقيقيّة. (بعَزَّة): متعلّق بتُدعى، والعَزَّة: بنت الظبية، وبها سُمِّيت محبوبة كُثَيِّر بالتصغير، كما ذكرناه سابقاً. وهي مضافة إلى (عِزَّةٍ): بكسر العين المهملة، مصدر عَزَّ يَعِزُّ، قال في القاموس: «عَزَّ يَعِزُّ عِزاً وعِزَّةً بكسرهما، وعَزَازَةً: صار عَزيزاً» والمعنى: بعَزّة ذات العِزَّة، بمعنى العزيزة في قومها. والحاصل: إنّ هذه المحبوبة الحقيقيّة تارة [١٤٩/ب] هي لُبنى قيس، صُوِّرتْ صُورتها من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [٥٩/الحشر/٢٤] وقوله سبحانه: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [٤٠/غافر/٦٤] ومعلوم أنّ الصورة أمر عدميّ، مادّته العدم الصرف. ثمّ تجلّى وانكشف بتلك الصورة: الوجود الحقّ القديم بطريق التّوجّه بها، وهي حضرة علمه القديم، فظهر الوجود الحقّ في صورة لبنى قيس، وإن لم يشعر قيس العاشق بذلك. والوجود الحقّ باعتبار ذلك هو تلك المحبوبة الحقيقيّة، وكذلك الحال في ظهوره بصورة بثينة جميل وإن لم يشعر بذلك عاشقها جميل. وكذلك الحال في الظهور بصورة عزّة كُثيِّر وإنْ لم يشعر بها عاشقها كُثيِّر لغلبة الجهل عليه بالله تعالى وبنفسه. وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى»[1] وكلّ واحد من قيس وجُميل وكُثير في نيّته أنّه يحبّ مخلوقاً، فهو مخلوق يحبّ مخلوقاً مثله، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «حبّك الشيء يعمي ويصمّ »[2] أي: يعمي عن رؤية الحقّ الحقيقيّ، ويصمّ عن سماعه، لأنّه إنّما أحبّ شيئاً هالكاً فانياً آفلاً، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨ / القصص/ ٨٨] أي: إلّا ذاته، وهي الوجود الحقّ الحقيقيّ. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/الرحمن/ ٢٦] أي: ذاته

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ١، وللحديث أطراف كثيرة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، باب: باقي حديث أبي الدرداء، ٢٢٣٢٢.

الوجود الحقّ الحقيقيّ. وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ﴾ [٦/الأنعام/٧٦] وتقديره إنّما أحبّ الوجود الحقّ الذي لا يأفل أبداً وهو الظاهر، والظاهر يصوّر الكواكب الثلاث وغيرها، وهذا بيان لمراده بقوله في الأوّل: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [٦/الأنعام/٧٦] إلى غير ذلك من النصوص القطعيّة، والعارف بالله تعالى وبنفسه عرفت كلامه في ذلك، فأعماله بنيّته، وله ما نوى.

٢٥٣- وَلَسْنَ سِوَاهَا لَا وَلَا كُنَّ غَيْرَهَا وَمَـا إنْ لَهَـا فِي حُـسْنِهَا مِـن شَرِيْكَـةِ

(ولسْنَ): ضمير جمع الإناث، راجع إلى المحبوبات الثلاث: لُبنى وبثينة وعزّة. وقوله (سواها): أي غير هذه المحبوبة الحقيقيّة، المكنّى عنها في جملة ما تقدّم وما يأتي عن الوجود الحقّ الحقيقيّ، الموجود بوجوده ذلك كلُّ موجود من: محسوس، ومعقول، وموهوم ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [١٦/النحل/٨] ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/المدّثر/٣١]، ولم يقل: هن عينها وإنْ لزم ذلك من الكلام؛ لأنّ عينها فانية معدومة، والوجود للمحبوبة الحقيقيّة وحدها، وتلك الأعيان الثلاث الفانية المعدومة يستحيل عقلاً وشرعاً أنْ يكن منتهين الوجود الحقّ الحقيقيّ؛ وإنّما لسن هن غيره كما قال قدّس الله سرّه وأحسن في مقالته. ثم قال (ولا كُنّ): بتشديد النون، أي: تلك المحبوبات الثلاث. (غيرها): أي غير هذه المحبوبة الحقيقيّة. والمعنى: لم يوجدنَ من الأصل بوجود غير وجودها؛ فالوجود لها وحدها، والصور المختلفة الفانيات المعدومات قائمات بالغرض، والتقدير لتلك المحبوبات المذكورة. ثمّ قال: (وما إنْ): بكسر الهمزة وسكون النون حرف زائد لتقوية الكلام وتوكيده. وقوله (لها): أي لهذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (في حسنها): أي أثر جمالها الحقيقيّ (من شريكة): أي من صورة موجودة بوجود ثانٍ، مشاركة لها في حسنها الذي هو أثر جمالها الحقيقيّ؛ بل الحسن كلّه لها، لأنّه آثار جمالها الحقيقيّ؛ فالجمال لها حقيقة كما قدّمناه، والحُسن لها أيضاً، لأنّه أثر جمالها، وقد أعادت هذا الأثر لآثارها المخلوقة لها؛ فالكلّ لها، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٍ﴾ [٢٧/النمل/٩١].

٢٥٤- كَذَاكَ بِحُكْمِ الاتِّحَادِ بِحُسْنِهَا كَمَا لِي بَدَتْ فِي غَيْرِهَا وَتَزَيَّتِ

(**كذاك**): أي مثل ذلك الحكم الذي ذكر في المحبوبات الثلاث بأنهنّ لَسْنَ غير هذه المحبوبة الحقيقيّة من حيث الوجود، وأنّه لا وجود غيره. وقوله (**بحكم**): أي بمقتضى أمر الاتحاد الواقع بين الوجود الحقّ الواحد بين جميع التصويرات العدميّة/ [١٥٠/ أ] والتقديرات المسمّاة أشياء ومخلوقات كما مرّ غير مرّة. وقوله (**بحسنها**): متعلّق بالاتحاد، أي: اتِّحادهن. يعني: المحبوبات المذكورة معها بسبب حُسنهنّ الذي هو عين حسنها الظاهر عن جمالها بطريق التأثير. وقوله (**كما لي بدت**): أي مثل بُدُوِّهَا، أي: ظهورها لي. وقوله (**في غيرها**): أي في صورها التي تصوّرها، وتقديراتها التي تقدِّرها من العدم الصرف. وقوله (**وتزيَّتِ**): بتشديد الياء التحتيّة، وكسر التاء للقافية، من الزِّيّ بالكسر: الهَيْئَة، وتَزَيَّا الرجلُ وزَيَّيتُهُ تَزْيِيَةً، كذا في القاموس.

٢٥٥- بَدَوْتُ لَـهَا فِي كُلِّ صَبٍّ مُتَيَّمٍ بِأَيِّ بَدِيْعٍ حُسْنُهُ وَبِأَيَّةِ

(**بدوتُ**): أي ظهرتُ لها، أي: للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**في كلّ صبٍّ**): متعلِّق ببدوت. و(**الصبّ**): العاشق؛ يعني: ظهرت لها في صورة كلّ عاشق من حيث أنّي أنا عينها، أي: وجودي هو وجودها، وما عدا الوجود فانٍ فناءً أصلياً، وهو معدوم مقدّر. وقوله (**مُتيّم**): بالجر، وصف لصبّ. وقوله (**بأيِّ**): متعلّق بمتيّم. والتَّتَيُّمُ بمعنى إفراط المحبّة. وقوله (**بديع**): بالجر مضاف إليه، ومعناه الغاية في كلّ شيء. وقوله (**حُسْنُهُ**): بالرفع فاعل بديع. وقوله (**وبأيّة**): بتشديد الياء التحتيّة فيهما، ومعنى ذلك هو معنى كم الخبريّة، فتدلّ على الكثرة، فمعنى بأيّ بديع حسنه: بكم شخص مذكر حسنه بديع هو الغاية في الحسن، وبكم صورة مؤنّثة حسنها بديع لا يُرى مثله.

٢٥٦- **وَلَيْسُوا بِغَيْرِيْ فِي الْهَوَى لِتَقَدُّمٍ   عَلَيَّ لِسَبْقٍ فِي اللَّيَالِي الْقَدِيْمَةِ**

(**وليسوا**): أي العشّاق السابقون عليّ في الزمان الماضي. وقوله (**بغيري**): متعلِّق بواجب الحذف، خبر ليس. واسمها ضمير الجمع، وهو الواو. وقوله (**في الهوى**): أي المحبّة والعشق، والجار والمجرور في محل نصب حال من الواو. وقوله (**لتقدّم**): أي لأجل تقدّمهم عليَّ في الزمان، وسبقهم في الليالي والأيام المتقدّمة، فإنَّ حقيقتي التي أنا بها أنا هي عين حقائقهم، وإنْ كانت صورتي العدميّة المقدّرة بتقدير حقيقتيّ لها هي غير صورهم العدميّة المقدّرة بتقدير حقائقهم كلِّها التي هي عين الحقيقة الواحدة القديمة الأزليّة، وليس هذا من قبيل التناسخ في الأرواح الذي يعتقده أهل الباطل؛ لأنّ هذه الحقيقة الواحدة السارية في كلّ حقيقة كونيّة روحانيّة كانت أو جسمانيّة من غير سريان هي حقيقة الوجود الحقّ الواحد الأحد. وقولنا من غير سريان، أي: من غير تخلل وجود في موجود، لأنّ كلّ ما سوى الوجود الحقّ الواحد الأحد عدم صرف، مقدّر بتقدير على طبق علمه القديم، والوجود لا يسري في العدم، وإنْ سرى في التقادير العدميّة التي يقدّرها، بمعنى أنّه يظهر فيها، من غير حلول فيها، ولا اتحاد بها؛ وفي ردّ الشيخ العارف الكامل أبي مدين الغوث الذي أرسله إلى الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّهما هويّة سارية، مظاهرها بادية، وجود عدم، صمت وصمم، إلى آخره.

٢٥٧- **وَمَا الْقَوْمُ غَيْرِي فِي هَوَايَ وَإِنَّمَا   ظَهَرْتُ بِهِمْ لِلَّبْسِ فِي كُلِّ هَيْئَةِ**

(**وما القوم**): أي جماعة العشّاق كلّهم. (غيري): أي يغايروني في هواي، يعني: في محبّتي وعشقي؛ فمحبّتي وعشقي عين محبّتهم وعشقهم. كما أنّ الظاهر بصورتي عين الظاهر/[١٥٠/ ب] بصورهم، كما أنّ المتجلّي بصورة محبوبي هو عين المتجلّي بصور محبوبهم؛ فأنا وأياهم، ومحبوبي ومحبوبهم، وعشقي وعشقهم عين واحدة كما مرّ غير مرّة. وقوله (**وإنّما ظهرتُ بهم**): أي بالقوم المذكورين. وقوله (**للبس**): أي لأجل تحصيل الالتباس عليهم وعلى غيرهم من الناس بالظهور، (**في كلّ هيئة**):

أي صورة من صور المحبّين، وصور المحبوبين، وصور المحبّة والعشق التي في كلّ محبوب وفي كلّ عاشق.

٢٥٨- فَفِي مَرَّةٍ قَيْسَاً وَأُخْرَى كُثَيِّراً وَآوِنَـــةً أَبْـــدُو جَمِيْـــلَ بُثَيْنَـــةِ

(ففي مرّة قيساً): أي ظهرتُ لهم قيساً، وهو الذي كان يحبّ لبنى. وقوله (وأخرى): يعنى وفي مرّة أخرى ظهرتُ لهم (كُثَيِّراً): بالتشديد مصغّر، وهو الذي كان يحبُّ عَزّة بالفتح. وقوله (وآونة): بمدّ الهمزة جمع أوان، بمعنى حين. وقوله (أبدو): أي: كنت أبدو بمعنى أظهر حكاية الحال الماضية. وقوله (جميل): بالنصب. و(بثينة): مضاف إليه، بصيغة التصغير، اسم محبوبة من محبوبات العرب، ثم قال قدّس الله سرّه:

٢٥٩- تَجَلَّيْتُ فِيْهِمْ ظَاهِرَاً وَاحْتَجَبْتُ بَا طِنَـاً بِهِـمِ فَاعْجَـبْ لِكَـشْفٍ بِـسُتْرَةِ

(تجلّيتُ): أي انكشفتُ. وقوله (فيهم): أي في هؤلاء العشّاق المذكورين في البيت قبله. وقوله (ظاهراً): أي للعارفين بي المحقّقين لفنائهم في وجودي. وقوله (واحتجبت باطناً): أي من جهة بطوني بهم، أي: بالعشّاق المذكورين؛ بحيث لا يعرفونني؛ لعدم معرفتهم بفنائهم في وجودي. ثمّ قال (فاعجب): يا أيّها الواقف على هذا الحال العجيب. (لكشف): أي ظهور. (بِسُتْرَةِ): أي مع استتار؛ فإنّ كون الشيء[1] الواحد ظاهراً مستوراً أمرٌ عجيب، وإنْ كان ظهوره بالنسبة إلى معرفة العارفين واستتاره بالنسبة إلى جهل المحجوبين.

٢٦٠- وَهُنَّ وَهُمْ لَا وَهْنَ وَهْمٍ مَظَاهِرٌ لَنَـــا بِتَجَلِّيْنَـــا بِحُـــبٍّ وَنَـــضْرَةِ

(وهن): أي المحبوبات المذكورات، وكذا غيرهنّ من جميع المحبوبات والمحبوبين. وقوله (وهُم): أي العشّاق المذكورون، وكذا غيرهم من جميع العشّاق والعاشقات. وقوله (لا وَهْنَ): بسكون الهاء، قال في القاموس: «الوَهْن

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي بلغ مقابلة على نسخة المؤلّف.

الضَّعْف في العمل، ويُحرَّك» وقوله (وَهْمٍ): بسكون الهاء، أيضاً مضاف إليه، والوَهْم: الغَلَط والظنّ؛ يعني: لا ضعف في الكلام بسبب الغلط فيه أو الظنّ، وهي جملة معترضة بين المبتدأ والخبر. وقوله (مظاهر): جمع مظهر؛ يعني: ما فيه الظهور كما مرّ. وقوله (لنا): أي من حيث حقيقتنا لنا التي هي الوجود الحقّ الواحد. وقوله (بتجلِّينا): أي بسبب انكشافنا، أي: ظهور حقيقتنا لنا. وضمير الجمع للواحد المعظم نفسَه من حيث اسمه العظيم، وصفة العظمة التي له، أو مِنْ حيث كثرة المظاهر واختلاف التجلِّيات. وقوله (بحبٍّ): أي محبّة، يعني: بسببها، لأنّ المحبّة هي التي توصل العشّاق الإلهيّين إلى هذا المقام، وهو راجع إلى قوله (وَهُم): بضمير جمع الذكور الراجع إلى العشّاق. وقوله (ونَضْرَةٍ): بالضاد المعجمة، وفتح النون، قال في القاموس: «النَّضْرَة: الحُسْن، كالنُّضُور والنَّضَارَة». وهو راجع إلى قوله (وهُنَّ): بضمير جمع المؤنّث الراجع إلى المحبوبات؛ فإنّ حُسنهنَّ هو السبب في جذب قلوب العشّاق إليهن.

٢٦١- فَكُلُّ فَتَى حُبٍّ أنَا هُوَ وَهْيَ حِبـ ـــبُ كُـلِّ فَتَـىً وَالْكُـلُّ أسْـمَاءُ لُبْـسَةِ

(**فكلّ فتى حُبّ**): بضمّ الحاء المهملة، وكسرها أيضاً، أي: محبّة كذا في القاموس ووصفه بأنّه فتى، و(**الفتى**): هو السخيّ الكريم، من الفتوّة، وهي الكرم. وقوله (**أنا هو**): أي ذلك المتّصف بصفة الفتوّة بسبب اتِّصافه بصفة المحبّة، وهذا مقام الاتّحاد من حيث العقل الأوّل/[١٥١/أ] الروح والنفس الكليّة والاتّحاد من حيث الوجود الحقيقيّ كما مرّ تقديره. وقوله (**وهي**): أي المحبوبة الحقيقيّة. (**حِبّ**): بكسر الحاء المهملة، أي: محبوب كلّ فتى، وهذا هو الاتّحاد من حيث الوجود الحقيقيّ. وقوله (**والكلّ**): أي جميع المحبِّين والمحبوبين ذكوراً وإناثاً هم ذلك الوجود الحقيقيّ الواحد. وقوله (**أسماء لُبسة**): أي التباس، فأسماؤهم كلّها الحادثة واقعة على الظاهر بجميع صور الالتباس من حيث اسمه الظاهر وأسماؤه الحسنى القديمة واقعة عليه من حيث اسمه الباطن، واللِّبْسَة، بالكسر: الكُسوة.

قال في القاموس: «اللِّبْس، بالكسر: ما يلبِس الكعبة». والمراد بها هنا كسوة الوجود الظاهر بها، وهي تقاديره وتصاويره الحسيّة والعقليّة والوهميّة والخياليّة.

٢٦٢- أَسَامِي بِهَا كُنْتُ المُسَمَّى حَقِيْقَةً   وَكُنْتُ لِيَ البَادِي بِنَفْسٍ تَخَفَّتِ

(أسامي): جمع اسم، وهو بدل من قوله (أسماء لبسة) في البيت قبله. وقوله (بها): أي بتلك الأسامي. وقوله (كنت المسمّى): بلام التعريف لإفادة الحصر. و(المسمّى): اسم مفعول. وقوله (حقيقة): تمييز، أي: من جهة حقيقية أمري ونفس ماهيّتي، وهي الوجود الحقّ المطلق؛ فإنّه المسمّى بجميع الأسامي، كما قلت من موشّح لي:

يا مسمّى بالأسامي كلّها وهو المنزّه   أنت في الكلّ مرامي فيك عيني تتنزّه

جامع الطلعة أزهر في شروق ومغيب   كلّ شيء عقد جوهره حلية الحسن المهيب

وقوله (وكنت لي البادي): أي الظاهر. وتقديم المجرور للحصر. وكذلك لام البادي، أي: لست بادياً لغيري؛ إذ ما هنا غيري. وقوله (بنفس): متعلّق بالبادي، أي بذات، وهي الوجود الحقّ الواحد الأحد من قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [٢/ آلعمران/ ٢٨] وقوله سبحانه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [٥/ المائدة/ ١١٦]. والنفس بمعنى الذات نفس واحدة؛ فهو من حيث صورة اللبسة لا تعلم، ومن حيث هي على ما هي عليه تعلم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٦]. وقوله (تخفّتِ): بتشديد الفاء وكسر التاء للقافية، من الخفاء، بالخاء المعجمة، وهو الاستتار، صفة للنفس، أي: نفس مستترة؛ يعني: حقيقيّة ذاتيّة هي نفس الوجود الحقّ، مستترة بها تقدِّره وتصوِّره في نفسها من أعيان الممكنات بتجلّي اسمها المصوِّر.

٢٦٣- وَمَازِلْتُ إِيّاهَا وَإِيّايَ لَمْ تَزَلْ   وَلَا فَرْقَ بَلْ ذاتي لِذاتي أَحَبَّتِ

(وما زلت إيّاها): أي أن تلك النفس التي استترت بتقديرها إيّاي، وتصويرها لي، فيظهر للعين مقداري وصورتي. وفي الحقيقة إنّما هي تلك النفس المتخفّية

المستترة بالمقدار والصورة. وقوله (**وإيّاي لم تزل**): أي تلك الحقيقة المذكورة هي أنا كما أنّي أنا هي. والثاني تأكيد للأوّل. وقوله (**ولا فرق** (تأكيد أيضاً في المعنى، فإنّ نفي الفرق جمع، ونفي الجمع فرق. والجملة قرآن وفرقان؛ فالقرآن الجمع: وهو من ورائهم، أي: من حيث لا يعلمون محيط بكلّ شيء، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ﴾ ـ وهو الاسم الجامع لجميع الأسماء ـ ﴿مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] يعني: بهم، ثمّ أضرب عن ذلك كلّه لبيان الحقيقة النازلة في منازل المقادير التي تقدّرها، والتصاوير التي تصوّرها فقال: ﴿بَلۡ هُوَ﴾ أي: الله ﴿قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢١] فعيل بمعنى مفعول، أي: ممجّد به، أو بمعنى فاعل؛ لأنّه يمجّد نفسه بنفسه. ثمّ قال: ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٢] وهو النفس الكليّة من حيث أنّها تقديره وتصويره جملة واحدة إجمالاً. والفرقان: الفرق بالتفصيل في مقابلة ذلك الإجمال كما قال تعالى: ﴿نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ١] وهو الفرق والتفصيل المذكور من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ١٣] وهي نزلة التفصيل بعد النزلة الأولى، نزلة الإجمال، ثمّ قال تعالى: ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ وهو نفسه الملتبسة بالصورة المخصوصة التي صورها لنفسه من قوله تعالى [١٥١/ ب] لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [٢٠/ طه/ ٤١] وبالمقدار المخصوص الذي قدّره لنفسه من قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] وهو نبيّه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلّم، ثمّ قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ١] أي: لباقي المقادير التي قدّرها، والتصاوير التي صوّرها لنفسه. وقوله (**ذاتي**): أي من حيث الاستتار بالمقدار والصورة المخصوصتين. وقوله (**لذاتي**): أي من حيث هي على ما هي عليه حيث تلك المقادير والتصاوير كلّها معدومة فانية. وتقديم المجرور للحصر. وقوله (**أحبّتِ**): بتشديد الباء الموحّدة وكسر التاء للقافية، أي: إنّما أحبّت ذاتي لذاتي لا لغيرها، وهو الاتّحاد الحقّ الحقيقيّ الذي يذكره الناظم قدّس الله سرّه، لا ما يتوهّمه الكاذبون في أنفسهم من غير ذوق له لبقاء نفوسهم عندهم وهم لا

يشعرون؛ فإنّ الطريق صدق كلّه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٣] الآية .

٢٦٤- وَلَيْسَ مَعِي فِي الْمُلْكِ شَيْءٌ سِوَايَ وَالـ ـمعِيَّةُ لَـمْ تَـخْطُرْ عَـلَى أَلْـمَعِيَّةِ

(وليس معي): من حيث أنّي أنا تلك الحقيقة الواحدة، الوجود الحقّ، الحقيقيّ، المطلق. وقوله (في الملك): بضمّ الميم وسكون اللام، وهو ما ظهر من العوالم. وقوله (شيء): أي مشيوء بمشيتي. (سواي): يعني غيري، فلا لصدّ يغايرني؛ فإنّ ما به المغايرة لي، إنّما هو تقديريّ وتصويريّ من تجلّي اسمي المقدّر والمصوّر. وقوله (والمعيّة): نسبة إلى قولهم مع، قال في القاموس: «مع: اسم، وقد يُسكَّن وينوَّن، أو حرف خفض، أو كلمة تضمّ الشيء إلى الشيء، وأصلها: معاً، أو هي للمصاحبة، وتكون بمعنى عند، وتقول: كنّا معاً، أي: جميعاً». ومعنى المعيّة هنا: أنّ معي في الملك شيء سواي. وقوله (لم تخطر): من خَطَرَ بباله وعلى باله: ذَكَرَهُ بعد نِسْيَان، كذا في القاموس. وقوله (على ألمعيّتي): متعلّق بتخطر. والألمعيّة صفة هي نسبة أيضاً بالياء إلى الألمعي، وهو الذكيّ التوقّد.

٢٦٥- وَهَذِي يَدِي لَا أَنَّ نَفْسِي تَخَوَّفَتْ سِـوَايَ وَلَا غَـيْرِي لِـخَيْرِي تَرَجَّـتِ

(وهذي يدي): هي الكفّ، أو من أطراف الأصابع إلى الكَتِف، كذا في القاموس. كنّى بذلك عن العهد، يعني: هذي يدي سددتها للعهد بيني وبينك، وهو الحَلْف والقَسَم. وقوله (لا أنّ نفسي تخوَّفت): بتشديد الواو، أي خافت ورهبت. (سِوَايَ): أي غيري؛ لأنّه لا غير لي عندي بحسب معرفتي وتحقّقي بنفسي أنّها هي الوجود الحقّ الواحد الأحد، ظاهر لي بصورتي التي صوّرها من اسمه المصوِّر لنفسه التي هي نفسي فلا تخاف نفسي سواي؛ وإنّما تخاف نفسي من حيث هي نفسي المتصوِّرة بالصورة التي صوّرتها نفسي الحقيقيّة لها، فظهرتُ بها لها فيها وفي غيرها من كلّ نفس هي كذلك، فنفسي تخاف من نفسي على حسب

المعنيين: معنى النفس المقيّدة بالقيود الإمكانيّة. ومعناها وهي مطلقة عن جميع ذلك، منزّهة عنه. وقوله (ولا غيري): من حيث ما هو غيري مقيّد بالقيود الإمكانيّة، وهو مفعول مقدّم لقوله (ترجّتِ): قُدِّم لحصر نفي الترجّي. وقوله (لخير): متعلّق بقوله ترجّتِ. و(ترجّتِ): بتشديد الجيم وكسر التاء للقافية من الرجاء، وهو ضدّ اليأس، يعني: ما ترجيتُ الخير إلّا منِّي؛ فالراجي أنا من حيث ظهوري بالصورة التي صوّرتها لنفسي من تجلّي اسمه المصوِّر، والمرجو للخير أنا من حيث بطوني بالحقيقة التي هي الوجود الحق، كما كان تخوّفي كذلك. ولا مانع من بقائه على طبيعته الأصليّة يخاف من كلّ الذي له قدرة عليه من البشر وغيرهم، ويرجو كلّ ذي خير ومنفعة من العباد، وهذا فتح للباب وإنّما يتذكر أولو الألباب.

٢٦٦- وَلَا ذُلَّ إِخْمَالٍ لِذِكْرِي تَوَقَّعَتْ وَلَا عِــزَّ إِقْبَــالٍ لِــشُكْرِي[١] تَوَخَّــتِ

(ولا ذلَّ): أي مذلّة. (إخمال): بالخاء المعجمة، مصدر أخمله الله ، يقال: خَمَل ذِكْرُهُ خُمُولاً: خَفِي، وهو خامل: سَقَطَ، لا نباهة له، كذا في القاموس. وقوله (لذكري): يعني بحيث لا أذكر لخمول ذكري بين الناس. وقوله (تَوَقَّعَتْ): أي نفسي، يعني: انتظرت وقوع ذلك الخمول من غيري؛ وإنّما انتظار نفسي وقوع الخمول لها، بحيث لا يعرفها أحد لتتحقّق بمعرفتها، ومعرفة ربّها/ [١٥٢/أ] منها، لا من غيرها. وقوله (ولا عزّ): خلاف الذلّ مفعول مقدّم لتوخّت. وقوله (إقبال): هو ضدّ إخمال الذكر، ومعناه: إقبال الناس عليه بالتعظيم والاحترام. وقوله (لشكري): أي لأجل حصول الشكر منِّي لربِّي على تلك النعمة، كما أنّ إخمال ذكري لصبري، أي: لأجل حصول صبري على مشقّة ذلك. وقوله (توخّتِ): بتشديد الخاء المعجمة وكسر التاء للقافية، من الوخى، وهو القصد، يقال: تَوخّى رضاه: تحرّاه، كذا في القاموس. يعني: ولا تطلّبت نفسي من غيرها عزّ الإقبال لتحصيل شكر المنعم، وإنّما تطلبها ذلك منها بالحيثيتين المذكورتين.

---

(١) في (ق): بشكري.

٢٦٧- وَلَكِنْ لَصَدِّ الضِّدِّ عَنْ طَعْنِهِ عَلَى عُـلَا أَوْلِيَـاءِ الـمُنْجِدِيْنَ بِنَجْدَتِـي

(ولكن): حرف استدراك مما قبله، وكان جواب عن سؤال مقدّر، تقديره: إذا كنت في مقام الاتّحاد الحقّ الحقيقيّ، فكنت أنت تلك الحقيقة التي هي الوجود الحقّ الواحد الأحد، صُوِّرتْ لكلّ صورة مخصوصة، كما صُوِّرت لكلّ صورة من تجلّي اسمك المصوِّر، فظهرت بها بين تلك الصور كلِّها التي هي لك، وأنت ممتاز عن جميع صورك بمعرفتك بنفسك، فلا تخاف إلّا من نفسك، ولا تترجّى خيراً إلّا من نفسك، ولا تتوقع ذلّ الإخمال لذكرك لتحصيل مقام الصبر إلّا من نفسك، ولا تتوخى عِزّ الإقبال لتحصيل مقام الشكر إلّا من نفسك، فَلِمَ رجعتَ لأعمال عبادتك التي أنت عليها بوجه العبوديّة التي هي أكمل وأتمّ من العبادة، وقمت بها على وجه العادة كما سنذكره قريباً !. فأجاب بقوله **(لصَدِّ)**: أي منع. قال في القاموس: «صَدَّ فلاناً عن كذا: مَنَعَه، وصَرَفَه». وقوله **(الضدِّ)**: بالضاد المعجمة، قال في القاموس: «الضِّدّ بالكسر: المُخالف». والمراد بالضّد هنا الجاهل بنفسه وبربِّه، الغافل عن الإحساس بتصرّف ربّه تعالى في ظاهره وباطنه، وهو المحجوب الذي يظنّ قيامه بنفسه، ويغره علمه بالأحكام الشرعيّة، وعمله الأعمال بقوّة نفسه البشريّة، وهو صاحب الشرك الخفي الذي يقول في حقِّه الشيخ العارف بالله أرسلان الدّمشقيّ قدّس الله سرّه: «كلّك شرك خفيّ، ولا يبيِّن لك توحيدك إلّا إذا خرجت عنك. وقد بسطنا الكلام على ذلك في شرحنا المسمّى: «بخمرة الحان ورنّة الألحان في شرح الشيخ أرسلان». وقوله **(عن طعنه)**: يعني بالقول، أي: حكمه بالسوء والشرّ. وقوله **(على عَلَا)**: بفتح العين المهملة، قصر للوزن، قال في القاموس: «عَلَا كسَمَا: الرفعة، وعَلِيَ في المكارم، كرَضِي، عَلاءً». وقوله **(أولياء)**: جمع وليّ وهو المحبّ والصديق والناصر، وكلّها مناسبة هنا وهم طائفة أوْلياء الله تعالى العارفين المحقّقين. وقوله **(المُنجِدِيْنَ)**: من أَنجَد، بمعنى: أَعان. وقوله **(بنجدتي)**: قال في القاموس: «النَّجْدُ الشجاع الماضي فيما يُعجز غيرَه

كالنَّجيد، وقد نَجُد ككَرُم نَجَادة ونَجْدَةً». والمعنى: لأجل منع أهل الغفلة والحجاب عن إنكارهم واعتراضهم بالسبّ والقذف على أولياء الله تعالى الذين هم أصدقائي وأحبّائي والناصرون لي، والمعينون لي، بسبب إقدامي وشجاعتي في مقام الاتّحاد الإلهيّ الحقّ الحقيقيّ، المتحقِّقون به مثلي على الوجه الأكمل ذوقاً ووجداناً.

٢٦٨- رَجَعْتُ لَأَعْمَالِ العِبَادَةِ عَادَةً وأَعْدَدْتُ أَحْوَالَ الإِرَادَةِ عُدَّتِي

هذا معلول لقوله في البيت قبله (**ولكن لصدّ الضدّ** ...إلخ) يعني: رجعت إلى الحالة الأولى التي كنت فيها في ابتداء سلوكي في طريق الله تعالى التي أخبر عنها بقوله فيما تقدّم:

كذا كنت حيناً قبل أن يكشف الغطا من اللبس لا أنفك عن ثنوية[1]

فأخبر عن نفسه أنّه كان محجوباً غافلاً عن ربّه، ملتبساً عليه أمر الحقيقة. وقوله (**لأعمال العبادة**): متعلّق برجعت، يعني: بعد تحقّقه بمقام الاتّحاد الحقّ، ومعرفته التامّة بنفسه، وأنّها مجرّد تجلّي وانكشاف ربّه الحقّ بصورته الظاهرة الجسمانيّة، والباطنة الروحانيّة النفسانيّة، الفاني كلّ ذلك في الوجود الحقّ/ [١٥٢/ ب] الحقيقيّ المطلق عن جميع القيود، وعرف إمكان نفسه. وكونه مقداراً مفروضاً من غير وجود، وإنّما هو ثابت بإثبات الوجود الحقّ له، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] والقول الثابت هو قول الله تعالى له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] فإنّ هذا القول ثابت لله تعالى، ولا وجود له مستقل غير وجود الله تعالى، فساوى بقيّة الثابتات من الكائنات في أنّ وجودها واحد، وهو الوجود الحقّ الواحد الأحد، وامتاز عن الممكنات بالإطلاق الحقيقيّ؛ لأنّه وصف الحقّ المطلق. وامتازت الممكنات عنه بأنّها قيود وتقادير وتصاوير، ثمّ قال تعالى : ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧]

(١) انظر البيت ٢٣٠ من هذه القصيدة نفسها.

أي: المدّعين الوجودَ وهو ليس لهم؛ لأنّه للحقّ تعالى وحده، ولهم الثبوت ـ لا غير ـ الذي هو ضدّ النفي. ثمّ قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] يعني: على طبق علمه بهم؛ فمشيئته تابعة لعلمه، وعلمه تابع للمعلومات على ما هي عليه في عدمها الأصليّ كما حررناه في «شرحنا لتفسير القاضي البيضاوي». والمراد بأعمال العبادة التي رجع إليها ما سيذكره بعد ذلك من النسك، والعفّة، والصوم، وإحياء الليل، والأوراد، والصمت، والاعتكاف، والعزلة، والورع، والقناعة... إلى غير ذلك، بشرط أنْ يفعلها بنفسه، فيكون عابداً بها ربّه، لأنّ العبادة لا بدّ لها من اعتقاد وجود عابد ومعبود وعمل يسمّى عبادة، إمّا بظاهره أو بباطنه. وهذا تثليث، وهو الشرك الخفيّ الذي قاله النبيّ صلى الله عليه وسلّم: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»[1] وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [١٢/ يوسف/ ١٠٦]. وخاطب به الشيخ أرسلان ـ قدّس الله سرّه ـ السالكَ في طريق الله تعالى بقوله في ابتداء رسالته: «كُلُّكَ شركٌ خفيّ» ومن هذا القبيل قول العلماء: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين». وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٣٢]. وقوله (**عادة**): تمييز لأعمال العبادة، أي: كان رجوعي لأعمال العبادة على وجه العادة؛ يعني: أعملها بسبب اعتيادي على عملها كما كنت كذلك في ابتداء السلوك، كما هو عمل المحجوبين الغافلين عن مشاهدة ربّهم؛ فإنّهم يعبدون ربّهم **عادة** اعتادوا عليها، وألفوا المواظبة عليها، واطمأنّت نفوسهم إليها من غير شهود لهم فيها ولا حضور، والشرك الخفيّ حشو ضمائرهم، لا يستطيعون الفرار منه؛ فهم أبرار صالحون لأولياء محقّقين مقربين: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٠] فالعبادة لمّا كانت تقتضي عابداً ومعبوداً وعملاً يسمّى عبادة كانت هي التي تصدر من هؤلاء الأبرار

---

(١) انظر تخريجه ص٦٨٧.

الصالحين. وأمّا العبادة التي تصدر من الأولياء المقرّبين المحقّقين ـ وإنْ كانت صورتها على صورة العبادة ـ فإنّها تسمّى عبودة وعبوديّة. وليس في ذلك فعل بالنفس، بل ولا نفس في ذلك مع الله تعالى، وصاحبها صاحب توحيد حقيقيّ، وإيمان كامل. إذا علمت ذلك فيكون قول الناظم قدّس الله سرّه: (رجعتُ لأعمال العبادة عادة): يعني من مقام المقرّبين العالي إلى مقام الأبرار الذي هو أدنى منه. وعلّة ذلك لأجل مشاركة الأبرار الصالحين الذين هم ضدّ الأولياء المنجدين بنجدته؛ وهم المحقّقون المقرّبون. ومعنى الضِّديّة ما ذكرنا من أنّ حسناتهم وهم أبرار سيئاتهم وهم مقرّبون. فإنْ قلت كيف يجوز للإنسان أن يرجع عن مقامه إلى مقام لو فعل صاحبه ما عسى أن يفعل من الحسنات فهي سيئات عنده في مقامه الذي هو فيه؟! وكيف يترك الأعلى ويرجع إلى الأدنى مخافة طعن الأدنى في مقام الأعلى؟!. قلت ليس هذا رجوعاً في نفس الأمر؛ وإنّما هو من قبيل قوله تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] لأنّ المثليّة سبب عظيم من أسباب المتابعة والاقتداء، فرُكِّبت البشريّة في الأنبياء عليهم السلام ظاهراً لئلاّ تنفر منهم الخلق، ولتتبعهم أممهم ويقتدوا بهم. ورجعت الأولياء في حال نهاياتهم إلى مقام بداياتهم أيضاً ظاهراً لئلا تنفر منهم الخلق، وتطعن عليهم، ولتتبعهم المريدون/[١٣٥/أ] ويقتدوا بهم. والأنبياء عليهم السلام على ما هم عليه باطناً من نبوّاتهم، ولهذا قال تعالى بعد ذكر المثليّة:﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] وقال الناظم قدّس الله سرّه فيما سيأتي بعد ذكر ما به المثليّة متى حلّت عن قولي أنا هي ...إلخ إشارة إلى أنّ الأولياء المقرّبين أيضاً على ما هم عليه باطناً من مقام القرب، وقال هنا (**وأعددت أحوال الإرادة عدّتي**): إشارة إلى ذلك. فإنْ قلت قوله (**رجعت إلى أعمال العبادة**) يقتضي أنّه كان تاركاً لأعمال العبادة قبل رجوعه إليها؟!. قلت: لم يكن تاركاً لأعمال العبادة؛ وكيف يكون تاركاً لأمر كان بسببه واصلاً إلى ربّه، وهو عمله الصالح، وإنّما لم تكن أعماله

تسمّى أعمال عبادة؛ وإنّما هي شكر لربّه على النعم التي هو منعم بها عليه، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [٣٤/ سبأ/ ١٣] يعني: الذين أعمالهم شكر لربّهم؛ فإنّ المقرّبين أعمالهم شكر لربّهم، فليس لهم أعمال هي منهم لطلب الجزاء من ربّهم عليها، بخلاف الأبرار الصالحين؛ فإنّ أعمالهم كلّها لطلب الجزاء وإنْ كانوا بها مخلصين. وقال الشيخ أرسلان قدّس الله سرّه في مقام المقربين: «طريقتنا محبّة لا عمل، وفناء لا بقاء». ثمّ فسّر ذلك بقوله أيضاً: ﴿كُن﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] من قبيل المنّة، لا من قبيل العمل، أي: انظر لأعمالك مِنناً عليك من ربّك، لا أعمالاً أنت عاملها؛ لأنّ العمل يحتاج إلى عامل، فلا يكون إلّا مع دعوى الوجود مع الله تعالى المعمول له بخلاف المنّة التي يمنّ بها الله تعالى على من يشاء من عباده، فليس من شرطها دعوى الوجود؛ فإنّه تعالى مَنَّ بالوجود على الممكنات المعدومة، فأوجدها منّةً منه تعالى عليها. وقوله (**وأعددت**): أي أحضرت وهيّأت. (**أحوال**): جمع حال. وقوله (**الإرادة**): أي التوجّه إلى جنات الحقّ تعالى بتحقيق مقام الاتّحاد الحقّ الذي ذكرناه فيما مرّ. وقوله (**عُدّتي**): بالضمّ، أي: ذخيرتي وعمدتي التي أعتمد عليها.

٢٦٩- وَعُدْتُ بِنُسْكِي بَعْدَ هَتْكِي وَعُدْتُ مِنْ ... خَلَاعَةِ بَسْطِي لِانْقِبَاضٍ بِعِفَّةِ

(**وعدت**): أي رجعت من حالتي التي لا دعوى عمل لي فيها؛ وإنّما أعماله فيها كلّها مِنَنٌ عليه من الله تعالى، حيث هو متحقّق بمعرفة نفسه على ما هي عليه من العدم المقدّر، وبمعرفة ربّه على ما هو عليه من الوجود الحقّ الحقيقيّ المطلق. وقوله (**بِنُسْكِي**) متعلّق بعدت، أي: ملابساً لنسكي. والنُّسْك، بضمّ النون وسكون السين المهملة، قال في القاموس: «مثلثة، وبضمّتين: العبادة، وكلّ حقّ لله تعالى». وقوله (**بعد هتكي**): أي فضيحتي، وعدم مبالاتي، وكثيف الستر. وسبب ذلك عدم الدعوى النفسانيّة في كلّ ما يصدر عنه من الأعمال، لشهوده فناء نفسه في

وجود ربّه، وغلبة ذلك عليه بحيث لا يقدر على الرجوع إلى حالة إحساسه إلّا قليلاً بحسب مراد الله تعالى له ذلك الرجوع في بعض الأوقات، ويحفظ الله تعالى عليه وقته؛ فلا يجري عليه في تلك الحالة لسان ذنب، ولا يترك عملاً كلّف به عناية من الله تعالى سبقت له، فيعمل الأعمال الصالحة بأن تظهر عليه، وهو غير عامل لها، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] أي وعملكم. وذكر الشيخ الأكبر قدّس الله سِرّه في الفتوحات المكيّة في الباب الرابع والأربعين في البهاليل وأئمّتهم في البهللة، وأراد بهم قدّس الله سرّه قوماً استغرقتهم الواردات الإلهيّة، والمعارف الرّبانيّة، وحفظ الله عليهم أحوالهم، وأعمالهم، فلم يكلّفهم عملها بنفوسهم؛ ولكن شرّفهم بها، فهم في تشريف لا تكليف، لمحو نفوسهم في تجلّيه، وظهوره عندهم في تدلّيه، قال الشيخ قدّس الله سرّه: «وقد لقينا جماعة منهم، وعاشرناهم، واقتبسنا من فوائدهم. ولقد رأيت واحداً منهم يلازم المسجد، ويصلّي في أوقات الصلوات، وربّما كنت أسأله عندما أراه يصلّي أقول له: أراك/ [١٥٣/ ب] تصلّي فيقول لي: لا والله ، إنّما أراه يقيمني ويقعدني، وما أرى ما يريد بي. أقول له: فهل تنوي في صلاتك هذه أداء ما افترض الله عليك. فيقول: أيش تكون النيّة؟!. أقول له: القصد بهذه الأعمال القربة إليه تعالى. فيضحك، ويقول: أنا أقول له: أراه يقيمني ويقعدني فكيف أنوي القربة إلى من هو معي، وأنا أشهده، ولا يغيب عنّي. هذا كلام المجانين! ما عندكم عقول!. ثمّ بسط الكلام، قال قدّس الله سرّه عن نفسه: ولقد ذقت هذا المقام، ومرّ عليّ وقت أُؤدّي فيه الصلوات الخمس إماماً بالجماعة على ما قيل لي بإتمام الركوع والسجود، وجميع أحوال الصلاة من أفعال وأقوال، وأنا في ذلك كلّه لا علم لي بذلك، لا بالجماعة، ولا بالمحلّ، ولا بالحال، ولا بشيء من عالم الحسّ، لشهود غلب عليّ، غيّبت فيه عنّي وعن غيري. فأخبرت أنّي كنت إذا دخل وقت الصلاة أقيم الصلاة، وأصلّي بالناس، فكان حالي كالحركات الواقعة من النائم ولا علم له بذلك، فعلمت أنّ الله

حفظ عليّ وقتي، ولم يجرِ على لساني ذنبٌ ولا عتب، كما فعل الشبلي في ولَهِهِ، ولكنّه كان الشبلي يرد في أوقات الصلوات ـ على ما روي عنه ـ فلا أدري هل كان يعقل ردّه، أو كان في مثل ما كنت فيه، فإنّ الراوي ما فصل، فلمّا قيل للجنيد عنه قال: الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب إلّا أنّي كنت في أوقات في حال غيبتي أشاهد ذاتي في النور الأعمّ، والتجلّي الأعظم بالعرش العظيم يصلّي بها، وأنّي عَرِيٌّ عن الحركة بمعزل عن نفسي، وأشاهدها بين يديه راكعة وساجدة، وأنا أعلم أنّ ذلك الراكع والساجد كرؤية النائم واليد في ناصيتي، وكنت أتعجّب من ذلك وأعلم أنّ ذلك ليس غيري، ولا هو أنا. ومن هناك عرفت المكلِّف والتكليف. والمُكَلَّف: اسم فاعل واسم مفعول»[1]. ولعلّ هذه كانت حالة الناظم قُدِّس سرّه، وكان محفوظاً عليه أحواله وأوقاته على طبق الشريعة المحمّديّة. ثمّ صحا بعد ذلك فعاد إلى القيام بذلك بنفسه عن قصد تعمّد موافقة للأبرار الصالحين في أعمالهم الصالحة بنفوسهم لصدّهم عن الطعن في حقّ المأخوذين عن نفوسهم في استيلاء تجلّيات ربّهم عليهم، فإنّهم ضدّهم، لأنّ القيام بالنفوس في طاعة الله تعالى قربة كاملة عند الأبرار الصالحين، وذلك كلّه سيئات في نظر المشاهدين المقرّبين، كما ذكر الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه في الفتوحات المكيّة، باب التقوى وبيَّنها وبيَّن فضلها من مقام الأبرار.

ثمّ ذكر بعده باب ترك التقوى من مقام المقرّبين، وبيَّن أن تركها عندهم أفضل من فعلها بنفوسهم، بل فعلها بنفوسهم عندهم سيئة لا حسنة. وذكر أيضاً باب الورع، ثمّ باب ترك الورع، ثمّ باب الشكر، ثمّ باب ترك الشكر، وباب الزهد، ثمّ باب ترك الزهد ..إلى غير ذلك. والمراد بتركها الأفضل فعلها بالله حتى يكون تعالى هو الفاعل لها، كما هو في نفس الأمر كذلك، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

(١) انظر: الفتوحات المكيّة، الباب الرابع والأربعون، ١ / ٤١٥.

﴿تَعۡمَلُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] أي: وعملكم التقوى، عملهم مجرد نسبة شرعيّة، وهي خلق الله تعالى، وإيجاده، فلا بدّ عند المقرّبين من ترك النفوس لها، أي: الكشف عن النفوس بأنّها تاركة لها ليتبرّؤوا عن الشرك الخفيّ كما تبرّؤا عن الشرك الجليّ. وأمّا عند الأبرار فلابدّ من عملها بالنفوس، والقيام فيها بنفوسهم وذلك طاعة منهم لله تعالى والإشارة إلى هذين المقامين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [٨٣/ المطفّفين/ ١٨] فكتابهم نفوسهم المكتتبة فيها تأثيرات أعمالهم الصالحة، فإنّ كلّ عمل بالجوارح خيراً كان أو شرّاً له أثرٌ في النفس، فذلك كتابته. وقد أشار إليه القاضي البيضاوي في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [١٧/ إسراء/ ١٣] ثمّ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٠-١٩] أي: مقام/ [١٥٤/ أ] نفسانيّ رقم الله تعالى فيه لذائذ الشهوات، يشهده المقرّبون، أي: يعرفونه ويتحقّقون به، وهي منزلة في الجنّة نفسانيّة، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [٣٢/ السجدة/ ١٧] وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٧١] والمقرّبون يشهدون ذلك، ويعرضون عنه، من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٢]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «من أمّتي من يدخل الجنّة بالسلاسل»[1] . وقالت رابعة العدويّة قدّس الله سرّها: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا رغبة في جنّتك، ولكن حبّاً لوجهك الكريم». ثمّ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٢-٢٥] وهي المعارف الإلهيّة التي تضمّنتها العقائد الإيمانيّة والأعمال الصالحة المرضيّة؛ فيعتقدونها ويعملون بها، وهي مختومة عنهم، غير مفتوحة لهم. ثمّ قال تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ - أي: ذلك الرّحيق - ﴿مِسۡكٞ﴾

---

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن أخرج الطبرانيّ في مسند الشاميّين، عن أبي هريرة بلفظ: «إنّي لأرى أمماً تقاد بالسلاسل من النار إلى الجنّة». كذلك ذكره ابن حجر في فتح الباري عن أبي هريرة، بلفظ: «عجب الله من قوم يدخلون الجنّة في السلاسل».

[٨٣/ المطففين/ ٢٦] وهو نفوسهم الماسكة لهم عندهم لها رائحة المسك، وطيبه من حسن نيّاتهم، وسلامة سرائرهم من كلّ سوء؛ وإنّما كانت المعارف الإلهيّة المذكورة رحيقاً؛ لأنّها تسكر العقول، وتطرب الأرواح. ولم يذكر الكاس الذي فيه ذلك الرحيق، فإنّه نشأتهم الإنسانيّة المضاهيّة للأكوان وللحضرة الإلهيّة. ثمّ قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٦] أي: أصحاب النفوس إذا تنافسوا، أي: تخاصموا فيما بينهم وتحاسدوا فليتنافسوا في ذلك المذكور لا في غيره من أمور الدنيا الفانية. ثمّ قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ﴾ أي: الممتزج بذلك الرحيق. ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٧] أي: مقام عالٍ عنهم، قال في القاموس: «التسنيم ماء في الجنّة يجري فوق الغرف، أو عين تسنم عليهم من فوق». انتهى. وهي شراب المقرّبين من حضرات الغيب الحقّ، ولهذا قال تعالى بعده: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٨]. وللشيخ العارف أبي مدين[1] الغوث قدّس الله سرّه قوله في مطلع قصيدة له:

أدرها لنا صرفاً ودع مزجها عنّا ... فإنّا أناس لا نرى المزج مذ كنّا

حضرنا فغبنا عند دور كؤوسها ... وعدنا كأنّا لا حضرنا ولا غبنا

إلى آخر كلامه قدّس الله روحه، فإنّه كان من المقرّبين الذين حسنات الأبرار سيئاتهم؛ فإنْ الأبرار لم يستطيعوا أن يشربوا التسنيم صرفاً؛ وإنّما مزجوا شرابهم بشيء من ذلك، وما شرب التسنيم خالصاً إلّا المقرّبون، والله أعلم بما هم عاملون، وما هم عاملون. وقوله (**وعدت**): أي رجعت أيضاً من خلاعة بسطي المتضمّن للخلاعة، وهي عدم المبالاة بالأمور لانقباض، هو ضدّ البسط؛ فالقبض يغلب على الأبرار استيلاء الخوف والهيبة على قلوبهم. والبسط يغلب على المقرّبين لاستيلاء الرجاء والأنس على قلوبهم ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

---

(١) أبو مدين التلمسانيّ الصوفيّ الزاهد شعيب بن حسان الأندلسيّ، المولود سنة (٥١٤) هـ شيخ أهل المغرب، جال وساح، وكثر أتباعه حتّى خافه السلطان توفي(٥٩٣)هـ.

[٢/ البقرة/ ٢٤٥]. وقوله (بعفّة): متعلّق بانقباض. والعِفَّةُ، بالكسر: الكفّ عمّا لا يَحِلّ ولا يَجْمُل، كما في القاموس. واللام في الانقباض بمعنى إلى.

٢٧٠- وَصُمْتُ نَهَارِي رَغْبَةً فِي مَثُوْبَةٍ   وَأَحْيَيْتُ لَيْلِي رَهْبَةً مِنْ عُقُوْبَةِ

(وصمت): أي أمسكت عن شهوتيّ البطن والفرج، تقرّباً إلى الله تعالى، وهو صوم الأبرار. وأمّا صوم المقرّبين فهو مَنْعُهُم عن الأكل والشرب والجماع استغراقاً في تجلّي جماله تجلّياً صمدانيّا، وهو نهاري، هو عند الأبرار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وعند المقرّبين من طلوع نورالوجه الرّبّانيّ في شيئيّة ذواتهم المعدومة المقدّرة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ﴾ ظاهراً وباطناً، لا لكم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]، من حيث أنّكم لا شيء، قال الشيخ العارف أحمد القشاشي[1] المدنيّ قدّس الله سرّه (مواليا):

إنْ لم تـراني فحقّـق أننـي رأيـك   واعلم بأنّك لا شيء غير وجهي فيك
يا من تسمّى باسم النور في التحليك   حقّق وجودك لكي تدري المحرك فيك

وقال القشيري في رسالته/ [١٥٣/ أ]:

لـيلي بوجهـك مـشرق   وظلامـه في النـاس سـاري
النـاس في غـسق الظـلام   ونحـن في ضـوء النهـارِ

ثمّ قال (رغبة في مثوبة): أي ثواب على الصيام من الله تعالى ترغب فيه الأبرار. وأمّا المقرّبون فإنّهم كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٩]. وقوله (وأحييت ليلي):

---

(١) الشيخ أحمد القشاشي: هو أحمد بن محمّد بن يونس، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من كبار العلماء والأولياء بالمدينة، أخذ عن حوالي مئة شيخ مختلف العلوم، له نحواً من خمسين كتاباً، ولد بالمدينة ودفن بها (٩٩٠-١٠٧٢)هـ ودفن في البقيع. انظر كتاب مشيخة أبي المواهب الحنبليّ لمؤلّفه ابن عبد الباقي الحنبليّ، باب خير الدين الرملي، ١ / ٢٢٢.

أي قمت فيه بالصلاة، وقراءة القرآن، والأوراد، والأذكار، حتى صار حياً من موت النوم، وهو إحياء الأبرار، وإحياء المقرّبين رؤيةُ المتجلِّي الحقّ بالصور الكونيّة إلى أن تغيب تلك الصور؛ فيزول فرضها وتقديرها ـ وهو معنى خلقها ـ ويظهر فارضها ومقدِّرها، وهو خالقها لنفسه. وقوله (رهبة): أي خوفاً من عقوبة، وهو حال الأبرار، ورهبة المقرّبين من استتار الوجه الإلهيّ عنهم؛ فإنّ ذلك عقوبتهم، كما قال الناظم قدّس الله سرّه فيما سيأتي إن شاء الله تعالى:

عذّب بما شئت غير البعد عنك تجده أوفى محبّ بما يرضيك مبتهج[1]

٢٧١- وَعَمَّرْتُ أَوْقَاتِي بِوِرْدٍ لِوَارِدٍ وَصَمْتٍ لِسَمْتٍ وَاعْتِكَافٍ لِحُرْمَةِ

(وعمّرت): بتشديد الميم. **(أوقاتي)**: جمع وقت، أي: جعلتها عامرة، قال في القاموس: «عَمَرَ اللهُ منزلَكَ عِمارَةً وأَعْمَرَهُ: جعله آهِلاً، وعَمَرَ الرجلُ ماله وبيتَهَ عِمارة وعُمُوراً: لَزِمَهُ». وقوله **(بوِرْدٍ)**: متعلّق بـ **(عَمَّرتُ)**، وهو بكسر الواو: الجزء من القرآن، كذا في القاموس. وقد يُراد منه غير القرآن أيضاً، كالأذكار، والأدعية، والصلوات، والصيام، ونحو ذلك من العبادات. وقوله **(لوَارِدٍ)**: أي لأجل حصوله الواردِ الذي يرد على القلب ـ أي: خاطر العلوم والمعارف الإلهيّة، وجميع ما يرد على قلب العارف الكامل، تجلّيات الحقّ تعالى لا غير. إمّا تجلّيات جلال، أو تجلِّيات جمال بحسب أسمائه الحسنى، وصفاته العليا. ولهذا قال الناظم قدّس الله سرّه فيما تقدّم.

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً قضيت بردّت[2]

ولنا في هذا المعنى قولنا من أبيات:

هو البحر عنه لا يزول كلامنا فعن موجه طوراً عن الماء

(١) انظر البيت رقم (١١) من قصيدة ما بين معترك الأحداق والمهج.

(٢) هو البيت رقم٦٥ من قصيدة: «نعم بالصَّبَا قلبي صَبَا» (التائيّة الصغرى).

وقوله (**وصَمْتٍ**): أي سكوت، وعدم تكلّم. وعند العارف الكامل عدم عدم التكلّم بالنفس، كما قال العفيف التلمساني قدّس الله سرّه في أبيات له:

ولا تنطقوا حتّى تروا نطقها بكم لـوح لكـم مـنكم فـتلكم شـؤونها

وقوله (**لسمت**): بالسين المهملة، قال في القاموس: «السَّمْتُ: هيئة أهل الخير». يعني: لأجل إظهار ذلك بين الناس، وفي نظره بين يدي الله تعالى المتجلّي بصور الناس المقدّرة بتقديره تعالى، الفانية في ظهور وجوده الحقّ. وقوله (**واعتكاف**): وهو الملك في المسجد بقصد عبادة الله تعالى فيه. وقوله (**لحرمتي**): أي لتحصيل الحُرمة، بالضمّ، وهي المهابة. وفي نظر العارف مهابة الله تعالى المتجلّي على الناس الذين هم بقيّة تجلّياته سبحانه على التنزيه التّام.

٢٧٢- وَبِنْتُ عَنِ الأَوْطَانِ هِجْرَانَ قَاطِعٍ مَوَاصَلَةَ الإِخْـوَانِ واخْـتَرْتُ عُزْلَتِـي

(**وبِنْتُ**): أي بعدت. (**عن الأوطان**): جمع وَطَن، محرّكة، ويُسَكَّن: منزل الإقامة، كذا في القاموس، أي: قصدت الاغتراب عن المساكن الأولى التي كنت أسكنها. وفي نظر العارف: لا يراها مساكن، بل تجلّياتها الإلهيّة من اسمه الجامع. وقوله (**هِجران**): مصدر هَجَرَ، قال في القاموس: «هَجَرَهُ هَجْراً، بالفتح، وهِجْراناً، بالكسر، صَرَمَهُ. وـ الشيءَ تَرَكَهُ». وهو منصوب على المصدريّة بقوله بِنْتُ من غير لفظه. وقوله (**قاطع**): مضاف إليه، من قَطَعَ رَحِمَهُ قَطْعاً وقَطِيْعَةً: هجرها وعَقَّهَا، كذا في القاموس. وقوله (**مواصلة**): بالنصب، مفعول قاطع. قال في القاموس: «وَصَلَهُ وَصْلاً وَصِلَةً ووَاصَلَهُ مُوَاصَلَةً ووِصَالاً كلاهما يكونان في عفاف الحبّ ودعارته». و(**الإخوان**)/ [١٥٥/ أ] جمع أخ، وهو من النَّسَب، معروف، والصديق والصاحب، والجمع إخوان، بالكسر والضمّ، كذا في القاموس. وهذا في الظاهر، وعند العارف: إنّما ترك ذلك ليتحقّق بالحقّ في نفسه، فلا تكثر عليه التجلّيات اكتفاء بمظهريّته الجامعة. وقوله (**واخترت عزلتي**): أي اعتزالي عن الكلّ لئلا يتعرّف عليه الحال في نفس الأمر تحقّقاً للمقام الذاتيّ.

٢٧٣- وَدَقَّقْتُ فِكْرِي فِي الحَلَالِ تَوَرُّعَاً   وَرَاعَيْــتُ فِي إِصْــلَاحِ قُــوتِيَ قُــوَّتِي

(ودقّقت): من التدقيق، دَقّ يَدِق دِقَّةً، والدَّقِيق: الأمر الغامض، أي: بالغت جداً في استعمال فكري. وقوله **(في الحلال)**: أي في معرفة الشيء الحلال من الشيء الحرام فيما أنا بصدد استعماله من مأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن، وغير ذلك. وعند العارف هذا التدقيق بالله تعالى ذوقاً، وكشفاً، وتحقّقاً، وعرفاناً. وقوله **(تورّعاً)**: أي على وجه التورّع. والورع التحرّج في الأمور، والاحتياط فيها. والعارف يجد ذلك تجلّياً إلهياً، لا كسباً نفسانياً؛ فإنّ أصحاب النفوس مرهون بأعمالهم الصالحة، فإنّهم الأبرار الصالحون، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [٧٤/ المدثر/ ٣٨]. والنفس الرهينة مقيّدة في الدنيا والآخرة بأعمالها المنسوبة إليها؛ لأنّها كسبها. ثمّ قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [٧٤/ المدثر/ ٣٩] أي: القوّة الإلهيّة، فإنّهم لا يعملون ما يعملونه بأنفسهم؛ بل بربِّهم، فأعمالهم بقوّة ربّهم، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥]. وأجمعت الأمّة على أنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله، وهم المقرّبون، فإنّ نفوسهم مطلقة غير مرهونة، فلها الإطلاق في الدنيا والآخرة وفي البرزخ، فتظهر نفوسهم بعد الموت بالصورة التي تريد، وكذلك في الدنيا، فتتعدّد، والروح المدبِّر واحد، وتتراءى في أماكن شتى، كما يحكى ذلك عن قضيب البان الموصلي وغيره من أهل هذا المقام؛ فالأبرار هم أصحاب الميمنة، أي: النسبة إلى اليمين، والمقرّبون هم أصحاب اليمين، وفرق بين حقيقة الشيء وبين النسبة إليه، كما قال تعالى في الأبرار: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٦] إلى قوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٧-٢٨] وقدّمنا بيان هذا. وقوله **(وراعيت)**: من المراعاة، قال في القاموس: «رَاعَيتُه: لاحَظتُهُ مُحْسِناً إليه، وراعيت الأمرَ: نظرت إلى ما يصير، وراعى أمرَهُ: حَفِظَهُ كرَعَاهُ، والمراد هنا اعتبرت ولاحظتُ». وقوله **(في إصلاح قُوتِي)**: القُوتُ: ما يُقْتَاتُ به، وهو المُسكَةُ من الرزق. وقوله **(قوّتي)**: بتشديد الواو

مفعول راعيت، أي: عملت في كلّ ما أقتات به على حسب قوّتي وقدرتي ومقدار استطاعتي على وجه الإصلاح لأمري في بقاء بُنْيَتِي، وذلك عند العارف تخلّقاً ربانياً، وتجلّياً رحمانياً.

٢٧٤- وَأَنْفَقْتُ مِنْ يُسْرِ القَنَاعَةِ رَاضِيَاً مِنَ العَيْشِ فِي الدُّنْيا بِأَيْسَرِ بُلْغَةِ

(**وأنفقت من يسر القناعة**): أي من غناها؛ فإنّ القناعة كلّها يسر وغنى، قال في القاموس: «اليُسر بالضمّ وبضمّتين، واليسار واليَسارة والمَيْسرة مثلثة السين المهملة: السهولة، والغنى». و(**القناعة**): الرضا بالقسم، وسكون القلب عليه. وقوله (**راضياً**): حال من التاء في أنفقت. وقوله (**من العيش**): متعلّق براضياً. والعيش: مصدر عاش يَعيش عَيْشاً ومَعَاشاً ومَعِيشاً ومَعِيشَة وعِيْشة بالكسر، وعَيْشوشة وهو الحياة. وقوله (**في الدنيا**): أي في هذه الدار المقابلة للآخرة. وقوله (**بأيسر**): أي أقل من اليسير، وهو القليل. وقوله (**بُلْغَةِ**): بضمّ الباء الموحّدة: ما يتبلّغ به من العيش، كذا في القاموس. وهذا حال البَرِّ الصالح كالأحوال التي قبله، يعملها بنفسه. وأمّا العارف فالعامل منه ربّه، وقناعة أحكم التقدير الأزلي الذي لا يقبل الزيادة ولا النقصان، وكذا رضاه بذلك.

٢٧٥- وَهَذَّبْتُ نَفْسِي بِالرِّيَاضَةِ ذَاهِبَاً إِلى كَشْفِ مَا حُجْبُ العَوَائِدِ غَطَّتِ

/[١٥٥/ب] (**وهذّبت**): من التهذيب؛ وهو الإصلاح. وقوله (**نفسي**): أي ما أعبّر عنه بقولي (**أنا**). ولا شك أنّ هذا القول صادر من العبد اتصافاً عن الربّ تعالى تقديراً وإيجاداً؛ فالبرّ الصالح يعتقد نسبة الاتصاف لا غير، فدعواه تهذيب نفسه مجاز لا حقيقة، والعارف الكامل يعتقد التقدير والإيجاد لا غير؛ فدعواه ذلك حقيقة لا مجاز. وقوله (**بالرياضة**): متعلّق بهذّبت. و(**الرياضة**): تعليم النفس الكمال شيئاً فشيئاً. وقوله (**ذاهباً**): حال من فاعل هذّبت، وهو التاء المضمومة. وقوله (**إلى كشف**): أي إظهار. (**ما**): أي أمر عظيم، أو الأمر الذي.

وقوله (**حجب**): جمع حِجاب، وهو الساتر. وقوله (**العوائد**): جمع عائدة، وهي العادة بمعنى الديدن، من العَوْد، وهو الرجوع؛ لأنّ صاحب العادة يرجع إليها المرّة بعد المرّة. وقوله (**غطّت**): بالغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة وكسر التاء للقافية، والأصل غطّته، أي: سترته، فإنّ النفس إذا اعتادت على شيء وانطبعت عليه رجعت إليه في كلّ مرّة؛ فاحتجبت به عن الحقّ على ما هو عليه؛ فحجب العوائد النفسانيّة تغطّي هذا الأمر العظيم عن النفس، فلا تهتدي إليه النفس إلّا بهداية من الله تعالى، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [٧٨/ النبأ/ ١] فقوله (عن النبأ العظيم): بيان لما المحذوفة الألف لدخول حرف الجرّ عليها، وهذا النبأ أي: الخبر العظيم الحقيقة؛ هو الحقّ وكلُّهم فيه مختلفون في الصور، لأنّهم تقاديره العدميّة، ومقاديره الإمكانيّة. وتقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر إذا لا اختلاف لهم في غيره لعموم تجلّيه في كلّ شيء.

٢٧٦- وَجَرَّدْتُ فِي التَّجْرِيْدِ عَزْمِي تَزَهُّدَاً وَآثَــرْتُ فِي نُــسْكِي اسْــتِجَابَةَ دَعْــوَتِي

(**وجرّدت**): أي أفردت، وتجرّد لأمره: جدّ فيه. وقوله (**في التجريد**): أي السلوك؛ وهو مجاهدة النفس في طلب الربّ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٦٩]. وقوله (**عزمي**): مفعول جرَّدتُ، والعزم بالعين المهملة والزاي إرادة الفعل والقطع عليه، والجد في الأمر. وقوله (**تزّهداً**): منصوب على التمييز، وهو تكلّف الزهد، وهي حالة السالك بنفسه، وعند العارف: التأثير بالواسطة من تجلّي اسمه تعالى المقتدر أبلغ من التأثير بلا واسطة من تجلّي الاسم القادر؛ فإنّ زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٢] فإخراجه تعالى بالماء من الثمرات الرزق تأثير بواسطة الماء من تجلّي الاسم المقتدر ونحو ذلك. وقوله (**وآثرت**): بالمدّ، أي: اخترت. وقوله (**في نُسْكِي**): أي عبادتي التي أعبد الله تعالى

بها. (**استجابةَ**): مفعول آثرت. (**دعوتي**): أي أحببت أنْ يستجيب الحقّ تعالى دعوتي في كلّ ما دعوته به، وهذه حالة السالك البرّ الصالح، وعند العارف التجلّي التام بالأسباب العاديّة والأسباب الشرعيّة من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [١٠/ يونس/ ٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ [٤٢/ الشورى/ ٤٧] الآية وهو أكمل الأحوال؛لأنّه حال المقرّب، يدعو من وجه، ويستجيب من وجه، والحقيقة واحدة، وهي لأعمالها واجدة. ثمّ قال: بعدما أتى أحوال السالكين الأبرار من حيث ظاهره لصدّهم ومنعهم عن الطعن والانتقاص على أحوال المقرّبين المحقِّقين الأخيار. وأخبر بأنّه لم يخرج بعد ذلك من حيث باطنه عن أحوال المقرّبين وشهودهم في أنفسهم تجلّي ربِّ العالمين فقال على طريق الاستفهام الإنكاري.

٢٧٧- مَتَى حِلتُ عَنْ قَوْلي أَنا هِيَ أَوْ أَقُل وَحَاشَا لِمِثْلِي إنَّهَا فِيَّ حَلَّتِ

(**متى**): ظرف غير متمكّن لسؤال عن الزمان، متى نصر الله، كذلك في القاموس. وكأنّه جواب عن سؤال مقدّر تقديره: لقد حلتَ عن قولك أنا هي برجوعك إلى أعمال العبادة عادة/ [١٥٦/ أ] وبصيامك رغبة في الثواب، وإحياء ليلك رهبة من العقاب إلى غير ذلك من أحوال السالكين الأبرار، فأجاب بقوله (**متى حِلْتُ**): أي تغيَّرت. يعني: في أي زمان حِلْتُ ورجعتُ عن مقام الاتّحاد. و(**قولي: أنا هي**): لأنّه لا مانع من الجمع بين أحوال الصالحين للسالكين الأبرار بحسب الظاهر وبين أحوال المقرّبين المحقِّقين الأخيار بحسب الباطن، وهي طريقة الأنبياء والمرسلين، وميراث الكمّل من الأولياء المحمّديّين؛ ولهذا قالوا: الكامل من لا يطفئ نور معرفته ونور ورعه. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [٢/ البقرة/ ١٩٩] وهو مقام الأبرار كما ذكرنا. وقال بعده: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وهو مقام المقرّبين يستغفرون الله ممّا عملوا في مقام الأبرار؛ لأنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين. والحاصل: إنّ

المقرّب لا نفس له يعمل بها، ولا يكون عمل بلا نفس. والبرّ له نفس لضرورة العمل؛ ولهذا البَرّ مكلّف بالعمل، لأنّ عمله بكلفة نفسه، أي: مشقّتها. والمقرّب مشرَّف بالعمل، لا به مكلّف، كما قال الشيخ أرسلان قدّس الله سرّه في رسالته: «كن من قبيل المنّة لا من قبيل العمل». وقال: «طريقتنا محبّة لا عمل»؛ فالأبرار يتقرّبون بالأعمال الصالحة إلى الله تعالى، كما ورد في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده ورجله..»[1]. الحديث. والمقرّبون الذين كانوا أبراراً فصاروا مقرّبين يتشرفون بالأعمال الصالحة؛ يعني: يشرّفهم الله تعالى بها، لأنّه العامل لها سبحانه عندهم، لا هم العاملون، لأنّهم لا يقدرون في نظرهم الذي هو محض التحقيق على العمل كما قال تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [٢/البقرة/ ٢٦٤] ذلك لأنّه تعالى كان سمعهم وبصرهم ويدهم ورجلهم، لا على معنى أنّه تعالى عن جوارحهم المذكورة؛ وإنّما معناه المؤثّر بجوارحهم، فهو تعالى عين الصادر منه ما هو صادر من جوارحهم، ولهذا جاء لفظ الحديث بقوله صلّى الله عليه وسلّم : «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به»[2]، أي: لا سمعه الذي لا يسمع به، وهو الجارحة، وكذلك قوله « كنت بصره الذي يبصر به»[2] أي: لا بصره الذي لا يبصر به الذي هو الجارحة، وهكذا ... إلى آخر الحديث. وقوله حتى لمحبّه. وقوله «فإذا أحببته» هو قول الشيخ أرسلان قدّس الله سرّه: «طريقتنا محبّة لا عمل». واعلم أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرسلوا من الله تعالى بالحقّ لإيصال الخلق إلى طريق الأبرار، ثمّ إلى طريق المقرّبين بمعونة الله الملك الجبار، وكذلك نزلت الكتب، وشرّعت الشرائع في جميع الملل الحقّة فإذا

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) انظر تخريجه ص١٤٦.

وصلت الناس إلى مقام الأبرار تهيّؤوا لمقام المقرّبين، وبعض الناس ينقل: من مقام الفجار إلى مقام المقرّبين من غير توسّط الوصول إلى مقام الأبرار، وهو قليل نادر كسحرة فرعون، قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٨] وهم الأبرار ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٩] وهم الفجّار. ثمّ قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾. ثمّ قال تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ١٠-١٤] وهي بضمّ الثاء المثلّثة: الجماعة من الناس من الأوّلين، أي: من أصحاب الميمنة الذين هم الأبرار. وقليل من الآخرين الذين هم أصحاب المشأمة وهم الفجار، وإنّما قلنا بأنّ بعثة الرسل، وإنزال الكتب لأجل الايصال إلى مقام الأبرار، لأنّه تكليف بالأعمال الظاهرة والباطنة، ولا يمكن تحصيل الأعمال وتسميتها أعمالاً لها بالنفوس البشريّة، والدعاوى النفسانيّة، فإذا فنيت النفوس بشهود تجلّيات الحقّ تعالى بها، وكشفت النفوس عن نفسها فتحقّقت بأنّها آثار قدرة الله تعالى، واستحضرت ذلك، وذاقته، زال عنها استقلالها في نفسها مع بقائها موصوفة بما هي موصوفة به من الإرادة الحادثة، والقدرة الحادثة، والعلم الحادث، التي هي أعراض حادثة قائمة بتصريف إرادة الله تعالى وقدرته وعلمه/ [١٥٦/ ب] القديمات الأزليّات، فيبطل حينئذ معنى الإنسان، ويندرج العبد في جملة ملك الله تعالى من حيث ظاهره، وفي جملة ملكوت الله تعالى من حيث باطنه. فلا يُتصوّر حينئذ في حقّه تكليف بالأعمال الشرعيّة في تلك الحالة لعدم وجوده بالاستقلال مع وجود الحقّ تعالى ذي الجلال، ولكنّها حالة لا تدوم في المحقّقين المقرّبين الكاملين من الرجال، وإنّما تعتريهم في أوقات دون أوقات، كما أشار إلى ذلك الشيخ أبو مدين المغربيّ قدّس الله سرّه بقوله من قصيدة له:

فقد رفع التكليف في سُكْرنا عنّا ... فَلِمْ تَلُمِ السكرانَ في حال سكره

ثمّ إذا عاد إدراك العقل، وحصل العبد في مقام الفرق بظهور تفاصيل الفرقان، وانقضى سكر العقل بخمر التجلّي الربّانيّ في مقام الجمع الظاهر فيه إجمال القرآن رجع العبد إلى مقام الأبرار، وكلّف بتكاليف الشرائع والأحكام دائماً في كلّ حال ومقام: متى عقل فَرَق، ومتى غاب جَمَع فاحترق؛ فإنّ الفرقان هو الفرق، مقام الأبرار. والقرآن هو الجمع مقام المقرّبين، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ١] فإنّه لا يكون نذيراً للعالمين إلّا في مقام الفرق، والفرقان هو القرآن، إلّا أنّ القرآن هو الصفة القديمة القائمة بذات الله تعالى، وهو كلام الله القديم الذي ليس بحرف ولا صوت، فلمّا نزل نزل فرقاناً؛ لأنّه مجمل فتفصّل، وكان ذكراً حكيماً، قال تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [٣٨/ ص/ ١] وقال: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ [٣٦/ يس/ ١-٥] إلى آخره؛ فالكلّ قرآن إجمالاً صفة الإلهيّة. ثمّ فرقان مفصلّ تفصيلاً، قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٠٥] فمن دامت له حالة القرب نقص؛ لأنّه زاد عن حدّه فانعكس إلى ضدّه؛ وهو النقص؛ لأنّه ضدّ الكمال، وهم أهل الجذب الدائم، والعقل الهائم لشبههم بالبهائم، ومن كان في الفرق طوراً وفي الجمع طوراً في القرآن والفرقان؛ فهم الورثة المحمّديون، وهو قول الناظم قدّس الله سرّه بأنّه رجع لأعمال العبادة عادة، وكان رجوعه لصدّ الضدّ عن طعنه على الأولياء، فإنّ المجذوبين مطعون فيهم، مذمومون عند الأبرار الصالحين لعدم ذوقهم لأحوالهم، وكان رجوعه للصدّ عن طعن الضدّ ظاهراً، لا لله تعالى؛ لأنّه في التشريف الإلهيّ في تلك الحالة ينتظر المنن عليه من الله تعالى باطناً، ولا ينتظر العمل من نفسه؛ لأنّه لم يخُل عن مقام الاتّحاد المحمود كما قدّمنا بيانه؛ ولهذا قال (**متى حلت عن قولي أنا هي**). ثمّ قال (**أو أقل**): أي أو متى أقل؛ فمتى الثانية المقدّرة اسم شرط جازم يجزم فعلين، الأوّل أقُل، ومقول القول محذوف تقديره إنّني حلتُ عن قولي أنا

هي. والفعل الثاني محذوف، تقديره خرجت عن مقامي، أو هبطت عن رفعتي، ونحو ذلك؛ فالذي يدلّ على تقدير متى الثانية ذكر متى الأولى وإنْ كانت غير جازمة، وهي ظرفيّة استفهاميّة، والذي يدلّ على أنّ متى الثانية المقدّرة جازمة، وهي اسم شرط جزم الفعل بها وهو أَقُلْ. والذي يدلّ على مقول القول المحذوف معنى (**حلّت عن قولي أنا هي**)، والذي يدلّ على جواب الشرط المحذوف، سياقُ الكلام وسباقه ، والله أعلم. وقوله (**وحاشا**): كلمة تبرئة، قال في القاموس: «حاشاك وحاشا لك: بمعنى، وحاشا لله : معاذ الله». وهذا ردّ لما يفهمه الأبرار الصالحون ومن دونهم من مقام المقرّبين الذين يُكَنون عنه مرّة بما يفيد الاتّحاد المذموم شرعاً كقول بعضهم:

رقّ الزجـــاج وراقـــت الخمـــر ... وتـــشابها فتـــشاكـل الأمـــر

فكـــأنّما خمـــر ولا قـــدح ... وكـــأنّما قـــدح ولا خمـــر

ويُكَنُّونَ عنه مرّة بما يفيد الحلول، وحاشاهم من ذلك كقول الآخر:/ [١٥٧/ أ]

عطـس الـصبح في الـدجا فاسـقنيها ... خمـــرة تـــترك الحلـــيم ســـفيها

لـــست أدري مـــن رقّـــة وصـــفاء ... هـــي في كأســـها أمّ الكـــأس فيهـــا

ومقام المقرّبين فيما بينهم معلوم لا يتحاشون فيه؛ لأنّه ليس ممّا تفيده الألفاظ والكلمات على العموم، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٠] (**لمثلي**): أي لمحقّق في الشريعة والحقيقة يماثلني من الرجال أصحاب المقامات والأحوال. وقوله (**إنّها**): أي تلك المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة العليّة. وقوله (**فيّ**): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (**حَلّتِ**): بالحاء المهملة وتشديد اللام وكسر التاء للقافية، من الحلول، يقال: حَلَّ المكان وبالمكان: نزل به؛ فإنّ الحلول والاتّحاد، وكلّ ما تفهمه الأبرار الصالحون ومَنْ دونهم من العباد لا يُتصوَّر إلّا في وجودين مستقلّين: وجود ربّ، ووجود عبد. ووجود خالق ، ووجود مخلوق. كلّ منهما

مستقلّ عن الآخر، بحيث يمكن أنْ يقال: اتّحد أحدهما بالآخر، أو حلّ أحدهما في الآخر. والوجودان أمر مقرر، لا شبهة فيه في عقول الأبرار الصالحين ومَنْ دونهم، وهو بديهي يدركونه، ولا يدركون غيره. وأمّا عند المقرّبين المحقّقين، فهو أمر مستحيل لا يتصوّر في عقولهم ثبوته أصلاً؛ لأنّ الوجود عندهم لا يمكن أن يكون إلّا واحداً، وهو وجود الحقّ تعالى الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. والمخلوقات جميعها أمور مقدّرة، وأشكال مصوّرة بتجلّي أسمائه تعالى الخالق البارئ المصوّر، وكلّ المخلوقات معدومة في أنفسها بعدمها الأصليّ ما شمّت رائحة الوجود أصلاً، ولا يمكن أن تشمّ رائحة الوجود أصلاً فضلاً عن الوجود نفسه، وإنّما هي ظاهرة بظهور وجود الحقّ تعالى، كما قال سبحانه من تجلّي اسمه النور الذي يكشف في العدم عن كلّ مستور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] أي: منوّرهما بنوره. وقال تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩]؛ فالإشراق للأرض والنور لربّها، لا لها، فسُمِّي تعالى نوراً، كما سُمّي وجوداً، كما سُمّي حقّاً، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٥]. وقال: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٠٥]. وهذا كلّه عند المقرّبين المحقّقين أمر واضح لا شبهة فيه أصلاً، فكيف يتصوّر أنّ يتّحد المعدوم بالموجود؟!. أم كيف يمكن أنّ يحلّ موجود في معدوم؟!. وهذا كلّه عند الأبرار الصالحين، ومَن دونهم غير معروف ولا مفهوم. والآيات والأحاديث الدّالة عليه مؤولة مصروفة عن معانيها عندهم، لأنّهم لا يمكنهم الخروج عن مقتضى الثنويّة في الوجود، وإن علموا أنّه تعالى قيّوم على كلّ شيء، وأنّه خلق كلّ شيء فقدّره تقديراً، وأنّه قائم على كلّ نفس بما كسبت، وأنّه على كلّ شيء وكيل، وأنّه بكلّ شيء حفيظ، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه، وأنّ كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربّك، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه

كان»[1] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث والأخبار، فإنّهم يؤولون جميع ذلك ويصرفونه بعقولهم إلى ما هم مجمعون عليه من تعدد الوجود، واشتراكه بين الوجود القديم والوجودات الحادثة، والمحقِّقون منهم يقولون: هو مقول بالتشكيك لعدم تساوي الأفراد فيه، والله أعلم وأحكم.

٢٧٨- وَلَسْتُ عَلَى غَيْبٍ أُحِيْلُكَ لَا وَلَا عَـلَى مُـسْتَحِيْلٍ مُوْجِـبٍ سَـلْبَ حِيلَـةِ

(ولست): أي في قولي بالاتّحاد الحقيقيّ ونفي الحلول. (على غيب): أي أمرغائب عنّي وعنك. (أحيلك): أيها المنكرعليّ فيما أقوله من ذلك الاتّحاد ونفي الحلول. كما يظن الغافل المحجوب بأنّ ذلك أمر موهوم، ويعتقد أنّ الإله الحقّ شيء موجود خارج عن جميع الموجودات، وعن جميع العوالم الظاهرة والباطنة، والحقّ سبحانه يخبر عن نفسه بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ / [١٥٧/ ب] أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [٥٠/ ق/ ١٦] وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٨٤] إلى غير ذلك مما يفيد أنّه قائم على كلّ شيء، ولا شيء إلّا وهو به شيء، وهو بكلّ شيء محيط، وهو على كلّ شيء حفيظ؛ فالمحجوب ما يعبد إلّا إلهاً متوهَّماً مجعولاً بتوهّمه، ويحسب أنّه على عقيدة مطابقة للكتاب والسنّة، وهي إنّما هي مطابقة لتأويله في معاني الكتاب والسنّة. ولكن لمّا كان ذلك مبلغهم من العلم حيث تركوا به عبادة شيء محسوس لهم من كوكب، أو صنم، أو نار، أو أي شيء عبدته الكفّار قبل منهم ما تصوّروه بعقولهم، وتوهّموه بأوهامهم، فكانوا من أهل الجنّة، لا من أهل النار، ونجوا من عقاب الجبّار، ولم يكونوا من أهل الله الواحد القهّار، حتى ورد الحديث النبوي القدسيّ: «ما وسعني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب بدي المؤمن»[2] يعني: ما وسع قلب العبد المؤمن أنْ يكون

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

(٢) انظر تخريجه ص٣٢٤.

الإله المعبود عنده إلّا ذلك الذي تصوّره بعقله، وتخيّله بخياله، وكلّ شيء في السموات والأرض، ما وسع قلب العبد المؤمن أن يكون عنده هو المعبود له، وهذا أحد المعاني للخبر الوارد، ونحن دائماً لا نحصر اللفظ النبويّ كما لا نحصر النظم القرآني في المعنى الذي نذكره لعلمنا بأنّه صلّى الله عليه وسلّم قال: «أوتيت جوامع الكلم»[1] وعلمنا بقوله تعالى عن القرآن: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٩] أو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [٣١/ لقمان/ ٢٧] بل نقبل كلّ معنى وافق الحقّ وطابق الدّين المحمّدي سواء ورد على لساننا أو لسان غيرنا.

وقوله (**لا**): تأكيد للنفي السابق بقوله: لست. وقوله (**ولا**): معطوف على مدخول (**لا**): المقدّر المستفاد مما قبله؛ فإنّ تقديره لا أحيلك على غيب، ولا أحيلك أيضاً على (**مستحيل**): أي أمر تستحيله العقول. وقوله (**موجب**): بالجر وصف المستحيل. وقوله (**سلب**): بالنصب مفعول موجب مضاف إلى (**حيلة**): أي يقتضي نفي حيلة كلّ محتال، وهو معنى المستحيل، فإنّه لا يتصوّر في العقل وجوده، لأنّ هذا الاتّحاد الذي يريده أمر واقع حاضر يعترف به كلّ من يدركه ويعرفه، ولا يخفى على أحد إلّا على المنكر المحجوب الذي أخذ عقيدته من نظر عقله، وتصوّر خياله، وإلّا فكلّ من قلّد معاني الكتاب والسّنة من دون تأويل ولا تحريف، وصدق في عبوديّته وصل إليه، ولم يحتج إلى الأنظار العقليّة ولا القياسات الوهميّة، وهو ليس بأمر مستحيل؛ إذ لا يلزم منه نقص، ولا تشبيه، ولا تعطيل في جناب الله تعالى عند العارف المحقّق دون الجاهل الغبي الذي يظنّ في الله الظنونا.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: مسند أبي هريرة، ٧٦٠٨، وللحديث طرق كثيرة.

٢٧٩- وَكَيْفَ وِبِاسْمِ الحَقِّ ظَلَّ تَخَلُّقِي تَكُـوْنُ أَرَاجِيْـفُ الـضَّلَالِ مُخِيْفَتِـي

(**وكيف**): الواو للاستئناف. و(**كيف**): اسم استفهام مبني على الفتح. (**وباسم**): الواو للحال. (**واسم الحقّ**): أي وصف الحقّ، ضدّ الباطل من قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [٢٤/ النور/ ٢٥] قال في القاموس: «الحقّ من أسمائه تعالى، أو من صفاته وضدّ الباطل». وقوله (**ظلّ**): بفتح الظاء المعجمة، أي: دام. وقوله (**تخلّقي**) اسم ظلّ، وخبرها قوله (**باسم الحقّ**): قدّم للحصر. والتخلّق: تكلّف الخلق بالضمّ وبضمّتين: الطبع، والخليقة الطبيعيّة، والخلق أيضاً الدين؛ والمعنى: دام تطبعي وتديني باسم الحقّ تعالى، أي: والحال أنّي متحقّق باسم الحقّ، أي: مكشوف لي اسمه تعالى في كلّ ما عداه من الكائنات المختلفة ملكاً وملكوتاً؛ فإنّها كلّها بالنسبة إليه تعالى باطلة، ولا حقّ إلّا هو سبحانه، كما قال صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه مسلم في صحيحه: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[1] وذلك تحقّقه في نفسه، وفي غيره بالوجود الحقيقيّ الواحد الأحد، القائم بنفسه، المقوّم لغيره، الذي لا وجود سواه، ولا وجود لشيء إلّا به فهو الموجد للأشياء، أي: لكلّ ما شاءه وأراده، وهو موجود الأشياء كما قال الشيخ الجيليّ قدّس الله سرّه في قصيدته:/ [١٥٨/ أ] العينيّة:

هـو المُوجـد الأشـياء وهـو وجودهـا وعين ذوات الكلّ وهـو الجوامع

فقوله (**هو الموجد الأشياء**): متّفق عليه عند العموم. وقوله (**وهو وجودها**): أي الأشياء، مختلف فيه بين المقرّبين المحقّقين، وبين الأبرار الصالحين ومَنْ دونهم من العالمين بناء على أنّ الوجود المحض الخالي عن الصور والمقادير والأشكال والتصاوير الذي[2] به الأشياء موجودة في الحسّ والعقل من المحسوسات والمعقولات هل هو عرض حادث مخلوق كما هو في نظر الأبرار ومَنْ دونهم من جميع العوالم، أو هو ليس

---

(١) انظر تخريجه ص٤٠٣.

(٢) ورد على حاشية المخطوط قول الناسخ: «بلغ» أي بلغ مقابلة على نسخة الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ رحمه الله تعالى.

بعرض قديم قائم بنفسه، مقرر لغيره كما هو في نظر المقرّبين المحقّقين، وبينهم خلاف آخر بأنّ هذا الوجود المذكور هل هو صفة للأشياء الموجودة وتابع لها يتحقّق بظهورها، ويذهب بذهابها كما هو عند الأبرار ومَنْ دونهم من جميع العوالم. أو هو ليس بصفة للأشياء الموجودة، ولا تابع لها؛ وإنّما الأشياء صفات له من جميع الصور والمقادير والأشكال والتصاوير المحسوسات والمغفولات عند المقرّبين المحقّقين على معنى أن جميع الأشياء المذكورة صفاته في نظرها باعتبار إدراكها فقط، لا في نفس الأمر، وأمّا عندها في نفس الأمر فمن المحال البيِّن أنْ يتّصف الوجود المحض بما هو عدم محض، وإنّما الوجود المحض على ما هو عليه من إطلاقه الأصليّ عن التقيّد بها، وجميع الأشياء على ما هي عليه أيضاً من أنّها حدود، ومقادير، وأشكال، وتصاوير، معدومة بعدمها الأصليّ؛ لا شمّت رائحة الوجود، ولا تشمّ رائحة الوجود أصلاً، ولا يمكن ذلك؛ فإنّه مستحيل عندهم، كما أنّ الوجود يستحيل عندهم أنْ يتقيّد بشيء منها؛ فيتغيّر عن تنزُّهه عنها، وتقدُّسه عن الاتّصاف بقيد منها، فلا يتقيّد عندهم أصلاً بصورة، ولا شكل في الحسّ أو العقل، ولا يتقيّد أيضاً بمكان ولا زمان، ولا يحلّ في شيء من ذلك، ولا يتّحد به، ولا ينحلّ منه، ولا ينحل شيء من ذلك منه؛ بل عندهم الوجود على ما هو عليه وجود محض أزلاً وأبداً، وجميع الأشياء المحسوسات والمعقولات على ما هي عليه أيضاً من عدمها الأصليّ عدم محض أزلاً وأبداً.

وأما ظهور الأشياء المحسوسات والمعقولات موجودة في الحسّ، وفي العقل محسوسات موجودة ومعقولات؛ فإنّ ذلك عندهم تجلِّي الوجود المحض، وانكشافه، وظهوره لتلك الأشياء المحسوسة والمعقولة. وتلك الأشياء على ما هي عليه من عدمها الأصليّ، فمن كان له تقدير معرفة في أصل تقديره، في عدمه الأصليّ القديم، المكشوف عنه بالعلم القديم الذي هو علم الوجود المحض، ظهر ذلك بتجلٍّ وانكشاف وظهور الوجود المحض من جملة تقدير صورة ذلك العارف، وجملة أحواله، ومن لم يكن له تقدير معرفة كما ذكرنا؛ بل كان له تقدير جحود وإنكار، أو حيرة وتشكيك واندهاش ظهر كذلك.

والوجود المحض عندهم المنزّه المقدّس عن جميع الصور والأشكال المحسوسة والمعقولة هو عين الذات الإلهيّة من حيث هو في نفسه. وأيضاً هو عين صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه التي هي كلّها قديمة، أزليّة، أبديّة من حيث تجلّيه، وانكشافه، وظهوره؛ فحياته عين ذاته، وكذلك علمه، وإرادته، وقدرته، وكلامه، وسمعه، وبصره، وبقية صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه، فإذا علم كان هو عين علمه؛ ولهذا نقول: إنّ علمه ليس بتصوّر، ولا تصديق؛ لأنّ جميع التصوّرات والتصديقات أمور معدومة في أنفسها، فلا تكون صفات له، ولا لعلمه. ولا يتصوّر ذلك، ولا يمكن بالنسبة إليه.

وأمّا بالنسبة إلينا لأنّا نحن من جملة تلك التصوّرات والتصديقات المعلومة له، فنحن كلّنا تصوّراته وتصديقاته على حسب ما هو ظاهر عندنا، كما قال تعالى لنا في كلامه المنزل بحروفنا وكلماتنا ومعانينا: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢٣] وهو النطق النفسانيّ لنا، كما يقال: الإنسان حيوان ناطق، ونطقنا هو ما في نفوسنا/ [١٥٨/ ب] من الكلام والمعاني المتخيّلة لنا بقوّة خيالنا فيما نريد. أو هو النطق اللفظيّ اللسانيّ بالمادّة الهوائيّة، فإنّ ذلك مثال ضربه الله تعالى لنا في أنفسنا لنعرف به قيام الحوادث بالوجود الحقّ، المحض تعالى. وكذلك إذا أراد وشاء كان هو عين إرادته ومشيئته، وإذا قدر كذلك. وإذا تكلّم كذلك؛ فهو عين كلامه؛ ولهذا نقول بأنّ كلامه النفسيّ ليس من جنس الحروف والأصوات، لأنّه عين الوجود المحض كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ ـ أي الله تعالى ـ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ والقرآن كلام الله تعالى، وقوله: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وهو نزوله فرقاناً، فإنّ الفرقان هو القرآن، إلّا أنّ القرآن جمع، لأنّه إجمال. والفرقان فرق لأنّه تفصيل ذلك الإجمال.

والذي في اللوح المحفوظ هو عين ما كان، وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة ممّا هو مكشوف للعلم القديم، ومراد بالإرادة القديمة، ومقدور عليه

بالقدرة القديمة، وهو معدوم في نفسه بالنسبة إليه تعالى من كلّ محسوس ومعقول. ولو ذهبنا نفصّل هذا المبحث لما وسعته بطون القراطيس، والله أعلم واحكم.

وقوله (**تكون أراجيف**): جمع أرجاف، قال في الصحاح: «والأرجاف واحد أراجيف: الأخبار، وقد أرجفوا في الشيء، أي: خاضوا فيه». وقال في المصباح: «وأرجَف القومُ في الشيء وبه إرجافاً: أكثروا من الأخبار السيئة، واختلاق الأقوال الكاذبة حتى تضطرب الناس منها، وعليه وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٦٠] وقال في القاموس: «أرجف القوم خاضوا في أخبار الفتن ونحوها». والمراد بالأراجيف الأخبار التي تنتجها عقول أهل الجهل والحجاب في حقّ الوجود الحقّ سبحانه، من اختلافهم فيما ينبغي أنْ يكون عليه تعالى عندهم، فإنّهم ناظرون إليه بعقولهم وبصائرهم، وهو ظاهر لهم بحسب قوى عقولهم وبصائرهم التي هم ناظرون بها إليه سبحانه، ولهذا اختلف ظهوره عندهم على مقدار ما اختلفت عقولهم وبصائرهم من القوّة والضعف؛ فكلٌّ نظر بعقله وبصيرته فقال قولاً يخالف فيه الآخر.

وأمّا المقرّبون المحقّقون من أهل الله تعالى فإنّهم ما نظروا إليه تعالى بعقولهم وبصائرهم، وإنّما نظروا إليه سبحانه به سبحانه؛ وتوجّهوا إلى معرفته بقوّته، وقدرته، وإرادته التي هم قائمون بها، وهو متصرّف بها في ظواهرهم وبواطنهم؛ فانكشف لهم الأمر الإلهيّ على ما هو عليه، وظهر عندهم الوجود الحقّ تعالى على ما هو عليه في أزله وأبده، وكان عندهم العجز عن معرفته عين معرفته مع كمال ظهوره لهم في كلّ شيء محسوس ومعقول ولا شيء معه كما قدّمناه. ثمّ أضاف قدّس الله سرّه الأراجيف إلى الضلال بقوله (**أراجيف الضلال**) لأنّ الأراجيف المذكورة كلّها ضلال عن طريق الحقّ، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [١٠/ يونس/ ٣٢].

وقوله (**مخيفتي**): أي بحيث أخاف منها أن تكون حقّاً فيدركني الإثم والخطأ في الدنيا، والنكال والعقوبة في الآخرة؛ فإنّ أهل اليقين قلوبهم ساكنة على الحقّ لا

اضطراب لها فيه، وبصائرهم مملوءة من أنوار الحقّ، فلا فراغ فيها لظلمة من ظلمات الأوهام، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [٦٤/ التغابن/ ١١] وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٢٢].

٢٨٠- وَهَا دِحْيَةٌ وَافَى الأَمِيْنُ نَبِيَّنَا بِصُوْرَتِهِ فِي بَدْءِ وَحْيِ النُّبُوَّةِ

هذا شروع في مثال ظهور الوجود الحقّ وتجلّيه بصور الأكوان، وأشكال المخلوقات كلّها المحسوسة والمعقولة من غير الاتّحاد والحلول المشهود فسادهما عند المحجوبين، وإنّما هو بمعنى الاتّحاد الذي يشير إليه الناظم ـ قدّس الله سرّه ـ فيما سبق من كلامه، وفيما سيأتي، على معنى: أنّ الوجود واحد وهو الوجود الحقّ الحقيقيّ لا سواه/ [١٥٩/ أ] وإنّما هو الظاهر في كلّ شيء؛ لأنّه المُقدِّر، المُصوِّر كلّ شيء، فهو الظاهر بصورة كلّ شيء، وما هو كلّ شيء؛ لأنّ كلّ شيء هالك، فانٍ، مضمحلّ، معدوم بالعدم الأصلي الذي هو فيه قبل ظهوره بالوجود الحقّ، فقال قدّس الله سرّه (وها) الواو للاستئناف. و(ها): كلمة تنبيه، يعني: تنبَّه أيها السالك لما أذكره لك، ولا تغفل عنه.

وقوله (دِحية): بكسر الدّال المهملة وسكون الحاء المهملة والياء المثنّاة التحتيّة، وهو في الأصل رئيس الجند. والمراد به هنا إنسان مخصوص، وهو: دحية بن خليفة الكلبيّ، وتُفتح الدال منه أيضاً، كذا في القاموس. وقال العيني في شرح البخاري: «دَحية بفتح الدال المهملة وكسرها، ابن خليفة بن فرّة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخَزْرَج، بخاء معجمة مفتوحة ثمّ زاي ساكنة ثمّ راء مهملة، ثمّ جيم، وهو: العظيم، واسمه زيد مناة ـ سُمِّي بذلك لعظم بطنه ـ ابن عامر بن بكر الأكبر بن عوف، وهو زيد اللات»[1]... إلى آخر ما ذكره من نسبه إلى معدّ بن عدنان. وقيل إنما هو ابن مالك بن حِمْيَر بن ساذان، كان من أجمل الصحابة وجهاً، ومن كبارهم رضي الله عنهم.

---

(١) انظر عمدة القاريّ في شرح صحيح البخاريّ لبدر الدين العينيّ، باب: بدء الوحي، ج١ ص٢١٣.

وكان جبريل عليه السلام يأتي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في صورته، وذكر السهلي عن ابن سلّام رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [٦٢/الجمعة/ ١١] قال: كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله. وروي أنّه كان إذا قدم من الشام لم تبق مُعْصِر[1] إلّا خرجت تنظر إليه، قال ابن سعد: «أسلم قديماً ولم يشهد بدراً، وشهد المشاهد بعدها، وبقي إلى خلافة معاوية رضي الله عنه». وقال غيره: شهد اليرموك، وسكن المِزّة بقرب دمشق. ومِزّة بكسر الميم وتشديد الزاي المعجمة، وليس في الصحابة من اسمه دحية سواه.

وقوله (**وافى**): أي أتى، قال في المصباح: «وافيته موافاة أتيته». وقوله (**الأمينُ**): بالرفع. فاعل وافى. و(**الأمينُ**): هو جبريل عليه السلام، الأمينُ على وحي الله تعالى بينه وبين الأنبياء عليهم السلام. وقوله (**نبينا**): بالنصب، مفعول وافى، وهو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**بصورته**): متعلّق بـ(وافى). والضمير يرجع إلى دحية، أي: بصورة دحية المذكور، كما تصوّر لمريم في صورة البشر السويّ، قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [١٩/ مريم/ ١٧] الآية.

وقوله (**في بَدْء**): بفتح الباء الموحّدة وسكون الدال المهملة: مصدر بَدَأْتُ الشيءَ وبالشيءِ، أَبْدَأ بَدْءاً وابْتَدَأْت به: قدّمتُه، كذا في المصباح. وقوله (**وحي**) هو الإشارة والكتاب. وكلُّ ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه: وحيٌ، كيف كان، وهو مصدر الرسالة، وَحَى إليه يَحِي من باب وَعَد، وأوحيت إليه ـ بالألف ـ مثلُه، وبعض العرب تقول: وحيتُ إليه ووحيتُ له، وأَوحيتُ إليه وله. ثمّ غلب استعمال الوحي فيما يلقى إلى الأنبياء عليهم السلام من عند الله تعالى. ولغة القرآن الفاشية أوحى بالألف، كذا في المصباح.

ومعنى النبوّة من النبَأ، مهموز: الخَبَر، والنبيّءُ على فعيل، مهموز؛ لأنّه أَنْبَأَ عن الله تعالى، أي: أخبر. والإبدال والإدغام لغة فاشية. وقُرِئَ بهما في السبع، كما في

(١) الـمُعْصِر: المرأة رأت في نفسها زيادة الشباب، انظر العين للخليل، باب: العين والصاد والراء معهما.

المصباح أيضاً. وقال في القاموس: «والنبيّ ُ: المُخْبِرُ عن الله تعالى. وترك الهمز المختار. والاسم النُبُوءَةُ، وتَنَبَّأ: ادّعاها».

٢٨١- أجِبْرِيْلُ قُلْ لِي كَان دِحْيَةَ إذْ بَدَا لِــمُهْدِي الهُــدَى فِي صُــوْرَةٍ بَــشَرِيَّةِ[1]

(**أجبريل**): بهمزة الاستفهام، أي: هل جبريل. (**قل**) فعل أمر من القول. وقوله (**لي**): متعلّق بقل. وقوله (**كان**): أي جبريل ودِحْيَةَ بالنصب، خبر كان. وقوله (**إذ بدا**): أي حين بدأ، أي: ظهر. وقوله (**لمهدي**): متعلّق ببدأ، أي: موصل إلى الأمَّة. (**الهُدى**): بالضم ضدّ الضلال؛ وهو نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلّم. وقوله (**في صورة**): متعلّق ببدأ أيضاً.

وقوله (**بشريّة**): وصف لصورة منسوبة إلى البشر، وأصله من البِشر، وأصله من البَشَرَة؛ وهي ظاهر الجلد. والجمع البَشَر، مثل: قصبة وقصب. ثمّ أُطلق على الإنسان؛ واحده وجمعه، لكن العرب ثَنَّوْهُ ولم يجمعوه. وفي التنزيل: ﴿فَقَالُوٓاْ / [١٥٩/ ب] أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ [٢٣/المؤمنون/٤٧] كذا في المصباح. والمعنى: هل كان جبريل حين ظهر للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولغيره من الصحابة رضي الله عنهم في صورة دحية الكلبي، وهي صورة بشريّة، هو دحية الكلبي بعينه حتى يكون متّحداً به، ويصلح للاتحاد بين الحقيقتين، والاتّحاد بين الحقيقتين بأنّ تصير أحدهما عين الأخرى أمر باطل يحيله العقل عند الكلّ؛ وإنّما استحال الاتّحاد بهذا المعنى بين الربّ تعالى وبين العبد بناء على ما عند الأبرار الصالحين، ومَنْ دونهم من طبقات الناس من أنّ الربّ سبحانه حقيقة مستقلّة لكنّها قديمة أزليّة، والعبد كذلك حقيقة مستقلّة لكنها حادثة مخلوقة، خلقتها الحقيقة الأولى، حقيقة الربّ تعالى باستيلاء صفاتها وأسمائها عليها.

وكلا الحقيقتين مستقلّتان بأنفسهما، موجودتان بوجودين: قديم وهو وجود

---

(١) انظر الروض الآنف للسهلي، ج١ ص٤٠.

الربّ، ووجود حادث وهو وجود العبد. وهذا المعنى المفهوم في عقول الأبرار الصالحين ومَنْ دونهم **خطأ فاحش، وأمر باطل مستحيل أن يكون عند المقرّبين المحقّقين**؛ لأن الوجود لو كان منه نوع حادث لكان متولِّداً من الوجود القديم، أو منقسماً منه، أو منحلاً عنه. وهذا كلّه مستحيل عقلاً وشرعاً، قال تعالى: ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٥٢] وقال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [١١٢/ الإخلاص/ ٣] ولوكان من الوجود نوع حادث لكان كفواً له تعالى، أي: مكافئاً، بمعنى: مماثل؛ وهو باطل؛ وإنّما الوجود كلّه قديم، وليس هناك وجود حادث أصلاً، وإنّما **الحوادث كلّها أشكال وتماثيل وتصاوير مقدّرة مصوّرة من المحسوسات ومن المعقولات**، صوَّرها وقدَّرها ذلك الوجود الواحد الأحد في نفسه لنفسه، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] وقال تعالى : ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وجبريل عليه السلام لّما كان يأتي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في صورة دحية الكلبيّ ما كان يكون هو عين دحية، ولا كان يحلّ في صورة دحية، وإنّما كان يقدِّر في نفسه، ويصوّر فيها لنفسه صورة دحية، ويعطيها وجوده بتوجهه عليها، فتظهر منه صورة دحية بحيث يراها الناظرون؛ فيقولون: هذا هو دحية، وفي نفس الأمر إنّ الذي رأوه مجرّد صورة مقدّرة صوَّرها جبريل بقوّة خياله، وإذا شاء أذهبها ومحاها، وجبريل على ما هو عليه لم يتغير عمّا هو عليه من خلقته الملكيّة بتصويره هذه الصورة البشريّة. وهكذا ظهوره في صورة الأعرابي ونحو ذلك. وكذلك الوجود الحقّ تعالى الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؛ هو واحد في ذاته، وواحد في أسمائه وصفاته؛ لأنّها عين ذاته، لم ينقسم سبحانه، ولا تجزّأ ولا تبعَّض، ولم يلد ولم يولد، ولكنه تعالى قدّر في نفسه لنفسه أزلاً وأبداً مقادير، وصوّر تصاوير من اسمه الخالق البارئ المصوّر، فليس شيء من الحوادث أصلاً له وجود مستقل معه تعالى؛ وإنّما الوجود كلّه حقيقة واحدة ظاهرة بالتجلّي في كلّ صورة هو

مصوّرها، وليس لكلّ صورة هو مصوّرها وجود مستقلّ غير وجوده تعالى الواحد الأحد؛ **فمعنى الاتّحاد** عند الناظم قدّس الله سرّه: أنّ جميع صور الكائنات معدومة في نفس الأمر، وإنّما وجودها الظاهر بها والظاهرة هي به وجود واحد، لا ينقسم، ولا يتبعّض، ولا يتّحد بشيء؛ لأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه في حدّ ذاته، لأنّه عدم صرف؛ فالكلّ كناية عن ذلك الوجود الواحد، ظاهر في شؤونه الكثيرة المختلفة، وهذا الاتّحاد الذي يشير إليه الناظم قدّس الله روحه ليس باتّحاد في حقيقة معناه وإنْ سمّاه اتّحاداً، وإنّما هو أمر واحد متوجّه على خلق كثير وتقادير مختلفة، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] فالأمر واحد، والخلق كثير، والخلق قائم بالأمر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ / [١٦٠/ أ] وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥].

وصورة دحية التي يأتي بها جبريل إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم صورة فانية في نفسها ظهرت بوجود جبريل، أو ظهر جبريل بها وبحكمها، فهي قائمة بقوّة قدرة جبريل، وقوّة تصويره لها. ويقدر جبريل في الآن الواحد على أن يظهر بصور كثيرة مختلفة متعددة، وهي كلّها جبريل نفسه لا تعدد في نفسه، ولا تكثُّر ولا تغيّر عمّا هو عليه. ولا حلَّ في غير ذاته، ولا اتّحد بغير ذاته، والله بكلّ شيء عليم.

٢٨٢- وَفِي عِلْمِهِ عَنْ حَاضِرِيْهِ مَزِيَّةٌ بِمَاهِيَّةِ الْمَرْئِيِّ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ

(وفي علمه): أي علم مُهدي الهدى، وهو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله **(عن حاضريه)**: أي الحاضرين عنده من الصحابة رضي الله عنهم. وقوله **(مزيّة)**: مبتدأ مؤخّر. والخبر المجرور المقدّم. أو فاعل للجار والمجرور عند من لم يشترط الاعتماد. والمعنى: إنّ في علم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مزيّة عظيمة؛ لأنّ تنكيرها للتعظيم فمعظم الحاضرين من الصحابة عليهم الرضوان. و**(المزيّة)**: بالزاي والياء التحتيّة المشدّدة: الفضيلة. وقوله **(بماهيّة)**: متعلّق بعلمه؛ لأنّه مصدر، و: ما به

الشيء هو هو، وهي ذات الشيء. وكأنّها منسوبة بياء النسبة إلى السؤال بـ: ما هي.

وقوله (**المرئي**): بصيغة اسم المفعول، وهو الظاهر بصورة دحية الكلبيّ. وماهيّته: ذاته التي بها هُوَ هُوَ، وهي جبريل عليه السلام، ففي علم النبيّ عليه السلام مزيّة بماهيّة جبريل عليه السلام عن علم الحاضرين لديه (**من غير مِرْيَة**): قال في القاموس: «المِريَة بالكسر والضمّ: الشكّ، والجَدَل، وماراه مماراة ومِراءً، وامْتَرَى فيه، وتَمَارَى: شكّ».

٢٨٣- يَرَى مَلَكاً يُوحِي إِلَيْهِ وَغَيْرُهُ يَرَى رَجُلاً يُدْعَى[1] لَدَيْهِ بِصُحْبَةِ

(**يرى**): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذلك الظاهر في صورة دحية الكلبيّ مَلَكاً بفتح اللام واحد الملائكة، وهو جبريل عليه السلام. وقوله (**يوحي**): أي ذلك المَلَك الذي هو جبريل عليه السلام. (**إليه**): أي إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم عن أمر الله تعالى بالشرائع والأحكام. ولا يلتبس عليه المَلَك بالبشر الظاهر في غير صورته التي خُلق عليها، كما لا يلتبس على الإنسان الشمع إذا صوّرته بصورة إنسان لكمال عقله ومعرفته، ويعلم أنّ الذي يراه شمع خالص كلّه. وصورة الإنسان التي يراها مجرد تصوير صورة لا حقيقة لها غير الشمع الذي يعرفه ويراه بعين التحقيق واليقين بلا شبهة عنده في ذلك. وليست تلك الصورة قيداً في مطلقيّة الشمع؛ بل هي فعل من أفعاله إنْ فرضنا أنّه يوصف بالفعل، وانفعال من انفعالاته، وهوعلى ما هوعليه في نفسه ظاهراً وباطناً. وقوله (**وغيره**): أي غير النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الحاضرين لديه من الصحابة رضي الله عنهم، يرى رجلاً، أي: إنساناً من بني آدم. (**يُدعى**): بضمّ الياءالتحتيّة، فعل مضارع مبني للمفعول. (**لديه**): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (**بصحبة**): أي يقال له صحابيّ؛ وهو دحية الكلبيّ، يعرفه ويتحقّقه بلا شبهة عنده في ذلك،

(١) في (ق): يُرْعى.

ويلتبس عليه المَلَك بالبَشر، كما أنّ القاصر الادراك إذا رأى الشمع مصوّراً بصورة إنسان من بعيد يقطع بأنّه إنسان، ويلتبس عليه الشمع بالإنسان خصوصاً وهو لا يعرف المَلَك، ولا يعرف جبريل الذي يوحي إلى الأنبياء عليهم السلام؛ لأنّه ليس بنبيّ، ولا يعرف كيف يتصوّر المَلَك بالصورة التي يريدها من غير أنّ يتغيّر عن حقيقته التي هو عليها. وكذلك هي هذه القضية الإلهيّة التي يتصور فيها الوجود الحقّ المطلق في ذاته عن جميع الصور، والأشكال، والحدود، والمقادير، المحسوسة، والمعقولة أزلاً وأبداً بالصور العدميّة المعلومة في علمه إذا صوّر صورة، أو صوراً كثيرة من اسمه الخالق، أي: المقدِّر البارئ، أي: المنشئ المصوّر، إذا قدّر صورة، وأنشأها، وصوّرها، أو صوراً كثيرة في وقت واحد من العدم المحض، وأمسكها بقدرته وإرادته، وهي في نفسها عدم لا يلزم أنّ يتغيّر بسبب تصويره/ [١٦٠/ ب] لها وتقديره عمّا هو عليه في نفسه. ولا يلزم أنْ يتّحد بها بحيث يصير هو عين تلك الصورة، أو الصور التي صوّرها في نفسه، وأمسكها بقدرته وإرادته زماناً أو أزمنة متعدّدة وإنْ كان هو عين الممسك لها، المتصرّف بها بما يريد ويختار على معنى الاتّحاد الذي يشير إليه الناظم قدّس الله سرّه؛ فإنّه تعالى القيّوم عليها من قوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٦] أي كلّها تصاويره وتقاديره، وهو الممسك لها بقدرته وإرادته من غير أن يتغيّر عمّا هو عليه من إطلاقه الحقيقيّ.

وقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في فتوحاته المكيّة من هذا المعنى الذي ذكرناه: ليس للحقّ تعالى صورة وله الصور كلّها، ولا يلزم أيضاً أنْ يحلّ تعالى في شيء من الصور التي يصوِّرها من العدم المحض كما ذكرنا؛ لأنّ الحلول لا يكون إلّا بين حقيقتين مستقلّتين. وهنا لا يتصوّر أن يكون حقيقتان مستقلّتان أصلاً،

وإنّما الحقيقة واحدة وهي الوجود المطلق، وما عداها من كلّ شيء محسوس أو معقول صور عدميّة تصوّرها تلك الحقيقة الواحدة في نفسها لنفسها وتظهر بها لها، ولنفسها، وهي على ما هي عليه لم تتغيّر عن إطلاقها الحقيقيّ.

إنّ الصور كلّها على ما هي عليه أيضاً من عدمها الأصلي، ولم يصر شيء منها موجوداً في نفس الأمر أصلاً، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١٣] الآية. وهالك وفانٍ يعني في الحال. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما هو عليه كان»[1] فأين الحلول الذي عقده محلول؟!. وأين الاتّحاد الذي هو إلحاد والله بصير بالعباد.

٢٨٤- وَلِي مِنْ أَتَمِّ[2] الرُّؤْيَتَيْنِ إِشَارَةٌ تُنَزِّهُ عَنْ رَأْيِ الحُلُولِ عَقِيدَتِي

(ولي من أتمّ): أي أكثر تماماً، وفي نسخة (أصح) أي أكثر صحّة. وقوله (الرؤيتين): أي رؤية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم للظاهر بصورة البشر الذي هو جبريل عليه السلام ظهر في صورة دحية الكلبيّ. **والرؤية الأخرى** رؤية غيره صلّى الله عليه وسلّم، وهي رؤية الحاضرين من الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يرون رجلاً صحابيّاً هو دحية الكلبيّ رضي الله عنه، ولا يخطر في بالهم أنّه جبريل عليه السلام تصوّر في صورة بشر.

ومعلوم عند الكلّ أنّ أتمّ الرؤيتين، وأصحّهما رؤية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لعدم الالتباس عليه فيها. ورؤية غيره من الصحابة وإنْ كان فيها الالتباس عليهم؛ فإنها توفية للرؤية البشريّة حقّها، فإنّ البشر من حيث هو بشر يحكم على ما يرى بصورة ما يرى؛ ففيها تمام وصحّة أيضاً. لكن الرؤية التي لا التباس فيها أتمّ وأصحّ كما لا يخفى.

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

(٢) في (ق): أصحّ.

وقوله (إشارة): أي معنى مفهوم يرشد إلى ما أراده. ثمّ بيّن تلك الإشارة بقوله (تنزّه): أي تلك الإشارة المذكورة من التنزيه، وهو التبعيد، والتقدير، والتطهير.

وقوله (عن رأي): أي نظر (الحلول): أي حلول الوجود الحقّ المطلق في شيء من الصورالتي يصوِّرها بتجلِّي اسمه المصوّر. وقوله (عقيدتي): مفعول تنزّه، أي: اعتقادي كما يقوله المنكرون على الناظم قدّس الله سرّه، ويتّهمونه به بفهم القاصرفي معاني كلامه رضي الله، ويلتبس عليهم التجلّي والظهور والانكشاف بالحلول والاتّحاد، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] الآية. والمحجوب الغافل يتعب في إيمانه بذلك، ويذهب كل مذهب من التأويل، ولا يقدر أن يجحد كون ذلك حقّاً؛ لأنّه إخبار الله تعالى عن نفسه ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [٤/ نساء/ ١٢٢] وحاشا كلام الله تعالى أنْ يكون فيه معنى حلول أو/ [١٦١/ أ] اتحاد على حسب المعنى الذي يفهمه المنكر المحجوب المبني على ثنوية الوجود الحقّ المطلوب.

٢٨٥- وَفِي الذِّكْرِ ذِكْرُ اللَّبْسِ لَيْسَ بِمُنْكِرِ وَلَـمْ أعْـدُ عَـنْ حُكْمَـيْ كِتَـابٍ وَسُنَّةِ

(وفي الذكر): أي القرآن العظيم. وقوله (ذكر اللبس): أي إيراده، وأصله كما قال في القاموس: «الذِكْر، بالكسر: الشيء يجري على اللسان». و(اللبس): من لَبَسَ عليه الأمرَ يَلْبِسُهُ: خَلَطَهُ، وأَلْبَسَهُ: غَطَّاهُ، وأمرٌ مُلْبِس: مُشْتَبِه. والتَلْبِيْسُ: التَخْلِيْط والتَدْلِيْس». وذلك كذكر ظهور جبريل عليه السلام في لباس البشر، كما قال تعالى في حقّ مريم، عليهما السلام: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [١٩/ مريم/ ١٧-١٩] وكذلك ظهور الوجود الحقّ تعالى في صورة من صور المخلوقات كظهوره لموسى عليه السلام في صورة النار، وفي صورة

الشجرة، كما قال تعالى خطاباً للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [٢٠/ طه/ ٩-١٤] وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢٨/ القصص/ ٣٠].

وقوله (ليس بمنكِرِ): يعني كلّ مَنْ يؤمن بالقرآن يؤمن بذلك بلا شبهة ولا توقّف. والمنكر لذلك كافر لإنكاره نص القرآن. وقوله (ولم أَعْدُ): أي لم أتجاوز، قال في القاموس: «عَدَا عنه: جاوزه وتركه كتَعَدَّاهُ». وقوله (عن حُكْمَيْ): بياء التثنية، وأصله حكمين، بالنون، فحذفت النون للإضافة إلى شيئين. (كتابٍ): وهو القرآن العظيم، فإنّه حاكم بظهور الحقّ تعالى في صورة النار وصورة الشجرة، على معنى أنّه تعالى مصوّرهما باسمه المصوّر، وممسك لتلك الصورة بقدرته وإرادته، وهو تعالى على ما هو عليه من إطلاقه وتنزّهه عن تلك الصورة وغيرها، وتلك الصورة وغيرها عدم صرف في حدّ ذاتها. وكذلك جميع صور العالم في الحسّ والعقل، وهو تعالى ينكشف لمن شاء من عباده بما شاء من صور العالم، ويستتر عمن شاء من عباده فيما شاء من الصور، أو في كلّها؛ فإنّ له تعالى التجلّي والاستتار على حسب ما يريد.

وقد جاء في ورد يوم الأحد المنسوب إلى الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: «إذا كشف فلا غير، وإذا استتر فكلّ غير». وقال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

وقوله (وسُنَّةٍ): معطوف على كتاب، وهي سنّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، شاملة

للقول والفعل، والحال والمقام. والسيرة أعمّ من الحديث لاختصاصه بالقول. وبيان ذلك كما قال الشيخ العارف المحقّق إبراهيم الكرديّ المدنيّ رحمه الله تعالى في كتابه شرح التحفة المرسلة: «إنّ الحقّ تعالى مع إطلاقه الحقيقيّ، وكمال تنزّهه يصحّ أن يتجلّى في الأعيان، فلا أين له ذاتياً مع تجلّيه في كلّ أين شاء؛ فكمالاً منّا فإنّ بين حديث «لا شخص أغير من الله»[1] الوارد في صحيح البخاري وبين قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] كذلك لا منافاة بين غناه تعالى عن العالمين وإحاطته بكلّ شيء وبين التجلّي في الأين والجهة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [٦٧/ الملك/ ١٦] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وحديث: «إذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من علييّن على كرسيّه وفيه ثمّ يصعد تبارك وتعالى على كرسيّه»[2] وحديث: «إنّ أحدكم إذا قام في صلاته فإنّه يناجي ربّه، وإنّ ربّه بينه وبين القبلة»[3] وحديث: «فإذا الربّ قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنّة»[4] إلى غير ذلك مما يطول ذكره، والمقصود: إنّك إذا علمت أنّ الحقّ سبحانه وتعالى له الإطلاق الحقيقيّ الذي لا يقابله تقييد، وفهمت معنى هذا الإطلاق/ [١٦١/ ب] حقّ الفهم علمت أنّ تجلّي الحقّ في الصورة وتوابعها مما صحت به الأحاديث، كالضحك، والتعجّب، والإتيان، والنزول، والصعود، والتقرّب بالذراع والباع، والهرولة، وأمثالها لأنّها في التنزيه.

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لا شخص أغير من الله ، ٢٠.

(٢) قطعة من حديث، أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائدومنبع الفوائد، باب منازل المتحابّين في الله،١٨٧٧٢، ج٥، ص٧٤، وقال: رواه البزّار والطبرانيّ في الأوسط، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح...

(٣) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: حكّ البزاق باليد من المسجد، ٤٠٥.

(٤) الحديث في الحاشية ٨٧ نفسه. وله أطراف وطرق أخرى.

وقد صحّت الأحاديث الناطقة بتجلّي الحقّ تعالى في الصورة؛ بل بلغت مبلغ التواتر لمن تتبع الأحاديث، فمنها الأحاديث ما عند البخاريّ في التوحيد من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوّل مرّة»[1]. ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرقاق «فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون»[2]. ثمّ قال بعده «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»[3] وعند مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه: «فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون»[4] ثمّ قال بعده: «فيأتيهم في صورته التي يعرفون»[5] ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه «أتاهم ربّ العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها»[6] ثمّ قال بعده: «ثمّ يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل إلى صورته التي رأوه فيها أوّل مرّة»[7]. ومنْ حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه «فيقولون حتى ينظر إليك فيتجلّى لهم يضحك»[8]. وعند الحاكم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «يتبدّى الله لنا في صورة غير صورته التي كنّا رأيناه فيها أوّل مرّة»[9]. ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه «فيتمثّل لهم الربّ تعالى فيأتيهم» وفي رواية أخرى له «ثمّ يتمثّل الله للخلق

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة، ٧٠٠١، عن أبي سعيد الخدريّ.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب : الرقاق، باب: الصراط جسر جهنّم، ٦٥٧٣، عن أبي هريرة.

(٣) هو قطعة من الحديث السابق،و تخريجه في الحاشية السابقة أعلاه .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ٤٦٩، من حديث صهيب.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب:معرفة طريق الرؤية، ١٨٢، عن أبي هريرة.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ٢٧٢، عن أبي سعيد الخدري.

(٧) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: الصراط جسر جهنّم، ٦٥٧٣، بلفظ ثمّ يأتيهم الله بالصورة التي يعرفون، وليس بلفظ ثمّ يتحوّل الله.

(٨): أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنّة منزلة فيها، ١٩١ .

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: ماذا كنتم تعبدون؟. فيقولون عزيراً، ٨٨٨٨. من حديث أبي سعيد الخدريّ .

فيلقاهم»[1]. وعند البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «جاءهم الله فيما شاء من هيئة»[2]. عند الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وحسّنه «أتاني الليلة ربّي في أحسن صورة»[3]. ومن حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وصححه «فإذا أنا بربّي تبارك وتعالى في أحسن صورة»[4]. وعند الطبراني من حدث جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه «نّ الله تجلّى لي في أحسن صورة»[5]. ومن حديث أبي رافع رضي الله عنه «رأيت ربّي في أحسن صورة»[6]. ومن حديث أبي أمامة رضي الله عنه «أتاني ربّي في أحسن صورة»[7] ومن حديث أبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه: «رأيت ربّي عزّ وجلّ في أحسن صورة»[8]. ومن حديث عبد الرحمن بن عايش الحضرمي رضي الله عنه: « وما لي لا أكون كذلك وقد تبدّى لي ربّي في أحسن صورة»[9] جواباً لمن قال: ما رأيناك أسفر وجهاً منك الغداة. ومن حديث ثوبان رضي الله عنه: «إنّ ربّي عزّ وجل أتاني الليلة في أحسن صورة»[10]. ومن حديث ابن

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: أمّا حديث أبي عوانة، ٨٦٥٨ ، من حديث ابن مسعود.

(٢) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور، باب: حديث الصور،٥٩٣.

(٣) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة ص،٣٥٤٢، عن ابن عباس، وقال: حسن غريب.

(٤) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة ص،٣٥٤٣، عن معاذ ابن جبل، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) لم أعثر عليه عند الطبرانيّ بهذا اللفظ عن جابر بن سمرة.

(٦) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ٩٣١، عن أبي رافع.

(٧) أخرجه الطبرانيّ، في المعجم الكبير، ٨٠٤٢، عن أبي أُمامة.

(٨) أخرجه الخطيب البغداديّ في تاريخه ج٨ص٥٢، عن أبي عبيدة بن الجراح.

(٩) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب معرفة الصحابة، باب: من اسمه عبد الرحمن، بلفظ ٤١٧٧، قريب من هذا اللفظ.

(١٠) ذكره البغويّ في شرح السنّة، باب: الاعتدال على قيام الليل، ج١ ص٢٢٢.

عباس رضي الله عنهما: « رأيت ربّي في صورة شابّ له وفرة»[1]. قال السيوطيّ عن أبي زرعة الرازيّ أنّه حديث صحيح. وعند البخاريّ في أوّل كتاب الاستئذان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إنّ الله خلق آدم على صورته»[2]. وعند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه؛ فإنّ الله خلق آدم على صورته»[3]. وعند الطبرانيّ في السنَّة عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قاتل أحدكم فليتقِ الوجه؛ فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه»[4]. وعند الدار قطنيّ عن أبي هريرة رضي الله عنه إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإنّ وجه الإنسان على صورة الرحمن»[5].

وعند ابن أبي عاصم أيضاً في السنّة والطبرانيّ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بسند رجاله ثقات «فإنّ الله خلق آدم على صورته»[6] إلى غير ذلك مما يطول استيفاؤه. ومن تحقق أنّ الله تعالى ليس كمثله شيء لإطلاقه الحقيقيّ علم أنّه تعالى لا صورة له تقيده. وأنّه تجلّى في أيّ صورة شاء الظهور فيها. ومن علم ذلك حقّ العلم لم يستشكل هذه الأحاديث وما في معناها من المتشابهات وبالله التوفيق[7].

---

(١) ذكره السيوطيّ في اللآلئ المصنوعة، ج١ ص٣٣، وقال: قال الطبرانيّ: سمعت أبا بكر يقول: سمعت أبا زرعة الرازيّ يقول: حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عبّاس في الرؤية صحيح، ولا ينكره إلّا معتزليّ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب: بدء السلام، ٧٢٢٧، عن أبي هريرة، وقال بعض العلماء: الضمير في (صورته) يعود إلى آدم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرّ والصلة، باب: النهي عن ضرب الوجه، ٦٨٢١، عن أبي هريرة.

(٤) رواه الطبرانيّ في المعجم الكبير، باب: قطعة من المفقود، ١١٣٩، عن أبي هريرة، كذلك رواه في الأوسط، باب: من اسمه محمود، ٨٠٧٥.

(٥) أخرجه الدارقطنيّ في كتاب الصفات، باب: أوّل الكتاب، ٥٠، عن أبي هريرة.

(٦) ذكره ابن حجر في فتح الباريّ، باب: قوله باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، ٢٤٢٠، وقال: الزيادة ـ يعني: فإنّ الله خلق آدم على صورته ـ أخرجها ابن أبي عاصم في السنّة والطبرانيّ من حديث ابن عمربإسناد، ورجاله ثقات. انظر فتح الباري ج٥ ص١٨٣.

(٧) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وسماعاً على شيخنا المؤلف قدّس الله سرّه العزيز».

٢٨٦- مَنَحْتُكَ عِلْماً إن تُرِدْ كَشْفَهُ فَرِدْ سَبِيْلِــي وَاشْرَعْ فِي اتِّبَــاعِ شَرِيْعَتِــي

(**منحتك**): أي أعطيتك بما ذكرته لك من هذه المسألة العظيمة التي هي تجلّي الوجود الحقّ تعالى في الصور على حسب ما يريد تعالى من كمال تنزّهه هنا، فيظهر بها غير حالٍّ فيها، ولا مُتَّحِدٍ بها، فيكون هو الظاهر سبحانه وحده لا شيء معه غيره وقوله (**علماً**) تنكيره للتعظيم أي:/ [١٦٢/ أ] علماً عظيماً. وقوله (**إن ترد**): يعني يا أيّها السالك في طرق الله تعالى (**كشفه**): أي كشف ذلك العلم بأنّ تدركه ذوقاً، وتنازله منازلة، فإنّ مُجرّد فهمك له من غير كشف ومنازلة لا يجدي شيئاً كعلم الأعمى بالمكان الذي هو فيه، فإنّه يتخيّله بعقله وهو بعيد عنه؛ فقربه إليه مثل بعده عنه، وإذا فتح بصره وجد ما كان يتخيّله على خلاف ما كان يتخيّله، وكشف عن الأمر على ما هو عليه، وتحقّق أن الأمور كلّها على ما هي عليه؛ وإنّما قوّة إدراكه كانت ضعيفة عن كشف ذلك، فلما قويت أبصرت ما هنالك. وقوله (**فَرِد**): الفاء في جواب الشرط، و(**رِدْ**): فعل أمر من ورد: أشرف على الماء أو غيره؛ دخله، أو لم يدخله. وقوله (**سبيلي**): أي طريقي الذي أنا سالك فيه إلى ربّي، وفيه إشارة إلى أنّه لا وصول بحيث ينتهي أمر السالك، وإنّما هي تجلّيات واستتارات في أعيان تلك التجلّيات، كما قال الناظم قدّس الله سرّه في الكافية كما سيأتي إن شاء الله تعالى:

قــال لي كــلّ حــسْن تجــلّى بي تمــلّى فقلــتُ قــصدي وراكــا[1]

فالطلب دائم، والسير قائم، والقلب هائم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [٥٣/ النجم/ ٤٢] أي: من حيث السلوك في الأغيار، والدخول في عالم الأسرار والأطوار والأدوار، فينتهي الأمر إليه وتنكشف علومه من عليه، كما قال تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [٢٠/ طه/ ١١٤] أي: بك. وقال

---

(١) انظر البيت ٥٣ من قصيدة ته دلالاً.

صلّى عليه وسلّم عن نفسه: «إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من مئة مرّة»[1] فقال العارف الكامل أبو الحسن الشاذليّ قدّس سرّه: «هذا غين أنوار لا غين أغيار، فإنّه عليه السلام دائم الترقّي؛ فكلّما ترقّى إلى مقام في القرب وجد ما قبله حجاباً؛ فاستغفر الله منه، وهكذا إلى ما لا نهاية له، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] وأهل يثرب أهل المدينة، إشارة إلى الورثة المحمّديين؛ فإنّهم لا مقام لهم يقيمون فيه، ويقفون عنده، وهو التلوين في التمكين، فيرجعون إليه تعالى، ويصدرون عنه، ثمّ يرجعون إليه، فهو تعالى مركز الجميع، دنيا وآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ [٩٦/ العلق/ ٨] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨١] وهو معنى المنتهى في الآية السابقة. وأمّا السلوك في سبيله فلا نهاية له في الدنيا، وفي الآخرة يُردُّون إليه ويصدرون عنه، ثمّ يُردون إليه؛ وذلك لأنّ تجلّياته تعالى لا تتناهى، ولا تتكرر أزلاً وأبداً.

وقوله (واشْرَعْ): من شرع في الأمر شروعاً: خاض ودخل فيه. وقوله (في اتباع): أي متابعة (شريعتي): والشَرِيْعَةُ: ما شَرَعَ الله تعالى لعباده، والظاهرُ المستقيم من المذاهب كالشِرْعَة بالكسر، كذا في القاموس. قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًا﴾ [٥/ المائدة/ ٤٨] أي: طريقاً مستقيماً يسلك عليه إلينا؛ وهي اختلاف التجلّيات الإلهيّة بالأحوال البشريّة، ويقال لها اختلاف المشارب كما قيل:

مشاربنا شَتّى وحسنك واحد ... وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

٢٨٧- فَمَنْبَعُ صَدًّا مِنْ شَرَابٍ نَقِيعُه ... لَدَيَّ فَدَعْني مِنْ سَرَابٍ بِقِيْعَةِ

(فمنبع): أي موضع النبع، يقال: نَبَعَ الماء يَنْبُعُ، مثلثة، نَبْعاً ونُبُوعاً: خرج من العين، كذا في القاموس. وقوله (صَدًّا): بفتح الصاد المهملة وتشديد الدّال

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

المهملة، ممدود، وقصر هنا للوزن، قال في الصحاح: وصَدْآء: اسم رَكِيَّة- بئر عذبة الماء ـ وفي المثل ماء ولا كصَدْآء. وقلت لأبي علي النحوي: هو فعلاء من المضاعف فقال: نعم، وأنشدني لضرار بن عتبة العبسيّ:

كــأنّي مـــن وجــدٍ بزينــب هــائم
يخالس من أحـواض صـدآء مشرباً / [١٦٢/ب]
يــرى دون بــرد المــاء هـــولا وذادة
إذا شــــدّ صــاحوا قبــل أنْ يتحبّبــا

وقوله (**من شراب**): بالشين المعجمة، أي: مشروب متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ، وهو منبع. كنّى بمنبع صدآء هذا البئر المشهور بعذوبة الماء الذي يضرب به المثل في العذوبة، والحلاوة، والبرودة عن قلبه، العارف بربّه، المحقّق في المعرفة الذي تنبع منه العلوم الإلهيّة العذبة، المشروب لكلّ صادٍ.

وقوله (**بقيعة**): بالباء الموحّدة فالقاف فالياء المثنّاة التحتيّة فالعين المهملة؛ قال في القاموس: «البقيع: موضع فيه أصول الشجر منه ضروب شتّى. وبقيع الغَرقَد: مقبرة بالمدينة المنوّرة. والغرقد: بالغين المعجمة اسم للشجر العظام. أوهي العوسج إذا عظم سُمِّي البقيع بذلك؛ لأنّه كان منبتها. وبقيع الزبير، وبقيع الخيل، وبقيع الخَبْجَبَة، بخاء معجمة ثمّ باء موحّدة ثمّ جيم، كلّهنّ بالمدينة المنوّرة. والخَبْجَبَة، يقال أيضاً بخائين معجمتين وبجيمين موحّدة بينهما: اسم شجر، أشار إليه في القاموس. وضمير بقيعة راجع إلى الشراب، أي: أصل ذلك الشراب الذي منبع صدآء منه يخرج من موضع شريف فيه أصول الشجر من ضروب شتّى، فكنى بالموضع الشريف الذي هو المدينة المنوّرة على ساكنها الصلاة والسلام عن الحقيقة المحمّديّة؛ فإنّها موضع هذا الشراب الذي منبع صدآء منه المكنّى به عن قلبه كما ذكرنا. وكنّى بذلك الشراب عن الروح المنفوخ منه في الهياكل الجسمانيّة

الإنسانيّة. ثمّ أشار بأنّ ذلك الموضع فيه أصول الشجر من ضروب شتى؛ يعني: جميع حقائق الأنبياء والمرسلين والأولياء والصدّيقين، نبتت أصولهم في ذلك الموضع، ونشؤوا بتربية حقائقهم منه.

وقد ورد أنّ الله تعالى أوّل ما خلق نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ خلق منه جميع الأشياء كما ورد في حديث عبد الرزّاق بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «قال: يا رسول الله أخبرني عن أوّل شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال: يا جابر، إنّ الله خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولا في ذلك الوقت لوح، ولا قلم، ولا جنّة، ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جنّ، ولا أنس. فلمّا أراد الله تعالى أنّ يخلق الخلق قسّم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأوّل القلم. ومن الثاني اللوح. ومن الثالث العرش. ثمّ قسّم الجزء الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأوّل السموات. ومن الثاني الأرضين. ومن الثالث الجنّة والنار. ثمّ قسّم الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأوّل نور أبصار المؤمنين. ومن الثاني نور قلوبهم. وهي المعرفة بالله تعالى. ومن الثالث نور تشهدهم؛ وهو التوحيد: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله»(١) إلى آخر الحديث.

وصحّ حديث: «أوّل ما خلق الله القلم»(٢). وجاء بأسانيد متعدِّدة: «إنّ الماء لم يخلق قبله شيء»(٣). ولا ينافيه ما في الأوّل من نور نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّ الأوّليّة في غيره نسبة، وفيه حقيقة، فلا تعارض. وفي حديث ابن القطّان: «كنت نوراً بين يدي

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٥، وليس الحديث من الصحيح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، وهو في مسند ابن الجعد، باب: عبد الواحد بن سليم، ٣٤٤٤. وقد أخرجه الحاكم في المستدرك، ٣٦٩٣، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٣) ذكره جعفر الحسنيّ الإدريسيّ، الشهير بالكتّاني: في كتاب نظم المتناثرج١ ص٢٢٧، باب بدء الخلق، أوّل ما خلق الله،١٩٤، وقال: ذكر الأمير في مبحث الوجود من حواشيه على جوهرة اللقّاني أنها متواترة.

ربِّي قبل آدم بأربعة عشر ألف عام» وفي الخبر: «لمّا خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره، وكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره»[1] الحديث. ذكره شارح القصيدة الهمزيّة البوصيريّة العلّامة ابن حجر المكّيّ.

فقوله (بقيعة): أي بقيع ذلك الشراب. (لديّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: عندي وهو حقيقتي التي أنا بها إنسان كامل، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه شرح الوصايا اليوسفيّة: «ولا شك أنّ الورثة إنّما هم هياكل لروحانيّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ فهو رسول أبداً حيّاً وميتاً؛ فمن يطع الشيخ فقد أطاع الرسول؛ فإنّه روح هيكله، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله فإنّه مجلاه، وحينئذ الرسول موضع ظهور الحق، ثمّ يفنى عن الرسول لقوله/ [١٦٣/ أ] تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [٤/ النساء/ ٨٠] فيكون نظرك في الرسول، فيغيب الرسول، فيبقى الحقّ. فكما يبقى الحقّ في مغيب الرسول بالنصّ كذلك يبقى الحقّ في مغيب الشيخ عن بصيرتك، ويبقى الحقّ إذ هو المتكلّم من الرسول؛ ومعنى ذلك حضور الرسول صلّى الله عليه وسلّم عنده في حقيقته التي خلقت من نوره صلّى الله عليه وسلّم في وقائعه التي تهمّه في دينه، أو دنياه ، أو آخرته، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه أيضاً في كتابه المذكور: وحضور النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الوقائع دليل على علوّ مرتبته صاحب الواقعة، وعصمته وعلوّه فيما رآه، فإنّه من مرآة الحاضر ينظره، لا من مرآته، مثل مسألة الشاب الذي أغنته رؤية الله عزّ وجلّ عن رؤية أبي يزيد في زعمه . فلمّا حضر أبو يزيد ورأى الله تعالى هذا الشابّ لم يطق حمل عظيم ما رآه فمات من حينه؛ فأين هذا الإدراك بحضور أبي يزيد من ذلك الإدراك الذي انفرد به؟!. وأين أبو يزيد من محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) ذكره الهيتميّ في أشرف الوسائل إلى فهم المسائل، باب: ما جاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/ ٢٧.

ولقد روينا عن أبي موسى الدَبِيلي[1] عن أبي يزيد البسطاميّ «أنّه سأل الله تعالى رؤية مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقيل له أنك لا تطيق. أي نورك الذي ترى به يضعف عن إدراك ما تطلبه من ذلك مع كون الحقّ في هذه الحال بصره فكيف به لو لم يكن بصره؟! فألحّ في السؤال. قال أبو يزيد: ففتح لي من ذلك قدر خرم إبرة، فلم أطق الثبوت عند ذلك، واحترقت».

هذا قوله عن نفسه، فلولا مشاهدته تعالى في الصور المعتادة لما ثبت أحد عند رؤية شيء من ذلك؛ فإنّا لا نشكّ في قوّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وثباته، وعلو مرتبته، ومقامه في معرفة ربّه عزّ وجل. ومع هذا قيل له حقّ ما أعطيه أصحاب الكهف ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ يعني: خوفاً على نفسك أنْ تذهب ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ أي: في قلبك فإنّهم جماعة، ولكلّ واحد منهم حال مع الله في إيمانه به ما هو للآخر فـ ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [١٨/ الكهف/ ١٨] بالجملة لرأيت اختلاطاً في الأمر، واختلافاً في النظرة الواحدة، فكنت تخاف على نفسك من الحيرة فيما رأيته في النظرة الواحدة، فكنت تولّي فراراً، وتملأ قلبك رعباً من هول الأمر؛ لأنك ترى مالا تقدر على دفعه، لعلمك بأنّ الله جعل ذلك كلّه حقاً، ولا ينضبط لك من شيء دون شيء فتحتار، وتملأ قلبك رعباً من الفوت:

تفرّقت الضباب على خداش ... فما يدري خداش ما يصير

وليس في قوّة هذا الصائد أخذ الكلّ، ولا يدري ما هو الأولى من ذلك فيقصد إليه ويترك ما سواه، فإنّه يرى العين واحدة في صور كثيرة، كما ترى الإنسانيّة واحدة في أشخاص كثيرة بأحكام مختلفة يريد ضبطها فلا تنضبط؛ فإنّ الأمر فيما لا يتناهى لا ينضبط؛ إذ لو انضبط لتناهى. فلو أنّ صاحب الواقعة يرى الحقّ في

(١) هو ابن أخت أبي يزيد البسطاميّ، لعلّ اسمه شعيب بن أحمد بن بزيع الدبيليّ، روى عن سهل ابن سفير الخلاطيّ، وحدّث عنه أبو بكر المفيد، انظر الإكمال٣/ ٣٥٢ وتوضيح المشتبه ٤/ ٧١.

واقعة بحضور جميع الرسل لكان حاله حال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لو اطّلع على أصحاب الكهف؛ فلذلك لم يشهد الله تعالى صاحب الواقعة ما أشهده من العلم به إلّا بحضور الرسول وحده صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ الله تعالى قد جعل لكلّ رسول فيه شرعة. ومنها جاء ما رآني إلّا ما أعطيته حقيقة نشأته الروحيّة الصادرة عن مزاج طبيعته، وكما لا يتكرر مزاج لا يتعدّد بين اثنين معراج، ولكلّ معراج غاية؛ بل للإنسان الواحد معارج كثيرة، وغايات كثيرة بعدد معارجه، بل لا يكون له في كلّ مزاج إلّا معراج واحد؛ لأنّ مزاجه لا يدوم زمانين وإن كان ذلك في عين جوهر واحد فلا خفاء باختلاف الصور على ذلك الجوهر الواحد، لا معنى لاختلاف الصور إلّا وجود المزاج؛ فهذا المزاج غير هذا المزاج.

فلمّا نظرنا الجوهر القائل الذي لا وجود له إلّا بالصورة كذلك تجوّزنا بقولنا بل للمزاج الواحد معارج/ [١٦٣/ ب] كثيرة وليس إلّا هو في نفسه على ما قلناه؛ فالخلق جديد مع الأنفاس، كثير بالصور، والحقّ ليس بجديد، بل هو مستمر ثابت واحد العين والقول.

وقال العارف المحقِّق الشيخ عبد الكريم الجيليّ(١) في كتابه الإنسان الكامل: «اعلم وفقك الله أنّ الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوّله إلى آخره. وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثمّ له التنوّع في الملابس، فيسمى باعتبار لباس ما لا يسمّى به باعتبار آخر، واسمه الأصل الذي له محمّد. وكنيته أبو القاسم. ووصفه عبد الله. ولقبه شمس الدين. ثمّ له باعتبار ملابس آخر أسامٍ. وله في كلّ زمان اسم يليق بلباسه في ذلك الزمان. وقد اجتمعت به صلّى الله عليه وسلّم وهو في صورة شيخي شرف الدين إسماعيل الجبرتي. فكنت

---

(١) عبد الكريم ابن إبراهيم بن عبد الكريم الجيليّ، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلانيّ، من العلماء، شاعر، متصوِّف، من كتبه: «الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر» في مصطلحات الصوفيّة، وله: «الكمالات الإلهيّة في الصفات المحمّديّة» و«شرح مشكلات الفتوحات المكيّة». انظر معجم المؤلّفين ج٥ ص٢٢٤ وفهرس الموسوعة الشعريّة١/ ٧٧٦.

أعلم أنّه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وكنت أعلم أنّه شيخي. وهذا من جملة مشاهد شهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة".

وهذا المعنى أنسب بذكر قوله (بقيعة): بالباء الموحّدة لأنّ الأبيات الستّة التي بعده مقولة على لسان الحقيقة المحمّديّة الحاضرة عند الناظم قدّس الله سرّه من حيث نفسه فتكلّم على لسانها.

وفي نسخة (نقيعة): بالنون مكان الباء، والنقيع البئر كثيرة الماء، وشراب من زبيب، أو كلّ ما ينقع تمراً كان أو زبيباً أو غيرهما، والمحض من اللبن يبرّد، كذا في القاموس. فيكون المعنى نقيع ذلك الشراب، أي: يثيره الكثير الماء لديّ. أو نقيعه أي: ما ينقع فيه فيوجب حلاوته لديّ، وهو خصوص حالي ومقامي، أو محض لبنه المبرّد لديّ كناية عن فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم.

وقوله (فدعني): أي اتركني من ذكر سراب بالسين المهملة والراء: ما تراه نصف النهار كأنّه ماء، كناية عن علوم الرسوم التي عند المحجوبين، إذ يظنّون أنّ الأمر في نفسه كذا، وليس كذلك؛ فإنّهم يقولون ذلك عن قياساتهم العقليّة رجماً بالغيب. وقال الشيخ الإمام العارف الكامل القاشاني قدّس سرّه في خطبة كتابه التعريفات لاصطلاحات الصوفيّة: «الحمد لله الذي نجانا من مباحث العلوم الرسميّة بالمنِّ والإفضال ...» إلخ.

وقوله (بقيعة): الباء حرف جرّ. والقيعة جمع قاع، قال في القاموس: «القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام. والجمع قيع وقيعة وقيعان بكسرهنّ وأقواع وأقْوُع قال تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٩] وكذلك كلّ من جاء إلى سراب علومهم الرسميّة من غير الجهة التي هم جاؤوا إليه منها لم يجده شيئاً ووجد الله عنده من حيث أنّه تصاوير عقليّة، وتقادير وهميّة من تجلّي اسمه تعالى الخالق البارئ المصوّر، فيحاسبه عليه إن اغتر به، وعمل بمقتضاه، وترك العمل بالله وحده، كما هو الأمر عليه في نفسه، والله أعلم وأحكم.

٢٨٨- وَدُوْنَكَ بَحْرَاً خُضْتُهُ وَقَفَ الأُلَى بِسَاحِلِهِ صَوْنَاً لِمَوْضِعِ حُرْمَةِ

(ودونك) اسم فعل بمعنى خذ. وقوله (بحراً): هو الماء الكثير، كناية عن المشتمل على أنواع العلوم التي هي كالبحر في كثرة مياهه، إشارة إلى الحقيقة المحمّديّة. وتنكيره للتعظيم. وقوله (خضته): من خاض الماء يَخُوضُه خَوْضاً وخِيَاضاً: دَخَلَه. أراد كشفت عن أسرار علومه، واطلعت على أنوار كواكبه ونجومه. وقوله (وقف): من الوقوف، وهوعدم السير. و(الأُلَى): بضمّ الهمزة وفتح اللام مقصوراً: جمع آول، بالمدّ، بمعنى: سابق، قال في القاموس: «أوِلَ كفرِح سبق» انتهى. فمنها الأُلَى السابقون الأوّلون. وقال الساطي[1] في شرحه: «الألى مقلوب الأُوَل، لأنّه جمع الأولى مثل أخرى وأخر، ومنه قولهم: ذهبت العرب الأوَل». ويحتمل أن/ [١٦٤/ أ] يكون موصولاً حذفت صلته، كقولهم: بعد اللُّتيا والّتي إيذاناً بأنّ المشار إليهم بالأُلى علا وصفهم عن البيان. وقال الدماميني[2] في شرح التسهيل: «وبمعنى الذين الأُلى على وزن العُلا فيكون للعقلاء كقول الشاعر:

رأيت بني عمرو الأُلى يخذلونني على حدثان الدهر إذ يتقلّب

وقال ابن عصفور: يقع على من يعقل وما لا يعقل من المذكورين. وقد يرد للمؤنّث فيكون هذا اللفظ مشتركاً بين جمع الذي وجمع التي، وقد اجتمعا في قول الشاعر:

---

(١) علي بن موسى بن النقرات الأنصاريّ، الساطيّ، الجيّانيّ، نزيل فارس وخطيبها، إمام كبير، وأديب بليغ، وجامع للقراءات (٥١٥-٦٦٥)هـ.

(٢) محمّد بن أبي بكر المخزومي، القرشي، بدر الدين المعروف بابن الدماميني، عالم بالشريعة وفنون الأدب، من كتبه: «شرح مغني اللبيب»، و«نزول الغيث»، انتقد فيه شرح لاميّة العجم للصفدي، و«عين الحياة» اختصر فيه حياة الحيوان للدميريّ، و«شرح تسهيل الفوائد» في النحو وله نظم، توفي (٨٢٧هـ) انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٥٧.

ويـــأبى الأُلى يـــستميلون عـــلى الأُلى تـــراهن يـــوم الـــردع كالحـــدا قـــبلي

وقد استعملت بدون ألف ولام كقول الشاعر:

لأنـــتم أُلى جئـــتم مـــع النمـــل والدبـــا فطـــار وهـــذا شخـــصكم غـــير طـــائر

فإنْ كان الأُلى بمعنى السابقين الأوّلين فهم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، ومن دونهم من أولياء زمانهم لم يكونوا خاضوا هذا البحر العظيم الذي هو محمّد صلّى الله عليه وسلّم، لأنّهم لم يدركوا زمانه، ولا كانوا محسوبين من أمّته، ولا اطّلعوا على ما أطّلع عليه الناظم، وإنْ لم يكن نبياً من العلوم المحمّديّة، والحقائق والمعارف الأحمديّة، أو المراد بالبحر بحر لتوحيد الوجود الذي خاضه الأولياء والصدّيقون ولم يجدوا له قراراً، والأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام لم يخوضوه؛ لأنّ علومهم علوم الوحي النبويّ الموقوفة على نزول جبريل الأمين من حضرة ربّ العالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [٥٣/ النجم/ ٣-٤] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٥] وعدم الشرك هو التوحيد، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٥]؛ فالأنبياء عليهم السلام لم يخوضوا في التوحيد؛ وإنّما وقفوا بساحله متابعة للوحي الإلهيّ؛ إذْ ليس للأفكار والعقول الإنسانيّة عليهم حكم في بواطنهم، لأنّهم يجدون الوحي من الله تعالى في جميع أحوالهم؛ فهم المعصومون من كلّ ما سواه تعالى أن يلج قلوبهم بغير أمره سبحانه بخلاف الأولياء؛ فإنّهم خاضوا بحار التوحيد بالفتح والإلهام الربّانيّ، فيما أُوحي إلى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام؛ لأنّهم أتباعهم، يخوضون فيما يوحى به إلى أنبيائهم. و(الخوض): هو التردد في الشيء مرّة بعد أخرى لمعرفته والتحقّق به، وذلك من عدم عصمة الأولياء وعدم الوحي في حقّهم. والخوض في الشيء دون الوقوف بالساحل، فإنّ الوقوف بالساحل إدراك للشيء من غير خوض فيه، ولا

مباشرة له، لا سيما لم يرد الخوض في القرآن إلّا بمعنى الباطل، قال تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [٧٤/ المدّثر/ ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [٩/ التوبة/ ٦٩] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [٦/ الأنعام/ ٦٨]؛ فالخوض هو الدخول في الشيء؛ فإنْ كان الخوض بالنفس والهوى فهو الباطل. وإنْ كان بالفتح الإلهيّ والإلهام في معاني القرآن والسنّة فهو الممدوح، لأنّه خوض بالحقّ لا بالباطل، وهو خوض الأولياء والصدّيقين؛ فإنّه ليس بالنفس ولا بالهوى. وقد طهّر الله تعالى الأنبياء والمرسلين منه صلوات الله عليهم أجمعين. والساحل: ريف البحر وشاطئه، مقلوب، لأنّ الماء سَحَلَه فكان القياس مَسْحُوْلاً، أو معناه: ذو ساحل، من الماء إذا ارتفع ثمّ جَزَرَ فَجَرَفَ ما عليه، من سَحَلَه، كمنعه: قَشَرَهُ ونحته فانْسَحَلَ. والرياحُ تَسْحَلُ الأرضَ: تَكْشُطُ ما عليها، كذا في القاموس.

وسُمّي موضع وقوف الأنبياء عليهم السلام ساحلاً لأنّ البحر العلميّ الإلهيّ بحر التوحيد الحقيقيّ سَحَلَ مقامهم/[١٦٤/ ب] الشريف النبويّ فلم يبق فيه استمداداً من الغيار، ولا شيئاً من خِدع الآثار؛ بل كلّهم آداب ربّانيّة، وحركات رحمانيّة. ولهذا قال الناظم بعده (صوناً): هو مفعول من أجله، أي: كان وقوفهم بذلك الساحل لأجل الصون، أي: الحفظ (لموضع حرمة): أي لمكان الحرمة، أي: الاحترام للجناب الإلهيّ. ولا ياء متكلّم في هذه النسخة، وفي بعض النسخ بياء المتكلّم، أي: وقوفهم وعدم خضوعهم. (صوناً): أي لأجل حفظ حرمتي؛ فيكون الكلام على لسان محمّد نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم. ويكون لباس الصورة الفارضيّة صورة الناظم قدِّس سرّه عارية في الحقيقة المحمّديّة باعتبار حضوره صلى الله عليه وسلّم في تلك الواقعة، كما قدّمنا في شرح البيت الذي قبله عن الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من قوله: «وحضور النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الوقائع دليل على علوّ مرتبة صاحب الواقعة وعصمته، وعلوّه فيما رآه؛ فإنّه من مرآة الحاضر ينظر لا من مرآته». وقدّمنا ما عن الشيخ الجيليّ قدّس سرّه، وقدّمنا

الحديث النبويّ أنّ الله تعالى خلق نور أبصار المؤمنين، ونوّر قلوبهم من نوره صلّى الله عليه وسلّم. فإذا تكلّمت الأولياء على لسان محمّد صلّى الله عليه وسلّم بعد نزع لباس صورهم المستعارة الحقيقيّة عليه السلام فلا عجب في ذلك، خصوصاً وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨].

ونحن نرى أنّ الباب من الخشب، والصندوق منه. ونحو ذلك لباس البابيّة والصندوقيّة أمر عارض في ماهيّة الخشب، سريع زواله عن بصر الناظر وعن بصيرته إذا لم يعتبرها ويشهد ماهيّة الخشب؛ فإنّ جميع الأكوان مخلوقة من نوره صلّى الله عليه وسلّم كما هو المعروف عند أهله، المحقّق الثابت بالأحاديث النبويّة والإشارات القرآنيّة؛ فيكون النبيّ صلى الله عليه وسلّم هو المتكلّم بصورة اللسان الفارضيّ بعد فنائه عن صورته، وبقاء الحقيقة النوريّة المحمّديّة مشهودة له بها. فتقول الحقيقة المحمّديّة (خضت بحراً وقفت الأنبياء بساحله) صيانة وحفظاً منهم لموضع حرمتي في هذا الحضور الخاص.

وهذه المعاني مما فُتح بها علينا عند كتابتنا هذا المحلّ صيانة لكلام الأولياء والمقرّبين عن الضياع في مهاوي الأسماع. ولقد وجدنا معنى آخر لهذه العبارة ذكره الشيخ العارف الكامل تاج الدين بن عطاء الله الإسكندريّ في كتابه «لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العبّاس المرسيّ وشيخه أبي الحسن» قال رضي الله عنه ـ يعني به الشيخ أبا العبّاس المرسيّ قدّس سرّه ـ في قول أبي يزيد «خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله»: «إنّما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء عليهم السلام. ومراده أنّ الأنبياء عليهم [السلام] خاضوا بحر التوحيد، ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الغرق يدعون الخلق إلى الخوض، أي: فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا. وهذا الذي فسّر الشيخ به كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد». وقد ورد عنه أنّه قال: «جميع ما أخذ الأولياء ممّا أخذ

الأنبياء كزق مليء عسلاً ثمّ رشحت منه رشاحة، فما في بطن الزقّ للأنبياء، وتلك الرشاحة هي للأولياء». والمشهور عن أبي يزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب، حتى حُكي عنه أنّه وُصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارته، فقعد في المسجد ينتظره، فخرج ذلك الرجل، وتنخّم في حائط المسجد، فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به، وقال: «هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمّن على أسرار الله تعالى».

وما جاء عن الأكابر أولي الاستقامة مع الله تعالى من أقوال وأفعال يُستنكر ظاهرها أوّلناها لهم لِمَا علمنا من استقامتهم، وحسن طريقتهم، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تظننّ بكلمة من امرئ مسلم سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»(١) وقال العارف بالله تعالى الشيخ جمال الدين محمّد أبو المواهب/ [١٦٥/ أ] الشاذليّ التونسيّ قدّس الله سرّه في كتابه «قوانين حكم الإشراق إلى كافّة الصوفيّة في جميع الآفاق»: «قال إن قال عارف: خضت بحراً وقفت الأنبياء بساحله. قلنا خاض العارفون بحر التوحيد أوّلاً بالدليل والبرهان. وبعد ذلك شهدوا رتبة الشهود والعيان. والأنبياء وقفوا بأوّل وهلة على ساحل العبارة. ثمّ وصلوا إلى ما لا يعبّر عنه العرفان فكانت بدايتهم عليهم السلام نهاية العارفين والسلام».

٢٨٩- وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيْمِ إِشَارَةٌ لِكَفٍّ يَدٍ صُدَّتْ لَهُ إِذْ تَصَدَّتِ

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [٦/ الانعام/ ١٥٢] هذه الآية إشارة منه تعالى لأرواح الأوّلين من الأنبياء والمرسلين، وغيرهم من ورثتهم العارفين

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، باب: فصل في ترك الغضب وفي كظم الغيظ والعفو، ٨١١٤، عن سعيد بن المسيّب، قال: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنّن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرّاً وأنت تجد له في الخير محملاً....

المقرّبين إلى يوم الدين إذا مدّ أحد منهم يده الروحانيّة لنيل هذا المقام المحمّدي الذي اختصّ به محمّد صلّى الله عليه وسلّم نبيّاً؛ فإنّه لا ينال ذلك، ولا يصل إليه، وهو عليه السلام عاش يتيماً لموت أبيه عبد الله وهو حَمْل. على خلاف في ذلك. قال السهيلي في الروض الآنف: «ذكر أنّه مات أبو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو حمل. وأكثر العلماء على أنّه كان المهد. وقيل: ابن شهرين. وقيل: أكثر من ذلك» انتهى. وكذلك أمّه صلّى الله عليه وسلّم ماتت وهو صغير فرُبِّي يتيماً. وإليه الإشارة القرآنيّة بالآية المذكورة وإن كانت الآية شاملة لكلّ يتيم. ولكن آيات الله تعالى لا تتناهى معانيها كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٩] وأُشير بـ(المال) إلى المقامات المحمّديّة، والتجلّيات الإلهيّة المخصوصة بالحقيقة الأحمديّة.

وقوله (إشارة): أي إيماء ورمز لا تصريح فيه بذلك، وهو من جملة الإشارات القرآنيّة إلى المعاني المخفيّة تأييداً من الناظم لمعنى البيت قبله. قال القيصري في شرحه: «وهذا الكلام من لسان نبيّنا عليه الصلاة والسلام؛ إذ كمال التوحيد الذاتيّ مختصّ بمقام جمعه والكمّل المتابعين إياه. ثمّ أشار بلسان الإشارة إلى أنّهم مأمورون بالانتهاء عنه بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٢٥] ...إلخ إشارة إلى كفّ أيدي الأوّلين عن التصرّف في التوحيد الذاتيّ الذي هو مال من أموال نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام ومتابعيه الذين سلكوا طريقته بالمتابعة التي هي أحسن الخصال. وقد أشار البوصيريّ رحمه الله تعالى في همزيّة المديح النبويّ إلى ذلك بقوله:

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ... ـب ومنها لآدم الأسماء

وقال عليه السلام: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة». وقوله (**الكفّ**): هو مصدر كَفّ عن الشيء كَفّاً من باب قتل: تَرَكَه. وكَفَفْتُه كَفّاً: منعته فكَفّ. هو يتعدّى ولا يتعدّى. ويصح أنّ يكون الكفّ اسماً، لا مصدراً؛ لأنّ التناول به، وهو من الإنسان وغيره، مؤنّث، قال ابن الأنباري: «وزعم مَن لا يوثق به أنّ الكفّ

مذكّر، ولا يعرف تذكيرها مَنْ يوثق بعلمه. وأمّا قولهم: كفّ مخضّب فعلى معنى ساعد مخضّب». وقال الأزهري: «الكفّ الراحة مع الأصابع، سمِّيت بذلك لأنّها تكفّ الأذى عن البدن» كذا في المصباح.

وقوله (**صُدَّتْ**): بضمّ الصاد المهملة وتشديد الذال المهملة، فعل ماض مبني للمفعول. والتاء للتأنيث. وفي المصباح: «صَدَدْتُهُ عن كذا صَدّاً، من باب قتل: منعتُه وصرفته». وقوله (**له**): أي لمال اليتيم المكنّى به عن المقام الذاتيّ المحمّدي. والجار والمجرور متعلّق بـ (تصدّتِ) في آخر البيت. والتقديم للحصر؛ إذ لا تصدّ عن غيره. وقوله (**إذ**): حرف تعليل، وتدلّ على الزمان الماضي، نحو: إذْ جئتني لأكرمنّك؛ فالمجيء علّة للإكرام، كذا في المصباح. وقوله/ [١٦٥/ ب] (**تَصَدَّتِ**): بالصاد المهملة وتشديد الدال المهملة والتاء مكسورة للقافية، وقال في المصباح: «تَصَدَّيْتُ للأمر: تَفَرَّغْتُ له وَتَبَتَّلْتُ، والأصل: تَصَدَّدْتُ فأُبدل للتخفيف.

٢٩٠- وَمَا نَالَ شَيئاً مِنْهُ غَيْرِي سِوَى فَتَىً عَلَى قَدَمَيْ فِي القَبْضِ وَالبَسْطِ مَا فَتِي

وفي نسخة: (**وما نال شيئاً منه غيري**). وضمير منه للمقام الذاتيّ المحمّدي المذكور. وقوله (**سوى**): أي غير (**فتى**): نُكّر للتعظيم. والفتوّة: الكرم. وقد تَفَتَّى وتَفَاتَى، وفَتَوْتُهم: غَلَبْتُهُم فيها. والفتى: السخيّ الكريم، كذا في القاموس. يعني: السخيّ بنفسه، الماحق لها في تجلّي الوجود الحقّ، الكريم المتّصف بكرائم الأخلاق. وقال في المصباح: «الفتى: العبد». يعني: المتّصف بكمال العبوديّة؛ وهي أشرف الأوصاف، قال تعالى في حقّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [٧٢/الجن/ ١٩] الآية. والمراد هنا بالفتيّ الوارث المحمّديّ للمقام الذاتيّ الإلهيّ. وقوله (**على قدمي**): متعلّق بفتي آخر البيت. والقدم من الإنسان معروفة. وتقول العرب: «وضع قدميه في الحرب: إذا أقبل عليها، وأخذ فيها. وله في العلم قدم، أي: سَبْق». وأصل القدم ما قدّمته قدّامك، كذا في المصباح. والمراد على سيرتي وطريقتي في سلوك محجة الاستقامة.

وقوله (في القبض والبسط): متعلّق بمحذوف صفة قدمي، أي: الثابت في هذين المقامين بتجلّي الاسم القابض والباسط، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] أي: يعدم ويوجد. وهو القيام بأمر الله تعالى الذي كلمح بالبصر، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٥٩] أي: سماء الأرواح، وأرض الأشباح. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقوله (ما فتي): أصله بالهمزة، فحذفت تخفيفاً، قال في المصباح: «ما فَتِئَ يذكر بالهمز، مثل: ما بَرِحَ، وزناً ومعنى».

٢٩١ - فَلَا تَعْشُ عَنْ آثَارِ سَيْرِيَ وَاخْشَ غَيْـ ـنَ إِيْثَارِ غَيْرِي واغْشَ عَيْنَ طَرِيْقَتِي

(فلا): الفاء تفريعيّة على ما سبق. ولا ناهية جازمة للفعل المضارع الذي بعدها، وهو قوله (تَعْشُ): أصله عَشِيَ يَعْشَى بالعين المهملة والشين المعجمة، قال في المصباح: «عَشِيَ عَشىً، من باب تَعِبَ: ضَعُفَ بصرُه؛ فهو أعشى». وقال في الصحاح: «العَشَى مقصوراً، مصدر الأعْشَى، وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار. وأَعْشَاهُ الله فعَشِيَ، بالكسر يَعْشَى عَشاً، وهما يَعْشَيَانِ. ولم يقل يَعْشَوان؛ لأنّ الواو لّما صارت في الواحد ياء لكسرة ما قبلها تركت في التثنية على حالها». والمعنى فلا يصر بصرك أعشى، تبصر في نهار التجلّي، ولا تبصر في ليل الاستتار، لأنّ المستتر هو المتجلّي.

وقوله (عن آثار سيري): قال في الصحاح: «عَشَوْتُ إلى النار أَعْشُو إليها عَشْواً: إذا استدللتُ عليها ببصر ضعيف، وإذا صَدَرَ عنه إلى غيره قلت: عَشَوْتُ عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٣٦] و(الآثار): جمع أثر، وهو بقيّة الشيء. وقوله (سَيْرِي): أي سلوكي في طريق الله تعالى. كنّى بآثار السير عن مقدار ما يفهم المريد من أحوال السلوك، وهو تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً بحسب القدرة والاستطاعة كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [١٤/ التغابن/ ١٦]. وقوله (واخش): فعل أمر مبني على حذف الياء، من

خشي: خاف، بمعنى حاذر وأحذر. وقوله (**غين**): مفعول اخشَ. و(**الغين**): بالغين المعجمة: الغيم والحجاب. وقوله (**إيثار**): أي تقديم واختيار، من قولهم: رجل يستأثر على أصحابه، أي: يختار لنفسه أشياء حسنة. وقوله (**غيري**): أي ما يغايرني من الناس وغيرهم. يعني: احذرمن الاحتجاب/ [١٦٦/ أ] عن الحقّ باختيارك لنفسك شيئاً من الأشياء مطلقاً مما في الدنيا أوفي الآخرة. وقوله (**واغشَ**): بالغين المعجمة والشين المعجمة، فعل أمر من غشيه السائل أو الزائر: أتاه. وقوله (**عَيْنَ**): بالعين المهملة، أي: ذات طريقتي، أي: ما أنا سالك عليه من أحوالي.

٢٩٢- فَوَادِي وَلَاهَا صَاحِ صَاحِي الفُؤَادِ في وِلَايَـةِ أَمْـرِي دَاخِـلٌ تَحْـتَ إمْـرَتِي

(**فوَادي**): الفاء للتفريع عمّا قبله، مع التعليل. و(**الوادي**): مَفْرَجُ ما بين جبال أو تلال أو آكام، كذا في القاموس. كنّى به عن أحوال المجاهدة في طريق الله تعالى. وقوله (**ولَاها**): بفتح بالواو، أي: وَلِيَ هذه الحقيقة الإلهيّة، وأصل الولاء بالهمزة الممدودة، فقصر للوزن: المِلْك، والمَوْلَى: المالك، أو الوَلاء: من الوَلْي بسكون اللام بمعنى القرب والدنو. والوَلِيّ، فعيل، اسم منه، والمُحِبّ، والصديق، والنصير، كما في القاموس. وقوله (**صاح**): بكسر الحاء المهملة، منادى حذف منه حرف النداء تخفيفاً مرخّم، وتقديره يا صاحبي. وقوله (**صاحيَ**): اسم فاعل من الصحو، ضدّ السكر والفؤاد: القلب، أي: فارغ البال خالي القلب عن التعلّق بالأغيار، وهو صفة لقوله صاح.

وقوله (**في ولاية**): الجار والمجرور خبر قوله وادي،. والولاية بالفتح والكسر من تولّى الأمر ولاية: تقلّده. وقوله (**أمري**): أي شأني بعيني وادي ملك هذه المحبوبة وسلطنتها حاصل في جملة محل حكمي وتقليد توليتي لأمري. والوادي هو المقامات السفليّة التي هي في تصرف النفوس البشريّة دون الجبال العالية، والتلال الساميّة؛ أعني مقامات الوجدان، وتحقيقات العرفان في مقام الإحسان؛ فإنّها لا تدخل في تصرف الإنسان. وقوله (**داخل**): أي ذلك الوادي المذكور.

(تحت إمرتي): الإمرة بالكسر: الاسم من أمَر علينا، إذا وَلِي، وله عليّ إمرة مطاعة، وبالفتح: للمرّة منه، أي: له عليّ أَمْرَةٌ أُطيعه فيها. كذا في القاموس.

٢٩٣- وَمُلْكُ مَعَالِي العِشْقِ مِلْكِي وَجُنْدِي الـ ـمَعَانِي وَكُلُّ العَاشِقِيْنَ رَعِيَّتِي

(ومُلك): بالضمّ أي سلطنة، وفي القاموس: «مَلَكَه يَمْلِكُه مِلْكاً مثلّثة، وَمَلَكَة محرّكة، وَمَمْلُكَة، وبضمّ اللام أو يُثلث: احتواه قادراً على الاستبداد به». وقوله (معالي العشق): جمع مَعْلَاة، وهي كَسْبُ الشَرَف، كما يقال: رجل عالي الكَعْب، بمعنى شريف كما في القاموس. وكنّى بذلك عن المقامات العالية التي ينتجها العشق الإلهيّ. وقوله (مِلْكِي): بكسر الميم، أي: في تصرّفي، إشارة إلى أنّه يملك الأحوال ولا تملكه الأحوال. وقوله (وجُنْدي): بضمّ الجيم، أي: عسكري وأعواني المعاني الإلهيّة، والعلوم اليقينيّة، والأسرار الربّانيّة الحاصلة لي من تجلّي الذات الأحديّة؛ فإنّي أنتصرُ بها على أعدائي من الجنّ والإنس في حروب النفوس البشريّة. وقوله (وكلّ العاشقين): أي للصور الكونيّة الحسيّة والمعنويّة. (رعيّتي): أي موضع ظهور حكمي فيهم فخلافتي عليهم، ونفوذ تصرّفي فيهم إن شاؤوا، أو إنْ أَبَوا غلبة أمريّة إلهيّة.

٢٩٤- فَتَى الحبّ هَا قَدْ بِنْتُ عَنْهُ بِحُكْمِ مَنْ يَـرَاهُ حِجَابَاً فَـالهَوَى دُوْنَ رُتْبَتِي

(فتى الحبّ): بضمّ الحاء المهملة، أي: يا فتى المحبّة الإلهيّة. والفتى الشاب والسخيّ الكريم. وقوله (ها): هي كلمة تنبيه. وقوله (قد بنت): أي بعدتُ، من البَيْن بمعنى البعد والفراق. وقوله (عنه): أي عن الحبّ، بمعنى المحبّة. وقوله (بحكم مَنْ): بفتح الميم أي: حاكم، أو الذي يراه، أي: يرى المحبّ حجاباً بينه وبين المحبوب؛ وذلك لأنّ المحبّة تقتضي المغايرة بين المحبّ والمحبوب، ولا مغايرة في نفس الأمر، حيث مقام الاتّحاد المشار إليه فيما تقدّم. وقد فُتح عليّ بأبيات عند كتابتي هذا المحلّ وهو قولي:

إنّ الجميع هو المحبوب قد ظهرا وبالمحبِّين في جلبابه استترا/ [١٦٦/ ب]
وما المحبّة إلّا بالحجاب أتت فاربَأْ بنفسك عنها إنْ أردت ترى
واسلك سبيل الفنا فيمن تحبّ ولا تترك لذاتك لا عيناً ولا أثراً
يظهر لك الوجه وجه الحقّ منكشفاً للحقّ والكون عنه يكشف الخبرا
هنالك الأمر أمر الله جلّ ولا خلق مع الأمر بل الأمر قد ظهرا
والروح من أمره في الجسم ينفخها والجسم من خلفه يحوي به الصورا
ألا له الخلق والأمر استمعه تفز بسرّه واترك الأوهام والفكرا
أنت الغنيّ فلا تعشق فتحجب عن محبوبك الحقّ خلّ العشق للفقرا

وقوله (**فالهوى**): أي المحبّة دون رتبي؛ لأنّها مَرْتَبَةُ المريدين السالكين في طريق الله تعالى، لوجود الحجاب معها كما ذكرنا.

٢٩٥- وَجَاوَزْتُ حَدَّ العِشْقِ فَالحبّ كَالقِلَى وَعَنْ شَأْوِ مِعْرَاجِ اتِّحَادِيَ رِحْلَتِي

(**وجاوزت**): من جازالموضع، وأجازه غيره وجاوزه: سار فيه وخلفه. وقوله (**حدّ العشق**): أي منتهاه، قال في القاموس: «الحَدُّ منتهى الشيء، ومن كلّ شيء حِدَّتُه»، و- منك: بأسك، ومن الشراب سَوْرته. وقوله (**فالحبّ**): بالضمّ المحبّة والعشق. وقوله (**كالقِلَى**): بكسر القاف: البغض والكراهة؛ يعني: صارت المحبّة والعشق عندي بمنزلة البغض للمحبوب، وكراهته غاية الكراهة؛ لأنّ ذلك يقتضي دعوى الإثنينيّة والمشاركة مع المحبوب في الوجود، وهو الشرك الخفي. والمحبوب الحقيقيّ لا يرضى منّي بذلك لمنازعتي له في وحدانيّته؛ فالمحبّة له بغض وكراهة مِنّي له، لعدم رضاه منّي بذلك، حيث أنّي عالم بما هو مترتّب على ذلك. وأمّا إذا لم أكن عالما بذلك كأحوال المريدين السالكين؛ فالمحبّة والعشق كمال في حقّي عنده حينئذ؛ لأنّه يحكم على كلّ حقيقة بما عندها من القابليّة والاستعداد،

فما يمدح به قوماً يذم به قوماً آخرين أعلى منهم، كما قالوا: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين» قال تعالى في حقّ قوم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] ففرّق بالضمائر، وجمع بالوصف، وهو المحبّة. فمن فرّق ضميره تفرّق أمره. ومن جمع وصفه اجتمع أمره. وقوله **(وعن شأو)**: أي غاية معراج، وهو السلم الذي يرتقي به. وقوله **(اتّحادي)**: أي رؤيتي الاثنين واحداً، وهو اتّحاد الفاعل مع فعله المصدريّ؛ فإنّ فعله المصدريّ لا يصح أن يكون فاعلاً، فيكون الفاعل اثنين، فإنّ المصدر عين فعل الفاعل، ولهذا قالوا بأنّ الحقّ تعالى ليس له مفعول به، وما ورد منه ذلك فهو مفعول مطلق، والمفعول المطلق هو المصدر؛ فقولك ضربت ضرباً ليس كقولك ضربت زيداً؛ فإن زيداً مفعول به، والمفعول به هوما وقع عليه فعل الفاعل، فيكون موجوداً قبل وقوع الفعل عليه، وأفعال الله تعالى ليست واقعة على أشياء موجودة قبلها؛ بل أفعاله تعالى توجد الأشياء. فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [٦/ الأنعام/ ١] وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] ونحو ذلك فليست السموات والأرض وكذا كلّ شيء موجودات قبل خلق الله لها حتّى يقع خلقه عليها، فتكون مفعولاً به؛ بل جميع ذلك موجود بخلقه تعالى، فهو مثل قولك ضربت ضرباً؛ فإنّ ضرباً هو عين ضربت لا غيره، كما صرّح بذلك من النحاة ابن هشام في أواخر كتابه «مغني اللبيب» وغيره. فاتّحاد الفعل مع فاعله هو اتّحاد المفعول المطلق الذي هو المصدر مع الفعل الناصب له. والفاعل واحد وهو الوجود الحقّ الواحد الأحد.

فقوله **(عن شأو معراج اتّحادي رحلتي)**: أي ارتحالي. قال في القاموس: «ارتحل القوم عن المكان. والاسم الرِحلة بالضمّ والكسر، أو بالكسر: الارتحال، وبالضمّ الوجه الذي/ [١٦٧/ أ] تقصده، والسَفْرَة الواحدة». والمعنى: ارتحالي عن غاية ما أتوصّل به إلى الحقّ تعالى، وهو الاتّحاد الذي سبق بيانه، وذلك فإنّ الاتّحاد يقتضي ملاحظة اثنين أوّلاً، ثمّ ملاحظتهما واحداً، وذلك نقص وجهل في مقام الواحد

الأحد الذي لا ثاني له من الأصل؛ فاعتبار الثنويّة، ثمّ اعتبار زوال الثنويّة ليس من أحوال الكاملين، وإنّما ذلك من أحوال المريدين السالكين المتخلّصين من دعاوى نفوسهم القائمة بالشرك الخفّي قد علم كلّ أناس مشربهم والله تعالى يعطي كلّ شيء خلقه على حسب القبول والاستعداد وفوق كلّ ذي علم عليم.

٢٩٦- فَطِبْ بِالْهَوَى نَفْساً فَقَدْ سُدْتَ أَنْفَسَ الـ

ـــعِبَادِ مِـــنَ العُبَّـــادِ فِي كُـــلِّ أُمَّـــةِ

(فَطِبْ): الفاء للتفريع، يعني: إذا علمت- يا أيها المريد الصادق- أنّي جاوزت حدّ العشق بحيث صارت المحبّة عندي بمنزلة البغض والقِلى؛ فأنا أحترز عنها في جناب الحقّ تعالى، فلا تظنّ أنّ المحبّة مذمومة مطلقاً؛ فإنّها بالنسبة إليك مقام شريف، ومعراج منيف، كيف وقد ورد في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أنْ أُعرف فخلقت خلقاً تعرّفت إليهم فبي عرفوني»[1] فانظر قوله: «كنت كنزاً مخفياً». يعني: ولم أزل كنزاً مخفياً، كما قالوا في كان: إ نّها في حقّ الله تعالى تدلّ على الدوام والاستمرار، لا على المضي والانقطاع، كالشيخ إنْ قال: كنت شاباً. يعني: وقد صرت شيخاً وانقضى عليّ مرّ شبابي. وفي حقّه تعالى معنى كان: لم أزل ولا أزال كذلك، كقوله: ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٥٤] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [١٨/ الكهف/ ٤٥] ونحو ذلك. والكنز المخفيّ من قوله تعالى حكاية عن موسى والخضر عليه السلام: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ

---

(١) ذكره العجلونيّ في الكشف، ٢٠١٦، بلفظ: كنت كنزاً لا أعرف فخلقت خلقاً فعرّفتهم بي؛ فبي عرفوني. وفي لفظ: فتعرّفت إليهم، فبي عرفوني. قال ابن تيميّة: ليس من كلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي، والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم. وقال القاري: لكنّ معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥١/ الطور/ ٥٦] أي ليعرفوني، كما فسّره ابن عبّاس. انظر الكشف ٢ / ١٢٢.

﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾ أي: للغلامين اليتيمين في المدينة الإنسانيّة، وهما الروح الأمري والنفس الفلكيّة. والجدار هو الجسم الحائل بين الدنيا والآخرة، فإنّه إذا خرب زال حكم الدنيا وظهر حكم الآخرة. والكنز المخفيّ تحت هذا الجدار من قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِى﴾ [٢٠/ طه/ ٤١] وقوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِىٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] أي ذاتيّ. فالعلو إشارة إلى الظهور، وهذا معنى أنّ الحقّ تعالى كنز مخفيّ تحت جدار الجسم، فإذا بلغ الغلامان اليتيمان أشدّهما بأن قويا بقوّة أصولهما، وغلبتهما على مقتضيات الجسم استخرجا كنزهما، فظهر الكنز المخفيّ. وقوله (بعد ذلك فأحببت أنْ أُعرف) فتظهر حينئذ المحبّة الإلهيّة من قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فقال الناظم للمريد الصادق: فطِبْ بالهوى نفساً.

ولا تظن أنّ كلامنا في هذا الحديث والآية على معنى التفسير لهما فتستغرب ذلك منّا، وتحسب أننّا نمنع معنى ذلك على مقتضى ما قال العلماء. فإنّ هذا الذي ذكرناه هنا إشارة إلى بعض ما اشتمل عليه الحديث والآية؛ فإنّه عليه السلام أُوتي جوامع الكلم. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٩] فإنّه متضمِّن لمعاني لا نهاية لها، والإشارات غير العبارات. ومعنى قوله (**طبّ بالهوى نفساً**): يقال: طِبْتُ به **نفساً** أي: طَابت به نفس، كذا في القاموس. وطابت النفس ضدّ خبثت، أي: اتصفت بالطيب، وهو تزكيتها بالأخلاق الحسنة، وطهارتها من الأخلاق الذميمة، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٩] أي: طهّرها: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ١٠] أي: دسّها في تراب جسمه؛ بأن غلب عليها حكم طبيعته وأَسَرَتْها شَهَواته. وقوله (**فقد سُدْتُ**): من السيادة، يقال: ساد يَسود: صار سَيِّداً. و(**أَنْفُسَ**) مفعول سُدْتُ. والأَنْفَسُ: أفعل من تفضيل، من نَفُسَ الشيءُ ككَرُمَ نَفَاسَةً. وأصل النفيس المال الكثير، والمراد به الأكثر صلاحاً وديانة من (**جميع العباد**): جمع عبد، وهو الإنسان، حراً كان أو رقيقاً، كذا في القاموس. ويجوز

/ [١٦٧/ ب] أن تكون أَنْفُس، جمع نَفْس أيضاً. وقوله (**من العُبّاد**): بيان للأنفس. والعُبّاد بتشديد الباء الموحّدة، جمع عابد، من عَبَدْتُ اللهَ أَعْبُدُه عِبَادَةً، وهي الانقياد والخضوع، والفاعل: عابد، والجمع: عُبَّاد وعَبَدَة، مثل: كافر وكُفَّار وكَفَرَة، كذا في المصباح. وقوله (**في كلّ أمّة**): متعلّق بالعبّاد. والأمّة: بتشديد الميم أتباع النبيّ. والجمع: أُمَم، مثل: غرفة وغرف. وتطلق الأُمّة على عالم دهره، المنفرد بعلمه، كما في المصباح؛ والمعنى: إنّك صرت سيِّداً على كلّ سيِّد من الناس ممن لم يكن في مقامك، وفضلت على جميع العبّاد والزهّاد في جميع الأمم؛ لأنّك تعبد الله بالله لله، لا بنفسك، ولا حظ نفسك من جلب نفع، أو دفع ضرر عن معرفة إلهيّة، وكشوفات يقينيّة، وتجلّيات ربّانيّة. والعبّاد والزهّاد يعبدونه بقوى أنفسهم جاهلين بربِّهم، طالبين منه الثواب، ومتوقِّين بذلك من العقاب.

٢٩٧- وَفُزْ بِالعُلَا وَافْخَرْ عَلَى نَاسِكٍ عَلَا بِظَاهِرِ أعْمَالٍ وَنَفْسٍ تَزَكَّتِ

(**فز**) فعل أمر من الفوز، فَازَ يَفُوزُ فَوْزاً: ظَفَرَ ونَجَا، كذا في المصباح. والعُلا بالضمّ جمع العَلياء، قال في المصباح: «أصل العَلْياء: كلُّ مكان مُشرِف، وجمع العُليا: عُلَا، مثل: كُبْرَى وكُبَر» أراد بالعُلا مراتب التحقّق في معرفة الله تعالى. وقوله (**وافْخَرْ**): فعل أمر من الفَخْر، قال في المصباح: «فَخَرتُ به فَخْراً، من باب نفع، وافْتَخَرْتُ مثله، والاسم الفَخَار، مثل كلام، وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حَسَب ونَسَب وغير ذلك، إمّا في المتكلِّم، أو في آبائه». وقوله (**على ناسك**): اسم فاعل، من نَسَكَ لله يَنْسُك من باب قتل: تَطَوَّع بقربه» ، كما في المصباح. وقوله (**عَلَا**): أي ارتفع مفتخراً على غيره. (**بظاهر أعمال**): أي بأعماله الظاهرة، كالصلوات، والصيام، والصدقة، والحج، والعمرة، ونحو ذلك. وقوله (**ونَفْسٍ**) معطوف على ظاهر، أي: وبنَفْسٍ له. (**تزكّت**): أي تطهّرت من رذائل الأخلاق، قال في المصباح: «زَكَا الرجلُ يَزْكُو: إذا صلح، وزَكَّيْتُه، بالتثقيل: نسبته إلى الزَّكَاء، وهو الصلاح» انتهى. فإنّ أصحاب النفوس وإنْ تزكّت نفوسهم، وحسنت

أخلاقهم، وكملت أحوالهم؛ فإنّهم منازعون للحقّ تعالى، بدعوى وجودهم معه، وادّعاء الحول والقوّة في جميع أعمالهم، سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا. وهم أهل تكليف لا تشريف، وهم قائمون بنفوسهم في خدمته، فإنّهم ليسوا كمن كان هو تعالى القائم على نفوسهم بما كسبت، ولا نفوس لهم معه، فلا أعمال لهم، وهو العامل دونهم؛ فإنهم المُشَرَّفون بالأعمال الصالحة، لا مكلّفون بها؛ فلا يتركون أمراً، ولا يقدمون على نهي، تشريفاً منه تعالى لهم، ولا تكليف عليهم.

٢٩٨- وَجُزْ مُثْقَلاً لَوْ خَفَّ طَفَّ مُوَكَّلاً بِمَنْقُـوْلِ أَحْكَـامٍ وَمَعْقُـوْلِ حِكْمَـةِ

(وَجُزْ): أي تجاوز، يقال: جَاوَزْتُ الشيءَ وتَجَاوَزْتُه: تعَدَّيته، كذا في المصباح. وقوله (مُثْقَلاً): بفتح القاف، اسم مفعول، من أَثْقَلَه الشيءُ، بالألف: أَجْهَدَه، كذا في المصباح. أي: رجلاً مُثْقَلاً، يعني: فُتْ. وتجاوزت رجلاً أثقلته أعماله الصالحة، وأتعبت ظاهره وباطنه لقيامه فيها بنفسه. ودعوى حوله وقوّته، فهو مكلّف بها شرعاً، لا مشرّف بخلق الله تعالى له ذلك، فإنّ المشرَّفين لا نفوس لهم، والنفوس للمكلّفين. والمكلّفون في كُلْفة ومشقّة؛ لأنّ نفوسهم لا تقدر أنْ تخلق شيئاً، قال تعالى: ﴿لَا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤] والله تعالى مكلّفهم، أي: موقعهم في الكلفة جزاء على دعواهم، فإنّ لَطُفَ بهم خلق لهم الأعمال فيدعونها، ويعتقدون أنّها أعمالهم هم عملوها، وإنْ لم يخلق ذلك علموا أنّهم تاركون، فاستحقّوا عقابه. وقوله (لو خف): صفة لمثقلاً / [١٦٨/ أ] يقال: خَفَّ الشيءُ خَفّاً، من باب ضرب، وخِفَّة: ضدّ ثَقُل، فهو خفيف. وفي الصحاح: «خَفَّ الشيءُ خِفَّةً: صار خَفيفاً». والمعنى: لو فنيت نفسه واضمحلّت في تجلّي ربّه عليه بما كسبت، بحيث كان يجد نفسه التي هو عامل بها عين فعل ربّه به، وتصرّفه فيه، صار حينئذٍ خفيفاً، لا ثقل فيه، ولا كلفة له، ولا مشقّة عنده، لأنّه فعل ربّه،لا فاعل هو بالاستقلال. وقوله (طفّ): أي ارتفع، قال في القاموس: « طَفَّهُ بِرِجْلِه أو بيده: رفعه. وخُذْ ما طَفَّ لك واسْتَطَّف: ما ارتفع لك وأمكن». يعني: ارتفع مقامه في

حضرة الله تعالى، فكان مشرّفاً بالأعمال الصالحة التي يخلقها له تعالى الله، لا مكلّفاً بها لزوال نفسه، ودعواها أعمالها. وقوله (**مُوَكَّلاً**): بصيغة اسم المفعول، من وَكَلْتُ الأمرَ إليه وَكْلاً، من باب وَعَد، وَوُكُولاً: فوَّضتُه إليه، واكتفيت به. والوَكِيل بكذا: الحافظ، كما في المصباح. وهو وصف لمثقلاً. يعني: مَنْ أثقله الله تعالى بدعاوى أعماله، وجعله مفوّضاً إليه. كما ورد: «من اتكّل على شيء أوكله الله إليه»(١). وقوله (**بمنقول**): متعلّق بموكولا. و(**الأحكام**): جمع حكم، وأصل الحكم: المنع، يقال: حَكَمْتُ عليه بكذا: إذا مَنَعْتُهُ من خلافه، فلم يَقْدر على الخروج من ذلك، كذا في المصباح. وهي الأحكام الشرعيّة، فإنّها منقولة، لا مساغ فيها للعقل. وقوله (**ومعقول**): معطوف على منقول. والحكمة فهم معاني الخطابات الإلهيّة، وأسرار الأحكام الشرعيّة، قال الراغب في مفرداته: «الحُكْم أعمّ من الحِكمة، فكلُّ حكمةٍ حكمٌ، وليس كلّ حُكمٍ حكمةً، فإنّ الحكم أن يُقضي بشيء على شيء»، فيقول: هو كذا أو ليس كذا، وكقوله عليه السلام: «الصمت حكم وقليل فاعله»(٢) أي: حكمت. والحكمة ما نبّه عليه القرآن، فمن ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [٥/ المائدة/ ١] أي: ما يريد يجعله حكمة، وذلك حثّ للعباد على الرضا بما يقتضيه، وقيل الحكمة فهم حقائق القرآن».

٢٩٩- وَحُزْ بِالْوَلَا مِيْرَاثَ أَرْفَعِ عَارِفٍ غَـدَا هَمُّـهُ إِيْثَـارَ تَـأْثِيْرِ هِمَّـةِ

(**وَحُزْ**): بالحاء المهملة والزاي، فعل أمر من حُزْتُ الشيءَ أَحُوزُهُ حَوزاً وحِيَازَةً: ضممته، وجمعته. وكلُّ مَنْ ضمّ إلى نفسه شيئاً فقد حازه، كذا في المصباح. وقوله

---

(١) لم نجده بهذا اللفظ وإنّما أخرج أحمد في المسند، باب: حديث عبد الله بن عكيم، ١٩٢٩٤، بلفظ: من تعلّق شيئاً وُكِّل إليه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب الصمت حُكْمٌ وقليل فاعله، ٤٨١٧، وقال: غلط في هذا عثمان بن سعيد هذا، والصحيح عن أنس، كما أخرجه ابن حبّان في روضة العقلاء، باب: حفظ اللسان، بسند صحيح عن أنس، بلفظ: إنّ لقمان قال: إنّ الحُكْم الصمت وقليل فاعله.

(بالولا): أصله بالمدّ، وقصر للوزن. والولاء هو النصرة، أي: نصرة الله تعالى للعبد على نفسه وعدوِّه من الجنِّ والإنس بأنّ يتولّاه الله تعالى؛ فيجعله وليّاً من أوليائه، فعيلاً بمعنى مفعول. وفيه إشارة إلى أنّه بنصرة الله تعالى لا بنفسه يحوز ذلك. وقوله (ميراث): مفعول حُز. و(أَرْفَع عارف): هو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم من قوله: «أنا أعلمكم بالله وأكثركم منه خشية»[1] ويجوز أن يكون المراد بأرفع عارف صاحب الوراثة المحمّديّة من الأولياء الكاملين؛ فإنّه على قدر اتّصال الصورة المخلوقة بالنور المحمّدي الذي هو أوّل ما خلقه الله تعالى، وخلق منه كلّ شيء، كما ورد في الحديث تكمُلُ القرابة النسبيّة، ويتّصل الرحم الإنساني حتّى تصير العصوبة، فيحوز من الميراث بغير تقدير، وإذاْ لم تحصل العصوبة ورث نصيباً معلوماً، وهم أرباب السهام المقدّرة، يرثون من المقام المحمّدي على قدر ما للنبيِّين عليهم السلام من المقامات المحمّديّة؛ فيكون الولي الوارث موسويّاً محمّديّاً، أو عيسويّاً محمّدياً إلى غير ذلك.

وقوله (غدا): أي دخل في وقت الغَدوة والغَداة. وذلك من أوّل النهار، قاله الراغب. وفي المصباح: «الغَدَاة: الضَحْوَة». وفي الصحاح: «الغُدْوَةُ ما بين صلاة الغَداة، أي: الفجر وطلوع الشمس. والغُدُو نقيض الرَوَاح. وقد غَدَا يَغْدُو غُدُواً». وقوله (همّه): أي همَّ ذلك الذي هو أرفع عارف، كما ذكرنا. و(الهمّ): ما هَمَمَتَ به، وهَمَمْتُ بالشيء هَمّاً، من باب قتل: إذا أردته ولم تفعله، وفي الحديث «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة»[2]، أي: عن إتيان المرضع. والهَمُّ: الحُزْن. وأَهَمَّنِي الأمر: بالألف أقلقني. وهَمَّنِي هَمّاً، من باب قتل: مثلُه، كما في المصباح. وقوله (إيثار): أي/ [١٦٨/ ب] تقيم، قال في القاموس: «رجل يستأثر على أصحابه، أي

(١) قال الهنديّ في كنز العمّال: أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أنا أعلمكم بالله، ٣١٩٩١، بلفظ: إنّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا.
(٢) أخرجه مالك في الموطّأ، باب: جامع ما جاء في الرضاعة، ١٢٩١، وله طرق كثيرة.

يختار لنفسه أشياء حسنة. وأَثِرَ على أصحابه كفَرِح فعل ذلك. وتأثير مصدر. أَثَّرَ فيه تَأثِيراً ترك فيه أثراً. والأَثَر محرّكة: بقيّة الشيء».

و(الهِمّة): بالكسر، وتُفتح: ما هَمَّ به من أمر ليُفْعَل، والهوى، كذا في القاموس. والمعنى: صار ميله وقصده دائماً تقديم واختيار تأثير همّته القلبيّة، وتوجّه إرادته الربّانيّة جهة ما يريد من الأفعال والتحكم في كلّ شيء بصدق الحال، فلا يميل ولا يقصد غير الله تعالى الذي ظهرت له صفاته بظهور صفاته، وتجلّت عليه أسماؤه الحسنى بأعيان أسمائه في جميع حالاته، فانكشف له بأن صفاته الإنسانيّة ظلال صفات ربّه المنزّهة العليّة، وأسماءه المختلفة العرضيّة ظلال أسماء ربّه الحسنى البهيّة، وانعدمت ذاته التقديريّة في ذات ربّه المحقّقة الوجوديّة؛ فاستغنى بما فيه من الظلال القائمة بشواخص المرادات، والمعلومات الإلهيّة من حضرة الإرادة على طبق علم ذي الجلال، فظهر به الغيب المطلق، والحقّ المحققٌ بذاته، وصفاته وأسمائه التي هي ظلالات ذات ربّه وصفاته وأسمائه؛ بمعنى: آثارها التقديريّة وتصويراتها العدميّة الإمكانيّة فانمحق العبد المحقوق من قبل بالكليّة، وتحقّق الحقّ المحقّق من قبل على ما هو عليه في حضرته العليّة. فشهد منه الجاهلون ما كان يشهده من نفسه قبل ذلك لاحتجاجهم من عدم معرفتهم بنفوسهم بكلّ شيء هالك. وشهد هو من نفسه ما قال تعالى في جملة كلامه القديم: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٣/آل عمران/ ١٨]. وهذا المقام المحمّديّ، والميراث الأحمديّ.

٣٠٠- وَتِهْ سَاحِباً بِالسُّحْبِ أَذْيَالَ عَاشِقٍ   بِوَصْلٍ عَلَى أَعْلَى المَجَرَّةِ جَرَّتِ[1]

(وته): بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة وسكون الهاء، فعل أمر من تَاه فهو تائِه. وتَيَّاه: من التِيْه، بالكسر: الصَلَف والكِبْرياء، كذا في القاموس. وقوله (ساحباً): حال

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ «بلغ». يعني: بلغ سماعاً ومقابلة على نسخة الشيخ النابلسي رحمه الله تعالى.

من فاعل الفعل من سَحَبَهُ كمنعه: جَرَّهُ على وجه الأرض فانْسَحَب. والسُّحْب بضمّ السين المهملة وسكون الحاء جمع سَحَابَة، وهي الغيم. والباء للظرفيّة، أي: في السحب؛ يعني: فوق السحاب. وقوله (**أذيال**): مفعول ساحباً، جمع ذيل، وهو من الثوب والإزار: ما جُرَّ. وقوله (**عاشق**): أي رجل عاشق، وهذا من نوع التجريد، كقولك رأيت من زيد أسداً، وتقديره: هنا ساحباً منك أذيال رجل عاشق، أي: صاحب عشق إلهيّ: والمعنى: افتخرْ وتكبّرْ على جميع العشّاق بعشقك الربّاني، ومحبّتك الأصليّة في المقام النورانيّ.

ومن هنا يقول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في شرح الوصايا اليوسفيّة: « وإنْ كبرتْ عند العارف نفسه فليس ذلك الكِبْر بمذموم، وإنّما هو لمشاهدة حقيقة كونها على صورة منشئها؛ فالكبرياء لله لا لها. فإنْ صغرت في هذه الحالة عنده أو صغّرها بنظره عند نفسها فقد صغّر الحقّ، وألقاها في بحر الجهل بنفسها، وأخرجها عن معرفتها بها. ومن خرج عن معرفة نفسه فقد خرج عن معرفة ربّه؛ فالعلماء تشهد نفوسهم ذات كبرياء وعظمة. والمريد يشهدها صاغرة ذليلة. فإنْ صغرت عند العالم كان نقيصاً في حقّه، ولم يكن عالماً، وعاد ذلك الصغر على ربّه فأساء الأدب، فاستوجب الطرد. وإنْ كبرت عند المريد نفسه فليس بمريد؛ بل هو من العوام. (**بوصل**): متعلّق بساحباً، أي: بسبب وصل، أي: اتّصال بحضرة المحبوب الحقيقيّ كاتّصال الظلّ بالشاخص فهو اتصال بلا اتّصال. وانفصال من غير انفصال، كما قال تعالى بطريق الإشارة القرآنيّة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي: الظلّ الذي هو الكائنات جميعها: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ﴾ أي نوراً ذاتياً، العليّة ﴿عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] إذْ لولا النور لما ظهر الشيء المستور، ولولا الشاخص/ [١٦٩/ أ] الإرادي على طبق العلم الإلهيّ لَمَّا ثبتت في العدم قبل ذلك الظهور أعيانُ الكائنات كلّها: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [٢٥/ فرقان/ ٤٦] بإرجاع كلّ شيء إلى أصله. وهذه هي الحالة في عالم الدنيا.

وأشار تعالى إلى الحالة أيضاً في عالم الآخرة بإشارة قوله سبحانه في سورة الواقعة التي هي صورة الواقعة: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٢٧-٢٩] الآية. ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٤١-٤٣] فكلا الفريقين في الظلّ على معنى أنّهم عين الظلّ في الآخرة أيضاً. والآخرة تكوين على مثال ما هذه الدنيا تكوين: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣]؛ وإنّما التفاوت من وجوه أُخَر. وقوله **(على أعلى المجرّة)**: أي أرفعها. و**المَجَرَّةِ** بفتح الميم وفتح الجيم وتشديد الراء مفتوحة آخره هاء: طريق أبيض يظهر في السماء، وقال في الصحاح: «المجرّة: التي في السماء، سميت بذلك لأنّها كأثر المَجَرّ». وقوله **(جُرّتِ)**: بضمّ الجيم وتشديد الراء وكسر التاء للقافية، وهو فعل ماض مبني للمفعول. والمعنى: إنّ تلك الأذيال مجرورة على أعلى ما يكون من أطراف المجرّة التي في السماء، يعني: من جهة التفاخر والتكبّر؛ لأنّه لم يتكبّر بمخلوق من مال، أوجاه، أو شيء من الكائنات. وإنّما تكبّر بالحقّ سبحانه وتعالى، قال تعالى في ذمّ من تكبّر بغيره: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٦] الآية؛ إذ لو تكبّروا بالحقّ لكان ذلك تكبّر الحقّ لا تكبّر نفوسهم بغيره.

٣٠١- وَجُلْ فِي فُنُوْنِ الاتِّحَادِ وَلَا تَـحِدْ   إِلَى فِئَـةٍ فِي غَـيْرِهِ العُمْـرَ أَفْنَـتِ

(وجل): فعل أمر من الجَوَلان، وهو الطواف، يقال جَال في الحرب جَوْلة، وفي الطواف جَوْلاً، ويضمّ. وجُؤُولا، وجَوَلاناً محرّكة وجِيْلالاً بالكسر: طاف، كذا في القاموس. وقوله **(في فنون)**: جمع فَن، وهو الضرب من الشيء. و**(الاتّحاد)**: هو ظهور الأمر واحداً بعد ظهوره اثنين فأكثر، كما إذا نظر الإنسان إلى نفسه وجسمه الظاهر، أو إلى نفس غيره، وجسم غيره الظاهر، فرأى له يدين ورجلين وعينين وأذنين ولساناً وشفتين ومنخرين وسبيلين. ورأى لكلّ واحد من ذلك

حركة على الاستقلال، وخاصّيّة لا توجد إلّا فيما شاكله، يظنّ كثرة في هذا الظاهر له، المتعدّد عنده في الظاهر بحسب الصور المختلفة والخاصّيات. فإذا تفطّن لذلك، وزالت غفلته تنبَّه للاتّحاد الذي يعينه الناظم، قُدّس سرّه، ويريده فيما يذكره من هذه القصيدة وغيرها، ويجد أنّ المتصرّف في كلّ واحد من اليدين والرجلين والأذنين وبقية الجوارح إنّما هو واحد لا تعدد فيه، وهو الإنسان الحيّ الظاهر في كلّ صورة من صور جوارحه وحواسه في وقت واحد بطريق الاستيلاء على ذلك كلّه بخاصّيّة كلّ جارحة. ولا يشك في وحدته أصلاً، وعدم انقسامه وتجزيه. وهذا مثال فن من فنون الاتّحاد، وهو الاتّحاد الأفعاليّ. وفوق هذا مقام الاتّحاد الأسمائيّ بأن ترجع الأسماء كلّها إلى مسمّى واحد. وفوق ذلك الاتّحاد الصفاتيّ بأن ترجع الصفات كلّها إلى موصوف واحد. ثمّ الاتّحاد الذاتيّ بأن ترجع الصفات كلّها ذات واحدة كما قلنا من قصيدة:

فصفاتنا كلّ الصفات وذاتنا ... كلّ الذوات وروحنا الأرواح

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وقوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٢١] ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [٥/ المائدة/ ١٨] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٢] ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [١١/ هود/ ٣٥] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [٤١/ فصلت/ ٥٤] إلى غير ذلك من الإشارات القرآنيّة، والعبارات الفرقانيّة التي تظهر للعبد إذا عرف نفسه فلم يتعدّ طوره/ [١٦٩/ ب] وتحقّق بفنائه في وجود ربّه وبقائه. وقوله (ولا تحِد): بكسر الحاء المهملة فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وأصله تحيد؛ فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. قال في القاموس: «حَادَ عنه يَحِيدُ حَيْداً وحَيَداناً ومَحِيْداً وحُيُوداً وحَيْدَةً وحَيْدُوْدَةً: مال». يعني: لا تمل. (إلى فئة):

متعلّق بتجِد. و(الفِئَة): بكسر الفاء: الطائفة من الناس. وقوله (في غيره): متعلّق بأفنت، آخر البيت، وقدّم للحصر. والضمير يرجع إلى الاتّحاد. وقوله (العمر): بالنصب مفعول مقدّم لقوله (أفنتِ): أي أذهبت عمرَها. وكسرةُ التاء للقافية، والمعنى: لا تمل إلى طائفة موصوفة بأنّها أفنت عمرها في غيره، وهو التعدّد والكثرة في الفاعل، والمسمّى، والموصوف، والذات. فيشهدون ذوات كثيرة، لها صفات مختلفة، وأسماء متعددة، إلى آخر عمرهم، كما قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [١٠٢/ التكاثر/ ١] وقال تعالى خطاباً للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم لما كان في مقام الاتّحاد المذكور: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [١٠٨/ الكوثر/ ١] مشتق من الكثرة. وقد أعطيت لحقيقته صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا قال لهم تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨] الآية. وورد في الحديث أنّ أول ما خلق الله تعالى نوره صلّى الله عليه وسلّم، ثم خلق الأشياء من نوره[1].

٣٠٢- فَوَاحِدُهُ الجَمُّ الغَفِيْرُ وَمَن عَدَا ... هُ شِرْذِمَةٌ حُجَّتْ بِأَبْلَغِ حُجَّةِ

(فواحده): أي واحد مقام الاتّحاد المذكور. يعني: الواحد منهم باعتبار وجدانه ذلك الاتّحاد في نفسه، وإلّا فكلّ واحد من العالم العلويّ والسفليّ عين الجميع، عرف نفسه فوجد ما ذكرنا من الاتّحاد المذكور أو لم يعرف، ولكنَّ الجعل مختلف، والوجدان الذي هو المعتبر عقلاً وشرعاً وعرفاً غير مؤتلف، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [٣٨/ ص/ ٢٨]؛ ولهذا صرّح بالجعل في جهة المؤمنين والمتّقين لشهودهم ذلك في أنفسهم وفي غيرهم، ولم يصرّح به في جهة المفسدين والفجار لعدم شهودهم ذلك في نفوسهم وفي غيرهم، فلمّا ظهر لهم أمر الجعل أظهره في كلامه، ولمّا لم يظهر لغيرهم لم يظهره، فكان مقدّراً في المعنى، وقال تعالى على هذا المنوال: ﴿أَمْ حَسِبَ

(١) انظر تخريجه ص١٤٥.

ﭐلَّذِينَ ﭐجْتَرَحُواْ ﭐلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ [٤٥/ الجاثية/ ٢١] فإنّه يحشر المرء على ما مات عليه. فإذا اختفى عنهم الجعل في الدنيا اختفى في الآخرة. ثمّ قال تعالى: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي: قبح حكمهم في ذلك. وقد وجدنا أناساً من الجاهلين الغافلين عن ذوق الحقائق، ووجدان الرقائق يتعلمون كلام أهل الله، ويفهمونه ويظنون أنّ فهمه كاف، وأنّ الفهم عين الذوق والوجدان فيدَّعون لأنفسهم مقامات القوم، وهم عنهم بمعزل بعيد، كما قال تعالى: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٤٥/ الجاثية/ ٢١].

وفي بعض النسخ (فواجده) بالجيم، أي: القوم الواجدون له، من الوجدان، وهو الذوق والإحساس. ويؤيده قوله في مقابلته (شرذمة) وقوله في البيت الذي بعده (واتبع أمّة فيه أمّتِ). وقوله (الجم الغفير): أي جماعة الناس كلّهم شريفهم ووضيعهم، قال في القاموس: « الجَمَّاء الغَفِيْر: البَيْضَةُ التي تَجْمَع الرأسَ وتَضُمُّهُ. وجاؤوا جَمّاً غَفِيراً، وجَمّاء غفيراً، وجَمَّ الغَفِيْر، وجَمَّاءَ الغَفِيْرِ، والجَمّاءَ الغَفِيْرَ، وجَمَّاءَ الغَفِيْرَى، وجَمَّ الغَفِيْرَةِ، وجَمَّاءَ الغَفِيْرَةِ، والجَمَّاءَ الغَفِيْرَةَ، وجَمَّاء غَفِيْرَةً، والجَمَّ الغَفِيْرَ، وبِجَمَّاءِ الغَفِيْرِ، وبِجَمَّاءِ الغَفِيْرَةِ أي: جميعاً؛ شريفهم، ووضيعهم، لم يتخلّف أحد، وهم كثيرون، وهو عند سيبويه: اسم وضع موضع المصدر، أي: مررت بهم جمعاً غفيراً، وجعله غيره مصدراً، وأجاز ابن الأنباريّ فيه الرفع على تقدير: هم. وقال الكسائيّ: « العرب تنصب الجَمَّاءَ الغَفِيرَ في التمام، وترفعه في النقصان»[1]. وقوله (ومن/ [١٧٠/ أ] عداه): أي عدا ذلك الواحد المذكور. (شِرْذِمَة): بكسر الشين المعجمة وسكون الراء وكسر الذال المعجمة وفتح الميم، وآخره هاء. قال في القاموس: «الشِرْذِمَةُ، بالكسر: القليل من الناس». وقلّتهم باعتبار عدم الاعتداد بهم لحقارتهم من قبيل قول الشاعر:

---

(١) انظر مادّة غفر في القاموس.

إنّ الكرام كثير في البلاد وإنْ قلّوا كما غيرهم قِلٌ وإنْ كثروا

يعني: إنّ الكرام كثير في البلاد وإن كان واحداً، فذلك الواحد هو الكثير. وقال الآخر:

هو واحد كالألف في زمن به ألف كواحِدْ

وقال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦] أي: بالقرآن، قال البيضاوي: « كثرة كلّ واحد من القبيلين بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابليهم؛ فإنّ المهديين قليل بالإضافة إلى أهل الضلال كما قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [٣٤/ سبأ/ ١٣] ويحتمل أنْ تكون كثرة الضالّين من حيث العدد، وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف، كما قال الشاعر: (قليل إذا عدّوا كثير إذا شدّوا)». وقوله (حُجّتْ): بضمّ الحاء المهملة وتشديد الجيم، فعل مبني للمفعول، ونائب الفاعل ضمير راجع إلى تلك الشرذمة، من حَجَّهُ بالتشديد: غلبه بالحُجَّة، وهي بالضمّ: البرهان. وقوله (بأبلغ حُجّةٍ) بضمّ الحاء المهملة وتشديد الجيم؛ أي أبلغ برهان قاطع للخصم؛ وذلك الكتاب، والسنّة، والكشف الصحيح المؤيّد بهما؛ فإنّ الكتاب والسنّة إذا فُهما بالفهم الإلهيّ المنوّر بالعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢] وصل العبد السالك إلى علوم الكشف والوجدان، واستغنى بالعيان عن الدليل والبرهان، ولا يضرّ في ذلك إلّا النظر العقليّ في معاني الكتاب والسنّة. قال الشيخ أرسلان الدمشقي قدّس الله سرّه في رسالته: « الناس تائهون عن الحقّ بالعقل»: فإنّ النظر بالعقل اجتهاد. وجاء في الحديث أنّ المجتهد يخطئ ويصيب، وأنّه مثاب على خطئه مرّة، وعلى صوابه مرّتين، وذلك في العمليّات وفي الاعتقاد إذا أخطأ في الاجتهاد؛ فليس بمثاب وعليه العقاب. وأمّا

قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من يُرد الله به خيراً يفقِّهه في الدين ويلهمه رشده»[1] فليس هذا من قبيل الاجتهاد بالعقل في الشرع، وإنّما هو من قبيل قوله (صلّى الله عليه وسلّم) في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»[2] إلى آخره. فإنّ ذلك يقتضي أنّه إلهام من الله تعالى، وابتداؤه في العبد الجاهل الغافل اعتبار جانب الحقّ تعالى، المتصرّف في ظاهره وباطنه، وتسليم الأمور كلّها إليه، ومراقبته في جميع الأحوال، والإخلاص إليه في الأعمال بأن يقصد بها مجرّد التقرّب إليه تعالى على الدوام حتى يظهر له من نفسه أنّه تعالى هو العامل به، لا أنّ العبد هو العامل بنفسه، فإنّه إذا داوم على هذه الحال أحبّه ربّه، فكان سمعه الذي يسمع به لا سمعه الذي لا يسمع به. وهو أذنه وصماخها وقوّتها المنبثّة فيها. وكان بصره الذي يبصر به لا بصره الذي لا يبصر به. وهو عينه وحدقتها وأجفانها، والقوّة المنبثّة فيها إلى غير ذلك. فيظهر له معنى قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٧] فيكون من له علوم الإلهام أعلى من أهل العقول والأفكار والأفهام. ثمّ يترقّى إلى مقام الاتّحاد، وتندرج في حقيقته جميع حقائق الأعداد من المثاني والآحاد، كما قال تعالى في إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [١٦/ النحل/ ١٢٠] الآية. وأخبر تعالى عن نُعيم بن مسعود بن الأشجعيّ رضي الله عنه بصيغة الجمع في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ [١٧٠/ ب] ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٧٤].

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب العلم قبل القول والعمل، ١٠، دون لفظ ويلهمه رشده، وله طرق كثيرة. وقد أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير بهذا اللفظ، ١٦١٤٢.

(٢) انظر تخريجه ص١٤٦.

٣٠٣- فَمُتَّ بِمَعْنَاهُ وَعِشْ فِيْهِ أوْ فَمُتْ   مُعَنَّـاهُ وَاتْبَـعْ أُمَّـةً فِيْـهِ أمَّـتِ

(فمُتَّ): الفاء للتفريع على ما قبله. يعني: إذا علمت ما ذكر من الفضيلة في مقام الاتّحاد الإلهيّ. (مُتَّ): بضمّ الميم وتشديد التاء المثنّاة الفوقيّة: فعل أمر من المَتّ بفتح الميم وتشديد التاء. قال في القاموس: «المَتّ :التوسّل بقرابة»، أي: بسبب القرابة، وهي الرحم كما ورد في الحديث: «الرحم شجنة متعلّقة بالعرش»[1] وفي رواية تقول: «من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله » والعرش هو المستوى الرحماني؛ فالرحم مشتقّة من الاسم الرحمن. والشِجْنة بالكسر وبالجيم: الشُعْبة. وقوله (بمعناه): أي معنى الاتّحاد المذكور، وهو ما يدل عليه لفظه؛ يعني: توسّل بالقرابة والرحم المتّصلة بالاسم الرحمن، المستوي على العرش الذي هو أعلى الكائنات جميعها؛ أي: اجعل ذلك وسيلتك إلى الاتّصال به، وانقطع عمّا سواه إليه، بسبب معنى الاتّحاد المذكور بينك وبينه، وهو أمره الحقّ الذي أنزله إليك، كما قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [٥٦/ الطلاق/ ٥] وقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ١٢] فأنت خلق قائم بأمر، والكلّ له تعالى، كما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وقوله (وعِشْ): فعل أمر من العَيش، وهو الحياة. وقوله (فيه): أي في الاتّحاد المذكور. يعني: اجعل حياتك في الدنيا كلّها في مقام الاتّحاد المذكور. وقوله (أو فَمُتْ): يعني إذا لم يحصل لك ذلك الاتّحاد لتقصيرك في أسباب تحصيله. (مُتْ): بضمَ الميم وسكون التاء، فعل أمر من مات يموت: فارق الحياة حال كونك. (مُعَنَّاه): بالعين المهملة وبتشديد النون، أي: معنى ذلك الاتّحاد بمعنى أسيره. يقال عنوت فيهم: صرت لهم أسيراً. أو (مُعَنَّاه): يعني صاحب عناء، أي: تعب،

---

(١) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، وفي الأوسط، ١٦٣٧٣، بلفظ: الرحم شجنة من الرحمن، تعلّقت بحقوي الرحمن، تقول: اللهم صِلْ من وصلني، واقطع من قطعني.

وجهد، ومشقّة في طلبه، وتمنّي حصوله، قال في القاموس: « عَنَاه الأمرُ يَعْنِيْهِ ويَعْنُوْهُ: أَهَمَّهُ، واعْتَنَى به: اهْتَمَّ. وعَنَى عَنَاءً وتَعَنَّى: نَصِبَ وتَعِبَ». وقوله (واتْبَعْ) فعل أمر من الاتّباع، وهو الاقتداء، قال في القاموس: « تَبع كفَرِح تَبَعاً وتَبَاعة: مشى خلفه، ومرّ به فمضى معه». و(الأُمَّة): بتشديد الميم وضمّ الهمزة، جماعة أرسل إليهم رسول، والجيل من كلّ حيّ، ومن هو على الحقّ ومخالف لسائر الأديان، كذا في القاموس. و(فيه): متعلّق باتبع. والضمير للاتّحاد المذكور. وقوله (أَمَّتِ) بتشديد الميم والتاء ساكنة للتأنيث وحركت بالكسر للقافية. وأَمَّه: قصده كَأَتَمَّهُ وأَمَّمَهُ وتَأَمَّمَه ويَمَّمَهُ كذا في القاموس. وتنكير أمّة للتعظيم، وهي أمّة أهل التوحيد الحقيقيّ، العارفون بربّهم، المحقّقون.

٣٠٤- وَأَنتَ بِهذَا المَجْدِ أَجْدَرُ مِنْ أَخِي اجْـ ـتِهَادٍ مُجِـدٌّ عَـنْ رَجَـاءٍ وَخِيْفَـةِ

(**وأنت**): يا أيها السالك لمقام الاتّحاد المذكور حينئذ. (**بهذا المجد**): أي نيل الشرف العظيم، والكرم الفخيم. (**أجدر**): أي أحقّ وأولى أنْ يكون لك (**من أخي**): أي: مؤاخي ومصاحب اجتهاد بنفسه في طاعة الله تعالى ظاهراً وباطناً، فإنّ الطاعة والعبادة من أشرف الخصال، لكنّها إذا كانت بالنفس والغرض الهوى الدنيويّ أو الأخرويّ كانت مذمومة لمنازعة الحقّ تعالى في إيجادها بطريق الدعوى، مخالفة لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] فإنّ شعر العبد بذلك وأصرّ بذلك فهو قَدَري يعتقد خلق أفعاله، وإنْ لم يشعر فهو جاهل بعموم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٦] والجاهل في مقام أدنى، وربّما يعاند الجاهل فيقول: أنا لا أجد في نفسي أنّي موجد لأفعالي، وإنّما أعتقد نسبتها لي، والموجد لها هو الخالق، وهو الله تعالى وحده، فإنّه تعالى أوجدها لي، لا له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فنسب العمل إلينا لاتّصافنا به، وعدم اتّصافه هو به، فقال له: داؤك نفسك التي تعتقد/[١٧١/ أ] استقلالها بالقيام

مع الله تعالى، يقول: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] فنفسك مجرّد صورة معنويّة خلقها الله تعالى، وخلق لها ما شاء من الأفعال، فإنْ أضلّها خلق لها دعوى الاستقلال، وإنْ هداها ظهر هو قائماً عليها بما كسبت من خير أوشرّ، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٧-٨] فإنّ ذلك الجاهل أنت، أثبتَّ النفس مع الله تعالى، فكيف يكون مقام الاتّحاد الذي هو أشرف المقامات؟! فيقال له: هذا إثبات ضدّ النفي لا وجود له، فإنّ الوجود واحد، وهو الله تعالى وحده، وجميع ما عداه ثابت بإثباته تعالى لأمر [و]جود، والفرق عندنا ظاهر بين الوجود والثبوت، فإنّ الوجود ضدّ العدم، والثبوت ضدّ النفي، فقد يكون الشيء ثابتاً وليس بموجود. وكذلك جميع العوالم فدعوى الوجود مع الله تعالى هي الدّاء العضال، قال القائل:

فإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

وإنّما الوجود الظاهر للعوالم كلّها في الحسّ والعقل هو تجلّي وجود الحيّ القيّوم الذي جميع العوالم ثابتة بإثباته تعالى لها، فهي ليست بمنفيّة؛ فإنّ المنفي هو الذي لا تقدير له في العدم أصلاً، وإلى إثبات العوالم بتثبيت الله تعالى لها جميعها من دون وجود، أشار قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] وهو قوله الحقّ، وهو أمره الصدق المشار إليه عندنا بـ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧]، فأخبر تعالى أنّ قوله ثابت لا موجود ثانٍ معه، فإن الجود المحض مختصّ بذاته تعالى. وقوله (الذي): هو كلامه القديم ثابت له أزلاً وأبداً، يثبّت به الذين آمنوا وهم أصحاب الإيمان الكامل، أي: يجعلهم به ثابتين فقط من غير وجود بعد أنْ كانوا منفيّين، ولمّا كان قوله الثابت تابعاً لذاته؛ لأنّه صفة ذاته؛ فإنّ كلامه تعالى صفة من صفاته، ظهر بها وجوده الذاتيّ متجلّياً عندنا فترجم لنا تعالى قوله الثابت بـ﴿ كُن ﴾ أي: أوجد فيوجد. فسرى التجلّي الوجوديّ

من قوله تعالى: ﴿كُن﴾ ولهذا جاء بعده ﴿فَيَكُونُ﴾ ومع ذلك فالوجود على ما هو عليه لله تعالى وحده، ولا وجود لشيء معه أصلاً. ولهذا نبّه تعالى على ذلك بأنّ الشيء الذي قال له ﴿كُن﴾ أي أوجد. وأخبر عنه بأنّه ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فيوجد هالك فانٍ، حيث قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] أي: إلّا ذاته التي هي مجرّد الوجود الحقّ. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] أي: ذاته. والهالك والفاني معدوم، لا وجود له، وإنّما له مجرّد الثبوت كما ذكرنا. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[1] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/الأنعام/ ٣] أي: هو هذا الوجود الظاهر المتجلّي على أعيان السموات والأرض التي هي كلّها ثابتة بتثبيته، لا منفيّة ومعدومة لا وجود لها أصلاً.

ومن المعلوم أنّ الوجود الصرف الحقّ الحقيقيّ الذي لا تقييد له بصورة حسيّة، ولا معنويّة، ولا بحدّ، ولا بمكان، ولا بزمان إذا أثبت من العدم الصرف، وصوّر من سموات وأرض وأماكن وأزمان وعوالم كثيرة مختلفة، ظهر من وراء ذلك كلّه محيطاً بذلك كلّه، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] أي: ولا يكون حالاً في شيء من ذلك؛ إذ لا شيء موجوداً معه حتى يحلّ فيه، أو يخالطه أو يمازجه. والأشياء كلّها معدومات. ولولا تجلّيه وظهوره عليها لما رآها الجاهل الغافل موجودة في حسّه وعقله أصلاً. وقد شرد بنا القلم عمّا نحن بصدده لحكمة يعلمها الحقّ تعالى الذي هذا كلّه من مدده. وقوله (مُجِدٌّ): بتشديد الدّال المهملة اسم فاعل من الجِدّ بالكسر وهو الاجتهاد في الأمر وضدّ الهزْل، كذا في القاموس. وهو صفة (لأخي اجتهاد): من قبيل التأكيد اللفظي بمرادفه، كقوله قمت وقوفاً، وقعدت جلوساً. أو بمعنى/ [١٧١/ ب] غير هازل.

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

وقوله (**عن رجا**): أي عن طمع في ثواب الله تعالى ونعيم جنّته، وهو متعلّق بـ(مُجِدٌّ): أي مجتهد في طاعة ربّه اجتهاداً صادراً منه عن طمع في ثوابه، ودخول جنته. وقوله (**وخِيْفَةِ**): بكسر الخاء المعجمة، مصدر خَاف يَخَاف خَوْفاً ومَخَافَةً وخِيْفَة، وأصلها خِوْفَة، كذا في القاموس، معطوف على (رجاء): أي خوف من عقابه تعالى وأليم عذابه، وهذا مقام للعباد والزهّاد والقائمين بنفوسهم، كما ذكرنا في عبادة الله تعالى وطاعته؛ فإنّهم يعبدونه طمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه، فجنّتهم هي الجنّة الثابتة في الآخرة. وأهل مقام الاتّحاد الحقيقيّ المذكور جنتهم الذات؛ ذات الوجود الحقّ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٧-٣٠] فإذا دخلت في عباده ودخلت جنّته حصل لها مقام الاتّحاد الحقيقيّ المذكور على التنزيه التام والتسبيح العام من غير قصور.

٣٠٥- وَغَيْرُ عَجِيْبٍ هَزُّ عِطْفَيْكَ دُوْنَهُ بِأَهْنَى وَأَنْهَى لَذَّةٍ وَمَسَرَّةِ

(**وغير عجيب**): أي ليس بأمر يتعجب منه أحد، وهو خبر مقدّم. وقوله (هَزُّ): بالزاي المعجمة، أي: تحرك واضطراب، مبتدأ مؤخر. وقوله (عِطفيكَ): تثنية عِطْف بكسر العين المهملة، قال في القاموس: « عِطْفَا كلّ شيء بالكسر: جانباه، وتَنَحَّ عن الطريق، ويفتح، أي: قارِعَتَه. وهو ينظر في عِطْفَيْهِ، أي: معجب. وجاء ثاني عطفيه، أي: رَخِي البال، أو لاوياً عنقَهُ، أو متكبِّراً معرضاً. وثَنَى عَنْي عطفَهُ: أعرض. وتَعَوَّج الفرس في عطفيه: تثنى يمنة ويسرة » والمُراد هنا بهز عِطْفَيْكَ أي: مَنْكِبَيْكَ. كناية عن التبختر والتفاخر؛ فإنّه من خواص مشية المتكبّر. وقوله (**دونه**): أي عنده؛ يعني عند هذا المُجِدّ المتقدّم ذكره، وهو مقام الاتّحاد المذكور من قبل. يعني: تكبّرك به، واقتخارك على كلّ عابد وناسك من أهل الغفلة عن هذا المقام الشريف، والتكبّر إذا كان بالحقّ فهو حقّ كما سبق، وإذا كان بالباطل فهو باطل. وكلّ شيء ما خلا الله تعالى باطل، قال صلّى الله وسلّم في الحديث الصحيح

الذي رواه مسلم في صحيحه: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ ما خلا الله باطل»(1) وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٦] الآية، يعني: بالباطل. وقوله (بأهنى): متعلّق بهزّ، وهو بيان لمعنى تكبّره بالحقّ، الذي هو تكبّر حقّ؛ وذلك إنّما يكون بسبب ما يجده في نفسه من فرحه وسروره بلقاء ربّه.

وقد نقل عن الإمام مالك رضي الله عنه أنّه لمّا سئل عن قوم يذكرون الله تعالى في المسجد، ويتواجدون، ويرقصون فقال: دعوهم يفرحوا بربّهم». و(أهنى) أفعل تفضيل، أصله بالهمزة أهنئ فخفف بحذفها، قال في القاموس: « الهَنِيءُ والمَهْنَأ: ما أتاك بلا مشقّة، وهو هنيء: سائغ». وقوله (أنهى): أفعل تفضيل أيضاً، أي: أكثر نُهْيَةً، والنُهْيَةُ بالضمّ: غايَةُ الشيءِ وآخِرُهُ كالنهاية والنِّهاء، مكسورتين، كذا في القاموس. والمعنى: بأكثر نيل وحصول بلا مشقّة، وغاية ما يكون. وقوله (لذّة): على معنى مِنْ البيانيّة، أي: أكثر نيل وحصول بلا مشقّة من لذّة، وهي نقيض الألم، راجع إلى أهنى، أي: لذّة تكون من لذائذ الدنيا والآخرة. (ومسرّة): مصدر سَرَّهُ سُرُوراً، وسُرّى، بالضمّ، كبُشرى. وتَسِرَّة ومَسَرَّة: أفرحه. والاسم السَرور بالفتح، كما في القاموس، وهو راجع إلى أنهى سروراً؛ أي: أكثر ما يكون من غاية السرور في الدنيا والآخرة قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [١٠/ يونس/ ٥٨] أي: يجمعونه عندهم، أي: عند نفوسهم من كلّ ما سواه تعالى. إشارة إلى مقام الاتّحاد المذكور؛ فإنّ لذات الوصول إلى مقام الاتّحاد ومسرّات القبول في مقام الفناء عن الوجود والإيجاد أبلغ لذّة، وأكمل سروراً، ويحقّ للعارف المتحقّق بذلك أن يفتخر في الكونين، ويتكبّر بشهوده في الدارين.

---

(1) انظر تخريجه ص٤٠٣.

٣٠٦- **وَأَوَصَافُ مَا يُعْزى إِلَيْهِ كَمِ اصْطَفَتْ   مِـنْ النَّـاسِ مَنْـسِيَّاً وأَسْـماهُ أَسْـمَتِ**

/[١٧٢/أ] (**وأوصاف**): جمع وصف، يقال: وَصَفَهُ وَصْفاً: نَعَتَهُ، كذا في القاموس. وقوله (**ما يُعزى**): بالبناء للمفعول وبالزاي المعجمة، ونائب الفاعل ضمير عائد إلى هذا المُجِدّ المذكور، وهو مقام الاتّحاد الجالب لغاية اللّذة والسرور. ومعنى (**يُعزى**): ينسب. (**إليه**): متعلّق بـ(**يعزى**). والضمير راجع إلى (**ما**): والمعنى: صفات الحقّ تعالى الذي ينسب إليه هذا الاتّحاد. (**كم**): خبريّة. أي: (**كم اصطفت**): أي لها اصطفاء كثير، أي: اختصاص، يقال: اصطفاه بمعنى اختاره، وقدّمه على غيره، فجعله صفوته.

وقوله (**من الناس**): نعت للنكرة التي بعده. والتقدير منسيّاً من الناس. و(**منسيّاً**): مفعول لاصطفت. و(**المنسي**): اسم مفعول من نَسِيَهُ نِسْياناً: ضدّ حفظه. وهو مَنْسِيّ الذكر بحيث لا يعرف فيذكر. وقوله (**وأسماه**): أي وأسماؤه بالمدّ والهمز في الأصل ثمّ خفّف بالحذف لضرورة الوزن، معطوف على أوصاف. وقوله (**أَسْمَتِ**): أي أَعْلَت. والتاء مكسورة للقافية، قال في القاموس: «سَمَا سُمُوّاً: ارتفع. وسَمَا به: أَعْلاه، كأَسْماه». والمعنى: إن صفات الحقّ تعالى وأسماؤه الحسنى، فالصفات باعتبار قيامها بذاته العليّة، هي الأسماء باعتبار ظهورها بالآثار الكونيّة، وهي الحضرة الثابتة له تعالى أزلاً وأبداً، ولا وجود لها غير وجود ذاته سبحانه، فليس هي عين ذاته، ولا غير ذاته، وجميع الكائنات قائمة بها، وهي المتحكّمة في العوالم بالإيجاد الوهميّ والإعدام؛ فإنّه لا يظهر الوجود الحقّ متجلياً على شيء من العوالم إلّا بها، فيقول كم اختارت واختصّت هذه الأسماء الإلهيّة والصفات العليّة الربّانيّة بسبب الوصول إلى مقام الاتّحاد المقبول إنساناً من الناس كان منسي الذكر خاملاً لا يعرفه أحد من حقارته أو ذلّه؛ فأكسبته بوساطة ذلك المقام الاتّحادي مكارم الأخلاق الكماليّة، ومحاسن الطباع الإحسانيّة في مقام الوراثة النبويّة المحمّديّة، ورفعت قدره وشأنه، وأهلكت كلّ من عابه وشانه.

٣٠٧- وَأَنْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَنِّيَ نَازِحٌ   وَلَيْسَ الثُّرَيَّا لِلْثَّرَى بِقَرِيْبَةِ[1]

(وأنت): يعني يا أيّها السالك الواصل إلى مقام الاتّحاد المذكور.(على ما أنت): أي على كونك موصوفاً بغاية ما يكون من ظهور صفات الحقّ تعالى وأسمائه الحسنى؛ بإظهار كمالك في مرتبة العلم والعمل والحال حتّى صرت ربّانياً كلّك، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٧٩] أي: منسوبين إلى الربّ تعالى، لا نفسانيّين، أي، منسوبين إلى نفوسكم. وقوله (عنِّي): خبر مقدّم لقوله نازح. و(نازح): مبتدأ مؤخّر. أي: بعيد. من نَزَحَ، كَمَنَعَ وضَرَب نَزْحَاً ونُزُوحاً: بَعُدَ، كذا في القاموس.

وهذا الكلام من عين الحقيقة المحمّديّة التي هي روح الأرواح كلّها، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حقّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «كان خلقه القرآن»[2]. وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه أبيات يشير بها إلى ذلك قوله:

أنا القرآن والسبع المثاني   وروح الروح لا روح الأواني
فؤادي عند معلومي مقيم   يناجيه وعندكم لساني

إلى آخره. والغرض من ذلك أنّ السالكين كيفما كانوا، وإنْ بلغوا إلى أعلى المقامات، وأرفع الدرجات لا يمكنهم الوصول بالسعي إلى العين المحمّديّة، والتحقّق بالحقيقة الأحمديّة؛ فإنّ دون فهم ذلك خرط القتاد، فضلاً عن التحقّق به في مرتبتَيِّ الوجود والايجاد. وقوله (وليس الثريّا): أصله ثَرْوَى. يقال امرأة ثَرْوَى: مُتَمَوِّلَة، يعني: كثيرة المال. والثُرَيَّا تصغيرها: والنجم، سُمِّيَ بذلك لكثرة كواكبه مع ضيق المَحَلّ، ذكره في القاموس. وقوله (للثرى): أي للتراب. وقوله (بقريبة): خبر ليس، والباء للتوكيد؛ فإنّه فرّق بين المقام الصفاتيّ والأسمائيّ، والمقام الذاتيّ الإلهيّ، كما أشار إلى ذلك صاحب همزيّة المديح النبوي بقوله مخاطباً للحقيقة المحمّديّة:

---

(١) في (ق): قرينة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، باب : حديث السيدة عائشة، ٢٥٣٤١ .

لـك ذات العلـوم مـن عـالم الغيــ ـــب ومنهــا لآدم الأســماء

٣٠٨- فُطُورُكَ قَدْ بُلِّغْتَهُ وَبَلَغْتَ فَوْ قَ طَوْرِكَ حَيْثُ النَّفْسُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ/

[١٧٢/ ب] (فَطُوْرُكَ): الفاء للتفريع على ما قبله. و(طُورُكَ): بالضمّ، أي: جِبلُك، الذي هو كناية عن جملتك المنجبلة من الروحانيّة والجسمانيّة والبرزخيّة الخياليّة، قال في القاموس: « الطُور: الجبل، وجبل قُرب أَيْلَة، يضاف إلى سِيناء وسِينين، وجبل بالشام. وقيل هو المضاف إلى سيناء، وجبل بالقدس عن يَمين المسجد، وآخر عن قِبليّه، به قبر هارون عليه السلام، وجبل برأس العين، وآخره مُطِلٌّ على طَبَرِيَّة». وقال القاضي البيضاوي: « والطور - يريد طور سينين - وهو جبل بمَدْيَن، سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله »، وهوَ هُنا باعتبار إضافته إلى السالك المخاطب غاية مراتب ترقيه، ونهاية المقامات تلقيه من الحضرات الإلهيّة والتجلّيات الربّانيّة». وقوله (قد بُلِّغْتَه): بضم الباء الموحّدة وتشديد اللام مكسورة وسكون الغين المعجمة وفتح التاء للخطاب. والضمير للطور، أي: أوصلك الله إليه، وانتهى سيرك عنده بتربيتي لك، وإرشادي وتعليمي لك باتّهامي وإنجادي، فوصلت بدلالتي إلى أعلى حدّ همّتك، وأدركت بحسب استعدادك وقابليّتك غاية بغيتك. وقوله (وَبَلَغْتَ): بفتح الباء الموحدة وفتح اللام وسكون الغين المعجمة وفتح التاء للخطاب خطاباً للسالك أيضاً، قال في القاموس: « بَلَغَ المكانَ بُلُوغاً: وصل إليه. وقوله (فوق): ظرف. و(طَوْرِك): بفتح الطاء المهملة، أي: حدّك وقدرك، قال في القاموس: « الطور الحدّ بين الشيئين، والقَدْر». والمعنى: إنّك وصلت إلى ما هو أكثر من حدّك، وأكبر من قدرك وجدّك. ثمّ قال (حيث): وهي كلمة دالّة على المكان كحين في الزمان، ويثلّث آخره، كذا في القاموس. يعني: تضمّ الثاء المثلّثة، وتفتح، وتكسر. وقوله (النفس): مبتدأ، أي: نفسك أو نفس غيرك. (لم تكُ): أي (لم تكن) وحذف النون لغة. وقوله (ظنّتِ):

بفتح المعجمة وتشديد النون وكسر التاء للقافية. والمعنى: وبلغتَ مكاناً لم تكن النفس ظنّتْ أنّك تبلغه؛ لأنّ بلوغه كان بعيداً عنكَ، وأنت لست من أهله.

٣٠٩ - وَحَدُّكَ هَذَا عِنْدَهُ قِفْ فَعَنْهُ لَوْ تَقَــدَّمْتَ شَــيْئاً لَاحْتَرَقْــتَ بِجَــذْوَةِ

(وحَدُّكَ): الحدّ بالحاء المهملة: منتهى الشيء. وقوله (هذا): أي ما ذكر لك، وهو مقام الاتّحاد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [٣٥/ النجم/ ٤٢] فإذا نتهوا إليه رجعوا إلى حقائق علمه، وأعيان مراداته، وهو الوجود الحقّ لا غير، وانطوى بساط الأوهام عن الخاص والعام. وقوله (عنده قف): أي لا عند غيره، لأنّ تقديم الظرف لإفادة الحصر. وقوله (فعنه): أي عن هذا المكنّى به عن مقام الاتّحاد المذكور. وقوله (لو تقدّمت شيئاً): أي تقدّماً يسيراً بأن فارقت مقامك، وطلبت ما قلّ مما هو أعلى منه. وقوله (لاحترقتَ): أي اضمحلّتْ روحك في نور التجلّي الأمري، وذهبت حياتك. وقوله (بجَذْوَة): مثلثة الجيم، وبالذال المعجمة: القَبْسَةُ من النار، والجَمْرَة، كذا في القاموس.

واعلم أنّ الروح مختصّة بمقام الاتّحاد المذكور، لأنّه من أمر الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٨/ الإسراء/ ٨٥] وأمر الله هو الله تعالى آمراً. وأمّا النفس فإنّها مختصّة بمقام الغيريّة، والعقل تابع للغالب منهما. فإذا تجرد السالك عن حكم نفسه بالكليّة، وغلبت عليه روحانيّته المنفوخة فيه ظهر فيه النافخ الحق؛ فاضمحلت رسوم نفسه، وقام بأمر ربّه كما هي الملائكة عليهم السلام، لأنّهم روحانيّون، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [١٩/ مريم/ ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧] فلو تقدّم أحد منهم أنملة لاحترقتْ روحه، وبطلت حياته، كما قال جبريل عليه السلام في حديث المعراج «لو دنوت أنملة لاحترقت». وإليه أشار الناظم قُدّس سرّه بما ذكر.

٣١٠- وَقَدْرِي بِحَيْثُ المَرْءُ يُغْبَطُ دُوْنَهُ سُمُوّاً وَلكِنْ فَوْقَ قَدْرِكَ غِبْطَتِي[١]

(وقدري): أي مقداري وتعظيمي. قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/الأنعام/٩١] ما عظّموه حقّ/[١٧٣/أ] تعظيمه، قاله في القاموس. وقوله (**بحيث المرء**): والمرء مثلّث الميم: الإنسان أو الرجل، كما في القاموس. وقوله (**يُغبط**): بالبناء للمفعول، من الغِبطة بالكسر: الحسد وتمنّي نعمة على ألّا تتحول عن صاحبها؛ فهو غابط. وضمير يغبط يعود للمرء، وهو نائب الفاعل. وقوله (**دونه**): أي دون قدري. بمعنى: أقلّ منه وأدنى. وقوله (**سموّاً**): أي علوّاً، ورفعة. وهو منصوب على التمييز. والمعنى: إنّ قدري وجاهي في المقام الإلهيّ في مكان عالٍ يحسد المرء الذي يُقام في أدنى منه فضلاً عمّن يُقام فيه من جهة السمو والرفعة. وقوله (**ولكن**): استدراك ممّا قبله. (**فوق قدرك**): أي مقدارك وما أنت فيه من الرفعة. (**غبطتي**): أي حسدي وتمنّي مقامي؛ بحيث لا يتحوّل عنّي، فإنّك لست ممن يعرف مقامي حتى يمكن أن يغبطني عليه، ويتمنّى مثله لنفسه؛ فإنّ المقام المحمّديّ الجامع، والميراث الأحمدي اللامع، لا يعرفه إلّا الأكابر من الأنبياء والأولياء الكاملون، فما يغبطهم إلّا هم. وهذا كلام على لسان الحقيقة الفرديّة المحمّديّة بعد التجرّد عن مقام الغيريّة بظهور استيلاء الحقيقة الإلهيّة.

٣١١- وَكُلُّ الوَرَى أَبْنَاءُ آدَمَ غَيرَ أَنـ ـنَنِي حُزْتُ صَحْوَ الجَمْعِ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِي

(**وكلّ الورى**): كافة الخلق، بمعنى المخلوقين من جنس الإنسان. وقوله (**أبناء آدم**): أي أولاده، وهم كلّهم سواء من هذه الحيثيّة. وقوله (**غير أنّني حزت**): أي جمعت. (**صحو الجمع**): أي الصحو من سكر الجمع، فإنّ مقام الجمع مقام روحانيّ، تضمحلّ فيه جميع المقامات النفسانيّة، والتوهّمات الغيريّة. فصاحبه سكران لا يشعر بنفسه، ولا بغيره، وهو مقام الأحديّة الإلهيّة الجامعة

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

لجميع الوحدات الأسمائيّة، والأعداد الإمكانيّة في وحدة عين الهويّة الوجوديّة، والصحو منها هو مقام الفرد الكامل، والجامع الشامل، وهو عين النهاية، وهو الرجوع إلى عين البداية، وصاحبه شرب من الخمر الأوّل الذي أوجب سكره؛ فاقتضى صحوه منه فوالى شكره:

ومنها تداوينا بها عند سكرنا   كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقوله (من بين إخوتي): أي المشاركين لي في حصول مقام الجمع والسكر بخمر التوحيد الحقيقيّ، وهذا الصحو بعد السكر هو مقام الفرق الثاني الذي تكون فيه جميع الأكوان بمنزلة المعاني، كما قلت في قصيدة لي مطلعها:

لمائِه كلُّنا أواني   ونحن في نفسه معاني

وقال عفيف الدين التلمساني في مطلع له:

إلى ذلك المغنى مآلي ومرجعي   وشِرْكي الذي أدّى إلى وحدتي معي

أراد به الشرك الخفي الذي هو مناط الأغيار، ومحل إثارة الغبار على وجوه الأسرار، والنقط الثلاث التي تجعل الأسرار الأشرار، فإنّ ذلك المقام كالمملحة، كلّ شيء حصل فيه استحال إليه، وإليه يشير قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة   فدير لرهبان وبيت لأوثان

ومرعى لغزلان وكعبة طائف   وألواح توراة ومصحف قرآني

وقد كنت قبل الآن أنكر صاحبي   إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

فلمّا صفا كوني تلطّف بي فلم   أجد غير ذاتيّ تنجلي بين أكواني

أدين بدين الحبّ أنى توجهت   ركائبه فالحب ديني وإيماني

لنا أسوة في بشر هند وأختها   وسعدى ولبنى ثمّ مي وغيلان

وقد فتح علينا في أثناء هذه الكتابة بقولنا:

جاءني الساقي بكأس من طُلا يتجلّى بين ندمان العيان
في رياض وزهور نفحت وطيور سجعت سجع القيان/[١٧٣/ب]
فشربت الكاس والساقي وند ماني المزرين بالغيد الحسان
وشربت الدنّ والإبريق في سكرتي ثمّ مكاني والزمان
وسقاني بعده الساقي فها أنا صاحٍ بعد سكري في أمان
كلّنا في كلّنا في كلّنا أنا سكران وصاحٍ يا فلان

٣١٢- فَسَمْعِي كَلِيْمِي وقَلْبِي مُنَبَّئِي بِأَحْمَدِ رُؤْيَا مُقْلَةٍ أَحْمَدِيَّةِ

(فسمعي): أي ما به أسمع من القوّة الروحانيّة الأمريّة على طور نشأتي الإنسانيّة الجسمانيّة. وقوله **(كليميّ)**: بياء النسبة المشدّدة المرفوعة على الخبريّة لسمعي. والمعنى: إنّ سمعي يكلّمني من حيث قوله عليه السلام في حديث المتقرّب بالنوافل: «كنت سمعه الذي يسمع به»[1] فهو يكلّمني، وأنا أسمع به كلامه، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

يا من تخاطبه حقيقة ذاته في غيره لكنّه لا يعلم
وهو المخاطب ذاته في ذاته وهو المكلّم عنه والمتكلّم
مرآتك الأكوان فيها ناظر ما أنت فيه فنيّرٌ أو مظلم

فمعنى **(كليمي)**: أي موسوي، يسمع كلام حقيقتي الربّانيّة على طور نشأتي الإنسانيّة. وقوله **(وقلبي مُنَبَّئِي)**: بصيغة اسم المفعول، أي: مُخْبَر، من نَبَّأَهُ بتشديد الموحّدة، أي: أخبره. والفاعل محذوف. أي: أخبره الحقّ تعالى بما أخبره به من العلوم الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة. وقوله **(بأحمدِ رؤيا)**: أي رؤية هي أكثر حمداً، أو رؤيا هي أكثر حمداً. والرؤية مصدر رأيتُ الشيءَ رُؤْيَةً: أبصرته بحاسة البصر،

(١) تقدّم تخريجه ص١٤٦.

فرؤية العين معاينتها للشيء، يقال: رُؤية العين ذكره في المصباح. والرؤيا، يقال: رأى في منامه رُؤْيا، على فُعلى، غير منصرفٍ لألف التأنيث، كذا في المصباح أيضاً. وقال الراغب في مفرداته: « والرؤيا ما يُرى في المنام، وهو فُعلى، وقد تخفف الهمزة فيقال بالواو». وروي «لم يبق من مبشرات النبوّة إلّا الرؤيا»[1] قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٦٠] قال البيضاوي: « وتعلّق به من قال إنّ المعراج كان في المنام، [و] من قال إنّه كان في اليقظة فَسّر الرؤيا بالرويّة. وقال في كتاب الابتهاج بالإسراء والمعراج للشيخ **نجم الدين الغيطي**[2]: «والذي ذهب إليه الجمهور من المفسّرين والمحدِّثين والفقهاء والمتكلّمين إلى أنّ الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة بالروح والجسد في اليقظة معاً، لا في المنام، من مكّة إلى بيت المقدس، إلى السموات العُلا، إلى سدرة المنتهى، إلى حيث شاء العليّ الأعلى». قال القاضي عياض وغيره: «وهو الحقّ وتدل عليه الآية أيضاً وصحيح الأخبار. وذهب بعضهم إلى أنّ الإسراء كان بروحه صلّى الله عليه وسلّم في المنام. وهذا المذهب لمعاوية رضي الله عنه، واحتجّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٦٠] والرؤيا إنّما تطلق على ما كان مناماً، ولظاهر ما في بعض الأحاديث من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «بينما أنا نائم في بعض الطرق، فاستيقظت، وأنا بالمسجد الحرام»[3] ويعزى هذا المذهب لعائشة

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع، وللحديث طرق أخرى كثيرة.

(٢) محمّد بن أحمد بن علي السكندريّ، الحافظ ، توفي ٩٨١، له تصانيف كثيرة في الحديث والفقه وغيرهما، من مؤلّفاته: الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، وبهجة الناظرين والسامعين بمولد سيّد الأوّلين والآخرين. انظر هديّة العارفين ، باب: اللام٢/ ٨٠ .

(٣) ذكره القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، باب: فصل ثمّ اختلف السلف والعلماء، هل كان... ١ / ١٨٨، وانظر الإسراء والمعراج للسيوطي: ٣ / ٧٠.

رضي الله عنها لما في حديث ابن إسحاق من قولها: «ما فقدت جسد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإنّما أسري بروحه»[1] وأجيب عن الآية بأنّ الرؤيا قد تكون بمعنى الرؤية في اليقظة، كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما بأنّ قوله فتنة للناس يؤيّد أنّها رؤية عين؛ إذ ليس في الحلم فتنة، ولا يكذب به أحد. وعن قوله: «بينما أنا نائم» بان أوّل مجيء الملك إليه وهو نائم فليقظة، لا أنّه استمرّ نائماً. وأما قوله: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام». معناه (أفقت): أي أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدته عجائب الملكوت. ورجع/ [١٧٤/ أ] إلى عالم الملك، فلم يرجع إلى حال البشريّة إلّا وهو بالمسجد الحرام على أنّ الحديث الذي ورد فيه ذكر النوم موهن؛ فإنّ العلماء اتفقوا على أنّ شُريكاً راويه اضطرب فيه، وما حفظه، وزاد ونقَّص، وقدّم وأخّر.

وعمّا يعزى لعائشة رضي الله عنها بأنّه لم يرد بسند يصلح للحجة؛ بل في سنده انقطاع، وراوٍ مجهول. وبتقدير صحّته فعائشة رضي الله عنها لم تكن زوجة إذْ ذاك، ولا كانت في سنّ من يضبط الأمور. وعلى القول بأنّ الإسراء كان بعد البعثة بعام لم تكن ولدت بعد، فإذا لم تشاهد ذلك دلّ على أنّها حدَّثتْ به عن غيرها؛ فلم يرجَّح خبرُها مع خبر أمّ هاني بخلافه. وذهب جماعة منهم أبو شامة إلى تكرار الإسراء والمعراج. واحتجّ بما رواه البزّار وغيره عن أنس رضي الله عنه من أنّ قصّة المعراج مخالفة لما تقدّم في قصّته. قال الحافظ ابن حجر: « ولا يبعد وقوع مثل ذلك في المنام. وإنّما المستغرب وقوع التعدُّد في قصّة المعراج التي عن كلّ نبيٍّ، وسؤال أهل كلّ سماء هل بعث إليه، وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك؛ فإن تعذّر مثل ذلك في اليقظة لا يتّجه فيتعيّن ردّ بعض الروايات المختلفة إلى بعض، والترجيح بأنّه لا بعد في وقوع ذلك في المنام، ثمّ وقوعه في اليقظة على وفقه.

---

(١) ذكره السيوطي في الإسراء والمعراج، باب: الإسراء والمعراج ١/ ٣٣، وانظر تفسير الرازيّ لقوله تعالى: ﴿لنريه من آياتنا﴾ [١٦/ الإسراء/ ١].

وذهب جماعة منهم البغويّ. وجزم به النوويّ في فتاواه إلى أنّ الإسراء وقع مرّتين: مرّة في النوم، ومرّة في اليقظة. قالوا: وكانت مرّة النوم توطئة له، وتيسيراً عليه كما كان بدء نبوَّته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوّة؛ فإنّه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشريّة. وكذلك الإسراء سهل عليه في الرؤيا، لأنّ هوله عظيم، فجاء في اليقظة على وفقه في المنام، توطئة وتقدمة، رفقاً من الله تعالى بعبده، وتسهيلاً عليه».

وقوله (مقلة): مضاف إليه. والمقلة شحمة العين التي تجمع البياض والسواد والحدقة. وجمعها مُقَل كصُرَد، كذا في القاموس. وقوله (أحمديّة): أي منسوبة إلى أحمد، اسم نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. ولذلك إشارة إلى رؤية الله تعالى في ليلة المعراج الواقعة لنبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم، قال النجم الغيطي: «وقد اختلف السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم في رؤيته صلّى الله عليه وسلّم لربّه ليلة المعراج ببصره؛ فنفت ذلك عائشة رضي الله عنها، وذهبت إلى أنّه رأه بقلبه، وهو المشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه. وجاء مثله عن أُبَيّ رضي الله عنه. وإليه ذهب كثير من المحدّثين والمتكلِّمين. وذهب ابن عبّاس رضي الله عنهما إلى أنّه رآه ببصره. وبه قال سائر أصحاب ابن عبّاس. وبه جزم كعب الأحبار والزُهريّ، وصاحبه معمر وأُخَر. وحُكي عن الحسن أنّه كان يحلف أنّ محمّداً رأى ربّه. وبه قال الشيخ أبو الحسن الأشعريّ وسائر أتباعه. وقال الإمام النوويّ: «الراجح عند أكثر العلماء أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأى ربّه بعيني رأسه ليلة المعراج. وقد روى الإمام أحمد بسند صحيح من ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «رأيت ربِّي عزّ وجلّ»[1]. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه كان يقول: «نظر محمّد إلى ربّه مرّتين: مرّة ببصره،

---

(١) أخرجه الهيثميّ، في مجمع الزوائد، ٢٤٧، عن ابن عبّاس، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وقال الهيثميّ في المقصد في زوائد المسند: باب في الإسراء، ١/١٤٨: قال عبد الله: وقد سمعت هذا الحديث من أبي، أملاه عليّ في موضع آخر.

ومرّة بفؤاده»[1]. انتهى ما ذكروا. قلت: والحاصل: إنّه يمكن التوفيق بين قولهم: إنّ الإسراء والمعراج كان في اليقظة أو كان في المنام، وقولهم: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رآى ربّه عزّ وجلّ بعيني رأسه ليلة المعراج. أو ما رآه وإنّما رأى جبريل عليه السلام. أو رأى آيات ربّه؛ إذ اليقظة والمنام يختلفان في الحقيقة بين يقظتنا ومنامنا، ويقظة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومنامه. وكذلك يقظة سائر الأنبياء عليهم السلام ومنامهم؛ فإنّ إدراك البصر تابع لإدراك القلب فينا وفي الأنبياء عليهم السلام/ [١٧٤/ ب] وقلوب الأنبياء عليهم السلام لا تنام وإنْ نامت أعينهم، كما ورد في الحديث. وكان صلّى الله عليه وسلّم لا ينتقض وضوؤه بنومه إذا نام، وكان منام الأنبياء عليهم السلام وحياً، فكان يوحى إليهم في المنام كاليقظة؛ فمنامهم عليهم السلام مثل يقظتنا.

غاية الأمر أنّ منامهم فيه طبق عيونهم كمنامنا؛ ولهذا نام صلّى الله عليه وسلّم في قصّة الوادي ولم يرَ الفجر ولا الشمس، لأنّ ذلك يدرك بالعين والعين مطبوقة، فسمّى الله تعالى قضية الإسراء والمعراج مناماً، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٦٠] وذلك بالنسبة إلينا يقظة، وليست برؤيا كرؤيانا. وورد الخبر عنها مرّة أخرى بأنّها يقظة، وهي رؤية لا رؤيا؛ لأنّها يقظة كيقظتنا. وكون عائشة رضي الله عنها قالت: «ما فقدت جسد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم» يمكن فيه تعدّد الجسد الشريف كما يقع للأبدال والكثير من الأولياء؛ فالأنبياء أولى بذلك. والاختلاف في رؤية الله تعالى هل هي رؤية الذات الإلهيّة أو حضرة الأسماء

---

(١) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ١٢٤٠٠، عن ابن عبّاس وكذلك في الأوسط، ٥٩٢٢. كما أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٢٤٩، وقال: رواه الطبرانيّ في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، خلا جهور بن منصور الكوفيّ، وجهور بن منصور ذكره ابن حبّان في الثقات. قال القرطبيّ في تفسيره ٧/ ٥٦: وحكى ابن اسحق أنّ مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمّد ربّه؟. فقال نعم. وحكى النقّاش عن أحمد بن حنبل أنّه قال: أنا أقول بحديث ابن عبّاس: بعينه رآه رآه، حتّى انقطع نفسه. يعني: أحمد. وإلى هذا ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعريّ وجماعة من أصحابه أنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم رأى الله ببصره وعيني رأسه.

والصفات المتجليّة بصور الكائنات، فهي رؤية المظهر دون الظاهر به. فمن أنكر الرؤية أراد رؤية الذات مجرّدة عن الأسماء والصفات. ومن أثبت الرؤية أراد رؤية مظاهر التجلّي بالأسماء والصفات؛ فسمّى ذلك المظهر جبريل عليه السلام، أو آيات الله؛ أي: علامات وجوده الحقّ والأمر في نفسه واحد، لا خلاف فيه، والله الموفّق.

٣١٣- وَرُوْحِيَ لِلأَرْوَاحِ رُوْحٌ وَكُلُّ مَا تَرَى حَسَناً فِي الكُوْنِ مِنْ فَيْضِ طِينَتِي[1]

هذا الكلام من المقام المحمّدي على لسان الحقيقة المحمَّديَّة، لأنّه وارثها في أحواله أيضاً بعصوبة النسب الأصليّ النوريّ؛ فإنّ الكائنات كلّها خُلقت من نوره صلّى الله عليه وسلّم، كما جاء في الحديث. فإذا اضمحلّت نشأته في تلك النشأة الحقيقيّة الأوليّة، وانمحت رسوم الصور الغيريّة تكلّمت الحقيقة المحمّديّة بلسان الماهيّة الخياليّة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨] ويقول صلّى الله عليه وسلّم يوم القيامة: «أمّتي أمّتي لمّا تقول الأنبياء عليهم السلام نفسي نفسي»[2]. إشارة إلى هذا السرّ الخفيّ.

فقوله (وروحي للأرواح روح): فإنّ روحه عليه السلام أصل الأرواح كلّها، فهي القلم الأعلى، ونفسه نفس النفوس كلّها؛ فهي اللوح المحفوظ. ومن هنا قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في شرح الوصايا اليوسفيّة: « ولا شك أنّ الورثة إنّما هم هياكل لروحانيّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فهو رسول أبداً، حيّاً وميتاً. فمن يطع الشيخ فقال أطاع الرسول فإنّه روح هيكله. ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله، فإنّه مجلاه. وحينئذ الرسول موضع ظهور الحقّ». وقوله **(كلّ ما ترى)**: خطاب للمريد السالك في طريق الله. وقوله **(حسناً)**: مفعول ترى. أي: شيئاً حسناً، وكلّ شيء في الكون. أي: داخل في التكوين حسن بالنظر إلى صدوره عن

---

(١) في (ق): تربتي.

(٢) انظر الحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنّة منزلة،٥٠١. وله أطراف كثيرة، وطرق متعددة.

خالقه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وفي الحديث: «كتب الله الحُسْن على كلّ شيء»(١).

وقبّح بعض الأشياء بالنظر إلى نفسه وإلى غيره من الأشياء. والقبح حكم شرعي عند أهل السنّة، كما أنّ الحُسْن كذلك وهو الأصل، ولهذا كان الأصل في الأشياء الإباحة، لأن الحُسْن فيها أصل. والتحريم حكم طارئ لطروء القبح عليها باعتبار النظر إليها، والإعراض عن خالقها، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٩] ثمّ حرّم تعالى ما حرّمه من ذلك بالنصوص القطعيّة والظنيّة.

وقوله (**من فيض**): مصدر فاضَ الماء يَفيض فَيْضَاً وفُيُوضاً بالضمّ والكسر، وفَيْضُوضَةً وفَيَضَاناً: كَثُر حتى سال كالوادي. كذا في القاموس. وقوله (**طينتي**): مضاف إليه. والطينة بالطاء المهملة واحدة الطين، وهو تراب معجون بماء، كناية عن الجسد الشريف المحمّديّ، فإنّه كما أن الأرواح كلّها من روحه صلّى الله عليه وسلّم منفوخة في أجسادها؛ لأنّه صلّى الله عليه وسلّم روح الله الذي هو أوّل مخلوق، والإضافة للتشريف مثل ناقة الله، وأرض الله، وبيت الله، وعبد الله، فكذلك جميع الأجساد/ [١٧٥/ أ] الحسنة في الكون. يعني: التي يظهر عليها الحسن بالنظر إلى خالقها، كما ذكر من فيض جسده صلّى الله عليه وسلّم الذي هو منشأ الطبائع الأربعة: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة. والعناصر الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب، المشار إلى ذلك بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»(٢). وفي رواية: «ولا آدم ولا ماء ولا طين». ولا يكون نبيّاً إلّا وهو روح

---

(١) انظر تخريجه ص ٥٥٦.

(٢) قال السخاوي في المقاصد الحسنة: ١/ ٥٢١ عن هاتين الروايتين: «لم نقف عليه بهذا اللفظ فضلاً عن زيادة: كنت نبيّاً ولا ماء ولا طين. وقال شيخنا عن الزيادة: إنّها ضعيفة، والذي قبلها قوي». أشار بقوله (والذي قبلها) إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم مجيباً عن سؤال متى كنت نبيّاً فقال: وآدم بين الروح والجسد، هذا اللفظ أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب: ذكر نبي الله =

وجسد؛ فروحه أصل الأرواح، وجسده أصل الأجساد صلّى الله عليه وسلّم. ويؤيّده حديث انتقال النور من جبهة آدم حتى ظهر في جبهة عبد الله والد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. ثمّ انتقل إلى آمنة بنت وهب، والدته صلّى الله عليه وسلّم، وذلك النور كان مادّة روحه وجسده، فتقلّب في الأصلاب الطيِّبة والأرحام الطاهرة حتّى ظهر في عالم الدنيا. ففرج له سقف البيت، وتراءت النجوم، وأشرقت الأرض بنور الحيّ القيّوم، فهو صلّى الله عليه وسلّم أبو الأرواح، وأبو الأجساد، والله لطيف بالعباد.

٣١٤- فَذَرْ لِيَ مَا قَبْلَ الظُّهُوْرِ عَرَفْتُهُ خُصُوصاً وَبِي لَمْ تَدْرِ فِي الذَّرِّ رُفْقَتِي

وهذا كلام على لسان الحقيقة المحمّديّة أيضاً من حيث أحوالها كما ذكرنا، فقوله **(فذر)**: الفاء للتفريع عمّا قبله. يعني: إذا عرفت أنّ روحي روح الأرواح، وجسدي جسد الأجساد. **(فذر)**: أي اترك، بمعنى التسليم والإذعان، وعدم التكذيب والارتياب. وقوله **(لي)**: متعلّق بذر. وقوله **(ما)**: أي الأمر الذي. **(قبل الظهور)**: أي ظهوري في الدنيا بروحي وجسدي المخصوصين بي. وقوله **(عرفته)**: صلة الموصول، والضمير عائد إلى الموصول، وهو ما. وقوله **(عرفته)**: أي تحقّقته من جميع ما كان من مادة نوري أو يكون، أو هو كائن قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها، وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنّما أنظر إلى كفّي»[1] هذه رواية الطبراني. وفي الحديث الصحيح: «فعلمت علم الأولّين والآخرين»[2].

=

عيسى بن مريم صلوات.. ، ٤٢٠٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وشاهده حديث الأوزاعي الذي: تعليق الحافظ الذهبي في التلخيص: صحيح.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية، باب: حدير بن كريب، عن ابن عمر. كما أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائد، ١٤٠٦٧ عن عمر.

(٢) قطعة من حديث، ذكره الطبريّ في تفسيره: ١١ / ٤٧٦، عن عبد الرحمن بن عائش، وذكره =

وقوله (**خصوصاً**) مصدر خَصّه بالشيء خَصّاً وخُصُوصَاً وخُصوصِيّةً، وتفتح، كذا في القاموس. وهو مفعول مطلق، ناصبه محذوف، تقديره خَصَّني الله تعالى بذلك خُصوصاً دون غيري من جميع المخلوقات. وقوله (وبي): الواو للحال، والجار والمجرور متعلّق (تَدْرِ). وقوله (لم تدرِ):أي لم تعلم، يعني: لم تعلم بي. وقوله (في الذَرّ): أي في عالم الذَر، وهو الذي أشار إليه تعالى بقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [٧/الأعراف/١٧٢] الآية. وجاء في الحديث: «إنّ الله مسح ظهر آدم فأخرج بنيه مثل الذرّ فقال ألست بربّكم قالوا بلى»(١) وأصل الذّرّ، بالذال المعجمة المفتوحة والراء مشدّدة: صغار النمل، ومائة منها زنة حبّة شعير. الواحدة ذرّة كما في القاموس. وقوله (رُفْقَتِي): فاعل تدري. والرُفْقَة مثلّثة، كثُمامة: جماعة تُرافِقُهُم، وجمعه: رِفاق ككِتاب، وأرفاق كأصحاب، ورُفَق كصُرَد. والرفيق: المرافق، والجمع رُفَقَاء، فإذا تفرّقوا ذهب اسم الرفقة لا اسم الرفيق: للواحد والجمع. والمصدر [الرَفاقة] . والرُفْقَةُ: اسم للجمع كصُرَد وعِنَب وحبال، كذا في القاموس. أراد بالرفقة بقيّة المجانسين له من الآدميين في الصورة الإنسانيّة الآدميّة، وهم كالذرّ في الصغر، وهو منهم. نشؤوا كلّهم في ظهر آدم من مادّة واحدة، وطينة واحدة، خُلق آدم منها، وهي مخلوقة من أصل هذه الطينة المحمّديّة كما سيشير إليه الناظم قدّس الله سرّه بقوله في هذه القصيدة على لسان الحقيقة المحمّديّة:

وإنّي وإنْ كنت ابن آدم صورة　　　فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي

=

السيوطي بلفظ مشابه في الدرّ المنثور .. «فعلمت ما في السموات والأرض»... وقال أخرجه أحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقيّ في الأسماء والصفات عن عبد الرحمن بن عائش. انظر الدرّ المنثور: ٤ / ٨٤

(١) ذكره ابن القيّم في كتاب الروح، باب: المسألة الثامنة عشرة، عن الضحاك: ١ / ١٥٩.

وهذا المعنى هو الطينة المحمّديّة. حتى إنّ الصورة الآدميّة مرسومة بقلم القدرة على صورة رسم اسم محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فإنّ الرأس كالميم دائرة، واليدين/ [١٧٥/ ب] كالحاء، والبطن كالميم الثانية، والرجلين كالدال. وقد نقل بعضهم أنّه لا يعذّب أحد من الكفّار في النار وهو على هذه الصورة، إكراماً لحروف اسمه صلّى الله عليه وسلّم، ولكن تتغيّر صورته، وتقبح هيئته وتكبر جثّته، كما ورد في الحديث.

٣١٥- فَلَا تُسْمِنِي فِيْهَا مُرِيْدَاً فَمَنْ دُعِي   مُـرَاداً لَهَـا جَـذْبَاً فَقِـيْرٌ لِعِـصْمَتِي

يعني: إذا عرفت مقامي وتصورت منزلتي. (**فلا تُسمِنِي**): والفاء تفريعيّة. (**ولا**): ناهية. والخطاب للمريد السالك. و(**تُسْمِنِي**): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وسكون السين، من أسماه فلاناً وبفلان، كسمّاه فلاناً وبفلان، أي: جعل ذلك علامته، ودعاه به. وقوله (**فيها**): أي في محبّة الحقيقة الإلهيّة. وقوله (**مريداً**): مفعول ثانٍ لتُسمِنِي، لأنّه يُقال: أسميت ابني زيداً، كما يقال سميّته زيداً. وقوله (**فمن دُعِي**): بضمّ الدال المهملة وكسر العين المهملة، أي: سُمِّي، قال في القاموس: «دَعَوْتُهُ زَيْداً وبِزَيدٍ: سمّيته به». وقوله (**مُراد**): مفعول ثانٍ لدُعِي. وقوله (**لها**) متعلّق بمراد، أو الضمير للحقيقة الإلهيّة. وقوله (**جذباً**) تمييز. والمعنى: إنّ من سمّي مراداً للحضرة الإلهيّة بأن كانت هي تريده بطريق الجذب له، وتطلبه وإنْ كان هو غافلاً معرضاً باشتغاله بما سواها، وإن لم تكن فيه أهليّة لقربها، فتُقْبِل هي عليه وتختطفه من نفسه، ومن بين أيدي الأغيار بطريق القهر له والاستيلاء عليه، وهذا معنى الجذب الإلهيّ الذي لا بدّ منه في الوصول إلى الحضرة الإلهيّة؛ فإنّه لولا القبول من جهة الحقّ المأمول ما حصل الوصول، ولولا الجذب ما نفع السالك جهاد ولا اجتهاد، ولا أجدت له العبادة والطاعة غير الثواب والجزاء الحسن في الآخرة، وإن كان لا بدّ منهما في حصول مقام الكمال، والتحقّق بالمعارف والحقائق الإلهيّة، وأحوال الرجال. ولكن إمّا أن يتقدّم الجذب ويتأخر السلوك، أو يتقدّم السلوك

ويتأخّر الجذب. وأمّا الجذب الخالي عن السلوك، والسلوك الخالي عن الجذب فلا يأتي منه كمال عرفان ولا رسوخ، ولا يحصِّل مقام الشيوخ.

وقوله (فقير): خبر قوله (فمن دعي): أي هو مفتقر إلى الحقّ تعالى في جميع أموره الظاهرة والباطنة، متحقّق بالفقر الحقيقيّ في جميع شؤونه، لا غناء فيه بذات ولا بصفة، ولا باسم ولا برسم، ولا بحول ولا بقوّة أصلاً، وهذا معنى عصمته، أي: حفظه من دعوى ما ليس له. ولمّا كان الكلام على لسان الحقيقة المحمّديّة أبقينا العصمة على معناها الأصليّ المعروف، وجعلنا الصورة الفارضيّة لاضمحلال رسومها بالكليّة ترجمان الحقيقة المحمّديّة بين يدي الحضرة الإلهيّة ومظاهرها الكونيّة.

٣١٦- وَأَلْغِ الكُنَى عَنِّي وَلَا تَلْغُ أَلْكَنَاً بِهَا فَهْيَ مِنْ آثَارِ صِيغَةِ صَنْعَتِي

(وَأَلْغِ): فعل أمر، خطاب للسالك، وهو من لَغَا الشيءُ يَلْغُو، من باب قال: بَطَلَ. وأَلْغَيْتُهُ: أَبْطَلْتُه، وأَلْغَيْتُهُ من العدد: أسقطته، كذا في المصباح. و(الكُنَى): بضمّ الكاف، جمع كُنية، قال في المصباح: «الكُنْيَة: اسم يطلق على الشخص للتعظيم، نحو: أبي حفص، وأبي حسن. أو عَلَامَة عليه، والجمع: كُنَى بالضم في المفرد. والجمع والكسر فيهما لغة، مثل بُرْمَة وبُرَم، وسِدْرَة وسِدَر». وقوله (عنِّي): متعلِّق بأَلغِ، أي: لا تكتني بكنية تعظمني بها، وأبطل الكُنَى كُلّها عنِّي.

وقوله (ولا تَلْغُ): أي: لا تلهج بالكلام، من لَغِيَ بالأمر يَلْغَى، من باب تعب: لَهِجَ به. ويقال اشتقاق اللُغَة من ذلك، وحذفت اللام وعوِّض عنها الهاء، وأصلها لُغْوَةٌ، مثل غُرْفَةٌ. وسمعتُ لُغَاتِهِم، أي: اختلافَ كلامهم، كذا في المصباح. وقوله (أَلْكَناً): حال من فاعل تلغو. والأَلْكَنُ: الذي لا يفصح بالعربيّة، من اللُكْنَة، وهو العِيّ، وهو ثقل اللسان، ولَكَن لَكَناً من باب تعب: صار كذلك؛ فالذَكَر أَلْكَنُ، والأنثى لَكْنَاءُ، مثل: أحمرُ وحمراء كما في المصباح. وقوله (بها): متعلّق بتلغو، والضمير إلى الكُنَى، أي: لا تلغُ بالكُنى حال كونك ألكناً ، فإنّ جميع الكنى

والأوصاف/ [١٧٦/ أ] دون مقامي وأدنى منزلتي والغُ بها حال كونك فصيحاً، أي: مفصحاً، بأنّها بحسب رؤية الرائي إذا رآني، لا بحسب حقيقتي وما أنا عليه. وقوله (فَهْي): أي الكُنى المذكورة. (من آثار): جمع أثر. وقوله (صِيْغَةِ): بالصاد المهملة والياء المثنّاة التحتيّة والغين المعجمة، يقال: صِيْغَةُ القول كذا، أي: مثاله وصورته، على التشبيه بالعمل والتقدير، كذا في المصباح. وقوله (صَنْعَتِي): بالصاد المهملة والنون والعين المهملة، وهي عمل الصانع، قال في المصباح: «الصَنْعَةُ: عمل الصانع، والصَنِيْعَةُ: ما اصْطَنَعْتَهُ من خير». وهذا معنى القول المشهور: إنّ الألقاب تنزل من السماء. أي: تأتي من غيب الحقيقة الفرديّة الجامعة.

٣١٧- وَعَنْ لَقَبِي بِالعَارِفِ ارْجِعْ فَإِنْ تَرَ الـ ـتَنَابُزَ بِالأَلْقَابِ فِي الذِّكْرِ تُمْقَتِ[1]

(وعن لقبي): متعلّق بارجع، والمعنى في إفادة الحصر بالتقديم: إنّ الرجوع لا ينبغي لك يا أيّها السالك إلّا عن تلقيبي، فإنّ رجوع السالك عن أمر من الأمور المحمودة عنده مذموم في حقّه، لأنّه يجد النور، وهو وجه الله في كلّ ما توجّه إليه، على خلاف ما قاله تعالى في حقّ الكافرين: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ [٥٧/ الحديد/ ١٣] وذلك لأنّهم نبذوه وراء ظهورهم، كما حكى تعالى عنهم، وهو القرآن كلام الله القديم. وأمر التلقيب ممّا نهى تعالى عنه في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [٩/ الحجرات/ ١١] لعدم رضا الملقّب به. ومعنى اللَّقَب بالتحريك ما يطلق على الإنسان من الأوصاف المقتضية للمدح أو للذم، وهذا معنى قولهم «ما أشعر بمدح أو ذمّ، كشمس الدين وبطّه». والكُنية ما صُدِّر بأب أو أمّ، كأبي حفص وأم عِرْيَط. وقوله (بالعارف): بيان للتلقيب، أي: لا تلقِّبْني بأن تقول عنِّي: العارف بالله . تريد بذلك مدحي؛ فإنّ معنى العارف الذي يكون علمه عن سابقة جهل، لقولهم إنّ المعرفة هي العلم المسبوق بالجهل، ولهذا لا يقال في الله

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ سماعاً ومقابلة على شيخنا المؤلّف أبقاه الله».

عارف، ويقال عالم، وأنا علمي هو علم الله تعالى، ومستحيل عليه تعالى سابقة الجهل. وكون علمه هو علم الله تعالى لأنّه متحقّق بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢/البقرة/١٢٦]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [٦٧/الملك/٢٦]. والمتحقّق بمقام الفناء في الله لا وصف له؛ وإنّما تظهر فيه آثار صفات ربّه تعالى. وقوله (ارجع): فعل أمر من الرجوع، وهو ترك التوجّه إلى الشيء والانصراف عنه. ثمّ قال (فإنْ ترَ): أي تعتقد، وأصله الرؤية بالقلب، قال في القاموس: «الرؤية: النظر بالعين وبالقلب». وقوله (التنابز): هو التعاير والتداعي بالألقاب. من النَّبْز بالفتح، وهو الهَمْز. واللَّمز: هو العيب، وهو اللقب القبيح، ومصدر نَبَزَهُ يَنْبِزُهُ، ورجل نُبَزَةٌ كهُمَزَة: يلقِّب الناس كثيراً». و(**الألقاب**): جمع لقب كذا في القاموس. وقوله (**في الذكر**): متعلّق بـ(**تُمْقَتِ**). و(**الذِّكر**): بكسر الذال المعجمة: القرآن. وقوله (**تُمْقَتِ**): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة، وسكون الميم، وفتح القاف، وكسر التاء للقافية، أي: يمقتك الله تعالى لمخالفة نهيه، والمَقْتُ البُغض، قال في القاموس: «مَقَتَهُ كمَنَعَهُ مَقْتاً ومَقَاتَة: أَبْغَضَهُ» قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [٩٤/الحجرات/١١] أي: لا يدعوا بعضكم بعضاً بلقب السوء فإنّ النَّبزِ مختصّ بلقب السوء عُرْفاً و ذكره البيضاوي.

٣١٨- فَأَصْغَرُ أَتْبَاعِي عَلَى عَيْنِ قَلْبِهِ عَرَائِسُ أَبْكَارِ المَعَارِفِ زُفَّتِ

(**فأصغر**): الفاء للتعليل، أي: كيف تلقّبني بالعارف. و(أصغر): أفعل تفضيل، أي: أكثر صغراً، يعني: التابع لي الذي هو أصغر. (**الأتباع**): المتابعين لي ممَّنْ هو ماشٍ على طريقتي في العلم النافع، فالعمل الصالح والأخلاق الحميدة، والأقوال السديدة. وقوله (**على عين قلبه**): أي بصيرته المنوّرة بأنوار التوفيق، وأسرار التحقيق. وقوله (**عرائس**): جمع عروس، والعَرُوس: الرجل والمرأة ما داما في إعراسهما، وهم عُرُسٌ وهنَّ عَرائس، كذا في القاموس. وقوله (**أبكار**): جمع بِكْر /[١٧٦/ب] وهي العذراء. و(**المعارف**): جمع معرفة، وهي المعاني

الإلهيّة التي ترد على قلب المريد الصادق إثر التجلِّي الإلهي الذي لا يتكرر أصلاً، فكلّ معرفة منها لم يطرقها فكر. وقوله (زُفَّتِ): بضم الزاي وتشديد الفاء مفتوحة وكسر التاء للقافية، زَفَّ العَرُوس إلى زوجها زَفاً وزِفَافاً ككتاب: هَداها، [كذا] قال في القاموس. ومنه قول أبي يزيد البسطاميّ قدّس سرّه عن العارفين: «عرائس الله، ولا يرى العرائس إلّا المُحْرَمُون». والمُحْرَم: مَنْ بينه وبينهنّ نسب، فإنّه جعل نفوس العارفين منفعة للأمر الإلهيّ. والناظم هنا جعل المعارف منفعلة، والقلوب فاعلة، وذلك لتفاوت مقامات العرفان في حظيرة العيان.

٣١٩- جَنَى ثَمَرَ العِرْفَانِ مِنْ فَرْعِ فِطْنَةٍ زَكَا بِاتِّبَاعِي وَهْوَ مِنْ أَصْلِ فِطْرَتِي

(جنى): أي اقتطف، والضمير المستتر راجع إلى أصغر أتباعه. وقوله (ثمر العرفان): أي ما يثمر العرفان، أي: معرفة الله تعالى من العلوم الربّانيّة والحقائق التوحيديّة الوحدانيّة. وقوله (من فرع): أي غصن. والفرع في الأصل كما قال في القاموس: «فرع كلّ شيء أعلاه». ثمّ أُطلق على ما يتفرّع من الشجرة، وهو أغصانها. وقوله (فِطْنَةٍ): بالكسر هي الحِذْقُ، فَطِنَ به وإليه وله كفَرِح ونَصَرَ وكَرُمَ، فِطنا، مثلّثة، كذا في القاموس بمعنى فَهِمَ. والفِطْنَة: الفَهْم والذكاء. وقوله (زكا :) بالزاي، أي: نما وزاد، يقال: زَكَاهُ وأَزْكَاه. والضمير في زَكَا راجع إلى ذلك الفَرْع. وقوله (باتّباعي): متعلّق بـ(زَكَا). أي: بسبب متابعته لي. وقوله (وهو): أي ذلك الفرع الذي جنى منه التابع لي الذي هو منه أصغر أتباعي. وقوله (من أصل فطرتي): أي هو مستمدّ من أصل فطرتي، أي: من فطرتي التي هي أصل له، وهو فرع عنها، والفِطْرَةُ بالكسر: الخِلقة، فطر الله الخلق، خلقهم وبراهم، قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ مولود يولد على فطرة الإسلام»(١) الحديث. والتابع دائماً يستمد من متبوعه، ويرى رأيه في العلم وغيره.

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الجنائز،باب: ما قيل في أولاد المشركين، ١٣٨٥ .

٣٢٠- فَإنْ سِيْلَ عَنْ مَعْنَىً أَتَى بِغَرَائِبٍ   عَنْ الفَهْمِ جَلَّتْ بَلْ عَنْ الوَهْمِ دَقَّتِ

(**فإنْ سِيْلَ**): بكسر السين المهملة وسكون الياء التحتيّة مُبدَلَة من الهمزة لضرورة الوزن. وأصل **سئل** فعل مبني للمجهول، أي: سأل سائل، يعني: سأل هذا التابعَ، الذي هو من أصغر أتباعه، سائلٌ من الناس. وقوله (**عن معنى**): أي من معاني الحقيقة أو مسألة مشكلة دقيقة. وقوله (أتى): أي جاء في الجواب. (**بغرائب**): جمع غريبة: جمع غريبة، أي: بمعارف غريبة، وحقائق يستغربها كلّ من سمعها، ولا يقدر على إنكارها؛ لأنه يجدها حقاً، أو بِحِكَمٍ وأسرار غريبة عن الفهوم، وهي من لباب العلوم. وقوله (**عن الفهم**): متعلّق بجلّت، أي: فهم السائل، قال في القاموس: «فَهِمَهُ كفَرِحَ، فَهْماً، ويحرك وهو الأفصح، وفَهَامَة وفَهَامِيَة: عَلِمَهُ وعَرِفَهُ بالقلب». وقوله (**جَلَّتْ**): بتشديد اللام، أي: عظمت. وقوله (**بل**): حرف إضراب عن (الوَهْم): بسكون الهاء، من خَطَرَاتِ القلبِ، أو مَرْجُوْحُ طَرَفَي المُتَرَدَّدِ فيه، وجمعه أَوْهَام، كذا في القاموس. وقوله (**دَقَّتِ**): بفتح الدال المهملة وتشديد القاف وكسر التاء للقافية. وقال في القاموس: «دَقَّ يَدِقُّ بالكسر. والدَقِيْقُ: الأمر الغامض». وهذا الأمر من علامات العرفان في السالك، فإنّه لا يأتي بالمعاني الغريبة للآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة، والتجلّيات الإلهيّة، من غير أخذ من عبارات العارفين، وفهم من كلام المحقِّقين إلّا الوليّ الواصل، والعارف المحقّق الحاصل، والله ولي التوفيق.

٣٢١- وَلَا تَـدْعُنِي فِيْهَـا بِنَعْـتٍ مُقَـرَّبٍ   أَرَاهُ بِحُكْــمِ الجَمْــعِ فَــرْقَ جَرِيْــرَةِ

(**ولا تدعني**): نهيٌ للسالك، أي: يدعوه، أي: يناديه ويسميه، قال في القاموس: «دَعَوْتُهُ زيداً /[١٧٧/أ] وبزيدٍ: سَمَّيْتُه به». وقوله (**فيها**): أي في محبّتها. وقوله (**بنعتٍ**): أي بوصف. (**مقرّب**): بتشديد الراء على صيغة اسم المفعول، من قرّبه بالتشديد إذا أدناه، والمقرّبون أصحاب منزلة فوق منزلة

(الأبرار): جمع بَرّ، بالفتح وهو الصالح، فإنّ المقرّبين جمع مقرّب، وهو المتّصف بالقرب إلى الله تعالى على معنى أنّه عارف بنفسه، وعارف بغيره من الأكوان، وعارف بربّه تعالى معرفة ذوقيّة في الكلّ. وقوله (أراه): أي أرى نعت المقرّب المذكور. وقوله (بحكم): أي بمقتضى مقام الجمع الموجب للاتّحاد السابق بيانه. وقوله (فَرْق): بفتح الفاء وسكون الراء ونصب القاف على أنّه المفعول الثاني لأرى. وقوله (جريرة): مضاف إليه، وهي بجيم، فراء، فياء تحتيّة، فراء، فهاء، قال في القاموس: « الجريرة: الذَنْبُ والجِنَايَة، جَرَّ على نفسه وغيره جَرِيْرَةً، يَجُرُّهَا بالضمّ والفتح». والمعنى: إنّي أرى نعت المقرّب إذا قيل عنّي بسبب ما يقتضيه الاتّحاد الحقيقيّ الذي أنا متّصف به كما مرّ. (فرقاً): أي مفارقة لمقام الجمع ومبانيه له، مفارقة ذنب يقع منّي، وجناية تصدر عنّي توجب طردي وإخراجي عن الدخول في ظلّ الربّ تعالى، كما ورد: «سبعة يظلّهم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه»[1] الحديث. يعني: أعمالهم الصالحة المذكورة إذا أخلصوا فيها تكون سبباً لكشفهم عن حقائق أمورهم، واطّلاعهم على أنّهم معاني المعلومات الإلهيّة في وجود الحضرة الربّانيّة، كما قلت في مطلع قصيدة:

نحن معاني الوجود فيه ونحن عنه كنطق فيه

ولا شكّ أنّ المعاني تُعنى وتُقصد وتُراد، وليست بأمور موجودة في نفسه فتشبه الظلال التي هي مجرّد رسوم ظاهرة، واتّحادها بشواخصها، كناية عن تبعيّتها لها كتبعيّة العوالم كلّها للعلم الإلهيّ القديم؛ فإنّها إشارة كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [٤/ النساء/ ١١٦] وعدم استقلالها بأنفسها، بل عدم وجودها أصلاً.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الشعر، باب: ما جاء في المتحابّين في الله، ١٧٤٦، كما أخرجه البخاريّ في صحيحه ، كتاب : الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، ٦٦٠، عن أبي هريرة.

٣٢٢- فَوَصْلِي قَطْعِي وَاقْتِرَابِي تَبَاعُدِي وَوُدِّيَ صَــدِّي وَانْتِهَـائِي بَــدَايتي[1]

(فوصلي): بفاء التفريع عمّا قبله، يعني: لا تدعُني بالأسماء الموجبة للإثنينيّة، فإنّ وصلي بها قطعي عنها، أو وصلي بالحقيقة الوجوديّة، واستمدادي منها ظهور وجودها عليّ هو عين قطعي عنها بالفناء فيها والاضمحلال، وكذلك اقترابي إلى الحقيقة الوجوديّة المذكورة بالاتّحاد معها بالمعنى السابق ذكره هو عين تباعدي عنها، لعدم المناسبة بيني وبينها، لفنائي في وجودها، وعدمي في تحقّقها بحيث تكون هي الموجودة وحدها، ولا أنا.

وكذلك. (ودّي): لها، أي: محبّتي قال في القاموس: «الوُدّ والوِدَاد: الحبّ، ويثلثان». هو عين (صدّي): أي إعراضي عنها، لأنّ المحبّة تقتضي الاثنينيّة، وأنْ يكون المحبّ غير المحبوب، غير المحبّة؛ فالمحبّة تقتضي التثليث. والاثنينيّة والتثليث ينافيان التوحيد الحقيقيّ، وأنا في مقام التوحيد الحقيقيّ، وكذلك (انتهائي): أي نهايتي في ظهوري عنها هو عين (بدايتي) منها، لأنّ الوجود كلّه لها، وأنا على ما أنا عليه في علمها الأزليّ، قال في قوله تعالى: «كما بدأنا أوّل خلقٍ نعيده»، [سورة الأنبياء الآية/ ١٠٤] والكاف للتشبيه، أي: كالبداية الإعادة؛ فالإعادة بداية دائماً، وما ثَمَّ إلّا بداية لا غير، والكلّ أزل. وهو عين الأبد، ولا يذهب عليك أنّ المشبّه غير المشبّه به، فإنّ هذه الغيريّة في مجرّد الصورة المختلفة الفانية، والوجود عين الوجود، لا يتغيّر ولا يتبدّل، وبه الاتّحاد الحقيقيّ.

٣٢٣- وَفِي مَنْ بِهَا وَرَّيْتُ عَنِّي وَلَمْ أُرِدْ سِوَايَ خَلَعْتُ اسْمِي وَرَسْمِي[2] وَكُنْيَتِي

(وفي مَن): متعلّق بخلعتُ، قدّم للحصر، أي: في المحبوبة التي (بها): أي: بذكرها (وَرَّيْتُ): بفتح الواو/ [١٧٧/ ب] وتشديد الراء بعدها ياء تحتيّة وتاء مضمومة، قال في القاموس: « وَرَّاهُ تَوْرِيَةً: أخفاه، كواراه ، وَوَرِيَ الخبر: جعله وراءه ، و- عن كذا: أراده وأظهر غيره. ووَرِيَ عنه بصره: رفعه». وقوله (عنّي):

(١) في (ق): بدأتي.

(٢) في (ق): ورسمي.

متعلّق بورَّيتُ، يعني: سترتُ حقيقتي وكتمتها بذكر اسم المحبوبة فأردت بذكر اسمها ذكري ونفسي وحقيقتي. وقوله (**ولم أرد سواي**): أي لم أقصد بذكرها غيري. وقوله (**خلعت**): أي نزعت وتركت. قال في القاموس: « الخَلْعُ كالمَنْعِ: النَزْعُ، إلّا أنّ في الخلع مهلة» . وقوله (**اسمي**): مفعول (**خلعت**): أي ما كنت أُسمَّى به من الأسماء؛ فم يبقَ لي اسم يقع على مسمّى أصلاً. وقوله (**ورسمي**): قال في القاموس: « الرَسْمُ : الأثَرُ، أو بقيّته، أو ما لا شخص له من الآثار». يعني: صورته الظاهرة والباطنة بحيث انتزع منها نسبة الوجود إليها عندها.

وقوله (**كُنيتي**): أي ما أُكنّى به من كلّ كنية تدلّ على شرف وغيرها، وهي ما صُدِّرَتْ بأب، أو أم، كأبي بكر، وأم هاني. واللقب ما أشعر بمدح أو ذمّ، كشرف الدين ونحو ذلك. وهذا الخلع المذكور والترك مقتضي ما الأمر عليه في نفسه؛ فإنّ الوجود الحقّ إذا انتزع من جملة الممكنات وليس غير الوجود الحقّ لم يبق شيء منها أصلاً. ويبقى الوجود الحقّ وحده قائماً بنفسه على ما هو عليه أزلاً وأبداً. وهذا هو المراد بالاتّحاد الحقيقيّ في كلام الناظم قدّس الله سرّه.

٣٢٤- وَسِرْتُ[١] إِلَى مَا دُونَهُ وَقَفَ الأُلَى   وَضَـلَّتْ عُقُـوْلٌ بِالْعَوَائِـدِ ضَـلَّتِ

(**وسِرْتُ**): معطوفة على قوله خَلَعْتُ في البيت قبله. وقوله (**إلى ما**): أي مقام عظيم عالٍ، وهو الفرق الثاني بعد ميراث الأنبياء والمرسلين. وقوله (**دونه**): أي دون ذلك المقام. (**وقف**): فلم يتجاوز. (**الأُلى**): بضمّ الهمزة وفتح اللام، مقصور، أي: الأوّلون السابقون الذين تقدّموا عليّ بالزمان من الأنبياء والصدِّيقين. وقوله (**وضلّت**): بالضاد المعجمة وتشديد اللام، أي: تحيّرت وزاغت عن سبيل الحقّ، وطريق الرشد. وقوله (بالعوائد): **متعلّق** بـ(ضلّت) الثاني، وهو من الضلال، بمعنى: الضياع. قال في القاموس: « ضَلَّ يَضِلُّ، وتُفتح

(١) في (ق): فصرتُ

الضاد المعجمة ضَلَالاً: ضَاع ومَات وخَفِيَ وغَابَ». و(**العوائد**): جمع عادة، وهي الديدن، والمراد: العادات التي اعتادها أهل الغفلة من الشهوات الجسمانيّة واللذائذ النفسانيّة. والمعنى: إنّ العقول بسبب انهماكها في ذلك ضاعت، وفسدت، وغابت عن ملاحظة ما هو الكمال لها من مقامات السالكين، ومدارك العارفين. ومن جملة العوائد التي أورثتها الحجاب عن النهوض إلى التحقّق بحقائق الأحديّة الظاهرة في صور الحوادث الكونيّة، اشتغال العقول بالعلوم الظاهرة كمال الاشتغال بالكليّة، والانهماك في العلوم الفكريّة التي بها يتمّ عالم الحكمة والأسباب العاديّة، كالعلوم الفلسفيّة وغير ذلك مما يعدّونه من الكمالات الإنسانيّة بحسب ما عندهم من الأحوال الطبيعيّة. ولقد أنصف من قال، وصدق في المقال:

وجاهـل يـدّعي في العلـم فلـسفة ... قـد راح يكفـر بـالرحمن تقليـداً
وقـال أعـرف معقـولا فقلـت لـه ... عنيـت عقلـك معقـولاً ومعقـوداً
فقـال إنّ كلامـي لـيس تعرفـه ... فقلـت لـست سـليمان بـن داوود

٣٢٥- فَلَا وَصْفَ لِي وَالوَصْفُ رَسْمٌ كَذَاكَ الاْسْـ
ـمُ وَسْـمٌ فَـإنْ تُكْـنِ فَكَـنِّ أو انْعَـتِ

(**فلا وصف**): مطلقاً من الأوصاف الظاهرة والباطنة (**لي**): لانتزاع الوجود كلّه عندي من ذاتي، ومن أوصاف ذاتي، وإفراده وجوداً حقّاً قائماً بنفسه، منزّهاً عن ذاتي، وعن جميع أوصافي، وذاتي وأوصافها مجرّد تقادير عدميّة، وصور اعتباريّة، قدّرها الوجود الحقّ/ [١٧٨/ أ] في نفسه ولنفسه، وفرضها واعتبرها، فظهر بها لها، وهو على ما هو عليه أزلاً وأبداً، لم يتغيّر ولم يتبدّل. وهي أيضاً على ما هي عليه أزلاً وأبداً، لم تتغيّر ولم تتبدّل، فهي معلوماته، وهي مراداته، وهي مخلوقاته باعتبارات ثلاث مختلفة بحسب ترتيبها الذي هي عليه، وعدم نهايتها دنيا وآخرة، وبرزخاً بينهما، وهذا هو المراد بالاتّحاد الحقيقيّ في اصطلاح الناظم قدّس الله سرّه. ثمّ بيّن ذلك

بقوله (**والوصف رسم**): أي هو مجرّد تقدير عدمي، واعتبار فرضي. وقوله (**كذلك**): أي مثل ذلك؛ يعني: الوصف الذي هو مجرّد رسم، كما ذكرنا.

(**الاسم**): أي العلامة اللفظيّة المميّزة له عن غيره. وقوله (وَسْمٌ): قال في القاموس: « الوَسْمُ: أثر الكَيِّ. والسِّمَة ما وُسِمَ به الحيوان من ضروب الصور». ومعنى ذلك: إنّ الاسم على الشيء كالشيء، مجرّد صورة مرسومة كأثر الختم في الشمع، أمر عدمي ظاهر في الشمع لا وجود له؛ وإنّما الوجود كلّه للشمع فقط، فهو تقدير كما ذكرنا، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩٦].

ثمّ قال الناظم قدّس الله سرّه بعده (**فإن تُكنّي**): فعل مضارع من الكناية، وهي التعريض، خلاف التصريح، والخطاب للسالك. ولما كانت الكنية ما صُدّر بأب أو أم كما قدّمناه، بأن تقول عن زيد مثلاً: أبو محمّد، أو أبو عمر، فتسمِّي ابنه ولا تسمّيه هو، غير أنّك تنسب إليه الأبوّة فقط، وهي أمر إضافي إذن ـ قدّس الله سرّه ـ في الكنية له حيث قال (فَكَنِّ): الفاء في جواب الشرط و(كَنِّ): بتشديد النون فعل أمر من التكنية. وقوله (**أو انعتِ**): انعت أمر من النعت، وهو الوصف باعتبار حال الواصف، وعلى قدر معرفته بالموصوف لا على قدر الموصوف في نفسه.

٣٢٦- وَمِنْ أَنَا أياهَا إِلَى حَيْثُ لَا إِلِى ۝ عَرَجْتُ وَعَطَّرْتُ الوُجُوْدَ بِرَجْعَتِي

(ومن): ابتدائيّة. (**أنا أياها**): أي المحبوبة الحقيقيّة. يعني: من مقام اتّحادي بها، الاتّحاد الحقيقيّ كما مرّ بيانه غير مرّة. (**إلى حيث لا إلى**): فإلى حرف غاية، ينتهي إلى ما بعدها سير المبتدئ؛ والمعنى بقوله (**حيث لا إلى**): مجرّد التقادير العدميّة، والأمور الاعتباريّة التي لا وجود لها، ومن جملتها ذاته وصفاته وجميع أعماله، فإنّها معلومات فانية لا يصح أنْ يقال فيها كلمة إلى. وقوله (**عَرَجْتُ**): أي صَعِدْتُ وارتقيت. والقياس أن يقول: نَزَلْتُ وهبطت. لأنّه خروج من وجود إلى عدم. ولكن لمّا علم أنّ الوجود ليس له وهو للحقّ تعالى وحده، وهو مجرد تقدير عدميّ صادر عن الوجود

الحقّ تعالى. وقد علم ما ورد في الأثر: «رحم الله أمرئ عرف وقدره فلم يتعدّ طوره» فتحقّق بأنّ له في العدم الصرف حقيقة مقدّرة، وعيناً معتبرة، قدرها الوجود الحقّ واعتبرها. وقد سترها عنه في حالة إقباله على الوجود الحقيقيّ ليكمل تحقّقه به، فكان يجد الوجود الحقيقيّ ليكمل تحقّقه به، ولا يجد معه غيره فيقول بالاتّحاد الحقيقيّ كما سبق بيانه من قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٥٦] ثمّ إنّه كشف له عن حقيقته المقدّرة في العدم، فرجع إليها، وسمّى رجوعه ذلك عروجاً، لأنّه أرقى من حالة دعواه، لأنّه متّحد مع الوجود الحقّ، حيث كانت حقيقته العدميّة مستورة عنه، فإنّه دعوى ما ليس له، وهذا أحد الأسفار الأربعة التي للسالكين في طريق معرفة الله تعالى؛ فإنّ السّفر الأوّل من نفسه إلى ربّه، وفيه تفنى نفسه. والثاني من ربّه. وفيه يتحقّق بالاتّحاد الحقيقيّ مع ربّه، والثالث من ربِّه إلى نفسه، وهو الفرق الثاني بعد الجمع، وهو هذا المقام المذكور هنا الآن.

وقوله (وعَطَّرْتُ): من التعطير بالعِطْر، بالكسر، وهو الطِيب. وقوله (**الوجود**): بالنصب مفعول عطَّرت؛ أي: بكثرة ما أثنيت عليه، ونزّهته، وسبّحته، وقدّسته، ونشرت/ [١٧٨/ ب] محاسن أفعاله، وعظيم مننه وأفضاله. وقوله (**برجعتي**): متعلّق بـ(**عطّرت**) يعني: برجعتي إلى حقيقتي النفسيّة العدميّة التقديريّة، وتحقّقي بها ومعرفتي لها، كما ورد «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، وإذا عرف ربّه يثني عليه كمال الثناء، ويشكره أعظم الشكر، وينزِّهه أشد التنزيه، ويسبّحه ويقدّسه عن مشابهة الأكوان، ومماثلة الحدثان.

٣٢٧- وَعَنْ أَنَا إِيَّايَ لِبَاطِنِ حِكْمَةٍ وَظَاهِرِ أَحْكَام أَقَمْتُ لِدَعْوَتِي

(**وعن أنا إيّاي**): وهو السفر الثالث الذي قدّمناه، وهو الفرق الثاني، وهو النهاية المعبَّر عنه بالرجوع إلى البداية. والجار والمجرور متعلّقان برجعة المفهوم من قوله في البيت السابق (برجعتي). وقوله (**لباطن حكمة**): أي لأجل حكمة **باطنيّة**، والحكمة هي العلم الإلهيّ، قال في القاموس: الحِكمة بالكسر : العدل، والعلم، والحلم. وقوله (**وظاهر أحكام**): أي أحكام ظاهرة، وهي أحكام الله

تعالى التي هي شرائعه المحمّديّة، وشعائره الأحمديّة. وقوله (**أقمت**): أي عملت جميع الأعمال التي كلفت بها، وهي ملاحظة الحِكَم الإلهيّة في الباطن، ومراعاة الأحكام الشرعيّة في الظاهر، إقامة وامتثالاً لدعوتي التي دعاني بها نبيّ الله ورسوله محمّد صلّى الله عليه وسلّم، المرسل من عند الله تعالى، وهذا هو السفر الرابع الذي هو من نفسه إلى نفسه، وهو منتهى سير السالكين، وغاية السّفر في مراتب اليقين، وهو مقام الورثة، المقرّبين الوارثين لعلوم الأنبياء والمرسلين، أو إقامة لدعوتي إلى الله تعالى بنشر أسرار التوحيد، وحقائق التجلّيات الإلهيّة بين السالكين من العبيد.

٣٢٨- فَغَايَـةُ مَجْـذُوْبِي إِلَيْهَـا وَمُنْتَهَـى ... مُرِادِيْـهِ مَـا أَسْـلَفْتُهُ قَبْـلَ تَـوْبَتِي

(**فغاية مجذوبي**): أي المجذوب منِّي في مقام الفرق الثاني الذي هو السفر الرابع من نفسي إلى نفسي لملاحظة الحِكَم المندرجة باطناً في الأحكام الشرعية الظاهرة. وقوله (**إليها**): أي إلى المحبوبة الحقيقيّة، والجار والمجرور متعلّق بمجذوبي؛ يعني: نهاية ما أنا فيه في حال رجوعي إلى نفسي، وتحقّقي بنفسي حيث أنّي مجذوب إليها في تلك الحالة، وكذلك منتهى أحوال (المُرادين): جمع مراد، وهو الشيخ الكامل المرشد إلى الله تعالى الذي فات مقام الإرادة، وكان مُريداً فصار مُراداً للحقّ تعالى، وأضافهم إلى ذلك المجذوب الذي جرّده من نفسه بقوله (**فغاية مجذوبي**): أي المجذوب منّي.

(ومنتهى مراديه): أصله مرادينه فحذفت النون لإضافة المرادين إلى ضمير المجذوب منه فصار: المعنى أنّ غاية أحوالي وأنا مجذوب إليها، ومنتهى أحوال مشايخي المرادين هو(ما): أي الأمر الذي، أو أمر عظيم. (**أسلفته**): أي قدّمته قبل توبتي في حال جهلي وغفلتي في الفرق الأوّل الذي هو حال الجاهلين الغافلين العابدين الزاهدين، فلأجل هذا ما بقي أحد يعرفني لدخولي في مثليّة أهل الغفلة، وكثائف أعمالهم مع كمال التحقّق والعرفان بمشارب أهل القرب والعيان ميراثاً نبويّاً: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَـامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٧].

٣٢٩- وَمِنِّي أوْجُ السَّابِقِيْنَ بِزَعْمِهِمْ حَضِيْضُ ثَرَى آثَارِ مَوْضِعِ وَطْأتِي

(ومنّي): أي من جهتي، حيث أنني في المقام المذكور في البيت قبله، وهو مقام جمع الجمع. **(أوج)**: أي ضدّ الهبوط، كما في القاموس، بمعنى: مرتفع مقام السابقين من الأولياء والمقرّبين. وقوله **(بزعمهم)**: متعلّق بالسابقين، أي: الذين زعموا أنّهم سبقوا، وهم في مقام الجمع بعد الفرق الاوّل، ولم يصلوا بعد إلى الفرق الثاني الذي هو مقام الميراث المحمّدي، وهو الرجوع إلى البداية بعد النهاية، أهل السفر الرابع.

وقوله **(حَضِيْض)**: خبر المبتدأ الذي هو أوج الحضيض بالحاء المهملة المفتوحة وكسر الضاد المعجمة بعدها ياء/ [١٧٩/ أ] مثنّاة تحتيّة ساكنة وضاد أخرى معجمة: القرار في الأرض، كذا في القاموس. وقوله **(ثرى)**: بفتح الثاء المثلثة وفتح الراء، أي: تراب. وقوله **(آثار)**: جمع أثر بالتحريك: بقيّة الشيء. وقوله **(موضع وطأتي)**: أي دوستي بقدمي، قال في القاموس: « وَطِئَه بالكسر يَطَؤُه: داسه». والمعنى: إنّ أعلى مقامات الأوّلين، وهو مقام الجمع والتوحيد الحقيقيّ بفناء الأغيار، وهو مستمدّ منه أدنى تراب آثار موضع قدمي الذي أنا واضعه في الأرض الحقيقيّة، وهو القدم المحمّديّ الجامع، والنور الإلهيّ المصطفوي اللامع.

٣٣٠- وَآخِرُ مَا بَعْدَ الإشَارَةِ حَيْثُ لَا تَرَقِّي ارْتِفَاعٍ وَضْعُ أوَّلِ خَطْوَتِي

(وآخر): أي منتهى. وقوله **(ما)**: أي المقام الذي هو **(بعد الإشارة)**: أي ما يمكن أن يشار إليه حسيّة أو معنويّة من المقامات أو الأحوال فيما بين الرجال، وليس بعد الإشارة إلّا حضرة الغيب المطلق، والوجود الحقيقيّ المحقّق. وقوله **(حيث لا ترقّي)**: أي زيادة ارتفاع عن ذلك؛ لأنّه لا يمكن، وهو الدخول في الحضرة العلميّة القديمة الأزليّة بلا دخول، هو انتقال، ولا تحوّل عنها ولا زوال. وقوله **(وضع)**: خبر المبتدأ الذي هو آخر. وقوله **(أوّل خطوتي)**: أي ابتداء سيري، فإنّ مبتدأ السير في أوّل المقام المحمّديّ الجامع، هو منتهى سير جميع

الأولياء السائرين بالجمع والتوحيد الحقيقيّ على السنن المستقيم.

وذلك لأنّ السير المحمّدي نزول من الحضرة العليّة، مقام الجمع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ١٣] وهي السفر الرابع بعد النزلة الأولى مقام أو أدنى بعد القاب قوسين الذي هو مقام الجمع الكلّي والتوحيد الحقيقيّ، وللوارث المحمّديّ منّا حصول جميع ذلك في درجة ولا يته صلّى الله عليه وسلّم دون درجة نبوّته؛ لأنّ النبوّة درجة أخرى لا تنال بالإرث، قال عليه الصلاة والسلام: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث درهماً ولا ديناراً»(١) في موضع لا نورّث نبوّة ولا رسالة، ولمّا كان الدرهم والدينار بهما المعاملة بين النّاس كنّى بهما عن النبوّة والرسالة اللتين بهما سياسة الأمّة، واتصال الملأ الأعلى بالملأ الأدنى في المعاملات الشرعيّة. ثمّ قال عليه السلام: «ولكن نورث العلم» أي: الولاية الجامعة للعلوم الإلهيّة بلا واسطة ملك وحي، ولا ملائكة أمور إلهاميّة، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [١٣/ النجم/ ١٠]؛ فالعلم الإلهيّ هو الموروث عن الأنبياء عليهم السلام لا غير، والنبوّة والرسالة انسدّ بابهما.

٣٣١- فَلَا عَالَمٌ إِلَّا بِفَضْلِي عَالِمٌ وَلَا نَاطِقٌ فِي الكَوْنِ إِلَّا بِمِدْحَتِي

(**فلا عالَم**): بفتح اللام، قال في القاموس: « العالَم: الخلق كلّه، أو ما حواه بطن الفَلَك». وقال في الصحاح: «والعالَم: الخَلْق. والجمع: العوالِم، والعالَمُون: أصناف الخلق». وقوله (**إلّا بفضلي عالِم**): بكسر اللام، أي: متّصف بالعلم بسبب فضلي وإمدادي له. والفَضل ضدّ النقص، والفضيلة: الدرجة الرفيعة في

---

(١) يشهد له ما أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الكلام، باب: ما جاء في تركة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ١٨٤٠، عن عائشة قالت لأزواج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أليس قد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لا نورث ما تركناه صدقة. كما أخرج أحمد في المسند، مسند عمر بن الخطاب، ٣٤٣، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّا لا نورث ما تركنا صدقة. كذلك أخرج البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب: فرض الخمس، ٣٠٩٣، بلفظ: لا نورث ما تركنا صدقة.

الفَضل، كذا في القاموس. وهو فضل المقام المحمّديّ الممدّ لكلّ فضل في العالم العلويّ والعالم السفليّ؛ إذ الكلّ مخلوقون من نوره، وظهورهم من آثار ظهوره. وقوله **(ولا ناطق)**: أي متكلّم في الكون، أي: في جملة الأشياء**(إلّا بمدحتي)**: أي مدحي والثناء عليّ؛ فإنّ صاحب هذا المقام المحمّدي محمود في السماء والأرض. وقال تعالى في حقّه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٠٧] فقد رحم الله تعالى به العوالم كلّها، وكلّ شيء ناطق، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢١] وكلّ ناطق مادح لسبب الرحمة التي شملته بلسان قال، ولسان أحوال.

٣٣٢- وَلَا غَـرْوَ أنْ سُـدْتُ الأُلَى سَـبَقُوا وَقَـدْ
تَمَـــسَّكْتُ مِـــنْ طَـــهَ بِـــأوْثَقِ عُـــرْوَةِ

(ولا غرو): بالغين المعجمة المفتوحة وسكون الراء وفتح الواو، قال في الصحاح: «الغَرْو: العجب/ [١٧٩/ ب] وغَرَوْتُ، أي: عَجِبْتُ، يقال: لا غَرْوَ، أي: ليس بعجب». وقوله **(إن سُدْت)**: من ساد قومه يسودهم فهو سيّدهم. والسيد الجليل الذي له السيادة عليهم. وقوله **(الأُلى)**: مفعول سدتُ، أي: الذين **(سبقوا)**: أي تقدموا عليّ في الزمان الماضي، وهم أهل الجمع والتوحيد كما مرّ.

وقوله **(وقد)**: الواو للحال. وجملة **(تمسّكت)**: في محل نصب على أنّها حال من فاعل سدت، وهو التاء، قال في المصباح: «أَمْسَكْتُ الشيءَ واسْتَمْسَكْتُ به وامْتَسَكْتُ به كلّه بمعنى اعتصمت به». وقوله **(من طه)**: أي من دين طه، أو من حقيقته التي هي نوره المخلوق منه كلّ شيء، كما ورد في الحديث. وطه اسم محمّد نبيّنا صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [٢٠/ طه/ ١] والقرآن كلام الله، وكلامه تعالى علمه النازل في صورة كلّ شيء، قال تعالى في حقّ عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ [٤/ النساء/ ٧١] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ﴾ [١٩/ مريم/ ٣٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ

﴿مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٣/ آل عمران/ ٥٩] وكلّ شيء كذلك خلقه من تراب، ثمّ قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] وهو ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣]. فقوله كلامه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٢] وهو القرآن الذي أنزله على (طه): أي على المادة النوريّة الأصليّة المخلوقة من نوره سبحانه بلا واسطة: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] يعني: بنوره المحمّدي الواسطة العظمى ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥].

وقوله (**بأوثق**): أي أشد (**عروة**): بضمّ العين المهملة وسكون الراء وفتح الواو وبالهاء، قال في الصحاح: «عُرْوَةُ القميص والكوز: معروفة، والعروة أيضاً من الشجر: الشيء الذي لا يزال باقياً في الأرض لا يذهب. والعُرْوَةُ الأسد، وبه سمّي الرجل عُرْوَة. وفي القاموس: «العُرْوَةُ من الدَلْو والكوز: المِقْبَض، ومن الثوب: أخت زِرِّهِ كالعُري، ويُكْسَر». وقال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٦] طلب الإمساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبّل الوثيق، وهي مستعارة لتمسك الحقّ، يعني: بالكتاب والسنّة. والمراد بالحقيقة المحمّديّة الجامعة.

٣٣٣- عَلَيْهَا مَجَازِيٌّ سَلَامِي وَإِنَّمَا حَقِيْقَتُهُ مِنِّي إِلَيَّ تَحِيَّتِي

(**عليها**): أي على ما تمسكت به من طه، وهو حقيقته المحمّديّة العروة الوثقى. وقوله (**مَجَازِيٌّ**): بتشديد الياء التحتيّة: ياء النسبة. (**والمجاز**): خلاف الحقيقة. وقوله (**سَلَامِي**): أي سلامي عليها إذا قلت: **عليها السلام**، أي: الأمان من نظري إلى غيرها؛ إذ لا غير لها؛ فإنّها عين كلّ حقيقة كونيّة. ثمّ قال (**وإنّما حقيقته**): أي حقيقة السلام. (**منّي**): أي من حقيقتي (**إليّ**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى حقيقتي. (**تحيّتي**): أي سلامي؛ فإذا سلّمتُ عليها فإنّما سلَّمتْ حقيقتي على نفسها؛ لفناء صورتي العرضية الباطنيّة والظاهريّة على الماديّة النوريّة المحمّدية؛ فإنّ من جمع تراباً كان كالحقّ تعالى إذا توجّهت إرادته على تقدير في علمه متعيّن، فأشرف ذلك

التقدير المتعيِّن في العلم الإلهيّ الأزليّ، وخرج من عدمه الأصليّ إلى ظهور نور الوجود عليه من الوجه الإلهيّ، ثمّ انجبل ذلك التراب بالماء كتوجّه الأمر الإلهيّ على ذلك التقدير المتعيِّن من ذلك التقدير المتعيِّن منه؛ حتى صار الحقيقة المحمّديّة؛ فالتقدير المتعيِّن فيها فانٍ مضمحلٌّ؛ لأنّه عدم أصليّ ، والأمر الإلهيّ هو الوجود الحقّ الصرف؛ فنور محمّد صلّى الله عليه وسلّم، أي: أمر الله الوجود الحقّ المتوجّه على ذلك التقدير المتعيِّن؛ فباعتبار التقدير المتعيِّن نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وباعتبار فناء ذلك التقدير المتعيّن واضمحلاله وزواله حتى رجع إلي / [١٨٠/أ] وعدمه الأصلي نور الله ، فلا نور إلّا نور الله؛ فهو نور على نور، فهما نوران بالاعتبارين المذكورين، وهما نور واحد وهي المعيّة الإلهيّة: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [٩/ التوبة/ ٤٠] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤].

ثمّ إنّ ذلك الطين جعل الصانع منه أواني كثيرة مختلفة الصور والهيئات حتى لم يبق من ذلك الطين شيء. فإذا سأل سائل بعد ذلك فقال: أين ذلك الطين؟!. يقال له: غاب في هذه الأواني كلّها، وليس بغائب؛ لأنّ الأواني كلّها إنّما هي مجرّد صور وهيئات فانيّة مضمحلّة. وكذلك ذلك التقدير المتعيِّن الذي هو نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم كما ذكرنا، خلق الله منه جميع المخلوقات، أي: صوّرها وقدّرها. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] ثمّ نبّه تعالى على ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤٥].

فمن عرف ما قلناه عرف الحقيقة المحمّديّة، وعرف أنّها غائبة في الصور الكونيّة، والهيئات الإمكانيّة، فمن ظهر له اضمحلال صورته الباطنة والظاهرة قرّت عينه بعين الحقيقة المحمّديّة الفانية المضمحلّة في الحقيقة الربّانيّة على الوجه الأكمل، والقانون الأشمل، وذلك نهاية السالكين، وغاية الواصلين.

٣٣٤- وَأَطْيَبُ مَا فِيهَا وَجَدْتُ بِمُبْتَدَا غَرَامِي وَقَدْ أَبْدَى بِهَا كُلَّ نُدْرَةِ

(وأطيب): قال في القاموس: « طَاب يَطِيْبُ: لذَّ وزَكَا» والأطيب: أفعل تفضيل، أي: الأكثر طيباً. وقوله (ما فيها): أي أطيب شيء فيها، أي: في الحقيقة المحمّديّة كما قدمناه، واعلم أنّ السالك أوّل ما تنفذ بصيرته إلى حضرة الغيب المطلق، وهو الوجود الحقّ الحقيقي الذي لا يُدْرَك ولا يُترَك، فيتعلّق قلبه بجماله الحقيقيّ، المنزّه عن الصور الحسيّة، والمعنويّة، والخياليّة؛ فيشاهد لطائفة، وعظائم مننه، وشرائف عطاياه؛ فيتعلّق به، وتلتذّ روحه بمعرفته، وكمال نزاهته، وشدّة تجرده عن جميع المواد الكونيّة، والحدود، والقيود، الحسيّة والخياليّة، فينكشف له بلا انكشاف أنّه الحق، وكلّ ما سواه باطل، وأنّه النور المحض الحقيقيّ، وكلّ ما سواه ظلمة محضة، وأنّه الوجود الصرف المطلق حتى عن الإطلاق، وكل ما سواه عدم خالص، فيظهر له أنّه معدوم في نفسه بالنسبة إليه تعالى، وأنّه فانٍ مضمحل فينطلق لسانه بما صار عنده من التعشّق فيه، والهيام في محبّته، فينفخ عليه لسان الغزل والتشبيب في العيون والخدود والأعناق والقدود، ومحاسن الوجوه، والوجنات، وأنواع التغزّلات، وتنفتح عليه معانٍ في ذلك وأسرار، ولطائف إشارات من غير طريق الأفكار، فينظم الشعر البديع على حسب ما عنده من معرفة الصناعة الشعريّة، والعلوم الأدبيّة، فيظهر منه الرقيق من الأشعار، ولا يسمّى كلامه شعراً؛ بل يسمَّى علماً إلهياً، وإنْ كان في ذلك الطيور والأزهار، ويصير كلّما سمع شعراً فهمه على حسب حاله، أو سمع المغنيّ أخذ إشارته من لطيف مقاله، أو سمع دفّاً، أو مزماراً، أعرض عن محاله، ودخل في معرض عرفانه ومجاله، إلى أن ينتهي به العشق الإلهيّ إلى دخول بالفناء والانعدام في حقيقة علم الوجود الحقّ، وينقطع منه الكلام، فيظهر منه التصريح بالاتّحاد حيث لا أرواح ولا أجساد، ويسكر ويصحو، ويستحضر ويلهو، ويفيق ويسهو، إلى أن لا يرسخ في مقام الاتّحاد الحقيقيّ، حيث لا يجد نفسه معه تعالى، ولا يجد معه تعالى شيئاً.

ثمّ تتراءى له الأنوار المحمّديّة والحقيقة الأحمديّة ببركة مواظبته من حال بدايته على الأحكام الشرعيّة والسنن النبويّة، والآداب المصطفويّة، فيجد عين ما هو فيه من الأحوال لم يخرج عن / [١٨٠/ ب] أحوال الحقيقة المحمّديّة في تجلّي ذي الجلال؛ فإنّها السابقة بالأفعال في تحقيق حقيقة الوصال والاتّصال. فيرجع كلامه فيما علم منها من شرائف الخصال، ويعود له التغزّل والتشبيب، وشكوى الشوق والغرام من المحبّ إلى الحبّيب، ويرجع عشقه في الحقيقة المحمّديّة المتحقِّقة على الوجه الأكيد بالحقيقة الإلهيّة، ويرجع اتحاده إليها، ويقع اختياره عليها، فلا يجد غيرها، ولا يعرف إلّا خيرها، ولا يبقى عنده فرق بين معروفه الأوّل والثاني، بل وجد الحقيقة واحدة، ظاهرة ببدائع المعاني في لطائف المباني، ولهذا قال: (**وأطيب ما فيها وجدت بمبتدا**): أي في حال ابتداء (**غرامي**): أي عشقي، ولم يقل: (غرامي بها) لأنّ الغرام كلّه والعشق لا يكون إلّا بها منها لها، ولكن صور التجلّي، أي: تجلّيها بها لها، بمرادها ناقصة وكاملة، وجاهلة وعالمة، على حسب تعلق المشيئة الأزليّة بها في حضرة العلم العليّة على طبق ما كشفت عنه أزلاً من معلوماتها العدميّة.

وقوله (**وقد**): الواو للحال، والجملة في محل نصب حال من غرامي. وقوله (**أبدى**): أي أظهر، وفاعله ضمير يعود على غرامي. وقوله (**بها**): أي بسبب الحقيقة المحمّديّة، أو بالاستعانة بها من حيث ظهور المتجلّي بها لها عليه من ابتداء غرامه حيث لم ينتبه لها من حيث هي حقيقة محمّديّة متبدِّلة في أطوار التجلِّيات الإلهيّة. فلمّا تنبّه لها علم أنّها هي هي التي غرامه بها أوّلاً وآخراً؛ بل ذلك حبّه لها في أنواع تجلِّياتها. وقوله (**كلّ**) مفعول أبدى. وقوله (**نَدْرَة**): مضاف إليه بفتح النون وسكون الدال المهملة والراء المفتوحة بعدها هاء، قال في الصحاح: « قولهم لقيته في النَدْرَة والنَدَرَة ـ يعني: بفتح الدّال المهملة ـ أي: فيما بين الأيام». وفي القاموس: « لقيه نَدْرَة، وفي النَدْرَة مفتوحتين، أي: بين الأيام، ونَوَادِرُ الكلام: ما

شَذَّ وخرج من الجمهور». والمراد هنا الشيء النادر العجيب، أي: كلّ نادرة عجيبة غريبة من عجائب الأحوال، وغرائب ما يجده السالك من أنواع الكمال.

٣٣٥- ظُهُوْرِي وَقَدْ أَخْفَيْتُ حَالي مُنْشِدَاً بِهَا طَرَبَاً وَالحَالُ غَيْرُ خَفِيَّةِ

(**ظهوري**): أي اشتهاري بالولاية والقرب الإلهيّ، وصدق المعاملة بين الناس، وهو خبر المبتدأ الذي قوله (**وأطيب**) في البيت قبله. وقوله (**وقد**): الواو للحال، والجملة حال من ياء المتكلّم في قوله (ظهوري)، والعامل: المصدر. وقوله (**أخفيت حالي**): أي كتمته عن الناس، ولم أقصد إظهار شيء منه، لأنّه أسرار بين المحبّ والمحبوب، والغيرة تقتضي الستر والكتمان. وقوله (**منشداً**): حال من فاعل أخفيت، ومنشِداً بكسر الشين المعجمة: اسم فاعل، يقال: أنشد الشعر: قرأه، كذا في القاموس. وإنشاد الشعر قراءته، أعمّ من أن يكون شعره الذي أنشأه، أو شِعر غيره. وقوله (**بها**): أي بسبب الحقيقة المحمّديّة، أو باستعانتها من حيث عينها الربّانيّة المنزّهة عن تجلّيها بالتقدير المعين لها، العدميّ كما مرّ.

وقوله (**طَرَبَاً**): بالتحريك، أي على وجه الطَرَب، وهو تمييز لنسبة الإنشاد إليه، قال في القاموس: «الطَرَب محرّكة: الفَرَح والحُزْن، ضدّ، وخِفَّة تلحقك تسرّك أو تحزنك». والطَرَب أيضاً: الحركة والشوق. وفي الصحاح: «الطرب خفّة تصيب الإنسان لشدّة حزن أو سرور». وهو المراد هنا. يعني: أظهر الخفّة بإنشاد الأشعار الغزليّة التي سأنشدها بعد ذلك، والتشبيب في محاسن المحبوب والمحبوبة، وأكثر التأوّه والشكاية والتحزّن من الهجر والبُعد والإعراض، وأتمنّى الوصال والقرب، ويظهر منّي الميل والتعشّق/[١٨١/أ] في صور الملاح من الذكور والإناث، كحال العشّاق المحجوبين المفتونين بما ابتلاهم الله تعالى به من عشق الصور، ستراً منّي لشريف أحوالي، وغيرة على أمري أن يظهر بين الغافلين المعرضين عن الحقّ المشتغلين بما سواه من الباطل، حتى إذا وقع منهم إنكار لشيء من تجلّياته تعالى

عليَّ تجلِّياً ظاهراً لهم، أو باطناً عنهم، فلم يقبلوا أثره فيَّ، أكون أنا وقاية للحقّ في ذلك الإنكار والاعتراض.

ومع هذا كلّه حصلّ ظهوري بالكمال بينهم، وعدم اختفائي عنهم، وقوله **(الحال)**: أي حالي المذكور غير خَفيَّة بتشديد الياء التحتيّة، أي: ظاهرة. يعني: إنّ الإخفاء لها الذي كان قصدي لم يعمل في إخفائها شيئاً، كما قال صاحب الموشّح العامي:

غطّوهـــا النـــدامى قالـــت عـــين الـــشمس مـــا تتغطّـــى

والأبيات التي أنشدها قاصداً إخفاء حاله، صيانة لتوجّه الإنكار على تجلّيات محبوبه المحمّدي الربّانيّ ببدائع أفعاله التي هي كلّها عند المحبّ محاسن جماله اثنان وخمسون بيتاً. وقال الشارحان القيصري والبساطي واحد وخمسون بيتاً. وقال الشارح الأوّل أبو سعيد الفرغاني أستاذ القيصري ، وتلميذ الصدر القونوي الذي هو تلميذ الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدّس الله أسرارهم: إنّها ستة عشر بيتاً. وستمرّ بك بيتاً بيتاً.

٣٣٦- بَدَتْ فَرَأَيْتُ الحَزْمَ فِي نَقْضِ تَوْبَتِي وَقَــامَ بِهَــا عِنْــدَ النُهــى عُــذْرُ مِحْنَتِــي

(بدت)[١]: أي ظهرت، ولم يقل لي لأنّ الظهور عام، والضمير يعود على الحقيقة المحمّديّة، والكلّ يشهدونها ولا يعلمون بها لاشتغالهم بما توجّهت عليه قلوبهم وانصرفت إليه، فليس ظهورها بأمر زائد على ما هو ظاهر للغافلين المحجوبين الذين إذا انفتحت بصائرهم يرونها عين ما هم له راؤون من قبل، كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٩] فإنّهم كانوا إذا نظروا إليه صلّى الله عليه وسلّم لا يبصرون إلّا ساحراً، أو معلّماً مجنوناً، أو نحو ذلك مما

(١) ورد على الهامش «بلغ». أي: بلغ مقابلة النص على نسخة المؤلف الشيخ عبد الغني النابلسي إلى هنا.

قالوه عنه صلّى الله عليه وسلّم. وأمّا المؤمنون به فكانوا إذا أبصروه أبصروا نبيّاً صادقاً، ورسولاً أميناً. وشتّان ما بين الرؤيتين.

وقوله (**فرأيت**): أي فاعتقدت، وهي الرؤية القلبيّة، يقال: رآه رأياً. وفي الصحاح: «الرؤية بالعين تتعدّى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم إلى مفعولين. يقال: رَأَيْتُ زيداً عالماً، ورأيت رُؤْيَةً. والرَأْيُ معروف، وجمعه آراء».

وقوله (**الحزم**): بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وبالميم، وهو ضبط الأمر، والأخذ فيه بالثقة وفي الصحاح: «ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة وقد. وقد حَزُمَ الرجل بالضمّ حَزَامة فهو حازم». وقوله (**في نقض**): أي إبطال توبتي الصادرة عنّي أوّلاً ممّا كنت أفعله في حالتي الأولى من التهتّك بالعشق، والمحبّة، والهوى، والشطح، والهيام. وقد تبتُ من ذلك، أي: رجعت عنه إلى حال الرسوخ، والخشوع، والحضور، ودوام الأدب الظاهر. وكانت تلك التوبة توبة الخواص من أحوال العوام الإلهيّن، فرأيت الآن نقض تلك التوبة هو الحزم والرأي السديد؛ لأنّ في العود إلى الحالة الأولى ستر المقام، ووقاية الحضرة الإلهيّة عن إنكار ما تتجلّى به من محن الآثام على هذا الرجل التامّ. وقوله (**وقام بها**): أي بهذه الحقيقة المحمّديّة المحبوبة العليّة. وقوله (**عند النُهى**): بضمّ النون، قال في الصحاح: «النُهْيَة بالضّمّ واحدة النُهَى، وهي العقول؛ لانّها تنهى عن القبيح».

وقوله (**عُذْرُ**): بضمّ العين المهملة وسكون الذال المعجمة ورفع الراء بالفاعليّة. وقوله (**مِحْنَتِي**): مضاف إليه، قال في الصحاح: « المِحْنَةُ واحدة المِحَنِ التي يُمْتَحَنُ بها الإنسانُ من بَلِيَّة. ومَحَنْتُهُ وامْتَحَنْتُه، أي: اختبرته، والاسم: المِحْنَة». والمعنى: عذرني أربابُ العقول الراسخة في امتحاني به، وتعشّقي فيها، وهيامي في محبّتها، لأنّ جمالها حقيقة الجمال، وحسنها هو الظاهر لكلّ عاشق على حسب ما هو /[١٨١/ ب] فيه من الحال بمقتضى النقص والكمال.

٣٣٧- فَمِنْهَا أمَانِي مِنْ ضَنَى جَسَدِي بِهَا   أمَــانِيُّ آمَــالٍ سَــخَتْ ثُــمَّ شَــحَّتِ

(**فمنها**): الفاء للتفريع على ما قبله، والضمير في منها للحضرة المحمّدية والحقيقة الأحمديّة المحبوبة العليّة. وقوله (**أماني**): مبتدأ، أي: الأمان الحاصل لي، قال في القاموس: «الأَمْنُ والأَمَان: ضدّ الخوف، أَمِنَ كفَرِحَ، أَمْناً وأَمَاناً بفتحهما». وقوله (**من ضنى جسدي**): متعلّق بأماني؛ لأنّه صدر كما ذكرنا. و(**الضنى**): المرض يقال: «منه ضَنِيَ، بالكسر، ضَنىً شديداً»، كما في الصحاح، وفي القاموس: «ضَنِيَ كرَضِيَ، ضَنَىً: مَرِضَ مَرَضاً مُخامِراً، كُلَّما ظُنَّ بُرْؤُهُ نُكِسَ، وأَضْنَاهُ المرض».

و(**الجسد**): هو الجسم. وقوله (**بها**): أي بسبب محبّة هذه الحقيقة المحمّديّة المذكورة؛ والمعنى: إنّ حصول الأمان لي من سقمي في محبّتها. وقوله (**أمانيّ**): بتشديد الياء التحتيّة، خبر المبتدأ، أي ذلك الأمان مجرّد (**أمانيّ**): جمع أمنيّة، بضمّ الهمزة وسكون الميم وكسر النون، قال في القاموس: تَمَنَّاه: أراده، تَمْنِيَةً، وهي المُنْيَةُ، بالضمّ والكسر. والأُمْنِيَّةُ بالضمّ. وفي الصحاح: الأُمْنِيَّةُ: واحدة الأَمَانِي، تقول منه: تَمَنَّيْتُ الشيءَ، ومَنَّيْتُ غيري تَمْنِّيَه». وقوله (**آمال**): بالمدّ، جمع أَمَل بالتحريك، قال في القاموس: «الأَمَل كجَبَلٍ، ونَجْمٍ ،وشِبْرٍ: الرجاء، وجمعه آمال». ومعنى ذلك: إنّ الأمان المذكور وهو مرادات ومقاصد مضافات إلى آمال، وإنّما جَمَعَها لتنوّع جهاتها.

ثمّ إنّه وصف تلك المرادات أو الآمال بقوله (**سَخَتْ**): بفتح السين المهملة وفتح الخاء المهملة وتاء التأنيث الساكنة، من السَخَاء، قال في الصحاح: «السَّخَاوَة، والسَخَاء: الجُود، يقال منه: سَخَا يَسْخُو، وسَخِيَ يَسْخَى». وقوله (**ثمّ شَحَّتْ**): بفتح الشين المعجمة وتشديد الحاء المهملة وكسر التاء للقافية؛ يعني: إنّ تلك الأماني والمقاصد، أو تلك الآمال سمحت أولاً فكثرت عندي حتى حصل لي بها الأمان من السقام والمرض، ثمّ شحّت عليّ وبخلت. قال في القاموس: «الشُح مثلثة، البُخْل والحِرْص». وفي الصحاح: «الشُّحُ :البُخل مع حِرْص، يقال: شَحِحْتُ بالكسر، وشَحَحْتُ أيضاً، تَشُحّ وتَشِح، ورجل شَحِيح، وقوم شِحاح».

٣٣٨- وَفِيْهَا تَلافِي الجِسْمِ بِالسُّقْمِ صِحَةٌ لَـهُ وَتَـلافُ الـنَّفْسِ نَفْـسُ الفُتُـوَّةِ

(وفيها): أي في هذه الحقيقة الحمّديّة المحبوبة العليّة. وقوله (تلافي): قال في الصحاح: «تلافيته: تداركته». وفي القاموس: « تلافاه: تَدارَكَهُ. وقوله (الجسم بالسقم): السُقْم كقُفْل: المرض، كذا في القاموس. وقوله (صحة): خبر المبتدأ الذي هو تلافى. والمعنى: تداركُ الجسم بالمرض، والضعف في محبّتها هو الصحة والعافية والشفاء. وقوله (له): أي للجسم. وقوله (وتلافُ): مصدر تَلِفَ يَتْلَف تَلَفاً، يعنى: هلاك النفس وفناؤه، واضمحلالها بالكليّة في المحبّة (نفس): أي عين الفتوّة. قال في الصحاح: « الفَتَى: السَخيّ، الكريم، يقال: هو فَتَى بيِّن الفتوّة»، وفي القاموس: «الفُتُوَّة: الكرم».

٣٣٩- وَمَـوْتِي بِهَـا وَجْـدَاً حَيَـاةٌ هَنِيْئَـةٌ وَإِنْ لَـمْ أمُتْ فَي الحبّ عِشْتُ بِغُـصَّتِي

(وموتي بها): أي بسبب الحقيقة المحبوبة المذكورة. وقوله (وجداً): تمييز، وهو الشوق الشديد والحزن المديد. وقوله (حياة): خبر المبتدأ الذي هو موتي في المحبّة. وقوله (هنيئة): صفة لحياة، قال في الصحاح: «هَنُؤَ الطعام يَهْنُؤ هَنَاء، أي: صار هَنِيْئاً، وكلّ أمر يأتيك من غير تعب فهو هَنِيء». وفي القاموس: «الهَنِيء والمَهْنَأ: ما أتاك بلا مشقّة». وقوله (وإنْ لم أمت في الحبّ): أي في المحبّة والعشق.

وقوله (عِشْتُ): من عَاشَ يَعِيْشُ عِيشة، والعيش: الحياة، كذا في القاموس. وقوله (بغصتي): متعلّق بـ(عشتُ). أو الباء للملابسة، أي ملابساً لغصّتي. يعني: ملازماً لها. و(الغُصّة): بضمّ الغين المعجمة وتشديد الصاد/ [١٨٢/ أ] المهملة والهاء. وجمعها: غُصص، وهي ما اعترض في الحلق فأشرق من عظم ونحوه، فإنّ بقاءه حيّاً في حلق روحانيّته كالغصّة الناشئة في الحلق لا يقدر صاحبها معها؛ أنْ يتنفّسَ ولا تذهب عنه فيستريح منها. وكذلك حياته الوهميّة مجرّد دعوى نفسانيّة زائلة على كلّ حال.

٣٤٠- فَيَا مُهْجَتِيْ ذُوبِي جَوًى وَصُبَابَةً وَيـا لَـوْعَتِي كُـونِي كَـذَاكَ مُـذِيْبَتِي

(فيا مهجتي): المُهْجَة: الدم، أو دم القلب والروح، كذا في القاموس. وفي الصحاح: « يقال خرجت مهجته: إذا خرجت روحه؛ وهو المراد هنا. وقوله (ذوبي): فعل أمر خطاب لروحه، وذوبان الروح كناية عن تلاشيها واضمحلالها في أصلها الذي هو أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقوله (جَوًى): أي عشقاً (وصبابة): أي شوقاً، أي: من أجل ذلك. وقوله (ويا لوعتي): اللَوْعَةُ حُرْقَةٌ في القلب، وألم من حبٍّ، أو هَمٍّ، أو مرض، ولَاعَهُ الحبّ، كذا في القاموس (كوني): فعل أمر (كذاك): أي: كالجوى والصبابة المذكورين. وقوله (مُذِيْبَتِي): أي ماحقّة كلِّي، ومُفْنِيَتَهُ حتّى لا يبقى منّي شيء أصلاً، لا روح، ولا نفس، ولا جسد؛ ليظهر الجود الحقّ، كما هو ظاهر على ما هو عليه، «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما هو عليه كان».

٣٤١- وَيَا نَارَ أَحْشَائي أَقِيْمِي مِنْ الجَوَى حَنَايَـا ضُـلُوعِي فَهْـيَ غَـيْرُ قَوِيْمَـةِ

(ويا نار أحشائي): كناية عن حرارة العشق والمحبّة. وقوله (أقيمي): يقال أقام الشيءَ: أزال عوجه، وعدله فاعتدل. وقوله (من الجوى) بيان لنار الأحشاء (والجوى): العشق. وقوله (حنايا): جمع حَنِيَّة كغَنِيَّة، صفة (للضلوع): جمع ضلع. وأصل الحَنِيَّة: القوس، شبّه الضلع بها لانحنائه واعوجاجه. قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: «اعوجاج القوس استقامته، واعوجاج النفوس عن الصراط المستقيم هو استقامتها، فإنّ المرأة خُلقت من ضلع أعوج، فلو ذهبت تقوِّمه كسرته، ولا يخرج السهم إلا من اعوجاج قوسه، فيصيب الغرض المقصود، ولا يقوم الضلوع المنحنية المعوجّة إلا نار العشق، فتنكسر بها الضلوع، وتذهب النفوس، ويظهر حكم الأرواح على نشاء الأشباح».

٣٤٢- وَيَا حُسْنَ صَبْرِي فِي رِضَا مَنْ أُحِبُّهَا تَجَمَّـلْ وَكُـنْ لِلـدَّهْرِ بِي غَـيْرَ مُـشْمِتِ

(ويا حسن صبري): أي يا صبري الحسن، يعني: الذي حسن موقعه منّي.

وقوله (في رضا مَنْ أُحِبُّها): أي كائناً في كلّ أمر ترضى به المحبوبة الحقيقيّة. ولم يقل في إرادتها لأنّ الرضا منها لا يكون إلا بالخير، والإرادة للخير والشرّ، وفيه إشارة إلى أنّه لا يفعل إلا ما ترضى به من الخير وإنْ كان مُشِقّاً عليه مَشَقّةً تقتضي حسن الصبر منه، قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [١٩/ مريم/ ٦٥].

وقوله (تجمّل): فعل أمر خطاب منه لصبره، أي: كن صبراً جميلاً. وفي الحديث «الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه»(١): أي إلى الخلق. ذكره البيضاوي في قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [١٢/ يوسف/ ١٨] مع كثرة بكائه على يوسف عليه السلام، وشدّة حزنه وشكايته حتى قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٢/ يوسف٨٦] يعني: لا إلا غيره ممن تروني أشكو إليه ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ في تجلّيه بالمظاهر. وقوله (وكن): أي يا صبري. (للدهر): أي لأهل الدهر. (بي) غير (مُشمِتِ): يعني لا تشمت بي أحداً من الناس، قال في القاموس: «شَمِتَ كفَرِحَ شَماتاً وشَماتَةً: فَرِحَ بِبَلِيَّة العدو».

٣٤٣- ويَا جَلَدِي فِي جَنْبِ طَاعَةِ حُبِّهَا تَحَمَّلَ عَدَاكَ الكَلُّ كُلَّ عَظِيْمَةِ

(ويا جَلَدِي): بالتحريك، أي: شدّتي وقوّتي. وقال في الصحاح: «الجَلَدُ: الصَلَابَة والجَلادة تقول منه: جَلُدَ الرجلُ بالضمّ فهو جَلْدٌ، وجَلِيْد، بَيِّنُ الجَلَدِ والجَلَادَة. وقوله (في جنب)/ [١٨٢/ ب] أي: جانب، قال في الصحاح: «يقال قعدت إلى جنب فلان، وإلى جانب فلان بمعنى». وقوله (طاعة حبِّها):أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (تَحَمَّل): فعل أمر من التحمّل، قال في الصحاح: «حَمَلْتُ أدْلَالَهُ واحْتَمَلْتُ بمعنى»، قال الشاعر:

أدلَّتْ فلم أحمل وقالت فلم أجب لعمــرو أبيهــا إنّنــي لظلــوم

---

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، باب: فصل ذكر ما في الأوجاع والأمراض، ١٠٠٧٦، عن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الناس.

وفي القاموس: « حَمَّلَهُ الأمرَ تَحْمِيلاً فتَحَمَّلَه». وقوله (**عداك الكَلُّ**): جملة معترضة للدعاء. (**وعداك**): تعدّاك وجاوزك، وتركك، والكَلّ بفتح الكاف وتشديد اللام فاعل عدَّاك، وهو التعب والعيّ. وقوله (**كلَّ**) مفعول تحمّل. و(**عظيمة**): نعت لقضيّة أو واقعة، أي: كلّ قضيّة عظيمة من قضايا المحبّة والعشق.

٢٤٤- وَيَا جَسَدِي الْمُضْنَى تَسَلَّ عَنْ الشَّفَا وَيَـا كَبِـدِي مَـنْ لِي بَـأَنْ تَتَفَتَّـتِي

(**ويا جسدي**): أي يا جسمي. (**المُضْنَى**): بصيغة اسم المفعول، أي: الذي أضناه، أي أسقمه العِشق، قال في الصحاح: « الضَنَى: المرض، يقال منه: ضَنِيَ، بالكسر ضَنَىً شديداً، وأَضْنَاهُ المرض، أي: أثقله». وقوله (**تَسَلَّ**): بتشديد اللام، فعل أمر من التَسلّي، قال في الصحاح: « سَلَّانِي مِن هَمِّي تَسْلِيَةً، وأَسْلَانِي، أي: كشفه عَنِّي، وانْسَلَى عنه الهَمُّ وتَسَلَّى بمعنى، أي: انكشف». وقوله (**عن الشفا**): أي عن العافية من الضَنَى، متعلّق بـ (تَسَلَّ).

وقوله (**ويا كَبِدِي**): بفتح الكاف وكسر الباء الموحّدة، كناية عنّ القلب الصنوبري الذي وسط الجسد، قال في الصحاح: « كَبِدُ السماء: وسطها، وتَكَبَّدَتِ الشمس، أي: صارت في كَبِدِ السماء، وكَبِدُ القوس مَقبِضُها». وفي القاموس: «الكَبِدُ ككَتِف: الجَوْف بِكَمالِه، ووَسَطَ الشيءِ، ومُعْظَمُهُ». وقوله (**مَن**): اسم استفهام، بمعنى أي: إنسان يعينني ويساعدني ويسعفني. وقوله (**بأن تَتَفَتَّتِي**): أي على تَفَتُّتِكِ، قال في الصحاح: «فَتَّ الشيءَ، أي: كَسَرَهُ، فهو مَفْتُوْتٌ وَفَتِيتٌ. والتَفَتُّتُ: التكسُّر». والمعنى في ذلك: إنّ المحبّ يطلب الموت في حياة محبوبه، والفناء والاضمحلال في وجوده ليتّحد به، ولا يبقى له حياة ينازعه بها، ولا وجود يشاركه فيه.

٣٤٥- وَيَا سَقَمِي لَا تُبْقِ لِي رَمَقاً فَقَدْ أَبَيْـتُ لِبُقْيَـا العِـزِّ ذُلَّ البَقِيَّـةِ

(**ويا سَقَمِي**): بفتح السين المهملة وفتح القاف، كجَبَل: المرض، سَقِمَ كفَرِح وكَرُم، فهو سَقِيْمٌ. وقوله (**لا تُبْقِ**): أي لا تَتْرُكْ، مجزوم بلا الناهية. وقوله (لي

رَمَقاً): بفتح الراء وفتح الميم، قال في الصحاح: « الرَّمَق بقيّة الروح». وفي القاموس: « الرَمَقُ، محرّكة: بقيّة الحياة». وقوله (**فقد أَبَيْتُ**): من أَبى الشيءَ يَأباه ويَأْبِيهِ: كَرِهَهُ، كذا في القاموس. وقوله (**لبُقيا**): بضمّ الباء الموحّدة وسكون القاف وبالياء المثنّاة التحتيّة بعدها ألف، قال في القاموس: « بَقِيَ يَبْقَى بَقَاءً: ضدّ فَنِيَ، والاسم البَقْوَى، كدَعْوَى، ويضم، والبُقْيَا، الضمّ، والبَقِيَّة». وقوله (**العِزّ**): ضدّ الذلّ. وقوله (**ذلّ**): بالنصب مفعول أَبَيْتُ. والمعنى: فقد كرهت ذلّ البقيَّة إذا بقيت منّي لتحصيل بقايا العزّ الحقيقيّ؛ فإنّ البقيّة منّي مغايرة للمحبوب، وهي وَهْمٌ زائل ليس تحته طائل، قال تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [١١/ هود/ ٨٦] أي: ما يبقى من العبد بعد فنائه؛ وهي قيّومة الحقّ تعالى عليه، والله تعالى هو الباقي، والعزّ للباقي، والذلّ للفاني.

٣٤٦- وَيَا صِحَّتِي مَا كَانَ مِنْ صُحْبَتِي انْقَضَى وَوَصْلُكَ فِي الأَحْيَاءِ مَيْتاً كَهِجْرَةِ

(**ويا صِحَّتِي**): بكسر الصاد المهملة وتشديد الحاء المهملة مفتوحة، قال في القاموس: «الصِحَّةُ بالكسر: ذهاب المرض». وقوله (**ما كان**): أي وجد في الزمن الأوّل. وقوله (**من صحبتي**): بيان (لما): أي مصاحبتي لك، ومعاشرتي معك. والصُحبة: مصدر صَحِبَهُ كسَمِعَهُ، صُحْبَةً: عَاشَرَهُ». وقوله (**انقضى**): أي مضى حكمه؛ فلا عَوْدَ له. وقوله (**ووصلك**): أي وصالك في جملة (**الأحياء**): جمع حيّ، أي:/ [١٨٣/ أ] القوم الأحياء، أو الأحياء: المنازل. والخطاب للصحّة. وقوله (**ميتاً**): مفعول وصلك. وكنّى بالميت عن نفسه. وقوله (**كهجرة**): أي بمنزلة الهجرة عن ذلك الميت؛ إذ لا ينقطع بك؛ لأنّه ميت، والميت لا يحسُّ بالوصل. قال المتنبّي:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميِّت إيلام

و(**الهِجْرَةُ**): بكسر الهاء وسكون الجيم، الاسم من الهَجْرِ، ضدّ الوصل. وقد هَجَرَه هَجْراً وهِجْرَاناً. كذا في الصحاح. وفي القاموس: «هَجَرَهُ هَجْراً، بالفتح،

وهِجْرَاناً بالكسر: صَرَمَهُ، و ـ الشيء تَرَكَهُ، والاسم الهِجْرَة، بالكسر».

٣٤٧- **وَيَا كُلَّ مَا أَبْقَى الضَّنَى مِنِّي ارْتَحِلْ فَـمَا لَـكَ مَـأْوَى فِي عِظَـامٍ رَمِيْمَـةِ**

(ويا كلّ): بالنصب، يا حرف نداء. و**(كلّ)**: منادى مضاف إلى قوله **(ما)**: أي الذي أبقى، أي: ترك. و**(الضنى)**: السقم فاعل أبقى. و**(مِنِّي)**: متعلّق بأبقى. وقوله **(ارتحلْ)**: فعل أمر، خطاب للباقي من الضنى. وقوله **(فما)** نافية. و**(لك)**: جار ومجرور في محل نصب على أنّه خبر مقدّم لما النافية الحجازيّة العاملة عمل ليس. وقوله **(مأوى)**: اسم **(ما)**: وهو المكان. يقال: أَوَيْتُ مَنْزِلِي وإلى منزلي: نَزَلْتُ بنفسي وسَكَنْتُه، كذا في القاموس. وقوله **(في عظام)**: صفة لمأوى، جمع عَظْم. **(رَمِيْمَةِ)**: نعت لعظام، قال في الصحاح: الرِمّة بالكسر: العِظام البالية، والجمع: رِمَم ورِمَام، تقول منه: رَمّ العَظْمُ يَرِمُّ، بالكسر، رَمَّةً، أي: بَلِيَ؛ فهو رَمِيْمْ، وإنّما قال تعالى: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [٣٦/ يس/ ٧٨] لأنّ فعيلاً وفَعولاً قد يستوي فيه المذكّر والمؤنّث والجمع، مثل: رسول وصديق وعدو». فإنّ الحقّ تعالى إذا كان يحيي العظام الرميمة، وإنّها تحيا بحياته القديمة، فلا حاجة إلى حياتها بما أبقى الضنى منها؛ فإنّ ذلك حياة عرضيّة، فانية، عديمة.

٣٤٨- **وَيَا مَا عَسَى مِنِّي أُنَادِي تَوَهُّمَاً بِيَـاء النِّـدَاءِ أُونِـسْتُ مِنْـكَ بِوَحْـشَةِ**

(ويا): حرف نداء. وقوله **(ما)**: كناية عن شيء حقير. وقوله **(عسى)**: فعل من أفعاله المقاربة، وفيه طمع، وإشفاق، ولا يتصرّف؛ لأنّه وقع بلفظ الماضي لما جاء في الحال، تقول: عسى زيدٌ أن يخرج، وعست فلانةُ أن تخرج، فزيد فاعل عسى، وأنّه يخرج مفعولها، وهو بمعنى الخروج إلّا أنّ خبرها لا يكون اسماً، لا يقال عسى زيدٌ منطلقاً، كذا في الصحاح. وقوله **(منّي)**: أي من بقيّتي التي فنيت واضمحلّت من المحبّة والعشق. وقوله **(أنادي)**: وفي نسخة **(أناجي)**: من المناجاة. والمعنى: يا شيئاً حقيراً قليلاً من حقيقتي وعيني وذاتي متوهّماً وجوده، لا

محقّقاً عسى أناديك أو أناجيك توهماً. وقوله (**بيا النداء**): أي بأن أقول لك يا فلان، كناية عن نفسه الموهومة عنده. وقوله (**أُوْنِسْتُ**): بضمّ الهمزة مبني للمفعول، أي: جُعلتُ ذا أُنس، أيَ: تأنّس، والأُنْس: ضدّ الوحشة. وقوله (**منك**): الخطاب لـما عسى يناديه أو يناجيه منه بطريق التوهّم. وقوله (**بوحشة**): متعلّق بأُونست.

٣٤٩- وَكُلُّ الذِي تَرْضاهُ وَالمَوْتُ دُوْنَهُ بِـــهِ أَنَـــا رَاضٍ والــصَبَابَةُ أَرْضَـــتِ

(**وكلّ الذي ترضاه**): أي المحبوبة الحقيقيّة، من أنواع البلايا والمحن. وقوله (**والموت دونه**): أي دون ذلك الأمر الذي ترضى به. والواو للحال. والجملة في محل نصب على أنّها حال من الذي، أي: أشدّ من الموت. وقوله (**به**): متعلّق براضٍ، قُدّم للحصر أو للاهتمام. والضمير راجع إلى الذي ترضاه. وقوله (**والصَبَابَةُ**): أي شدّة المحبّة والعشق. (**أرضت**): بكسر التاء للقافية، أي: أرضتني، ولولاها لما رضيت.

٣٥٠- وَنفْسِي لَـمْ تَـجْزَعْ بِإتْلَافِهَا أسىً ولَـوْ جَزِعَـتْ كَانَـتْ بِغَـيْرِيْ تَأَسَّـتِ

(**ونفسي لم تجزع**): من الجَزَع، وهو نقيض الصبر، وقد جَزِعَ من الشيء بالكسر وأَجْزَعَهُ غيرُه، كذا في الصحاح. وقوله (**بإتلافها**): أيَ هلاكها. وقوله (**أسىً**): أي حزناً وهو تمييز/[١٨٣/ب] وقوله (**ولو جزعت**): جَزِعَ، كفَرِحَ جَزَعاً وجُزُوْعاً: نقيض صَبَر، كذا في القاموس. وقوله (**كانت**): أي نفسي. وقوله (**بغيري**): متعلّق بتأسّت. و(**تَأَسَّتِ**): أي اقتدتْ، وكُسرتْ التاء للقافية، قال في الصحاح: « ائتسى به، أي: اقتدى به، يُقال: لا تَأْتَسِ بمن ليس لك بأُسْوَة، أي: لا تقتدِ بمن ليس بقدوة». والمعنى: إنّ نفسي لو جَزِعَتْ، ولم تصبر على هلاكها وإتلافها في أحزان المحبّة والشوق، ومكابدة الهوى ولواعج التوق، لاقتدت في ذلك بغيري من بقيّة نفوسِ البشر، ولا غير عندي؛ لأنّ نفسي لّما تلفت بكشفي

عنها كانت مجرّد أوهام خياليّة، وأفكار رديّة، وحركات خواطر طبيعيّة منبعثة عن توجّهات روحانيّة من أمر الحضرة الإلهيّة، كما قلت في مطلع أبيات لي في ديواني:

أنــــت في بالــــك خــــاطر ... فــانمحيي عنــك وخــاطر

وصـــــل الجـــزء بكـــلّ ... ثـــمّ كُـــن للكـــلّ فاطـــر

وإذا بـــــــان همـــــــام ... لـــكّ مـــن نفـسك[1] شـــاطر

عـــدّ مـــن سلـــسلة النفـــ ... ـــس واغـــلال الخـــواطر

فعند ذلك عرفتُ بأنّ جميع النفوس مثل نفسي، فتلفتْ مع تَلَف نفسي جميعُ النفوس، فلم يبقَ عندي غَيْرٌ أَتَأَسَّى به، وأقتدي بجَزَعِهِ إذا جزع، ومتى ثبت غيري ثبتت نفسي عندي؛ فإنّ النفوس كلّها أمثال مضروبة ولا يعقلها إلّا العالمون. والنفس أصلها واحدة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [٤/ النساء/ ١] ولها ظهور بما ذكرنا من الأوهام والخواطر في كلّ نشأة إنسانيّة، وهيئة جسمانيّة، ومادة منجبلة طبيعيّة.

٣٥١- وَفِي كُلِّ حَيٍّ كُلُّ حَيٍ كَمَيِّتٍ ... بِهَا عِنْدَهُ قَتْلُ الهَوَى خَيْرُ مِيْتَةِ

(وفي كلّ حيٍّ): أي قبيلة من القبائل، قال في القاموس: «الحَيُّ: البَطْنُ من بُطُونِ العرب». وفي الصحاح: «الحَيُّ: واحد أحياءِ العرب». وذلك كناية عن صورة كلّ شيء؛ لأنّ القرآن عربي، وهو كلام الله المنزل، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [٦/ الأنعام/ ٢٨] والأشياء كلّها آثار كلمات الله ، ومظاهر تجلّياته تعالى بها. وقوله (كلّ حيّ): ضدّ الميت، قال في الصحاح: « الحياة: ضدّ الموت، والحيّ: ضدّ الميت، ومعلوم أنّ كلّ شيء حيّ؛ لأنّه يسبّح ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤] وينطق: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصلت/ ٢١]

---

(١) في ديوان الحقائق للشيخ النابلسي: «ذاتك».

وورد في الأثر: «يشهد للمؤذن صوته من رطب ويابس» وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٠]. وقُرِئ ﴿حيّاً﴾ على أنّه صفة كلّ، أو مفعول ثانٍ، ذكره البيضاوي. وقوله (كميِّت): من حيث أنّه لا تصرّف له في حياته بإبقاء أو انتزاع، فحياته كلا حياة.

وقوله (بها): متعلّق بـ(قتل الهوى): أي بسببها، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقدّم المجرور للحصر، أي: لا بغيرها؛ إذ لا غير لها، كما مرّ. وقوله (عنده): أي عند كلّ حيّ كميّت. وقوله (قتل الهوى): أي الإتلاف والهلاك في المحبّة والعشق. (خير مِيْتَةٍ): بكسر الميم، أي: نوع من الموت، قال في القاموس: «والمَيْتَةُ: ما لم تلحقه الذَكاة، وبالكسر: النوع» . وفي الصحاح: «والمَيْتَة: ما لم تلحقه الذكاة، والمِيْتَةُ، بالكسر، كالجِلْسَةِ والركبة، يقال: مات فلان مِيْتَةً حَسَنَةً». فـ(خَيْرُ): هنا أفعل تفضيل، أي: أفضل المِيتات عند كلّ حيّ هي المِيتة التي بقتل المحبّة الإلهيّة والعشق؛ لأنّ فيها ظهور الحياة الأبديّة، وهي الشهادة الإلهيّة، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨] وهذا من حيث هو. ثمّ قال تعالى بعده: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وهو ظهور أمره الحقّ، كما قال سبحانه: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧] وتمم بعد ذلك بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ/ [١٨٤/ أ] قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨] وهو نهاية الكمال في تجلّيات الجلال والجمال بمظاهر الكاملين من الرجال، وهم شهود الحقّ.

٣٥٢- تَجَمَّعَتِ الأَهْوَاءُ فِيهَا فَمَا تَرى ... بِهَا غَيْرَ صَبٍّ لَا يَرَى غَيْرَ صَبْوَةِ

(تجمّعت): أي اجتمعت. (الأهواء): جمع هَوَى مقصور، وهو هَوَى النفس، والجمع: الأَهْواء، ذكره في الصحاح. وقوله (فيها): أي في المحبوبة الحقيقيّة؛ فالكلّ يَهْوَونَها ويحبّونها، وهي تحبّهم أيضاً، ولولا محبّتها لهم ما ظهَرَ ودٌّ. ولولا محبّتهم لها ما ظهرت لهم؛ فتجلّت لهم بهم؛ فأحبّوا أنفسهم؛ لا بل هي أحبت أنفسهم بهم، وتجلّيها عليهم بكلّ ما تجلّت به، فأحبّوا ما تجلّت به عليهم؛ لا بل

أحبّوها بكلّ ما أحبّوا به غيرها؛ لا بل أحبّت هي نفسها بكلّ ما أحبّوها به. وقوله (**فما ترى**): أي ببصرك، أو ببصيرتك من جميع المحسوسات والمعقولات. (**غير صبّ**): أي محبّ عاشق لها. وقوله (**لا يرى**): أي ذلك الصبّ من نفسه ومن غيره ببصره وبصيرته. وقوله (**غيرَ**): مفعول يرى إنْ كانت الرؤية بالبصر. ومفعوله الثاني بتقدير يرى أحداً، غير إن كانت الرؤية بالبصيرة كقوله المتقدّم: (**فما ترى**). وقوله (**غيرَ صَبْوَةٍ**): في الأصل جَهْلَةُ الفُتُوَّة، ثمّ استعمل في الحنين إلى الشيء، قال في القاموس: « صَبَا إليها: حَنَّ». ثمّ استعملت بمعنى العشق والمحبّة، وهي المراد هنا؛ أي: لا يدرك غير أهل صَبْوَة، أو لاً يعتقد غيرَ الصَبْوَة، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

أدين بدين الحبّ أنّى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

٣٥٣- إذَا سَفَرَتْ فِي يَوْمِ عِيْدٍ تَزَاحَمَتْ عَلَى حُسْنِهَا أبْصَارُ كُلِّ قَبِيْلَةِ

(**إذا سَفَرَت**): أي كشفت، قال في القاموس: « سَفَرَ الصُّبْحُ يَسْفِرُ: أضَاءَ وأَشْرَقَ كأَسْفَرَ، و ـ المَرأةُ: كَشَفَتْ عن وجهها؛ فهي سَافِر». والضمير المستتر للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**في يوم عيد**): واليوم الذي تسفر فيه عن وجهها فهي هو يوم العيد، وهو اليوم الذي يراها فيه محبُّها بعينها التي تراه، كما ورد «كنت بصره الذي يبصر به»[1] قال ابن غانم المقدسي قدّس الله سرّه:

ومخطوبة للحسن محجوبة فلا يألفنّ السوى إلفها
إذا رام عاشقها نظرة ولم يستطع إذ علا وصفها
أعارته طرفاً رآها به فكان البصير لها طرفها

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

وعينها التي رآها بها هي وجهها الذي سفرت عنه. والعيد مشتق من العَوْد، قال في تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [٢١/الأنبياء/ ١٠٤] أي: فاعلين البداء والإعادة في كلّ طرفة عين؛ لأنّه أمر الله الذي هو كلمح بالبصر؛ فبداء الخلق صوم؛ لأنّه إمساك عن الغير؛ إذ لا غير فيه، والإعادة التي هي كالبداء تكرار فهي فرحة بالفطر، وهي عيد الفطر، كما في الحديث «للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربّه»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»(٢). والرؤية واحدة كما أنّ المرئي واحد، وهو القمر في أوّل الشهر وفي آخره. وقد ورد: «إنّكم سترون ربّكم كما ترون القمر»(٣) وكذلك الرائي واحد «كنت بصره الذي يبصر به»(٤). سواء عرف ما قلناه من عرف، أو جهله من جهل قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [٦٩/الحاقّة/ ٣٨] فإنّ ما أبصروا وما لم يبصروا حقّ محقّق. وقوله **(تزاحمت)**: أي زاحم بعضُها بعضاً، قال في القاموس: «زَحَمَه كمَنَعَه: ضايَقَهُ، وازْدَحَم القومُ وتَزَاحَمُوا». وقوله **(على حسنها)**: أي المحبوبة الحقيقيّة التي سَفَرت عن وجهها، كما مرّ. والجار والمجرور متعلّق بتزاحمت. وقوله **(أبصار)**: فاعل تزاحمت، جمع بصر. وقوله **(كلّ قبيلة)**: أي طائفة من خلق الله تعالى كما سبق بيانه./ [١٨٤/ ب].

٣٥٤- فَأَرْوَاحُهُم تَصْبُو لِمَعْنَى جَمَالِهَا وأَحْدَاقُهُم مِنْ حُسْنِهَا فِي حَدِيْقَةِ

(فأرواحهم): أي أرواح كلّ قبيلة في البيت قبله، وهي جمع روح، قال في القاموس: «الرُّوح، بالضمّ: ما به حياة الأنفس، ويؤنّث». وقوله **(تصبو)**: أي

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، ٩٩٦٥، وله طرق كثيرة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: قول النبيّ إذا رأيتم الهلال فصوموا، ١٩٠٩.

(٣) انظر تخريجه ص٢٧١.

(٤) انظر تخريجه ص١٤٦.

تميل، قال في الصحاح: «صَبَا يَصْبُو صَبْوَةً وصُبُوّاً، أي: مال إلى الجهل». وقوله (**لمعنى جمالها**): أي المحبوبة الحقيقيّة، ومعنى جمالها هو ما تعنيه، أي: تقصده وتريده من إظهار صور تجلّياتها من المخلوقات المحسوسة والمعقولة. وقوله (**وأحداقهم**): جمع حَدَقَة، محرّكة: سواد العين، وجمعها: حَدَق وأَحْدَاق، كذا في القاموس. والضمير راجع إلى ما رجع إليه ضمير أرواحهم. وقوله (**من حسنها**): أي المحبوبة الحقيقيّة في حديقته، وهي الروضة ذات الشجر والبستان من النخل والشجر، أو كلّ ما أحاط به البناء، أو القطعة من النخل، كذا في القاموس والمعنى: إنّهم يتنزّهون في آثار صفاتها الحسنى، وذلك مجموع العوالم.

٣٥٥- وَعِنْدِيَ عِيْدِي كُلَّ يَوْمٍ أرَى بِهِ   جَمَـــالَ مُحَيَّاهَـــا بِعَـــيْنٍ قَرِيْـــرَةِ

(**وعندي**): أي بالنسبة إليّ مما يقتضيه مقامي في ديني، ومذهب محبّتي الإلهيّة، حتى لا يكون جاحداً للعيدين الشرعيّينِ، أو قد زاد عليهما بما يخالف الحكم الظاهر. وقوله (**عيدي**): أي يوم جمعي، وفرحي، وسروري، قال في القاموس: العِيْد بالكسر: ما اعتاد من همّ، أو مرض، أو حزن، ونحوه، وكلّ يوم فيه جمع. وعَيَّدوا: شهدوه. وقوله (**كلّ يوم**): خبر المبتدأ، وهو عيدي. والمراد باليوم مالا يتجزأ من الزمان؛ فإنّ المحبوبة الحقيقيّة تلبس فيه ثياباً فاخرة غير ما كانت لابسة في اليوم قبله، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٥] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٢].

وقوله (**أرى به**): أي فيه، بالعين الباصرة، وعين القلب؛ وهي البصيرة. وقوله (**جمال**): مفعول أرى. و(**محيّاها**): أي محيّا المحبوبة الحقيقيّة؛ يعني: وجهها، قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وفي القاموس: « الوَجْهُ مُسْتَقْبَل كلّ شيء، ونفس الشيء». وقوله (**بعين قريرة**): قال في القاموس: «قَرَّت عينُه تَقَرُّ بالكسر والفتح، قُرَّةً، ويضمّ. وقُرُوراً: بَرَدَتْ، وانقطع بكاؤها، أو رأت ما كانت

متشوِّقة إليه». وفي الصحاح: « قَرِرْتُ بِهِ عيناً قُرَّةً، وقَرِرْتُ به عيناً وقُروراً فيهما، ورجل قَرير العين، وقد قَرَّت عينه تَقِرُّ وتَقَرُّ نقيض سَخُنَت. وأَقَرَّ الله عينَه، أي: أعطاه حتى تَقَرَّ فلا تطمح إليه من هو فوقه، ويقال: حتّى تَبْرُد ولا تَسْخَنُ، فللسرور دمعة باردة، وللحزن دمعة حارّة».

٣٥٦- وَكُلُّ اللَّيَالِي لَيْلَةُ القَدْرِ إنْ دَنَتْ كَـمَا كُـلُّ أَيَّـامِ اللِقَـا يَـوْمُ جُمْعَـةِ

(وكلّ الليالي): جمع ليلة، أي: ليالي الدّهر كلّه، وهي ليالي تجلّيها بمظاهر الأسماء الحسنى والصفات العليا، وملابس الأكوان، وحجب الأعيان، قال ابن عطاء الله الإسكندري في حِكَمِهِ: « الكون كلّه ظلمة إنّما أناره ظهور الحقّ فيه، فكلّ ليلة كونيّة وظلمة إمكانيّة ثوب أسود تتجلّى به الحقيقة النوريّة على بصر العاشق وبصيرته الإنسانيّة». وقوله (ليلة القدر): بسكون الدال المهملة، وهي الليلة التي نزل فيها القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [٩٧/القدر/١] وهي القلب المحمّدي المودع في الجسم الطاهر من الأغيار، الظاهر بالمعارف الإلهيّة والأسرار، بطريق إرث العلوم، وآداب الكمالات والفهوم. نشأة فاضلة، وهيئة كاملة، محفوظة الأعمال، مصونة الأحوال، مستقيمة الأقوال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٣] ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢م البقرة/ ١٦٥] وقوله: (إنْ دنت): أي الحقيقة المحبوبيّة القرآنيّة: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى [١٨٥/ أ] لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٢] أي قلب سليم، وهو الذي لا ينفعه المال والبنون، والدنو والقرب، قال تعالى: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٨] أي: قرب، فنزل فاستولى بعد أن انعزل، ولم يتغيّر عمّا كان عليه في الأزل، ومن هذا قولنا من قصيدة:

نزل الذي هو عن سواه لفي غنى فـتلمّس الـسرّ الخفـيّ وتـبيّنا
نعمت بـه روح المحبّ فخاطبت شـبحاً يـسمّى أنـت أو هـو أو أنـا

وقوله (**كما كلّ أيام اللقا**): وهي أيام لقاء الله التي أشرنا إليها فيما مرّ قريباً في البيت قبله، كلّ جزء لا يتجزّأ من الزمان كان يوماً لإشراق شمس الأحديّة فيه من فلك الأمر الإلهيّ، ويقابله ليل الكون النازل به الأمر: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٨٨] والصُنْعُ مصدر صَنَعَ يَصْنَع صُنْعَاً، وهو المفعول المطلق، وليس لله مفعول به كما تقرر في موضعه من علم النحو، قال ابن هشام في مغني اللبيب أواخر الباب السادس منه: « قولهم في نحو ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: إنّ السموات مفعول به، والصواب أنّه مفعول مطلق؛ لأنّ المفعول المطلق: ما يقع عليه اسم المفعول بلا قيد، كقولك ضربت ضرباً، والمفعول به ما لا يقع عليه ذلك إلّا مقيّداً بقولك به، كضربت زيداً. وأنت لو قلت السموات مفعول به كما تقول فالضرب مفعول به كان صحيحاً. ولو قلت السموات مفعول به كما تقول زيد مفعول به لم يصحّ فالمفعول به ما كان موجوداً قبل الفعل الذي عمل فيه، ثمّ أوقع الفاعل به فعلاً. والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل إيجاده. والذي غرّ أكثر النحويّين في هذه المسألة أنّهم يمثّلون المفعول المطلق بأفعال العباد، وهم إنّما يجري على أيديهم إنشاء الأفعال، لا الذوات. فتوهّموا أنّ المفعول المطلق لا يكون إلّا حدثاً. ولو مثّلوا بأفعال الله عزّ وجلّ لظهر لهم أنّه لا يختص بذلك؛ لانّ الله تعالى موجد الأفعال والذوات جميعاً، لا موجد لهما في الحقيقة سواه، سبحانه. وممن قال بهذا الذي ذكرته الجرجانيّ وابن الحاجب في أماليه. وكذا البحث في أنشأت كتاباً، وعمل فلان خيراً، و«الذين آمنوا وعملوا الصالحات».

وقوله (**يوم**): خبر المبتدأ الذي هو كلّ. و(**جمعة**): مضاف إليه، قال في المصباح: «يوم الجمعة سُمِّي بذلك لاجتماع الناس به، وضمُّ الميم لغة الحجاز، وفتحها لغة بني تميم، وإسكانها لغة عُقَيل، وقرأ بها الأعمش. والجمع: جُمَع وجُمُعَات، مثل غُرَف وغُرُفات. وجَمَّع الناس بالتشديد: إذا شهدوا الجمعة، كما يقال عَيَّدوا: إذا

شهدوا العيد. وأمّا الجُمْعَة، بسكون الميم: فاسمٌ لأيام الأسبوع، وأوّلها السبت».

٣٥٧- وَسَعْيِي لَهَا حَجٌّ بِهِ كُلُّ وَقْفَةٍ عَلَى بَابِهَا وَقَدْ عَادَلَتْ كُلَّ وَقْفَةِ

(وسعيي): مصدر سعى إلى الصلاة: ذهب إليها على أي وجه كان، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «سَعَى سَعْيَاً كرَعَى: قَصَد ومَشَى وعَدَا». وقوله (**لها**): أي لأجلها في كلّ ما سعيت فيه. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**حَج**): قال في القاموس: «الحَجُّ: القَصْدُ، وقَصْدُ مكّةَ للنُّسُك، وبالكسر: الاسم». وقال في المصباح: «حَجَّ حَجَّاً: من باب قَتَل؛ فهو حَاجٌّ، هذا أصله، ثمّ قُصر استعماله في الشرع على قَصْد الكعبة للحجّ أو العُمرة. ومنه يقال: ما حَجّ ولكن دَجَّ؛ فالحَجَّ: القَصْدُ للنُّسُك، والدَجّ: القَصْدُ للتجارة. والاسم الحِجُّ، بالكسر».

وقوله (به): أي بسببه. والضمير للحجّ. وقوله (**كُلّ وقفة**): أي وقوف على بابها، أي: باب المحبوبة الحقيقيّة. وكنّى بالوقفة على بابها عن ذهاب الثالث الذي لا أصل له. ومعنى الثالث أنّ الحقّ/ [١٨٥/ ب] تعالى هو الأوّل، وقد صوّر صُوَراً من تجلِّي اسمه المُصَوِّر، فظهرت الصور مختلفة الأجناس والأنواع والأشخاص، فظهر الثاني، وهو عالم الصور، وهو عالم الأكوان، وهو المخلوقات بأسرها، ثمّ ظهر الثالث، وهو المُسمَّى سموات وأرضاً، وعناصر وطبائع، وهو الذات، وجمادات، ونباتات، وحيوانات، وأنواع الإنسان، إلى غير ذلك من المعاني والمحسوسات والمعقولات مما سُمِّيَ أغياراً. وهذا الثالث الذي ظهر هو عين الثاني والأوّل، لا زائد على ذلك إلّا مجرّد الأوهام، وتحيير الأفهام. وذلك من جملة الثاني؛ فهذا الثالث هو الثاني الزائل المضمحلّ، ولنا في هذا أبيات في هذا المعنى، هي قولنا:

يا ثالثاً أنت وهم ... وليس يدريك فهم
يا فانياً تاه جهلاً ... عن ربّه فهو جهنم
وليس في الحقّ حظّ ... ولا له منهم سهم

ومــــن ســـــواه إليـــــه يرمـــي هـــذا الـــدهر ســـهم

قــــف وانتبـــه فالــــذي لم يكـــن هنـــا فهـــو شـــهم

كـــلّ الثوالـــــث تــــاهوا فهـــم عـــن الفهـــم بُهْـمُ

والأبيـــــــضون قليـــــــل وإنّـــــما الكـــلّ دُهْـــم

والوقوف عند الثاني بعد محو الثالث، وهو معنى الوقوف على باب هذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(قد عادلت)**: أي الوقفة على بابها. **(كلّ وقفة)**: أي كلّ وقفة على عرفات. والمعادلة: المماثلة. والتفاوت بينها وبين الوقوف بعرفات في الفضيلة أمر ظاهر، وفضل باهر لا يحصل بعلّة ولا حيلة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٢٩/ الزمر/٩] وفي الحديث «ركعتان من عالم بالله خير من ألف ركعة من جاهل به»[١].

٣٥٨- وَأيُّ بِـلَادِ الله حَلَّـتْ بِهَـا فَـمَا أرَاهَـا وَفِي عَيْنِـي حَلَـتْ غَـيْرَ مَكَّـةِ

(أي بلاد الله): جمع بلدة، يعني: أي بلدة من البلاد، قال في المصباح: «البَلَد، يُذكّر ويؤنّث، والجمع: بُلْدَان، والبَلْدَةُ: البَلَد، وجمعها: بِلَاد، مثل: كَلْبَة وكِلَاب، وبَلَدَ الرجلُ يَبْلِدُ، من باب ضرب: أقام بالبلد فهو بَالِد». وقوله **(حلت)**: بالحاء المهملة وتشديد اللام مفتوحة. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة لا من حيث ذاتها؛ بل من حيث الصور النفسانيّة من تجلّيها باسم المصوِّر، ولهذا نسب الحلول إليها، على معنى أنّ الصورة حلّت في البلاد؛ فالصورة والبلدة صورتان، إحداهما حلّت في الأخرى، والكلّ صورة محسوسات أو معقولات، وكلّ الصور للحقّ تعالى، ولا

(١) ذكره الغزاليّ في الإحياء، الكتاب السادس من ربع المنجيات، فصل: بيان حكم العمل المشوب، واستحقاق الثواب:٢/ ٤٧١، دون لفظ الجلالة. وقد ذكره السيوطيّ في الجامع الكبير، ١٧٨٠، عن أنس، بلفظ: ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط. وقال المناوي في فيض القدير: فيه يونس بن عبيد أورده الذهبي في الضعفاء وقال مجهول.

صورة للحقّ تعالى هو عليها في ذاته تعالى وتقدّس عن ذلك علواً كبيراً. وقوله (بها): أي فيها، يعني: في أي البلاد. وقوله (فما): الفاء للتفريع، وما نافية. وقوله (أراها): بفتح الهمزة، الرؤية لبصريّة، وبضم الهمزة الرؤية القلبيّة، قال في المصباح: « رأيت الشيء: أبصرته بحاسة البصر. فرؤية العين معاينتها للشيء، يقال: رؤية العين، ورأيَ العين، ورَأْيَ في الأمور رأياً، والذي أُرَاه بالبناء للمفعول بمعنى: الذي أظنّ، وبالبناء للفاعل بمعنى: الذي أذهب إليه». وضمير أراها للبلدة التي حلّت منها. وقوله (وفي) الواو للحال، وجملة (وفي عيني حلّت): حال من الهاء في أراها. و (حَلَتْ): بفتح الحاء المهملة وفتح اللام، قال في المصباح: « حَلَا الشيءُ يَحْلُو حَلَاوَة، وحَلَا لِيَ الشَيءُ: إذا لَذَّ لَكَ. واسْتَحْلَيْتُه: رَأَيْتُهُ حُلواً». وقوله (غَيْرَ): بالنصب مفعول ثانٍ لأَراها. والمفعول الأوّل الهاء، ومكّة مضاف إليه، قال في المصباح: « مَكَّةُ شرّفها الله تعالى، وقيل فيها: بَكَّةُ، على البَدَلِ، وقيل: بالباء: البيت، وبالميم: ما حوله، وقيل بالباء: بَطْنُ مَكَّة». والمعنى: إنّ البلدة تحلّ بها هذه المحبوبة الحقيقيّة من حيث تجلّيها باسمها المصوِّر، ما يراها إلّا مكّة باعتبار البيت الحرام الذي هو كناية عن قلب العارف المشار إليه بالمؤمن في الحديث القدسي «ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب/ [١٨٦/ أ] عبدي المؤمن»[١] وهو صاحب الإيمان الكامل العالم العامل.

٣٥٩- وَأَيُّ مَكَانٍ ضَمَّهَا حَرَمٌ كَذَا أَرَى كُلَّ دَارٍ أَوْطَنَتْ دَارَ هِجْرَةِ

(وأي مكان ضمّها): أي هذه المحبوبة الحقيقيّة من الحيثيّة المذكورة. وقوله (حرم): أي حرم مَكّي؛ لاشتماله على الإنسان الكامل الذي قلبه بيت ربِّه، أو حرم مدنيّ، بناءً على أنّ المدينة لها حرم كحرم مكّة، كما قال به بعض العلماء، قال والدنا - المرحوم - في شرحه على شرح الدرر، قال في الحقائق شرح كنز الدقائق: «الحرم

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

المدينة عندنا، وعند الشافعي لها حرم، ثمّ اتفقت أقاويله أنّه لا يباح قتل صيد المدينة، ولا قطع أشجاره. واختلفت أقاويله في وجوب الجزاء». وفي كتاب المصطفى: «والأصل: إنّ إثبات الشرع بالرأي لا يجوز؛ فلا يجوز إلحاق المدينة بحرم مكّة، حتى لا يجوز أخذ صيده بالرأي. وأما قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ إبراهيم عليه السلام حرّم مكّة، وأنا أحرِّم المدينة»[1] فمعناه: أجعل لها حرمة. وعلى كونه حرّم المدينة؛ لأنّ هذه المحبوبة الحقيقيّة نشأة محمّديّة نوريّة، ليست بإلهيّة مجرّدة. ويناسبه قوله بعد ذلك (**كذا**): أي مثل ذا أرى، أي: أبصر، أو اعتقد كلّ دار أوطنت، قال في المصباح: « الوَطَنُ: مكان الإنسان ومقرّه. وأَوْطَنَ الرجلُ البَلَدَ واسْتَوْطَنَهُ وتَوَطَّنَهُ: اتَّخَذَهُ وَطَناً». وقوله (**دار هِجْرَةِ**): بكسر الهاء وسكون الجيم، قال في المصباح: « الهِجْرَةُ، بالكسر: مفارقة بَلَدٍ إلى غيره، وهي: اسم من هَاجَرَ مُهَاجَرَة»، وأراد بدار الهجرة مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلَّم.

٣٦٠- وَمَا سَكَنَتْهُ فَهْوَ بَيْتٌ مُقَدَّسٌ   بِقُـرَّةِ عَيْنِـي فِيْـهِ أَحْـشِايَ قَـرَّتِ

(**وما**): أي المكان الذي. (**سكنتْه**): أي المحبوبة الحقيقيّة بالاعتبار المذكور فيما مرّ. (**فهو بيت مقدّس**): بصيغة اسم المفعول، من التقديس، وهو التطهير. وبيت المقدس: بَلَدٌ مَعْرُوْفٌ. وقوله (**بقُرَّةِ**): الجا ر والمجرور متعلّقان بـ(**قرّت**). وقُرَّة العين بضمّ القاف وتشديد الراء. قال في المصباح: « قَرَّتِ العينُ قُرَّةً، بالضمَ، وقُرُوراً: بَرَدَت سروراً». وقوله (**فيه**): أي في ذلك البيت المقدّس. وقوله (**أحشايَ**): جمع حَشَا، بالحاء المهملة والشين المعجمة، قال في المصباح: « الحَشَا مقصور: المِعَى. والجمع: أحشاء، مثل: سَبَب وأسباب». وقوله (**قَرَّت**): من قَرَّ الشيءُ قَرّاً، من باب ضَرَبَ: استقرّ بالمكان. والاسم: القرار. والاستقرار: التمكّن». يعني: استقرّت أحشايَ فيه بسبب قُرّة عيني.

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه أحمد في المسند، مسند جابر بن عبد الله، ١٥٦٢٤.

٣٦١- وَمَسْجِدِيَ الأَقْصَى مَسَاحِبُ بُرْدِهَا وَطِيبِي ثَرَى أَرْضٍ عَلَيْهَا تَمَشَّتِ

(ومسجدي الأقصى): أي الأبعد، من قَصَا المكانُ قُصْواً، من باب قَعَدَ: بَعُدَ، كذا في المصباح. وقوله (مَسَاحِبُ): جمع مَسْحَب، اسم مكان من السَحْبِ، بالسين المهملة والحاء المهملة والباء الموحّدة، سَحَبْتُهُ على الأرض سَحْباً، من باب نَفَعَ: جَرَرْتُه فانْسَحَب، كذا في المصباح. وفي القاموس: «سَحَبَهُ كَمَنَعَهُ: جَرَّه على وجه الأرض فانسحب». وقال في الصحاح: «سَحَبْتُ ذَيْلِي فَانْسَحَب: جَرَرْتُهُ فَانْجَرّ». والمعنى: مواضع جرّ. (بُرْدِها): بضمّ الباء الموحّدة وسكون الراء وبالدّال المهملة، وهو ثوب من الثياب، والجمع بُرُود وأَبْرَاد. والثور الأَبْرَد فيه لُمَعُ بياضٍ وسَوَاد» كذا في الصحاح. والضمير راجع للمحبوبة الحقيقيّة. وبُرْدها كناية عن الصورة المشتملة على التجلّي والاستتار من اسمها المصوِّر إذا زاد الاستتار، ففضُل عنها، وانجرّ على أرض الطبيعة لطوله بالاستتار، من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرّة»[1].

وقوله (وطيبي): وهو ما يُتطيّب به، وفي المصباح: «تَطَيَّبَ بالطِيْبِ، وهو من العطر. وطَيَّبْتُهُ: ضَمَّخْتُهُ به». وقوله (ثرى): أي تراب. (أرضٍ): نكّرها للتعميم، أو للتعظيم. وقوله (عليها): أي: على تلك الأرض. (تَمَشَّتِ): بتشديد/ [١٨٧/ ب] الشين المعجمة، قال في القاموس: «مَشَى يَمْشِي: مَرَّ، كمَشَّى تَمْشِيَة». وفي الصحاح: «مَشَى يَمْشِي مَشْياً، وَمَشَى تَمْشِيَةً مُثَلَّثَة وتَمَشَّتْ فيه حُمَيَا الكأس». والمعنى: إنّ طيبيَ الذي أَتطيّب به وأتعطّر، هو تراب الأرض التي (تمشّت): أي تلك المحبوبة الحقيقيّة من حيث تجلّيها باسمها المصوّر عليها حيث تمشى الإنسان الكامل المحمّديّ الشامل، ذيل الحقيقة، وبرد الطريقة، والتاء من تمشّتِ مكسورة للقافية.

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

٣٦٢- مَـوَاطِنُ أَفْرَاحِـي وَمَرْبَـى مَـآرِبِي   وَأطْـوَارُ أوْطَـارِي وَمَـأْمَنُ خِيْفَتِـي[1]

(مواطن): أي هي مواطن؛ يعني: المذكورات قبله من مكّة والحرم، ودار الهجرة التي هي المدينة، وبيت المقدس، والمسجد الأقصى. مواطن: جمع مَوْطِن، والوَطَن محرّك ويسكن: منزل الإقامة، كذا في القاموس. وفي المصباح: «المَوْطِن مثل الوَطَن: مكان الإنسان ومقرّه، والجمع مَوَاطِن، مثل مَسْجِد ومَسَاجِد».

وقوله **(أفراحي)**: جمع فَرَح، ومصدر فَرِحَ فَرَحاً؛ وإنّما جمع لقصد تعدد أنواعه. والفَرَحُ: لَذَّةُ القلب بنيل ما يشتهي». ذكره في المصباح. وقوله **(ومَرْبَى)**: بفتح الميم بفتح الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحّدة، مقصوراً، أي: بموضع رَبَت، أي: نشأت فيه، يقال: رَبَوْتُ في بني فلان ورَبِيْتُ، أي: نشأت فيهم، كذا في الصحاح. **(مأربي)**: جمع مأربة بفتح الراء وضمّها: الحاجة. والجمع مآرب، كذا في المصباح. يعني: هي الأماكن التي تربت ونشأت فيها حاجاتي ومقاصدي وآمالي.

وقوله **(وأطوار)**: جمع طَوْر، بفتح الطاء المهملة وسكون الواو وبالراء، قال في المصباح: «الطُوْر: الحال والهَيْئَة، والجمع أَطْوَار، مثل: ثَوب وأَثْواب. و تَعَدَّى طَوْرَهُ: أي حاله التي تليق به». وقوله **(أوطاري)**: جمع وَطَر، بالتحريك، وهو الحاجة. قال في المصباح: «الوَطَرُ: الحاجة، والجمع: أَوْطَار، مثل: سَبَب وأَسْبَاب، ولا يبنى منه فعل. وقَضَيْتُ وَطَرِي: إذا نلت بُغْيَتَكَ وحَاجَتَكَ». يعني: هي أحوال حاجاتي وأغراضي. وقوله **(ومأمن)**: قال الراغب في مفرداته: «أَصْل الأمن: طُمَأنينة النفس وزوال الخوف». **(والمأمن)**: المنزل الذي ينزل فيه. وقوله **(خيفتي)**: قال في المصباح: «خاف خوفاً وخِيْفَةً ومَخَافَة». يعني هي منزل الأمن من كلّ ما أخاف.

٣٦٣- مَغَانٍ بِهَا لَمْ يَدْخُلِ الدَّهْرُ بَيْنَنَا   وَلَا كَادَنَـا صَرْفُ[2] الزَّمَـانِ بِفُرْقَـةِ

(مغانٍ): بالغين المعجمة، أي: هي مَغَانٍ، جمع مغنى، وهو موضع الإقامة. غَنِيَ

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: « بلغ مقابلةً وسماعاً على مؤلفه حفظه الله تعالى.

(٢) في (ق): فيها.

بالمكان: أَقَامَ به، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «والمَغْنَى: واحد المَغَانِي، وهي المواضع التي كان بها أهلوها». وفي القاموس: « المَغْنَى: المَنْزِل الذي غَنِيَ به أهله ثمّ ظعنوا، أو عامٌّ». وقوله (بها): أي فيها، والضمير للمغاني. وقوله (لم يدخل الدهر بيننا): أي لم تحكم الأيام والليالي بتشتت شملنا؛ فكنّا فيها مع المحبوبة الحقيقيّة متّحدين في كمال السرور، وجمال الحبّور. وقوله (ولا كادنا): من الكيد. قال في المصباح: «كَادَهُ كَيْداً، من باب بَاعَ: خَدَعَهُ ومَكَرَ به». وقوله (صَرْف الزمان): بفتح الصاد المهملة وبإسكان الراء وبالألف، قال في القاموس: «الصَرْف من الدهر: حِدثَانِهُ ونَوَائِبُهُ». وقوله (بِفُرْقَةٍ) متعلّق بكادنا.

٣٦٤- وَلَا سَعَتْ الأيامُ فِي شَتِّ شَمْلِنَا وَلَا حَكَمَتْ فِيْنَا اللَيَالِي بِجَفْوَةِ

(ولا سعت الأيام): يقال سَعَى سَعْيَاً، كرَعَى، كذا في القاموس، من النميمة. وفي الصحاح: «سعى به إلى الوالي إذا وشى به». وقوله (في شتّ): قال في القاموس: «شَتّ الأمرُ شَتّاً وشَتَاتَاً: تفرّق». وقوله (شَمْلَنَا): بفتح الشين المعجمة وسكون الميم شَمَلَهم الأمرُ يَشْمُلُهُم: إذا عمّهم، وجمع الله شَمْلَهم؛ أي: ما تَشَتَّتَ من أَمْرِهِم، وفَرَّقَ الله شَمْلَهُ، أي: ما اجتمع من أمره، كذا في الصحاح. (ولا حكمت): أي قضت وألزمت، يقال: حكم بينهم يحكم: أي قضى. وقوله (فينا): أي في أمرنا. (الليالي): فاعل حَكَمَ. وقوله (بجفوة): متعلّق بحكمت/ [١٨٨/ ب].

٣٦٥- وَلَا صَبَّحَتْنَا النّائِبَاتُ بِنَبْوَةٍ وَلَا حَدَّثَتْنَا الحَادِثَاتُ بِنَكْبَةِ

(ولا صبَّحتنا): بتشديد الباء الموحّدة، أي: أَتَتْنا صباحاً، قال في الصحاح: «صَبَّحْتُهُ: إذا أتيته صَبَاحاً، ولا يراد بالتشديد هنا التكثير». وقوله (النائبات): جمع نائبة، وهي المُصيبة، واحدة نوائب الدهر. كذا في الصحاح. وقوله (بِنَبْوَةٍ): متعلّق بصبَّحتنا، والنَبْوَة: من نَبَا الشيءُ عَنِّي يَنْبُو، أي: تجافى وتباعد. وقوله (ولا حدّثتنا): بتشديد الدّال المهملة، من الحَدَث، محرّكة: الإيذاء، كذا في القاموس. أي: آذتنا. أو من التحديث، وهو التكلُّم. وقوله (الحادثات) :جمع حادثة، وهي

الواقعة، والألف واللام عوض عن المضاف إليه، أي: حادثات الدهر. يعني: وقائعه التي تحدث فيها. وقوله (**بنكبة**): متعلّق بحدّثتنا. قال في القاموس: «النَّكْبَة بالفتح: المُصيبَة. نَكَبَه الدهرُ نَكْباً ونَكَباً: بلغ منه، أو أصابه بنَكْبِة».

٣٦٦- وَلَا شَنَّعَ الوَاشِي بِصَدٍّ وَجَفْوَةٍ[1] وَلَا أَرْجَفَ اللَّاحِي بِبَيْنٍ وَسَلْوَةِ

(**ولا شَنَّعَ**): بفتح الشين المعجمة وتشديد النون وبالعين المهملة، من الشَّنَاعَة، وهي الفَظَاعَة، والاسم الشُّنْعَة. وشَنَّعْتُ عليه تَشْنِيْعَاً، وشَنَعْتُ فُلَانَاً: أي استقبحتُه، وسئمته، كذا في الصحاح. وفي القاموس« التشنيع: تكثير الشناعة. وقوله (**الواشي**): وَشَى في كلامه كَوَعَى: كَذَبَ فيه. ووَشَى به إلى السلطان وَشْيَاً ووِشَايَةً: نَمَّ، وَسَعَى»، كذا في القاموس. وقوله (**بصَدٍّ**): متعلّق بشَنَّع. والصَدُّ: مصدر صَدَّ فلاناً عن كذا صَدَّاً: مَنَعَهُ، وصَرَفَهُ. أي: نَقْلُ النَّمام إلى الغَيران مِمَّنْ أحبّه منعني وصرفني عنه وعن لقائه. وقوله (**وجَفْوَة**): بفتح الجيم، وكسرها، قال في القاموس: « الجَفَاء: نقيض الصِلَةَ، ويقصر. جَفَاهُ جَفْواً وجَفَاءً، وفيه جَفْوَة. ويُكْسَر، أي جِفَاء. فإنْ كان مَجْفُوَّاً قيل: به جَفْوَةٌ». وفي نسخة: هِجْرَةٌ مكان جفوة. والهِجْرَة: بالكسر: اسم من هَجَرَه، وصَرَمَهُ، وتَرَكَهُ. وهما يَهْتَجِرَانِ ويَتَهَاجَرَانِ: يتقاطعان، كذا في القاموس. وقوله (**ولا أرجف**): يقال: أَرْجَفَ القومُ في أخبار الفتن ونحوها. ومنه المرجفون في المدينة. وأَرْجَفَ في الشيءِ، وبالشيء: خاض فيه، كذا في القاموس. وقوله (**اللاحي**): أي اللائم، من لَحَوْتُ الرجلَ أَلْحَاه لَحْيَاً: إذا لُمْتُه. وقوله (**بِبَيْنٍ**): متعلّق بأَرْجَفَ. والبَيْنُ: الفراق. تقول منه: يَبِينُ بَيْنَاً وبَيْنُوْنَة، كذا في الصحاح. وقوله (**وسلوة**): أي سلوان المحبّة.

٣٦٧- وَلَا اسْتَيْقَظَتْ عَيْنُ الرَّقِيْبِ وَلَمْ تَزَلْ عَلَيَّ لَهَا فِي الحُبّ عَيْنِي رَقِيْبَتِي

(**ولا استيقظت**): من اليَقَظَة، محرَّكة، نقيض النوم. وقد يَقُظَ ككَرُمَ، وفَرِحَ يَقَاظَةً ويَقْظَانَاً، محرّكة، وقد استيقظ، كذا في القاموس. وقوله (**عين الرقيب**): أي يرقبني

(١) في (ق): وهجرة.

وفي وقت اجتماعي بمن أحبّه. وقوله (**ولم تزل عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة جار ومجرور متعلّق برقيبتي. وقوله (**لها**): أي للمحبوبة الحقيقيّة، أي: لأجلها. وقوله (**في الحبّ**): أي المحبّة، متعلّق بتزل. وقوله (**عَيني**): اسم تزل المنفي بلم. و(**رقيبتي**): خبرها. والمعنى: لم تزل عيني رقيبة على نفسي لأجل المحبوبة في محبّتي لها، على معنى أنّه لا رقيب لي إلّا منّي.

٣٦٨- ولَا اخْتُصَّ وَقْتٌ دُوْنَ وَقْتٍ بِطِيْبَةٍ بِهَا كُلُّ أَوْقَاتِي مَوَاسِمُ لَذَّةِ

(**ولا اختُصّ وقت**): أي زمان دون وقت، أي: زمان آخر، وهو مقام التمكّن في المعرفة والشهود. قوله (**بطِيبةٍ**) بكسر الطاء المهملة، مصدر طَاب يَطِيْبُ طَابَاً وطِيْباً وطِيْبَةً وتَطْيَاباً: لَذَّ، وزَكَا، كذا في القاموس. وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة. والجار والمجرور متعلّق بطِيبَة، أي: بالتذاذي بها. وقوله (**كلّ أوقاتي**): مبتدأ. وقوله (**مواسم لذّة**): خبره. والمواسم: جمع مَوْسِم، بفتح الميم وسكون الواو وكسر السين المهملة، وبالميم، قال في الصحاح: « مَوْسِم/ [١٨٧/ أ] الحاجّ: مُجْمَعُهُم بذلك، لأنّه مَعْلَم يُجْتَمَعُ إليه، ووَسَّم الناسُ تَوْسِيْما: شهدوا الموسم، كما يُقال في العيد: عَيَّدوا. وقوله (**لذّة**): مضاف إليه، يعني المجتمعات التي يحصل بها التذاذي بالمحبوبة الحقيقيّة.

٣٦٩- نَهَارِي أَصِيْلٌ كُلُّهُ إنْ تَنَسَّمَتْ[1] أَوَائِلُهُ منْهَا بِرَدِّ تَحِيَّتِي

(**نهاري أصيل**) الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب، كذا في الصحاح. وفي القاموس: «الأصيل العشي». وقوله (**كلّه**): تأكيد لنهاري، أي: من أوّله إلى آخره. وقوله (**إنْ تنسمت**): بتشديد السين المهملة، قال في القاموس: «تَنَسَّم: تَنَفَّسَ، وتَنَسَّم النَسِيمَ تَشَمَّمَه، وتَنَسَّم المكان بالطيب: أَرِجَ، وتَنَسَّمَ العلمَ: تَلَطَّفَ في التماسه». وكلّها مناسبة هنا. وقوله (**أوائله**): أي أوائل نهاري. (**منها**): أي من

---

(١) في (ق): تبسّمت.

المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (بِرَدٍّ): متعلِّق بتنسمت، والردّ جواب التحيّة وهي السلام، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

ومــاذا عليهــا لــو تــردّ تحيّــة عليـنا ولكـن لا احتكـام عـلى الـدماء

فجعلها دَمِيَّة من جهة عدم قبولها للتغيير، فإنّ كان في علمها بنا دِرُّ علينا ردّت علينا بنا، وإلّا فلا، فالرَدُّ مِنًّا علينا بها، وهو أعلى من توهّم إنْ ردها علينا منها حيث تنسّمت به أوائل النهار، فصار كلّه عشيّاً؛ فإنّ المعروف أنّ النسائم تهبّ بالعشايا والآصال، لا في أوائل النّهار لاشتداد سَورة الحرّ فيها.

٣٧٠- وَلَـيْلِيَ فِيْهَـا كُلُّـهُ سَـحَرٌ إذَا سَرَى لِي مِنْهَـا فِيْـهِ عَـرْفُ نُـسَيْمَةِ

(**وليلي فيها**): أي في محبّة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**كلّه**): تأكيد لليل، أي: جميع الليل من أوّله إلى آخره. (**سَحَرٌ**): بالتحريك وهو قبيل الصبح؛ لقرب سواده من بياض الصبح. وقوله (**إذا سرى**): أي سار ليلاً. وقوله (**لي**): متعلِّق بسرى. وقوله (**منها**): أي من المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**فيه**): أي في ليلي. وقوله (**عَرْف**): فاعل سَرَى، وهو بفتح العين المهملة وسكون الراء وبالفاء: الرائحة مطلقاً، قال في الصحاح: «العَرْف: الريح، طَيِّبَةً كانت، أو مُنْتِنَةً. يقال: ما أطيب عَرْفَهُ». وفي القاموس: «العَرْف: الريح، طَيِّبَة أو منتنة، وأكثر استعماله في الطَيِّبَة». وقوله (**نُسَيْمَةِ**): تصغير نَسْمَة، وهي نفس الريح، كالنسيم.

٣٧١- وَإنْ طَرَقَـتْ لَـيْلاً فَـشَهْرِيَ كُلُّـهُ بِهَـا لَيْلَـةُ القَـدْرِ ابْتِهَاجَـاً بِـزَوْرَةِ

(**وإنْ طَرَقَتْ**): أي المحبوبة الحقيقيّة، والطرق: الإتيان بالليل، كالطروق، كما في القاموس. وفي الصحاح: «طَرَقَ يَطْرُقُ طُرُوقاً: إذا جاء بليل. فقوله (**ليلاً**): تأكيد، لأنّ الطُرُوق لا يكون إلّا ليلاً، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [١٧/الإسراء/١] قال في الصحاح: «وإنْ كان السُرَى لا يكون إلّا بالليل لتأكيد، كقوله: سِرْتُ أَمْسِ نهاراً والبارحةَ ليلاً. وقوله (**فَشَهْرِيَ**): مبتدأ. (**كلّه**): تأكيد، أي: شهر صومي، وهو شهر رمضان الذي قال تعالى فيه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ

﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٥] وقال تعالى: «﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾» أي: القرآن «﴿فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [٩٧/ القدر/ ١] فليلة القدر في شهر رمضان من مجموع الآيتين. وقوله (بها): أي بسبب ظهور المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ليلة القدر): خبر المبتدأ، على معنى أنّ ليالي شهري كلّها ليلة القدر، وذلك النزول: القرآن في كلّ ليلة منه بظهور التجلّي الحقّ من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٢]. وقوله (ابتهاجاً): تمييز، أي: من جهة الابتهاج، وهو السرور، قال في الصحاح: «بَهِجَ بِهِ بالكسر، أي: فَرِحَ به، وسُرَّ؛ فهو بَهِجٌ وبَهِيجٌ، وبَهَجَنِي هذا الامر، بالفتح، وأَبْهَجَنِي: إذا سرّك. وقوله (بِزَوْرَةٍ): متعلّق بـ(ابتهاجاً): أي زورة منها لي، وهو طروقها ليلاً بتجلّيها على قلبي.

٣٧٢- وَإِنْ قَرُبَتْ دَارِي فَعَامِيَ كُلُّهُ   رَبِيعُ اعْتِدَالٍ فِي رِيَاضٍ أَرِيضَةِ

(وإنْ قربت داري): أي صارت قريبة، كنّى بداره عن مجموع نشأته الشاملة للجسمانيّة/ [١٨٨/ أ] والنفسانيّة والروحانيّة، وقربها: تخلّيها عن ملاحظة الأغيار، واطّلاعها على لطائف الحكم والأسرار؛ فإنّ المتجلّي الحقّ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]؛ فالقرب من جهته محقّق. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [٥٠/ ق/ ١٦] وكلّما صفا العبد من كدورة الطبع والهوى ازداد علمه به؛ فازداد قربه إليه. وقوله (فعامي): أي سَنَتِي التي أكون فيها. وقوله (كلّه): تأكيد للعام. والعام مشتمل على فصول أربعة: ربيع وخريف وشتاء وصيف. وقوله (ربيع): خبر المبتدأ. وقوله (اعتدال): قال في القاموس: «الاعتدال توسط حال بين حالتين في كم أو كيف، وكلّ ما تَنَاسَب فقد اعتدل». وهو هنا حالة الاستقامة، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [١١/ هود/ ١١٢] الآية. فالربيع هو النشأة الإنسانيّة إذا اعتدلت أحوالها. وقوله (في رياض): جمع روض، وهو المقام المحمّدي الذي يتنوّع بالأسرار، ويطيب بروائح الأزهار، ويَلَذُّ للأذواق بطعوم الثمار. وقوله (أريضة): زكيّة معجبة للعين خليقة للخير.

٣٧٣- وَإِنْ رَضَيَتْ عَنِّي فَعُمْرِيَ كُلُّهُ   زَمَانُ الصِّبَا طِيْبَاً وَعَصْرُ الشَّبِيْبَةِ

(وإن رَضِيَتْ): أي المحبوبة الحقيقيّة. (عنّي فعمري كلّه): أي من حين رضاها إلى وقت الوفاة، أو من (زمان الصبا): الذي كنت فيه أولاً إلى وقت الوفاة، فيدخل في ذلك عصر الكهولة والشيخوخة. وكان عُمْرُ الناظم قدّس الله سرّه لمّا تُوفي ثلاثاً وخمسين سنة ونصف إلّا يومين؛ لأنّه وُلد آخر اليوم الرابع من ذي القعدة سنة سبع وسبعين وخمسمائة. وتُوفي في اليوم الثاني من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، كما سبق في ديباجة هذا الكتاب.

قال في القاموس: «الشيخ والشَيْخُون: مَنْ استبانت فيه السِنّ، أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، أو إلى الثمانين، والكَهْل: مَنْ وَخَطَه الشَيْبُ ورَأيتَ له بَجَالَة. أو من جاوز الثلاثين، أو أربعاً وثلاثين، إلى إحدى وخمسين». وقد بلغ الناظم قدّس الله سرّه سنّ الكهولة والشيخوخة. فقوله (فعمري كلّه زمان الصِّبا): بكسر الصاد المهملة، قال في الصحاح: «تقول صَبِيٌّ بَيِّنُ الصِبَا، والصَبَاءُ، إذا فتحت الصاد مددتَ، وإذا كسرت قصرت. والصِبَا أيضاً: من الشوق، يقال منه: تَصَابَى وصَبَا يَصْبُو صَبْوَةً وصُبُوءاً، أي: مال إلى الجهل والفتوّة». وقوله (طِيباً): أي من جهة الطِيِّب فهو منصوب على التمييز. والطيب: اللَذَّة والبَهْجَة، قال في القاموس: «طَاب يَطِيب طِيْباً: لَذَّ وزكا». وقوله (وعصر الشبيبة): أي زمان الشباب، قال في الصحاح: «الشباب: الحداثة، وكذلك الشبيبة، وهو خلاف الشيب. تقول: شَبَّ الغلامُ يَشِبُّ بالكسر شَبَاباً وشَبِيبَةً». وفي القاموس: «الشباب: الفَتاءُ كالشَبيبة، وأوّلُ الشيء». وهذا تشوّق من الناظم قدّس الله سرّه إلى زمان شبابه لاستكمال قواه فيه، القوى الظاهريّة والباطنيّة. ولمّا كانت قواه في المحبّة الإلهيّة والعشق الربّاني مستكملة لزوال الغفلة عنه، والتلهيِّ بالأغيار أخبر أنّ عمره كذلك، قال العارف ابن رفاعة المقدسي الخليليّ قدّس الله سرّه من قصيدة له:

صرت شيخاً وما تغيّر حالي   عن هواهم وهمّتي كالشباب

ومن عادة الشيخوخة أنّها تضعف القوى بالحواس، وتهَدُّ أركان الجسم من الأساس، حتّى يكاد صاحبها أن لا يُعدّ من جملة الناس حتّى قال صاحبنا المرحوم معجز الأفاضل الشيخ رمضان العطيفي[1] من بيتين ثانيهما قوله:/ [١٨٨/ ب]

يا عيدنا المنحوس خذ من عمرنا ... عشراً وأدِّ من الصبا معاشراً

٣٧٤- لَئِنْ جَمَعَتْ شَمْلَ المَحَاسِنِ صُورَةً ... شَهِدْتُ بِهَا كُلَّ المَعَانِي الدَّقِيْقَةِ

(لئن): اللام موطئة للقسم المقدّر. وإنْ شرطيّة. (وجَمَعَتْ): أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (شمل): بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وباللام: ما تفرّق من الشيء، وما تجمّع منه. قال في الصحاح: «يقال: جمع الله شملهم، أي: ما تشتت من أمرهم، وفرّق الله شمله، أي: ما اجتمع من أمره. وقوله (المحاسن): قال في الصحاح: «الحُسْنُ: نقيض القُبْح، والجمع المَحاسِن على غير قياس. كأنّه جمع مَحْسَن». والمعنى: وحقّ هذه المحبوبة الحقيقيّة لئن جمعت هي كلّ حسن تفرّق في جميع المخلوقات. وقوله (صورة) تمييز: أي من جهة الصورة التي تتجلّى بها، وهي صورة كلّ شيء حسن محسوس أو معقول، وجميع الصور لها؛ لأنّه تعالى المُصوِّر، والصور كلّها أعراض، متكررة بالأمثال، لا بدّ لها من مصوّر قيوم عليها، وهو تعالى من حيث هو لا صورة له. وله الصور كلّها: حسنها وقبيحها، ولا قبح لصورة تنسب إليه بحكم قوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٦] وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقوله (شهدتُ): بضمّ التاء للمتكلِّم، أي: عاينتُ (بها): أي بسبب تلك الصورة الجامعة لجميع ما تفرّق من

---

(١) من العلماء المعاصرين للشيخ عبد الغني النابلسيّ، ومن أصدقائه ومجالسيه، توفي في حياة النابلسيّ، أخذ عنه كثيرون، منهم المحبّي صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، انظر سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، إسماعيل المحاسني ١/ ١٥٩.

المحاسن أو فيها، وهي الصورة المحمّديّة المخلوق من نورها كلّ شيء، على ما ورد في الحديث. كنّى بذلك عن صورته المحمّديّة الموروثة على ما سبق بيانه. وقوله (**كلّ المعاني الدقيقة**): وهي العلوم الإلهيّة والحقائق العرفانيّة التي هي من وراء طور العقل.

٣٧٥- فَقَدْ جَمَعَتْ أحْشِايَ كُـلَّ صَبَابَةٍ بِهَـا وَجَـوَىً يُنْبِيْـكَ عَـنْ كُـلِّ صَبْوَةِ

(**فقد جمعت**): الفاء في جواب الشرط. وقوله (**أحشايَ**): فاعل جمعتْ. و(**كلَّ صبابة**): مفعول جمعتْ، ومضاف إليه. و(**الصَبابة**) بفتح الصاد المهملة: المحبّة والعشق. وأصلها صَبَا يَصْبُو: مال إلى الجهل والفتوّة. وقوله (**بها**): أي بسببها، أو فيها، أي: في محبّة هذه المحبوبة الحقيقيّة. والباء للظرفيّة. وقوله (**وجَوَىً**): معطوف على صَبَابَة، أي: كلّ جوى. والجوى، بالجيم: الحرقة، وشدّة الوجد من عشقٍ أو حزنٍ، تقول منه: جَوِيَ الرجلُ بالكسر؛ فهو جَوٍ مثل ذَوٍ، كذا في الصحاح. وقوله (**يُنْبيكَ**): أي يُخبرك، وأصله بالهمز، يقال: نَبَأَ وأنْبأَ ونَبّأَ، أي: أخبر. والنبأُ: الخَبَر، ثمّ أبدل من الهمز الياء. وقوله (**عن كلّ صبوة**): متعلّق بـ **يُنْبِيك**. والصَبوَة: ميل المحبّة والعشق.

٣٧٦- وَلِـمْ لَا أُبَاهِي كُلَّ مَنْ يَدَّعِي الهَوَى بِهَـا وَأُنَـاهِي فِي افْتِخَـارِي بِحُظْـوَةِ

(**ولِـمْ**): بكسر اللام وسكون الميم. أصلها لِمَا بفتح الميم وبالألف، وهي ما الاستفهاميّة، دخل عليها حرف الجر فحذفت ألفها، كقوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [٢٧/ النمل/ ٣٥]، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [٧٨/ النبأ/ ١]. وقوله (**لا**): نافية. وقوله (**أباهي**): قال في القاموس: «بَاهَيْتُهُ فَبَهَوْتُه: غَلَبْتُهُ بالحُسْن» وفي الصحاح: «المُبَاهَاة: المُفَاخَرَة، وتَبَاهُوا أي تفاخروا». وقوله (**كلّ**): مفعول أباهي. وقوله (**من يدعي الهوى**): أي المحبَّة والعشق. وقوله (**بها**): متعلق بـ (**أباهي**)، أي: بالمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**أُناهِي**): أي أقول عَنّي: ناهيك بي من رجل، قال في الصحاح: «يقال: هذا رجل نَاهِيك من رجل، ونَهْيُكَ من رجل». وتأويله: إنّه

بجده وغَناءه ينهاك عن تطلب غيره، قال الشاعر:

هو الشيخ الذي حدّثت عنه نهاك الشيخ مكرمة وفخراً

ومعناه: حسبك الشيخ مكرمة وفخراً. وقوله (**في افتخاري**): أي في الحالة التي أفتخر بها على غيري. وقوله (**بحُظْوَةٍ**): متعلّق بافتخاري. و(الحِظْوَة): بكسر الحاء المهملة وضمّها/ [١٨٩/ أ] وسكون الظاء المعجمة وبالواو والهاء، وهي المنزلة الرفيعة، والمرتبة المنيعة، قال في الصحاح: «حظيَتْ المرأةُ عند زوجها حِظْوَةً وحُظْوَةً بالكسر والضمّ، وقد حَظِيَ عندَ الأمير، واحْتَظَى به، بمعنى». وفي القاموس: «الحُظْوَةُ بالضمّ والكسر: المكانة والحَظُّ من الرزق».

٣٧٧- وَقَدْ نِلْتُ مِنْهَا فَوْقَ مَا كُنْتُ رَاجِياً وَمَا لَمْ أَكُنْ أَمَّلْتُ مِنْ قُرْبِ قُرْبَتِي

(**وقد نلت**): الواو للحال، والجملة في محل نصب على أنّها حال من ضمير المتكلِّم في البيت قبله. وقوله (**منها**): أي من المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**فوق ما كنت راجياً**): أي مترجِّياً، قال في القاموس: «الرجاء ضِدُّ اليأس». وفي الصحاح: «الرجاء: من الأمل ممدود، يقال: رَجَوْتُ فُلاناً أُرْجُو رَجَاء» وقوله (**مالم أكن أمّلت**): بتشديد الميم، أي: وأمراً عظيماً لم أكن أمّلْتُه. وقوله (**من قريب**): بيان لما. والقُرب: ضدّ البُعد. وقوله (**قُرْبَةً**): بضمّ القاف وسكون الراء، قال في الصحاح: «تَقَرّب إلى الله تعالى بشيء، أي: طَلَبَ به القُرْبَةَ عنده، وقَرَّبْتُهُ تقريباً: أي: أَدْنَيْتُهُ، والقُرْبَة أيضاً القَرَابَةُ. وقُرْبُ القَرَابَة: دُنوُّهَا» إشارة إلى معنى ما ورد في الحديث: «اليوم أرفع أنسابكم وأضع نسبي»(١).

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ﴾ [٢٣/ المؤمنون/ ١٠١]. وفي الحديث: «الرحم شجنة معلّقة بالعرش»(٢) وهو عرش الاستواء: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [٢٠/ طه/ ٥] واشتقاق الرحم من الرحمن. والرحم: القرابة. وهي

---

(١) انظر تخريجه ص٣٥٥.

(٢) انظر تخريجه ص٧٩٤.

القربة، وهذا شيء ليس في أمل العبد، ولا كان راجياً له.

٣٧٨- وَأَرْغَمَ أَنْفَ البَيْنِ لُطْفُ اشْتِمالِهَا عَلَيَّ بِمَا يُرْبِي عَلَى كُلِّ مُنْيَةِ

(**وأرغم أنف البين**): يقال أرغم الله أنفه: ألصقه بالرَّغام، بالفتح: التراب، كذا في الصحاح. و(**البَيْن**): الفراق، تقول منه: بَانَ يَبِيْنُ بَيْناً. وقوله (**لُطْفُ**): فاعل أرغم. وقوله (**اشتمالِها**): أي المحبوبة الحقيقيّة.(**عليَّ**): بتشديد الياء التحتيّة مفتوحة. وهذا الاشتمال من قوله تعالى: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [٤٠/غافر/٧] فإنّ وسع الشيء يقتضي الاشتمال عليه، والإحاطة به، والله بكل شيء محيط. والمراد الكشف عن ذلك وإلّا فهو معنى عام في كلّ شيء. ولا شك أنّ معلومات الوجود مشتمل عليها، ومحيط بها، وواسع لها. سواء كان الوجود منسوباً إليها عندها، أو لم يكن منسوباً إليها كما هي كذلك في نفس الأمر. وقوله (**بما**): أي بأمر عظيم متعلّق بأرغم. وقوله (**يُربي**): مضموم الأوّل، من أربى المتعدِّي، قال في القاموس: « أَربيته يعني زدته». وفي الصحاح: « أُربيت: إذا أخذت أكثر مما أعطيت». والجملة صفة (ما). وقوله (**على كلّ مُنْيَةِ**): متعلّق بـ أربى. **والمُنْيَة**: ما يتمنّاه الإنسان، قال في القاموس: « تمنّاه: أراده، وهي المُنية بالضمّ والكسر».

٣٧٩- بِهَا مِثْلَ مَا أَمْسَيْتُ أَصْبَحْتُ مُغْرَماً وَمَا أَصْبَحَتْ فِيْهِ مِنَ الحُسْنِ أَمْسَتِ

(**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة، متعلّق بـ مغرماً، قدّم للحصر، أي: لا بغيرها. وقوله (**مثلَ**): بالنصب، خبر مقدّم لأصبحت. وقوله (**مغرماً**): حال من اسم أصبح، وهو التاء المضمومة ضمير المتكلّم، أي: أصبحت، يعني: دخلت في الصباح مثل (ما): مصدرية. (**أمسيت**): أي إمسائي، يعني: دخولي في المساء. والمعنى: إنّ الغرام ملازم لي لا يفارقني. وقوله (**وما**): مبتدأ، أي: الذي أصبحت فيه من الحُسْن، بيان لما. وقوله (**أمست**): أي فيه، وكسر التاء للقافية. والجملة

خبر المبتدأ. والضميران للمحبوبة الحقيقية. ومعناه: إنّ حُسْن هذه المحبوبة لا يقبل الزيادة ولا النقصان؛ وإنّما قدّم الإمساء على الإصباح في الذكر، لأنّ الإمساء صفته الظلمة، والإصباح نور، وهو صفة المحبوبة، فقدّم صفته، لأنّها الأصل فيه، فإنّه كان في ظلمة العدم، فأشرف عليه نور الوجود، فظهر بحكم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] ولهذا قدّم وصفه أيضاً بأنّه مغرم على وصف المحبوبة بالحُسْن مبالغة/ [١٨٩/ ب] في حُسنها بأنّه أثبت فيه الغرام قبل ظهوره له من قبيل قول أبي نواس في مبالغة وصف الخمرة:

أمـرُّ بـالكرْم جَنْـب حائطهـا   وتأخـذني نـشوة مـن الطـرب

أسـكر بـالأمس إن عزمـت عـلى   الـشرب غـداً إنّ ذا مـن العجـب

وفي قوله (وما أصبحت فيه من الحسن أمست) إشارة إلى أنّ ما ظهرت وتجلّت به من الجمال الحقيقيّ اختفت به أيضاً؛ فهي ظاهرة في عين بطونها، وباطنة في عين ظهورها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾.

٣٨٠- فَلَوْ مَنَحْتْ كُلَّ الوَرَى بَعْضَ حُسْنِهَا   خَـلَا يُوسِـفٍ مَـا فَـاتَهُمْ بِمَزِيَّـةِ

(**فلو منحت**): أي أعطت، يقال: مَنَحَه كمَنَعَه وضَرَبَه: أعطاه، كذا في القاموس. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**كلّ الورى**): مفعول منحت، والورى كفتىً: الخلق، كذا في القاموس. وقوله (**بعض**): مفعول ثانٍ لمنحت وضمير حُسنها للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**خلا يوسفٍ**): خلا كلمة يُستثنى بها، فإذا قلت خلا زيدٍ فجررتَ فهو عند بعض النحويين حرف جر بمنزلة حاشا. وعند بعضهم مصدر مضاف» و(**يوسفٍ**): اسم مصروف لضرورة الوزن، وهو ابن يعقوب النبيّ عليهما السلام؛ وإنّما استثنى يوسف عليه السلام، لأنّه أُعطِيَ شطر الحُسن كما ورد في الحديث. أي: الحسن الحادث المنسوب إلى الحوادث، أو كلّ الحُسن الحادث. فلو أنّ هذه المحبوبة الحقيقيّة أعطتْ جميعَ المخلوقين ما عدا

يوسف عليه السلام بعض حُسنها القديم المنسوب إليها. (ما فاتهم): أي سبقهم وذهب عنهم يوسف عليه السلام (بمزيّة): قال في القاموس: «فاته الأمر فَوْتاً: ذهب عنه». وفي الصحاح: «الافتيات: افتعالٌ من الفَوْت، وهو السبْق إلى الشيء دون ائتمار من يُؤتمر. تقول: افتات عليه بأمر كذا، أي: فاته به». وقوله (بمزيّة): أي فضيلة، يقال: له عليه مزيّة، ولا يُبنى منه فعل، كذا في الصحاح. والمراد بيان حُسْنها العظيم، الكامل القديم، وإنّه يتفاوت في ظهوره بالمظاهر، وتجرّده عنها، فلمّا أعطت يوسف عليه السلام شطر الحُسْن، أو كلّه، بطريق التجلّي بالصورة اليوسفيّة حدث الحُسْن ليوسف عليه السلام بحدوث صورته اليوسفيّة، ونشأته الإنسانيّة، فاشتهر بكمال الحسن بين المخلوقين، حتّى صار بحيث يُضرب به المثل في الحسن والكمال. ولقد أنشدني المرحوم مفخر العلماء والمدرِّسين إبراهيم أفندي العمادي من فمه لنفسه في إمام حسن الوجه:

صلّى بنا عذب اللمى ... وذو القوام الأهيفِ
فسمعت سورة يوسف ... ورأيت سورة يوسفِ

والمعنى: إنّ هذه المحبوبة الحقيقيّة لو أعطتْ بعض حُسنها على فرض أن حسنها القديم يمكن أنْ يتجزّأ، وهو محال لجميع المخلوقات من غير تجلّ في مظاهرهم، بأن تفنى مظاهرهم، وتضمحلّ في ظهور ذلك الحسْن الحقيقيّ. لم يكن ليوسف عليه السلام مزيّة بحُسْنه على جميع المخلوقات؛ بل يظهر مساواة حسنه لحسنهم، وفيه أدب مع يوسف عليه السلام، حيث لم يقل: فاتوه بالمزيّة؛ لأنّ فناء المظهر في التجلّي بالصورة من مقامه أيضاً، فيكون الكلام في حاله عليه السلام مع عدم اعتبار ذلك بالنظر إلى عامّة النّاس في جميع المسالك.

٣٨١- صَرَفْتُ لَهَا كُلِّي عَلَى يَدِ حُسْنِهَا ... فَضَاعَفَ لِي إِحْسَانُهَا كُلَّ وُصْلَةِ

(صرفت): أي أنفقت. (لها): أي لأجلها. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (كلّي): مفعول/[١٩٠/أ] صرفت، أي: أذهبت ومحوت جميع نشأتي الظاهرية

والباطنيّة، بحيث لم يبقَ منّي بقيّة. وقوله (**على يد حسنها**): أي بمباشرة حسنها لذلك الصرف، فهو منسوب إليّ، وهو فعلها على الحقيقة؛ فإنّ الحقّ إذا ظهر زهق الباطل، وكلّ شيء ما خلا الله باطل، إنّ الباطل كان زهوقاً في نفس الأمر على وجه المبالغة. فإذا زهق بالنسبة إلى العبد العارف لم يكن زهوقه مساوياً لما هو في نفس الأمر؛ بل أدنى من ذلك لشعور العبد بذلك في بقيّة الله التي هي خير.

وقوله (**فضاعف لي**): أي أكثر لي، قال في الصحاح: « التَضعيف: أنْ يُزاد على أصل الشيء فيُجعَل مثلين أو أكثر. وكذلك الإضعاف والمُضَاعَفَة، يقال: ضَعَّفْتُ الشيء وأَضْعَفْتُه وضاعفته بمعنى». وقوله (**إحسانها**): فاعل ضاعف، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. والإحسان: ضدّ الإساءة، كذا في القاموس.

وقوله (**كلّ وُصلة**): مفعول ضاعف. و(**الوُصْلَة**): بالضمّ الاتّصال، وكلّ ما اتّصل بشيء فما بينهما وُصْلَة. ومعنى مضاعفة الإحسان له كلّ وُصْلَة، وزيادة القرب بالكشف عن التجلّيات في كلّ شيء محسوس، أو معقول، أو موهوم؛ فإنّ الوجود الواحد الحقّ متجلٍّ بصور جميع المخلوقات؛ لأنّه الخالق البارئ المصور فإذا تجلّى على العبد بصورة الكشف والشهود؛ فقد أحسن كمال الإحسان المضاعف بعدد ذرّات الوجود، وهو الاتصال التّام، وكمال الإنعام. فإنّه على قدر الفناء والاضمحلال يكون الظهور والانجلاء لوجه الحسن والجمال.

٣٨٢- يُشَاهِدُ مِنِّي حُسْنَهَا كُلُّ ذَرَّةٍ ... بِهَا كُلُّ طَرْفٍ جَالَ فِي كُلِّ طُرْفَةِ

(**يشاهد**): أي يعاين. وقوله (**منّي**): الجار والمجرور صفة لذرّة، على أنّ أصل المعنى: يشاهد كلُّ ذرّةٍ منّي حُسْنَها. (**وحسنها**): مفعول يشاهد، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**كلّ ذرّة**): فاعل يشاهد. و(**الذرّة**): بالذال المعجمة. والمراد قَدْرَ ذَرَّة. قال في القاموس: «الذَّرُّ صغار النمل، ومئة منها زنة حبّة شعير، الواحدة: ذرّة». وفي الصحاح: «الذَّرّ: جمع ذَرّة، وهي أصغر النمل». وهي مشاهدة حسّ وكشف، فيشترك فيها الحواس وغيرها. وقوله (**بها**): أي بتلك

الذرّة؛ يعني: فيها، وهو خبر مقدّم. وقوله (**كلٌّ**): مبتدأ. (**طَرْفٍ**): مضاف إليه. والطَرْفُ بفتح الطاء المهملة: العين. ولا يجمع، لأنّه في الأصل مصدر فيكون واحداً، ويكون جماعة، قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٤٣] فمعناه: إنّ كلّ مقدار ذرّة منه لها كلّ عين مشاهدة لسريان صفة الحياة الإلهيّة بالوجود الساري من غير سريان؛ إذ من المحال سريان الوجود في العدم، وظهور ظلمة الحدوث في نور القدم. وقوله (**جال**): بالجيم، وفاعله ضمير مستتر راجع إلى كلّ طرف. والجملة صفة طرف. وقوله (**في كلّ طُرْفة**): بضمِّ الطاء المهملة وسكون الراء، وهي الشيء اللطيف المعجب. وأصله كما قال في الصحاح: «الطَارِف والطَرِيف من المال: المُسْتَحْدَث، وهو خلاف التَالِد والتَلِيْد. والاسم الطُرْفَة. وقد طَرُفَ بالضمّ، وأَطْرَف فلان إذا جاء بطُرْفَة».

٣٨٣- وَيُثْنِـي عَلَيْهَـا فِيَّ كُـلُّ لَطِيْفَـةٍ بِكُـلِّ لِسَـانٍ طَـالَ فِي كُـلِّ لَفْظَـةِ

(**ويثني**): بالضمّ، من أثنى عليه، والثَناء بالفتح: الوصف بالمدح، كذا في القاموس. وقوله (**عليها**): أي على المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**فيّ**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في نشأتي الإنسانيّة من حيث ظاهري وباطني. وقوله (**كلّ لطيفة**): فاعل يثني. واللطيفة هي الروحانيّة المنبعثة من القلب الإنسانيّ، المتطوِّرة بأطوار الأسرار والمعاني. وقوله (**بكلّ لسان**): متعلّق بـ **يثني**، وهذا على طريق الاستعارة المكنيّة المبنيّة على التشبيه بالإنسان، وإثبات اللسان لها تخييل. وقوله (**طال**): أي ذلك اللسان/ [١٩٠/ ب] بمعنى: إنّه أكثر النطق. وقوله (**في كلّ لفظة**): أي كلمة يلفظ بها، وهو كثرة الشكر من الاسم الشكور، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [٣٤/ سبأ/ ١٣].

٣٨٤- وَأَنْـشَقُ رَيَّاهَـا بِكُـلِّ رَقِيْقَـةٍ بِهَـا كُـلُّ أَنْـفٍ نَاشِـقٍ كُـلَّ هَبَّـةِ

(**وأنشَقُ ريّاها**): بتشديد الياء التحتيّة، قال في القاموس: «الرَيَّا: الريحُ الطيّبة».

والضمير للمحبوبة الحقيقيّة، ورائحتها ما ينبعث عنها وعن أمرها، وهو الروح الفائح في جملة الأكوان، قال القائل:

ناشـــدتك الله نـــسيم الـــصَبَا ... من أين هذا النَّفَس الطيِّب

وقال العفيف التلمساني قدّس سرّه:

أسكرت بان الحمى يا نسمة السحر ... فهل أتيت من الأحباب بالخبر

نعم مررت بذاك الحيّ واكتسبت ... ذيول بردك ريّا نشره العطر

وقوله (بكلّ رقيقة): أي روحانيّة رقيقة، من الرِّقَّة، قال في الصحاح: «الرقيق نقيض الغليظ والثخين. وقد رَقَّ الشيء يَرِقّ رِقَّة». وتكرار الأمر الإلهيّ يقتضي تكرار الروح الصادر عنه، لأنّه من أمر الله ، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] يعني: في الظهور والخفاء بالروح الساري في الأجسام الطبيعيّة، فالروح رقيقة، وهي رقائق ممتدّة من حضرة الأمر الإلهيّ. ولنا من المواليا ما يقرب من هذا المعنى:

لطائر السرّ في أوج الرقيقة وكر ... ضع حبّة القلب لُوا نصب فخاخ الذكر

واستنزلوا عل ينزل بالرداح البكر ... عليك يوماً فتنحوا من قيود الفكر

وقوله (بها): أي بالرقيقة، يعني: فيها، وهو خبر مقدّم. وقوله (**كلّ أنف**): مبتدأ مؤخر. وقوله (**ناشق**): صفة أنف. وقوله (**كلّ هَبَّةٍ**): مفعول ناشق. والهَبَّة: المرّة من ثوران الريح، قال في القاموس: « الهَبُّ والهُبُوب: ثَوَرَان الريح كالهَبِيب» وإثبات الأنف للرقيقة على طريقة التخييل للاستعارة المكنية. وذكر النَشْق: ترشيح، لأنّه يلائم المشبّه به.

٣٨٥- وَيَسْمَعُ مِنِّي لَفْظَهَا كُلُّ بَضْعَةٍ ... بِهَا كُلُّ سَمْعٍ سَامِعٍ مُتَنَصِّتِ

(ويسمع منّي): جار ومجرور متعلّق بواجب الحذف صفة لبضعة، معناه: كلّ بضعة منّي. وقوله (**لفظها**): مفعول يسمع. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**كلّ**

بَضْعَةٍ): فاعل يسمع. و(**البَضْعَة**): بفتح الباء الموحّدة وسكون الضاد المعجمة وبالعين المهملة والهاء: القطعة من اللحم. وقوله (**بها**): أي بتلك البضعة. يعني: فيها كلّ سَمْعٍ، وهو سَمْعُ الإنسان، ويكون واحداً وجمعاً لقوله تعالى: ﴿**خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ**﴾ [٢/ البقرة/ ٧] لأنّه في الأصل مصدر قولك سَمِعْتُ الشيءَ سَمْعاً وسَمَاعاً، كذا في الصحاح. وقوله (**سامع**): وصف السمع، وكذلك متنصِّت صفة لسمع أيضاً. ومعناه الساكت المستمع للحديث.

٣٨٦- وَيَلْثُمُ مِنِّي كُلُّ جُزْءٍ لِثَامَهَا   بِكُلِّ فَمٍ فِي لَثْمِهِ كُلُّ قُبْلَةِ

(**ويلثم**): من لَثِمَ فاها كسَمِعَ وضرب: قَبَّلَها، كذا في القاموس. وقوله (**منّي**) متعلّق بواجب الحذف صفة لجوء، وأصله كلّ جزء منّي. وقوله (**كلّ**): فاعل يلثم. وقوله (**جزء**): مضاف إليه. (**ولثامها**): مفعول يلثم. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. واللثم: كناية عن كمال الإقبال بشدّة المحبّة، والتحقّق بالشهود. واللثام الحجاب وأصله كما قال في المصباح: «اللِثام بالكسر: ما تغطّي به الشفة». وفي القاموس: «لِثام ككتاب ما علا الفم من النقاب». والفم موضع ظهور الحروف والكلمات/ [١٩١/ أ] وهي النفوس التي هو صور التجلّيات الإلهيّة من اسمه تعالى المصوِّر. وكذلك الأشياء الهالكة، كما قال تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ**﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. وقوله (**بكلّ فم**): لأنّ كلّ جزء صورة عن مصوِّر، فكلّ جزء حرف من حروف كلمة إلهيّة كقوله تعالى: ﴿**وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ**﴾ [٤/ النساء/ ١٧١] فإنّ عيسى عليه السلام مركّب من أجزاء طبيعيّة وعنصرية، وقوى روحانيّة. وكذا كلّ شيء. قال تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ**﴾ [٣/ آل عمران/ ٥٩] وإنّما التمييز بين الأشياء بالمعرفة وظهور العلم. وقوله (**في لثمه**): أي لثم كلّ فم، بمعنى شهود في تجلّيه بالصور. (**واللثم**): مصدر لَثَمْتُ الفم لَثْماً من باب ضرب: قَبَّلته، ومن باب تعب لغة، كذا في المصباح. وقوله (**كلّ**

قُبلة): بضمّ القاف اسم من قَبَّلْتُ الشيءَ تَقْبِيلاً، والجمع: قُبَل كغُرْفَة غُرَف، كذا في المصباح. وفي القاموس: «والقُبْلة بالضمّ: اللَثْمَة». والمعنى: في لَثْم ذلك الفم قُبَل كثيرة من القبول، والإقبال، من التحقّق بأنواع الجلال والجمال، ولطائف الكمال، وشهود الإفضال.

٣٨٧- فَلَو بسَطتْ جِسْمِي رأتْ كُلَّ جَوْهَرِ   بِـهِ كُـلُّ قلْـبٍ فِيْـهِ كُـلُّ مَحَبَّـةِ

(فلو بسطت جسمي): أي حللت أجزاء بعضه من بعض، إذ هو مركّب من الأحوال التي لا تتجزّأ، وهي الجواهر الفردة. وقوله (رأت كلَّ جوهر): أي كلّ جزء من تلك الأجزاء. وقوله (به): أي بكلّ جوهر.(كلُّ قلب): أي توجّه روحانيّ، وسرّ ربّانيّ. وقوله (فيه): في ذلك القلب. (كلُّ محبّة): أي ميل وإقبال وعشق وإجلال.

٣٨٨- وَأَغْرَبُ مَا فِيْهَا اسْتَجَدْتُ وجَادَلي   بِـهِ الفَـتْحُ كَـشْفَاً مُـذْهِباً كُـلَّ رِيْبَـةِ

(وأغرب): بالغين المعجمة والراء والباء الموحّدة، أي: أكثر غرابة، وهو مبتدأ، خبره قوله (شهودي): في البيت بعده. وقوله (ما): أي شيء، أو أمر. (فيها): أي في محبّتها. يعني: محبّة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (استجدّت): أي وجدت جيداً، قال في القاموس: «الجيد ككيِّس: ضدّ الرديء واسْتَجَادَهُ: وَجَدَهُ، أو طَلَبَه جَيِّداً. واسْتَجَادَهُ: طَلَبَ جُودَه فَأَجَادَهُ أياه، وأَعْطَاهُ أياه، والجُوْدُ: السَخَاءُ». وقوله (به): متعلّق بجاد أيضاً. وقوله (به): متعلّق بجاد أيضاً. وقوله (الفتح): فاعل جاد، وهو زوال الوهم عن عين البصيرة، كأن حقائق التجلّيات الإلهيّة التي هي أبواب الحضرة الربّانيّة مغلقة عليها إغلاق الأغيار، باستيلاء الوهم والغفلة التي كالغبار المثار. و(الفتح): هو إزالة تلك الأغلاق، وإزاحتها بنور الحقّ تعالى، وظهور ذلك الإشراق. وقوله (كشفاً): تمييز، أي: من جهة الكشف، وذهاب الأستار الوهميّة المتمكّنة في البصيرة الإنسانيّة، واعتادت عليها الطبيعة، والنفس منقادة لذلك

مطيعة. وقوله (**مذهباً**): بصيغة اسم الفاعل، من أَذْهَبَ الشيءَ: أزاله ومَحَقَهُ. وقوله (**كلّ**): مفعول مذهباً. وقوله (**ريبة**): بكسر الراء مضاف إليه، وفي القاموس: «الرِّيبَةُ بالكسر: الظِنَّة والتُهْمة». وفي المصباح: «الرَّيْب: الظَنّ والشَكّ. ورَابَني يَرِيبُني: إذا جعلكَ شاكّاً، ورَابَني من فلان أمر يَرِيبُني رِيْباً: إذا استيقنتُ منه الرِّيبة، فإذا أَسَأْتَ به الظَنّ ولم تَستيقن منه الرِيبة قلتَ: أَرَابَني منه أمرٌ هو فيه إرابَةً، وأَرَابَ فلانٌ إِرابة فهو مُرِيب: إذا بلغكَ عنه شيء أو تَوَهَّمْتَهُ. وفي لغة هذيل: أَرابني بالألف: فرِبْتُ أنا وارْتَبتُ: إذا شَكَكْتُ».

٣٨٩- شُهُودِي بِعَيْنِ الجَمْعِ كُلَّ مُخَالِفٍ وَلِـيَّ ائْـتِلَافٍ صَـدُّهُ كَـالمَوَدَّةِ

(**شهودي**) خبر المبتدأ الذي هو أغرب في البيت قبله، وفي المصباح: «شهدتُ الشيء أطَّلعتُ عليه وعاينته، وشاهدته مشاهدة مثل: عاينته معاينة». وقوله (**بعين**): /[١٩١/ب] الجمع، وهي الحقيقة التي قبلت الظهور بكلّ شيء،أي: بكلّ صورة صادرة عنها من تجلّيها بالاسم المصوِّر. و(**الجمع**): خلاف الفرق، والفرق شهود الأغيار في جمع وحدته الواحد القهار، وقوله (**كلّ مخالف**): مفعول شهودي. أي: كلّ من يخالفني، ولا يوافقني في ديني أو دنياي، أو حال من أحوالي، أو قول من أقوالي.

وقوله (**وليّ**): بتشديد الياء التحتيّة، فعيل بمعنى فاعل، أي: موالٍ، بمعنى متابع. وقوله (**ائتلاف**): قال في المصباح: «أَلِفْتُهُ إِلْفاً، من باب عَلِمَ: أَنِسْتُ به وأَحْبَبْتُه. والاسم: الأُلفة، بالضمّ، أيضاً اسم من الائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع». وقوله (**صَدُّه**): أي إعراضه عنّي كالمودّة لي، وذلك لأنّه صدَّ عَنّي بعين الجمع التي أراه بها من حيث لا يشعر، فصدّه عنّي بالعين التي أنا ناظر بها إليه، فهو إقباله عليّ بمنزلة المودّة لي، ولا اعتبار عنده لخصوص صورة الصدّ والإعراض مع عين الجمع لفنائها فيها، ومن ذلك قول الشيخ الأكبر قُدِّس سرّه:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فلمّا صفا كوني تلطّف بي فلم أجِدْ غيرَ ذاتيّ تنجلي بين أكواني

٣٩٠- أَحَبَّنِي اللَّاحِي وَغَارَ فَلَامَنِي وَهَامَ بِهَا الوَاشِي فَجَارَ بِرِقْبَتِي

(**أحبني اللّاحِي**): أي الذي يلحاني، أي: يلومني في المحبّة، قال في الصحاح: «لَحَيْتُ الرجلَ ألْحَاهُ لَحَيَاً إذا لُمته». وقوله (**وغار**): بالغين المعجمة، من الغَيْرَةِ بالفتح، يُقال :غار على امرأته، وهي عليه تغار غَيرة. والمعنى: إنّ العذول الذي يلومني على محبّة المحبوبة الحقيقيّة، هو يحبّها أيضاً مثلي، وهي ظاهرة له بصورتي التي صوّرتها، لها من تجلّي اسمها المصوِّر، فأحبَّني لذلك وهو لا يشعر؛ فهو لاحٍ يلحاني من حيث أنني غيرها عنده، وشعر بي أنّني أحبّها معه، فغار منّي عليها، فلامني على محبَّتي لها، جهلاً منه بما الأمر عليه في نفسه.

وقوله (**وهام**): قال في المصباح: «هَامَ يَهِيْمُ هيماً وهِيِاماً خرج على وجهه لا يدري أين يتوجّه، فهو هائم إنْ سلك طريقاً مسلوكاً، فإنْ سلك طريقاً غير مسلوك فهو راكب التعاسيف». وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**الواشي**): يقال وَشَى به عند السلطان وَشْياً: سَعَى به، ووَشَى في كلامه وشياً: كذب، كذا في المصباح. وهو الذي ينقل الكلام بين المحبّ والمحبوب ليفرِّق بينهما. والمعنى: إنّ الواشي هام في محبَّة المحبوبة الحقيقيّة من حيث لا يشعر، وشعر بأنّي محبّ لها مثله فسعى في إفساد ما بيني وبينها. وهو قوله (**فَجَارَ**): بالجيم من الجَوْر وهو الظلم، أي: ظلمني (**برِقْبتي**): بكسر الراء: اسم من رَقَبْتُه رُقُوباً من باب قعد: حفظته، فأنا رَقِيب، ورَقَبْتُهُ وتَرَقَّبْتُه وارْتَقَبْتُه. يعني: تجاوز الحدّ في أمري، بسبب مراقبته إياي، لينكر عليَّ أفعالي، وهي أفعال محبوبته من حيث لا يشعر. ولله درّ الشيخ نجم الدين بن إسرائيل الحريري الدمشقيّ، قُدّس سرّه من قصيدة له:

مَا في محبّتها ضدٌّ أضيق به هي المدام وكلّ الناس ندماني

وقال قدّس سرّه من أخرى:

مـا أنـت غـيري فـما لي غَـيرة أبـداً   لو أضحت الأرض ملآى من محبِّيكا

وقال أيضاً منه أخرى:

يـا مـن برؤيـاه يـتمّ الـسرور   ومـن لـه في كـلّ شيء ظهـور

أنـت الـذي تـشتاق أرواحنـا   إليـه في حـال النـوى والحـضور

دام تجلّيـك فـلا غـيرة   وغـيرة العاشـق عـين الغـرور

٣٩١- فَشُكْرِي لِهَذَا حَاصِلٌ حَيْثُ بِرُّهَا   لِـذَا وَاصِـلٌ وَالْكُـلُّ آثَـارَ نِعْمَتِـي

[١٩٢/أ] (**فشكري لهذا**): أي اللَاحي، وهو اللائم. (**حاصل**): منّي، لأنّه لا يلومني على المحبّة إلّا خوفاً منه على أنْ تهلكني المحبّة؛ فهو يحبُّني، وأنا أشكره على ذلك. وقوله. (**حيث بِرّها**): بكسر الباء الموحّدة، وهو الإحسان، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**لهذا**): أي للواشي الواصل، فبسبب وصول إحسانها إليه واعترافه بذلك تقيد بالقيام بأحكامها الشرعيّة على وجه الإخلاص؛ فهو يشي إليها في نفسه ما يظهر له من منكر أحوالي على حسب رؤيته، وسوء ظنِّه، فينقل إليها في نفسه سوء أحوالي في المحبّة بمقتضى ما يتراءى له منّي، وينقل لي عنها إنكارها أحوال محبّتي في حكم شريعتها بحسب ما يعلم من ذلك؛ فالواشي هو العالم المخلص العامل بعلمه من علماء الرسوم الغافلين عن معرفة نفوسهم، ومعرفة ربِّهم، واللَاحي هو الصديق المصاحب لي من الجاهلين في أيام الغفلة. ولمّا كان هذان الرجلان يعتقدان الثنويّة، وقد فاتهما التحقّق بالتوحيد الحقيقيّ، فهما قائمان بالشرك الخفيّ في دعوى نفوسهما الاستقلال بالأعمال، والأقوال، والأحوال. وغيرهما عندهما، كذلك قال بعده (**والكلّ**): أي أنا وهما، وكذلك غيرنا. (**آثار**): جمع أثر. وقوله (**نعمتي**): أي إنعامي علينا جميعاً من حيث حقيقتي التي هي حقيقتها، وحقيقة غيرنا أيضاً، وحقيقة كلّ شيء التي هي حقيقة واحدة،

أنا صُورتُها، وهما أيضاً صورتاها، وغيرنا أيضاً صورها، والأشياء كلّها صورها. على معنى أنّها صَوّرت هذه الصور كلُّها بتجلّي اسمها المصوِّر. من أجلها قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٤] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [٥٩/ الحشر/ ٢٤]، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] وقال: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١].

٣٩٢- وَغَيْرِي عَلَى الأغْيَارِ يُثْنِيْ وَللسِّوَى سِوَايَ يُثَنِّي مِنْهُ عِطْفَاً لِعَطْفَةِ

(وغيري): أي إنسان غيري. يعني لا تظنّ أنّي لّما شكرت اللّاحي على لومه لي، ومدحت الواشي بوصول إحسان هذه المحبوبة الحقيقيّة إليه أنّني أثني على الأغيار، فإنّ غيري من الناس يفعل ذلك. وقوله (على الأغيار): جمع غير، أي: أغيار هذه المحبوبة الحقيقيّة. والجار والمحرور متعلّق بـ يُثني، قدّم عليه للحصر. ومعنى: يثني يَمدح، وهو الشكر، ومعناه الثناء الجميل، قال في المصباح: «أَثْنَيتُ على زيدٍ، بالألف والاسم الثَناء، بالفتح والمد. واستعماله في الذكر الجميل أكثر، يقال: أَثنيتُ عليه خيراً وبخير، وأَثنَيتُ عليه شراً وبشرٍّ، لأنّه بمعنى: وَصَفْتُهُ، أو لأنّه يثني مرّة بعد أخرى، أي: يعاد»، وأطال في ذلك. والمراد هنا الثناء بالخير. وقوله (وللسوى): بكسر السين المهملة، أي: للغير، أي: غير المحبوبة الحقيقيّة. والجار والمجرور متعلّق بيثني، قُدّم عليه للحصر. وقوله (سوايَ): بكسر السين المهملة، أي: غيري من الناس. وقوله (يُثنّي): بتشديد النون للوزن مبالغة، قال في القاموس: «ثَنَى الشيءَ كسَعَى: رَدّ بعضَه على بعض فَتَثَنَّى وانْثَنَى واثْنَوْنَى: انعطف». وفي الصحاح: «ثَنَيْتُ الشيءَ ثَنْياً عطفته». وقال الراغب: «يقال لِلَاوِي الشيء: قد ثَناهُ، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [١١/ هود/ ٥] وقوله: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ [٢٢/ الحج/ ٩] وذلك عبارة عن التنكّر والإعراض، ونحو: لَوَى شِدْقَه، ونَأَى بجانبه». وقوله (منه): أي من سواي على التجريد. وقوله (عِطْفاً):

بكسر العين المهملة، قال في المصباح: «عِطْفُ الشيء جانبه، والجمع: أعْطَاف، مثل: حِمْل وأحْمَال». وقوله (لعَطْفَةٍ): بفتح العين المهملة، فعل مرة من العَطْف، وهو الميل. قال في القاموس: «عَطَفَ يَعْطِف: مَال، وعليه أَشْفَق كَتَعَطَّفَ».

٣٩٣- وَشُكْرِيَ لِي وَالبِرُّ مِنِّي وَاصِلٌ   إلَيَّ ونَفْسِي بِاتِّحَادِي اسْتَبَدَّتِ

(وشُكْرِيَ): بفتح الياء التحتيّة للوزن، وهو الذي تقدّم في قوله: فشكري لهذا واصل/ [١٩٢/ ب] بعد أنْ أشار إلى أنّه ليس شكراً لغير المحبوبة الحقيقيّة بقوله (وغيري على الأغيار يثني ...إلخ): أشار هنا إلى أنّ شكره ليس لغيره أيضاً؛ فهو متحقِّق بالحقيقة في غيره وفي نفسه أيضاً، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصلت/ ٥٣]. وقوله (لي): أي لحقيقة نفسي المصوِّرة لها. وقوله (والبِرُّ): بالكسر، أي: الإحسان، وهو الذي تقدّم. (واصل): بعد أن أشار إلى أنّه ليس واصلاً لغير الحقيقة من غيرها بقوله (وللسوى سواي يثني منه عِطفاً).وقوله (مِنِّي): متعلِّق بواصل، قُدِّم للحصر. وقوله (واصل إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى غيري، كما قال عفيف الدّين التلمسانيّ قدّس الله سرّه في مطلع قصيدة له:

وجودي وحبِّي أنْ أقول وجود   له كرم منه عليه وجود

ولابن إسرائيل قدّس الله سرّه:

يا نديمي إنْ كنت غيري فلا تشرب   فإني منزّه عن ثاني
وتحقّق أنّ المدامة والخمّار   والدير والحِمَى والغواني
والوجود الأرضي والعالم العلويّ   حقّاً وجملة الأكواني
واحد إن نظرت أن له ثاني   فلا تلتفت إلى قول ثاني

وقوله (ونفسي): الواو للحال، أي: نفسي من حيث وجودها الحقّ الذي هي قائمة به، لا من حيث صورتها العدميّة الفانية. وقوله (باتّحادي): مع الحقّ تعالى.

(استبدّتِ): بكسر التاء للقافية، يقال: استبدّ فلان بكذا أي: تفرّد به، كذا في الصحاح. والمعنى: إنّ نفسي تفرّدت دون غيري من الناس باتّحادها مع الحقّ تعالى، فإنّه تعالى هو المصوّر لنفسي. ونفسي صورته التي صوَّرها له، لا لها، كما ورد: «يا ابن آدم خلقت الأشياء كلّها من أجلك، وخلقتك من أجلي، فلا تشتغل بما خُلق من أجلك عمّن خُلقْتَ من أجله»[1].

٣٩٤- وثَـمَّ أُمُـوْرٌ تَـمَّ لِي كَـشْفُ سِـتْرِهَا بِـصَحْوِ مُفِيْـقٍ عَـنْ سِـوَايَ تَغَطَّـتِ

(**وثَمَّ**): بفتح الثاء المثلّثة وتشديد الميم مفتوحة؛ بمعنى هناك، وهي للبعيد بمنزلة هنا للقريب، كذا في الصحاح. والإشارة بِثَمَّ إلى مقام الاتّحاد الذي ذكره في البيت قبله. وقوله (**أمور**): جمع أمر، وهو الشأن، العظيم. وقوله (**تَمَّ**): بفتح التاء المثنّاة الفوقيّة وتشديد الميم مفتوحة، بمعنى كمل. وقوله (**لي**): متعلّق بـ تمَّ. وقوله (**كشف**): فاعل تمّ، أي: إزالة سِترها، بكسر السين المهملة، أي: حِجَابَها. وقوله (**بصحو**): متعلِّق بكشف. والصحو: خلاف السكر. و(**مفيق**): مضاف إليه، وهو اسم فاعل من أفاق، قال في الصحاح: «اسْتَفَاقَ من مرضِهِ، ومن سُكْرِهِ، وأَفاقَ بمعنى». يعني: يصحو رجل مفيق من سكر المحبَّة الإلهيّة، والعشق الربّانيّ. ولا يُقال: صحو إلّا بعد السُكْر، ولا إفاقة كذلك. وهو الإنسان الكامل، العالم، المتحقِّق، العامل. وقوله (**عن سوايَ**): أي عن غيري من الناس. (**تغطّتِ**): بكسر التاء للقافية. والضمير المستتر يعود إلى تلك الأمور، وهي أمور إلهيّة، وأسرار ربّانيّة، تعرفها أهل الأذواق، يحرم كشفها لأرباب العقول؛ لأنّها من الوجدانيّات المُحَقّقة: لمن ذاق، كلَذَّة النكاح، ذوطعم العسل والتفاح.

---

(١) ذكره ابن عجيبة في تفسيره «البحر المديد»، تفسير سورة النحل / / ٢٤٨، كما ذكره المناوي في فيض القدير ٥/ ٤٦٦ بلفظ: ابن آدم، خلقت الأشياء من أجلك، وخلقتك من أجلي، الأكوان لك عبيد، وأنت عبد الحضرة.

٣٩٥- وَعَنِّيَ بِالتَّلْوِيْحِ يَفْهَمُ ذَائِقٌ غَنِيٌّ عَنِ التَّصْرِيْحِ لِلْمُتَعَنِّتِ

(وعنّي): الجار والمجرور متعلّق بـ (يَفْهَمُ): قُدّم للحصر، أي: لا عن غيري. وقوله (بالتلويح): متعلّق بـ يفهم أيضاً. و(التلويح): مصدر لَوَّحَ بثوبه: لَمَعَ به، كذا في الصحاح. ومعنى التلويح هنا: أن يذكر إشارات خفيّة في ضمن عبارات إلهيّة، فيفهم منها الغافل /[١٩٣/أ] المحجوب خلاف ما يريده المحبّ من أوصاف المحبوب، قال القائل:

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده ولا الصبابة إلّا من يعانيها

ويرثى لها العدوّ المنكر فيجري فيها على طريقته كلّما يفكّر ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [٧٤/ المدّثر/ ٢٠].

والتكلّم بالمتشابه سنّة الله ورسوله لضرورة عِظَم المعاني، عند من لها يعاني. وحقارة قدر القاصر في منتهى سؤله. وقوله (بفهم ذائق): أي صاحب ذوق ووجدان، وتحقّق بحقائق العرفان. فإنّ لكلٍّ مقام مقالاً، وإنّ لكلّ مجال رجالاً؛ فإنْ من أسلم وآمن بمتشابهات الله ورسوله وأولي الأمر؛ فقد سلم ونجا. ومن تلاعب بها بوساوس نفسه فقد اتخذ له عن منهج الحقّ منهجاً. والقضيّة منه تعالى، وعليه بيانها، فإنّه ترجمانها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [٧٥/ القيامة/ ١٥]. وقوله (غني): صفة ذائق، أي: صاحب الذوق المذكور، وهو مُسْتغنٍ بكشف ربّه له عن ذلك؛ لأنّه عبد مخلص سالك. وقوله (عن التصريح): أي الإتيان بصريح القول الموحش للجاهل الغبيّ، والذي هو تحت أثواب عداوته مختبئ، وهو قوله (للمتعنّت): من عَنَّتَهُ تَعْنِيْتاً شَدَّدَ عليه، وألزمه ما يصعب عليه أداؤه، وجاء مُتَعَنِّتاً: أي طالباً زلّته، كذا في القاموس.

٣٩٦- بِهَا لَمْ يَبُحْ مَنْ لَمْ يُبِحْ دَمَهُ وَفِي الْـ إِشَارَةِ مَعْنَىً مَا العِبَارَةُ حَدَّتِ

(بها): أي بتلك الأمور المتقدِّم ذكرها. وقوله (لم يبح): بفتح الياء التحتيّة وضمّ الباء الموحّدة وسكون الحاء المهملة، من باح: أي أظهر، قال في القاموس: «باح

بِسِرِّه: أَظهره، كأَباحه». وقوله (مَنْ): أي الإنسان الذي (لم يُبِح): بضمّ الياء التحتيّة وكسر الباء الموحّدة، من أباح، قال في القاموس: «أَبَحْتُكَ الشيءَ: أَحْلَلْتَهُ لك». وقوله (دمه) مفعول يُبِحْ. والمعنى في وصف تلك الأمور المذكورة: إنّه لا يبوح بها فيفشيها للناس، فيضرّهم بفهم غير المراد منها إلّا كُلّ إنسان أباح دمه بالكفر الذي يفهمه الناس من المتكّم بها، كما قال العارف السهروردي قدّس الله سرّه من قصيدة له:

بالسرّ إنْ باحوا تُباحُ دماؤهم   وكذا دماء البائحين تباحُ

ولزين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما:

يا ربّ جوهر علمٍ لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي   يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل قدّس الله سرّه:

أنتم حقيقة كلّ موجود بدا   ووجود هذي الكائنات توهّم
في باطني من نوركم ما لو بدا   أفتى بسفك دمي الذي لا يعلم
ولو أنني أبدي سرائر جودكم   قال العواذل ليس هذا مسلم

ولقد أنصف الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الغفار رحمه الله تعالى في قوله في شأن الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

حاشاك يا محيي الدين الذي   له الفضائل من علم ومن عمل
أن تقتفي غير ما جاء الكتاب به   أو تبتغي بدلاً عن أشرف الملل
أو أن تهُدّ أساس الشرع معتقداً   فيه عقيدة أهل الزيغ والزلل
عمري لقد كذبوا في كلّ ما نسبوا   إليك من خطأ يصميك أو خطل
إنْ غرّهم كلمات منك ظاهرها   يخالف الشرع في فهم لهم خبل/[١٩٣ب]

ذَكَّرْهُمُ قول عبد الله حسبك أو أبي هريرة أو قول الإمام علي
أو ينشدوا شعر زين العابدين وإنْ شاؤوا فقصّة موسى أوضح السبل

وأراد بعبد الله عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما؛ فإنّه قال في قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [٦٥/الطلاق/١٢] ما لو قلته لرجمتموني. وقول أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاريّ في أوائل صحيحه، قال: «حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعائين: فأمّا أحدهما: فبثثته، وأمّا الآخر: فلو بثثته قطع البلعوم»[١].

وأما قول الإمام علي كرّم الله وجهه فهو ما روي عن كميل بن زياد قال: «أخذ بيدي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأخرجني إلى ناحية الجبّانة، فلّما أصحر، أي: خرج إلى الصحراء، تنفّس، ثمّ قال: يا كميل، إنّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها. احفظ عنّي ما أقول، وساق الكلام إلى أنْ قال: إنّ ههنا لعلماً، وأشار إلى صدره، لو أصبت له حملة»[٢] الأثر بطوله أخرجه جماعة منهم أبو نعيم وابن عساكر. وهو دليل على أنّ علم الأسرار لا يُمنع إفشاؤه لأهله وفاء بحق الحكمة. وذكر الأستاذ جلال الدين محمّد الدواني[٣] في آخر رسالة خلق الأعمال قال: «ويكفي في تحقيق هذه المرتبة الكلمات الخمس المأثورة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جواب كميل بن زياد[٤] صاحب سرّه، وقابل جوده وبرِّه. وأراد بالكلمات

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: العلم، باب: حفظ العلم، ١٢٠.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، باب: كميل بن زياد بن نهيك، ٥٠ / ٢٥٤.

(٣) جلال الدين محمّد بن أسعد الصدّيقيّ الدوّانيّ. قاضي فارس، ولد بها ومات. باحث، يعدّ من الفلاسفة، له مؤلّفات كثيرة، منها: الأربعون السلطانيّة. إثبات الواجب. أنموذج العلوم. وحاشية على شرح القوشجي. وتعريف العلم ت ٩٠٧، قيل غير ذلك. ورد الدوّاني في المخطوط في [١٩٣/ ب] و[٤٤٢/ ب].

(٤) كميل بن زياد بن نهيك النخعي، تابعي، كوفيّ ،صاحب علي رضي الله عنه، وكاتم سرّه، شهد معه صفيناً، كان شريفاً مطاعاً شيعيّاً متعبّداً. روى الحديث مقلًا عن: عثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي =

الخمس المذكورة ماهي مشهورة بين الصوفيّة. وقد أفرد بعضهم بالشرح عن كميل أنّه سأل علياً: ما الحقيقة؟

قال: ما لك والحقيقة؟! قال: أولستُ صاحبَ سرّك؟! قال: بلى؛ ولكن يترشّح عليك ما ينضح عنِّي. فقال: أو مثلك يخيِّب سائلاً. فقال: كشف سبحات الجلال من غير إشارة فقال: زدني بياناً. فقال محو الموهوم مع صحو المعلوم. فقال زدني بياناً. فقال: هتك الستر بغلبة السرّ. فقال زدني بياناً. فقال: جذب الأحديّة لصفة التوحيد. فقال زدني بياناً. فقال: نور يشرق من صبح الأزل، فتلوح علي في هياكل التوحيد آثاره. فقال: زدني بياناً. فقال: أطفئ السراج فقد طلع الصباح».

وقوله: أو ينشدوا شعر زين العابدين[1] رضي الله عنه، هو ما ذكرناه من قوله: «يا ربّ جوهر علم لو أبوح به»...إلخ. وأمّا قصّة موسى فهي ما وقع له مع الخضر فيما قصّه الله تعالى علينا في القرآن العظيم. ومما يؤيّد ذلك أيضاً ما ذكر في «الرياض النضرة» للمحب الطبريّ. قال: عن عمر رضي الله عنه قال: كنت أدخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو وأبو بكر يتكلّمان في علم التوحيد، فأجلس بينهما كأنّي زنجي لا أعلم ما يقولان[2]. قال الملا إبراهيم الكورانيّ المدني في شرح «التحفة المرسلة» بعد نقله كلام الإمام عمر رضي الله عنه هذا. وهو عمر المشهود له على لسان

=

هريرة، وثّقه ابن سعد، و ابن معين، والعجلي، وذكره ابن حبّان في المجروحين. قتله الحجاج لاشتراكه بمقتل عثمان رضي الله عنه، انظر الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر،٢/ ١٩ وتذكرة الحفّاظ للذهبي ١/ ١١، وميزان الاعتدال للذهبي ١/ ١٩٨.

(١) زين العابدين: رابع الأئمّة الاثني عشر عند الإماميّة، وأحد من كان يُضرب به المثل في الحلم والورع، يقال له الأصغر تمييزاً له عن أخيه الأكبر الذي استشهد في كربلاء مع أبيه الحسين رضي الله عنه، ولد في المدينة وتوفي فيها (٣٨-٩٤)هـ أحصي عدد من كان يقوتهم سراً بعد موته فكانوا مئة بيت حتى قيل: ما فقدنا صدقة السرّ إلّا بعد موت زين العابدين، انظر الأعلام للزركلي٤/ ٢٧٧.

(٢) لم نعثر عليه في مصادرنا..

الصادق صلّى الله عليه وسلّم بقوله: «لو كان بعدي نبيّ لكان عمر»[1] وبقوله: «إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه»[2] وبأنه من المحدَّثين، بفتح الدال. وبأنّه أعطاه في الرؤيا فضلة من اللبن المؤول بالعلم. وأنّه لمّا مات قال ابن مسعود: رضي الله عنه: «مات تسعة أعشار العلم»[3].. إلى آخر عبارته.

وقوله (**وفي الإشارة**): أي من غير تصريح بما لا يفهمه إلّا ذوق عند أهل العرفان المتحقِّقين بحقائق الأكوان. وقوله (**معنى ما العبارة حَدَّتِ**): بفتح الحاء وتشديد الدّال المهملة مفتوحة وكسر التاء للقافية. قال في الصحاح: « الحَدّ: الحاجز بين الشيئين، وحدّ الشيء: منتهاه. تقول: حددت الدار أحدُّها حدّاً، والتحديد مثله. والحدّ: المنع. ومنه قيل للبواب: حدّاد. والمعنى: إنّ في الإشارة معنى/ [١٩٤/ أ] الأمر الذي تحدّه العبارة، أي: تعرفه فتمنع دخول غيره فيه من الحدّ، وهو التعريف. يُقال: حدَّ الشيء الفلاني كذا وكذا، أي: العبارة التي تعرّفك به هي كذا وكذا. وهو معنى اصطلاحي للحدّ، ومعناه اللغوي ما ذكرنا؛ فإنّ الإشارة تفيده ما تفيده العبارة، كما قيل: وفي الإشارة ما يغني عن الكلم؛ بل ربّما تفيد العبارة ما لا يريده المتكلِّم، فتكسب الخسارة، ورحم الله تعالى الشيخ العارف نجم الدين بن إسرائيل الدمشقيّ الشيبانيّ الحريريّ في قوله من ديوانه:

معاني أشعار الفحول صحيحة ... وإنْ كان في ألفاظها بعض ما فيها
فلا تحتجب عنها برؤية لفظها ... فتحرم ما أملت عليك معانيها

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: ومن مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، ٤٤٧٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، ٩٤٥١. كما أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، ٤٤٧٦، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب: ٢، ٨٨١٠، عن عبد الله بن مسعود بلفظ: «قال عبد الله: إنّي لأحسب عمر قد رفع معه يوم مات تسعة أعشار العلم، وإنّي لأحسب علم عمر لو وضع في كفّة الميزان وعلم من بعده لرجح عليهم».

٣٩٧- وَمَبْـدَأٌ إبْـدَاهَا الْلَّـذَانِ تَـسَبَّبَا إِلَى فُرْقَتِـي وَالْجَمْـعُ يَـأْبَى تَـشَتُّتِي

(ومبدأ)[1]: بفتح الميم وضمّها، أي: ابتداء. قال في القاموس: « وكان ذلك في بَدْأَتِنَا، مثلّثة الباء، وفي بَدَأَتِنَا محرَّكة، وفي مَبْدَئِنَا؛ يعني: بفتح الميم، ومُبْدِئِنَا بضمّها ومَبْدَآتِنَا». وقوله (إبداها): أي إظهارها، يقال: أَبْدَاهُ إبْدَاءاً: أظهره. قال في المصباح: «بَدَا يَبْدُو بُدُوّاً: ظهر، فهو بادٍ. ويتعدّى بالهمزة فيقال: أَبْدَيْتُهُ». والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. يعني: كان ابتداء إظهارها لنفسها من حين تجلّياتها بصور الأكوان عند المحقّقين، وذلك هو عين إظهارها لما عداها من العوالم عند الغافلين عنها، المحجوبين بأنفسهم عن نفسها.

وقوله (اللذان): تثنية الذي، المشار إليهما باللّاحي والواشي فيما تقدّم، أي: هما الأمران اللذان، وهو خبر المبتدأ الذي هو مبدأ، فإنّ قوله: (مبدأ) إشارة إلى الوجود الحقّ. و (الإبداء): إشارة إلى العلم الإلهيّ القديم، وهما اللذان تسببا. أو (المبدأ): إشارة إلى الوحدة الذاتيّة. والإبداء: إشارة إلى الكثرة الصفاتيّة الأسمائيّة. وقوله (تسببا): بألف التثنية، صلة اللذان، أي: كانا سبباً. وقوله (إلى فرقتي): متعلّق بـ تسببا. و(الفُرقة): بضمّ الفاء، يقال: افترق القوم، والاسم الفُرقة بالضمّ، كذا في المصباح. وهو مقام الفرق الذي يظهر فيه العبد مع جملة الأكوان، ويغيب فيه الربّ. وقوله (الجمع): مصدر جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعاً، وهو المقام الذي يظهر فيه الربّ وحده، ويغيب فيه العبد مع جملة الأكوان فلا يبقى لهم عين ولا أثر، وفيه ورد الحديث «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»[2] وهما ضدّان لا يجتمعان: ربٌّ وعبد. وهما مضافان، لا يكون أحدهما بدون الآخر. فإذا كان الظهور للعبد والعوالم كان الربّ غيباً عنهم لا بدّ منه، كما ورد «أنا بدّك اللازم الذي لا بدّ لك منّي... إلى

(١) ورد على هامش المخطوط قول التناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه».
(٢) انظر تخريجه ص١٤٦.

أين تفرّ عنّي»[1] وإذا كان الظهور للربّ، كان العبد والعوالم غيباً عنه فهو غيب، وهي غيوب. قال تعالى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [٥/ المائدة/ ١٠٩] كما قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣] لا بدّ من ذلك؛ إذ لا يصحّ نفي المخلوق، لأنّه ثابت وإنْ كان معدوماً. والوجود للربّ تعالى وحده لا شريك له فيه.

وقوله (**يأبى**): مضارع أبى، قال في المصباح: «أَبَى الرجل يأبى إباءً بالكسر والمدّ، وإباءة: امتنع». وقوله (**تَشَتُّتِي**): أي افتراقي، وهو مصدر تَشَتَّتَ، قال في المصباح: «شَتَّ شَتّاً من باب ضرب: إذا افترق. والاسم الشّتات». يعني: أنّ مقام الجمع يمتنع عن مقام الفرق، فتثبت فيه العوالم كلّها من غير وجود، وهي الأعيان الثابتة بالعلم الإلهيّ غير المجهولة، كما تقرر في كتب علم الكلام.

٣٩٨- هُمَا مَعَنَا فِي بَاطِنِ الجَمْعِ وَاحِدٌ وَأَرْبَعَةٌ فِي ظَاهِرِ الفَرْقِ عُدَّتِ

(**هما**): أي المبدأ والإبداء اللذان تسببا إلى الفرق، ومقام الجمع يأبى الفرق، كما ذكر في البيت قبله. وقوله (**مَعَنَا**): بفتح العين المهملة، أي: معي ومع أمثالي من العارفين، ومع المحبوبة الحقيقيّة أيضاً. وقوله (**في باطن الجمع**): أي في مقام الجمع الذي هو باطن الأمر الإلهيّ. أي: في مقام الجمع بالنظر إليه من حيث الشهود المشترك في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ/ [١٩٤/ ب] قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨].

وقوله (**واحد**): أي هما أمر واحد لا تعدد فيه؛ فإنّ الوحدة الوجوديّة الذاتيّة في باطن الأمر هي عين الكثرة العلميّة الصفاتيّة الأسمائيّة. ثمّ قال: (**وأربعة**): أي هما أربعة أيضاً، أي: أمور أربعة في (**ظاهر الفَرْق**): بفتح الفاء وسكون الراء وبالقاف. وقوله (**عُدَّتِ**): بضمّ العين المهملة وتشديد الدّال المهملة مفتوحة وكسر التاء للقافية، أي: عَدَّها العَادُّون، فإنّ تلك الوحدة المذكورة لمّا كانت عين الكثرة في باطن

---

(١) انظر تخريجه ص٣٥٢.

الجمع كانت أربعة في ظاهر الفرق بظهور آثار تلك الكثرة الصفاتيّة الأسمائيّة.

والأربعة هي أصول الصفات والأسماء الإلهيّة التي هي المُظْهِرة لجميع عوالم الإمكان، وهي صفة الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة في غيب الذات الإلهيّة، فإذا ظهرت بآثارها، فهي الاسم الحيّ، والعالم، والمريد، والقادر، وبقيّة الصفات والأسماء فروع عن هذه الأربعة في الغيب وفي الشهادة. وقد يشير بهذه الأربعة إلى اللاحي، والواشي، ونفسه، والمحبوبة.

٣٩٩- وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَذَاتٌ وَمَنْ وَشَى بِهَا وَثَنَى عَنْهَا صِفَاتٌ تَبَدَّتِ

(وإنّي): أي من حيث معلوميتي الجامعة لجميع تأثيرات الكثرة الصفاتيّة الأسمائيّة. وقوله (وإيّاها): أي المحبوبة الحقيقيّة من حيث عالميتها بي، المستغرقة لجميع آثار كثرتها الصفاتيّة الأسمائيّة المذكورة. وقوله (لَذَاتٌ): اللام موطئة للقسم المقدّر. وذات خبر إنّ. وهذا مقام الاتّحاد المشار إليه فيما سبق. ولا يكون إلّا بعد التحقّق بمقام الفناء، بحيث ترجع المعلومات إلى عالمها، والمرادات إلى مريدها، والمقدورات إلى القادر عليها. وهكذا فتنمحي الآثار الكونيّة في وجود مؤثّرها الحقّ، وينكشف ذلك للعبد السالك في نفسه وفي غيره، ويظهر له أنّ الأمر كذلك في حقيقته، وإنّما كان مغلوباً بالأوهام، منبهماً عليه أشدّ الانبهام.

وقوله (ومن وشى بها): أي بالمحبوبة الحقيقيّة، أي نقل إليّ أوصافها، ونقل إليها أوصافي، ومن هنا قال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٥] الآية. وقوله (وثنَى): أي أمال عنها، أي: عن المحبوبة الحقيقيّة. يعني: أراد أن يميلني ويثنيني عن محبّتها، وهو اللاحي العذول، وهو من قوله تعالى: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨] وقوله (صفات): جمع صفة، وهي الحضرات المتنوّعة المختلفة الكامنة في غيب الوحدة الذاتيّة الوجوديّة. وقوله (تبدّت): بتشديد الدّال المهملة، أي: من حيث أنّها ظهرت بآثارها، فهي الأسماء الإلهيّة الحسنى التي ظهرت بها الأكوان، وتفصلت بها الأعيان، فإنّ منها أسماء جمال جاذبة، وأسماء

جلال مانعة سالبة. فالجاذبة هي الجاذبة من الجانبين: جانب وحدة الذات لجانب كثرة الصفات والأسماء، وجانب كثرة الصفات والأسماء الإلهيّة لجانب وحدة الذات، وهي الواشي، يشي أخبار الوحدة للكثرة، وأخبار الكثرة للوحدة. والمانعة السالبة هي المانعة التي تسعى في سلب الوحدة عن الكثرة، وسلب الكثرة عن الوحدة، وهي اللاحي الذي يلوم الوحدة في محبّة الكثرة، والتوجّه عليها، واقتضائها، ويلوم الكثرة في محبّة الوحدة، والتوجّه عليها، واقتضائها كالواحد المطلق في مراتب الأعداد التي لا نهاية لها؛ فإنّ للواحد المطلق سرياناً فيها مع أنّه عينها، وهي عينه، فإنّ الثاني واحد، والثالث واحد، والرابع واحد، والخامس واحد، وكذلك السادس واحد، والسابع والثامن إلى ما لا نهاية له من الأعداد.

فالواحد هو الجاذب لهذه المراتب العدديّة المتوجّهة عليها المقتضي لها لضرورة ظهوره بها، وهي أيضاً جاذبة له، ومتوجّهة عليه، ومقتضية له لقيامها به، بحيث لو زال منها بطلت كلّها/ [١٩٥/ ب] ومراتب الأعداد مانعة للواحد من حيث اسمها الخاص الملقّب بالثنائيّة والثلاثيّة والرباعيّة والخماسيّة والسداسيّة، ونحو ذلك. وسالبة له من حيث اسمه الواحد، والواحد أيضاً مانع للكثرة من حيث الواحديّة التي هي عدم السبق بالغير، وعدم اللّحوق به، إذ لا يكون الواحد إلّا واحداً، وسالباً للكثرة عنه. والكثرة كذلك مانعة للواحد من حيث سبقها بالغير، ولحوقها به، وسلب الواحديّة عنها من حيث هو واحد: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [١٦/ النحل/ ٦٠].

٤٠٠ - فَذَا مُظْهِرٌ لِلرُّوحِ هَادٍ لِأُفْقِهَا شُهُوداً غَدَا فِي صِيْغَةٍ مَعْنَوِيَّةِ

(فذا): اسم إشارة إلى الواشي بها، وهو أسماء الجمال الجاذبة كما ذكرنا. وقوله **(مُظْهِر)**: بصغة اسم الفاعل، أي: كاشف ومبيّن. **(للروح)**: الأمري المنفوخ منه في الأجسام الإنسانيّة؛ فإنّ الروح منبعث عن الأمر الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر من تجلّي أسماء الجمال الإلهيّ والرحمة التي وسعت كلّ شيء. وقوله **(هادٍ)**: أي موصل.

(لأفقها): أي أفق الروح. والأفق بضمّ الهمزة وسكون الفاء، وبالقاف، أي: الناحية. يعني: ناحية الروح، وناحيتها أمر ربّها التي هي منه، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وهو تجلّي الأسماء الجماليّة، كما ذكرنا.

وقوله (شهوداً): أي من جهة الشهود، وهو المعاينة. وقوله (غدا): بالغين المعجمة والدّال المهملة. والضمير يرجع إلى الشهود، قال في المصباح: «غَدَا غُدُوّاً، من باب قَعَدَ: ذهب غُدْوَةً: وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس». وقوله (في صيغة): بالصاد المهملة والياء المثنّاة التحتيّة والغين المعجمة والهاء، وهي الخِلْقَة، قال في المصباح: «صِبغَةُ الله خِلْقَتُه. والصِيْغَة: العمل والتقدير. وصيغة القول كذا، أي: مثاله وصورته، على التشبيه بالعمل والتقدير.

وقوله (معنويّة): صفة الصيغة، أي: ليست صيغة الروح حسيّة؛ وإنّما هي معنويّة منسوبة إلى المعنى من كمال لطافتها، وهي مشابهة للصورة المحسوسة المنفوخة فيه. وتلك الصورة هي التي أوجبت كون ذلك الشهود. (غدا): أي دخل في وقت الغدوة قبل طلوع الشمس لاحتجابها عن شهود الأمر الإلهيّ بتلك الصيغة المعنويّة التي هي كناية عن النفخ الأمري المتعيّن بالجزئيّة.

٤٠١- وَذَا مُظْهِرٌ لِلنَّفْسِ حَادٍ لِرِفْقِهَا   وُجُوداً غَدَا فِي صِبْغَةٍ صُورِيَّةِ

(وذا): اسم إشارة إلى اللّاحي الذي يُثني عنها وهو أسماء الجلال المانعة السالبة كما قدّمنا. وقوله (مُظْهِرٌ): بصيغة اسم الفاعل، أي: كاشف ومبيّن أيضاً. وإنّما قلنا كاشف ومبيِّن؛ لأنّ الكلّ مقدّر مقضي به في الأزل، حاضر في حضرة العلم القديم، والغيب المطلق. وإنّما يحتاج إلى كشف النور الحقّ عنه، وبيانه لنا. وقوله (للنفس): أي النفس الكليّة المنصبغة بلون كلّ جزئيّة، وليست غير الروح الأمريّة إلاّ باعتبار التلوين بالصبغة المذكورة. وقوله (حاد): بالحاء بالمهملة بعدها ألف ودال مهملة، من حَدَا يَحْدُو، قال في المصباح: «حَدَوْتُ بالإبل أَحْدُو حَدْواً: حَثَثْتُهَا على السير بالحُدَاء، مثل غراب: وهو الغِنَاء لها. وحَدَوْتُه على كذا: بَعَثْتُه عليه». يعني: يحث

النفس على الوصول. (لِرِفْقِها): بكسر الراء وسكون الفاء وبالقاف، قال في القاموس: «الرِّفْق بالكسر ما أستُعين به، واللُّطف. رَفِقَ به وعليه مثلّثة رفقاً وَمَرْفَقاً». وفي الصحاح: «الرِّفْقُ ضدّ العنف، وقد رَفَقَ به يَرْفُق. وحكى أبو زيد رَفَقْتُ به وأَرْفَقْتُهُ بمعنى. وكذلك تَرَفَّقْتُ به. ويقال أيضاً: أرفقته أي نفعته». وفي القاموس: «رَفَقَ فلاناً: نَفَعَهُ كأَرْفَقَهُ، والرِّفْق: اللُّطف، وحُسْنُ/[١٩٥/ب] الصَّنِيع». وكونه حادياً أي: سابقاً بصفة الكلام المنتظم، وهو الغِناء المطرب من قوله تعالى للشيء: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] وبه يحصل الرفق واللطف وحسن الصنيع، وبه يستعان في الأمور كلّها. وقوله (وجوداً): تمييز، أي: من جهة الوجود الحقّ، الشامل لكلّ شيء بطريق السماع من قوله: ﴿كُن﴾. فإنّها كلمة وجوديّة، أمر بالإيجاد. ومثلها قوله ﴿ فَيَكُونُ ﴾: أي فيوجد عند سماع القول الحقّ، والله يُسمع من يشاء، والذي قال تعالى عنه: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ﴾ [١٩/ مريم/ ٣٤] لأنّه كان من أولي الأمر الإلهي المعبّر عنه بكن؛ فإنّه من غلبة الأمر الإلهيّ عليه كان روحاً منه مجرّداً، فقال عنه تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [٤/ النساء/ ١٧١] والروح من أمر الله بحكم قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥].

وقوله (عَدَا): بفتح العين المهملة وفتح الدّال المهملة، يقال: عَدَا يَعْدُو عَدْواً: أسرع. وضمير عَدَا يرجع إلى الوجود، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقوله (في صبغة): بكسر الصاد المهملة وسكون الباء الموحّدة وفتح الغين المعجمة وبالهاء، قال في المصباح: «الصِبْغ بكسر الصاد. والصِّبْغَة والصِّبَاغ أيضاً كلّه بمعنى، وهو ما يُصْبَغ به. وصَبَغْتُ الثوبَ صَبْغاً من بابي نَفَعَ وقَتَلَ، وفي لغة من باب ضَرَبَ». والجار والمجرور متعلّق بعدا؛ يعني: أسرع ظهوراً في صبغة، أي: في لون من الألوان، كقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٣٧] يعني: إنّ ذلك الوجود مصبوغ بصبغة النفس. أو النفس مصبوغة بصبغة الوجود، وكذا كلّ شيء. قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [٢/ البقرة/ ١٣٨] وقوله (صُورِيَّة): بضمّ الصاد المهملة

وفتح الواو وبالراء وياء النسبة إلى الصُوَر جمع صُوْرَة، قال في القاموس: «الصُوْرَةُ، بالضمّ الشَّكْل، وجمعها صُوَرٌ وصِوَر. وتستعمل الصُورة بمعنى النوع والصِفة».

وذكر شيخي زاده[1] في حاشيته على تفسير البيضاوي في سورة عمّ يتساءلون، قال: «والنفخ في الصور إمّا بمعنى نفخ الأرواح في أجساد الموتى، فيكون الصُور جمع صُوْرَة، نحو بُسْرَة وبُسْر. وإمّا بمعنى نفخ إسرافيل عليه السلام في القِرن. فالصور حينئذ مفرد معناه القِرن الذي ينفخ فيه للبعث: «انتهى. وإذا كان مفرداً بمعنى القِرن فلا مانع أن يكون هو القول الأوّل؛ فإنّه ورد أنّ لكلّ روح محلًّا فيه، وهو صورتها الجسمانيّة، فإنّ للكثرة صُوْرة مفردة، قال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [٣١/ لقمان/ ٢٨] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [٤/ النساء/ ١].

وقال الراغب في مفرداته: «الصورة ما تنتقش به الأعيان، وتتميّز بها من غيرها، وذلك ضربان: أحدهما محسوس تدركها الخاصّة والعامّة؛ بل يدركها الإنسان، وكثير من الحيوانات، كصورة الإنسان والحمار والفرس بالمعاينة. والثاني: معقول تدركها الخاصّة دون العامّة، كالصورة التي اختصّ الإنسان بها من العقل والرويّة، والمعاني التي خُص بها شيء دون شيء. وإلى الصورتين أشار بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١١] وقال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٤] وقال تعالى: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [٨٢/ الانفطار/ ٨] وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [٣/ آل عمران/ ٦] ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣] وقد قيل: هو مثل قَرْن ينفخ فيه فيجعل الله تعالى ذلك سبباً لعَوْد الصُوَر والأرواح إلى

---

(١) عبد الرحمن بن محمّد بن سليمان و المعروف: بشيخي زاده. فقيه حنفيّ مفسِّر من أهل كليبولي بتركيا. من قضاة الجيش له: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ونظم الفرائد في مسائل الخلاف بين الماتريديّة والأشعريّة. توفي١٠٧٨هـ. انظر الأعلام للزركلي٢/ ٢٢٢.

أجسادها. وروي في الخبر أنّ الصُور فيه صُورَة الناس كلِّهم.

٤٠٢ - وَمَنْ عَرَفَ الأَشْكَالَ مِثْلِيَ لَمْ يَشُبْهُ شِرْكُ هُدَىً[1] فِي رَفْعِ أَشْكَالِ شُبْهَةِ

(ومن عرف): أي تحقّق بذوق، وكشف، ووجدان؛ لا بمجرد التعقّل، والحفظ، والتخيل، والتفهّم. وقوله **(الأشْكَال)**: بفتح الهمزة، جمع شَكْل، بفتح الشين المعجمة وسكون الكاف وباللام، قال في المصباح: «الشَكْل: المَثَل، يقال: هذا شَكْل هذا». والمراد هنا الصور الحسنة والمعنويّة/[١٩٦/أ] وهي جميع العوالم الجسمانيّة والروحانيّة والخياليّة والعقليّة والوهميّة؛ بل كلّ ما خلق الله تعالى، فإنّ ذلك كلّه صور مختلفة. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [٥٩/الحشر/٢٤] فجميع الصور له تعالى تخليقاً وتصويراً ولا صورة له تعالى من حيث هو بحكم قوله سبحانه: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/النمل/٩٢].

وإنّما ضرّ الغافلين المحجوبين في ابتداء إدراكهم للأشياء حين كانوا أطفالاً صغاراً أفاقوا على الدنيا، وعلى أنفسهم وغيرهم، فأدركوا أنّ الصور والأشكال على خلاف ما هي عليه في أنفسها بلا تحقّق ذوقيّ، ولا كشف عرفانيّ. ثمّ لم يزالوا يكبرون إلى أنْ بلغوا وصاروا رجالاً، وإدراكهم الأوّل الذي أدركوه في أوّل ما أفاقوا على الدنيا هو إدراكهم للعوالم كلّها، وقد تمكّنوا فيه بكثرة تكراره على نفوسهم، وتمرّنوا عليه. ومعلوم أنّ الطفل الصغير في أوّل شعوره بنفسه وبغيره لا يشعر إلّا بحسب استعداده وطبعه، فيرسخ في ذلك، ويتمرّن عليه، ثمّ إذا كبر وبلغ الحلم، وتعلّم العلوم المبنيَّة على مثل ذلك يكون بالنسبة إلى العارفين المحقّقين لا يعرف شيئاً من الأشياء التي خلقها الله تعالى أصلاً، لا لنفسه، ولا لغيره، فيبني على ذلك عقائده وأعماله وجميع أحواله الشرعيّة والعاديّة، وينطبع على ذلك حتى يلهمه الله تعالى الرياضة الشرعيّة بالتقوى، وفهم كلام الله تعالى، وكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالفهم المستند عنده إلى الله تعالى على وجه

---

(١) في (ق): هوىً.

الإخلاص إن فعل الله تعالى به ذلك، وتفضّل عليه، وألهمه رشده؛ فعند ذلك تنفتح بصيرته بنور الهداية والتوفيق، ويدرك الأشياء على ما هي عليه بإذعان منه وتحقّيق. فهنالك يعرف ربّه، وينال قربه. وإلّا فهو من: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٤].

وقوله (مثلي): أي مثل معرفتي بها على ما هي عليه؛ فإنّ معرفة الآثار موصلة إلى معرفة المؤثر. وأمّا الاشتغال بها، والانهماك فيها بلا معرفة به فهو الطمس للبصائر، والعمى للقلوب والضمائر. وقوله (لم يَشُبْه): أي لم يخالطه، قال في المصباح: «شَابَهُ شَوْباً من باب قال: خَلَطَهُ، مثل: شَوْبِ اللبنِ بالماء، فهو مَشُوبٌ». وقوله (شِرْك هدىً): نكّر الهدى للتعظيم، وهو الشرك الخفيّ الذي لم يخلص منه العالِم بأحكام الشريعة والطريقة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»[1]. وقال الشيخ أرسلان الدمشقيّ قدّس الله سرّه «كلّك شرك خفيّ. ولا يسلم من ذلك إلّا أهل الحقيقة العارفون المحقّقون». وللعفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه في مطلع قصيدة له:

إلى ذلــك المعنــى مــآلي ومرجعــي   وشركي الـذي أدّى إلى وحـدتي معـي

وقوله (في رفع): أي إزالة متعلّق بِيَشُبْهُ. وقوله (**لإشكال**): بكسر الهمزة من أشكل الأمر، أي: التبس. فالإشكال: الالتباس. وقوله (**شُبْهَة**): من اشْتَبَهَتِ الأمور وتَشَابَهَتْ: الْتَبَسَتْ فلم تتميَّز، ولم تظهر. ومنه: اشْتَبَهَتِ القِبْلَةُ ونحوُها. والشُبْهَةُ في العقيدة: المَأخذ المُلْبِس. سُمِّيَت شُبْهَةً لأنّها تُشبه الحقّ، كما في المصباح. فإنّ من عرف المخلوقات كيف صدرت عن الخالق وتحقّق بما أرشده الحقّ تعالى إليه بقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [٨٨/ الغاشية/ ١٧-٢٠] عرف العوالم كلّها التي ما في خلقها من تفاوت، وزال عنه كلّ الالتباس وكلّ شبهة/ [١٩٦/ ب].

---

(١) انظر تخريجه ص٦٨٧.

٤٠٣ - فَذاتِي بِاللَّذَّاتِ خَصَّتْ عَوَالِمِي بِمَجْمُوعِهَا إمْدَادَ جَمْعٍ وَعَمَّتِ

(فذاتي): وهي حقيقة صورتي المحسوسة والمعنويّة التي أنا مصوّر بها، وأنا صورتها الفانية فيها. الظاهرة بها، وبوجودها وبجودها، المشار إليها بقول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

حقيقتي هِمْتُ بها وما رآها بصري

ولو رآها لغدا قتيل ذاك الحَوَرِ

وقوله (باللّذات): جمع لذّة، من لَذَّ الشيءُ يَلَذُّ، من باب تعب، لَذَاذاً ولَذَاذَة بالفتح: صار شهياً. واللَذّة بالفتح :الاسم. والجمع لَذّات، كذا في المصباح. واللَذات حَظُّ الأرواح، كما أنّ الشهوات حظّ النفوس والأشباح، كما ورد في حديث الجامع الصغير للسيوطي: «كان صلّى الله عليه وسلّم يعجبه النظر إلى الخضرة والماء الجاري»[1]. وقال شارحه المناوي: الظاهر إنْ المراد بالخضرة الشجر والزرع الأخضر بقرينة قوله: والماء الجاري، أي: كان يحبّ مجرّد النظر إليهما، ويَلتذّ به، فليس إعجابه بهما ليأكل الخضرة، أو يشرب الماء، أو لينال منهما حظّاً سوى نفس الرؤية. قال الغزاليّ: «ففيه إنّ المحبّة قد تكون لذات الشي، لا لأجل قضاء الشهوة منه، وقضاء الشهوة لذّة أخرى. والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار المليحة والألوان الحسنة، حتى إنّ الإنسان ليتفرّج عنه الهمّ والغمّ بالنظر إليها، لا لطلب حظّ وراء النظر. ويؤيّد هذا ما ورد في حديث الجامع المذكور أيضاً، قال صلّى الله عليه وسلّم قال: «ثلاث يُجلِّين البصر: النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن»[2]، وقال الشارح المناوي: «(يُجلين) بضمّ أوّله وتشديد

---

(١) أخرجه ابن السنيّ في الطبّ النبويّ، وقال: قال ابن عبّاس: ثلاث يجلين البصر: النظر إلى الخضرة، والماء الجاري، والوجه الحسن. كما أخرجه الطبراني في المعجم الصغير،٧١٠٤. وذكره الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء،٣٧٣٨. وقال إسناده ضعيف.

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير، ٤٣٨٦.

اللام (النظر) إلى الخضرة، أي: إلى الزرع الأخضر، او الشجر، أو إلى كلّ أخضر. وإلى الماء الجاري. خرج به الراكد كبركة. وإلى الوجه الحسن عند ذوي الطباع السليمة والسلائق المستقيمة. ويحتمل عند الناظر. وقوله (**خصّت**): أي ذاتيّ. وقوله (**عوالمي**): مفعول خَصَّتْ، جمع عالَم بفتح اللام، وهو الخلق. وقيل يختصّ بمن يعقل، كذا في المصباح. وإنّما جمع لاختلاف أنواعه عالم الجماد، ومنه عظامه ولحمه، وعالم النبات. ومنه شعره وظفره. وعالم الحيوان، ومنه أعضاؤه، وعالم الإنسان، ومنه نفسه، وعالم الملائكة الأرضية، ومنه قواه المنبثّة، وشياطينه، وهم وساوسه وأوهامه، وعالم الملائكة العلويّة، وهم أفهامه وإلهاماته، ووارداته، وعقله، وقلبه، وروحه، وكلّ هذه العوالم متّصلة بعضها ببعض في الإنسان الصغير والإنسان الكبير. ولمّا كانت الذات ذاته كانت العوالم عوالمه، كما قال الغوث البغدادي قدّس الله سرّه:

وحَباني الربّ المهيمن خلعة فالأرض أرضي والسماء سمائي

وهي خلعة الأسماء والصفات التي بها ظهر كلّ شيء كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٢٩] وقال صلّى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»[1]...إلخ وقوله (**بمجموعها**): متعلّق بخصّت. والضمير راجع إلى اللَذات، أي: بمجموع الذات، أي: جميعها، أو الجار والمجرور، متعلّق بواجب الحذف حال من عوالمي، أي: حال كونها مجموعة. وقوله (**إمداداً**): بالجر بدل من اللَذات، بدل كلّ، أو بدل اشتمال. و(الإمداد): مصدر أمدّه: زاده معونة ونصرة، وقال الراغب: «أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب. والمدّ في المكروه، نحو: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [٥٢/ الطور/ ٢٢] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾/ [٢٣/ المؤمنون/ ٥٥] ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [٧١/ نوح/ ١٢] ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

﴿ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٢٥] ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾ [١٩/ مريم/ ٧٩] ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٥] ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢٠٢] وقوله (**إمداد**): جمع، بالإضافة إلى إمداد في مقام الجمع، خلاف مقام الفرق. والجمع اتّحاد الكلّ في حقيقة الوجود الحقّ بالوجود الحقّ: شهوداً ووجداناً. وقوله (**وعمّتِ**): بفتح العين المهملة وتشديد الميم وكسر التاء للقافية، معطوف على خَصَّتْ، أي: شملت عوالمي كلّها باللَّذّات التي هي إمداد الجمع في كلّ نَفَسٍ من الأنْفَاس.

٤٠٤- وَجَادَت وَلَا اسْتِعْدَادَ كَسْبٍ بِفَيْضِهَا   وَقَبْلَ التَهَيِّي لِلْقَبُوْلِ اسْتَعَدَّتِ

(**وجادت**): أي ذاتي التي هي عين الوجود المحض المطلق بالإطلاق الحقيقيّ، حتى عن الإطلاق المقابل للقيود كلّها، قال في المصباح: «جَادَ الرجلُ يَجُودُ من باب قال، جُوداً بالضمّ: تكرّم. وجاد بالمال: بَذَلَهُ». وقوله (**ولا استعداد كسب**): الواو للحال. والجملة في محل نصب على الحال من فاعل جادت، تقديره جادت في حال عدم استعداد كسب لما جادت به لأحد، فضلاً عن وجود قابل لوجودها، فإنّ نور قرص الشمس مثلاً فائض من حين طلوع الشمس، لا ينقصه شيء أصلاً، فإذا فرضنا أنّه لم تقابله الأرض، ولا الجبال، ولا شيء مطلقاً لا يلزم من ذلك قصور فيه، ولا نقص له ثم إذا فرضنا شيئاً من الأشياء قابله بعد ذلك ظهور الفيض منه على ذلك الشيء والفيض على ما هو عليه من قبل لم يحدث بحدوث مقابلة الشيء ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

وقوله (**بفيضها**): متعلّق بجادت. والضمير يرجع إلى فاعل جادت، وهو قوله في البيت السابق (**فذاتيّ**). والفيض: مصدر فاض الماء يَفِيْضُ فَيْضاً كثر حتى سال كالوادي، وفاض صدرُه بالسرّ: باح»، كذا في القاموس. فإنّ الجواد الكريم سبحانه وتعالى جوده وكرمه فيّاض أزلاً وأبداً، سواء وجد مُفاضاً عليه، أو لم يوجد؛ لأنّ ذلك صفة لذاته كبقية صفاته القديمة، الأزليّة الأبديّة، غير معللة

بعلل، ولا متوقفة على أثر من الآثار إلّا من حيث تعلقنا، وظهور ذلك لنا؛ فإنّ الجواد الكريم عند عقولنا، ومن حيث ظهوره لنا لا يكون أصلاً إلّا إذا وجد من يجود له، ويتكرّم عليه. وكذلك قادر ولا مقدور، ومريد ولا مراد، ونحو ذلك لا يكون عندنا. ومن حيث ظهوره لنا بلا مظهر أصلاً. وأمّا من حيث ذاته تعالى وتبارك؛ فهو متّصف بالصفات، وسُمِّي بالأسماء، وإنْ لم يكن من يقبل آثار ذلك، وإنْ لم يكن أيضاً استعداد في شيء لقبول آثار ذلك كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٣/آل عمران/ ٩٧] الموجودين والمعدومين، وعن استعداداتهم أيضاً. فضلاً عن وجودهم. وهذا الغناء المطلق له تعالى من حيث ذاته تعالى الموصوفة بالصفات المسمّاة بالأسماء، لا من حيث اعتبار صفاته تعالى، واعتبار أسمائه عزّ وجلّ من حيث هي صفات وأسماء، فإنّ صفاته وأسماءه تعالى من هذا الوجه باعتبار تعلقنا بذلك، وباعتبار ظهور ذلك لنا، فإنّ بين صفاته وأسمائه، والآثار الصادرة عنه تعالى نسبة التضايف؛ فلا يكون علم بلا معلوم، ولا معلوم بلا علم. وكذلك لا مقدور بلا قدرة وبالعكس. وهكذا إلى آخر الصفات والأسماء المعلومة لنا، الظاهرة عندنا والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

وقوله (وقبل التهيي): أي تهيُّيء العوالم كلّها، أي: صلاحيّة كلّ شيء. قال القاموس: هَيَّأَهُ تَهْيِئَةً وتَهْيِيئاً: أصلحه. وفي المصباح: «تَهَيَّأْتُ للشيء: أخذت له أُهْبَتَه، وتَفَرَّغْتُ له. وهَيَّأْتُه للأمر: أعْدَدْتُه فتَهَيَّأ». وقوله (للقبول): أي قبول الفيض المذكور بأن يظهر عليها فتظهر به، فإنّ فيض الوجود الصرف الحقّ الحقيقيّ إذا ظهر على الأعيان الثابتة في حضرة علمه أظهر تلك الأعيان على/ [١٩٧/ ب] حسب ما هي عليه في حضرة العلم من التقدّم والتأخّر، والزيادة والنقصان، والتغيُّر والتبدّل. كما تظهر الأشياء على ما هي عليه بظهور النور عليها. وقوله (استعدّت): بكسر التاء للقافية. والضمير يعود على ما يعود عليه جادت، وهو قوله في البيت قبله (فذاتي). يعني: استعدّت ذاتي للفيض المذكور قبل اكتساب

العوالم منها في حضرة العلم استعدادها الذي تهيّأت به لقبول فيض الوجود الحقّ عليها نوره الحقّ الذي هو كناية عن الإيجاد بالأمر المعبَّر عنه بكن فيكون؛ فإنّ الفيض الإلهيّ على قسمين: فيض أقدس وهو الذي أعطي المعلومات في حضرة العلم الإلهيّ أزلاً، وأوهبها الاستعداد لقبول فيضه عليها، وهيأها لذلك. وفيض مقدّس وهو الذي أوجد الأعيان كلّها على حسب ما هيّ عليه وأوجدها عند أنفسها، وأخرجها من ثبوتها في حضرة العلم الإلهيّ إلى وجودها في الحسّ والعقل. والأوّل هو الفيض الذاتي، والثاني هو الفيض الأسمائي الصفاتي.

٤٠٥- فَبِالنَّفْسِ أَشْبَاحُ الوُجُودِ تَنَعَّمَتْ وَبِالرُوحِ أَرْوَاحُ الشُّهُودِ تَهَنَّتِ

(**فبالنفس**): الفاء تفريعيّة عمّا قبله، وهذا تفصيل لتلك اللّذّات التي خصّت عوالمه وعمّتهم، كما مرّ في البيت السابق. ولمّا كانت (**النفْس**): بسكون الفاء، ظاهرة عن الأسماء الجلاليّة الإلهيّة كما قدّمناه. أخبر هنا بأنّ العالم الجسماني بسببها مُتنعِّم بما هو مُتنعَّم به نعيم جلال ممزوج بجمال روحانيّ. وقوله (**أشباح**): جمع شَبَح بفتح الشين المعجمة وفتح الباء الموحّدة وبالحاء المهملة، قال في القاموس: «الشَبَح، محرّكة: الشَخْص، وَيُسَكَّن. وجمعُه أشْبَاح وشُبُوح». وفي الصحاح : «الشبح الشَخْصُ . وقد يُسَكَّن». وإضافة الأشباح إلى الوجود إنْ أُريد به الوجود الحقّ القديم، فهو من قبيل إضافة العبد إليه في قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [٧٢/الجن/١٩]. وإضافة الناقة في قوله: ناقة الله ، وأرض الله ، وخلق الله. وإن أريد به الوجود المحسوس، والمعقول المنسوب عند الحسّ والعقل لكلّ شيء فإضافة الأشباح إليه ظاهرة المعنى.

وقوله (**تنعّمت**): أي الأشباح المذكورة بأنواع شهواتها في الدنيا والآخرة، والبرزخ بينهما. وقوله (**بالروح**): الذي هو من أمر الله ظاهر عن الأسماء الجماليّة الإلهيّة كما ذكرنا سابقاً. وقوله (**أرواح الشهود**): أي المشاهدة والمعاينة للوجود الحقّ الذي قام به كلّ شيء وهو الظاهر بكلّ شيء. والظاهر به كلّ شيء، وهو مع

كلّ شيء فانٍ، ولا شيء معه؛ إذ كلّ شيء هالك إلّا هو. وقوله (تهنّتِ): بتشديد النون، وكسر التاء للقافية. والضمير راجع إلى أرواح الشهود. قال في القاموس: «الهَنِيءُ والمَهْنَأُ: ما أتاك بلا مَشَقّةٍ. وقد هَنِئَ وهَنُؤ هَنَاءَة. وهَنَأَنِي وهَنَّأَ لي الطعام، وهو هَنِيْءٌ: سائغ». وفي الصحاح: «التَّهْنِئَة خلاف التعزية، تقول: هَنَّأْتُه بالولاية تَهْنِئَة وتَهْنِيْئاً». وفي المصباح: «هَنُؤ الشيء بالضمّ مع الهمز، هَنَاءَة بالفتح والمدّ: تَيَسَّر من غير مشقّة، ولا عَنَاءٍ فهو هَنِيء، ويجوز [الإبدال] والإدغام. وهَنَأَنِي الولد يَهْنَؤُنِي مهموز، من باب نفع وضرب، أي: سَرَّنِي. وتقول العرب في الدعاء: لِيَهْنِئْك الولدُ بهمزة ساكنة وبإبدالها ياء، وحذفها عامّي».

٤٠٦- فَحَالِي[1] شُهُوْدِي بَيْنَ سَاعٍ لِأُفْقِه وَلَاحٍ مُـرَاعٍ رِفْقَـهُ بِالنَّـصِيْحَةِ

(فحالي شهودي): بفاء التفريع على ما قبله، أي: حال مشاهدتي ومعاينتي للوجود الحقّ المشهود لكلّ أحد، عرفه أم لم يعرفه، آمن به أو جحده، ومن كفره، أي: مَنْ سَتَرَه، فعليه ستره لا على الحقّ سبحانه، أي: فكره مردود عليه فهو الذي/ [١٩٨/ أ] ستر الحقّ عن نفسه بنفسه. وقوله (بين ساعٍ): أي خبر المبتدأ الذي هو حال شهودي. يعني: إنّ حاله في شهوده الوجود الحقّ متردد بين حالتين: حا[لة] روحانيّة لروحه المنفوخ فيه عن أمر الله تعالى، وهو دائماً ساعٍ، من سعى به إلى الو[الي] وَشَى به، كذا في المصباح. وهو الواشي المتقدِّم ذكره من صفات الجمال الإلهيّ.

وقوله (لأُفْقِهِ): بضمّ الهمزة وسكون الفاء وبالقاف، أي: جهته العلويّة، وناحيته العليّة. والضمير للساعي. وقوله (ولاح): معطوف على ساع، وهي الحالة الثانية النفسانيّة لنفسه الإنسانيّة المدبِّرة لصورته الجسمانيّة. و(اللاحي): من لَحَيْتُ الرجلَ أَلْحَاهُ لَحْياً: إذا لُمْتُه، كذا في الصحاح. وهو صفات الجلال الإلهيّ كما سبق بيانه. وقوله (مراع): من المراعاة، يقال: راعيت الأمرَ: نظرت في عاقبته، وراعيته: لاحظته. كذا في المصباح. وقوله (رِفقة): بكسر الراء، مفعول مراعٍ. والضمير

(١) في (ق): وحالُ.

يعود على قوله لاح. والرِفْقُ: ضدّ العنف، وهو اللطف، وحسن الصُنع كما مرّ.

وقوله (**بالنصيحة**): متعلّق برفقة. والمعنى: إنّ حاله في شهود الحقّ تعالى لا يختلف عليه في عالم الجمع الروحانيّ، وفي عالم الفرق النفسانيّ، من قبيل قول العارف عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

إلى ذلك المغنى مآلي ومرجعي ... وشركي الذي أدّى إلى وحدتي معي
تصرفت في ملكي بملكي فلم أدع ... مكانة إمكان ولا وضع موضع
وأسرعت إسراع المشوق إلى الحمى ... بسائر أنواع الوجود المنوّع
وقامت بذاتي معنوياتي التي ... بقائي بها في حال مرئي ومسمع

فتارة يغلب عليه عالم روحانيّته فينجذب إلى حضرة الغيب بأسماء الجلال الإلهيّ، فيشهد الوجود الحقّ بالوجود الحقّ، وتارة يغلب عليه عالم نفسانيّته؛ فينجذب إلى حضرة الشهادة بأسماء الجلال الإلهيّ، فيشهد الكثرة العلميّة في الآثار الإمكانيّة والأحوال الكيانيّة، ولا يغيب عن الوجود الحقّ. فإمّا أنْ يشهد الكثرة في الوحدة، وهو الحال الأوّل، أو يشهد الوحدة في الكثرة، وهو الحال الثاني. وتارة يبقى بين الكثرة والوحدة مضطرب الحال، لم يغلب عليه واحد منهما لضيق المجال مع سعة الحضرة في مقام الكمال.

٤٠٧ - شَهِيْدٌ بَحَالِي فِي السَّمَاعِ لِجَاذِبِي ... فَضَاءٌ مَقَرِّي أَوْ مَمَرُّ قَضِيَّتِي

(**شهيد**): مبتدأ. وقوله (**بحالي**): متعلّق به، أي بحال شهودي المذكور في البيت قبله. وجاء الابتداء بالنكرة لتخصيصها بكونها عاملة ـ في محل الجار والمجرور ـ النصبَ، نحو: أمرٌ بمعروف صدقة؛ إذْ الظرف منصوب المحلّ بالمصدر ذكره ابن هشام في المغني. و(**شهيد**): بمعنى شاهد. قال في المصباح: «شَهِدَ بكذا شَهَادَة؛ إنّما تعدّى بالباء لأنّه بمعنى أخبر به؛ ولهذا قال بن فارس: الشهادة الإخبار بما قدّ شوهد» أي: يشهد بحالي الذي تقدّم في البيت قبله، وهو حال الشهود المتردد بين صفات الجمال، وصفات الجلال، بشهود الوحدة الإلهيّة، والكثرة الخليقة كما مرّ. وقوله (في

السماع): الجار والمجرور في محل نصب على أنّه حال من قوله حالي، أي: حال كون حالي كائناً في السماع. و(السماع): مصدر سَمِع يَسْمَع سَمَاعَاً. والذِكْرُ المَسْمُوع، ويكون للواحد والجمع، كذا في القاموس. وفي المصباح: «والسَّماع اسم منه»؛ والمراد به هنا الذِكْرَ المَسْمُوع، وهو الأصوات الحسنة المطربة، والألحان الطيِّبة المعجبة، والنغمات الرائقة بالآلات الفائقة. وقوله (لجاذبي): أي لأجل الذي يجذبني إليه، قال في القاموس: «جَذَبَهُ يَجْذِبُهُ: مَدَّهُ، كاجْتَذَبَهُ، وجَذَبَ الشيءَ: حَرَّكَه عن موضعه».

وقوله (فَضاء): بفتح الفاء والضاد المعجمة/[١٩٨/ب] والمدّ، قال في القاموس: «فَضَا المكانُ فَضَاءً وفُضُوّاً: اتسع، وبالمدّ الساحة، وما اتسع من الأرض». وهو خبر المبتدأ، أو فاعل شهيد، سدَّ مسدَّ الخبر على رأي من يُجَوِّزُه، قال في المغني لابن هشام في مسوِّغات الابتداء بنكرة «وأنْ تكون عاملة إمّا رفعاً نحو: قائم الزيدان عند مَنْ أجازه». وقوله (مقرِّي): أي موضع قراري، وهو حضرات الأسماء الجماليّة؛ فإنّها موضع قرار روحي، لأنّه منشأ الأرواح كلّها من عالم الجمال الربّانيّ.

وقوله (أو ممر): موضع مرور(قضيّتي): بتشديد الياء التحتيّة، أي: مقضيَّتِي قال الراغب: «كلّ قول مقطوع به من قولك هو كذا، وليس بكذا يقال له: قضيّة. ومن هنا يقال: قضيّة عادلة، وقضيّة كاذبة». والمعنى: ما تمرّ عليه قضيَّتي، أي: تعرض، ويتكرر عروضها لديه، وهو حضرات الأسماء الجلاليّة، فإنّ منشأ النفوس بأجمعها من عالم الجلال الرحماني، ولهذا تجذبها الأسماء الجلاليّة إليها عند سماع المحرّك المطرب والمبيّن المعرب، فإنّ نغمات الألحان تذكر الأرواح عهد الجمال المطلق المنتشئة منه، فتضرب الجسد بقواها لتخرج منه، فتردّها العوارض النفسانيّة لانبعاثها عن الأسماء الجلاليّة وانتشائها منها؛ ولهذا يرقص الجسم عند السماع، ويتواجد ويضطرب على حسب حاله؛ فالقاصر الحال تكثر حركاته ارتفاعاً وانخفاضاً، وكلّما كمل حاله قلَّت حركاته في السماع لقرّة عينه بكمال حضوره حتّى

ترجع حركاته روحانيّة أمريّة، كما قيل للجنيد قدّس سرّه: ما لنا نراك لا تضطرب في السماع؟!. فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [٢٧/ النمل/ ٨٨] . فمعنى البيت الذي يشهد بصدق حالي في وقت حضور السماع، وكوني أضطرب فيه باطناً وظاهراً هو سعة مَقَرِّي الروحانيّ لإطلاق عالم الأرواح، أو موضع مرور نفسي من سعة العلم الإلهيّ لقوّة جاذبي الروحانيّ للجمال المطلق.

٤٠٨ - وَيُثْبِتُ نَفْيَ الالْتِبَاسِ تَطَابُقُ الْـ ـمِثَالَيْنِ بِـالخُمْسِ الحَـوَاسِ المُبِينَـةِ

(ويثبت): بضمّ الياء التحيّة، أي: يحقّق عندي. وقوله **(نفي الالتباس)**: مفعول يثبت، وهو مصدر التبس الأمر: أشكل. وقوله **(تطابق المثالين)**: فاعل يثبت. وأشار بالمثالين إلى روحه ونفسه، فإنّها مثالان عنده لحضرة الذات الإلهيّة، وحضرت الصفات والأسماء الربّانيّة، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٨] وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ـ وهو عالم الأرواح ـ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٧] وهو عالم النفوس. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [٢٢/ الحج/ ٧٣] فتطابق عالم الروح لحضرة الذات الإلهيّة من جهة إطلاق عالم الأرواح عن قيود الجسمانيّة، والحدود النفسانيّة، وخروجها عن عالم الطبيعة بالكليّة فهي مثال للحضرة الإلهيّة على التنزيه التام، وتطابق النفس لحضرة الصفات والأسماء الإلهيّة من جهة اختلاف أحوالها، وكثرة أطوارها، وسرعة تقلّباتها في الأمور، ونحو ذلك في معنى التطابق ممّا لا يدرك إلّا ذوقاً. وقوله **(بالخمس)**: متعلّق بـ يثبت. و**(الحواس)**: بدل من الخمس، وهي السمع، والبصر، والذوق، والشمّ، واللمس. وقوله **(المُبِينَة)**: بصيغة اسم الفاعل، أي: الكاشفة، فإنّ المثالين المذكورين هما المشهودان من حضرة الذات، وحضرة الأسماء والصفات؛ لأنّهما صورتان صورتهما الذات لنفسها بواسطة أسمائها وصفاتها، فمن عرف نفسه عرف ربّه. والروح لا تعرف، كما أنّ الذات لا تعرف. والنفس تعرف، كما أنّ الأسماء والصفات تعرف. وما في الوجود غير الوجود

الحقّ، وهو الذات، وأسماؤه وصفاته، والمثالان المذكوران، فمن تحقّق بإزالة الوهم فذهب عنه ما لم يكن، وظهر/ [١٩٩/ أ] له ما لم يزل. وثبت ذلك عنده بالسمع، فكان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، إلى أخر الخمس الحواس المذكورة. فيصير الحقّ تعالى محسوساً عنده بعدما كان معقولاً. وتصير المخلوقات كلّها معقولة عنده بعدما كانت محسوسة. وهو قلب الحال كما قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٢١] ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [٥/ المائدة/ ١٨] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥]، وهي الآخرة؛ فإنّها حقّ كلّها. ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٥].

٤٠٩ - وَبَيْنَ يَدَيْ مَرْمَايَ دُوْنَكَ سِرَّ مَا تَلَقَّتْهُ مِنْهَا النَّفْسُ سِرّاً فَأَلْقَتِ

(**وبين يدي**): تثنية يد، أصله يدين، فحذفت النون لإضافته إلى (مرمايَ): بفتح الياء التحتيّة، أي: موضع رميي بهمّتي، وهو مقصودي. وقوله (**دونك**): اسم فعل بمعنى خذ. وقوله (سِرَّ): مفعول دونك، أي: خذ سرّ، قال في المصباح: «السِرُّ ما يُكتم، وهو خلاف الإعلان:. وقوله (**ما**): أي الذي (**تلقّته**): بتشديد القاف، قال في الصحاح: «تلقّاه، أي: استقبله. وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ [٢٤/ النور/ ١٥] أي: يأخذه بعض عن بعض. وقوله (**منها**): الضمير يعود على النفس، وإنْ عاد على متأخّر لفظاً فإنّه متقدّم رتبة، لأنّه فاعل تلقّته. والمعنى: إنْ النفس تلقت منها بعد كشف حجاب التوهّم للغيريّة، وزوال غفلة الثنويّة، الأمر الذي تلقّته كما قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [٣٥/ النجم/ ١٠] فأظهر عبده، وأضمر نفسه، فخذ يا أيّها المريد هذا الأمر الحاضر بين يدي مقصودي، وهو سرّ ما ألقته نفسي إلى نفسي. وقوله (سرّاً): لا جهراً. يعني: بطريق الإسرار دون الإجهار، قال في المصباح: «أَسررتُ الحديثَ إسراراً: أخفيته». وقوله (**فألقت**): بكسر التاء للقافية، أي: فألقته على غيرها، وقد أشار تعالى إلى هذا السرّ الذي تلقّته النفس منها على غيرها من المريدين الصادقين بقول سبحانه : ﴿وَلَوْ

جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] فإنّ الجعل يقع على الصور، وما في خلق الرحمن من تفاوت، والرسول من جنس المرسل إليهم. قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٩٥]. ثمّ قال تعالى: ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] فإنّه من لَبَسْتُ الأمرَ لَبْساً، من باب ضرب: خَلَطْتُه، يكون لَبَسَهُم عين لَبْسِه عليهم. واللَّبْسُ إنّما هو واقع في الصور لا في العين الواحدة، قال سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥]. يعني: لا هو في لبس لاستحالته عليه.

٤١٠ - إذَا لَاحَ مَعْنَى الحُسْنِ فِيْ أيِّ صُوْرَةٍ   وَنَـاحَ(١) مُعَنَّـى الحُـزْنَ فِي آيِ سُـوْرَةِ

٤١١ - يُشَاهِدُهَا فِكْرِي بِطَرْفِ تَخَيُّلِي   وَيَسْمَعُهَا ذِكْـرِي بِمِـسْمَعِ فِطْنَتِـي

(إذا لاح): أي ظهر. وقوله (معنى الحسن): هو الجمال الحقيقيّ، فإنّه معنى الحسن الظاهر، أي: من ورائه محيط به، كالمعنى من وراء اللفظ محيط به. وقوله (في أي صورة): يعني سواء كانت صورة إنسان أو غيره من ملاح الكون. وقوله (وناح): أي صاح بعويل. يقال: ناحت الحمامة نَوْحاً. وأصل النَّوْح اجتماع النساء في المَنَاحَة، وهو من التَّنَاوُح، أي: التقابل. يقال جبلان يَتَنَاوَحَان، ورِيْحَان يتناوحان ذكره الراغب في مفرداته. وقوله (مُعَنّى): بتشديد النون، اسم مفعول من العَنَاء، وهو المشقّة، قال في المصباح: «عَنِيَ يَعْنَى، من باب تَعِب: إذا أصابه مشقة. ويُعَدَّى بالتضعيف فيقال: عَنَّاهُ يُعَنِّيهِ: إذا كَلَّفَه ما يَشُقُّ عليه». و(الحُزن): بضمّ الحاء المهملة خلاف السرور. وقوله (في آي سورة): الآيُ بالمدّ جمع آية، وتجمع على آيات. والسُّورة بالضمّ جملة من الآيات القرآنيّة. والمعنى: إنّه كلّما ظهر له المعنى الجمالي الإلهيّ في حسن ملاح الكون من إنسان وغيره، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال صلّى الله عليه وسلم: «إنّ الله

(١) في (ق): وناح.

كتب الإحسان على كلّ شيء»[1] الحديث. فآي هنا لإفادة العموم، قال في المصباح/ [١٩٩/ ب]»: وقد تقتضي العموم لقرينة نحو: أيُّ صلاة وقعت بغير طهارةٍ وجب قضاؤها «وكذلك متى بكى وناح صاحب العشق الإلهيّ عند تلاوة آيات كلام الله القديم».

(**يشاهدها**): أي المحبوبة الحقيقيّة، وهو جواب إذا، والمشاهدة هي المعاينة. وقوله (**فكري**): أي قوتي المفكرة، وقال في المصباح: «الفِكْرُ، بالكسر: تردد القلب بالنظر والتدّبر لطلب المعاني». وقوله (**بطَرْفِ**): متعلّق بـ يشاهدها. و(**الطَرْفُ**): بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وبالفاء، قال في المصباح: «طَرْف العين نَظَرُها، ويُطْلَق على الواحد وغيره، لأنّه مصدر».

وقوله (**تَخَيُّلي**): مصدر تَخَيَّلَ، بالتشديد، قال في الصحاح: «تَخَيَّلَ له أنّه كذا، أي: تَشَبَّه وتَخَايَل، يُقال: تَخَيَّلْتُهُ فتَخَيَّل لي، كما يقال: تصوَّرتُه فتصوّر، وتَبَيَّنْتُهُ فتبَيَّنَ وتحَقَّقْتُهُ فتَحَقَّقَ. وقال الراغب في مفرداته: «الخيال أصله الصورة المجرّدة كالصورة المتصوّرة في المنام. وفي المرآة بُعَيْد غيبوبة المَرئي. ثمّ يستعمل في صورة كلّ أمر متصوّر، وفي كلّ شخص دقيق يجري مجرى الخيال. والتخييل: تصوير خيال الشيء في النفس، والتخيّل: تصوّر ذلك». فالمعنى إنّ كلّ ما يخطر في فكري من تخيلات المعاني كلّ ذلك تجلّيات المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة المنزّهة العليّة؛ فأنا أشاهدها في جميع ذلك. وقوله (**ويسمعها**): أي يسمع المحبوبة الحقيقيّة. يعني: يسمع كلامها القديم الذي ليس بحرف حادث، ولا صوت حادث. وقوله (**ذكري**): هو فاعل يسمعها، قال الراغب في مفرداته: «الذِكْرُ: تارة يُقال ويُراد به هيئة للنفس، بها يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة. وهو كالحفظ، إلّا أنّ الحفظ يُقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال باعتبار استحضاره. وتارة يقال لحضور الشيء في القلب، أو القول، ولذا قيل الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر

---

(١) انظر تخريجه ص٥٥٦.

باللسان، وكلّ منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان؛ بل عن إدامة الحفظ. ولذا قال الجنيد قدس سرّه:

ذكرتك لا أنّي نسيتك ساعة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني

وهو المعنى المراد هنا. يعني: إنّ دوام حفظي وتذكري لها يسمع كلامها. وقوله (**بِمِسْمَعِ فِطْنَتِي**): متعلّق بـ يسمعها، والمِسْمَع بكسر الميم الأولى وسكون السين المهملة، بمعنى السمع، وهو قوّة في الأُذُن، بها تدرك الأصوات. ذكره الراغب. وفي المصباح: «طَرَقَ الكلامُ السَّمْعَ والمِسمَع بكسر الأوّل، والجمع: أسماع ومَسَامِع». وقد أضاف المِسمع إلى قوله (**فطنة**): وهي العلم والحِذْق، قال في المصباح: «يقال: رجل فَطِن بخصومته، عالم بوجوهها: حاذق».

٤١٢- وَيُحْضِرُهَا لِلْنَفْسِ وَهْمِي تَصَوُّرَاً فَيَحْسَبُهَا فِي الحِسِّ فَهْمِي نَدِيْمَتِي

(**ويُحضرها**): بضمّ الياء التحتيّة، أي: المحبوبة الحقيقيّة، من أَحضرَ الشيء، يُقال: حَضَر حُضُوراً: ضدّ غاب. وقوله (**للنفس**): أي لأجل نفسي، فإنّ النفس صورة وهمِيَّة حاصلة بقوّة روحانيّة، فلا تعرف إلّا مثلها، ولا تألف إلّا شكلها. وقوله (**وهْمِي**): فاعل حضرها، قال في المصباح: «وَهَمْتُ إلى الشيء وَهْماً، من باب وَعَد: سَبَقَ القلبُ إليه مع إرادة غيره». وقوله (**تصوّراً**): أي من جهة تصوّري لها، فما لا صورة له إذا صوّرته القوّة الواهمة للنفس لقصور الوهم، وضعف إدراك النفس لا يكون غير ما لا صورة له، كصغر النجم في عيون أهل الأرض من البعد، قال الشاعر:

كالنجم تستصغر الأبصار طلعته والذنب للطَرْف لا للنجم في الصغر

وقوله (**فيحسبها**): أي يظنّها. يعني: يحسب المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**في الحسّ**): بالكسر، أي: الشعور والإدراك. وقوله (**فهمي**): فاعل يحسبها. وقوله (**نديمتي**) مفعول ثان ليحسب، والأوّل الضمير، قال الشاعر/ [٢٠٠/ أ]:

يمثّلك الشوق الشديد لناظري فأطرق إجلالاً كأنك حاضر

(**ولا شك**): عندنا أنّ خالقنا ومصورنا ليس بمخلوق، ولا مُصوَّر، بفتح الواو. فإذا أحبّنا فتحبب إلينا بالنعم والتوفيق، وألهمنا شكره وذكره، لا نجده إلّا في تجلّيه بصورنا، يصوِّرها من عدم. فإذا عرفنا أنفسنا، وأنّنا تصويراته التي يصوِّرها لذاته تعالى فقد عرفناه كما قال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [٢٠/ طه/ ٤١] وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [٢١/ طه/ ٣٩] وجميع العوالم كلّها كذلك تصويرات صوّرها الحقّ تعالى لنفسه، فهو ظاهر بها، فمن عرفها عرف ربّه، ومن جهلها جهله. ولهذا أحالنا تعالى على أنفسنا بقوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١] وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [٨٨/ الغاشية/ ١٧] إلى آخره.

٤١٣- فَأَعْجَبُ مِنْ سُكْرِيْ بِغَيْرِ مُدَامَةٍ وَأَطْـرَبُ فِيْ سِرِّيْ وَمِنِّـيْ طِرْبَتِـي

(**فأعجب من سكري**): أي غيبتي عن ملاحظة أبناء جنسي والمجاراة معهم. وقوله (**بغير مدامة**): متعلّق بسكري. والمدامة اسم الخمر. وقوله (**وأطرب**): أي يأخذني الطرب. قال في المصباح: «طَرِبَ يَطْرَبُ طَرَباً فهو طَرِب، من باب تعب: وهو خِفَّة تصيبه لشدّة حزن أو سرور، والعامّة تخصّه بالسرور». وقوله (**في سرِّي**): أي باطني. وقوله (**ومنِّي**): أي من ذاتي لا من غيري. (**طِرْبَتِي**): بكسر الطاء المهملة: ما يطربك من شيء، كالطلبة: ما طلبته من شيء.

٤١٤- فَيَرْقُصُ قَلْبِي وَارْتِعَاش مَفَاصِلِي يُـصَفِّقُ كَالـشَّادِي وَرُوْحِـيَ قَيْنَتِـي

(**فيرقص قلبي**): أي يخفق ويضطرب، بسبب حضور المحبوبة الحقيقيّة، واستحضار عظمتها. وقوله (**وارتعاش**): مصدر ارتعش: أَخَذَتْهُ الرِعشة، وهي الرِعْدَة. وقوله (**مفاصلي**): جمع مفصل، قال في المصباح: «المَفْصِل وِزَان مسجِد: أحد مفاصل الأعضاء». وقوله (**يصفق**): بتشديد الفاء، قال في المصباح: «صَفَّقَ بيديه بالتثقيل». وفي الصحاح: «التَصْفيق باليد: التصويت بها». وقوله (**كالشادي**):

بالشين المعجمة والدال المهملة، قال في الصحاح: «الشادي الذي يشدو ـ أي: يسوق ـ شيئاً من الأدب، أي: يأخذ طرفاً منه، كأنّه ساقه وجمعه. وشَدَوْتَ: إذا أَنشدتَ بيتاً أو بيتين تمدّ به صوتك كالغناء. ويقال للمغني الشادي. وقد شدا شعراً أو غناء: إذا غنَّى به، أو ترنّم به». وقوله **(وروحي قينتي)**: بفتح القاف وسكون الياء التحتيّة، وفتح النون وبالهاء، قال في المصباح: «القَيْنَة: الأمة البيضاء، هكذا قيّده ابن السكِّيت، مغنيّة كانت أو غير مغنيّة. وقيل تختصّ بالمغنيّة».

٤١٥ - وَمَا بَرِحَتْ نَفْسِي تُقَوَّتْ بِالمُنَى   وَتَمْحُو القُوَى بِالضَّعْفِ حَتَّى تَقَوَّتِ

(وما برحت) قال في المصباح: «بَرِحَ الشيءُ يَبْرَحَ، من باب تَعِب، بَرَاحاً: زال من مكانه، وما بَرِحَ يفعل كذا بمعنى المواظبة والملازمة». وقوله (نفسي): اسم برحت، وخبرها قوله **(تقوّت)**: بتشديد الواو، مبني للمجهول من القُوت، وهو ما يؤكل ليُمسك الرمق، قاله ابن فارس والأزهري. وقَاتَه يَقُوتُه قَوْتاً من باب قال: عاله، وأعطاه قوتاً. واقتات به: أكله، وهو يتقوّت بالقليل. وقوله (بالمنى): متعلّق بـ تقوّت. والمنى مقصور، جمع مُنْيَة، مثل غُرْفة وغُرُف: اسم من تمنّيت،، كذا قيل مأخوذ من المَنَا كالعصا، وهو القَدَر، لأنّ صاحبه يُقَدِّر حصوله كما في المصباح». والمعنى: إنّ نفسه في ابتداء أمره كانت مواظبة، ولها ذمَّة ليتمنّى المقامات العالية في طريق الله تعالى كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله يحبّ معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسفها»[1] أخرجه الطبراني عن الحسين بن علي رضي الله عنهما. وقوله **(تمحو)** يقال: مَحَوْتَهُ مَحْواً من باب قتل، ومَحَيْتُهُ مَحْياً، من باب نَفَعَ، لغةٌ: أزلته. وانمحي الشيءُ: ذهب أثره، كذا في المصباح. وفاعل تمحو ضمير يعود إلى نفسي. وقوله **(القوى)**: جمع قوّة، مثل غرفة وغرف، وهي القوى الجسمانيّة الظاهرة،

---

(١) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ٢٨٢٥، عن الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، كما رواه في الأوسط ، ٣٠٥٥، عن سهل بن سعد الساعديّ.

والقوى النفسانيّة الباطنية ومحوها/[٢٠٠/ب] إزالة دعواها؛ لأنّها من أمر الله تعالى، لا مدخل لغيره في شيء منها، لا لغيره تعالى في شيء منها، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥].

وورد في أدعية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم؛ فالحول تحوّل النفوس، وهي القوى الباطنة، والقوّة هي الظاهرة في الأجسام. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أكثِرْ مِن قول لا حول ولا قوّة إلّا بالله؛ فإنّها من كنز الجنّة»[1] رواه الترمذي في الدعوات. وللعارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من قصيدة له:

ولولا انخرام الكلّ بالقوّة التي ... لإطلاقها في جمعهن قيود
لما عدم الموجود يوماً ولا امتحت ... رسوم بأنواع البلى وحدود
ولكنّها يأبى النهاية وصفها ... فليس لها في الدرّ قطّ جمود
ولو وقفت يوماً بحدٍّ لنا لها ... به عدم هيهات وهي وجود

ولنا في هذا المعنى قولنا:

من فرط قربك منّي ... ظننت أنّك أنّي
فقلت ما قلت جهلاً ... وذاك من سوء
وحين حقّقت أمري ... والوهم قد زال عنّي
تركت هذا وهذا ... ثمّ الفنا صار فنّي
وصرت عن عيب غيباً ... ما أقول أُكَنِّي
أنا الموحِّد ذوقاً ... فخلني يا مثنّي

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب الدعوات، باب: فضل لا حول ولا قوّة إلّا بالله، ٣٩٥٠.

وقوله (**بالضعف**): متعلّق بـ تمحو. والضَعف بفتح الضاد المعجمة في لغة تميم، وبضمّها في لغة قريش: خلاف القوّة والصحّة، كذا في المصباح. ومحو القوى بالضعف: التحقّق ذوقاً بأنّ القوّة لله جميعاً في الإنسان، وفي غيره من جميع المخلوقات على اختلاف أنواع القوى. وقوله (**حتّى تقوّتِ**): بتشديد الواو وكسر التاء للقافية، أي: صارت قويّة لرجوعها إلى أصلها من أمر الله؛ فإنّها لمّا خرجت بالدّعوى رجعت بالتسليم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٧] .

٤١٦ - هُنَاكَ وَجَدْتُ الكَائِنَاتِ تَحَالَفَتْ ... عَلَى أَنَّهَا وَالعَوْنُ مِنِّي مُعِيْنَتِي

(**هناك**): أي في مقام تحقُّقي بحقيقة نفسي؛ حيث محوت قواي بالضعف، فقويت نفسي بالقوّة الآمريّة الإلهيّة، كما مرّ في البيت السابق. وقوله (**وجدت**): أي كان ذلك وجداناً عندي لا تخيّلاً علمياً. وقوله (**الكائنات**): أي المخلوقات على اختلافها. وقوله (**تحالفت**): بالحاء المهملة، أي حالف بعضها بعضاً، بمعنى عاهد، قال في المصباح : «الحَليف المُعاهد، يقال منه: تحالفا: إذا تعاهدا، وتعاقدا على أنْ يكون أمرهما واحداً في النصرة والحماية. وبينهما حلف وحلفة بالكسر، أي: عهد. وقوله (**على أنّها**): أي الكائنات. والجار والمجرور متعلّق بتحالفت. وقوله (**والعَوْن**): أي الظهير على الأمر. والجمع أعوان، كذا في المصباح. وقال الراغب في مفرداته: «العون: المعاونة والمظاهرة، يقال: فلان عوني، أي: مُعيني»؛ والثاني هنا أنسب. وقوله (**مِنّي**): أي معونة الكائنات لي حاصلة منّي، وهي جملة معترضة بين اسم أنّ وخبرها لدفع توهّم الغيريّة. وقوله (**معينتي**): خبر أنّ. فالكائنات تعينني في تحصيل كلّ ما أريده منها. وفي نفس الأمر إنّما إعانتها لي حاصلة منّي فلا مغايرة بيننا؛ إذ الكل قائم بأمر الله.

٤١٧ - لِيَجْمَعَ شَمْلِي كُلُّ جَارِحَةٍ بِهَا   وَيَشْمَلَ جَمْعِي كُلُّ مَنْبَتِ شَعْرَةِ

(ليجمع شملي): تعليل لإعانة الكائنات له في البيت قبله، قال في المصباح: «شَمِلَهُم الأمرُ شَمَلاً من باب تَعِبَ: عَمَّهُم. وشَمَلَهم شُمُولاً من باب قَعَدَ، لغة. وأمر شامل: عام. وجمع الله شملهم: أي ما تفرّق من أمرهم». وقوله (كلّ جارحة): فاعل يجمع. والجارحة واحدة جوارح الإنسان: أعضاؤه التي يكتسب بها كذا في الصحاح. وقوله (بها)/ [٢٠١/ أ] أي بالمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ويشمل): أي يعمّ. وقوله (جمعي): فاعل. والجمع هنا ضدّ الفرق، وهو مقام شهود الأمر الإلهيّ قائماً على كلّ شيء. وقوله (كلّ): مفعول يشمل. وقوله (مَنْبِتِ): مضاف إليه، موضع نبات شعره. والمعنى يشملني كلّي، فلا يُبقي منّي محل نبات شعرة إلاّ وسرى فيه شهود الوحدة الأمريّة الإلهيّة.

٤١٨ - وَيُخْلَعُ فِيمَا بَيْنَنَا لَبْسُ بَيْنِنَا   عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَلْفِهِ غَيْرَ أُلْفَةِ

(ويخلع): بالبناء للمفعول، أي: ينزع. يقال: خلعتُ النعلَ وغيرَه خَلْعاً: نزعته، كذا في المصباح. وقوله (فيما بيننا): أي بيني وبين المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (لَبْس): بفتح اللام وسكون الباء الموحّدة وبالسين المهملة، مصدر لَبِسْت الأمر لَبْساً من باب ضَرَب: خلطته. ويقال : في الأمر لُبْس بالضمّ، أي: إشكال. لَبِسْتُ الثوبَ من باب تَعِبَ لُساً بضمّ اللام، كما في المصباح. ولَبْسُ مرفوع على أنّه نائب فاعل يخلع. وقوله (بيننا): أي بُعْدنا. قال في المصباح: «والبَيْنُ، بالفتح، من الأضداد، يطلق على الوصل وعلى الفرقة». فالمعنى على الأوّل: وينزع من بَيني وبَين المحبوبة الحقيقيّة التباس وصْلِنا، أي: اختلاطه وعدم انكشافه لي خالصاً، كحالة الغافلين المحجوبين، يعلمون أنّ الحقّ تعالى محيط بهم، وقائم على نفوسهم بما كسبت، ومالك سمعهم وأبصارهم، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد على مقتضى ما ورد في القرآن، وهم مؤمنون، به مصدِّقون؛ وهذا وصل لا فرقة. ومع ذلك قد التبس عليهم الأمر وأشكل، وزاد التباسهم حتي أنكروا على أهل الله ما هم متحقّقون به

من ذلك. والمعنى على الثاني: ظاهر؛ لأنّ مَن غبت عنه فقد فارقته وإنْ لم يغب هو عنك، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٧٥/ الحديد/ ٤]. وقوله (على أنني): أي تحقيقاً عندي أنني. (لم أَلْفِهِ): أي لم أجده، قال في المصباح: «أَلْفَيتُهُ يُصْلِّي بالألف: وجدته على تلك الحالة». والضمير في أَلْفِهِ يعود على لَبْس البين. وقوله (غيرَ): مفعول ثانٍ لأَلفه. والمفعول الأوّل الهاء. وقوله (أُلْفَةِ): بضمّ الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء، يقال أَلِفْتُهُ إلْفَاً، من باب عَلِمَ: أَنِسْتُ به، وأحببته. والاسم الأُلفة بالضمّ، والأُلْفَة أيضاً: اسم من الائتلاف، وهو الالتئام، والاجتماع». والمعنى: إنّ ذلك الالتباس تحقّقته من نفسي، فلم أجده غير أُلفة الإنسان، واستئناسه بحالة الالتباس، واعتياده عليها وانطباعه بها.

٤١٩- تَنَبَّهْ لِنَقْلِ الحِسِّ لِلْنَفْسِ رَاغِبَاً عَنْ الدَّرْسِ مَا أَبْدَتْ بِوَحْيِ البَدِيْهَةِ

(تنبّهْ)[1]: فعل أمر، أي: استيقظ من نوم الغفلة، والخطاب للسالك. وقوله (لنقل الحسّ): أي الإدراك بالحواس الخمس: السمع، والبصر، والشمّ، والذوق، واللمس؛ فإنّ ذلك يُنقل للنفس. والمراد بها النفس الناطقة، المسمّاة بالقلب. وقوله (راغباً): حال من فاعل تنبّه، أي: معرضاً. وقوله (عن الدرس): أي: عن التعلّم من المشايخ. أمّا تعلّم العلوم المغايرة لهذا العلم المنافرة له، المقتضية للتكبّر والإعجاب. أو تعلّم هذا العلم؛ فإنّ المعاني المدركة بالتعلّيم والتعلّم إذا كانت مجرّدة عن الوجدان والذوق لا تفيد شيئاً طائلاً للمتعلِّم؛ فإنّها في معرض الزوال بخلاف ما يدرك بالذوق والوجدان باطناً، أو بالحواس الخمس ظاهراً، فإنّه لا يمكن لأحد مخالفة ما يجده ويشاهده، ولو برهن من يخالفه بألف برهان. وهي جملة معترضة بين العامل ومعموله، تنفيراً للطالب السالك عن الاعتماد على تعلم علم الحقائق من المشايخ بدون وجدان وذوق، وإلّا فإنّ في حضور مجالس العارفين بربّهم، وفي سماع كلامهم

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه.

في علوم الحقائق من أفواههم ما لا يجحد من/[٢٠١/ب] الإفادات والفهوم، بخلاف السماع ممن ينقل عنهم، فإنّه كما قيل: وما آفة الآخبار إلّا رواتها. وهذا إذا وجد شيخاً منهم. وإذا لم يجد فمطالعة كتب الحقائق مع اعتقادهم هذا العلم وأهله من أهمّ المهمّات في الدين المحمّدي.

ولقد ذكر عبد الكريم الجيليّ قدّس الله سرّه في رسالته مراتب الوجود: «إنّ القوم المشار إليهم بهذا العلم رضي الله عنهم، إنّما أخذوا منه طرفاً، كلّ على قدر قابليّته، وقبول الفيض المقدّس والأقدس من حضرة التجلّي مع التأييد الإلهيّ، حتّى إنّهم مع دوام النفحات، وتواتر الخيرات لم يزالوا يطلبون العلم من بعضهم بعضاً، ويسيحون في الأرض للوقوع على رجل يفيدهم في مسألة طولاً وعرضاً»، ولهذا قال الجنيد رضي الله عنه: «لو علمت أنّ تحت أديم السماء علماً أشرف من علمنا هذا لرحلت إليه» تنبيهاً على شرف هذا العلم. وأنّه ممّا ينبغي للمريد أنْ يرحل إليه بل يجب عليه. وقال الشيخ أحمد الرفاعيّ(١) لتلاميذته: «تعلّموا هذا العلم فإنّ جذبات الحقّ قَلَّتْ في زماننا» يريد بالجذبات: المجذوبين؛ يعني: إنّ المجذوبين قليل في الزمان. وبسبب قلّتهم عدم تعرّض أهل الزمان لنفحات الرحمان. وإن شئت قلت عدم التخلّي لقبول فيض التجلّي. وقد يكون قصد الشيخ بقلّة الجذبات قلّة ظهورها على أهل الزمان، لا لكو قليلة في نفس الأمر بالنسبة إلى ما مضى من الأزمنة؛ لأنّ الله تعالى لم يزل متجليا بجميع تجلّياته، مفيضاً على خلقه بمقتضيات أسمائه وصفاته.

وقد بلغني أنّ شيخي الشيخ اسماعيل الجبرتي رضي الله عنه أنّه قال لبعض إخواني من تلامذته: «عليك بكتب الشيخ محيي الدّين بن عربي. فقال له التلميذ:

---

(١) أحمد الرفاعيّ: أبو العبّاس، ينتهي نسبه إلى الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم. صاحب الطريقة الرفاعيّة وأستاذها، كراماته مشهورة، ولد سنة ٥٠٠هـ وتوفي سنة ٥٧٨ ولم يبقَ على جسده من لحمه شيئاً، وكان قد أخبر أنّ الربّ وعده ألّا يعبر الدنيا وعليه شيء من لحمه. انظر طبقات الأولياء لابن الملقن.

يا سيّدي إنْ رأيت أصبر حتى يفتح الله عليّ من حيث الفيض. فقال الشيخ إنّ الذي تريد أن تصبر له هو عين ما ذكره الشيخ لك في هذه الكتب». هذا كلامهم رضي الله عنهم للتلامذة والإخوان إنّما هو لتقريب المسافة البعيدة إليهم، وتسهيل الطريق الصعب عليهم؛ لانّ المرء قد ينال بمسألة من مسائل علمنا هذا ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنة؛ وذلك لأنّ السالك إنّما ينال ثمرة سلوكه وعمله، والعلوم التي وضعها الكمّل من أهل الله تعالى هي ثمرة سلوكهم وأعمالهم الخالصة، فكم بين ثمرة عمل معلول إلى ثمرة عمل مخلص؛ بل علومهم من وراء ثمرات الأعمال؛ لأنّها بالفيض الإلهيّ الوارد عليهم على قدر وسع قوابلهم، وكمّ بين قابليّة الكامل من أهل الله وقابليّة المريد الطالب، فافهمْ. فإذا فَهِمَ المريد الطالب ما قصدوه من وضع المسألة في الكاتب وعلمُه استوى هو ومصنِّفُه في تلك المسألة؛ فنال بها هو ما نال بها المُصنِّف وصارت له ملكاً، مثل ما كانت للمُصنِّف، وهكذا كلّ مسألة من العلوم الموضوعة في الكتب، فإنّ الأخذ لها من الكتب إذا فهمها وميّزها يصير كالآخذ لها من المعدن الذي أخذ منه مصنّفها.

وما ورد عن بعض أهل الله تعالى من منع بعض التلامذة عن مطالعة كتب الحقيقة هو لإشرافه على قصور ذلك المريد عن فهم ما وضع في كتب الحقيقة؛ لأنّ قاصر الفهم لا يخلو إمّا أن يتأوّل كلامهم على خلاف ما أرادوه فيستعمل فيهلك. أو يضيع العمر في تصفح الكتب بلا فائدة. فنهي الشيخ لمثل هذا عن مطالعة هذه الكتب واجب ليشتغل بغيرها ممّا فيه نفعه. وأمّا من كان ذا عقل ذكيّ، وفهم وتمييز جليّ، وإيمان قويّ، يأخذ من كتبنا كلّ مأخذ، وينال منها كلّ مقصد، ولقد رأيت في زماننا هذا طائفة كثيرة من كلّ جنس من أجناس العرب والفرس والهند والترك وغير ذلك من الأجناس، كلّهم بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبالغ الرجال، ونالوا منها مقاصد الآمال. فمن أضاف بعد ذلك إلى علمه فضلة سلوك واجتهاد صادر من الكُمَّل. ومن وقف/[٢٠٢/أ] مع علمه كان من العارفين.

وسبب ذلك أنّ المسائل الموضوعة في كتب أهل الله إنّما تفيدك بالوضع علم التوحيد تصريحاً، وبالعبارة والإشارة عين التوحيد كناية وتلويحاً، وبضرب الأمثال تفيدك حقّ التوحيد رمزاً وتسنيحاً، فقد يكون بعض الكتب مسبوكاً على هذه الهيئات كلّها، فتدخل بك إلى عين اليقين، ثمّ ترقيك إلى حقّ اليقين إذا أعطيت نفسك لذلك العين على حكم ما ذكره المؤلّف. وإلّا فهو محلّك ومنتهاك. فإذا بلغت إلى حقّ اليقين انقطعت فائدة الكتب عنك، وهذا منتهى ما تبلغ بك الكتب إليه إنْ كنت شهماً، وحويت تمييزاً وفهماً.

فأمّا حقيقة اليقين فلا تستفاد من الكتب بنوع من الأنواع البتة، لأنّه في الأصل لا يدخل تحت الإفادة الكونيّة بحال؛ فهو أمر وهبيّ من فوق المدارك العلميّة والعينيّة والذوقيّة، يمنحه الله تعالى من يشاء من أهله. ولعلّك تقول إنْ كان لا بد من الانقطاع بعد فائدة الكتب في آخر الأمر فأنا أتركها في أوّل الأمر، وأرجع إلى ما ترجع إليه. فأقول لك: إنّ المراتب المشار إليها بعلم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين التي ذكرنا أنّها فائدة الكتب تكاد ألّا تصل إليها؛ بل إلى أقلّها باجتهادك العمر كلّه. فإنّي قد رأيت صبياناً من أهل الطريق من إخواني بلغوا بمطالعة هذه الكتب في الأيام القليلة ما لم تبلغه رجال باجتهاد أربعين أو خمسين سنة، على أ:. قد كانوا سبباً لدخول أولئك الصبيان إلى الطريق، ولكنّهم لمّا وقفوا مع سلوكه صار الصبيان شيوخاً في الحقيقة، والشيوخ لهم صبياناً حتّى أنشد منشدهم فقال:

وقد تبنّيت آبائي على ثقة ... ولا محالة أنّي جدّ كلّ أب

وهذا البيت لرجل من تلامذة شيخنا، لا نعلم له شيئاً من أعمال الطريق سوى مطالعته لكتب الحقائق، حتى بلغ من هذا العلم ما سبق به كثيراً من السابقين. واسمه أبو بكر بن محمّد الحكاك. له نظم كثير في علم الحقيقة. فمن وقف على ديوان شعره عرف مقداره. قال: «وإنّما أردت لك هذه الحكايات كلّها حتّى أفهّمك قدر هذا العلم وعلو شأنه، لترغب في تحصيل هذا الفنّ الشريف بمطالعة

هذه الكتب وممارستها، ومذاكرة أهلها حيث كانوا؛ فإنّ الرجل منهم قد يفيدك بكلمة ما لم تفيدك الكتب كلّها في العمر كلّه؛ لأنّك لا تأخذ من الكتاب إلّا بفهمك. والرجل العالم بالله إذا أرادك لفهم مسألة على ما هي عليه أعطاك فهمه فيها، وكم بيْنَ فَهْمِك وفَهْمِهِ، ولهذا كانت مطالعة كتب الحقيقة عند المحقّقين أفضل أعمال السالكين. ومجالسة أهل الله مع التأدّب معهم أفضل من مطالعة الكتب كلّها. فعليك ثمّ عليك بملازمة الشيوخ الهداة إلى الله تعالى. فإنْ لم تجدهم فعليك ثمّ عليك بملازمة المطالعة في كتب الحقائق، والعمل بمقتضى علومها، فإنّك تصل بذلك إلى مقصودك، وتقع به على معرفة معبودك إن شاء الله تعالى».

وإنّما ذكرنا عبارته هذه كلّها لاشتمالها على الفوائد، ولتكون بياناً لقول الناظم قدّس الله سرّه (**راغباً عن الدرس**): أي عن قراءة العلوم، ومدارستها، ومطالعتها، وفهمها، وحفظها، واستعمال العقل، والخيال فيها، والقناعة بذلك عن المقصود الأعظم من تدوين علوم الحقائق، وتصنيف الكتب في علم الحقيقة، ونظم الأشعار فيها، وتضمّن ذلك لمعاني الأسرار، والإشارة به إلى بيان تجلّيات الحقّ تعالى في الآفاق، وفي الأنفس حتّى يتبيّن للمريد الصادق أنّه الحقّ، ومدار ذلك كلّه على انعكاس حال الجاهل الغافل المحجوب؛ فإنّ الحقّ تعالى عنده مفقود مفهوم معلوم/[٢٠٢/ب] والمخلوقات عنده محسوسات محقّقات حاضرات مستحضرات في عقله وحواسه يغيب عن الحقّ تعالى كلّما غاب عن ذلك المعقول المفهوم له، المعلوم عنده في عقله وخياله. ويحضر تارة عنده كلّما استحضر ذلك المعنى المعقول المفهوم له، المعلوم عنده. وأمّا المخلوقات فإنّها محسوسات عنده، محقّقات مستحضرات لا تغيب عنه، ولا يغيب عنها، ورشد هذا الغافل المحجوب إذا ألهمه إياه ربّه، وفقهه في دين حقيقته كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين، ويلهمه رشده»[1] ليس يحصل له ذلك إلّا بانعكاس حاله عليه

(١) انظر تخريجه ص٧٩٣.

فيظهر له بإرشاد الله تعالى إياه أنّ ربّه الحقّ محسوس لديه، محقّق، حاضر، مستحضر، لا يغيب أصلاً عن عقله وحواسّه، وأنّ المخلوقات جميعها هي المعقولات المفهومات له، المتخيّلات في عقله وحواسّه، ومن هنا قال الشيخ أرسلان الدمشقي قدّس الله سرّه في رسالته المشهورة: «الناس تائهون عن الحقّ بالعقل». وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في فصوص الحكم: «الخلق معقول، والحقّ محسوس، مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود. وما عدا هذين الصنفين فالحقّ عندهم معقول، والخلق مشهود»... إلى آخر كلامه.

وقوله (ما): أي الذي، مفعول النقل، لأنّه مصدر. وقوله (**أبدت**): أي أظهرت. وعائد الموصول محذوف. أي: أبدته. وفاعل أبدت ضمير يعود إلى النفس، لأنّ الحسّ ينقل المعاني للنفس، والنفس تبدي ذلك، أي: تظهره باللسان، أو بحركات الأركان. وقوله (بوحي): متعلّق بأبدت. يعني: إبداؤها لذلك كان بسبب ما أوحي إليها من البديهة. فلولا إيحاء الحقّ تعالى إليها بطريق البديهة لما قدرت على إبداء ما نقل الحسّ إليها من ذلك.

٤٢٠- لِرُوحِي يُهْدِي ذِكْرُهَا الرَّوْحَ كُلَّمَا   سَرَتْ سَحَرَاً مِنْهَا شَمَالٌ وَهَبَّتِ

(**لرُوحي**): أي رُوحِي، بضمّ الراء، ولم يقل لنفسي؛ لأنّ النفس من المنافسة، وهو المنازعة، قال الراغب: «والمنافسة مجاهدة النفس للتشبّه بالأفضل واللحوق بهم من إدخال ضرر غيره. والعارف لا منازعة له منه، والروح من أمر الله ؛ فهو روح كلّه لا نفس، ولهذا قال: لروحي. وقوله (**يُهدي**): بضمّ الياء التحتيّة، قال في الصحاح: «الهديّة واحدة الهدايا، يقال: أهديت له وإليه. وقوله (**ذكرها**): مفعول يُهدي. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. و(**الذكر**): بمعنى التذكّر. قال في المصباح: «ذَكَرْتُه بلساني وبقلبي، ذِكْرَى بالتأنيث وكسر الذال. والاسم ذُكْر، بالضمّ. والكسر نصّ عليه جماعة، منهم أبو: عبيدة وابن قتيبة. وأنكر الفِرّاء الكسر في القلب، وقال: اجعلني على ذُكْرٍ منك، بالضمّ لا غير. ولهذا اقتصر عليه جماعة». وقوله (**الرَّوْح**):

فاعل يُهْدي، والرَوْحِ بفتح الراء نسيم الريح، كذا في القاموس. وفي المصباح: «والرِّيح: الهواء المسخَّر بين السماء والأرض. وأصلها الواو، ولكن قلبت بانكسار ما قبلها، والجمع أَرْواح ورِياح، والريح أربع: الشمال، وتأتي من ناحية الشام، وهي حارّة في الصيف بارحٌ. والجَنُوب: تقابلها، وهي الريح اليمانيّة. والثالثة الصَّبَا، وتأتي من مطلع الشمس، وهي القَبُول أيضاً. والرابعة الدَّبُور، وتأتي من ناحية المغرب. والريح مؤنّثة على الأكثر، فيقال: هي الريح. وقد يُذَكَّر على معنى الهواء فيقال: هو الريح، وهب الريح، نقله أبوزيد. وقال ابن الأنباري: مؤنّثة لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها إلّا الإعصار فإنّه مذكّر».

وقوله (**كلّما سرت سحراً**): أي في وقت السحر لطيب الهواء في ذلك الوقت. وقوله (**منها**): أي من الروح بمعنى الريح. وقوله (**شَمال**): فاعل سرت، وخصّها من بين أنواع الريح الأربع التي قدّمنا ذكرها لأنّها تأتي من ناحية الشام فتخبر عن أحوال أهل الشمال، فتنتفع الروح الإنسانيّة بما أعرضوا/ [٢٠٣/ أ] عنه من التجلّيات الربّانيّة لكثرة زخارف الدنيا وشهواتها وملاهيها في قطرهم، فإنّ ثمر الشجرة كلّما كبر قلّ جرمه، وكثر إمداده منها. وإذا كثر صغر جرمه، وقلّ إمداده منها. فإذا انقطع منها غالب الثمر كثر إمداد الباقي، والمنقطعون هم أهل الشمال المنكرون، وفيهم نقول:

دع المنكرين الجاحدين فإنّهم ستائرنا اللاتي لحجب الأجانب
من الغيب مدّت بالكثافة وهي من تجلِّي اسمه الستّار ربّ المواهب
فصان بهم كالدرّ في صدف السوى وكالعين بالأجفان تحت الحواجب
ولا ملك إلّا وحجابه به تحفّ اشتمالاً بالقنا والقواضب
وللكنز أرصاد وفيه طلاسم يصان بها في الناس عند نيل طالب
صدقت هم الحساد نار قلوبهم لقد نفحت من عودنا بالأطايب
وصان بهم عنهم لباب علومنا إله البرايا بالقشور السوالب

وقد ذادهم عن ورد حوض نبيّنا لدينا بتبديل من الوهم غالب
خيالات أفكار من الغيب سيطرت ملائكة منهم بهم في تناسب
ويخبث أو يزكو من الأرض نبعها على قدرها وهو اختلاف المشارب

٤٢١ - وَيَلْتَذُّ إنْ هَاجَتْهُ سَمْعِي بِالضُّحَى عَلَى وَرَقٍ وُرْقٌ شَدَتْ وَتَغَنَّتِ

(**ويلتذّ**): أي يجد اللذّة. وقوله (**إنْ هاجته**): جملة معترضة بين الفعل وفاعله، يقال: هاج الشيء هَيَجَانَاً وهِيَاجَاً بالكسر: ثار، وهِجْتُه يتعدّى ولا يتعدّى. وهَيَّجْتُه ـ بالتثقيل ـ مبالغة، كذا في المصباح. وضمير هاجته يعود إلى قوله (**سمعي**): أي إنّ هاجت سمعي. وهو فاعل يلتذّ؛ فالضمير راجع إلى متأخّر لفظاً، متقدّم رتبة نظير قول الشاعر كما أتى ربّه موسى على قدر. ويمكن أن يكون ضمير هاجته راجعاً إلى الذكر في البيت قبله، أي: هاجت ذكرها، أي: ذكر المحبوبة الحقيقيّة بمعنى أثارت.

وقوله (**بالضحى**): متعلّق بهاجته. وقوله (**على وَرَقٍ**): متعلّق بواجب الحذف، حال من وُرْقٌ الثاني، وهو نكرة لكنّه وُصف بجملة شَدَتْ. و(**الوَرَق**):الأوّل، بفتح الواو، قال في المصباح: «الوَرَق بفتحتين: من الشجرة، الواحدة: وَرَقَة». وكنّى به هنا عن الشجرة والغصن. و(**الوُرْقُ**) الثاني بضمّ الواو وسكون الراء: جمع ورقاء، يقال: حمامة ورقاء: لونها كلون الرماد، ذكره في المصباح. وقال في الصحاح: قال الأصمعي: الأَورق من الإبل: الذي في لونه بياض إلى سواد. ومنه قيل للرماد أورق، وللحمامة ورقاء. وقال أبوزيد: «هو الذي يضرب لونه إلى الخضرة».

وقوله (**شَدَتْ**) بالشين المعجمة والدال المهملة. قال في الصحاح «شَدَوْتُ الإبلَ شَدْوَاً: سُقْتُهَا. والشادي الذي يَشدوا شيئاً من الأدب، أي: يأخذ طرفاً منه كان ساقه وجمعه. وشَدَوْتُ: إذا أَنشدت بيتاً أو بيتين تمّ به صوتك كالغناء. ويقال للمغنّي: الشادي. وقد شدا شعراً أو غناء: إذا غنّى به، أو ترنّم به. وقوله

(**تغنّتِ**): من الغناء، قال في المصباح: «الغِنَاء مثل كِتاب: الصوت. وقياسه الضمّ، لأنّه صوت. وغنّى بالتشديد: إذا ترنّم بالغِناء».

٤٢٢ - وَيَـنْعَمُ طَـرْفِي إنْ رَوَتْـهُ عَـشِيَّةً لإنْـسَانِهِ عَنْهَـا بُـرُوقٌ وأهْـدَتِ

(**وينعم**): من نَعِمَ عيشه يَنْعَم، من باب تعب: اتَّسَعَ وَلَانَ. وأنْعَم الله بك عَيْناً، ونَعَّمَهُ الله تَنْعِيماً، جعله ذا رفاهيّة، كذا في المصباح. وقوله (**طرفي**): أي عيني. وقوله (**إنْ روته**): أي روت ذكرها في البيت قبله، أي: ذكر المحبوبة الحقيقيّة يعني نقلته. وقوله/ [٢٠٣/ ب] (**عَشِيَّةً**): منصوب على الظرفيّة، قال ابن الأنباري: «العَشِيَّةُ مؤنّثة، وربما ذكرتها العرب على معنى العَشِيّ». وقال بعضهم: «العَشِيَّةُ: واحدة، جمعها: عَشِيٌّ. والعَشِيّ قيل ما بين الزوال إلى الغروب. ومنه يقال للظهر والعصر: صلاتا العَشِيّ. وقيل هو آخر النهار. وقيل: العَشِيّ من الزوال إلى الصباح، كما في المصباح. وقوله (**لإنسانه**):أي إنسان طَرْفِي. وإنسان العين حدقتها، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «إنسان العين: المثال الذي يُرى في السواد:. وقوله (**عنها**): أي عن المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**بروق**): فاعل روته، وهي جمع برق، وهو واحد بروق: السحاب. وقوله (**وأهدت**): معطوف على روته، أي: روت ذكرها وأهدت ذكرها.

٤٢٣ - وَيَمْنَحُهُ ذَوْقِي وَلَـمْسِيَ أكْؤُسَ الْـ ـشَرَابِ إذَا لَـيْلاً عَـلَيَّ أُدِيْـرَتِ

(**ويمنحه**): أي يعطيه لي. والضمير لذكرها في البيت السابق. وقوله (**ذوقي**): فاعل يمنحه. ومفعول ذوقي محذوف، تقديره ذوقي الشراب. وقوله (**ولمسيَ**): معطوف على ذوقي. وقوله (**أكؤس**): مفعول لمسيَ، وهي جمع كأس. و(**الشراب**): كناية عن المعاني الإلهيّة. وقوله (**إذا ليلاً**): أي في وقت الليل. وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة، متعلّق بـ أُديرت. و(**أُدِيرت**): فعل مضارع مبني للمفعول، أي: أدارها على الساقي، قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٢١].

٤٢٤- وَيُوحِيْهِ قَلْبِي لِلْجَوَانِحِ بَاطِنَاً   بِظَاهِرِ مَا رُسْلُ الجَوَارِحِ أدَّتِ

(يوحيه): أي الذكر المذكور في البيت المتقدِّم. والوحي: الإشارة، والرسالة، والكتاب. وكلّ ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه: وحيٌ، كيف كان، كذا في المصباح. وقوله قلبي فاعل يوحيه. وقوله (للجوانح): وهي الأضلاع التي تحت الترائب، وهي مما يلي الصدر، كالضلوع مما يلي الظهر. الواحدة جانحة، كما في الصحاح. وقوله (باطناً): تمييز، أي: من حيث الباطن. وقوله (بظاهر): متعلّق بـ يوحيه. و(ما): موصولة: أي بالأمر الظاهر الذي (رُسْلُ): بضمّ الراء وسكون السين المهملة وباللام، جمع رسول. قال في المصباح: «رَسُول فَعُول بمعنى مفعول، يجوز استعماله بلفظ واحد للمذكّر والمؤنّث والمثنّى والمجموع، ويجوز التثنية والجمع، فيجمع على: رُسُل بضمّتين، وإسكان السين لغة».

وقوله (الجوارح): وهي أعضاء الإنسان التي يكتسب بها، كذا في الصحاح. وقوله (أدّتِ): بتشديد الدّال المهملة وكسر التاء للقافية، والأصل أدّته، قال في المصباح: «أَدَّى الأمانة إلى أهلها تأدية: إذا أوصلها. والاسم: الأداء. والمعنى: إنّ قلبي يوصل ذكر المحبوبة الحقيقيّة إلى أضلاع صدري من جهة الباطن، وهذا الإيصال بظاهر الأمر الذي أوصلته إليّه الأعضاء الظاهرة، والحواس الباهرة، وهو سريان السرّ الإلهيّ في باطنه وظاهره بالأمر الرّبّاني، والحكم الرحمانيّ، وجعل إيحاء القلب للجوانح بظاهر الامر الذي أدّته إليه رسل الحواس والجوارح؛ لأنّ باطن ذلك لا يستعدّ له إلّا القلب لكماله بالنسبة إلى بقية الأعضاء البدنيّة.

٤٢٥- وَيُحْضِرُنِي فِي الجَمْعِ مَنْ بِاسْمِهِا شَدَا   فَأَشْهَدُهَا عِنْدَ السَّمَاعِ بِجُمْلَتِي

(ويحضرني): بضمّ الياء التحتيّة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة، من أحضره: جعله حاضراً. قال في الصحاح: «حَضَرَ الرجلُ حُضُوراً، وأَحْضَرَهُ غيرُه». وقوله (في الجمع): أي في مقام الجمع، وهو خلاف الفرق. وقوله (مَنْ):

أي المنشد الذي. (**باسمها**): أي باسم المحبوبة الحقيقيّة. (**شَدَا**): بفتح الشن المعجمة وفتح الدال المهملة، يقال: شَدَوْت: إذا أَنْشَدْتُ بيتاً أو بيتين تمدّ به صوتك كالغناء، كما في الصحاح. واسمها عنده كلّ اسم كما قلنا/ [٢٠٤/ ب]: من جملة موشّح لنا:

يـــا مــــسمَّى بالأســـامي كلّهـــا وهـــو المنـــزّه
أنـــت في الكـــلّ مرامـــي فيـــك عينـــي تتنـــزّه

وقوله (**فأشهدها**): أي المحبوبة الحقيقيّة، أي: أصير مشاهداً لها، ومعايناً على حسب ما يعرفه العارفون. وقوله (**عند السماع**): أي سماع ذلك المنشد الشادي باسمها. وقوله (**بجملتي**): بظاهري وباطني.

٤٢٦ - فَتَنْحُو سَمَاءَ النَّفْخِ[1] رُوحِي وَمَظْهَرِي ـمُسَوَّى بِهَا يَحْنُو لِأَتْرَابِ تُرْبَتِي

(**فتنحو**): أي تقصد، قال في المصباح: «نَحَوْتُ نَحْوَ الشيءِ، من باب قتل: قصدت». وقوله (سماء النفخ): السماء كلّ عالٍ مظلٍّ، قال في المصباح: «كلّ عالٍ مُظِلٍّ سماء، حتّى يقال لظهر الفرس سماء». و(النفخ): من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/ ٥٩] وذلك مرتفع عن مشابهة الحوادث، لأنّه أمر الله، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [١٧/الإسراء/ ٨٥] وقوله (روحي): فاعل تنحو، وهو بيان لقوله (**فأشهدها**): في البيت قبله. وقوله (**ومظهري المُسَوَّى**): أي جسمي الذي سواه الحقّ تعالى في قوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/ ٢٩] وهذه الآية في آدم عليه السلام، [لـم][2] يكن بينه وبين ربّه واسطة وفي غيره، كما قال الناظم قدّس سرّه (**بها**): أي بروحي. فإنّ تسوية جسده بواسطة روحه، وهي المَلَك المُوكَّل بالرحم، كما ورد في حديث البخاريّ عن أنس

---

(١) في (ق): الفتح.
(٢) لا يوجد في المخطوط لم، لعلّ هذا الصواب والله أعلم.

ابن مالك عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الله وكّل بالرحم ملَكاً فيقول: يا ربّ، نطفة. يا ربّ، علقة. يا ربّ، مضغة. فإذا أراد أنْ يخلقها قال: يا ربّ، أذكرٌ أمْ أُنثى؟. يا ربّ، أشقيٌّ أم سعيد؟. فما الرزق؟. فما الأجل؟. فيكتب كذلك في بطن أمّه »[1] فإنّ قوله: يا ربّ كذا، يا ربّ كذا، تسوية بأمر الله. وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧].

وقوله (يحنو): أي يعطف ويحن ويميل، قال في الصحاح: «فلان أَحْنَى الناسِ ضُلُوعاً عليك، أشفقهم عليك. وحَنَوْتُ عليه: عَطَفْتُ. وقوله (لأتراب): جمع تِرْب بالكسر، قال في القاموس: «التِرْبُ بالكسر، اللِدَةُ والسنّ ومَنْ وُلد معك». وقال الراغب: «أتراب أي نشأْنَ معاً، تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر، أو لوقوعهن معاً على الأرض. والمراد هنا انعطاف الجسم المخلوق من التراب إلى أمثاله وأشكاله من المخلوقين منه. والتربة: لغة في التراب.

٤٢٧- فَمِنِّـــيَ مَجْـذُوْبٌ إِلَيْهَــا وَجَــاذِبٌ إِلَيَّ وَنَــــزْعُ النَّــزْعِ فِي كُـــلِّ جَذْبَـــةِ

(فمنِّيَ) وهي روحي المنفوخة في جسدي من أمر الله. والروح أوّل مخلوق، كما ورد في الحديث. فليس بينه وبين أمر الله تعالى واسطة، لأنّ أمره تعالى قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٢] فالروح صادر عن قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وكلّ شيء أيضاً صادر عن قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٢] ولكن جعل تعالى الأسباب والوسائط حجباً وأستاراً على أمره سبحانه. ولمّا كان لا تأثير للأسباب والأستار في خلق الشيء، بل ولا في الحجب والستر لم يعتبرها تعالى في صدور كلّ شيء عن أمره حتى قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذرِّيته، ٣٣٣٣.

ولـمّا كان الروح قائماً بأمره تعالى من غير حجاب ولا ستر بينه وبينه تعالى جذبه تعالى إليه، فهو مجذوب بصيغة اسم المفعول.

وقوله (**إليها**): أي إلى المحبوبة الحقيقيّة، وهي الحضرة العليّة. وحقيقة الجذب: رجوع الأمر إليه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [١١/ هود/ ١٢٣] وقال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] فنعم الخلق والأمر. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] فالخلق: ما صدر عنه تعالى بوساطة الأسباب والأستار. والأمر: يقال فيه عالم الأمر: وهو ما صدر عنه تعالى من غير سبب ولا ستر، وهي النفس الإنسانيّة التي من عرفها فقد عرف/ [٢٠٤/ ب] ربّه. ومن اهتدى فإنّما يهتدي إليها، قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٥] أي: كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»(١) وقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١] وقوله (**وجاذب**): أي ومِنّي أيضاً جاذب بصيغة اسم الفاعل.

وقوله (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى نفسي الحيوانيّة المتولِّدة من طبيعة الجسد، ومزاج العناصر الأربعة: التراب والماء والهواء والنار. وهي النفس المذمومة بحكم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [١٢/ يوسف/ ٥٨] وهي التي تموت بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٥] فهذه النفس الحيوانيّة تجذب الروح الأمريّة إليها أيضاً، لتأخذها عن ملاحظة أمر الله تعالى فيها، فمن الناس من يغلب عليه جذب الأمر الربّانيّ فيكون من أمر الله، ومنهم من يغلب عليه جذب النفس الحيوانيّة، فيكون من خلق الله. وفي خلق الله الطيّب والخبيث، والحسن والقبيح، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة١/ ٢٢٠: «حديث من عرف نفسه فقد عرف ربّه» قال أبو مظفّر السمعاني في «الكلام على التحسين والتقبيح العقلي من القواطع: إنّه لا يعرفه مرفوعاً؛ وإنّما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله: وكما قال النووي : إنّه ليس بثابت.

خَلَقَ ﴾ [١١٣/ الفلق/ ١-٢] وليس في عالم أمره تعالى إلّا الطيّب الحسن، وهم أولو الأمر الذين لهم طاعة بعد طاعة الله ورسوله في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [٤/ النساء/ ٥٩] وقوله (**ونَزْعُ**): أي كف وإقلاع. قال في المصباح: «نَزَعَ عن الشيء نُزُوعاً: كفَّ وأقلعَ عنه». وقوله (**النّزْعِ**): أي نِزَاعُ النفس الحيوانيّة لموتها، قال في المصباح: «نَزَعَ المريضُ نَزْعاً: أشرف على الموت»؛ والمعنى: عليّ قلع الحياة، بحيث يكون كف النزعِ، وقلعه في كلّ جذبة من الجذبات. وإنّما تتميّز الروح عن الجسد، ويتميّز الجسد عن الروح، ثمّ يمتزجان. والأمر الإلهيّ واحد محيط بهما، فيميِّز ويمزج، ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١٩-٢٠] والكلّ صُوَرُهُ التي يصوِّرها له؛ لأنّه المصوِّر، وهو لا صورة له.

٤٢٨- وَمَا ذَاكَ إلَّا أنَّ نَفْسِي تَذَكَّرَتْ حَقِيْقَتَهَا مِنْ نَفْسِهَا حِيْنَ أوْحَتِ

(**وما ذاك**): أي هذا الجذب المذكور في البيت قبله. وقوله (**إلّا أنَّ نفسي**): أي روحي التي هي من أمر ربِّي. وقوله (تذكّرَتْ): أي استيقظت من نوم الغفلة والوهم. وقوله (**حقيقتها**): فعلمت أنّها ليست غير المصوّر لها. وقوله (**من نفسها**): متعلِّق بـ تذكّرت، أي: حصل هذا التذكّر لها منها، لا من غيرها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٧ وقوله (**حين أوحت**): قال في الصحاح: «الوَحْيُ: الإشارة، والكتابة، والرسالة والإلهام، والكلام الخفيّ، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وَحَيْتُ إليه الكلامَ وأَوْحَيْتُه، وهو أنْ تكلّمَهُ بكلام تخفيه». وهو المراد هنا؛ لأنّه كلام النفس، أي: الحقيقة لنفسها. والتاء مكسورة للقافية، والأصل أوحت إليها. وضمير أوحت راجع إلى حقيقتها؛ يعني ألهمتها ذلك.

٤٢٩- فَحَنَّتْ لِتَجْرِيْدِ الخِطَابِ بِبَرْزَخِ الْـ ـتُّرَابِ وَكُلٌّ آخِذٌ بِأزِمَّتِي

(**فحنّت**): أي نفسي، بمعنى روحي المذكورة في البيت قبله، قال في الصحاح: «حنّت المرأة حنيناً :اشتاقت إلى ولدها». وقوله (**لتجريد**): قال في الصحاح: «كلّ

شيء قشرته عن شيء فقد جرّدته عنه. والتجريد: التعرية من الثياب. وتجريد السيف انتضاؤه» والمعنى هنا: التخليص. وقوله (**الخطاب**): أي خطاب الحقّ تعالى، وهو قوله للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] فهو خطاب حقّ ملتبس بقشر الشيئيّة الباطلة. فإذا جرّد عن القشر كان خطاباً مجرّداً. والخطاب الإلهيّ لعموم الأشياء مجرّد في نفس الأمر، فيحتاج العبد أنْ يكون عنده مجرّد أيضاً، كما هو مجرّد في نفس الأمر، فيقوم بأمر الله، ويعمل به.

وقوله (**ببرزخ**): قال/ [٢٠٥/ أ] في الصحاح البَرْزَخُ: الحاجز بين الشيئين». وقوله (**التراب**): مضاف إليه، كناية عن الجسد المركّب من العناصر الغالب عليه، منها التراب. وكونه برزخاً؛ لأنّه حاجز بين الدنيا والآخرة، وهو الجدار الذي تحته الكنز، كنت كنزاً مخفيّاً، لم أُعْرَف للغلامين اليتيمين في المدنيّة الإنسانيّة. فإذا انهدم هذا الجدار صارت الروح في عالم الآخرة، قال في الصحاح: «والبَرْزَخُ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ ». وقد قال الراغب: «والبرزخ في القيامة: الحائل بين الإنسان وبلوغ المنازل الرفيعة في الآخرة، وذلك إشارة إلى العقبة المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [٩٠/ البلد/ ١١] قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [٣٢/ المؤمنون/ ١٠٠] وتلك العقبة موانع من أحوال لا يصل إليها إلّا الصالحون. وقوله (**وكلّ**): الواو للحال، والجملة في محل نصب على الحال من فاعل حنّت. والمعنى: كلّ واحدٍ من الروحانيّة والجسمانيّة.

وقوله (**آخذ**): بمدّ الهمزة، اسم فاعل من الأخذ، وهو التناول. وقوله (**بأزمّتي**): جمع زمام، قال في المصباح: «الزِّمام للبعير، جمعه: أَزِمَّة» . وفي القاموس: «الزِّمام ككتاب، ما يُزَمُّ به». يعني: إنّ العالَم الروحانيّ يجذبني إليه بزمام روحانيّتي. والعالم الطبيعيّ يجذبني إليه بزمام جسمانيّتي، والروح تحنّ إلى عالم الأرواح فتشتاق إلى اللحاق بالرفيق الأعلى. والمجاهدة دائمة، والمكابدة لازمة.

٤٣٠- وَيُنْبِيْكَ عَنْ شَأْنِ الْوَلِيْدُ وَإِنْ نَشَا بَلِيْـــدَاً بِإِلْهَـــامٍ كَـــوَحْيٍ وَفِطْنَـــةِ

(**وينبيك**): أي يخبرك. من النَّبأ، مهموز: الخَبَر. وأَنْبَأْتُهُ الخبرَ وبالخبر، ونَبَّأتُه به: أعلمته، كذا في المصباح. وقال الراغب: «النّبأ خبرٌ ذو فائدة عظيمة، يحصل بها علم أو غلبة ظنّ. ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتّى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة. وحقّ الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرّى عن الكذب كالتواتر، وخبر الله، وخبر النبيّ». وقوله (**عن شأني**): أي عن حالي وأمري. قال الراغب: «الشأن: الحال، والأمر الذي يتّفق ويصلح. ولا يقال إلّا فيما يعظم من الأحوال والأمور». وقوله (**الوليد**): فاعل ينبيك، وهو فعيل بمعنى مفعول، يعني المولود. قال الراغب: «والوليد يقال لمن قرب عهده بالولادة وإنْ كان يصحّ في الأصل لَمَنْ قرب عهده أو بعد، كما يقال لمن قرب عهده بالصِبا: صبيّ، فإذا كبر سقط عنه هذا الاسم. وجمعه ولدان، قال تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [٧٣/ المزمل/ ١٧].

وقوله (**وإن نشا**): بالإبدال، وأصله بالهمز، قال في الصحاح: أَنْشَأَهُ الله : خَلَقَهُ، ونُشِّئَ وأُنْشِئَ بمعنى». وفي المصباح: «نَشَأَ الشيءُ نَشْأً ـ مهموز ـ من باب نفع: حدث وتجدّد. وأَنْشَأْتُه: أحدثته». وقوله (**بليداً**): حال من فاعل نَشَا، وهو الوليد. و(**البليد**) من بَلُد الرجل ـ بالضمّ ـ بلادة فهو بليد، أي: غير ذكيّ، ولا فَطِن. كذا في المصباح. وقوله (**بإلهام**): متعلّق بـ يُنبيك، أي: بأن يلهمك الله تعالى هذا النبأ العظيم عن شأني وحالي الذي أنا فيه في وقت السماع إذا رأيت الطفل الصغير القريب العهد بالولادة. وإنْ نشأ وكبر وبلغ فصار بليداً لا ذكاء له ولا فطنة؛ فإنّ كلّ مولود حاله يشبه حالي لقرب العهد بالخلقة؛ فإنَّ قيامي بأمر الله عن كشف منّي وشهود وتحقّق، يقتضي قرب العهد بالخلقة كالطفل الصغير؛ فإنّ أمره تعالى كلمح البصر. والخلق قائم كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥]. وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] فكلّ من كشف عن ذلك في نفسه أو غيره وجده حقّاً كما أخبر به ربُّنا الحقّ. ومن

عمي عنه لا يعرفه، وهو الخلق الجديد الذي قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] وكالطفل أيضاً من جهة أنّه على فطرة الإسلام/ [٢٠٥/ ب] قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠] فإنّ مشاهدة الخلق الجديد في كلّ لمحة مع الأنفاس لا تبديل فيه لخلق الله بخلق غيره؛ إذ لا غير معه تعالى. وقوله تعالى عن الشيطان أنّه قال: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [٤/ النساء/ ١١٩] لما أثبتوه، وهما منهم مع الله تعالى، أو همّهم تغيير خلق الله، فلو أثبتوه لا مع الله تعالى صدقاً منهم في عدم معيّته مع الله تعالى؛ بل به تعالى لا معه، كباقي المخلوقات لمّا قدر عليهم بوسوسة، ولا إيهام تغيير خلق، ولا غيره.

وقوله (كوحي): أي ذلك الإلهام الذي يلهمه الله تعالى لمن يعرف أنّ شأني وحالي مثل شأن الوليد، وحاله يشبه الوحي الإلهيّ الذي لا يكون إلّا للنبيّين عليهم السلام. لأنّه لا يقع إلّا في قلوب الصِّدّيقين وأكابر الأولياء؛ لأنّه شأن جسيم، ونبأ عظيم بأنّ الرجال الكبار البالغين هم والأطفال الصغار سواء في الخلقة والفطرة، وقرب العهد بالولاية الطبيعيّة، كما قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه من أبيات له في أواخر كتابه «شجون المسجون»:

مشيمة الجسم كلّ كنا الجنين بها   وهذه كرة الأفلاك كالرحم

ومن ذلك قوله عيسى بن مريم عليه السلام: «لن يلج ملكوت السموات مَنْ لم يولد ولادتين». يعني: في كلّ خلق جديد كلمح بالبصر، والمراد عن ذوق وتحقيق وكشف وتوقيف. وفي الحديث: « كلّ مولود يولد على فطرة الإسلام لكنّ أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه»[1] فالعقل أب، والطبيعة أمّ. فإذا غلبا على المولود خرج عن الفطرة والدين القيّم. وقوله (وفطنة): معطوف على ألهام، أي: إمّا بالإلهام وهو إلقاء المعنى في القلب، وذلك لأهل المعرفة. وإمّا بطريق الفِطنة ـ بالكسر ـ وهي: الحِذْق.

---

(١) انظر تخريجه ص٨٢٠.

فَطِنَ به، وإليه، وله، كفرح، ونصر، وكرم، كما في القاموس. يعني: لمن له إدراك إنسانيّ، وشعور نفسانيّ يتنبّه بذلك إلى دقائق المعاني.

٤٣١ - إذَا أنَّ مِـنْ شَـدِّ القِـمَاطِ وَحَـنَّ في نَـشَاطٍ إلَى تَفْـرِيْجِ إفْـرَاطِ كُرْبَـةِ

(إذا أنّ): بفتح الهمزة وتشديد النون، قال في المصباح: «أَنَّ الرجل يَئِنُّ » بالكسر ـ أنِيْنَاً، وأُنَانَاً « بالضمّ» صَوَّت وفاعل أَنّ ضمير يعود على الوليد في البيت قبله. وقوله (مِن شدّ القماط): متعلّق بأنّ. والقِماط بكسر القاف وبالطاء المهملة، قال في المصباح: «القماط خرقة عريضة يقمط بها الصغير، وجمعه قُمُط مثل كتاب وكتب. وقوله (وحنّ): بالحاء المهملة وتشديد النون، حَنَنْتُ على الشيء أَحِنُّ من باب ضرب، حَنَّة بالفتح، وحَنَانَاً: عَطفتُ وتَرحّمت، كما في المصباح. وفاعل حنّ ضمير راجع إلى الوليد أيضاً. وقوله (في نشاط): أي كائناً في نشاط. قال في المصباح: «نَشِط في عمله يَنْشَط من باب تَعِب: خَفَّ وأسرع». وقوله (إلى تفريج): متعلّق بحنّ. قال في الصحاح: الفَرَج: من الغَمّ، تقول فرّج الله عنك تفريجاً. وكذلك فرّج الله عنك غمّك». وقوله (إفراط): مصدر أَفْرَطَ. قال في المصباح: «أفْرَط إفْرَاطَاً: أسرف وجاوز الحدّ. وقوله (كُرْبَة): بضمّ الكاف، قال في المصباح: «كَرَبَه الأمرُ كَرْبَاً شُقّ عليه، ورجل مَكْرُوب مهموم. والكُرْبَة اسمٌ منه، والجمع كُرَب مثل غُرْفَة وغُرَف.

٤٣٢ - يُنَـاغَى فَيُلْغِـي كُـلَّ كَـلٍّ أصَـابَهُ وَيُـصْغِي لِمَـنْ نَاغَـاهُ كَالمُتَنَـصِّتِ

(يناغي): بصيغة المبني للمفعول، من المناغاة، وهي المغازلة. والمرأة تناغي الصبيّ، أي: تكلّمه بما يعجبه ويسرّه، كذا في الصحاح. ونائب الفاعل ضمير راجع إلى الوليد في البيت السابق. وقوله (فيلغي): من لَغَا، من باب بطل. وأَلْغَيْتُهُ: أبطلته.

وألغيته من العدد: أسقطته، كذا في المصباح. وفاعل يُلغي ضمير عائد إلى/

[٤٠٦/ أ] الوليد أيضاً. وقوله (**كُلَّ**): مفعول يلغي. وقوله (**كَلٍّ**): بفتح الكاف وتشديد اللام، مصدر: كَلَّ يَكِلّ. قال في المصباح: «الكَلُّ بالفتح: الثِقَل، وكَلَّ الرَجلُ كَلًّا، من باب ضرب: صار كذلك». وقوله (**أصابه**): جملة من الفعل والفاعل في محلّ جر نعت لكَلّ الثاني. وقوله (**ويصْغِي**): يقال صَغَيْت إلى كذا أَصْغَى بفتحتين: مِلْتُ، كذا في المصباح. وقوله (**لمن ناغاه**): أي يميل إلى مَنْ كلّمه بما يعجبه ويسرّه ويضحكه.

وقوله (**كالمُتَنَصِّتِ**): أي المتكلّف الإنصات، قال في المصباح: «أَنْصَتَ إنْصَاتاً: استمع» يعني: إنّ الطفل الصغير يحنّ إلى تفريج الكربة إذا أصابته من شدّة القِماط إذا ضاق عليه، فيذوق الجلال الربّاني طبعاً وخلقة وإنْ لم يعقل ذلك. وإذا ناغاه أحد بما يعجبه من الكلمات وسرّه بذلك يترك كلّ مشقّة هو فيها ويميل إلى سماع المُناغي، فيذوق الجمال الربّاني أيضاً طبعاً وخلقة من غير إدراك لشيء من ذلك. فليس شرط الأمور الذوقيّة الوجدانيّة العقل والإدراك. ولا يحصل به؛ فالقبض والبسط أحوال ذوقيّة تحصل بأمور وجدانيّة بسبب تجلّيات ربّانيّة يشترك في حصولها له العاقل وغيره. بل العاقل محجوب عن معرفة أسبابها بعقله وإدراكه. والعارف يعرف أسبابها بالذوق والوجدان، والعقل يفصّلها له، ويشرح مجملاتها، ولهذا قال الشيخ أرسلان الدمشقيّ قدّس الله سرّه: «الناس تائهون عن الحقّ بالعقل». وقال: «فمتى طلبت الحقّ بالعقل فقد ضللت». وبيان ذلك: إنّ العقلاء يؤمنون بربّهم معقولاً، ويعبدونه كذلك؛ فالربّ تعالى عندهم معقول. وأمّا العارفون فإنّهم يؤمنون بربّهم محسوساً ومعقولاً. وهو مشهود عندهم من حيث أفعاله تعالى بحواسهم كلّها حاضراً بهم؛ لأنّهم أفعاله غير غائب عنهم. وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه في بيان الفرق بين أحوال العقلاء وأحوال العارفين:

إذا ما لقيت الناس فلتلقَ عاقلاً ... فذلك إنْ نازعته لا يعاقب

ولا تلقَ إنّي قد نصحتك عارفاً ... فمن يلقَه صبّت عليه المصائب

فهـذا الـذي يجـري بحكمـة وقتـه ولا شـكّ أنّ الوقـت بـالحكم طالـب

ولله مكـــر في العبـــاد محقّـــق لـذلك لم تـؤمن لديـه العواقـب

لـه الحكـم والتحكـيم في كـلّ مـأمن فـلا يغلـب المكـر الإلهـيّ غالـب

٤٣٣- وَيُنْسِيْهِ مُرَّ الخَطْبِ حُلْوَ خِطَابِهِ وَيُــذْكِرُهُ نَجْــوَى عُهُــودٍ قَدِيْمَــةِ

(وينسيه): من أَنْساه، يقال: نَسِي الشيءَ يَنْسَاهُ: إذا لم يَتَذَكَّرَهُ ويتعدّى بالهمز وبالتضعيف. يقال: أُنْسِيْتُهُ ونَسِيْتُهُ. وضمير يُنْسِيْهِ عائد إلى الوليد في البيت السابق. وقوله (مرّ): بضمّ الميم، خلاف الحُلو وهو مفعول مقدّم. و (**الخَطْب**): مضاف إليه، وهو الأمر الشديد. وجمعه خُطُوب، مَثْل فَلْس وفُلُوس، كما في المصباح. وقوله (**حلو**): فاعل ينسيه، مضاف إلى خطابه. وخطاب مضاف إلى ضمير الوليد من إضافة المصدر إلى مفعوله. ويقال: خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وخِطَاباً، وهو الكلام بين متكلّم وسامع، كذا في المصباح. وهو بيان للبيت الذي قبله، فإنّ المناغاة خطاب. وقوله (**ويذكره**): بضمّ الياء التحتيّة من أَذْكَرَ المتعدّي. وفاعله ضمير راجع إلى الوليد. وقوله (**نَجْوَى**): مفعول يُذْكِر، قال في المصباح: «نَاجَيْتُهُ: سَارَرْتُهُ، والاسم: النَجْوَى». وقوله (**عهود**): جمع عهد. و(**قديمة**): وصف لعهود. والعهد المَوْثِق، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] فإنّ هذا العهد مأخوذ على الأرواح في صور الذرّ لمّا أخرجهم الله تعالى من ظهر آدم عليه السلام، كما ورد في الأخبار النبويّة.

٤٣٤- وَيُعْرِبُ عَنْ حَالِ السَّمَاعِ بِحَالِهِ فَيُثْبِــتُ لِلْــرَقْصِ انْتِفَــاءَ النَّقِيْــصَةِ

/ [٢٠٦/ ب] (ويعرب): أي يكشف ويبيّن، قال في المصباح: «أَعَرَبْتُ الشيءَ، وأَعْرَبْتُ عنه وعَرَّبْتُهُ بالتثقيل، وعَرّبْتُ عنه، كُلُّها بمعنى التبيين والإيضاح. وقوله (**عن حال السماع**) يقال: سَمِعْتُهُ وسَمِعْتُ له سَمْعَاً وتَسَمَّعْتُ واسْتَمَعْتُ، كلّها يتعدّى بنفسه وبالحرف بمعنى. واسْتَمَعَ لِما كان بقصد، لأنّه لا يكون إلّا

بالإصغاء، وسَمِعَ يكون بقصد وبدونه. والسَّماع: اسم منه، كذا في المصباح. وهو كناية عن الاستماع للأغاني والأناشيد والآلات المطربة. ولنا في ذلك كلّه رسالة سمّيناها «إيضاح الدّلالات في سماع الآلات».

وقد رأينا للعلماء رسائل كثيرة في حكم السماع؛ فبعضهم أباح، وبعضهم حرّم، وبعضهم كره، وبعضهم فصل بين العارف والغافل، فأباح للعارفين، وحرّم على الغافلين وهو الذي نذهب إليه، وإليه يشير كلام الناظم قدّس سرّه. واعلم يا أخي، عليك كلّ خير، وسهّل عليك طريق المعرفة والسير أنّ نفوس العارفين بالله تعالى ـ وإنْ كانوا في حال سلوكهم وسيرهم بالمجاهدة في طريق الله تعالى ـ ليست كنفوس الغافلين المحجوبين عن المعرفة الربّانيّة؛ فإنّ معرفة هؤلاء بربّهم تعالى معرفة عقليّة، تلقّوها بعقولهم من معاني الكتاب والسُنّة، وشاركتهم في ذلك جميع فرق المعتزلة، فتلقوا كلّهم عقائدهم بفهوم عقولهم من كتاب الله وسنّة نبيّه ـ عليه السلام ـ وموارد الإجماع؛ لأنّهم أهل اجتهاد، فمنهم المصيب كالأشاعرة والماتريديّة ومن حَذَا حُذْوَهُم؛ فإنّهم غلّبوا الشرع على العقل؛ لكنّهم لا يفارقون الأنظار العقليّة والمفاهيم الخياليّة. وغيرهم بالنظر إليهم أخطؤوا في الاجتهاد. وكلٌّ مُجازى بعمله. فإنّ أصحاب هذه النفوس المذكورة لا يقبلون حالة من الأحوال إذا وجدوها في الناس أو في أنفسهم إلّا إذا وافقت مفاهيم عقولهم، وأنظار تخيلاتهم. ويرجعون ما فهموه من ذلك إلى معاني الأحكام الشرعيّة الاجتهاديّة. فيحكمون على صاحب تلك الحالة بالفسق، أو بالكفر والضلال، أو بالإيمان، والتقوى، والديانة، والصلاح، والكمال، والولاية. ذلك مبلغهم من العلم؛ لأنّهم غفلوا عن الشريعة المحمّديّة، والطريقة الأحمديّة، والحقيقة المصطفويّة. فإنّهم يتلقّون معرفة ذلك بالعقول في النقول. فتبرز لهم معاني ذلك على حسبهم لا على حسبها. وهم مكلّفون في التقوى بقدر استطاعتهم، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [٦٤/ التغابن/ ١٦]. وقال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٣٣] فإنّهم معذورون، مثابون، مأجورون على نيّاتهم ومقاصدهم. وفيهم يقول صلى الله عليه وسلّم: «إنّ الله لا ينظر إلى

صوركم [وأموالكم] ولكن ينظر إلى قلوبكم [وأعمالكم]»[1].

وأمّا نفوس العارفين بالله تعالى وإنْ كانوا بعد في طريق المجاهدة فإنّ عقائدهم في الابتداء إيمان محض، وإسلام صرف، وانقياد خالص لا يشوبهم فهم عقلي ولا نظر خيالي، ولا تنازعهم عقولهم في ذلك التسليم والانقياد، ولا تضطرب نفوسهم بشكر ولا ترداد. أسلموا أنفسهم للشريعة والدّين، وألقوا عقولهم وأفهامهم بين يديّ المشايخ المتّقين، كما قال تعالى في شأنهم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٤/ النساء/ ٦٥]. وفي الحديث: قال صلّى الله عليه وسلّم: «أنا وأتقياء أمّتي براء من التكلّف»[2] فلا تكلّف لهم إلّا في التلقّي بالإذعان لجميع ما ورد في كتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وإجماع أمّة الخير والهدى، لا يسألون عمّا به يؤمنون، ولا يتوقّفون في الإيمان بما لا يعرفون. وهم يتّهمون نفوسهم في موارد خطراتها فلا يثقون بما تأتي به عقولهم / [٢٠٧/ أ] من معاني تخيُّلاتها، فهم نور على نور، وتصديق خالص مبرور. وهذه حال ابتدائهم. فإذا نظر الله تعالى إلى نفوسهم الصادقة في الإيمان، الطاهرة المطهّرة بمياه التسليم له والإذعان كشف لهم عن تجلّيه بنفوسهم على نفوسهم. فذابت نفوسهم في نور التجلّي بالتملّي، وفنيت من التحلّي والتخلّي، كما قال سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] بعد قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [١٥/ الذاريات/ ٢١] وقوله عزّ وجلّ: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصلت/ ٥٣] وقوله تعالى في شأنِ غيرهم: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [١٨/ الكهف/ ٥١] فعند ذلك يكتفون بربّهم في جميع ما يريدون من: علم، وفهم، وعمل، وغير ذلك، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرّ والصلة والأدب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ٦٧٠٨، عن أبي هريرة.

(٢) انظر تخريجه ص٥٧٥.

عَبۡدَهُۥ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٦] فالتجلِّي على نفوسهم دائم، لأنّه هو الذي عليها قائم، قال أبو مدين قدّس الله سرّه في هذا المقام من قصيدة له مشيرة إلى الحضرة العليّة عن الأفهام:

عرفنا بها كلّ الوجود ولم نزل   إلى أنْ بها كلّ المعارف أَنْكَرْنا

ثمّ إنّ هذا السالك إذا عرف التجلِّي الربّانيّ في نفسه، وفي غيره، وظهر له معنى وقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٢] وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] تميَّزت نفسه عن نفس الغافل المحجوب، فصار لها في الشريعة المحمّديّة أحكام أُخَر، ما دامت في مقام الحضور مع التجلِّي العام، وهو المسمّى بالجمع. فإذا غفلت نفسه، واحتجّت بالبشريّة، وهو المسمّى بالفرق رجع إلى أحوال القسم الأوّل. فإنْ رجع إلى المجاهدة في نفسه حتّى تمكّن من العرفان كان من أهل التحقيق والإيقان. وإلّا فهو من عامّة أهل الإيمان إذا تقرر عندك هذا فاعلم أنّ العارفين بالله تعالى إذا سمعوا الغناء والطرب وأنواع السماع حنّت أرواحهم وجنّت أشباحهم، وانفتحت عليهم أبواب المعاني، وأنفتقت لهم أسرار المباني فلا يبقى عندهم إشكال، ولا يعييهم قيد ولا شكال؛ ولهذا كان العارف الكامل الشيخ محمّد البكريّ قدّس الله سرّه يقول: «هاتوا لنا الآلات تنتج لنا حالات».

وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه في كتابه شجون المسجون: «إذا كان الذكر بنغمة لذيذة فله في النفس أثر كما للصورة الحسنة في النظر». وفي كتاب المواهب اللدنيّة للشيخ القسطلاني رحمه الله تعالى قال بأنّ العارف الكبير سيدي على الوفائي وضع حزبه المشهور على الألحان والأوزان اللطيفة تنشيطاً لقلوب المريدين، وترويحاً لأسرار السالكين؛ فإنّ النفوس لها حظّ من الألحان، فإذا قيلت هذه الواردات السنيّة الفائضة من الموارد النبويّة المحمّديّة بهذه النغمات الفائقة، والأوزان الرائقة، تشرّبتها العروق، وأخذ كلّ عضو نصيبه من ذلك الوارد الوفي المحمّدي، فأثمرت شجرة خطاب الأزل بما سقته من موارد

هذه اللطائف عوارف المعارف. وقوله (**فيثبت**): من أثبت. وفاعله ضمير راجع إلى حال الوليد، أو من ثبت، وفاعله انتفاء. أي: يثبت بذلك، يعني بحال الوليد.

وقوله (**للرقص**): أي للتواجد. وقد أثبت التواجد الإمام القشيري في رسالته، وجعله تفاعل، أي: تكلّف الوجد. واستدلّ عليه بقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحج: «ابكوا فإنْ لم تبكوا فتباكوا»(١). ثمّ ذكر الوجد وهو ما لا تكلّف فيه فإنّه يحصل بالتواجد تكلّفاً، وبغيره قيّدهم العبد السالك في وقت السماع وغيره. ثم ذكر الوجود، وفيه الرسوخ والسكينة.

فرقص الصوفيّة هو تواجدهم ولو كان بالتكلّف منهم، فإنّه مطلوب عندهم لتحصيل الوجد والوجود، ولا التفات لمن شدّد في النهي عنه من الفقهاء، لأنّه مبني عندهم على حصول الغفلة عن تجلّيات الحقّ تعالى، وقسوة القلب والجمود على الظواهر، فليس في طريقهم شيء من ذلك المطلوب / [٢٠٧/ ب] عند الصوفيّة.

وذكر في طبقات الحنفيّة لعبد القادر القرشي قال في ترجمة محمّد بن وهبان الديلميّ الأصبهانيّ الحنفيّ: «كان حافظ الفقه، مليح الدرس في العبادة والإيراد، جيد الكلام في المناظرة، يرجع إلى صلاح ودين. لا يفارق مجلس أبي الوفا بن عقيل الواعظ. وبقول: الفقه يقسّي القلب، والوعظ يرققه». انتهى كلامه.

والإنسان عدوّ ما يجهل، فلهذا ينهون عنه. والحاصل: إنّ حال الطفل الصغير في اضطرابه عند السماع، ورقصه من غير تكلّف، لعدم إدراكه يثبت لرقص الصوفيّة، وتواجدهم انتفاء النقيصة عنه، فلا نقص فيه عندهم، والأعمال بالنّيات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى، كما ورد في الحديث. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنّما ينظر إلى قلوبكم»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: الحزن والبكاء، ٤٣٣٦، عن سعد بن أبي وقّاص.
(٢) تقدّم تخريجه ص٩٣٥.

فالمُعتبَر في الشرع عمل القلب، وهو النيّة والقصد. فإن كان رياءً يأثم على عمله به، وإن كان إخلاصاً وصدقاً يثاب ويؤجر. والناس محمولون على المقاصد الحسنة من غير تجسس عليهم.

٤٣٥ - إذَا هَامَ شَوْقاً بِالمُنَاغِيْ وَهَمَّ أنْ يَطِيْرَ إلِى أوْطَانِهِ الأوَّلِيَّةِ

٤٣٦ - يُسَكَّنُ بِالتَحْرِيْكِ وَهْوَ بِمَهْدِهِ إذَا مَا لَهُ أيْدِي مُرَبِّيْهِ هَزَّتِ

في هذين البيتين بيان حال الوليد، وهو الطفل الصغير في حال السماع، حيث لا تكلّف له في حاله. فقوله (**إذا هام شوقاً**): أي من جهة الشوق، قال في الصحاح: «الهُيَام كالجنون من العِشق». وقوله (**بالمُنَاغِي**): أي بسببه. قال في الصحاح: «النَغْيَةُ مثل النَغْمَةِ، وسمعت منه: نَغْيَة وهو من الكلام الحَسَن. والمُنَاغَاة: المُغازَلَة. والمرأة تُنَاغي الصبيّ، أي: تُكَلِّمُه بما يعجبه ويسره».

وقوله (**وَهَمَّ**): يقال هَمَمْتُ بالشيء أَهُمُّ هَمّاً: إذا أردته، كذا في الصحاح. وقوله (**أن يطير**): إلى أوطانه الأوّليّة: أي عالم روحانيّته الأصليّة؛ لأنّه قريب عهد منها، فيخرج من عالم جسمانيّته وطبيعة بدنه إلى حضرات الحقّ من حضرة القدرة الأزليّة، وحضرة الإرادة، وحضرة العلم؛ فإنّها أوطانه التي كان فيها بما يقتضيها من المقدوريّة والمراديّة والمعلوميّة، فإنّه يأنف طبعاً وخلقة أن يبقى في أسفل سافلين بعد حصوله في أعلى عليّين قبل التهائة بزخارف بالدنيا، واشتغاله بلذائذها وشهواتها.

وقوله (**يُسَكَّن**): بالتشديد والبناء لما لم يسمَّ فاعله، يقال: سَكَنَ الشيءُ سُكُوْنَاً وسَكَّنَهُ غيرُهُ تَسْكِيْنَاً، كذا في الصحاح. وقوله (**بالتحريك**) متعلّق بـ يسكّن. والتحريك ضدّ التسكين. وقوله (**وهو**): أي ذلك الوليد، أي: الطفل الصغير. وقوله (**بمهده**): أي بفراشه الذي يُمهد له للنوم فيه، وهو سرير من الخشب، مرتفع يُقَمّط عليه الطفل الصغير مخافة أنْ يسقط منه. والباء بمعنى في. والجملة حال من نائب فاعل يسكّن. وقوله (**إذا ما**): هي زائدة بعد إذا. وقوله (**له**): أي للوليد بمعنى الطفل. وقوله (**أيدي**): جمع يد. وقوله (**مربِّيه**): أي مربي الوليد؛

والمربّي بتشديد الباء الموحّدة، اسم فاعل، وهو الذي يربيه ويخدمه. وقوله (هزّتِ): بتشديد الزاي، يقال: هَزَزْتُ الشيءَ هَزّاً، أي: حَرَّكْتُه فتحرّك، كذا في الصحاح. وكسر التاء للقافية.

٤٣٧ - وَجَدْتُ بِوَجْدٍ آخِذِي عِنْدَ ذِكْرِهَا بِتَحْبِيرِ تَالٍ أَوْ بِأَلْحَانِ صَيِّتِ

(وجدت): من الوَجْد، قال في الصحاح: وَجَد في الحزن وَجْداً بالفتح. وقوله (بوجدٍ): متعلّق بوجدت. وقوله (آخذي): بمَدِّ الهمزة: اسم فاعل، صفة للوجد، من الأخذ، يقال: أخذت الشيء آخذه أخذاً: تناولته، كذا في الصحاح، أي: مُتناوِلِي من نفسي إليه بحيث لا أشعر/ [٢٠٨/ أ] بنفسي من الوجد.

وقوله (عند ذكرها): أي المحبوبة الحقيقيّة، أي: تذكّري لها، لأنّها المصوّرة لكل حسّ ومحسوس بإحدى الحواس، وكل عقل ومعقول، ومفهوم وموهوم، ومتخيّل بالعقل، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [٥٩/ الحشر/ ٢٤] فهو المصوِّر لكلّ صورة، والكلّ صور في الحسّ، وفي العقل، والكلّ له تعالى، كما قال: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١]. وقوله (بتحبير): أي تحسين وتزيين. قال في المصباح[1]: «الحبْر هو الجمال والبهاء وأثر النعمة، يقال: فلان حَسَن الحبْر والسِّبْر بالفتح. وهذا كأنّه مصدر قولك: حَبَّرْتُهُ حَبْراً: إذا حَسَّنْتُهُ. والأوّل اسم، وتَحْبِيْر الخط والشعر وغيرهما: تحسينه». وقوله (تالٍ): هو اسم فاعل من تلا القرآن: قرأ من حِفْظه، أو من المصحف. وقوله (أو بألحان) جمع لحْن. قال في الصحاح: «اللحن واحد الألحان واللحون». ومنه الحديث: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب»[2]. وقد لحن في قراءته إذا طرب بها وغرّد، وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء.

---

(١) هذا القول من الصحاح، وليس من المصباح لعلّ الناسخ وهم هنا. والسِبْر أي: الهيئة.

(٢) أخرجه الطبرانيّ في الأوسط، ٧٢٢٣، عن حذيفة بن اليمان، بلفظ: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها. وإيّاكم ولحون أهل الكتابَيْنِ وأهل الفسق؛ فإنّه سيجيء بعدي قوم يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانيّة والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنه». لا يروى هذا الحديث إلّا بهذا الإسناد.

وقوله (صَيِّتِ): بتشديد الياء التحتيّة، قال في الصحاح: «رجل صَيِّتِ، أي: شديد الصوت ، وكذلك رجل صَات».

٤٣٨- كَمَا يَجِدِ المَكْرُوْبَ فِيْ نَـزْعِ نَفْسِهِ   إذَا مَـا لَـهُ رُسْـلُ المَنَايَـا تَوَفَّـتِ

(كما يجد المكروب): أي الذي لحقه الكرب. قال في الصحاح: «الكُرْبَة بالضَمّ: الغَمّ الذي يأخذ بالنفس. وكذلك الكَرْب على وزن الضَرْب، تقول منه: كَرَبَهُ الغَمُّ إذا اشتدّ عليه. وقوله (في نزع نفسه): أي في وقت نزع روحه من التعلّق بجسده. والضمير للمكروب. وقوله (إذا ما) فما زائدة بعد إذا. وقوله (له): أي لذلك المكروب. (رسْلُ): بسكون السين المهملة، جمع رسول، وهم ملائكة الموت. (والمنايا): جمع مَنِيَّة بالتشديد. قال في الصحاح: «المنيّة الموتُ؛ لانّها مقدّرة، يقال: منيّ له، أي: قدر».

وقوله (توفّتِ): بكسر التاء للقافية، قال في الصحاح: «توفاه الله: أي قبض روحَه، والوَفاة: المَوْتُ». والمعنى: إنّه يجد عند سماع تلاوة القرآن بتحسين القراءة وتزيينها بالصوت الحسن ،كما ورد «زيِّنوا القرآن بأصواتكم»[1] وقوله عليه السلام : «مَن لم يتغن بالقرآن فليس منّا»[2]. وكذلك يجد عند سماع الأناشيد بالألحان والنغمات الطيِّبة مَنْ جذب روحه إلى عالم الأرواح، واضطراب نفسه كما يجد المحتضر عند موته نزع روحه، وشدّة كربه. وهي الحالة التي تسمِّيها العامّة بالتتوير، بالتاء المثناة الفوقيّة. وكان أصله بالثاء المثلثة من ثار: إذا هاج. قال في الصحاح: «يقال: ثَوَّر فلانٌ عليهم الشرَّ أي: هَيَّجَه وأظهره. وثَوَّرَ القرآن: أي بحث عن علمه». وذلك بتشديد الواو. فيصل الإنسان فيها من شدّة الوجد إلى يبس أعضائه وسقوطه إلى الأرض بمنزلة الميت. وهذا الحال مشاهد في كثير من فقراء

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: مسند حديث البراء بن عازب،١٨٨٩٤. كما أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، باب: أمّا حديث عبد الله الأخنس، ٢٠٥٤،

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول الله : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾،٧٥٢٧، عن أبي هريرة بلفظ: «ليس منّا من لم يتغنَ بالقرآن» وزاد غيره (ويجهر به).

الطرق. وهو خشوع يقع في القلب أوّلاً، ثمّ يتزايد حتّى يصير قشعريرة في الأعضاء، فيضطرب بها البدن. ومن الناس من ينكرها على أهلها. ومنهم من يعتقدها. وهي حالة يدخلها التلبيس من الكاذبين في طريق الصوفيّة، وأحوال الصادقين لا تخفى. ومن ذاق عرف، ومن عرف اعترف.

٤٣٩- فَوَاجِدُ كَرْبٍ فِي السِّيَاقِ لِفُرْقَةٍ كَمَكْرُوْبِ وَجْدٍ لاشْتِيَاقِ لِرُفْقَةِ(١)

(فواجد كرب في السياق): يعني الذي يجد الكرب الشديد في حال سياق الموت، قال في الصحاح: «السياق نزع الروح، يقال: رأيتُ فلاناً يَسوق، أي: يُنْزَعُ عند الموت». وقوله **(لفرقة)**: أي لأجل فراقه للحياة الدنيا، وقطع لذائذه وشهواته، وتأنسه بما فاته، وهذا الفرق بين من ينازع عند موته ومن يتواجد عند السماع إذا كان من الصادقين فإنّه يجد ما يجد من شدائد الأحوال التي ترد على قلبه من شدة شوقه إلى العالم الروحانيّ، وهو قوله **(كمكروب وجد)**: أي كالذي كربه ما يجد. وقوله **(لاشتياق)**: أي لأجل كمال اشتياقه. وقوله **(لرفقة)**: أي إلى رفقتة من الأرواح العليّة والملأ الأعلى، كما كان صلّى الله عليه وسلّم / [٢٠٨/ ب] يقول عند موته: «اللهم الرفيق الأعلى»(٢) اشتياقاً وحنيناً إلى الحضرات السنيّة، والتجلّيات العليّة.

٤٤٠- فَذَا نَفْسُهُ رَقَّتْ إِلَى مَا بَدَتْ بِهِ وَرُوْحِي تَرَقَّتْ لِلْمَبَادِي العَلِيَّةِ

(فذا): أي واجد الكرب في نزاع الموت. وقوله **(نفسه)**: أي روحه عند تمام نزاعه. وقوله **(رقّت)**: أي نفسه؛ بمعنى زالت كثافتها الجسمانيّة الطبيعيّة، وصارت رقيقة روحانيّة. وقوله **(إلى ما)**: أي رجعت إلى مقام ومحلّ. وقوله **(بدت به)**: أي ظهرت به حياته الدنيا، وهو الذي كان عليه من الأحوال. والمعنى: إنّ الميّت

---

(١) الرُفقة بضم الراء: الأصدقاء ما داموا في مجلسهم، فإن تفرقوا صاروا رِفقة بالكسرة.

(٢) أخرجه مالك في الموطّأ كتاب الجنائز، باب: جامع الجنائز، ٥٦٩. كما أخرجه البخاريّ ـ عنها أيضاً ـ في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: آخر ما تكلّم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ٤٤٦٣، قالت: «فكان آخر كلمة تكلّم: اللهم الرفيق الأعلى».

تكون حاله بعد موته نتيجة حاله وهو حيّ في الدنيا؛ فالموت يوصل كلّ حيّ إلى نهاية ما كان عليه من صلاح أو فساد، وذلك قوله في الأثر: «يحشر المرء على ما مات عليه، ويموت على ما عاش عليه»[1]. وقوله **(روحي)**: أي في حال السماع والتواجد، ومقامات الكرب الشديد الذي يشبه النزاع عند الموت. وقوله **(ترقّتِ)**: أي صعدت متجرِّدة عن العوائق الجسمانيّة والعلائق الطبيعيّة. وقوله **(للمبادي)**: جمع مبدأ، وهو الذي كان منه ابتداء الشيء، وهي حضرة الأرواح الأمريّة، والأسباب السماويّة الأصليّة المنبثّة بالنفخ الربّاني عن الروح الصمدانيّ، ولهذا قال **(العليّة)**: صفة للمبادي.

٤٤١ - وَبَـابُ تَخَطِّـيَّ اتِّـصَالِي بِحَيْـثُ لَا   حِجَـابَ وِصَـالٍ عَنْـهُ رُوْحِـي تَرَقَّـتِ

هذا بيان لإزالة معنى الغيريّة المفهوم من البيت قبله يقول **(وباب)**: أي افتتاح هذا الأمر الذي هو **(تخطِّيَّ)** بتشديد الطاء المهملة المضاف إلى ياء المتكلِّم المشدّدة مفتوحة، أي: مجاوزتي. قال في المصباح: «تَخَطَّيْتُه وخَطَّيْتُه: إذا خَطَوْتُ عليه». وفي الصحاح: «تَخَطَّيْتُهُ: إذا تجاوزته، يُقال: تَخَطَّيْتُ رقابَ الناس، وتَخَطَّيْتُ إلى كذا». ولا تقل تخطأت بالهمز. وقال **(اتّصالي)**: مفعول تَخَطِّيَّ. والاتّصال مصدر اتّصل، أصله: اوتصل، من وصل، فقلبت الواو تاءً، وأدغمت في التاء، كاتّعَدَ واتّقد، مطاوع وصل، ووعد، ووقد، قال في المصباح: «وصلت الشيء بغيره وصْلاً فاتَّصَلَ به». والمعنى: اتّصالي بالحضرة الربّانيّة من حيث توجّهات أسمائها الحسنى وصفاتها العليّة، وتخطّي هذا الاتّصال مجاوزته بزواله وذهابه عن عين البصيرة إلى

---

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ؛ وإنّما يشفع له ما رواه البخاريّ في صحيحه كتاب: الفتن، باب: إذا أنزل الله بقوم عذاباً، ٧١٠٨، عن ابن عمر، بلفظ: «أصاب العذاب من كان فيهم ثمّ بُعثوا على أعمالهم». كما روى مسلم في صحيحه، كتاب الجنّة والنار، باب: الأمر بحسن الظنّ بالله تعالى عند الموت، ٢٨٧٨، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يُبعث كلّ عبد على ما مات عليه».

ما هو أرقى منها، وهو رجوعه إلى حقيقة الذات الإلهيّة واتّحاده بها من حيث فناؤه عن كلّ ما يغايرها من الأكوان، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. يعني: افتتاح هذا التخطّي هو قوله (**بحيث**): أي مقام موصوف بأنّه (**لا حجاب وصال فيه**) أي: مواصلة للحقيقة الذاتيّة؛ لأنّ الوصال يقتضي الاثنينيّة؛ فإنّه لا وصال إلّا بين اثنين يتّصل أحدهما بالآخر. وقوله (**عنه**): متعلّق بـ ترقّت. والضمير يرجع إلى وصال.

وقوله (**روحي ترقّتِ**): بكسر التاء للقافية، أي: رجعت بالصعود إلى أمر الله الذي هو الحقّ تعالى آمراً، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [١١/ هود/ ١٢٣] ثمّ أكّده بقوله (**كلّه**): يعني باعتبار قيام الخلق به؛ لأنّ الخلق كثير، والأمر واحد. فإذا رجع الأمر إليه تعالى، وتأكد بقوله (**كلّه**) كان رجوعه إليه لا باعتباره هو في نفسه، لأنّه واحد، بدليل: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وهو هو تعالى، فهو راجع إليه، ولا بدّ لعدم انفصاله عنه، ولا يتصوّر رجوع الشيء إلى نفسه، فلا رجوع له إلّا برجوع كثرته بالخلق لاعتبار الأسماء والصفات فيه إلى وحدته بالذات، وهو المراد.

٤٤٢- عَلَى أَثَرِي مَنْ كَانَ يُؤْثِرُ قَصْدَهُ كَمِثْلِيَ فَلْيَرْكَبْ لَهُ صِدْقَ عَزْمَةِ

(**على أَثَري**): بفتحتين، أي: مذهبي وطريقتي، قال في المصباح: «جئت في أَثَرِهِ بفتحتين. وإِثْرِهِ بكسر الهمزة والسكون، أي: تَبِعْتُهُ عن قُرب». وقال الراغب: «أَثَرُ الشيءِ حصولُ ما يدلّ على وجوده، ومنه ما يقال للطريق المستدلّ به على من تقدّم أثره نحو قوله تعالى: ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ/ [٢٠٩/ أ] أَثَرِي﴾ [٣٠/ طه/ ٨٢] وقوله (**مَنْ كان**): أي كلّ إنسان كان، فمَنْ شرطيّة وقوله (**يؤثر**): من آثر بالمدّ، قال في المصباح: «آثَرْتُهُ، بالمدّ: فَضَّلْتُهُ». وقال الراغب: «ويستعار الأثر للفضل، والإيثار للتفضيل. ومنه آثرته. وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [٥٩/ الحشر/ ٩] وقوله تعالى:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [٨٧/الأعلى/١٦] وقوله (**قصده**): أي قصد باب التخطّي في البيت قبله، من إضافة المصدر إلى مفعوله. والمعنى: كلّ من كان يقدم قصد الباب على جميع مقاصده، ويرغب في ذلك فهو تابع لطريقتي، ومقتدي بمذهبي.

وقوله (**كمثلي**): الكاف زائدة، أي: مثلي. أو غير زائدة. يعني: كإنسان يماثلني في إيثار هذا القصد على غيره. وقوله (**فليركب**): الفاء في جواب الشرط، واللام لام الأمر. ويركب فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وهي استعارة مكنيّة، شبّه صدق العزم بدابة، وأثبت لها الركوب تخييلاً للمشبّه به المحذوف، وهو الدّابة. وقوله (**له**): أي إليه. والضمير للباب المقصود، وهو ترشيح للاستعارة. وقوله (**صِدْقَ**) مفعول يركب. (**عزمة**): أي اجتهاد. قال في المصباح: «عَزَمَ عَزِيْمَةً وعَزْمَةً: اجتهد وجَدَّ في أَمْرِهِ». و(**صدق العزم**): أنْ لا يبقى فيه فضلة لغير ما عزم عليه من الأمر، ويتوجّه إليه بكليّته إخلاصاً ونعياً.

٤٤٣- وَكَمْ لُـجَّةٍ قَدْ خُضْتُ قَبْلَ وُلُوْجِهِ فَقِـيرُ الغِنَـى مَـا بُـلَّ مِنْهَـا بِنُغْبَـةِ

(**وكم لجّةٍ**): بالجرّ، قال في القاموس: «كم اسم ناقص مبني على السكون، أو مؤلّفة من كاف التشبيه، وما ثمّ قصرت واسكنت. وقال في المغني لابن هشام: «كم على وجهين: خبريّة بمعنى كثير. واستفهاميّة، أي: عدد. ويشتركان في خمسة أمور: الإسميّة، والإبهام، والافتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير. ويفترقان في خمسة أمور: ـ أنّ الكلام مع الخبريّة محتمل للتصديق والتكذيب بخلافه مع الاستفهاميّة. «وأنّ المتكلّم بالخبريّة لا يستدعي من مخاطبه جواباً، لأنّه مخبر. والمتكلّم بالاستفهاميّة يستدعيه، لأنّه مستخبر. ـ وإنّ الاسم المبدل من الخبريّة لا يقترن بالهمزة، بخلاف المبدل من الاستفهاميّة. يقال في الخبريّة: كم عبيدي! خمسون ؛ بل ستّون!. وفي الاستفهاميّة: كم مالك؟. عشرون أم ثلاثون؟. ـ وأنّ مميّز الخبريّة مفرد أو مجموع ـ. وأنّ تمييز الخبريّة واجب الخفض. وتمييز الاستفهاميّة منصوب، ولا يجوز جرّه مطلقاً. يعني: سواء جرّت كم بحرف جرّ أو

لم تجرّ، خلافاً للفرّاء والزجّاج وابن السرّاج، فإنّهم يجرّونه مطلقاً، ذكره الشمني. وكم هنا خبريّة لا استفهاميّة.

وقوله (**لجّة**): بالجرّ على إضافة كم إليها. و(**اللُجّة**): بالضمّ معظم الماء، كذا في المصباح. والمراد شدّة من شدائد طريق الله تعالى. وقوله (**قد خضت**): أي دخلت ومشيت، يقال: خاض الرجلُ الماءَ يَخُوضُهُ خَوْضاً: مشى فيه. وخاض في الأمر: دخل فيه، كذا في المصباح. وقوله (**قبل ولوجه**): أي ولوج الباب المذكور. يعني: قبل دخولي فيه، وهو باب الاتّحاد الحقيقيّ كما مرّ؛ فإنّ صعوبة الطريق وأهواله العظام إنّما تكون قبل الوصول إلى حقيقة الأمر، وانكشاف السرّ الرّباني في الأمر الروحانيّ، والتجلّي الرحمانيّ. فإذا استوى الرحمان على عرش النشأة الإنسانيّة، ولم يبق في العبد فضلة من الغيرية الوهميّة ذهبت نقطة الغين، وقرّت العين بالعين.

وقوله (**فقير الغنا**): أي الفقير من الغنى الدنيويّ، وهو الزاهد في الدنيا، وفي شهواته، وفي الآخرة، وفي لذّاتها. واحترز بذكر الغنا عن الفقير من كلّ ما سوى الله تعالى، حتّى من نفسه وأحوالها، وهو الفاني في الوجود الحقّ عزّ وجلّ، فإنّه ولج الباب المذكور، وهو الشاكر والمشكور. وقوله (**ما بُلَّ**) بضمّ الباء الموحّدة وتشديد اللام مفتوحة: فعل ماض مبني للمفعول، من البَلَل، يقال: بَلَلْتُهُ بالماء بَلّاً ـ من باب قتل ـ فابْتَلّ هو. والاسم: البَلَل بفتحتين، كذا في المصباح. ونائب الفاعل ضمير عائد إلى فقير الغنى. وقوله (**منها**): أي من تلك اللجّة. وقوله (**بِنُغْبَةٍ**): متعلّق بِبُلّ. و(**النُغْبَةُ**): بضمّ النون وسكون الغين المعجمة وبالباء الموحّدة والهاء. قال في الصحاح: «النُغْبَةُ، بالضمّ الجُرْعَةُ/[٢٠٩/ب] وقد تفتّح». قال ابن السكّيت: «نَغِبْتُ من الماء بالكسر نَغْباً، أي: جَرِعْتُ مِنْه جَرْعَاً. وقدّ يكون قوله (**وكم لجّه**): أي من لجج بحار التوحيد، والمعارف الإلهيّة، قد خضتها قبل دخولي باب الاتّحاد الحقيقيّ كما ذُكر. والزاهد العابد المجاهد في الطريق ما بَلَّ حَلْقه، ولا شرب من تلك اللجّة جرعة، لوقوفه مع نفسه وحجابه

عن ربّه بأحوال نفسه. وقد يُراد بفقير الغنا المفتقر إلى السماع ليحرّك شوقه إلى حضرة ربّه، فيكون الغنا ممدودة.أو قد قصر لضرورة الوزن.

٤٤٤- بِمِـرْآةِ قَـوْلِي إنْ عَزَمْـتَ أُرِيكَـهُ فَأَصْـغِ لِـمَا أُلْقِـي بِـسَمْعِ بَـصِيْرَةِ

(بمرآة): بالمدّ، قال في المصباح: «المرآة بكسر الميم. وجمعها مرايا». وفي الصحاح: «والمِرْآةُ، بكسر الميم. التي يُنْظَر فيها. وثَلاث مَرَاء، والكثير مَرَاء، قال أبو زيد: رأيت الرجل تَرْئِيَةً: إذا أمسكتُ له المرآة لينظر فيها. وقوله (قَوْلي): أي كلامي الذي أقوله في هذا النظم، فإنّه شبَّه كلامه بمرآة مجلوّة، فإذا نظر فيها الرائي رأى نفسه، لأنّها ترى الناظر فيها صورة وجهه، فإنّ رأى وجهاً حسناً فهو وجهه، وإنْ رأى وجهاً قبيحاً، فهو وجهه. وكذلك المريد السالك في طريق الله تعالى إذا نظر في معاني كلام الناظم، وفهمه على طبق الشريعة المحمّديّة، والأحكام التوحيديّة المطابقة للكتاب والسنّة النبويّة؛ فإنّه يرى بذلك أحوال نفسه، وما هو عليه في باطنه وظاهره. فإنّ وجده مطابقاً لذلك علم صدقه في الإرادة وسلوكه في طريق الساده وفي منهاج السعادة. وإن رأى في باطنه وظاهره انحرافاً عن ذلك علم كذبه والتباس أمور نفسه عليه، فليسعَ في تصحيح الحال، أو يبق هاوياً في أودية الضلال. وهذه حكمة تكلّم العارفين المحقّقين بعلومهم ومواجيدهم للغافلين المحجوبين حتى يعرضوا أحوالهم على أحوال السادة المتقدّمين، ويقتدوا بهم في بواطنهم وظواهرهم، فيهتدوا بما اهتدت به أسلافهم، فإنّ المرشد المحقق ما عنده إلّا التبليغ، وما أُمِرَ إلّا بالتبليغ، كما قال تعالى في حقّ المرشدين الكاملين من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [٢٤/ النور/ ٥٤]. وقال تعالى لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٧٢] وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٠/ يونس/ ٤٢] وقال تعالى في حقّهم وفي حق الأتباع لهم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾

[١٢/ يوسف/ ١٠٨] وقوله (إن عزمتَ): بفتح التاء، خطاب للمريد السالك، قال في المصباح: «عَزَمَ على الشيء عَزْمَاً، من باب ضرب: عَقَدَ ضميرَه على فِعله، وعَزَمَ عَزِيْمَةً وعَزْمَةً: اجتهد وجَدَّ في أمره، وكلاهما مراد هنا. وقوله (أُرِيْكَهُ): أي أريك الباب المذكور فيما سبق، فتراه، فتجاهد نفسك، حتّى تدخل منه. وهو باب الله الحقّ الحقيقيّ الذي من دخله كان آمناً في الدنيا والآخرة. فإنّه في بيت الله الحرام، يرجع إلى أصله؛ فيكون في حضرة العلم القديم. وكان من دهم إلى البيت العتيق، فيفنى الفاني، ويبقى الباقي: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٧] بعد قوله كذلك:﴿ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٧] وقوله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[١] حيث صدّق في ذلك قول الشاعر كما في صحيح مسلم وغيره.

(فأصغ): فعل أمر بقطع الهمزة لضرورة الوزن مكسورة، يقال: صَغَيْتُ إلى كذا أَصْغَى بفتحتين: مِلْتُ. وصَغِيَ من باب تعب. وصَغَوْتُ صُغُوّاً من باب قعد، لغة أيضاً، كذا في المصباح. وقوله (لمّا أُلقي): أي إلى الذي ألقيه عليك من الكلام. وقوله (بسمع): متعلّق بأصْغِ. وقوله (بصيرة): أي بسمع القلب الذي هو الامتثال والطاعة. والبصيرة: قوّة القلب المدركة. وجمعها بصائر، ولا يكاد يقال الجارحة: البصر بصيرة، وبصيرة العلم/ [٢١٠/ أ] في قوله تعالى: ﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [١٢/ يوسف/ ١٠٨] أي: على معرفة وتحقّق. ذكره الراغب، وقال أيضاً: «ويعبّر بالسمع تارة عن الأذن نحو: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ [٢/ البقرة/ ٧]. وتارة عن فعله كالسماع نحو قوله: ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ [٢٦/ الشعراء/ ٢١٢] وقال تعالى: ﴿ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾ [٥٠/ ق/ ٣٧] وتارة عن الفهم، وتارة عن الطاعة. تقول: اسمع ما أقول لك، ولا تسمع ما قلت. وتعني: لم تفهم. وقوله:﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ [٢/ البقرة/ ٩٣] أي: فهمنا ولم نأتمر

(١) انظر تخريجه في ص٦٧١.

بك. وكذا قوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٥] أي: فهمنا وائتمرنا. وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [٨/ الأنفال/ ٢١] يجوز أنْ يكون معناه فهمنا وهم لا يفهمون، وأن يكون معناه فهمنا وهم لا يعملون بموجبه؛ فهو في حكم من لم يسمع.

٤٤٥ - لَفَظْتُ مِنَ الْأَقْوَالِ لَفْظِيَ غَيْرَةً وَحَظِّي مِنَ الأفْعَالِ فِي كُلِّ فَعْلَةِ

(لفظتُ): أي ألقيت ورميت، قال في المصباح: «لَفَظَ رِيْقَهُ وغَيْرَهُ لَفْظاً، من باب ضرب: رمى به. ولَفَظَ البحرُ دابَّةً: ألقاها إلى الساحل. ولَفَظَتِ الأرضُ الميِّتَ: قَذَفَتْهُ». وقوله **(من الأقوال)**: جمع قَوْل، وهو مصدر قال يقول قولاً. وقوله **(لفظيَ)**: مفعول لفظت، وهو مصدر لَفَظَ بقولٍ حسن: تكلّم به، وتَلَفَّظَ به: كذلك. واستعمل المصدر اسماً، وجُمِع على: أَلْفَاظ، مثل: فَرْخ وأفْرَاخ، كذا في المصباح. والمعنى: ألقيت ورميت كلامي وتلفّظي من الأقوال، فلا كلام لي في العلوم الإلهيّة، ولا تلفّظ منِّي بالمعارف الربّانيّة، ولا غير ذلك لذهاب دعوى النفس، وفناء نسبة إيجاد ذلك إليّ؛ لأنّه تعالى هو الموجد لكلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٢] وقوله سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] وفي الحديث: «قال الله على لسان عبده: سمع الله لمن حمده»[١]. ولمّا ناجى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم علياً رضي الله عنه قالوا: ينتجي ابن عمّه فقال صلّى الله عليه وسلّم: «أنا ـ والله ـ ما انتجيته، ولكنّ الله انتجاه»[٢] وكلّ هذا من عدم دعوى الأقوال وشهود الحقّ تعالى فيها، وقوله **(غَيْرَةِ)**: بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتيّة وبالراء والهاء، قال في المصباح: «غَارَ الزوج على امرأته، والمرأةُ على زوجها، يَغار، من باب تعب، غَيْراً وغَيْرَة بالفتح، وغَاراً» يعني: كان تركي

---

(١) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب الصلاة، باب: افتتاح الصلاة، ٢٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، ٣٧٢٦، عن جابر، بلفظ: وما انتجيته ولكنّ الله انتجاه، قال الألبانيّ: ضعيف.

لدعوى التكلّم من جهة الغَيْرَة على خلق الله تعالى أنْ أَدّعِيْهِ وأَنسبه إلى نفسي الموصوفة به، لتحقُّقي بأنّ الله تعالى خالقي، وخالق جميع أوصافي، خصوصاً. وقد ورد في حديث المتقرِّب بالنوافل، وكنت لسانه الذي ينطق به»[1]. وقوله **(وحظّي)**: معطوف على لفظي، أي: لفظتُ وألقيتُ ورميتُ أيضاً **حظّي**. والحَظُّ، بالحاء المهملة والظاء المعجمة: النصيب، والجمع حُظُوظ ، مثل فَلْس وفُلُوس، كذا في المصباح. وقوله **(من الأفعال)**: بيان للحظّ، والأفعال، جمع: فعل، وهو حركة بدنيّة مخصوصة بالظاهر أو الباطن، قال الراغب: «الفعل الثابت من جهة مؤثّر، وهو عام لّما كان باجادة أو غير إجادة. ولّما كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصدّ، ولّما كان من الإنسان والحيوانات والجمادات والعمل والصنع أخصّ منه قال: العمل كلّ فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخصّ من الفعل، لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد. وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلّما ينسب إلى ذلك. ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلّا في قولهم: الإبل العوامل. والعمل يستعمل في الأعمال الصالحات والسيّئات. قال: والصنع إجادة الفعل، فكلّ صنع فعل، وليس كلّ فعل صنعاً، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل. وقوله **(في كلّ فَعْلَة)**: بفتح الفاء، أي فعل مرّة. وترك حظّه من الأفعال، هو ترك دعوى الأفعال كلّها؛ لأنّه هو وأفعاله/ [١١٠/ ب] كلّها فعل ربّه. وما أحسن في هذا المحلّ أبيات الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربيّ قدّس الله سرّه في كتابه شجون المسجون، وهي:

يخاطبني بي في مواقف قربه ... فأشهدني غيري وإيّاي أشهد
فقال ولا غيري تقول وإنني ... مناجي مناجي واحد متعدد
وما أنا غيري غير أنّي غيره ... وأقرب بي منه وفي القرب أبعد

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

تعالى وأدناني إليه بوحدة ... يراها بها إيّاي والغير يفقد
وما عدمت ذاتي بلى وجدت به ... تُرقي بلا حدّ هناك وتخلّد
هنا وقف السيّار من غير وقفة ... فزاد وزيد قال لا يتزيّد
بغير اتّحاد قلت إني موحّد ... وإنّي بها وحّدت ذاتي موحّد
لأنّي به غيري إذا لم أكن به ... بذلك أشقى أو بذلك أسعد
فلي وحدتي بالذات ضدّان دائماً ... ووحدّته بالذات لا تتعدّد
وتحقيق فصل الحكم بيني وبينه ... قريب إذا ما كنت من لا يقيّد
بقيت مرادي إنْ أردت مراده ... فما ههنا إلّا المراد المجرّد
فعدنا يقينا فاعلين كواحد ... مريدين موصوفين والعقل مفرد
فإنْ قلت فعل الله فالقول صادق ... وإنْ قلت فعلي فهو صدق مؤيّد
إرادته تجري بأيدي عباده ... فأفعالهم أفعاله وهو يشهد
رمى بيد الرامي فلم يرم إذْ رمى ... سوى الله والرامي هناك محمّد
ولا شرك بين الراميين ومن درى ... حقيقة إيضاحي بأحمد يحمد
ألا إنّ قطب الشأن أنّ مراده ... بنفي إرادات العباد مقيّد
فهما أرادوا لا عن الأمر أشركوا ... ومنها أرادوه عن الأمر وحدوا
وليس العبد أن يريد إرادة ... ولا نفيها بل يأمر العبد سيِّد
فمن قام بالأمر استفهام وههنا ... هو المطلب الأعلى الأتمّ المسدّد
كذاك إذا ما الأمر منه أقامني ... فما أنا بل غيري له القول واليد
وحين أقيم الأمر إنّي عبده ... تعالى بما قد قاله أتعبّد
فدأبي أقيم الأمر حتّى يقيمني ... طريق قريب للجميع ممهّد

فقـم تحـيَ بـالأمر الـذي إنْ أقمتـه أقامـك حيّاً حين تفنى وتوجـد

ولا تـك مفتونـاً بـوهم خيالـه ألا إنّـما سـيف الخيـال مهنّـد

٤٤٦ - وَلَحْظِي علَى الأَعْمَالِ حُسْنُ ثَوَابِهَا وحِفْظِـيَ لِلأَحْـوَالِ مِـنْ شَـيْنِ زِيْنَـةِ

(ولحظي): معطوف على لفظي، أو حظّي في البيت قبله، أي: لفظت وألقيت وتركت أيضاً ملاحظتي. قال في المصباح: «لَحَظْتُ إليه لَحْظاً من باب نفع: راقبته. ولاحَظْتُه مُلاحَظَةً ولِحَاظاً من باب قاتل: راعيته. وقوله (على الأعمال): تقدّم معناها، وهي الأعمال الصالحة التي يعملها في طريق الله تعالى.

وقوله (حسن): مفعول لحظي. وقوله (ثوابها): أي الجزاء عليها من الله تعالى، فترك ملاحظة ذلك على وجه الإخلاص لله تعالى، فلم يعمل لأجل الثواب، وإنّما يعمل عبوديّة صرفة، فإنّ العبد إذا خدم سيّده وأطاعه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه لا يرجو منه ثواباً ولا أجراً، ولا يستحقّ على ذلك أجرة من مولاه. بخلاف الأجير القائم بنفسه في خدمة من استأجره؛ فإنّه يطلب الأجر، ويرجو ذلك من المستأجِر، ويستحقّه بالتزام المستأجر ذلك وإيجابه على/[٢١١/أ] نفسه شرعاً لأنّه يعول نفسه ويموّنها، وليس على المستأجر أنْ يموّنه ويعوله إلّا إذا شرط ذلك على مستأجره، ولا كذلك العبد، فإنّ مونته وجميع حوائجه على مولاه، ولهذا جعل الله تعالى على نفسه الأجر والثواب للعاملين بأحكامه بعد تمام أعمالهم في الدار الآخرة، ولمّا كان الأنبياء المرسلون إلى الخلق قوّاماً على المكلّفين في رعاية الأعمال، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ١١] جعل تعالى لهم أجراً كالعمال حتّى قالوا: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [١٠/ يونس/ ٧٢] وقال لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٢٣] فطلب الأجر من العمّال مجانسة لهم، وتمهيداً لطريقهم التي درجوا عليها على حسب طاقتهم، فإنّهم لا ينقادون إلّا بسلاسل الترغيب والترهيب، ولهم ذلك في الكتاب والسنّة. وإلّا فالعبوديّة في الأنبياء والمرسلين

عليهم الصلاة والسلام أكمل منها في غيرهم من عبيد الله تعالى، فلا يرجون ثواباً، ولا ينتظرون أجراً في حقائق أحوالهم بينهم وبين الله تعالى، كما نُقل عن رابعة العدويّة، فكانت من أهل عبوديّة الله تعالى الخالصة، رضي الله عنها، فكانت تقول في مناجاته: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا رغبة في جنّتك؛ وإنّما عبدتك طلباً لوجهك الكريم». وفي «شجون المسجون» للشيخ الأكبر قدّس الله سرّه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة لمن ينظر إلى جنّاته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام، وأكرمهم على الله تعالى من ينظر إلى وجهه بكرة وعشيّة»[1].

اعلم أنّ المتأمّل لهذا الحديث من المؤمنين به لا يرضي أبداً أن يكون أدنى وهو يقدر على أن يكون أكرم. وتحقيق ذلك إنّما هو هناك مبنيّ على ما هو هنا. فمن كان من المؤمنين ههنا نظره إلى جنّاته وأزواجه ونعيمه وغير ذلك؛ فهو هناك كذلك. ومن كان قلبه مع الله تعالى، وهو دائم النظر إليه، معتمداً رضاه فيما فرض عليه، فهو أيضاً هنالك على مثل ذلك. فاختر لنفسك ما شئت فستردّ إلى ما رضيت، أو تهوي إلى ما هويت:

يا ممتحناً بكلّ ما بين يديه ... والأمر منه الآمر قد ردّ إليه
مهما كسبت يداه في عالمه ... هذا فهناك يرجع الكسب عليه

وقوله (**وحفظي**): معطوف على لفظي وحظّي أو لحظي، أي: محافظتي ومداومتي. قال في المصباح: «حَفِظْتُ المالَ وغيرَهُ حِفْظاً إذا: منعته الضَّياع والتَلف، وحَفِظْتُهُ: صُنْتُهُ عن الابتذال، واحتفظت به. والمعنى: إنّي لفظت وألقيت وتركت محافظتي (**للأحوال**): جمع حال من حَالَ الشيءُ حَوْلاً من باب قال: إذا مضى، ومنه للعام: حَوْل وإن لم يمضِ؛ لأنّه سيكون ماضياً، تسمية بالمصدر، كذا في المصباح. وسمِّي الحال لتحوِّله وعدم بقائه على صاحبه، فإنّ بقي عليه ورسخ

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمر، ٥٤٤١.

فيه فهو مقام، وأصل المقامات أحوال، كالزهد، والتوكّل، والصبر، والشكر من الأعمال القلبيّة. وقوله (من شَيْنِ زِينَةِ) متعلّق بحفظي، والشَّيْن، بفتح الشين المعجمة: مصدر شانه شَيْناً من باب عابه، والشَّيْن خلاف الزَّين، كذا في المصباح. (والزينة) بكسر الزاي وسكون الياء التحتيّة وبالنون والهاء، قال في المصباح: «زَانَ الشيءُ صاحبَه زَيْناً من باب سار. والاسم الزِينَة. والمعنى: تركت حفظ أحوالي من عيب تزيّن نفسي، ولمّا التفت إليّ افتخار نفسي وتكبّرها بما يصدر عنها من الأحوال الحسنة، زيَّنتُها بذلك لرجوع جميع ما يصدر من نفسي وما هي متّصفة به إلى ربّها، قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [١١/ هود/ ١٢٣] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٢١].

وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه شرح الوصايا اليوسفيّة: «وإن كبرت عند العارف نفسه فليس ذلك الكبر بمذموم وإنّما هو/[٢١١/ ب] بمشاهدة حقيقة كونها على صورة منشئها؛ فالكبرياء لله لا لها، فإنّ صغرت في هذه الحالة عنده، أو صغَّرها بنظره عند نفسها فقد صغَّرَ الحقّ، وألقاها في بحر الجهل بنفسها، وأخرجها عن معرفتها به. ومَنْ خرج عن معرفة نفسه، فقد خرج عن معرفة ربّه؛ فالعلماء تشهد نفوسهم ذات كبرياء وعظمة. والمريد يشهدها صاغرة ذليلة، فإنْ صَغُرَتْ عند العالم كان نقصاً في حقّه، ولم يكن عالماً، وعاد ذلك الصِغَرُ على ربّه فأساء الأدب، فاستوجب الطرد. وإنْ كبرت عند المريد نفسه فليس بمريد، بل هو من العوام.

٤٤٧ - وَوَعْظِي بِصِدْقِ الْعَزْمِ(١) إِلْغَاءَ مُخْلِصٍ وَلَفْظِي اعْتِبَارَ اللَّفْظِ فِي كُلِّ قِسْمَةِ

(**ووعظي**): معطوف على لفظي وحظّي ولحظي أو حفظي. والوَعْظ مصدر وَعَظَهُ يَعِظُهُ وَعْظاً وَعِظَةً: أمره بالطاعة ووصاه بها. وقال بعض المتقدّمين:

(١) في (ق): القصد.

«الوعظ تذكير مشتمل على زجر، وتخويف، وحمل على طاعة الله بلفظ يرقّ له القلب، كذا في المصباح. والمعنى لفظت، وألقيت، وتركت وعظي لعباد الله تعالى الصادر منّي . (**بصدق العزم**): أي بعزمي الصادق. والعزم: الجدّ والاجتهاد. و(**صدق العزم**): مطابقته للواقع بالإخلاص لله تعالى من غير شائبة حظ النفس وغرضها. وقوله (**إلغاء**): منصوب على أنه مصدر مؤكّد لقوله (**لفظت**) فيما سبق. بمعنى: ألقيت وتركت. يعني لفظت جميع ذلك، وهو لفظي وحظّي ولحظي وحفظي ووعظي إلغاء كما تقول: قمت وقوفاً، وقعدت جلوساً. وهو مصدر منصوب بالفعل على اعتبار معناه دون لفظه تأكيداً له. وقوله (**مخلص**): مضاف إليه. والمعنى ألغيت جميع ذلك مع صدوره منّي على أتمّ الوجوه إلغاء رجل مخلص لا ينظر إلى عمله لاشتغاله بشهود المعمول له، وهو الحقّ تعالى وحده؛ على معنى الاتّحاد الحقيقيّ الذي يشير إليه الناظم في كلامه، كما مرّ بيانه مراراً. وقال في المصباح: «أَلْغَيْتُهُ: أَبْطَلْتُهُ، وألغيته من العدد: أسقطته». و(**المخلص**): الصافي من كدر النفس ودعاويها. من خَلَصَ الماءُ من الكدر: صفا». وقوله (**ولفظي**): معطوف أيضاً على لفظي الأوّل في البيت السابق، وما عطف عليه، أو على وعظي، أي: لفظت وألغيت وتركت أيضاً تلفّظي هذا المذكور. وقوله (**اعتبار اللفظ**): بدل من لفظي، أي: اعتبار هذا اللفظ. وقوله (**في كلّ قسمة**): متعلّق باللفظ أو باعتبار، سواء كانت القسمة في هذا التقسيم المذكور للأقوال، والأفعال، والأعمال، والأحوال، وصدق العزم، أو غير ذلك. والمراد نفي الاثنينيّة عن الحقّ تعالى مطلقاً؛ لحصول صفاء التوحيد من كدر الأوهام، كما قال القائل:

لقد كنت حيناً قبل أن يكشف الغطا ... أظنّ بأنّي ذاكر لك شاكر

فلمّا أضاء الفجر أصبحت شاهداً ... بأنّك مذكور وذكرك ذاكر

ولنا من هذا القبيل :

هو المشكور والشاكر ... هو المذكور والذاكر

هو الأمر الذي قد أنْكروا والنكر والناكر
معان كلّها فيه فقم لرياضها باكر
وأطلق ذاته فيها وحاذر عقلك الحاكر

وقولنا أيضاً:

أنت هو اللفظ واللافظ واللفظ والملحوظ واللاحظ
واللحظ والمعلوم والعلم والعالم والحفظ والمحفوظ والحافظ
وكلّ ما يدرك بالعقل والـ عقل ومن يغتاظ والغائظ
/ [٢١١/ أ] والحسّ والمحسوس والوهم والـ موهوم بل والوعظ والواعظ
مراتب قام وجود بها حقّ على تغييرها واقظ
وهو وجود مطلق ثابت قد حار فيه السعد والجاحظ.

٤٤٨- فَقَلْبِيَ بَيْتٌ فِيْه أسْكُنُ دُوْنَهُ ظُهُورُ صِفَاتِي عَنْهُ مِنْ حُجَبِيَّتِي

يعني: إذا لفظتُ عنّي جميع ما ذكرت من: أقوالي وأفعالي وأحوالي، وفنيتْ ذاتيّ عنّي بالكلّيّة، وبقي الحقّ تعالى وحده ظاهراً بجميع ما ذكرت، والعوالم كلّها صور تجلّياته بأسمائه وصفاته؛ فقلبي بيت من جملة بيوته، وأنانيّتي ظهور أنانيّته. وقوله **(فيه)**: أي في ذلك البيت. **(أَسكن)**: أي تسكن أنانيّتي التي ظهور أنانيّته متجلّية بي. وقوله **(دونه)**: أي دون ذلك البيت الذي هو قلبي. ودون: ظرف مبني على الفتح ومعناه أقرب من ذلك، قال في المصباح: «هو دون ذلك على الظرف، أي: أقرب منه» وهو خبر مقدّم. وقوله **(ظهور صفاتي)**: مبتدأ مؤخر. **وصفاته**: هي حياته، وعلمه، وسمعه، وبصره، وإرادته، وقدرته، وكلامه. وغير ذلك من صفات أفعاله، وكلّها ظاهرة دون مقام قلبه. وقوله **(عنه)**: أي عن ذلك البيت الذي هو قلبي، على معنى أنّها ناشئة عن توجّهات من توجّهاته. وقوله (من

حجبيّتي): أي من جملة ما احتجبت به عنه؛ فبيت قلبي محتجب عنّي باعتبار ذاتي المطلقة بالإطلاق الحقيقيّ التي لا تدخل تحت مرتبة العلم الإلهيّ، واحتجابه عنّي بظهور صفاته التي هي عينه؛ من حيث هو، وغيره من حيث ما يظهر عنها من الآثار؛ فصفاته التي هي الحجب النورانيّة، وآثارها هي الحجب الظلمانيّة، كما ورد: «إنّ لله سبعين حجاباً من نور وظلمة. لو كشفها لأحرقت سبحات نور وجهه ما أدركه بصر من خلقه»[1]. الحديث.

٤٤٩- وَمِنْهَا يَمِيْنِي فِيَّ رُكْنٌ مُقَبَّلٌ وَمِنْ قِبْلَتِي لِلْحُكْمِ فِيَّ قُبْلَتِي

(ومنها): أي من جملة صفاتي الظاهرة **(يميني)**: أي يدي اليمين التي أبايع بها مَنْ أريد من المريدين. وقوله **(فيّ)**: بتشديد الياء التحتيّة، أي: في جملة بنيان جسدي المستور بأثوابي كما سُتِرت الكعبة بالأستار شرعاً. وقوله **(ركن)**: قال في المصباح: «رُكْنُ الشيءِ: جانبه»؛ وهو ركن الحجر الأسود. وقوله **(مُقَبَّلٌ)**: صفة ركن باعتبار الحجر الأسود الذي يُقَبِّلُه كلُّ مَنْ يطوف بي حساً أو معنىً من أتباعي، والمعتقدين فيَّ حُسْنَ أحوالي من الناس. ولمّا كان الركن اليماني مقابلاً لركن الحجر الأسود، وهو منه ورد تقبيله أيضاً في الطواف كما ذكر والدي في شرحه على شرح الدرر. قال: «ونُدِب استلام الركن اليمانيّ». وعن محمّد بن الحسن

---

(١) قال الزين العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء١ / ٢٤٠: حديث «إنّ لله سبعين حجاباً من نور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصر». أخرجه أبو الشيخ ابن حبّان في كتابه «العظمة»، من حديث أبي هريرة: «بين الله والملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور». وإسناده ضعيف. وفيه أيضاً من حديث لأنس قال: «قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لجبريل: هل ترى ربّك؟. قال: إنّ بيني وبينه سبعين حجاباً من نور». وفي الطبرانيّ: «من حديث سهل بن سعد ـ دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ـ». ولمسلم من حديث أبي موسى: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصر من خلقه». ولابن ماجه: «شيء أدركه بصر».

الشيباني[1] أنّه سُنَّة. وحديث الدار قطني عن ابن عمر رضي الله عنهما: «كان عليه الصلاة والسلام يقبّل الركن اليمانيّ، ويضع يده عليه»[2] وأخرجه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أيضاً. وقال: «ويضع خدّه عليه» . وعن ابن عمر رضي الله عنهما «كان عليه الصلاة والسلام لا يدع أن يستلم الحجر والركن اليمانيّ في كلّ طواف»[3] رواه أحمد وأبو داوود «ولا يستلم غيرهما».انتهى. ولهذا قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربيّ قدّس الله سرّه في جملة أبيات له:

يمين المؤمن الركن اليمانيّ ... أقبّلها لأحظى بالأماني

يمين مالها حجب تعالت ... عن الحجبات والحجب المثاني

آمنت بلثمها من كلّ سوء ... يقرّبني إلى دار الهواني

وقوله (ومن قِبلتي): بكسر القاف. وسمِّيت قِبلة لأنّ المصلّي يقابلها. وكلّ شيء جعلته تلقاء وجهك فقد استقبلته وواجهته، كذا في المصباح. وقوله (للحكم): أي لأجل القيام بحكم الله تعالى، وهو القيام بالشريعة المحمّديّة والعمل بها. وقوله (في): حرف جر/[٢١٢/ب] وقوله (فيّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في فمي، والأصل فم، وإذا أضيف إلى غير ياء المتكلّم حذفت الميم وعوض عنها واو رفعاً وألف نصباً وياء جراً. وربّما أعرب بالحروف بدون إضافة على قلّة، حكاه ابن السكّيت. فيقال هو الفو، ورأيت الفا، ونظرت إلى الفي. وإن

---

(١) ولد بواسط ونشأ بالكوفة، عاش٥٧ سنة، سمع من أبي حنيفة ومالك بن مغول، وطائفة. وكان من أذكياء العالم. قال أبو عبيد: ما رأيت أعلم بكتاب الله منه. وقال الشافعي: لو أشاء أن أقول تنزّل القرآن بلغة محمّد بن الحسن لقلت؛ لفصاحته. وقد حملت عنه وقر بختي. لمّا توفي هو والكسائي سنة ١٩٢هـ قال الرشيد: دفنا الفقه والنحو بالريّ. انظر «العبر في خبر من غبر» ١/ ٥٦ للذهبي.

(٢) أخرجه الدار قطني في سننه، كتاب الحجّ، ٢٧٧٦، عن ابن عباس. قال الشوكانيّ في فتح القدير: في الدار قطنيّ عن ابن عمر، انظر فتح القدير، باب: الإحرام، ٥/ ١٢٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمر، ٤٧٨٩.

أضيف إلى ياء المتكلّم قيل فيّ وفمي. وقوله (قُبْلَتِي): بضمّ القاف، قال في المصباح: «القُبْلَة: اسم من قَبَّلْتُ الشيءَ تقبيلاً، والجمع: قُبَل، مثل غُرْفَة وغُرَف: والمعنى: إنّي أُقبِّل، وأَلْثُمُ، والتمس الحجر الأسود بها والركن اليمانيّ من الكعبة التي هي قِبلتي في صلاتي إذا طفت بالكعبة في الحجّ الظاهر إقامة لأحكام الله تعالى؛ فلا أترك شيئاً من أحكام الشريعة المحمّديّة لاعترافي بالتكليف ظاهراً، وإيماني بذلك، واعتقادي له كأحوال المكلّفين من الغافلين الجاهلين بالله تعالى، مع معرفتي بالله تعالى، وتحقيقي بالكشف الذوقيّ عن يقين وإذعان، ولا أهمل شيئاً من ذلك، ولا أتهاون فيه، فإنّ الشريعة المحمّديّة الظاهرة هي الحقيقة الأحمديّة الباطنة، كما صرّح بذلك أهل الكمال من المحقِّقين العارفين من الرجال، كما ذكر الشيخ عبد الرؤوف المناويّ في كتابه طبقات الأولياء. قال: «ومن وصايا الشيخ العارف المحقّق عبد الحقّ بن سبعين قدّس الله سرّه إلى تلامذته وأتباعه: عليكم بالاستقامة على الطريق. وقدّموا فرض الشريعة على الحقيقة. ولا تفرقوا بينهما؛ فإنّهما من الأسماء المترادفة. واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا. وقولوا عليها وعلى أهلها اللعنة». وذكر أيضاً في ترجمة العارف الكامل المحقّق الشيخ إبراهيم الدسوقي قدّس الله سرّه قال: «عليك بالوحدة، فإنّك في القرن السابع الذين أكثرهم يجعل الحقيقة مخالفة للشريعة. ويقولون: باب العطاء أغلق حتى رأوا باب العطاء أُغلق دونهم. وما علموا أنّ لله عباداً أفاض عليهم من جوده ما لا عين رأت من علوم ومعارف وأسرار.

٤٥٠ - وَحَـوْلِيَ بِـالمَعْنى طَـوَافِي حَقِيْقَـةً   وسَعْيِي لِوَجْهِي مِنْ صَـفَائِي لِـمَرْوَتِي

(**حولي**): أي حول نشأتي الإنسانيّة، وهي الجهات المحيطة بها، وهو خبر مقدّم لقوله (**طوافي**): قُدّم للحصر. قال في المصباح: «وقعدنا حولَه، بنصب اللام على الظرف، أي: في الجهات المحيطة به، حواليه بمعناه». وقوله (**بالمعنى**): أي بالأمر المعنويّ لا بالأمر الحسّي. وقوله (**طوافي**): أي دوراني قال في المصباح: «طاف

بالشيء يطوف طَوْفَاً وطَوَافَاً اسْتَدَارَ بِه». وقوله (**حقيقة**): أي إنّما أطُوف حول ذاتيّ في حقيقة الأمر لا في مجازه. وقوله (**وسعيي**): قال في المصباح: «سعى في مشيه: هرول». وقوله (**لوجهي**): أي لذاتي. قال في المصباح: «الوجه: مستقبل كلّ شيء». وربّما عبّر بالوجه عن الذات». وقوله من (**صفائي**): أي روحانيّتي. (**لمروتي**): أي لجسمانيّتي، قال في المصباح: «الصفا مقصور: الحجارة، ويقال: الحجارة الملس، الواحدة صفاة، مثل: حصا وحصاة، ومنه: الصفا لموضع بمكّة». وقال: «المَرْوُ: الحجارة البيض، الواحدة مروة، وسُمّي بالواحدة الجبلُ المعروف بمكّة». فكان سعيه المذكور كناية عن كونه مرّة في شهود صفاه الروحانيّة، ومرّة في شهود مروته الجسمانيّة. وهو سعيه للتحقيق بذاته، وابتداء ذلك من الصفا، وهي روحانيّته لقوله تعالى: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [٥/المائدة/ ١٠٥] وقوله عليه السلام «ابدأ بنفسك»[١].

٤٥١- وَفِي حَرَمٍ مِنْ بَاطِنِي أَمْنُ ظَاهِرِي وَمِـنْ حَوْلَـهُ يُخْـشَى تَخَطُّـفُ جِـيْرَتِي

(**وفي حرم**): بالتحريك، وهو الممتنع، قال في المصباح: «حَرُمَتْ الصلاةُ من باب قَرُبَ/[٢١٣/ أ] وتَعِبَ حَرَاماً وحُرْمَاً: امتنع فُعْلُها. والممنوع يسمّى حَرَاماً، تسميةً بالمصدر، وقد يُقصر فيقال: حرم مثل: زمان وزمن . والحُرْمَةُ: اسم من الاحترام مثل: الفُرْقَة من الافتراق، وإنّما أتى به نكرة للتعظيم». وقوله (**من باطني**): بيان للحَرَم، أي: كائن من باطني، وهو قلبه، وما اشتمل عليه من خفايا أسراره، وحنايا إضماره، لامتناعه عن إدراك الغير، والاطّلاع عليه. وقوله (**أَمْنُ**): خلاف الخوف. قال في المصباح: «أَمِنَ زيدٌ الأسدَ أَمْنَاً، وأَمِنَ منه، مثلُ: سَلِمَ منه، وزناً ومعنى. والأصل أن يستعملَ في سكون القلب». وقوله (**ظاهري**): أي

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الابتداء في النفقة بالنفس ثمّ أهله، ثمّ القرابة ، ٢٣٦٠.

ظاهر جسدي كلّه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [٢٩/ العنكوت/ ٦٧] ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٧٢] وهذا هو الحَرَمُ الآمِن المجهول بطريق الإشارة، فإنّه بالباطل يحفظ الظاهر، وبحسن النيّة تحسن الأعمال. وقوله **(ومن حوله)**: أي حول ذلك الحرم، أي: من استدارته، ومن جهاته المحيطة به. وقوله **(يُخشى)**: بالبناء للمفعول، أي: يخاف من غيره لا منه؛ لأنّه حرم آمن لا يخاف منه؛ لأنّه مسلم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فلا يوذي أحداً، ولا يؤذيه أحد. وقوله: تخطّف نائب الفاعل، وهو مصدر تخطّفه بالتشديد. قال في المصباح: «خَطِفَهُ يَخْطَفُهُ من باب تَعِبَ: اسْتَلَبَه بسرعة، وخَطَفَ خَطْفاً من باب ضَرَب لغة، واخْتَطَفَ مثلُهُ. وقوله **(جيرتي)**: بكسر الجيم، جمع جار: وهو الحليف، والمجاور في السكن. يعني: إنّما يخشى ويخاف أنْ يستلب الشيطان، ويختطف بوساوسه لمن حوله من الأتباع والأصحاب إذا لم يدخلوا في حرمة الأمن بالإيمان، والإذعان له، والتسليم لأحواله.

٤٥٢ - وَنَفْسِي بِصَوْمِي عَنْ سِوَايَ تَفَرُّدَاً زَكَتْ وَبِفَضْلِ الفَيْضِ[١] عَنِّيَ زَكَّتِ

(ونفسي بصومي): أي بسبب إمساكي، قال في المصباح: «الصوم: الإمساك عن الطعام. وصام الفرس صَوْمَاً، أي: قام على غير اعتلاف». وقوله **(عن سواي)**: أي عن غيري. يعني: عن سوى الحقّ تعالى، لأنّه تعالى قائم على نفسي بما كسبت، والنفس أثر من آثاره، ينسب إليها عند غيره كلّ ما هو صادر منه؛ فإمساكه عن كلّ شيء حتى عن نفسه. وقوله **(تفرّداً)**: أي من جهة تفرّد الحقّ تعالى بالوجود والتأثير في الملك والملكوت. وقوله **(زَكَتْ)** يعني: نفسي، أي: طَهُرَتْ وتخلصّت عن نجاسة الأغيار والأوهام. فإذا طهرت اتصلت بصلاة الوَصْلَة بينها وبين الحقّ تعالى، كما قال سبحانه: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٧٩] يعني:

---

(١) في (ق): وبفيض الفضل.

القرآن الذي هو كلام الله تعالى، وكلامه هو متكلّماً، لأنّ كلامه تعالى ليس بحروف ولا أصوات، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢] فهو في الغيب صفة قائمة بالموصوف الحقّ، متعلّقة بإيجاد الحوادث، وهو قوله: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [٨٥/ البروج/ ٧٩] والحوادث لا وجود لها سواه، وهذا معنى الطهارة، ومعنى المسّ المذكور. وقوله (**وبفضل**): أي زيادة، متعلّق بزكّتِ المشدّد في آخر البيت، قدّم للحصر، والاهتمام، قال في الصحاح: «الفضل خلاف النقص». وقوله (**الفيض**): أي العطاء الكثير الإلهيّ من العلوم والمعارف وغيرها. وقوله (**عنّي**) متعلّق بزكّت، أي: بالنقل عنّي، ورواية المريدين ذلك. وقوله (**زكّتِ**): بتشديد الكاف: أي طهرت غيري وأرشدته إلى طريق الحقّ وأوصلته إلى مقامات القرب، وكسر التاء للقافية.

٤٥٣ - وَشَفْعُ وُجُودِي فِي شُهُودِيَ ظَلَّ فِي اتْـ ـــتِحَادِيَ وِتْــراً فِي تَــيَقُّظِ غَفْــوَتِي

(**وشَفْعُ**): أي زوج، قال في الصحاح: «الشَفْعُ خِلَافُ الوِتْر، وهو الزَّوْج، تقول: كان وِتْراً فَشَفَّعْتُهُ شَفْعاً». وقوله (**وجودي**): يعني وجودي الحادث لي الذي أنا قائم /[١١٣/ ب] به جعل وجود الحقّ تعالى القديم شفعاً. وقوله (**في شهودي**): أي في حال مشاهدتي لوجود الحقّ تعالى القديم. وقوله (**ظلّ**): أي صار، وأصله ظَلَلَ فَخُفِّفَ، قال في الصحاح: «ظَلِلْتُ أعمل كذا بالكسر، ظُلُولاً: إذا عمِلْته بالنهار دون الليل. ومنه قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٦٥] وهو من شواذ التخفيف. وإنّما قال: ظَلَّ، ولم يقل صار لاختصاص ظلّ بعمل النهار حيث أنّ ذلك الأمر مكشوف له. وقوله (**وتراً**): خبر ظلّ. والوِتر بالكسر: الفَرْدُ. كذا في الصحاح وهو خلاف الزَوج والشفع. يعني: وجودي، ووجود الحقّ تعالى شفع في مقام الفَرْق. وقوله (**في اتّحادي**): أي في مقام الاتّحاد الحقيقيّ بانكشاف الأمر. إنّ الحقّ تعالى هو الوجود الحقّ الحقيقيّ الصرف، وإنّي أنا

المعدوم الفاني، المعلوم للحقّ تعالى في الأزل، المقدّر بتقديره، المراد بإرادته على ما أنا عليه من العدم الأصلي. والحقّ تعالى على ما هو عليه من وجوده القديم، العالم بي، المقدّر لي، المريد لجميع أحوالي وأموري الظاهرة والباطنة. فلا وجود إلّا للوجود الحقّ تعالى وحده، والعالم كلّه على ما هو عليه من عدمه الأصلي؛ فهو العدم المقدّر، المتجلّي به الوجود الحقّ تعالى على العدم المقدّر. وهذا الاتّحاد هو ثالث رتبة؛ فهي الوِتر ثلاث مراتب: مرتبة الوجود الحقّ. ومرتبة الوجود والعبد. ومرتبة الاتّحاد؛ وهي مرتبة التجلّي المذكور، وهي الجامعة بين المرتبتين؛ لأنّها مجموعهما، لأنّه تعالى ليس ذاتاً مجرّدة عن الأسماء والصفات كما تزعم حكماء الفلاسفة وغيرهم ممن نفى الصفات وأثبت الذات المجرّدة، وسمَّوْها علّة العلل؛ بل هو تعالى عند أهل الحقّ ذات موصوفة بالصفات، مسمّاة بالأسماء. وصفاته وأسماؤه ليست معطّلة عن الآثار أزلاً وأبداً. والآثار عدميّة معلومة له تعالى مقدّرة مرادة. والوجود الحقّ سبحانه ليس غيره وجود أصلاً، وهو متجلٍّ مكشوف من وراء حجب آثارها العدميّة المعلومة المقدّرة المرادة أزلاً على هذا الترتيب الذي هي عليه من الأزل إلى الأبد. وهذا الترتيب هو معنى حدوثها، وذاته تعالى الوجود الصرف الواحد الأحد، هو وصفاته وأسماؤه قديم أزليّ، أبديّ، لا يتغيّر، ولا يتبدّل فيتحصّل من هذا أنّ الحقّ تعالى هو مجموع ذلك كلّه: ذات، وصفات، وأسماء، قديم، أزليّ، وآثار عدميّة، حادثة بالترتيب الذي بيّنها المقدّر أزلاً وأبداً، دنيا وآخرة وبرزخاً، قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

منعتهـــا الـــصفات والأســـماء   أن تـــرى دون برقـــع أســـماء

وقوله (**في تيقّظ غفوتي**): أي في حالة تيقّظي من غفوتي، قال في الصحاح: «أَيْقَظْتُهُ من نَوْمِه، أي: نبّهْتُه فتيَقّظ، واسْتَيْقَظ فهو يَقْظَان، والاسم اليَقَظَة. و(**الغفوة**): مِنْ أَغْفَيْتُ إغْفَاء: نِمْتُ، قال ابن السكّيت: «ولا تقل: غَفَوْتُ»، كذا في الصحاح.

٤٥٤- وَإِسْرَاءُ سِرِّي عَنْ خُصُوصِ حَقِيقَةٍ   إِلَيَّ كَسَيْرِي فِي عُمُومِ الشَّرِيعَةِ

(وإسراء): مصدر أسرى. قال في الصحاح: «سَرَيْتُ: إذا سِرْت لَيلاً. وبالألف لغة أهل الحجاز، وجاء القرآن بهما جميعاً». وقوله (سِرِّي): أي ما يُسِرُّه ويخفيه قلبي من حقيقة روحي الأمريّة. قال في الصحاح: «السِّرُّ: ما يُكْتَم، والجمع الأسرار، والسريرة مثله، والجمع السرائر» قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [٨٦/ الطارق/ ٩] وقوله (عن خصوص): أي توجّه قلبي كائن عن (خصوص حقيقة): أي مخصوصة. وهي حقيقة الوجود الحقّ، المتعالي عن الكيف والكم ونحوهما من الممكنات. وقوله (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، متعلّق بإسراء. يعني واصلاً إليّ من حضرة الغيب المطلق، لا منقطعاً عنه، قائماً بنفسه. وقوله / [٢١٣/ أ] (كسيري): أي مشيي وسعيي.

وقوله (في عموم الشريعة): أي في أحكام الشريعة العامّة الشاملة للأعمال، البدنيّة والأعمال النفسيّة. يعني: هذا الإسراء، وهذا السير في باطني وظاهري، إنّما هو بالإرادة والاختيار من غير جبر ولا اضطرار، فإنّه بإرادة الواحد القهّار، التي لا إرادة في الحقيقة إلا إرادته، وهي مشيئته القديمة المقدّرة لكلّ مشيئة حادثة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٣٠]. والمعنى بذلك: تقرير الاتّحاد الحقيقيّ؛ إنّه لا إرادة له، ولا مشيئة غير الإرادة الإلهيّة، والمشيئة الربّانية. وكذلك القدرة والعلم. وكذلك بقية الصفات والأسماء على إرادة أنّ كلّ ذلك صفات وأسماء عدميّة مقدّرة بصفات وأسماء وجوديّة قائمة بالوجود الحقّ الواحد الأحد.

٤٥٥- وَلَمْ أَلْهُ بِالْلَاهُوْتِ عَنْ حُكْمِ مَظْهَرِي   وَلَمْ أَنْسَ بِالنَاسُوْتِ مَظْهَرَ حِكْمَتِي

(ولم أَلْهُ): بضمّ الهاء وبفتحها، فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الواو، فإنّ أصله أَلْهُو، من: لَهَا يلهو قال في الصحاح: «لَهَوْتُ بالشيء أَلْهُو لَهْواً: إذا لَعِبتَ به ـ والضمّة باقية على الهاء لتدلّ على الواو المحذوفة، أو علامة جزمه

حذف الألف، فإنّ أصله ـ أَلْهَى من لَهِيت عن الشيء بالكسر: أَلْهَى لِهِيّاً ولُهْيَاناً: إذا سلوت عنه، وتركت ذكره، وأضربت عنه. وألْهَاه: أي شغله، كذا في الصحاح. فالفتحة باقية على أَلْهَى لتدلّ على الألف المحذوفة. وقوله (**باللاهوت**): متعلّق بـ ألهو. و(اللاهوت): هو عالم الأرواح الأمريّة، من لاه يليه ليهاً: احتجب لاحتجاب الروحانيّة الجسمانيّة، أي: لم يقع منّي لهو ولعب بعالم لاهوتي وروحانيّة قلبي المنبعثة عن أمر الله تعالى، أو لم يقع منّي ترك وإعراض واشتغال بسبب ذلك؛ بل كلّ باطني جدّ وتحقّق بأسرار العرفان، وأنوار الإيمان والإذعان.

وقوله (**عن حكم مظهري**) بفتح الميم: أي موضوع ظهوري، وهي صورتي الجسمانيّة الظاهرة، فإنّ لها أحكاماً شرعيّة، وتكاليف إلهيّة، كلّفني الله تعالى بها، فلم أشتغل بها في باطني عن حكم ظاهري. وقوله (**ولم أنسَ**): بحذف الألف وفتح السين المهملة دليل عليها، قال في الصحاح: «النِسيان: الترك، بكسر النون، خلاف الذِكْر والحِفْظ ، وقد نَسِيْتُ الشيءَ نِسْيَاناً، والنِسْيان: الترك، قال عزّ وجلّ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ٦٧]. وقوله (**بالناسوت**): وهو عالم الأجسام الإنسانيّة، مِنْ: نَاسَ يَنُوسُ نوَاسَاً: تحرّكَ لتحرّكِ الجسمانيّة بالروحانيّة، أي: لم أترك بسبب اشتغالي بالقيام بأحكام جسمي وشرائع تكليفي. وقوله (**مَظهر**): بفتح الميم، أي: موضع ظهور. (**حِكْمَتِي**): بكسر الحاء المهملة وسكون الكاف. والحكمةُ: العلمُ الإلهيّ والحلم، وموضع ظهور ذلك، هو الروح الأمري، والقلب الربّانيّ. ومعناه: إنّي لم أشتغل بأعمالي الظاهرة عن أسراري الباطنة، كما أنّي لم أشتغل بأسراري الباطنة عن أعمالي الظاهرة كما قالوا: «الكامل من لا يُطفِئ نورُ معرفته نورَ ورعه».

٤٥٦- فَعَنِّي عَلَى النَفْسِ العُقُوْدُ تَحَكَّمَتْ   وَمِنِّي عَلَى الحِسِّ الحُدُوْدُ أُقِيْمَتِ

(**فعنّي**): أي عن حقيقتي التي أنا بها أنا، وهي الوجود الحقّ المجرّد عن كلّ شيء. وقوله (**عن النفس**): أي على نفسي الإنسانيّة. وقوله (**العُقُودُ**): جمع عَقْد،

وهو عَهْدُ المبايعة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [٥/ المائدة/ ١] أي: نفوسكم انحلّت لكم من قيود علائقها البشريّة وعوائقها الطبيعيّة. وسبب ذلك وفاؤكم بعهود الربوبيّة. قال في القاموس: «أَحَلَّ من ميثاق كان عليه». وهذه إشارة الآية لا عبارتها. وقوله (تحكمّت): بتشديد الكاف/ [٢١٤/ ب] أي: حَكَمَتْ وألزمت على وجه المبالغة. وقوله (ومِنّي): أي من جهة حقيقتي المذكورة. وقوله (على الحسّ): أي إدراك الحواس الخمس: السمع والبصر والذوق والشمّ واللمس. يعني: على ظاهر صورتي المحسوسة. وقوله (الحدود): أي المقادير الشرعيّة التي كلّفني الله تعالى بإقامتها. وقوله (أُقيمتِ): بالبناء للمفعول، وكسر التاء للقافية. والمعنى: من طرف الحقيقة الإلهيّة المستولية عليَّ ظاهراً وباطناً بإسلامي لها، وإيماني بها هي موفية عنّي بعهود ربوبيّتها باطناً، وبأحكام شريعتها ظاهراً، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] فهو يعبد ربّه بربّه لا بنفسه.

٤٥٧- وَقَدْ جَاءَنِي مِنِّي رَسُوْلٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّ عَزِيْزٌ بِي حَرِيْصٌ لِرَأْفَتِي

(وقد): الواو للحال. والجملة في محل نصب حال من ياء المتكلّم في البيت قبله. وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨]. وقوله (جاءني): أي من حيث صورتي البشريّة الإنسانيّة. وقوله (منّي): أي من حيث حقيقتي الوجوديّة الأمريّة الإلهيّة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٥] على معنى أنّه حقيقتكم التي أنتم بها أنتم. وقوله (رسول): فاعل جاءني، وهو نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي أوّل ما خلقه الله تعالى، ثمّ خلق منه كلّ شيء على ما ورد في الحديث. وقد يراد به العقل

النورانيّ المقبل، وهو لا شك كما قال (**عليه**): أي ذلك الرسول. (**ما عنتُّ**): أي الأمر الذي يشقّني ويتعبني. قال في المصباح: «العَنَتُ: المشقّة، يقال: أَكَمَةٌ عَنُوْتٌ، أي: شاقّة. وتَعَنَّتَهُ: أدخل عليه الأذى، وأعْنَتَهُ: أوقعه في العَنَت، وفيما يشقّ عليه تحمّله». قال في الصحاح: «العَنْتُ: الإثم، وقد عَنِتَ الرجل، والعَنَت أيضاً: الوقوع في أمر شاقّ، وقد عَنِتَ وَأَعْنَتَهُ غيره». وقال في القاموس: «العَنَتُ محرّكة: الهلاك ، ودخول المشقّة على الإنسان، ولقاء الشدَّة، وما يصعب عليه أداؤه». وقوله (**عزيز**): يعني عزيز عليه ما عَنِتَ، قال في المصباح: «عَزَّ عليَّ أنْ تفعل كذا يَعِزُّ ـ من باب ضرب ـ أي: اشتدَّ كناية عن الأنفة عنه. وقال في الصحاح: «عَزّ عليّ أن تفعل كذا، وعَزَّ عليّ ذاك أي: حَقَّ واشْتَدَّ». وقوله (**بي حريص**): أي حافظ، مجتهد، على أبلغ وجه، قال الراغب: «الحرص فرط الشَّرَه، وفرط الإرادة، قال تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ ﴾ [١٦/ النحل/ ٣٧] أي: تُفرط إرادتك في هدايتهم، وأصل ذلك من حَرَصَ القصَّارُ الثوبَ، أي: قَشَّره بدّقة.

وقوله (لِرَأْفَةِ): أي لكمال رأفته عليّ، قال الراغب: «الرأفة: الرَحمة، وقد رَؤُفَ: فهو رَؤوف». والرسول المذكور هو الروح الكلّي المدّبر للأرواح الجزئيّة المربيّة للنفس الطبيعيّة المتصرّفة في البدن. وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدّس الله سرّه في كتابه شرح الوصايا اليوسفيّة: «ولا شكّ أنّ الورثة إنّما هم هياكل لروحانيّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فهو رسولٌ أبداً حيّاً وميّتاً، فمن يطع الشيخ فقد أطاع الرسول، فإنّه روح هيكله، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله ، فإنّه مجلاه، وحينئذ الرسول موضع ظهور الحقّ ثمّ يغني عن الرسول لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [٤/ النساء/ ٨٠] فيكون نظرك في الرسول، فيغيب الرسول، فيبقى الحقّ، فكما يبقى الحقّ في مغيبب الرسول بالنص كذلك يبقى الحقّ في مغيب الشيخ عن بصيرتك، ويبقى الحقّ إذ هو المتكلّم من الرسول».

(فحكمي): الفاء للتفريع على ما تقدّم. و(الحكم): القضاء، وأصله المنع، يقال: حكمت عليه بكذا: إذا مَنَعْتُهُ من خلافه؛ فلم يقدر على الخروج من ذلك، كذا في المصباح. أي: الحكم الشرعيّ الصادر من الحقّ تعالى عليّ بوساطة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (من نفسي) أي: إنّما هو صادر من حقيقة نفسي، أي: روحيّ المنفوخة في بدني بأمر الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ /[٢١٥/أ] مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/٢٩] لا من نفسي الطبيعيّة الحيوانيّة التي قال تعالى فيها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [٢/آل عمران / ١٨٥]. وقوله (عليها): أي عن نفسي الطبيعيّة. وفيه استخدام بديعي باستعمال النفس أوّلاً في معنى، وإرجاع الضمير إليها بمعنى آخر. قال في المصباح: «والنفس أنثى إنْ أُريد بها الروح، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [٤/ النساء/ ١]. وإنْ أُريد الشخص فمذكّر». وقال في موضع آخر: «الروح والنفس واحد، غير أنّ العرب تُذكِّر الروح، وتؤنِّث النفس.

وقال بعضهم: الروح النفس، فإذا انقطع عن الحيوان فارقته الحياة. ومذهب أهل السنّة أنّ الروح هو النفس الناطقة المستعدّة للبيان، وفهم الخطاب، ولا تفنى بفناء الجسد، وأنّه جوهر لا عَرَض، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٦٩]. والمراد هذه الأرواح». وقال الراغب : «الروح اسم للنفس؛ وذلك لكون النفس بعض الروح، فهو كتسمية النوع باسم الجنس، نحو تسمية الإنسان بالحيوان. وجُعِل اسماً للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرّك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/٢٩]. وإضافته تعالى إلى نفسه إضافة ملك وتخصيص، بالإضافة تشريف له وتعظيم، كقوله تعالى: ﴿وَطَهِّـرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [٢٢/الحج/٢٦] و﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ [٣٩/الزمر/٥٣]. وقوله (قَضَيْتُهُ) يقال: قضيت بين الخصمين وعليهما: حَكَمْتُ، كذا في المصباح. وقوله (ولما

تولّتِ): يعني نفسي الروحيّة الأمريّة، أي: تقلّدت. يقال: تولّى العمل، أي: تقلّده، وولّاهُ الأمير عمل كذا. وولّاه بيع الشيء. وقوله **(أَمْرَها)**: أي أمر نفسها. يعني: من حيث هي نفس طبيعيّة حيوانيّة كما ذكرنا. وقوله **(ما تولّتِ)**: أي ما أعرضت عن ذلك. يقال تولّى عنه، أي: أعرض. وفيه إشارة إلى أنّ النفس الروحيّة الأمريّة، لا تتجرّد عن الصورة أصلاً، سواء كانت تلك الصورة مظهراً عنصريّاً دنيويّاً، أو خياليّاً مثاليّاً برزخيّاً، أو روحانيّاً عنصريّاً أخرويّاً.

٤٥٩- وَمِنْ عَهْدِ عَهْدِي قَبْلَ عَصْرِ عَنَاصِرِي إِلى دِارِ بَعْثٍ قَبْلَ إِنْذَارِ بَعْثَةِ

٤٦٠- إِلَيَّ رَسُوْلاً كُنْتُ مِنِّي مُرْسَلاً وَذاتِي بِآيَاتِي عَلَيَّ اسْتَدَلَّتِ

(ومن عهدي): أي حين وزمن، قال في المصباح: «عَهِدْتُه بمالٍ: عَرَّفْتُه به، والأمر كما عَهِدْت. وهو قريب العَهْدِ بكذا، أي: قريب المعرفة والحال. وعهدته بمكان كذا: لَقِيْتُه. وعهدي به قريب، أي: لِقائي». وقوله **(عهدي)**: أي ميثاقي الذي أخذه عليّ ربّي، وهو قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢]. وقوله **(قبل عصري)**: أي زمان. وقوله **(عناصري)**: أي دخولي في عالم العناصر، جمع عُنْصُر بالضمّ، وبالفتح، قال في القاموس: «العُنصَر وبفتح الصاد: الأصل». والعناصر الأربعة: هي النار والهواء والماء والتراب. يعني: قبل توجّه روحي على تدبير جسدي المركّب من الأصول الأربعة المذكورة. وقوله **(إلى دار بعثة)**: متعلّق بإنذار، أي: قبل إنذار البعثة النبويّة بدار البعث والحشر، وهي القيامة. ودار البعث هي: دار الآخرة. قال في الصحاح: «بَعَثَهُ من منامه أي: أَهَبَّهُ. وبَعَثَ الموتى: نَشَرَهُم ليوم البعث». وقوله **(قبل إنذار)**: أي تخويف بحسب الاستعمال غالباً، حيث ذُكر مع التبشير. وإذا أُطلق كما هنا فهو بمعنى مطلق التبليغ، قال في المصباح: «أنذرت الرجل الشيء إنذاراً أبلغته إياه يتعدّى إلى مفعولين، وأكثر ما يستعمل في التخويف كقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٨] أي

خوِّفهم عذابه». وقوله (**بعثه**) يقال: بَعَثَهُ وابْتَعَثَهُ بمعنى، أي: أرسله، كذا في الصحاح. يعني قبل تبليغ البعثة، أي: بعثة النبيّ المرسل.

وقوله (**إليّ**): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بـ (**مرسلاً**): بصيغة اسم الفاعل. ومرسلاً خبر كنت، أي: كنت مرسلاً إليّ. وقوله (**رسولاً**): مفعول مرسلاً. وقوله (**كنت منّي**): أي من عين حقيقتي الأمريّة الإلهيّة النافخة فيّ روحاً من/ [٢١٥/ ب] أمرها على معنى الاتّحاد الحقيقيّ الذي مرّ بيانه غير مرّة، وتقدير الكلام. ومن حين أخذ الميثاق عليّ بالربوبيّة لله تعالى قبل اتّصالي بعالم العناصر، وتركيبي في هذه الجسمانيّة قبل إنذار البعثة النبويّة بدار البعث والحشر وتخويفي بالقيامة. (**كنت منّي مرسلاً**): رسولاً إليّ، إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[1].

وفي حديث الدّيلمي في مسند الفردوس: «كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد» أخرجه أحمد عن ميسرة الفخر. وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة[2] رضي الله عنه. وقوله (**وذاتي**): أي الحقيقيّة التي أنا قائم بأسمائها الحسنى، وصفاتها العليا من حيث تنزّلها في صور عالم الإمكان داخلة تحت أحكام تكليفها بالأمر والنهيّ. وقوله (**بآياتي**): جمع آية، أي: بعلاماتي الدالّة عليّ، وهي الأدلة العقليّة. أو بآيات كلامي القديم المنزل بالحروف والأصوات، وهي الأدلة السمعيّة. وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء

---

(١) ذكره السيوطيّ في الدرّ المنثور، الباب: السابع، ٨/ ١٢٩ وقال: أخرجه أحمد والبخاريّ في تاريخه، والطبرانيّ والحاكم، وصححه أبو نعيم والبهيقيّ معاً في الدلائل عن ميسرة الفخر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، متى كنت نبيّاً، قال: وآدم بين بين الروح والجسد».

(٢) روى الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: في فضل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ٣٩٦٨، عن أبي هريرة قال: «قالوا: يا رسول الله ، متى وجبت لك النبوّة؟. قال: وآدم بين الروح والجسد». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، وفي الباب عن ميسرة الفخر.

التحتيّة: أي: على ذاتي وأسمائي وصفاتي. متعلّق بـ استدلت، قُدّم عليه للحصر. وقوله (اسْتَدَلَّتِ): بكسر التاء للقافية، أي طلب الدليل على ذلك.

٤٦١- وَلَمَّا نَقَلْتُ النَّفْسَ مِنْ مِلْكِ أَرْضِهَا بِحُكْمِ الشِّرَا مِنْهَا إِلَى مُلْكِ جَنَّةِ

٤٦٢- وَقَدْ جَاهَدَتْ فَاسْتُشْهِدَتْ فِي سَبِيْلِهَا وَفَازَتْ بِبُشْرَى بَيْعِهَا حَيْنَ أَوْفَتِ

(ولمّا): أي حين. وقوله (نقلتُ النفس): أي نفسي التي أظهرتها لي بمقتضى أسمائي وصفاتي. والنقل كناية عن الموت والتحويل من دار الدنيا إلى البرزخ الأُخروي. وقوله (من مِلك): بكسر الميم، اسم من مَلَكْت مِلْكاً من باب ضرب. والفاعل: مَالِك كذا في المصباح. وقوله (أرضها): أي أرض النفس، وهي تراب جسدها، أو ما تملكه من أرض، وما تولّد منها من الأموال المختلفة.

وقوله (بحكم الشِرا منها): أي من النفس. يعني: بحكم قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١] الآية. وقوله (إلى مُلْك) بضمّ الميم: اسم من مَلَكَ على الناس أمرَهم: إذا تولى السلطة، فهو مِلْك بكسر اللام وتخفف بالسكون. وقوله (جَنَّةِ) مضاف إليه، وهي الجنّة الموعودة في الآية والجار والمجرور متعلّق بـ نقلت. وقوله (وقد جاهدت): الواو للحال، والجملة في محل نصب حال من النفس. و(جاهدت) أي: النفس، من الجهاد، وهو مقاتلة العدو على الحقّ، إمّا في الباطن بمقاتلة ومحاربة الهوى والشيطان والشهوات والأخلاق الذميمة. وإمّا في الظاهر كقتال الكفّار، ومخالفة العصاة والفجّار بحسب الاستطاعة. وقوله (فاستُشهدَتْ) بالبناء للمفعول، أي: النفس، قال في المصباح: اسْتُشْهِد بالبناء للمفعول: قُتل شهيداً. والشَهِيدُ مَنْ قتله الكفّار في المعركة، فعيل بمعنى مفعول؛ لأنّ ملائكة الرحمة شهدت غسله، أو شهدت نقل روحه إلى الجنّة، أو لأنّ الله شهد له بالجنّة. وقوله (في سبيلها) متعلّق بـ استشهدتْ. والضمير للنفس باعتبار حقيقتها النازل أمرها بها. وقوله (وفازت): قال في المصباح: «وفَازَ

يَفُوزُ فَوْزاً: ظَفِرَ ونَجَا. والضمير المستتر للنفس. وقوله (**ببشرى بيعها**) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١]. والبُشرى بضمّ الباء الموحّدة فُعْلى من البشارة، وهي الخبر المُسِرُّ لتغييره بَشَرَة الوجه. وقوله (**حين أوفت**): بكسر التاء للقافية، قال في المصباح: «أَوْفَيْتُ بالوعد إِيْفَاء، وأَوْفَيْتُهُ حَقّه، ووَفَّيْتُهُ أياه بالتثقيل، وأَوْفَى بها قال ووَفَّى بمعنى».

٤٦٣ - سَمَتْ بِي لِجَمْعِي عَنْ خُلُودِ سَمَائِهَا وَلَمْ أَرْضَ إِخْلَادِي لِأَرْضِ خَلِيْفَتِي

/ [٢١٦/ أ] (**سمت**): أي علت نفسي، وهو جواب لما يعني: ارتفعت. وقوله (**بي**): أي بحقيقتي التي نفسي قائمة بها، قال تعالى: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وقوله (**لجمعي**): أي لأجل حصول مقام الجمع خلاف الفرق. وقوله (**عن خلود**): أي دوام البقاء والإقامة، قال في المصباح: «خَلَدَ بالمكان خُلُوداً، من باب قعد: أقام، وأَخْلَدَ بالألف مثله». وقوله (**سمائها**): أي سماء نفسي، أي: علوّها وارتفاعها من حيث حقيقتها الغيبيّة، فإنّها لم تقف. ولو وقفت لانقطعت، كما قال العفيف التلمساني قدّس الله سرّه:

ولو وقفت يوماً يجدّدها لنا به عدم هيهاتِ وهي وجود

وقوله (**ولم أرضَ**): من رَضِيْتُ الشيءَ، ورضيت به رِضاً: اخْتَرْتُهُ، كذا في المصباح» .وقوله (**إخلادي**): مصدر أَخْلَدَ إلى كذا، وخَلَدَ: رَكَنَ، كما في المصباح. وفي الصحاح: «أَخْلَدْتُ إلى فلان، أي: رَكَنْتُ إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٦] وقوله (**لأرضِ**): أي إلى (**أرض خليفتي**): وهو آدم عليه السلام الذي جعله الله تعالى خليفة عنه، كما قال سبحانه للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [٢/ البقرة/ ٣٠] وقال تعالى في الذي أتاه آياته فانسلخ منها: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٦] الآية. وإخلاده إلى الأرض ركونه، واعتماده على نفسه وهواه،

وشهود الغيريّة، وإعراضه عن شهود تجلّي ربّه به في تقلّبات شؤونه[1].

٤٦٤- وَكَيْفَ دُخُوْلِي تَحْتَ مِلْكِي كَأَوْلِيَا ءِ مُلْكِي وَأَتْبَاعِي وَحِزْبِي وَشِيْعَتِي

(وكيف): أصلها كلمة يُستفهَم بها عن حال الشيء وصفته، يقال: كيف زيد؟ وتأتي للتعجّب، والتوبيخ، والإنكار، وللحال ليس معه سؤال. وقد تتضمّن معنى النفي، كذا في المصباح. وهي هنا لمعنى النفي والتعجّب. وقوله **(دخولي تحت مِلكي)**: بكسر الميم، أي: في جملة ما أملكه من العوالم، أي: ليس ذلك بحاصل، ولا هو مما يمكن. كما ينقل عن أبي يزيد قدّس الله سرّه أنّه قال: «إنّ الله اطّلع على العالم فقال: يا أبا يزيد كلّهم عبيدي غيرك، فأَخْرَجَنِي من العبوديّة»، ويفسِّره قول الشبليّ قدّس الله سرّه حين سمع ما قاله أبو يزيد فقال: «كاشفني الحقّ بأقلّ من ذلك، فقال: كلّ الخلائق عبيدي غيرك فإنّك أنا». وقال الشبلي أيضاً: «كنت أكتب الفقه والحديث ثلاثين سنة حتى أسفر الصبح، فجئت إلى كلّ من كتبت عنه، فقلت أريد فقه الله ، فما كلّمني أحد». وقوله **(كأولياء مُلْكي)**: بضمّ الميم، أي: الأولياء الذين هم في مملكتي، وتحت حكمي، وهم السالكون في طريقتي. وقوله **(واتّباعي)**: جمع تبع، قال في المصباح: «تَبِعَ زيدٌ عمراً من باب تعِب: مشى خلفه، أو مرّ به فمضى معه. والمصلّي تَبَعٌ لإمامه، والناس تبع له. يكون واحداً وجمعاً، ويجوز جمعه على أتباع مثل سبب وأسباب». وقوله **(وحزبي)**: الحزب الطائفة من الناس، والجمع أحزاب. وتحزّب القوم: تجمّعوا. وقوله **(وشيعتي)**: الشيعة الأتباع والأنصار، وكلّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، كذا في المصباح. والمعنى: أنّي لست داخلاً في جملة الناس القائمين بأنفسهم على الوهم والغفلة، الجاهلِينَ بتجلّي

---

(١) ورد في هامش المخطوط قول الناسخ قوله: «بلغ سماعاً ومقابلة على مؤلِّفه قدّس الله سرّه العزيز. وكتبه الفقير إبراهيم بن محمّد الدكدكجيّ غفر الله له بمَنِّه». ونلاحظ هنا أنّه للمرة الأولى يذكر الناسخ اسمه عندما يكتب مثل هذه الحاشية التي تكررت بكثرة.

الحقّ تعالى بهم وبكلّ شيء، تجلياً ظاهراً لهم ولكلّ شيء من حيث لا يشعرون، كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [٦٨/ القلم/ ٣٥-٣٦] ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [٣٨/ ص/ ٢٨]. وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا / [٢١٦/ ب] يَحْكُمُونَ﴾ [٤٥/ الجاثية/ ٢١] وسرّ هذه الآيات مندرج فيها لأهل التحقيق والعرفان بالتصريح بالجعل عند من يشهده في نفسه، وعدم التصريح به فيمن لم يشهده؛ فإنّ مشهود الجعل عين شهود التجلّي الربانيّ في النشوء الإنسانيّ، وإنّما اتّصل الجعل بالذين اجترحوا السيئات للاستفهام الإنكاري، والاستبعاد المستفاد من حسب بمعنى ظنّ، يقال حَسِبْتُ زيداً قائماً، أي: ظننته قائماً. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي لست كأحدكم، إنّي أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني»[1] مع أنّ الله تعالى قال له صلّى الله عليه وسلّم: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] فهو صلّى الله عليه وسلّم بشر مثلنا، وليس كأحدنا، فإنّه بيات عند ربّه، يطعمه ويسقيه لشهوده تجلّي ربّه به وبكلّ شيء. والغافل يشهد نفسه وغيره فيحتجب عن ربّه بنفسه وبغيره، فلو أراد أنْ يشهد لما قدر لأنَّ ذلك بيد الله لا بيد نفسه، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٣] وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٥١] وهذا ظاهر لا خفاء فيه.

٤٦٥ - فَـلَا فَلَـكٌ إِلَّا وَمِـنْ نُـورِ بَـاطِنِي بِهِ مَلَكٌ يُهْدِي الْهُدَى بِمَشِيئَتِي

(**فلا**): الفاء للتفريع على ما قبله. و(**لا**): نافية. وقوله (**فلكٌ**): نكرة في سياق النفي، فتعمّ كلّ فَلَك بالتحريك، قال الراغب: «الفَلَك مجرى الكواكب. وتسميته

---

(١) انظر تخريجه ص٣١٣.

بذلك لكونه كالفُلْك، قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [٣٦/ يس/ ٤٠] وفلَكَة: المغزل» قال في الصحاح: «فَلْكَة: المغزل. سمّيت لاستدارتها». وفي المصباح: «الفَلَك: جمعه أفلاك مثل سبب وأسباب». وقوله (إلّا ونور باطني): أي قلبي العارف المتحقّق بربّي، وهذا من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ هي الجسد ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو الروح الأمري. ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ هي القلب. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ من جهة إشراق نوره على ما دونه من الأشياء. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ ذات الجود الحقّ بطريق الكناية. ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ أي: ظاهرة لاستتارها بعوالم الإمكان. ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: باطنة لفناء عوالم الإمكان، وعدمه الأصلي بالنسبة إلى الوجود الظاهر به، فهي الأوّل والآخر والظاهر والباطن. وقوله (به): أي فيه. يعني: في كلّ فلك من باطن (مَلَكٌ): الروح المنفوخ عن أمر الله. وقوله (يُهْدِي): صفة لذلك المَلَك، أي: يدلّ الناس ويرشدهم بإذن ربّه. وقوله (الهُدَى): أي إلى الهدى، بالضمّ، خلاف الضلال، قال في المصباح: «هَدَيتُهُ الطريقَ أهْدِيه هِدَايَة، وهي لغة الحجاز، ولغة غيرهم يتعدّى بالحرف، فيقال هَدَيتُه إلى الطريق وللطريق، وهَدَاه الله إلى الإيمان هُدَىً، والهُدَى البيان. وقوله (بمشيئتي) متعلّق بـ يهدي، أي: لا بمشيئة أخرى له غير مشيئتي، أي: إرادتي، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٣٠] فإنّه يشاء الله تعالى أوّلاً، ثمّ تشاؤون أنتم ثانياً بعين تلك المشيئة الأولى، فتظهر الحقيقة في الشريعة، والغيب في الشهادة، فيختلف الحكم، ويحصل الفرق في عين الجمع، وهذا سرّ الكمال الجامع بين الجلال والجمال.

٤٦٦- وَلَا قُطْرَ إِلّا حَلَّ مِنْ فَيْضِ ظَاهِرِي ... بِهِ قَطْرَةٌ عَنْهَا السَّحَائِبُ سَحَّتِ

(ولا قُطْرٌ): بضمّ القاف، قال في المصباح: «القُطْر بالضمّ الجانب والناحية، والجمع أقطار، مثل قُفْل وأقْفَال». والمراد جانب من جوانب الأرض، وناحية من

نواحيها. وقوله (**إلّا حلّ**): قال في المصباح : «حَلَلْتُ بالبلد حُلُولاً من باب قعد: إذا نزلت به، ويتعدّى/ [٢١٧/ أ] بنفسه أيضاً، فيقال: حَلَلْتُ البَلَدَ». وقوله (**من فيض**): أي كثرة إمداد ظاهري، أي: بركة صورتي الظاهرة، قال في المصباح: «فاض الخير: كَثُر. وقوله (**به**): أي فيه، يعني: في ذلك القطر. وقوله (**قطرة**): أي نقطة واحدة، قال في المصباح: «القَطْرَة: النقطة، والجمع: قَطَرَات، وتَقَاطَرَ: سَالَ قَطْرَةً قَطْرَة». وقول (**منها**): أي من تلك القطرة الواحدة. وقوله (**السحائب**): جمع سَحَابَة، وهي الغَيم، ويجمع على سَحَاب وسُحُب، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «سُمِّي بذلك لانسحابه في الهواء». وقال الراغب: «إمّا لجرّ الريح له، أو لانجراره في مَرِّهِ. وقوله (**سَحَّتِ**): بتشديد الحاء المهملة وكسر التاء للقافية»، قال في المصباح: «سَحَّ الماء سَحّاً من باب قتل: سال من فوق إلى أسفل، ويقال :السَّحُّ هو الصَّبّ الكثير».

٤٦٧- وَمِنْ مَطْلَعِي النُّوْرُ البَسِيْطُ كَلَمْعَةٍ وَمِنْ مَشْرَعِي البَحْرُ المُحِيْطُ كَقَطْرَةِ

(**ومن مطلعي**): أي المطلع الذي هو أنا، كناية عن الروح الأمري المنفوخ فيه بأمر الله تعالى، يقال: طَلَعَتِ الشمس والكوكبُ طُلُوْعَاً ومَطْلِعَاً، بالكسر وبالفتح، والمَطْلِع والمَطْلَع بكسر اللام وفتحها أيضاً: موضع طلوعها، كذا في الصحاح. وما أحسن قول العفيف التلمسانيّ في هذه الكناية البديعة المعاني:

شـــمس ومطلعهـــا ذاتي ومغربهـــا بين السوادين من قلبي ومن بصري

فإنّ كون ذاته مطلع هذه الحقيقة الوجوديّة أمر ظاهر بلا شبهة عند العارف المحقّق. وكذلك كون مغربها بين السوادين، أي: الأسودين بالسواد الكونيّ؛ فإنّ الكون ظلمة عدميّة، وقلبه وبصره هما آلة الإدراك، وهما كونان حادثان، والكون لا يدرك إلّا مثله، وهذا سبب غروب هذه الشمس عنهما بهما، فإنّ المخلوق لا يدرك الخالق، والمصنوع لا يعرف الصانع إلّا من كونه صانعاً له، فقد عرف المرتبة

لا الذات. وقوله (**النور البسيط**): أي المنبسط على وجه الأرض، وهو نور الشمس، يقال: بَسَطَ الشيءَ: نَشَرَهُ، وبالصاد أيضاً. وانْبَسَطَ الشيءُ على الأرض، يقال: مكانٌ بَسَاط وبَسِيط، أي: واسع، كما في الصحاح. والبسيط أيضاً خلاف المركبّ». وقد يراد به هنا النور المخلوق به كلّ شيء لبساطته، وعدم تركيبه من شيء آخر غيره، وهو النور المحمّديّ الذي هومن نور الله تعالى.

وقوله (**كلَمْعَةٍ**): أي هو بالنسبة إلى النور الحقيقيّ بمنزلة لمعة واحدة، من لَمَعَ البرقُ لَمْعاً ولَمَعَاناً، أي: أضاء. وإنّما كان ذلك النور من مطلعه، أي: من موضع طلوعه لاشتراكه معه في الطلوع من مطلع واحد، قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] فالأصول والفروع متساوية النسبة إلى الحقّ تعالى بالنسبة إلى الحقّ تعالى، قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [٣١/ لقمان/ ٢٨] وقوله (**ومن مَشْرَعِي**): أي موردي الذي أرِدُه وأصدر عنه. وأصله مورد الشاربة كالمَشْرَعة، وتضمّ راؤها، كذا في القاموس. وهو كناية عن حضرة العلم الإلهيّ الذي منه كلّ شيء وارد إليه وصادر عنه. وقوله (**البحر المحيط**): وهو كناية عن حضرة بحر الكائنات المحيط بالعلويات، والسفليّات، والمعقولات، والمحسوسات، إلى الأبد. وقوله (**كقطرة**): أي هو بمنزلة قطرة واحدة.

٤٦٨ - فَكُلِّي لِكُلِّي طَالِبٌ مُتَوَجِّهٌ وَبَعْضِي لِبَعْضِي جَاذِبٌ بِالْأَعِنَّةِ

(**فكلّي**) الفاء للتفريع على ما تقدّم. و(**كلّي**): من حيث الوجود الواحد الحقّ الذي ليس معه غيره موجود أصلاً. وقوله (**لكلّي**): من حيث مجموع الأكوان المختلف الكيفيّات والألوان في الأماكن والأزمان مما هو كائن أو يكون، أو كان. وكون ذلك الأوّل والثاني هو كلّه باعتبار مقام الجمع وامتداد الرقائق من العين الواحدة وقوله/ [٢١٧/ ب] (**طالب**): أي مريد حضوره لديه، محبّة فيه، وشوقاً إليه. قال الشاعر:

يمتلك الشوق الشديد لناظري فأُطرق إجلالاً كأنك حاضر

وأصل المحبّة الذاتيّة للحضرات الصفاتيّة والأسمائيّة. وقوله (**مُتَوَجِّهٌ**): من قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] أي: توجّهه من حيث اسمّه الجامع لجميع الأسماء على كلّ شيء. وقوله (**وبعضي**): وهو العالم الروحانيّ، وكونه بعضاً أي: بعض مجموع الكون. وقوله (**لبعضي**): وهو العالم الجسمانيّ؛ فإنّ الأرواح متعشِّقة بعالم الأجسام وماسكة لذلك، ومُنْمِيَةٌ له بالطعام والشراب المناسب له، ولا تكاد تنفك عنه إلّا بغلبة الأمر الإلهيّ عليها بالانفكاك. وكذلك عالم الأجسام متعشّق بعالم الأرواح، ومتعلِّق به بجواذب الشهوات واللذائذ الطبيعيّة. ولهذا سرّ عظيم في خدمة ذلك ومعانقته، من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٨٤] وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «لو دلَّيتم بحبل لهبط على الله»[1]. والاسم الله اسم ذاتيّ جامع لجميع الأسماء، كما أنّ الاسم الإله اسم صفاتيّ جامع لجميع الأسماء. فلا يخرج عن ذلك شيء من الآثار السفليّة، كما لا يخرج عن ذلك شيء من الآثار العلويّة. وقوله (**جاذب**): من الجَذْب بالجيم والذال المعجمة، قال في القاموس: «جَذَبَه يَجْذِبَه: مَدَّه كاجْتَذَبَه، وجَذَبَ الشيءَ: حركّه عن موضعه كجاذبه». وقوله (**بالأَعِنَّةِ**): جمع عِنَان ككِتَاب، وهو سَير اللجام الذي تُمسك به الدّابة، والجمع الأعنّة والعَنَن، كذا في القاموس، وذلك كناية عن القوى الروحانيّة المنبثّة في الجسم في ظاهره وباطنّه، والبواعث الجسمانيّة. وهذا من كمال النشأة الإنسانيّة إذا كان عن معرفة وتحقيق وعناية وتوفيق.

فإنّ الروح مطلوبة للحقّ تعالى، مجذوبة إليه بجواذب الصفات والأسماء. والروح طالبة للجسم، جاذبة له، بجواذب القوى العقليّة والحسيّة؛ فهي جاذبة ومجذوبة عن كشف وعيان، وشهود وبيان في أهل مقام الإحسان، وعن حجاب

---

(١) أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائد، المجلّد الأوّل، ٢٨٣، عن أبي هريرة.

وأستار، وجحود وإنكار، وظلامات وأكدار في أهل الجهل والغفلة والإعراض، المفتونين بأنواع الأغراض.

٤٦٩- وَمَنْ كَانَ فَوْقَ التَّحْتِ وَالفَوْقُ تَحْتَهُ إِلى وَجْهِهِ الهَادِي عَنَتْ كُلُّ وِجْهَةِ

(ومن كان): أي الإنسان الكامل الذي هو **(فوق التحتِ)**: أي فوق عالم الأجسام بطريق الاستيلاء والغلبة بأنْ غلبت روحه على جسمه لقيام روحه بأمر ربّه، لا بحكم نفسه الحيوانيّة، وهذا معنى قوله **(والفوق)**: أي الروح تحته لقيامها بأمر ربّها؛ فإنّ أمر الله من فوق ذلك كلّه؛ فالروح التي هي فوق تحته لاستيلاء الامر الإلهيّ عليها، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] والأمر الإلهيّ ليس فوقه شيء، ولا هو لشيء، قال تعالى للإنسان الكامل على الإطلاق، وهو نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٢٨] وإنّما الروح الكاملة تعمل به، لا بنفسها، قال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧].

وقوله **(إلى وجهه)**: أي وجه العامل بالأمر الإلهيّ، فإنّه هو عين الأمر الإلهيّ. وقال تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] أي: واسع لكلّ شيء بسبب علمه به، فهو وسع عِلْميّ. وكلّ شيء هالك فانٍ، لا وجود له. والظاهر عليه وجود الوجه الإلهيّ لا غير، لحكم قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقوله: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] وقوله **(الهادي)**: صفة للوجه، لأنّه هو الذي يدلّ على الله بالله، ويرشد إليه به، وهو معنى البصيرة في قوله سبحانه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ/ [٢١٨/ أ] عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [١٢/ يوسف/ ١٠٨] فشرك نفسه مع من اتّبعه في البصيرة، وهي العلم الربّاني، والكشف والتحقيق، وكمال الشهود الذوقي بعناية التوفيق. وقوله **(عَنَتِ)**: من عنا يَعْنُو: خَضَعَ وذَلَّ، كذا في الصحاح. وقوله **(كلّ وِجْهَةِ)**: بكسر الواو وضمّها،

بمعنى: الجهة، قال في الصحاح: «الوَجْهُ والجِهة بمعنى. والهاء عوض عن الواو. والاسم: الوِجْهة والوُجهة، بكسر الواو وضمّها. والواو ثابتة في الأسماء». والمعنى: كلّ جهة شيء من الأشياء خاصّة ذليلة لذلك الوجه الإلهيّ.

٤٧٠ - فَتَحْتَ الثَّرَى فَوْقُ الأَثِيْرِ لِرَتْقِ مَا فَتَقْتُ وَفَتْقُ الرَّتْقِ ظَاهِرُ سُنَّتِي

(**فتحتَ الثرى**): الفاء تفريعيّة عمّا سبق من كون بعضه جاذب لبعضه. و(**الثرى**): التراب النديّ، أو الذي إذا بُلّ لم يصر طِيناً لازباً، كما قال في القاموس. (**فتحتُ الثرى**): عالم المولّدات من الجماد والنبات والحيوان والإنسان، لأنّه مغلوب بطبع العناصر، والتراب غالب؛ فهي أرواح تحت التراب النديّ الممازج لبقيّة العناصر. وقوله (**فوق الأثير**): أي فلك النار. فالسفليّات الجسمانيّة مساوية للعلويات الروحانيّة. والأمر الإلهيّ متساوي النسبة إلى جميع العوالم لإحاطته بالجميع إحاطة واحدة. وإلى ذلك يشير قوله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تفضلوني على يونس بن متّى»[1] يعني: إنّ معراجه صلى الله عليه وسلّم إلى العلويّات، ومعراج يونس عليه السلام إلى السفليّات في بطن الحوت في بطن البحر في ظلمات ثلاث، والكلّ سواء بالنسبة إلى قرب الحقّ تعالى؛ فمن فضله على يونس عليهما السلام من هذه الجهة الحسيّة فقد أخطأ، وإنّما الفضيلة من حيث المنزلة والشرف والمكانة لا المكان.

وقوله (**لرتق**): الرتق: ضدُّ الفَتْق، وقد رَتَقْتُ الفَتْقَ أَرْتُقُهُ فارْتَتَقَ، أي: الْتَأَمَ كما في الصحاح. وقوله (**ما**): أي الذي فَتَقْتُ، أي: فَتَقْتُهُ، يقال: فَتَقْتُ الشيءَ فَتْقاً: شَقَقْتُه، كذا في الصحاح. والرَّتْقُ كناية عن الإجمال في العوالم. والفتق هو تفصيل ذلك الإجمال. والمعنى: إنّ الأمر الواحد الإلهيّ الذي هو تحت الثرى فالسفليّات مظاهره هو أيضاً بعينه الذي فوق الأثير، فالعلويات مظاهره أيضاً؛ وذلك لأجل

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، فصل في تواضعه صلّى الله عليه وسلّم ١/ ١٠٥.

إجمال الذي فصّله من العوالم؛ فإنّه كان ولا شيء معه من إجمال وتفصيل، وهو الآن على ما عليه كان، ولا إجمال ولا تفصيل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٠] يعني: كانت العلويات في السفليات فميّزها عنها، وفصّلها من مجملها. وقوله (**وفتق**): أي تفضيل الرتق، أي: الإجمال (**ظاهر سنّتي**): أي طريقتي من حيث اسم الظاهر، كما أن رتق الفتق باطن سنّتي أيضاً، يعني: طريقتي من حيث اسم الباطن؛ فللاسم الباطن الرتق، وللاسم الظاهر الفتق، وهذا أمر لم يزل ولا يزال، وهو قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] أي: أصله من حيث هو ككتاب، وهو الأمر الإلهيّ عنده تعالى، ومن كان عنده تعالى، لا عند نفسه كان هو ذلك الأمر، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢٠٦] أي: لا يتكبّرون بنفوسهم فيجدونها؛ وإنّما يجدون ربّهم كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٥]. أي: فظهر بخلقكم، فأنتم الخلق القائم بالأمر، ألا له الخلق والأمر.

٤٧١- وَلَا شُبْهَةٌ وَالْجَمْعُ عَيْنُ تَيَقُّنٍ   وَلَا جِهَةٌ وَالأَيْنُ بَيْنَ تَشَتُّتِ

(**ولا شبهة عندي**): في هذا الأمر المذكور. وقوله (**والجمع**): الواو للحال، والجملة حال من المحذوف، أي: شبهة عندي في حالة كون جمعي بالحقّ هو (**عين**): أي حقيقة تيقّن بكشف ووجدان عن شهود وعيان، وهو ظهور نفس الأمر الإلهيّ على ما هو عليه؛ فإنّ البصيرة إذا تحقّقت بذلك لا يبقى عندها شُبهة، ولا شك، ولا توهّم أصلاً. وقوله (**ولا جهة**): أي ناحية/ [٢١٨/ ب] من الجهات الستّ: فوق وتحت ويمين وشمال وقدّام وخلف. يعني: ولا جهة أشير إليها في توجّهي إلى الحقّ تعالى. وقوله (**والأين**): الحين. ومصدر آنَ يئين: حَان، وأَيْنَ سؤالٌ عن مكان، كذا في القاموس. وفي المصباح: «أين: ظرف مكان، يكون استفهاماً، فإذا قيل: أين زيد؟ لزم الجواب بتعيين مكانه ،ويكون شرطاً أيضاً.

ويزاد ما فيقال: أينما تقم أقم». والواو للحال أيضاً، والجملة حال من المحذوف، أي لا جهة لي حال كون أيني بعد شتات. وقوله (بَيْنَ): خبر المبتدأ. والبين: البعد، كما في القاموس. وقوله (تشتتِ): أي تفرّق. قال في المصباح: «شَتَّ شَتّاً، من باب ضرب: إذا تفرّق. والاسم: الشتات». والمعنى: لا شبهة عندي في الحقّ، والحال أنّي في مقام الجمع على يقين من أمري، وهذا من حيث مخلوقيّتي، ولا جهة لي تقيد وجودي الحقّ الذي أنا قائم به من حيث خالقيّتي، والحال أنّي في مقام الفرق الثاني بعد الجمع. والأين تقييد بزمان ومكان. والقيد حادث قائم بوجودي الحقّ الذي أنا قائم به؛ فالقيود كلّها قائمة بالمطلق عنها كلّها، وهو الحقّ تعالى وتقدّس. فالخلق قيود المطلق، والمطلق قيّوم على القيود كلِّها، لا قيام لشيء منها بنفسه، ولا ظهر له عندها إلّا بها. فإذا رأته مقيّداً بها إنْ شاء أعلمها به أنّه هو لا غيره، وطمس عنها رؤية غيره. ولا يكون ذلك إلّا لأهل العناية والهداية، أهل الوجوه الناضرة، أي: المسرورة برضوان الله تعالى عنها، كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٧٥/ القيامة/ ٢٢]. وإنْ شاء طمس بصيرتها عنه، وأعمى بصرها عن رؤيته، ولا يكون ذلك إلّا لأهل الغواية والخذلان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ١٥]. وقال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٧١] فالرؤية وعدمها بيد الله تعالى، لا بيد غيره، سواء كانت رؤية له تعالى أو لغيره، ومن كلام الحسين بن منصور الحلاج قدّس الله سرّه أنّه قال في جملة كلامه: «أمّا بعد حمداً لله الذي تجلّى عن رأس إبرة لمن شاء، وتستّر في السموات والأرضين عمّن شاء. ولنا في هذا المعنى من المواليا قولنا:

إنْ شاء مولاي يظهر للذي يختار   في كلّ شيء بلا حجب ولا أستار
وإن يشا يحتجب بالكون والآثار   فالزم أدب حضرته وأعرض عن
انظر لموسى نبيّ الله يا مفتون   لمّا تجلّى له في شجرة الزيتون

وانظر لإبليس قبلو ذلك الملعون لمّا احتجب عنه في آدم وما هو دون
آدم نبيّ واحتجب فيه عن الشيطان حتّى كفر والتبس أمره وله ما بان
وكان مجلاه في زيتونة البستان تبارك الله إنّ السرّ في السكّان

٤٧٢- وَلَا عُــدَّةٌ وَالعَـدُّ كَالْحَـدِّ قَـاطِعٌ وَلَا مُـــدَّةٌ وَالحَـــدُّ شِرْكُ مُوَقّـتِ

(**ولا عدّة**): بكسر العين وتشديد الدّال المهملة، أي: عدد، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ [٧٤/ مدّثر/ ٣١] أي عددهم، وقال تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ [٩/ التوبة/ ٣٦] ذكره الراغب. يعني: لا عدد لحقيقتي التي أنا قائم بها؛ فإنّها واحدة من جميع الوجوه والاعتبارات. وقوله (**والعدّ**): مصدر عددته عدًّا، من باب قتل. والعدد: هو الكميّة المتآلفة من الوَحَدات، فتختصّ بالمتعدِّد في ذاته، وعلى هذا فالواحد ليس بعدد، لأنّه غير متعدّد؛ إذ التعدّد الكثرة. وقال النحاة: الواحد من العدد، لأنّه الأصل المبني منه، ويبعد أنْ يكون أصل الشيء ليس منه، ولأنّ له كميّة في نفسه، فإنّه إذا قيل: كم عندك؟. صحّ أنْ يقال في الجواب: واحد، كما يقال ثلاثة وغيرها. كذا في المصباح. فالعدد من الواحد إلى ما لا يتناهى، فالواحد داخل في العدد ولا بدّ.

وقوله (**كالحدّ**): أي هو بمنزلة الحدّ . وفي المصباح: «الحدّ في اللغة: الفصل والمنع، يقال حددت الدار حدّاً ،من باب قتل: ميزتها عن مجاورتها بذكر نهاياتها/ [٢١٩/ أ] يعني: إنّ الدخول تحت مراتب العدد ولو تحت مرتبة الواحد بمنزلة الحدّ والقيد، والحقيقة المطلقة من حيث هي لا تدخل تحت قيد أصلاً إلّا من حيث القيود الخلقيّة، وتوهّماتها الخياليّة. وقوله (**قاطع**): أي عن الوصلة فمن يدخل الحقيقة المذكورة تحت العدّ والحدّ فهو مقطوع عن الاتّصال بها. وقوله (**ولا مُدَّةٌ**): بضمّ الميم وتشديد الدّال المهملة: البرهة من الزمان، تقع على القليل والكثير. والجمع مُدَد، مثل غُرْفَة وغُرَف، كذا في المصباح. يعني: ولا تدخل أيضاً

تحت المُدَّة، أي: الزمان؛ لأنّ الزمان من جملة القيود الصادرة عنها عنها فلا تتقيّد به. وقوله (**والحدّ**): أي المقدار المعلوم المقدّر؛ بمعنى القيد سواء كان بالعدد أو بالمدد والأزمنة. وقوله (**شِرْكُ مُوَقت**): بالإضافة، أي: شِرْك رجل مؤقِّت بتشديد القاف مكسورة، يعني: شرك توقيت وتحديد وتقييد. والمطلق لا يمكن فيه ذلك؛ لأنّه من أمارات الحدوث.

٤٧٣- وَلَا نِدَّ فِي الدَّارَينِ يَقْضِي بنقضِ مَا بَنَيْتُ وَيُمْضِي أمْرَهُ حُكْمُ إمْرَتِي

(**ولا ندّ**): بكسر النون وتشديد الدّال المهملة مفتوحة، قال في المصباح: «النِدُّ بالكسر: المِثْلُ، والنَدِيدُ مِثْلُهُ، ولا يكون النِدُّ إلّا مُخالِفاً، والجمع: أَنْدَاد، مثل حِمْل وأَحْمَال». يعني: لا مثل للحقيقة المذكورة أصلاً؛ إذ ليس معها غيرها، وهي مطلقة، وما عداها قيود صادرة عنها، كما ذكرنا. وقوله (**في الدارين**): أي دار الدنيا، دار الأوهام والأباطيل. ودار الآخرة دار الإكرام والتفاضيل. وقوله (**يقضي**): أي يحكم عليّ ويلزمني. وقوله (**بنقض**): متعلّق بـ يقضي. و(**النقض**): الإبطال، وإزالة تأليف الشيء. وقوله (**ما**): أي الأمر العظيم الذي (**بَنَيْتُ**): أي بنيته، قال في المصباح: «بنيتُ البيتَ وغيره بِناء. والبُنْيَان: ما يُبنى» وهو ما ذكره في هذه القصيدة وغيرها من قصائد الديوان ومقاطعيه من معاني التجلّيات الإلهيّة، والحقائق العِرفانيّة، والعلوم الربّانيّة، والتنزيهات الخياليّة، والتقديسات الصمدانيّة. وقوله (**ويُمْضِي أمره**): بضمّ الياء التحتيّة، من أمضاه: نفذه، و(**أَمْرَهُ**): مفعوله. و(**يمضي**): معطوف على بَنيتُ، والتقدير: يمضي أمره. والضمير للموصول المقدّر، أي: أَمَرَ ذلك الشيءَ الذي حقّقته وذكرته. قال في المصباح: «أَمْضَيْتُهُ بالألف: أَنْفَذْتُهُ». وقوله (**حُكْمُ**): فاعل يمضي، أي: إلزام. وقوله (**إمرتي**): بكسر الهمزة، قال في المصباح: «الإمْرَة والإمَارَة: الوِلاية بكسر الهمزة، يقال: أَمَرَ على القوم يَأْمر، من باب قتل، فهو أمير، والجمع: الأمراء». والمعنى: ينفذ هذا الشيء الذي ذكرته، ويلزم به الخصوم حكم الإمارة والسلطة والقهر الذي لحقيقتي المقوّمة لظاهري وباطني،

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤١].

٤٧٤- وَلَا ضِدَّ فِي الكَوْنَيْنِ وَالخَلْقُ مَا تَرَى بِهِـمْ لِلتَّسَاوِي مِـنْ تَفَـاوُتِ خِلْقَـةِ

(ولا ضدّ): أي لا نظير ولا كفؤ، والجمع: أَضْدَاد، كذا في المصباح. وقال الراغب: «الضِدّان: الشيئان اللذان من تحت جنس واحد، وينافي كلّ واحد منهما الآخر في أوصافه الخاصّة وبينهما أبعد البعد». يعني ليس للحقيقة المذكورة ما يضادُّها من نظير وكفء. وقوله (في الكونين): أي كون الدّنيا الفاني الزائل. وكون الآخرة الباقي الدائم. وقوله (والخَلْقُ): أي المخلوقات على اختلاف أجناسهم وأنواعهم وأشخاصهم. وقوله (ما ترى بهم): أي ما تبصر فيهم. وقوله (للتساوي): أي لأنّهم سواء في عدمهم الأصلي، ووجودهم الوهمي الطارئ عليهم. وقوله (من تفاوت خلقة): أي من خلقة متفاوتة، قال في المصباح: «تَفَاوَتَ الشيئان: اختلفا، وتَفَاوَتَا في الفضل تَبَايَنَا فيه، تَفَاوُتاً بضمّ الواو». وهذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] وقال الراغب: «التفاوت الإختلاف في الأوصاف/[٢١٩/ ب] كأنّه يفوتها وصف أحدهما الآخر، أو وصف كلّ واحد منهما الآخر». والمعنى إنّ هذه الحقيقة المذكورة لا يساويها شيء أصلاً، وكلّ ما سواها يساوي بعضه بعضاً.

٤٧٥- وَمِنِّـي بَـدَا لِي مَـا عَـلَيَّ لَبِـسْتُهُ وَعَنِّـي البَـوَادِي بِي إِلَيَّ(١) أُعِيْـدَتِ

(ومنّي): أي من صورتي الظاهرة والباطنة، وقيودي الحسيّة والمعنويّة. وقوله (بدا): أي ظهر وتبيَّن لي. وقوله (ما): أي الأمر الذي. وقوله (عليّ) بتشديد الياء التحتيّة، أي: على نفسي. وقوله (لَبِسْتُهُ): أي أُلْبِسْتُهُ. بمعنى: جعلته مُلْتَبِساً عليّ، قال الراغب: «أصل اللُّبس سَتْر الشيء. ويقال ذلك في المعاني، يقال لَبَسْت عليه أمْرَه، قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] ويقال: في الأمر

---

(١) في (ق): عليَّ

لُبْسَة، أي: الْتِباس. والمعنى: ظهر مِنِّي لي جميع ما كنت أَلْبَسْتُهُ على نفسي بأنّها لها. وحكمت فيه بالمغايرة لربّي مع أنّه لربِّي لا لي، ولا لنفسي، حتّى نفسي له تعالى، لا لها، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وقوله (**وعنِّي**): أي عن حقيقتي التي أنا قائم بها لها. وقوله (**البوادي**): أي الظواهر من الأشياء المحسوسات والمعقولات المتبيِّنة لي، المحقّقة عندي. وقوله (**بي**): أي بحقيقتي التي أنا قائم بها. وقوله (**إليّ**): بتشديد الياء التحتيّة، متعلّق بـ أُعيدتِ، بكسر التاء للقافية، و(**أُعِيْدَتِ**): بضمّ الهمزة مبني للمفعول. فالأوّل إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ يعني الرسول منّا ﴿مَلَكًا﴾ كما طلبه الغافلون عنّا الكافرون الساترون لحقيقتنا بهم وبصورهم التي هي قيود حقيقتنا المطلقة ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ مثلهم بشراً، يأكل مما يأكلون منه، ويشرب مما يشربون. ﴿وَلَلَبَسْنَا﴾ أي: سترنا عليهم من أمرنا الظاهر بهم ﴿مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] هم الآن على أنفسهم من أمرنا الظاهر بهم، فلو جعلنا فيهم رشداً لتنبّهوا لحقيقتنا الظاهرة لهم بهم، فإنّها رسول منّا إليهم، كما قال سبحانه في أهل العناية: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨]. والثاني إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٠٤] أي: ابتدأناه، وأظهرناه في صورة كلّ ذي صورة من المعاني والأحوال المحسوسة والمعقولة، نعيده على الوصف الذي أعلمنا به كلّ إنسان، بحيث يقع الوهم فيه بأنّا جامد لم يتغيّر، وهو عين الأوّل على ما هو عليه لم يتحوّل، وهو متغيّر متبدّل متحوّل مع الأنفاس، كلّ نفس يتنفّسه الإنسان يذهب بخلقه الأوّل، ويأتي بخلق جديد كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] ولا يشعر بذلك مع الأنفاس إلّا أهل العناية والهداية من الناس دون أهل الوسواس.

٤٧٦ - وَفِيَّ شَهِدْتُ السَّاجِدِيْنَ لِمَظْهَرِي فَحَقَّقْتُ أَنِّي كُنْتُ آدَمَ سَجْدَتِي

(**وفيّ**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في حقيقتي التي أنا قائم بها. وقوله

(**شهدت**): أي عاينت. وقوله (**الساجدين**): جمع ساجد، وهم الملائكة الذين قال لهم الله تعالى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [٢/ البقرة/ ٣٤]. وقوله (**لمظهري**): أي صورة ظهوري من تجلّي اسم المصوِّر. و(**المَظْهَر**): هو آدم عليه السلام. وقوله (**فحقّقت**): يقال حَقَّقَهُ تَحْقِيْقاً: صَدَّقَهُ، كذا في القاموس. وفي الصحاح: «حقّقت الأمر وأحقْقته أيضاً: إذا تحقّقته، وصرت منه على يقين». وقوله (**إنّي كنت**): أي من حيث حقيقتي الجامعة لصورتي، ولجميع الصور المتقدّمة والمتأخّرة بطريق التجلِّي بها عليها. وقوله (آدم): عليه السلام من حيث التجلِّي بصورته. وقوله (**سجدتي**) مضاف إليه، أي: سجدتي التي سجدتها له، من حيث ظهوري بصور الملائكة الساجدين له/ [٢٢٠/ أ].

٤٧٧- وَعَايَنْتُ رُوْحَانِيَّةَ الأَرْضِيْنَ فِي مَلَائِكِ عِلِّيِّيْنَ أَكْفَاءَ رُتْبَتِي

(**وعاينت**): معطوف على شهدت في البيت قبله، يقال: عَايَنْتَ الشيءَ عِيَاناً: إذا رأيته بعينك، كذا في الصحاح. وقوله (**روحانيّة**): قال في القاموس: «الرُّوحانيّ بالضمّ ما فيه الرُّوح، وكذلك النسبة إلى المَلَك والجِن. والجمع: رُوحانيّون». وقوله (**الأرضين**) بالإضافة: جمع أرض، وهي مؤنّثة، اسم جنس. وكان حقّ الواحدة منها أنْ يقال: أَرْضَة، ولكنّهم لم يقولوا، والجمع: أَرْضَات، لأنّهم قد يجمعون المؤنّث الذي ليس فيه هاء التأنيث بالتاء، كقولهم عربشات. ثمّ قالوا: أرضون. فجمعوا بالواو والنون، والمؤنّث لا يُجمع بالواو والنون، إلّا أنْ يكون منقوصاً كثبة وضبّة، ولكنّهم جعلوا الواو والنون عوضاً من حذفهم الألف والتاء، وتركوا فتحة الراء على حالها، وربّما سكنت، كذا في الصحاح. وهذا الرفع في الواو والنون، وفي النصب والجرّ بالياء والنون. ومعنى روحانيّة الأرضين بسكون الراء: ملائكة الأرضين، وهم السفليّون. وقوله (**في ملائك**): جمع مَلَك بفتح اللام، قال في الصحاح: «والمَلَكُ من الملائِكة، واحد وجمع، قال الكسائي: أصله مألك بتقديم الهمزة، من الأَلُوك، وهو الرسالة. ثمّ قُلِبت وقُدّمت اللام،

فقيل: مَلْأَكٌ. ثمّ تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل مَلَكٌ. فلمّا جمعوه ردّوها إليه، فقالوا: ملائكة وملائك أيضاً. وقوله (**علّيين**): قال في القاموس: «عِلِّيُّون جمع عِلِّيّ في السماء السابعة، تصعد إليه أرواح المؤمنين، كذا في القاموس. فقد جمع بالواو والنون في حالة الرفع، وفي النصب والجرّ بالياء والنون. وقوله (**أَكْفَاءَ**): جمع كُفُؤ قال في الصحاح: «الكُفُؤُ: النظير، وكذلك الكُفْءُ والكُفُؤُ على وزن ـ فُعْل وفُعُل والمصدر الكَفَاءَة، بالفتح والمدّ». وفي القاموس: «الجمع أَكْفَاء وكِفَاء». والمعنى: بعضهم نظير بعض بسبب اتّصال روحانيّة الأرضين السفليّين بروحانيّة السموات العُلويّين في الإمداد والاستمداد، وهم الملائكة الأرضيّون المدبِّرون للصور الأرضيّة العنصريّة على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها، مستمدّة من الروح الأعظم القائم بأمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وهذه الملائكة تمدّ ملائكة السموات بإمدادها الروحانيّ الذي تستمدّه من الروح الأعظم، وهو الإمداد القلميّ الأصليّ، وتستمدّ منها الإمداد النفسانيّ للوحي؛ فالملائكة السفليّون يعطون الملائكة العُلويِّين أرواحاً أمريّة، ذاتيّة، قلميّة، والملائكة العُلويّون يعطون الملائكة السفلِّيين أرواحاً صوريّة، نفسانيّة، لَوحِيَّة ارتباطاً إلهيّاً، وسراً ربّانيّاً.

وقوله (رتبتي): مضاف إليه: أي جميع هذه الملائكة الروحانيّون نظراء في بعضهم بعضاً. والفضائل بينهم معلومة. والجميع تحت حكم مرتبتي، وحيطة أمري؛ لأنّ حقيقة ذاتي الروح الأعظم الذي من أمر الله تعالى، وهو الممدّ للكلّ، والمستمدّ من أمر الله، فإنّ أولي الأمر هم الخلفاء الذين لهم إطاعة بعد إطاعة الله، وإطاعة الرسول في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [٤/ النساء/ ٨٣].

٤٧٨ – ومن أُفْقِيَ الذاتيّ اجْتَدَى[1] رَفْقِيَ الهُدَى وَمـِنْ فَرْقِـيَ الثَّـانِي بَـدَا جَمْـعُ وَحْـدَتِي

(**ومن أُفقيَ**): بضمّ الهمزة وسكون الفاء وكسر أو ضمّها، وبكسر القاف،

---

(١) في (ق): الداني احتذى.

مضافاً إلى ياء المتكلِّم. قال في القاموس: «الأُفْق بالضمّ، وبضمتين: الناحية، وجمعه آفاق، أو ما ظهر من نواحي الفَلَك، أو مَهَبَّ الجنوب والشمال، والدَّبُور والصَبَا». وقوله (**الذاتيّ**): وصف لأفقي، أي: المنسوب إلى الذات، كناية عن الروح الأعظم الأمري. وقوله (**اجْتَدَى**): أي طلب الجَدْوَى، وهي العطيّة، قال في القاموس: «الجَدَا والجَدْوَى: العَطِيَّة. وجَدَاهُ جَدْواً واجْتَدَاهُ/ [٢٢٠/ب]: سأله حاجةً». وقوله (**رَفْقِي**): بفتح الراء وسكون الفاء، جمع لرَفُق كرَكْب، اسم جمع لراكب، وهو فاعل اجتدى. وقوله (**الهدى**): مفعول اجتدى. يعني: إنّ المريدين والسالكين في طريق استمدّوا الهدى والرشاد إلى معرفة الحقّ من ناحيتَيَّ الذاتيّة، وحضرة روحانيّتي الآمريّة الإلهيّة. وقد يكون رفقاؤه أهل الكمال في عصره من المحقّقين. وقوله (**ومن فَرْقِي**) بفتح الفاء وسكون الراء، أي: مقام فرقيَ الثاني، وهو الفرق بعد الجمع، والصحو بعد السكر. وقوله (**بدا**): أي ظَهَر وتَبَيَّنَ. وقوله (**جمع وحدتي**): وهو جمع الجمع، وهو الجمع بين الفرق والجمع، شهود الحقّ والخلق معاً بشهود الكثرة الخَلقيّة في الوحدة الحقيّة، والوحدة الحقيّة في الكثرة الخلقيّة.

٤٧٩- وَفِي صَعْقِ دَكِّ الحِسِّ خَرَّتْ إِفَاقَةً لِـيَ الـنَفْسُ قَبْـلَ التَوْبَـةِ المُوسَـوِيَّةِ

(**وفي صَعْقِ**) يقال: صَعِقَ الرجلُ صَعْقَةً وتَصْعَاقاً، أي: غُشِيَ عليه. وأَصْعَقَهُ: غيّره، كذا في الصحاح. وفي القاموس: «صَعَقَ [كَمَنَعَ وَ] كَسَمِعَ صَعْقاً، ويُحَرَّك، وصَعْقَةً وتَصَعَاقاً: غُشِي عليه». وقوله (**دكّ**) قال في القاموس: «الدكّ: الدَّقُّ والهَدْمُ، وما اسْتَوَى من الرمل» انتهى. وفي الصحاح: «قد دَكَكْتُ الشيءَ أَدُكُّهُ دَكّاً: إذا ضربته وكسرتُه حتى سوَّيْته بالأرض». و(**الحسّ**): الإحساس بالشيء، أي: إدراكه بإحدى الحواس الخمس، وهي المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشمّ، الذوق، واللمس. والمعنى: في حاله الغَيبة، والفناء، والانمحاق بتجلّي الوجود الحقّ، وانكشافه، واندكاك الإحساس بالكلّيَّة. وقوله (**خَرَّتِ**): أي

سقطت. وقوله (إفاقة) تمييز. والإفاقة ضدّ السكر، وهي رجوع الصحو. وقوله (لي): صفة لإفاقة، أي: إفاقة حاصلة لي من حيث الذات الحقيقيّة الحقيّة. وقوله (النفس): فاعل خرّت. والمعنى: إنّ النفس رجعت نفساً لي من حيث ذاتيّ الغيبيّة الحقيّة، وذلك بعد سقوطها وفنائها من حيث أنّها نفس إمكانيّة كونيّة. وقوله (قبل التوبة الموسويّة): أي المنسوبة إلى موسى عليه السلام، فإنّه طلب الرؤيّة من ربّه تعالى، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] أي: مغشيّاً عليه من هول ما رأى في اندكاك الجبل من عظمة الأمر الإلهي. فلمّا أفاق من غشيته قال: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ تنزيهاً له تعالى عن طلب رؤيته مع بقاء النفس ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] يعني: من ذلك لأنّه لا يكون؛ فإنّ النفس مظهر ربّاني بصورة طبيعيّة، فلا ترى ربّها إلّا صعقت، فيكون تعالى هو الذي يرى نفسه، وهو رأى نفسه بنفسه أزلاً وأبداً، ولكن صورة النفس قائمة به من تجلّي اسمه المصوّر. والصورة حجاب عليه، فمن رأى نفسه رآه متجلّياً بالصورة، ولهذا لا يغيب عن العارفين به أصلاً دنيا وآخرة. قال ابن غانم المقدسي قدّس الله سرّه:

ومخطوبة الحسن محجوبة ... فلا يألفنّ السوى إلفها
إذا رام عاشقها نظرة ... فلم يستطع إذ علا وصفها
أعارته طرفاً رآها به ... فكان البصير لها طرفها

ومعنى كون النفس خرّت وسقطت من حيث أنّها أفاقت فرجعت حقيقتها إلى أنّها عين الحقيقة فزال حجاب الصورة النفسانيّة فظهرت رؤية الربّ للربّ على ما هي عليه. وتبيّن ذلك أمر قديم سابق على التوبة الموسويّة كما ذكرنا، فظهر أنّ حقيقتي وحقيقة موسى عليه السلام واحدة، وهي الحقيقة الموجودة الواجدة، وما به التميز. فإني وإنّه من جملة المعاني.

٤٨٠ - فَلَا أَيْنَ بَعْدَ العَيْنِ وَالسُّكْرُ مِنْهُ قَدْ   أَفَقْتُ وَعَيْنُ الغَيْنِ بِالصَّحْوِ أَصْحَتِ[1]

/[٢٢١/ أ] (فلا أين): أي محلّ ومكان يطلبه الطالب لهذه الحقيقة الربّانيّة، قال في المصباح: «أين ظرف مكان يكون استفهاماً. فإذا قيل: أين زيد؟ لزم الجواب بتعيين مكانه». وقوله (بعد العين): أي بعد حصول عين المطلوب ومعاينته، فإنّ الطلب لا يكون إلاّ للغائب، والحاضر لا يطلب.

وقوله (والسُكْرُ): الواو للحال، والجملة حال من فاعل خبر لا المحذوفة، والتقدير لا أين لمن أطلبه بعد حصول معاينته والتحقّق به، والحال أنّ غيبتي عنه قد أفقت منها. وقوله (وغين): بالمعجمة، قال في المصباح: «الغَيْن لغةٌ في الغيم، وغِيْنَتِ السماء، بالبناء للمفعول: غُطِّيَت بالغَيْن، وفي الحديث: «إنّه لَيُغَان على قلبي»[2] كناية عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنياويّة، فإنّها وإنْ كانت مهمّة فهي في مقابلة الأمور الأخراويّة كاللهو عند أهل المراقبة. وقوله (العين) بالمهملة: أي الذات، يعني: ذات الحقّ تعالى، فإن صورة النفس غطاء عليها كما تقدّم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وقوله (بالصحو): صَحَا من سُكرِهِ يَصْحُو صَحْواً زال سُكْرُه». والجار والمجرور متعلّق بـ(أصحتِ): بكسر التاء للقافية. يقال: أَصْحَتِ السماء، بالألف فهي مُصْحِيَة: انكشف غيمها». كذا في المصباح. فاعل أصحتِ ضمير مؤنّث يعود على العين، بمعنى الذات، يعني: أصحا غيمها، أي: تفرّق وزال، قال في المصباح: «وأنكر الكسائي استعمال اسم الفاعل من الرباعي، فقال: لا يقال أصحت فهي مُصْحِيَة، وإنّما يقال: أَصْحَتِ فهي صَحْو، وأَصَحَى اليوم فهو مُصْحٍ ، وأَصحينا صرنا في صَحو»، قال السجستاني. والعامّة

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ سماعاً ومقابلة... ثم انقطاع للكلام.

(٢) انظر تخريجه ص٣٧٥.

تظن أنّ الصحو لا يكون إلّا ذهاب الغيم، وليس كذلك، وإنّما الصحو تفرّق الغيم مع ذهاب البرد.

٤٨١- وَآخِرُ مَحْوٍ جَاءَ خَتْمِيَ بَعْدَهُ كَأَوَّلِ صَحْوٍ لِارْتِسَامِ بِعِدَّةِ

(**وآخر محو**): أي فناء واضمحلال، وهو سرّ الروح الجامع لكلّ ما هو دونه من محو الروح الذي هو منشأ التعقّل والتخيُّل، وما دونه من محو النفس التي هي منشأ القوى الجسمانيّة، والحركات الطبيعيّة. وقوله (**جاء ختمي**): أي مقام ختم الولاية، وهي الوراثة المحمّدية الجامعة الذاتيّة. وقوله (**بعده**): أي بعد ذلك المحو المذكور.

وقوله (**كأوّل صحو**): وهو الصحو الذي يكون قبل السلوك، فإنّ فيه كمال الإعراض عن الحقّ والتحقّق بالخلق، وهذا من قبيل قولهم: إنّ النهاية هي الرجوع إلى البداية. وقوله (**لارتسام**): من الرسم، وهو الأثر. وقوله (**بِعِدَّةِ**): أي بعدد. يعني: لارتسام تعداد الأشياء في الخيال؛ فالنهاية ليست كالبداية إلّا من جهة ارتسام الكثرة والتعدّد لا بطريق التحقّق، فإنّ الرسم مجرّد أثر؛ والطريقة أنّ المشبّه به أقوى من المشبّه. فالمحو الأخير المذكور تكون الأشياء المتعدّدة فيه رسوماً بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه بسبب حسبانه المذكور، والصحو الأوّل هو عين حسبانه ما بطريق التحقّق بذلك، قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾، يعني: بأنفسهم وبأموالهم وجاههم، فيجدونها غير الحقّ. فيتكبّرون بها على الحقّ، لأنّهم في الصحو الأوّل، فهم مصروفون عن آيات الله تعالى التي في الآفاق، وفي أنفسهم. وصاحب المحو الأخير يشهد الرسوم المتعدّدة عين الوحدة الوجوديّة، ويعاين التجلّيات الربّانيّة، فلا يرى الحقّ ظاهراً في الرسوم بالآثار التي هي الخلق، ولا يرى الخلق لاحتجابه بالحقّ؛ فالحقّ عنده حجاب عن الخلق، كما أنّ الخلق عند الأوّل حجاب عن الحقّ.

٤٨٢- وَمأخُوْذُ مَحْوِ الطَّمْسِ مَحْقاً وَزَنْتُهُ بِمَجْذُوْذِ صَحْوِ الحِسِّ فَرْقاً بِكِفَّةِ

(ومأخوذ): بصيغة اسم المفعول، من الأخذ، وهوالتناول، قال في الصحاح: «أَخَذْتُ/[٢٢١/ب] الشيءَ آخُذُهُ أَخْذاً: تناولته». وقوله (محو الطمس): هو المحو الأخير، كما ذكرنا في البيت قبله. فالمأخوذ فيه هو الذي أخذه من نفسه، أي: تناوله بحيث لم يترك منه أثراً. قال في القاموس: «مَحَاهُ يَمْحُوهُ ويَمْحَاه: أذهب أثره. وهو هنا كناية عن إزالة الأوصاف البشريّة والفناء في الأفعال الإلهيّة. و(الطَّمْس): والطُمُوس: الدُرُوس والانمحاء. وقد طَمَسَ الطريق يَطْمُسُ ويَطْمِسُ، وطَمَسْتُه طَمْسَا، يتعدّى ولا يتعدّى، وانْطَمَسَ الشيء وتَطَمَّسَ، أي: انمحا واندرس، كذا في الصحاح. والطمس هنا كناية عن إزالة آثار الصفات البشريّة بالكليّة. وقوله (مَحْقاً): تمييز، أي: من جهة المَحْق. وفي القاموس: «مَحَقَهُ كمَنَعَه: أَبْطَلَهُ». وفي الصحاح: «مَحَقَهُ يَمْحَقُه، أي: أَبْطَلَهُ ومَحَاه. والمَحْقُ هنا كناية عن استهلاك الذات بالأصالة؛ فالمحق أخصّ من الطمس، وهو أخفى من المحو، فالمحو هو هنا الفناء في الأفعال الإلهيّة. والطمس هو الفناء في الصفات الربّانيّة. والمحق هو الفناء في الذات الصمدانيّة. وقوله (وزنته): من الوزن كالرعد، وهو روز الثقل، والخفّة كالزنة. والضمير للمأخوذ. وقوله (بمجذوذ): متعلّق بوزنته، أي: قدرته في الثقل والخفّة بإنسان مجذوذ، أي: مقطوع، من الجَذِّ بالجيم والذال المعجمة، وهو القطع، كناية عن الواقف مع الخلق المنقطع عن حضرة الحقّ. وقوله (صحو الحسّ): أي الإحساس بالحواس الخمس النفسانيّة، وهو السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس. فإنّ الصاحي للإحساس بها صحوه أوجب انقطاعه عن مشاهدة الحقّ تعالى. وقوله (فرقاً): أي من جهة الفرق الذي هو فيه، أي: الغيريّة والاشتغال بها. وقوله (بكِفَّةِ): متعلّق بوزنته، وهي بكسر الكاف، قال في الصحاح: «كلّ ما استدار فهو كِفَّة، بالكسر، نحو كِفّة الميزان. وقال في القاموس: «والكِفَّة بالكسر من الميزان، وتُفتح». والمعنى: وجدت في مقام الفرق

الثاني بعد الجمع أنّ الكامل الواصل إلى الذات الإلهيّة بالأسماء الربّانيّة. والناقص الجاهل المنقطع عن الحقّ تعالى في كونهما مظهرين للحقّ تعالى، مشتغلين بشؤون الحقّ تعالى، وتجلّياته في كلّ شيء واحد يساوي كلّ منهما الآخر، كما قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] وإنْ كان من حيث المرتبة بينهما تفاوت عظيم، وفرق ظاهر جسيم.

٤٨٣ - فَنُقْطَةُ غَيْنِ الغَيْنِ عَنْ صَحْوِيَ انْمَحَتْ وَيَقْظَةُ عَيْنِ العَيْنِ مَحْوِيَ أَلْغَتِ

(**فنقطة غَيْنِ الغَيْنِ**): بالمعجمتين، يعني بالغين حرفاً من حروف التهجّي، وهي غين الغين، أي: السوى. وقوله (**عن صحوي**): متعلّق بانمحت، أي: عن صحو إدراك الأغيار، وملاحظة الخلق بالغفلة عن الحقّ، فإذا زالت نقطة الغين، وانمحت ظهرت العين. .وقوله (**ويقظة**): بسكون القاف، وهي التنبّه للأمور، وهي اليقظة من النوم. وقوله (**عين العين**): أي معاينة الذات، يعني: اليقظة الحاصلة من معاينة الذات الإلهيّة. (**محوي**): أي زوالي وفنائي. (**ألغتِ**): بكسر التاء للقافية، يقال: ألغاه بالغين المعجمة، أي: أبطله، يعني: ألغت تلك اليقظة محوي وفنائي، لأنّها يقظة للوجود الحقّ، الواحد الأحد الذي لا غيره ولا سواه. ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص / ٨٨] أي: إلّا ذاته، وذاته الوجود الحقّ.

٤٨٤ - وَمَا فَاقِدٌ فِي الصَّحْوِ فِي المَحْوِ وَاجِدٌ لِتَلْوِينِهِ أَهْلاً لِتَمْكِينِ زُلْفَةِ

(**وما هي**): نافية حجازيّة تعمل عمل ليس. و(**فاقد**): اسمها. (**واجد**): صفته. و(**أهلاً**): خبرها. وقوله (**فاقد**): أصل الفاقد المرأة التي تفقد زوجها، أو ولدها. وظبية فاقد، وتفاقد القوم، أي: فقد بعضهم بعضهم، كذا في الصحاح. وهو كناية عمّن يفقد شهود ربّه المتجلّي/ [٢٢٢/ أ] وقوله (**في الصحو**): أي في حالة محوه لغير الحقّ تعالى، واشتغاله بما سواه سبحانه. وقوله (**في المحو**): أي

الفناء والاضمحلال. وقوله (**واجد**): أي متحقّق مشاهد لربّه الحقّ المتجلّي. وقوله (**لتلوينه**): اللام للتعليل، واللون هيئة كالسواد والحمرة، وفلان مُتلوِّن: إذا كان لا يثبت على خلق واحد كذا في الصحاح. وقوله (**أهلاً**): تقول فلان أهل لكذا، ولا تقل مستأهل، والعامّة تقوله. ويقال: أَهَّلَكَ الله للخير تَأهيلاً كما في الصحاح. وقال في القاموس: «أَهْلُ الأمر وُلاتُه، وللبيتِ سُكَّانُه، وللمذهب مَنْ يَدِينُ به، وأَهَّلَهُ لذلك تَأْهِيلاً، وآهَلَهُ: رَآه له أَهْلاً ، واسْتَأْهَلَهُ: اسْتَوْجَبَهُ، لغة جيدة، وإنكار الجوهري باطل».

وقوله (**لتمكين**): هو ضدّ التلوين. قال في الصحاح: مَكَّنَه الله من الشيء وأَمْكَنَهُ منه بمعنىً. واسْتَمْكَن الرجلُ من الشيء وتَمَكَّنَ منه بمعنىً. وقوله (**زُلْفَةِ**): مضاف إليه، وهو بضمّ الزاي وسكون اللام، أي: قُرْبَهُ إلى الله تعالى، قال في الصحاح: «أَزْلَفَهُ أي: قَرَّبَهُ، والزُّلْفَةُ والزُّلْفَى: القُرْبَةُ والمَنْزِلَة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [٢٤/ سبأ/ ٣٧] وهو اسم مصدر، كأنّه قال: بالتي تقرّبكم عندنا إزلافاً. والمعنى: إنّ التلوين بالفقد عند الصحو والوجدان عند المحو لا يكون صاحبها أهلاً للتمكين في القرب إلى الحقّ تعالى؛ لأنّه صاحب تقلّب في أموره، لا صاحب ثبوت ورسوخ. لكن ذكر الشيخ الأكبر محيي الدّين بن عربي قدّس الله سرّه بأنّ التمكن في التلوّن أتمّ وأكمل من التمكّن فقط من غير تلوّن، لأنّه صلّى الله عليه وسلّم قال: « إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[1]. وفي رواية: «مائة مرّة ». وهو المقام المحمّديّ الذي أشار إليه تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] وهم الأولياء المحمّديّون لا يقفون عند حال، ولا مقام مع رجوعهم إلى الحقّ تعالى في كلّ نفس فيرجعون إليه، ويصدرون عنه في كلّ مقام. وقال في قول القائل:

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

كـــــلّ يـــــوم تتلـــــون غـــير هـــذا بـــك أحـــسن

بل قوله لو قال:

كـــــلّ يـــــوم تتلـــــون إنّ هـــذا بـــك أحـــسن

لكان هو الأحسن. فقول الناظم: ما هو **أهل لتمكين زلفة**، يعني: صاحب التلوين من غير تمكين في تلوينه ذلك؛ ولهذا ذكر الفقد في الصحو، والوجدان في المحو، وصاحب التمكين في التلوين ما عنده فقد، ولا صحو للغير فقط؛ بل رجوع إليه تعالى وصدور عنه، ولهذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذليّ قدّس الله سرّه في قوله عليه السلام «إنّه ليغان على قلبي» إنّه غين أنوار، لا غين أغيار، فإنّه صلّى الله عليه وسلّم كان دائم الترقّي؛ فكلّما يرقى إلى مقام وجد المقام الذي قبله غيناً بالنسبة إليه، فيستغفر منه. وقال تعالى بعد قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ ويثرب من أسماء المدينة المنورّة قال تعالى: ﴿فَٱرۡجِعُواْ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] أي: إلى ما كنتم فيه من حضرة العلم الحقّ تعالى.

٤٨٥ - تَسَاوَى النَّشَاوَى وَالصُّحَاةُ لِنَعتِهِمْ بِرَسْمِ حُضُوْرٍ أَوْ بِوَسْمِ حَظِيْرَةِ

(تساوى النشاوى): جمع نشوان، قال في الصحاح: رجل نَشْوانُ، أي: سَكْران، بَيِّنُ النَّشْوَةِ بالفتح، وزعم يونس أنّه سمع فيه نِشْوَة بالكسر، وقد انْتَشَى، أي: سكر. وقال في القاموس: نَشَى نَشْواً ونُشْوَة، مثلثة: سَكِر كَانْتَشَى وتَنَشَّى، ورجل نَشْوَانُ ونَشْيَان: بَيِّن النَّشْوَة بالفتح». وقوله **(والصُّحَاة)**: جمع صاحٍ، قال في القاموس: «الصَّحْو ذهاب الغَيم والسُكْرُ، وترك الصِّبَا والباطل. يومٌ وسماءٌ صَحْوٌ [وصَحِيٌّ]. وصَحِيَ السكران كرضي، وأصْحَى. وكذا المُشتاق». وقوله **(لِنَعْتِهِم)**: أي تساويهم لأجل نعتهم الذي/ [٢٢٢/ ب] هم منعوتون به من الفرق بين القديم والحوادث، وإدراك تعداد الحوادث وكثرتها، ووحدة القديم الحقّ في ذاته وصفاته وأسمائه، فإنّ السكارى بخمرة التوحيد والصُّحاة من ذلك سواء للاستواء في نعوتهم وأوصافهم. وقوله **(برسم)**: أي حكم من قولهم رسم

له كذا: أمر له به فارتسم، كذا في القاموس. والرسم أيضاً الأثر أو بقيّته، أو ما لا شخص له من الآثار، فإنّ الحوادث رسوم الصفات والأسماء الإلهيّة وآثارها. وقوله (**حضور**): مضاف إليه، والجار والمجرور متعلّق بنعتهم. والباء للسببيّة، أي: بسبب رسم الحضور، وهو ضدّ الغيبة، راجع إلى النشاوى، فهم سكارى من الحضور مع الحقّ تعالى، والغيبة عن الخلق كلّهم، فالخلق عندهم مجرّد رسوم وآثار فانية مضمحلّة. وقوله (**أو بوسم**): أصله أثر الكي، وتَوَسَّمَ الشيءَ: تَخَيَّلَهُ وتفرّسه، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «وَسَمَهُ وَسْماً وَسِمَةً: إذا أثّر فيه سِمَةً وكَيّ، والهاء عوض من الواو».

وقوله (**حظيرة**): من الحَظْرِ بالحاء المهملة والظاء المعجمة والراء، وهو الحَجْرُ وهو المَنْعُ، خلاف الإباحة. والمَحْظُور: المُحَرَّم، والحِظَار: الحَظِيْرَة تُعْمَل للإبل من شجر لتقيَها البرد والريح. قال أبوعبيدة: أراه سَمَّى أمواله حَظِيرَة لأنّه حَظَرَهَا عنده ومنعها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة، كذا في الصحاح. والجار والمجرور متعلّق بنعتهم المقدّر، وتقديره: أو لنعتهم بوسم حظيرة، أي: أثر كَيّ الأغيار، ومنع الغفلة والحجاب عن شهود الأسرار، وهو راجع إلى الصحاة من طريق اللَفّ والنَشر المرتّب؛ فإنّ الصحاة هم المشغولون بالملاحظة للمخلوقات، والانهماك بها من غير معرفة ولا شهود للحقّ تعالى؛ فإنّ القسمين النشاوى والصحاة سواء بحكم قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] لكن النشاوى سكارى بشهود الحقّ سبحانه، فلا يعرفون الخلق إلّا رسوماً وخيالات، والصُحاة سكارى بشهود الخلق فلا يعرفون الحقّ سبحانه إلّا رسماً أو تخيلاً في نفوسهم، وهؤلاء سكارى بالنسبة إلى هؤلاء، وهؤلاء سكارى بالنسبة إلى هؤلاء. والخمر الذي سكر به كلّ منهما غير الخمر الذي سكر به الآخرون، وكذلك هؤلاء صحاة بالنسبة إلى الآخرين. والآخرون صحاة بالنسبة إلى الأوّلين والذي صحوا له مختلف، ولهذا حكم فيهم بالتساوي. وفي نعتهم

يحتمل اللف والنشر المرتّب والمشوش على ما ذكرنا.

٤٨٦ - وَلَيْسُوا بِقَوْمَي مَنْ عَلَيْهِمْ تَعَاقَبَتْ   صِفَاتُ الْتِبَاسٍ أَوْ سِمَاتُ بَقِيَّةِ

(**وليسوا**): بضمير الجمع، وهو الواو، راجع إلى متأخّر لفظاً متقدّم رتبة، وهو مَنْ، بمعنى الذين، فإنّه مبتدأ مؤخّر، وجملة ليسوا من أسمائها، وهو الواو وخبرها. (**وهو بقومي**): في محل رفع خبر مقدم. وقوله (**بقومي**): قال في القاموس: القوم الجماعة من الرجال والنساء معاً، أو الرجال خاصّة، أو تدخل النساء على التبعيّة، ويؤنّث. والجمع أقوام». وقوله (**من عليهم تعاقبت**): من العَقْب، بالتسكين، وهو الجري، يجيء بعد الجري الاوّل، وهما يتعاقبان كالليل والنهار. وقوله (**صفات**) جمع صفة. و(**التباس**): النفس أي: الالتباس المضاف إلى النفس، وهو التباس الأمور الإلهيّة على نفوسهم، فإذا رأوا تجلّيات الحقّ تعالى التي هي آثار أسمائه الحسنى رأوها عوالم قائمة بأنفسها، وغفلوا عنه كونها مظاهر إلهيّة من حيث تجلّيه **تعالى** باسمه الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى، وهم المحجوبون الغافلون المنهمكون في الدنيا وأحوالها. وقوله (**أو سمات**): جمع سمة، وهي العلامة. وقوله (**بقيّة**): مضاف إليه، أي: بقيّة دعوى نفسانيّة، فإنّ من تعاقبت عليه علامات البقيّة النفسانيّة كان كمن التبست عليه الأمور الإلهيّة/ [٢٢٣/ أ] بصفات نفسه، وهو مع الأغيار بعيد عن شهود الأسرار، قال **تعالى** في الأوّل: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] أي: عين ما يلبسون بدعاوي نفوسهم. وقال تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [١١/ هود/ ٨٦] يعني: خير من بقيّة النفوس، فإنّها شرّ، وهؤلاء الطائفتان ليسوا بقومه، ولا بأهل عشيرته قدّس الله سرّه وإنْ كانوا أهله الأقربين.

٤٨٧ - وَمَنْ لَمْ يَرِثْ مِنِّي الْكَمَالَ فَنَاقِصٌ   عَلَى عَقِبَيْهِ نَاكِصٌ فِي الْعُقُوبَةِ

(**ومن لم يرث**): قال في القاموس: «وَرِثَ أباه. ومنه: بكسر الراء يَرِثُه - كيَعِدُهُ - وِرْثاً وَوِرَاثَة وإرْثاً وَرِثَةً بكسر الكُلّ، وأَوْرَثُه ووَرَّثَهُ: جعله من وَرَثَتِه». وقوله

(**مِنِّي**): متعلّق بيَرِث. وقوله (**الكمال**): مفعول يرث، أي: كمال العلم والعمل والحال والمقام؛ بحيث يتبعني ويسير على سيري. وقوله (**فناقص**): أي فهو ناقص علماً وعملاً، وليس من ورثتي، ولا هو مِنِّي، وهم أتباعه في أحواله الظاهرة فقط، ومن جالسه وانتسب إليه بقصد دنيويّ وعرض فاسد. وقوله (**على عقبيه ناكص**): قال في الصحاح: «النُكُوص: الإحجام عن الشيء، يقال: نَكَصَ على عقبيه يَنْكُصُ بالضمّ، ويَنْكِص بالكسر، أي رجع». وقوله (**في العقوبة**): وهي جزاء الأمر، قال في الصحاح: «أَعقبه بطاعته، أي: جازاه. والعُقبى: جزاء الأمر». وفي القاموس: «أعقبه: جازاه. وتعقّبه: أخذه بذنب كان منه». يعني: إنّ ذلك الناقص الذي لم يرث منه الكمال راجع عن الترقّي في مراتب الإيمان والإحسان مجازاة له، ومؤاخذة بذنوب تركه الاهتمام بمعالي الحال والمقام، ورضاه بسفاسف الأخلاق الرديّة، والطبائع البشريّة.

٤٨٨- وَمَا فِيَّ مَا يُفْضِي لِلَبْسٍ بَقِيَّةِ   وَلا فَيْءَ لِي يَقْضِي عَلَيَّ بِفَيْئَةِ

(**وما**): نافية. وقوله (**فيّ**): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (**ما**): أي أمر من أمور النفس، وقوله (**يفضي**): بالفاء والضّادّ المعجمة، أي: يوصل. وقوله (**للَبْسِ بقيّة**): أي بحيث يوصل ذلك إلى التباس بسبب بقيّة نفسانيّة لم تزل عنِّي. والمعنى: إنّ الموانع الموصلة إلى التباس الحقّ بالباطل زالت بالكليّة، ولم يبقَ لها بقيّة. وقوله (**ولا فيء**): بالهمزة، قال في المصباح: «الفيء لا يكون إلّا بعد الزوال، ولا يقال لما قبل الزوال فيء، وإنّما سمّي بعد الزوال فيئاً لأنّه ظلّ فاء عن جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفيء: الرجوع. وقوله (**لي**): أي لحقيقتي العلميّة المشتملة على جميعي في إشراق شمس الوجود الحقّ لفناء الرسم، واضمحلال الأثر والوسم. فإنّ نور شمس الوجود الحقّ إذا طلعت من مشرق الروح الإنسانيّ المنفوخ في القلب الجسمانيّ امتدّ ظلّ الصورة الإنسانيّة الباطنيّة والظاهريّة جهة مغرب الجسد، وعالم الطبيعة والنفس الحيوانيّة. فيبقى نظر العبد إلى صورته الممتدّ في

المغرب عن شاخص معلوميّته في حضرة العلم القديم، وتبقى شمس الوجود الحقّ من ورائه، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] ثمّ لا يزال العبد السالك يرقبها بمجاهدة الطاعة والعبادة حتّى يحصل الاستواء على صورته الممتدّة، فتنمحي الرسوم، ويضمحل المعلوم عندها، والمفهوم بتجلّي الحيّ القيوم. ثمّ لا تزال البصيرة القلبيّة تنفتح شيئاً فشيئاً حتّى يتحوّل وجهه إلى شهود صورته، وهي تمتدّ من شاخص معلومة العلم القديم الإلهيّ إلى جهة المشرق، فيرجع الظلّ فيسمّى الفيء، وهو ممتدّ عن الشاخص جهة المشرق حتّى تغرب الشمس في مغربها المعلوم، ويظهر مقام الاتّحاد الحقّ الحقيقيّ في فناء الرسوم، فلا يبقى ظلّ ولا فيء، وهو معنى قوله (**ولا فيء لي**). وقوله (**يقضي**): أي يحكم عليّ، بتشديد الياء/ [٢٢٣/ ب] التحتيّة. وقوله (**بفَيْئَةٍ**): أي برجعة إلى مقام السالكين بعد التحقّق بمقام الاتّحاد الحقيقيّ الذي هو مقام الواصلين.

٤٨٩- وَمَاذَا عَسَى يُلْقِي جَنَانٌ وَمَا بِهِ يَفُوهُ لِسانٌ بَيْنَ وَحْيٍ وَصِيْغَةِ

و(ما) استفهاميّة. و(ذا) اسم موصول. يعني: أي شيء الذي عسى، قال في المصباح: «عسى فعل ماض جامد غير متصرّف، وهو من أفعال المقاربة، وفيه ترجّي وطمع» . وقوله (**يُلْقي**): بضمّ الياء التحتيّة وسكون اللام، أي: يُلقيهِ، أَلْقيْتُ الشيءَ بالألف: طَرَحْتُهُ، وأَلْقَيْتُ إليه القولَ وبالقول: أَبْلَغْتُهُ. وأَلْقَيْتُهُ عليه بمعنى أَمْلَيْتُهُ وهو كالتعليم، كما في المصباح. وقوله (**جَنَانٌ**): بفتح الجيم فاعل يلقي، والجَنَان: القلب، سُمِّي بذلك، لأنّ الصدر يستره. والمعنى: أي شيء الذي يحصل الترجيّ والطمع فيه أن يلقيه قلب من قلوب الكاملين المحقِّقين من العلوم الإلهيّة، والحقائق العرفانيّة. وتنكير جَنان للتعظيم. يعني: من صاحب المقام المذكور في البيت قبله، وهو مقام الاتّحاد الحقيقيّ. وقوله (**وما**): أي الذي معطوف على الموصول الأوّل، وهو ذا. وقوله (**به**): متعلّق بـ (**يفوه**) يقال: فَاهَ الرجل بكذا يَفُوهُ: تَلَفَّظَ به كما في المصباح. وقوله (**لسان**): فاعل يفوه، أي: لسان

من ألسِنَة أهل العرفان وذوي التّحقيق والإيقان. وتنكيره للتعظيم أيضاً. وحذف مفعول يلقى لإفادة عمومه، وعدم حصره. وصرّح بضمير الموصول وهو العائد لقلّته بالنسبة إلى كثرة ما في الجنان. وقوله (بين وحيٍ): قلبيٍ إلهيّ ربّانيّ، وهو راجع إلى ما يلقيه الجَنَان. وقوله (وصيغة): معطوف على وحيّ، قال في المصباح: «صيغة القول كذا، أي: مثاله وصورته على التشبيه بالعمل والتقدير». ومعنى الصيغة هنا اللفظ المصوغ على أكمل ما يكون من البلاغة، وهو راجع إلى ما يفوه به اللسان، والمعنى: إنّ الذي يتضمّنه ويشتمل عليه صاحب مقام الاتّحاد الحقيقيّ أمر عظيم ليس من الأمور التي يمكن أنّ يلقيها قلب بوحي إلهيّ، أو يفوه بها لسان بصيغة بليغة من صيغ الكلام. كناية عن الكلام الربّانيّ القديم المنزّه عن المعاني الخياليّة، والحروف والأصوات اللفظيّة.

٤٩٠- تَعَانَقَتِ الأَطْرَافُ عِنْدِي وَانْطَوَى بِسَاطُ السِّوَى عَدْلاً بِحُكْمِ السَّوِيَّةِ

(**تعانقت**): أي تداخلت واجتمعت، وانضمّ بعضها إلى بعض، بحيث صارت شيئاً واحداً. وقوله (**الأطراف**): جمع طَرَف بالتحريك، قال في المصباح: «الطَرَف الناحية، والجمع: أطراف، مثل سبب وأسباب». وذلك كناية عن الجهات الأربعة الحقيّة المنسوبة إلى الحقّ تعالى، الصفات الأربعة: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، وما يتبعها من بقية الصفات والأسماء الأربعة: الحيّ، العالم، المريد، القادر. وما يتضمّنه من بقية الأسماء والجهات الأربعة الخلقيّة المنسوبة إلى الخلق: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة. وما يتبعها من تراكيب الطبيعة، والمزاج وما تركّب منه بالأخلاط الأربعة: الصفراء والسوداء، والدم، والبلغم. والعناصر الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب. والمواليد الأربعة: الجماد والنبات، والحيوان، والإنسان. والأرواح الأربعة: جبرائيل، وإسرافيل، وميكائيل، وعزرائيل. والجوامع الأربعة: العرش، والكرسيّ، والسموات، والأرض. والكواكب الأربعة:

الثوابت، والسيّارة، والشمس، والقمر. والأصول الاعتباريّة الأربعة: الروح الكلّ، والنفس الكليّة، والقلم الأعلى، واللوح المحفوظ. وهذا مجموع الكلّ: عبد، وربّ، وخلق، وحقّ ، ووجود، وعدم. والكلّ واحد حقٌّ في ذاته، كثير باعتباراته، لمّا تحقّق محمّد صلّى الله عليه وسلّم بهذا المقام الذاتيّ الاتّحاديّ الحقيقيّ أنزل الله تعالى عليه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [١٠٨/الكوثر/١] وهي الكثرة، ترجع / [٢٢٤/ أ] إلى الوحدة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إذا وضعتِ أُصبعيك في أُذنيك سمعت خرير الكوثر»[1] وهو تدافع حركة التكوين بالأمر الإلهيّ الذي كلمح بالبصر، وقد أُريته ولله الحمد في مبشرة من سنين متقدّمة، وشربت من ماء أحلى من العسل ، وأبرد من الثلج، لا يبقى معه شيء من العطش، وأنا الآن متحقّق به، ولله الفضل والمنّة. وقد ظهرت حقيقة المبشرة. وقوله (عندي): أي هذا أمر أنا مخصوص به وحدي وإنْ شاركني فيه غيري في الزمان الماضي، أوفي الحال وفي الاستقبال، فإنّه لا غير لي. والكلّ عيني بحكم الاتّحاد الحقيقيّ الذي هو مقتضي المقام المذكور. ويفسره قوله بعد ذلك **(وانطوى بساط السوى)**: أي الغير، والبساط على الاستعارة هو الأمر المنبسط في عقول العالم الإنساني وغيره من العوالم، فلا يكاد ينفكّ عنه عقل ألبتّة إلّا بعناية ربّانيّة، وسابقة أزليّة. وقوله **(عدلاً)**: منصوب على التمييز، أي: بوجه العدل منّي، في ذلك قوله **(بحكم السويّة)**: أي بمقتضى التسوية بين الخلق، كما قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] وهو المستوى الذي ظهر به صلّى الله عليه وسلّم ليلة المعراج فسمع فيه صرير الأقلام بتصاريف الأقدار، على ما ورد في الأخبار.

---

(١) ذكره السيوطيّ في الجامع الصغير، باب: إذا مع الجيم، ١٧٤٩، عن عائشة، بلفظ: إذا جعلتِ أُصبعيك في أذنيك سمعت خرير الكوثر، قال المناويّ: رواه الدارقطنيّ عن عائشة، وبيّن السخاويّ وغيره أنّ فيه وقفاً وانقطاعاً، ولكن يعضده ما رواه الدارقطنيّ عن عائشة: إنّ الله أعطاني نهراً في الجنّة لا يُدخل أحد أصبعيه في أذنيه إلّا سمع خريره.....

٢٩١- وَعَادَ وُجُوْدِي فِي فَنَا ثَنَوِيَّةِ الـ ـوُجُوْدِ شُهُوْدَاً فِي بِقَا أحَدِيَّةِ

(**وعاد**): رجع، يقال: عاد إلى كذا، وعاد له أيضاً: صار إليه، وعاد كذا. وقوله (**وجودي**): أي الذي كنت أتوهّم في حالة الغفلة والجهل أنّه وجودي. وقوله (**في فنا**): بالقصر لضرورة الوزن. و(**الفناء**): الزوال بالكليّة. وقوله (**ثَنَوِيَّةِ**): يقال ثُنَّيْتُ الشيء بالتثقيل: جعلته اثنين، كذا في المصباح. وقوله (**الوجود**): أي اعتقاد أنّ الوجود اثنان: **وجود حادث**، وهو وجود المخلوقات الظاهر للحسّ والعقل. **ووجود قديم**، وهو المُتخيَّل في العقول على حسب إدراكاتها، ولا يقدر العقل أنْ ينفكّ عن التخيّل سواء ضبط معلوماً محقّقاً، أو أسلم لغيب مطلق، وهو التصوّر العقليّ، ولا فرق بين التصوّر والتصوير.

فإنّ معناه حصول الصورة في العقل، وما لا صورة له لا وجود له عند العقل. قال القائل:

إنّ الإلـه الـذي يبـدو لكـم وبكـم ... والله والله مـا هـذا هـو الله

وإنّـما هـو معنـى في العقـول بـدا ... إذا تحقّـق معنـاه هـو الله

وقد اغتفر للقاصرين الجاهلين من عوام المؤمنين، هذا المعنى في إيمانهم بالله تعالى. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: الحقّ تعالى «إنّما حجر علينا أنْ نتخذ له صورة في الخارج ولم يحجر علينا أنْ نتخذ له صورة في نفوسنا، وهذا من الضرورات العقليّة. فإنّ الحكم فرع التصوّر، وهو مقتضى الثنويّة في الوجود، ولنا كلام على هذا في غير هذا المحلّ من كتبنا». وقوله (**شهوداً**) حال من وجودي، أو خبر عاد. و(**وجودي**): اسمها إنْ كانت بمعنى صار. والشهود المعاينة، أي: صار وجودي الذي كنت أعتقد أنّه وجود ثانٍ مع وجود الحقّ تعالى معاينة ومشاهدة لوجود الحقّ تعالى. وهذا لا يكون إلّا بعد فناء الرسوم الكونيّة. والصور الحسيّة والمعنويّة، والاضمحلال بالكليّة. وقوله (**في بقا**): بالقصر لضرورة الوزن. والبقاء

ضدّ الفناء. وقوله (**أحديّة**): أي وحدة الوجود الحقّ؛ فإنّ الأحديّة أخص من الواحديّة. لأنّ الواحديّة عدم الإثنينيّة، والأحديّة عدم الإثنيّنيّة، وعدم إمكانها بوجه من الوجود؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١١٢/الإخلاص/٣] ولم يقل قل هو الله واحد؛ لأنّ الله عَلَمٌ على ذات واجب الوجود الجامع لجميع/[٢٢٤/ب] الأسماء، والعلم لا يكون مسمّاه إلاّ واحداً، فلو قبل الله واحداً لم يفد شيئاً. وأمّا الأحد فهو الواحد الذي لا يمكن أنْ يكون له ثانٍ؛ فإنّ الشمس في الدنيا واحد ولكن يمكن أنْ يكون لها ثانٍ، وكذا كلّ واحد.

٤٩٢- فَمَا فَوْقَ طَوْرِ العَقْلِ أَوَّلُ فَيْضَةٍ كَـمَا تَحْـتَ طُـوْرِ النَّقْـلِ آخِـرُ قَبْـضَةِ

(**فما**): الفاء للتفريع على ما قبله. وما موصولة بمعنى الذي، أي: الحال الذي. وقوله (**فوق طور العقل**): بفتح الطاء المهملة. قال في المصباح: «الطَّوْر، بالفتح: الحال والهيئة. والجمع: أطوار، مثل ثوب وأثواب». يعني أنّ المعاني والعلوم والإدراكات التي فوق مقدار فهم العقل، وفوق حاله وهيئته، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [٧١/نوح/١٤] واعلم أنّ العقل تسمية بالمصدر من قولك عَقَلَ يَعْقِل عَقْلاً، أي: رَبَطَ، وهو قوّة روحانيّة تعقل، أي: تربط ما يظهر لها من صور المعاني والمحسوسات، فتطبعه بقوّة الخيال في لوح القوّة الحافظة. وللعقل أطوار باعتبار قابليَّته للاستفادة من كلّ ما يعرض عليه بطريق الفيض الإلهيّ، والقوّة المفكِّرة لا تخرجه من طَور إلى طَوْر؛ وإنّما تجول به في طوره الذي هو فيه، فيستخرج له معاني مختلفة بوساطة الحواس الظاهرة أو الباطنة، فإذا جاء الفتح الربّاني، والفيض الرحمانيّ تنبّه لطور آخر فوق طَوره الأوّل، فَسَرَحَتْ بصيرته في معانٍ أُخر، فكشف عنها وشهدها عياناً و(هي مما)[1] يستحيل عنده في طوره الأوّل، وهكذا إلى ما لا نهاية له، ففوق طَور العقل أطوار لا نهاية لها دنيا

---

(١) بياض كلمة أو اثنتين أو أكثر نقص من المخطوط.

وآخرة. ولا ينقل العبد فيها من طور إلى طور إلاّ ربّه الحقّ تعالى بتهيئته لذلك بحسن المعاملة والتقوى، وسلوك مسالك الصالحين، قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٠] وهي النفوس التي تزكّت وطابت بالطهارة من الأخلاق الذميمة، وتحلّت بالأخلاق الحسنة: والعمل الصالح أي الموافق لأحكام الشريعة المحمّديّة: ﴿يَرۡفَعُهُۥ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٠] أي: يرفع الكلم الطيِّب من أسفل سافلين وهو مقتضيات بالطبيعة إلى أعلى علّيين، وهو مقتضيات الروح الآمري. وقوله (**أوّل فيضةٍ**): من فاض الماء يَفيض فَيضاً، أي: كثر حتّى سال على ضفّة الوادي. وأرض ذات فُيُوض إذا كانت فيها مياه تفيض، ونهر فَيَّاض أي: كثير الماء، كذا في الصحاح. يعني: إنّ الفَيضة الأولى، وابتداء الفتح الربّاني فوق طور العقل، الطور الأوّل الذي فيه العقلاء، فلا يدرك العقلاء من حيث أفكارهم ما يدركه العارفون في الطور الذي فوق طور العقل. ومن هنا يقع الإنكار من عقلاء العلماء على أحوال العارفين وأقوالهم. وقوله (**كما تحت طور النقل**): الطُّور، بضمّ الطاء المهملة: الجَبَل، أي: جبل النقل. و(**النقل**): ما ينقل عن الله ورسوله من شرائع الأحكام في الملّة المحمّديّة؛ فإنّ ذلك جبل عالٍ مرتفع على كلّ مكلّف به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧١] الآية. فالمكلّفون كلّهم تحت ذلك الجبل. وقوله (**آخر قبضة**): بضمّ القاف وفتحها. قال في المصباح[1]: «القُبضَةُ بالضمّ: ما قَبَضْتَ عليه من شيء. يقال: أعطاه قُبْضَةً من سُويقٍ أو تمرٍ، أي: كَفاً منه، وربّما جاء بالفتح. ويقال: صار الشيء في قَبْضِكَ وقَبْضَتِك، أي: في ملكك». والمعنى: إنّ الحال الذي تحت أحكام الشريعة المحمّديّة آخر قُبضة قبضها الحقّ تعالى على عباده المكلّفين. فمن دخل تحتها سَعِدَ ونجا، ومن لم يدخل فهو الشقي. وقيل: هذه القبضة قبضات، منها: قبضة العلم الإلهيّ القديم، وقبضة الإرادة والمشيئة، وقبضة التكوين والإيجاد، وآخر

(١) القول هنا من الصحاح، وليس من المصباح.

القبضات: قبضة الحكم والتكليف بالأمر والنهي؛ فقد ذكر أوّل قبضة يقبضها العلم الإلهيّ؛ وإنّما تكون من فوق طور العقل، وهي مقام الولاية، وهي بداية الأنبياء عليهم السلام، فإنّ طور النبوّة فوق هذا الطور الذي فوق طور العقل؛ فقد اشترك في ذلك جميع النبيّين عليهم السلام، كما اشتركوا أيضاً مع أممهم/ [٢٢٥/ أ] في آخر قبضة من قبضات الحقّ تعالى، وهي قبضة التكليف، فتساوى الكلّ في البسط بالفيض، والقبض بالتكليف، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ - وهي الأرواح والعقول والنفوس - ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٧] أي: الأجسام والطبائع، وقيد يوم القيامة لظهور ذلك وتبيّنه كمال البيان للكلّ، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [٧٥/ القيامة/ ١٠-١٢].

٤٩٣ - لِـذَلِكَ عَـنْ تَفْـضِيْلِه وَهْـوَ أَهْلُـه   نَهَانَـا عَـلَى ذِي النُّـوْنِ خَـيْرُ البَرِيَّـةِ

(لذلك): أي لأجل ما سبق في البيت قبله من التساوي في القبض وفي البسط، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] عن تفضيله متعلّق بـ **(نهانا)**. وقوله **(وهو أهله)**: جملة حالية من ضمير تفضيله وقوله **(على ذي النون)**: أي صاحب الحوت، وهو يونس النبيّ عليه السلام. وقوله **(خير البريّة)**: نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم **(عن تفضيله)**: على يونس نبيّ الله عليه السلام، كما ورد في الحديث قال صلّى الله عليه وسلّم: «لا تفضلوني على يونس بن متى»[1]. والحال أنّه صلّى الله عليه وسلّم أهل لتفضيله عليه وعلى غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فإنّ القبض والبسط فعلان إلهيّان يشترك فيها جميع الخلق من حيث يعلمون، ومن حيث لا يعلمون. ولا اعتبار بمن لم يعلم. والعلماء بالله من هذه الحيثيّة مشتركون؛ فلا تفضيل بينهم في ذلك لوجود التساوي. والفضائل معتبرة من حيث زيادة ذلك ونقصانه بالميزان الإلهيّ الذي لا يُعرف إلّا بالتوقيف منه تعالى

(١) انظر تخريجه ص٩٧٩.

بالوحي، وتبليغه من الرسل، قال صلّى الله عليه وسلّم: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»[1] وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [٣٥/ النجم/ ٣٢] أي: لا تعتقدوا أنّ أنفسكم أزكى من غيرها، فلا يردّ قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٩] أي: سعى في تزكيتها، وتسبب ذلك بالأعمال الصالحة.

٤٩٤- أَشَرْتُ بِمَا تُعْطِي العِبارَةُ وَالذِي تَغَطَّى فَقَدْ أَوْضَحْتُهُ بِلَطِيفَةِ

(**أشرت**): أي أومأت ولم أصرح. وقوله (**بما**): أي بالمعنى الذي. وقوله (**تعطي العبارة**): من قولك عَبَّرْتُ عن فلان: تَكَلَّمْتُ عنه. واللسانُ يُعَبِّرُ عمّا في الضمير: يُبَيِّنُ. كذا في المصباح. والمعنى: أومأت إلى المعاني الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة بمقدار ما يمكن أنْ تفيده الحروف المنطوق بها والكلمات. ثمّ قال (**والذي تَغَطَّى**) بالغين المعجمة، أي: استتر، فلم ينكشف بالكلام والنطق؛ لأنّه من ذوقي، من قبيل الوجدانيّات. وقوله (**فقد أوضحته**): أي أبنته وأظهرته. وقوله (**بلطيفة**): أي بإشارة لطيفة في أثناء الكلام. وأصل اللطافة: صغر الجسم، قال في المصباح: «لَطُفَ الشيءُ، فهو لَطِيف، من باب: قَرُبَ: صَغُرَ جسمُهُ، وهو ضدّ الضَخامَة. والاسم: اللَطافة، بالفتح»[2]. والمعنى بإشارة لا يدركها إلّا الراسخون في العلم، الكاشفون عن حقائق الأشياء، وأسرارها من أهل الذوق والوجدان، دون غيرهم من أهل العقول والأفكار المتعلّقين بالدليل والبرهان، ولنا في هذا المعنى قولنا:

كلام أهل الله في دين الهدى نفع العباد
حقائق لها إلى شريعة الحقّ استناد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند: أبي سعيد الخدريّ، ١١٢٧٨، عن أبي سعيد الخدري، بلفظ: «قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أوّل شافع يوم القيامة، ولا فخر».

(٢) القول هنا من الصحاح وليس من المصباح.

علـــم إشـــارة فـــلا لفــظ ولا معنـــى يـــراد
سرّ خفـــيّ خـــارج مـــن الفـــؤاد للفـــؤاد
وظـــاهر لـــذي اعتقـــا د بـــاطن عـــن ذي انتقـــاد
فـــآمنوا بـــه وســـلّمو ـــه يـــا أهـــل العنـــاد
فهـــو المجـــرّد اللطيـــ ـــف عـــن كثـــائف المـــواد

٤٩٥ - وَلَيْسَ أَلَسْتُ الْأَمْسِ غَيْراً لِمَنْ غَدَا وَجُنْحِي غَداً صُبْحِي وَيَوْمِي لَيْلَتِي

(وليس ألست): أي قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق على بني آدم كما قال تعالى:/ [٢٢٥/ ب]: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] فإنّه ورد في الحديث أنّه لمّا خلق الله آدم أخرج من ظهره ذريّته كالذرّ، وأحياهم، وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك[1]. وقوله (الأمسِ): بالإضافة. يعني: ﴿أَلَسْتُ﴾ التي هي قول الله تعالى فيما مضى من الزمان، وهو زمان وجود آدم عليه السلام، قال في المصباح: «أَمْسِ: عَلَم على اليوم الذي قبل يومك، وتُستعمل فيما قبله مجازاً، وهو مبني على الكسر». وقوله (غيراً): أي مغايراً. وقوله (لمن): أي لقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٦] قال النسفي في المدارك: أي يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه، ثم يجيب نفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٦] أي: الذي قهر الخلق بالموت. وقوله (غداً): هو اليوم الذي يأتي بعد يومك على أَثِره، ثمّ توسّعوا فيه حتّى أُطلق على البعيد المُتَرَقَّب، كذا في المصباح. وقوله (لِمَنْ): مضاف إلى غد الآن.

(١) ذكره البيضاويّ في تفسيره، الباب: ١٦٥، ١ / ٢٣٥، وقال: الحديث رواه ابن عمر رضي الله عنه، وقد حقّقت الكلام في شرحي لكتاب «المصابيح». والمقصود من إيراد هذا الكلام ها هنا: إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم بالميثاق المخصوص، والاحتجاج عليهم بالحجج السمعيّة والعقليّة.

هذا القول يكون في يوم القيامة. والمعنى: إنّ قول الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق على بني آدم في حياة أبيهم آدم عليه السلام ليس غير قوله تعالى يوم القيامة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٦] بل هذا القول هو عين ذلك القول؛ لأنّ كلامه تعالى ليس من جنس الحروف والأصوات؛ وإنّما هو تعالى إذا تكلّم كان عين كلامه بطريق التجلّي، فيصل إلى السامع ما يريده تعالى من المعاني. وهو تعالى منزّه عن المكان والزمان والمواد والصور والحروف والأصوات وغير ذلك. وإنّ وصل كلامه إلينا، ونحن في مكان وفي زمان، ولنا مواد وصور، كلّ هذا من جهتنا، لا من جهته، تعالى، وتبارك، وتقدّس.

وقوله (**وجُنحيّ**): قال في المصباح: «جُنْحُ الليلُ، بضمّ الجيم وكسرها: ظَلَامُهُ واخْتِلَاطُهُ. وجَنَحَ الليلُ يَجْنَحُ، بفتحتين: أقبل». وقوله (**غدا**): أي صار. وقوله (**صبحي**) الصبح: الفجر، والصباح مثلُه، وهو أوّل النهار؛ وإنّما صار ظلام ليله ضياء نهاره لاتّحادهما عنده بخروجه عن القيود الكونيّة، واشتغال بصيرته بشهود الوجود الحقّ في حضرته الأزليّة. وقوله (**ويومي**): اليوم من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، تقول فعلته أمسِ، لأنّه فعله في النهار الماضي. واستحسن بعضهم أن يقول أمسِ الأقرب، أو الأحدث، كذا في المصباح. وقوله (**ليلتي**): الليلة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. وقيل الليل: مثل الليلة، كما يقال: العَشِيّ والعَشِيَّة، كما في المصباح. وإنّما كان يومه ليلته، لتجرّده عن القيود الزمانيّة والمكانيّة بالكشف عن فنائها واضمحلالها في الوجود الحقّ.

٤٩٦ – وَسِرُّ بَـلَى لله مِـرْآةُ كَـشْفِهَا ... وَإِثْبَاتُ مَعْنَى الجَمْعِ نَفْيُ المَعِيَّةِ

(**وسرّ**): مبتدأ، مضاف إلى بلى، أي: قول ذريّة آدم عليه السلام: بلى في جواب قول الله تعالى لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] **والسرّ**: ما يُكتم، وهو خلاف الإعلان. والجمع: أسرار، كذا في المصباح. يعني: المعنى الخفيّ في قولهم: ﴿بَلَىٰ﴾ حين أجابوه تعالى عن سؤاله. وقوله (**لله**): أي التي قالوها له تعالى. وقوله (**مِرآة**):

خبر المبتدأ. والمرآة بمدّ الهمزة، قال في الصحاح: «المِرآة بكسر الميم التي يُنْظَرُ فيها، وثلاث: مَرَائِي. والكثير: مَرَايَاً، كذا في الصحاح. وقوله (**كشفها**): بالجرّ مضاف إليه، والضمير لـ(بلى). يعني: إنّ سرّ قولهم: بلى هو المرآة التي تنكشف فيها بلى؛ فإنّ سرّها ما انكتم منها، وهو وجودها الذي هي موجودة به، وهو وجود عين الحقّ تعالى، وكذلك وجود كلّ شيء سرّ ذلك الشيء، وكلّ شيء عدم ظاهر من عِلم الله تعالى بإرادته ومشيئته وقدرته، وبقوله الحقّ في مرآة وجوده تعالى، فقولهم بلى هو عين الحقّ، ظهر في مرآة وجوده، ظاهر في وجوده، ولا وجود غيره تعالى. وهو عين قوله سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وهو الواحد الأحد عزّ وجلّ في كلامه، كما أنّه الواحد الأحد في ذاته، ويستحيل عليه التركيب والتجزيء والتبعيض والانقسام في ذاته/ [٢٢٦/ أ] وفي كلّ صفة من صفاته، وكلّ اسم من أسمائه، وكلّ قول من أقواله، وكل فعل من أفعاله، وكلّ حكم من أحكامه، وإنْ تركبت المخلوقات، وتبعّضت، وتجزأت، وانقسمت إلى أقسام كثيرة، واختلفت أجناسها، وأنواعها، وأشخاصها، فإنّها كلّها آثار أسمائه وصفاته؛ فهو الواحد من جميع الوجوه والاعتبارات، والعوالم هي الكثيرة بالوجوه والاعتبارات، وكلّها عدم في وجوده، وفناء ومحقٌ في شهوده، لا حلول له في شيء منها، ولا حلول الشيء منها فيه تبارك وتقدّس. وقوله (**وإثبات**) مبتدأ. وقوله (**معنى الجمع**): مضاف إليه، وهو ضدّ الفرق بأنْ يقام العبد في مقام شهود الوجود الحقّ القديم ظاهراً في كلّ شيء حادث عديم. وقوله (**نفي**) :خبر المبتدأ. وقوله (**المعيّة**): وهي كونه تعالى مع شيء، أو كون شيء معه؛ لأنّ المعيّة تقتضي الثنويّة، والثنويّة إثبات السوى. والسوى: كما قاله الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدّس الله سرّه في فتوحاته المكيّة في أواخر أسئلة الترمذي: «فإن قلت: ما السوى؟. قلنا: «بطون الحقّ في الخلق، وبطون الخلق في الحقّ». وهذا ـ أي بطون الخلق في الحقّ ـ لا يكون إلّا في مَنْ عرف أنّه مظهر للحقّ، فيكون عند ذلك باطناً للحقّ».انتهى

كلامه قدّس الله سرّه. وكون الحقّ باطناً في الخلق، أو الخلق باطناً في الحقّ لا يقتضي حلول أحدهما في الآخر كما تتوهمه عقول القاصرين الذين يجعلون للمخلوقات وجوداً مستفاداً من الله تعالى، ويجعلون المخلوقات قائمة بذلك الوجود المستفاد، لا قائمة بوجود الله تعالى، فإنّ وجود الله تعالى يستحيل عليه أن يتولّد منه وجود آخر للمخلوقات، ويستحيل أيضاً أن يوجد الله تعالى وجوداً آخر من العدم، لاستحالة أن يخلق مثله تعالى، وأيضاً فإنّ العدم ضدّ الوجود، والضدّ لا يكون فيه ضدّه، ولا ينقلب إلى ضدّه، وإلّا لأمكن انقلاب وجود الله تعالى عدماً، وهو محال، فتعين أن يكون الوجود واحداً هو لله تعالى حقيقة، وهو للمخلوقات مجازاً بطريق الإضافة الواردة في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] وقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] إلى غير ذلك من صريح النصوص في الكتاب والسنّة؛ فإنّ القيّوم هو الذي قامت به السموات والأرض، وكلّ شيء فلا يظهر الشيء موجود إلّا بوجوده، والأشياء كلّها عدم صرف مقدّر في عظمته تعالى، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] ومعلوم أنّ المعدومات الفانيّة في أنفسها إذا كان الحقّ تعالى في باطنها، أو كانت هي في باطنة، كان ذلك بحسب ما يظهر لها، لا في نفس الأمر موجود في موجود حتّى يلزم حلول أحدهما في الآخر، وأمّا المعيّة الواردة في قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [٢٠/ طه/ ٤٦] وقوله تعالى في شأن محمّد صلّى الله عليه وسلّم حكاية عنه وعن صاحبه الصِّدِّيق الأكبر رضي الله عنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [٩/ التوبة/ ٤٠] وقوله تعالى خطاباً لهذه الأمّة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] فهو القدر المشترك بين الأنبياء المرسلين عليهم السلام وأممهم، كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ

إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٤] وقوله تعالى لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ ـ أي من الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ الأمّة ـ ﴿فَٱنصَبْ﴾ ـ أي: فاتعب في عبادة الله تعالى شكراً على جزيل إنعامه عليك ـ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [٩٤/ الانشراح/ ٧-٨] لا إلى غيره، ولو إلى نفسك فإنّ تقديم ما رتبته التأخير يفيد الحصر، وإذا رغب إلى ربّه أعرض عن نفسه وعن جميع الأغيار، فالمعيّة مقام الدعوة إلى الله على بصيرة، وأعلى منها مقام الاتّحاد الحقيقي، وهو مقام العبودة، قال الشيخ الأكبر قدّس الله /[٢٢٦/ب] سرّه: «فإنْ قلت ما العبودة؟. قلنا: نسبة العبد إلى الله لا إلى نفسه؛ فإنْ انتسب إلى نفسه فتلك العبوديّة، لا العبودة. فالعبودة أتمّ حتى لا يحكم عليه مقام السوى». انتهى كلامه قدس سرّه. ومقام السوى هو المعيّة المذكورة، فإذا ثبت مقام الجمع ـ وهو القرآن العظيم ـ انتفى مقام المعيّة، وهو مقام الفرق، وهو الفرقان الحكيم، وهو بكلّ شيء عليم.

٤٩٧ - فَلَا ظُلَمٌ تَغْشَى وَلَا ظُلْمَ يُخْتَشَى ... وَنعْمَـةُ نُـوْرِي أَطْفَـأَتْ نَـارَ نَقْمَتِـي

(لا ظلمٌ): الفاء للتفريع على ما قبله. (والظُلَمُ): بضمّ الظاء المعجمة وفتح اللام، جمع ظُلْمَة، قال في المصباح: «الظُّلْمَة: خلاف النور، وجمعها ظُلَم وظُلُمات، مثل غرف وغرفات» كنّى بالظُلَم عن جميع المخلوقات الفانيّة في ظهور وجود الحقّ تعالى منها منزّهاً عنها. وقوله (تَغْشَى): أي تغطّي، من الغشاء، وهو الغطاء وزناً ومعنى. وهو اسم من غَشَّيْتُ الشيءَ، بالتثقيل، إذا غَطَّيْتُهُ، كذا في المصباح. وقوله (ولا ظُلْم): بضمّ الظاء المعجمة وسكون اللام، اسم من ظَلَمَهُ ظُلْماً من باب ضرب. وأصل الظُّلْم: وضعُ الشيء في غير موضعه، كما في المصباح. يعني: إنّ الله تعالى لا يظلم شيئاً، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [١٠/ يونس/ ٤٤] لاتّصافهم في الأزل حال عدمهم بما كشف بعلمه عنهم، وهم موصوفون به من الخير والشر، وإنّما الله تعالى كما قال: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [٢٠/ طه/ ٥٠] أي: دلّ بنور وجوده أنّه أعطى كلّ شيء

خلقه. وقوله: (يُخْتَشَى): بالبناء للمفعول، أي: يُخاف منه، قال في المصباح: خَشِيَ خَشْيَةً: خاف، فهو خَشْيَان، والمرأة خَشْيَا مثل غضبان وغضبى». فهو تعالى مأمون من الظلم؛ فإنّ ملوك الدنيا يُخاف منهم إذا ظلموا، ويؤمن منهم إذا عدلوا، وملك يوم الدين يؤمن من ظلمه؛ وإنّما يُخاف منه إذا عدل، قال القائل:

أوّاه وا ويــــلاه مـــــن موقــــف أخـــاف أن يعـــدل بــــه الحـــاكم

يـــا ربّ غفرانـــك عـــن مجـــرم أذنـــب إلّا أنّـــه نـــادم

وقوله (ونعمة نوري): يعني النعمة التي أنعم بها الحقّ تعالى على أعيان الممكنات، وهي تنويره لها الذي هو: ظهور نور وجوده تعالى على ظلمة عدمها الأصليّ من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] فنوري بمعنى تنويري. ولا شكّ أنّه نعمة من الله. وقوله (اطفأتْ): أي تلك النعمة. يقال: «طَفِئَتِ النّار تُطْفَأُ، بالهمز، من باب تَعِب، طُفُوأً على فُعُول: خَمَدَت. وأَطْفَأْتُها، كما في المصباح. وقوله (نار نقمتي):أي نار النقمة التي ينتقم بها ممن شاء من عباده على ذنوبهم ومعاصيهم. والنقمة: اسم من الانتقام، قال في المصباح: «نَقَمْتُ منه من، باب ضرب. وانْتَقَمْتُ: عَاقَبْت. والاسم نَقِمَة، مثل كَلِمَة، ويُخَفَّف مثلها. ويُجْمع على نِقَم، مثل سِدْرَة وسِدَر».

٤٩٨- وَلَا وَقْتَ إِلَّا حَيْثُ لَا وَقْتَ حَاسِبٌ وُجُودَ وُجُودِي مِنْ حِسَابِ الْأَهِلَّةِ

(ولا وقت): أي لا زمان. وقوله (إلّا): بالتشديد، هي أداة استثناء. وقوله (حيث لا وقت): أي موجود، وهذا استثناء، من قوله (ولا وقت): يعني لا زمان لحضرة الوجود الحقّ؛ لأن الزمان قيد إمكاني، لأنّه مدّة الحركة الفلكيّة، أو هو متجدد، قرن به متجدّد آخر، وذلك مستحيل على الوجود الحقّ المطلق، المنزّه عن القيود الوجوديّة والاعتباريّة، فلا يمضي عليه تعالى زمان كما لا يتقيّد بمكان إلّا حضرة الأزل المعبر عنها بقوله (حيث لا وقت) فإنّها وقته تعالى إنْ سُمِّيَت وقتاً؛

لأنّها حال دائماً من غير ماض، ولا مستقبل، ولا بداية، ولا نهاية، والأزل هو الأبد. وذلك كناية عن ارتفاع الزمان عن وجوده تعالى الحقّ الحقيقيّ. وقوله (**حاسب**): خبر لا، وهو اسم فاعل. من حَسَبْتُ المال حَسْباً، من باب قتل: أحْصَيْتُه عَدداً، كما في المصباح. وقوله (**وجود وجودي**): أي الوجود الظاهر على الممكنات الذي هو وجودي، أي: وجود الحقّ تعالى، وإنّما عبّر عنه بوجود وجوده لتقييده بالممكنات عند الممكنات، فهو وجود الممكنات / [٢٢٧/ أ] وهو وجوده تعالى بلا ممكنات. وقوله (**من حساب الأهلّة**): متعلّق بحاسب. والأهلّة جمع هلال. قال في المصباح: «وأما الهلال فالأكثر أنّه القمر في حالة مخصوصة»، قال الأزهري: «ويُسمّى القمر لِلَيْلَتِيْنِ من أوّل الشهر هلالاً. وفي ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضاً هلالاً، وما بين ذلك يسمّى قمراً. وقال الفارابي، وتبعه في الصحاح: الهلال لِثلاث ليالٍ من أوّل الشهر. ثمّ هو قمرٌ بعد ذلك. وقيل: الهلال هو الشهر بعينه». والجمع: أهلّة، مثل سلاح وأسلحة. والمعنى: ليس للحقّ تعالى وقت هو فيه حاسب وجود وجوده الذي هو وجود الممكنات من جملة حساب الأهلّة والشهور بالأيام والليالي إلّا وقت الأزل الذي هو حضرته تعالى كما ذكرنا، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٩]؛ فالأهلّة محسوبة من حساب المواقيت التي للناس وللحجّ، فليست هي لوجود الله تعالى، وإنّما هي لوجود وجوده الذي هو وجود الممكنات القائمة به تعالى؛ فالزمان لنا في مقابلة الأزل له تعالى.

٤٩٩ - وَمَسْجُونُ حَصْرِ العَصْرِ لَمْ يَرَ مَا وَرَا سَجِيَّتِهِ فِي الجَنَّةِ الأَبَدِيَّةِ[1]

(**ومسجون**): مبتدأ. وهو اسم مفعول من سَجَنْتُه سَجْناً، من باب قتل: حَبَسْتُهُ. والسِجْنُ: الحبْسُ، والجمع: سُجُون، مثل: حِمْل وحُمُول، كذا في المصباح. وقوله

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ سماعاً مع المقابلة على مؤلِّفه رضي الله عنه، وكتبه إبراهيم الدكدكجي».

(حَصْرِ) مضاف إليه. وقوله. قال في المصباح: «حَصَرَه العَدُوّ حَصْرَاً، من باب قتل: أحاطوا به ومنعوه من المضيّ لأمره». وقوله (العَصْرِ): مضاف إليه أيضاً، والعصر: الدهر. يعني: المحبوس في حبس الدهر الذي يحيط به الزمان، وتغلب على عقله قيود الأوقات والأيام والليالي، لا يقدر أن يعقل شيئاً خارجا عن الأزمنة والساعات. وقوله (لم يرَ): أي لم يدرك. وقوله (ما ورا): أي الأمر العظيم الذي هو وراء، أي: خلف. قال في المصباح: «كلمة وراء مؤنّثة، تكون خلفاً وتكون قدّامَ، وأكثر ما يكون ذلك في المواقيت من الأيام والليالي، لأنّ الوقت يأتي بعد مُضِيِّ الإنسان فيكون وراءه، وإنْ أدركه الإنسان كان قدّامه، ويقال: وراءك برد شديد، وقدّامك برد شديد؛ لأنّه شيء يأتي، فهو من وراء الإنسان على تقدير لحوقه بالإنسان، وهو بين يديه على تقدير لحوق الإنسان به، فلذلك جاز الوجهان، واستعمالُها في الأماكن سائغ على هذا التأويل. وفي التنزيل: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [١٨/ الكهف/ ٧٩] أي: أمامهم». وقوله (سجيّته): بالسين المهملة، أي: طبيعته وغريزته، قال في المصباح: «السَجِيَّةُ: الغريزة، والجمع: سَجَايا، مثل: عَطِيَّة وعَطَايا». وقوله (في الجنّة الأبديّة): وهي التي وعد الله تعالى بها عباده في الآخرة فلا يعرف منها الغافل المحجوب إلّا ما تقتضي طبيعته، وعلى وفق لذّته وشهوته، ولا يعرف الجنّة الأزليّة، والحضرة الوجوديّة الحقيقيّة التي قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٤٦] فجنّة الأزل ذات العلوم والمعارف، وجنّة الأبد ذات الحلل والمطارف، وإليه أشار القاضي البيضاوي بقوله: روحانيّة وجسمانيّة «ثمّ قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٤٧] وخطاب المثنى للعقل والحس؛ لأنّهما حاضران مع كلّ قارئ وسامع. ثمّ وصف تعالى الجنتين بقوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٤٨] أي: أغصان، جمع فَنَن، أو ألوان جمع فَنّ لتنوّع ما فيها من أنواع العلوم التي تدرك بالعقل، وأنواع اللذائذ والشهوات التي تدرك بالحسّ. ثمّ قال تعالى للعقل والحسّ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٤٩] ثمّ قال:

﴿فِيهِمَا﴾ أي: في الجنتين المذكورتين ﴿عَيْنَانِ﴾ تثنية عين، وهي ينبوع الماء ﴿تَجْرِيَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٥٠] أي: يسيل ماء منهما؛ فالجنّة الأزليّة عينها ظاهرة لأهلها، وهي الحضرة الوجوديّة الحقيقيّة التي تجري بمياه علوم التوحيد والعرفان، والجنّة الأبديّة عينها باطنة/

[٢٢٧/ ب] عند أهلها مستورة عليهم بهم، وأصلهما عين واحدة واحدة، ولكن المنبع مختلف، وهي تجري بمياه اللذائذ والشهوات، كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٧١] فخلودهم باعتبار أنّها الجنّة الأبديّة، وقوله تعالى بعده ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٧٣] إشارة منه تعالى إلى الجنّة الأزليّة التي ورثوها بالأعمال الصالحة، والتقوى من الأنبياء عليهم السلام، وهي العلم الإلهيّ الذي قال صلّى الله عليه وسلّم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث درهماً ودلا ديناراً، ولكن نورِّث العلم»[1] الحديث. وحديث الجلال السيوطيّ في الجامع الصغير: «أكرموا العلماء؛ فإنّهم ورثة الأنبياء، فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله»[2] حديثه أيضاً: «العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء، وورثتي وورثة الأنبياء»[3]. والإشارة بالعلماء إلى العلماء بالله، وشرائعه، وأحكامه، العاملين بعلومهم. ثمّ قال تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٧٢] أي: وراثتكم بسبب ذلك. ويجمع ذلك كله العلم بالله وإنْ كان في الأميّ الذي لا يقرأ ولا يكتب، كما يشير إليه حديث السيوطيّ أيضاً في جامعه الصغير، قال صلّى الله عليه وسلّم: «أفضل الأعمال العلم بالله تعالى»[4]. وقال القاضي البيضاوي: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ

---

(١) انظر تخريجه ص٨٢٩.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد، ٤/ ٤٣٧ والديلمي في الفردوس، ١/ ١/ ٣٢٠. قال العجلوني في الكشف ١ / ١٦٩: رواه الخطيب والديلمي بسند ضعيف.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع، باب: المحلّى بال، ١٤٥٠٨.

(٤) قطعة من حديث، ذكره السيوطي في الجامع، باب: الهمزة مع الفاء، ٣٩٥٨.

﴿تَجۡرِيَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٥٠] أحدهما التسنيم. والأخرى السلسبيل» انتهى. فأخبر الله تعالى أنّ العين الأولى في الجنّة الأزليّة، تسمّى التسنيم، قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [٧٣/ المطففين/ ٢٧] قال البيضاوي: «سُمِّيتْ تسنيماً لارتفاع مكانها، أو رفعة شرابها» انتهى. ولرفعتها ورفعة شرابها لم يقدر أصحاب الجنّة الأبديّة، وهم الأبرار الصالحون على الشرب منها خالصة، فمزج بها شرابهم، وإنّما هو من الرحيق المختوم، ختامه مسك، وهو أطيب الطيّب، كما ورد في الحديث، مأخوذ من الإمساك لإمساكهم أدباً معها. وقرأ الكسائي: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٌ﴾ وهو بفتح التاء، أي: ما يختم به ويطبع. والعين الثانية في الجنّة الأبديّة تسمّى السلسبيل، قال تعالى: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ١٧] فالكأس: النفس لبقائها مع الأبرار الصالحين، ممزوجة بحرارة الهمّة في الطاعة والعبادة. ثمّ قال تعالى: ﴿عَيۡنًا فِيهَا﴾ قال النسفيّ في المدارك: «عيناً بدل من زنجبيلاً، فيها في الجنّة تسمَّى تللك العين سلسبيلا، وهذه التسمية الإلهيّة فيها خطاب للأبرار بأن يسألوا سبيلاً، أي: طريقاً موصلاً إلى التحقيق به، وهو طريق المقرِّبين حتّى يلتحقوا بالمقربين، ويشربوا من شرابهم، ويتركوا المزج، كما قال العارف المحقّق أبو مدين قدّس الله سرّه:

أدرها لنا صِرْفاً ودَعْ مَزْجَها عنّا ... فنحن أناس لا نرى المَزْجَ مُذْ كنّا

فإنّ شراب الأبرار ممزوج بشراب المقرّبين فقال تعالى: ﴿سَلۡسَبِيلًا﴾ أي: اطلب من المقرّب معرفة السلوك إلى سبيله فإنّ بينك وبينه قدراً مشتركاً، وهو ما مزج به شرابك من شرابه، كما قال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٥] لبرده وعذوبته وطيب ريحه، وذلك برد اليقين بالله. وهو التسنيم الذي هو شراب المقرّبين. ثمّ قال تعالى: ﴿عَيۡنًا﴾ بدل من ﴿كَافُورًا﴾ يشرب بها عباد الله، أي: الذين هم عباد الذات المستجمع لجميع الأسماء والصفات، وهم أهل الجمع والتوحيد، وهم المقرّبون. ثمّ قال تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا﴾ [٧٣/ الإنسان/ ٦] أي: تللك العين، تفجيراً بكثرة ما يذكرونه من

العلوم الربّانيّة، والحقائق الصمدانيّة. ويفيض على قلوبهم منها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من الأبرار؛ فالأبرار لهم كؤوس يشربون بها شرابهم الممزوج. والمقرّبون لهم عيون جارية/ [٢٢٨/ أ] يشربون شرابهم، وشتّان بين الأواني والعيون.

٥٠٠ - فَبِي دَارَتِ الأَفْلَاكُ فَاعْجَبْ لِقُطْبِهَا الـ ـمُحِيطِ بِهَا وَالقُطْبُ مَرْكِزُ نُقْطَةِ

(**فبي**): الفاء للتفريع، وبي جار ومجرور متعلّق بـ دارت، قدم عليه للحصر، أي: لا بغيري دارت. وقوله (**الأفلاك**): جمع فَلَك بالتحريك. قال الراغب: الفَلَك مجرى الكواكب. وتسمية بذلك لكونه كالفلْك، يعني: بسكون اللام، أي: السفينة. يعني: دارت الأفلاك السماويّة بكواكبها والأفلاك الأرضيّة: النار، والهواء، والتراب بكواكبها الجسمانيّة: الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان. ودوران الأفلاك به من حيث أنّه هو الوجود الحقّ الواحد الأحد بعد فناء كلّ ما عداه.

وقوله (**فاعجب**): يا أيها المطّلع على هذا الأمر لقطبها، أي: قطب الأفلاك الذي تدور كلّها على مركزه، وهو مركز واحد، وهي أفلاك كثيرة. وأصله قطب الرحا، وزان قُفل بالضمّ، وهو ما تدور عليه الرحا، ولا يتصوّر في العقل أنْ يكون مركز واحد تدور عليه جميع الأفلاك العلويّة والسفليّة. ولكن هذا من الطَوْر الذي فوق طَوْر العقل، وهو مستحيل عند العقلاء. وقوله (**المُحِيط**): وصف لقطبها وقوله (**بها**): أي بالأفلاك إحاطة كليَّة من جميع جهاتها، واعتباراتها إيجاداً أو إمداداً. وقوله (**والقطب**): أي الإنسان الكامل المشهور بين الصوفيّة. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: «القطب، وهو الغوث، عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كلّ زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام». وقوله (**مركز**): قال في المصباح: «المَرْكِزُ، وزان مَسْجِد: موضع الثبوت». وقال الراغب: «مركز الجند: محطّهم الذي ركزوا فيه الرماح». وقوله (**نقطة**): مضاف إليه، أي: نقطة من نقط ذلك القطب المحيط المذكور، فكأنّما ذلك

القطب المحيط المذكور الذي تدور عليه جميع الأفلاك بحرٌ محيط. وهذا القطب الذي هو محل النظر الإلهيّ مركز نقطة من ذلك البحر، قال الخضر لموسى عليهما السلام: «ما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر».

٥٠١- وَلَا قُطْبَ قَبْلِي عَنْ ثَلَاثٍ خَلَفْتُهُ وَقُطْبِيَّةُ الأَوْتَادِ عَنْ بَدَلِيَّتِي

(ولا قطب): وهو الواحد الذي هو محلّ نظر الله تعالى من خلقه في كلّ زمان كما ذكرناه. وقوله **(قبلي)**: أي قبل كوني قطباً. وقوله **(عن ثلاث)**: متعلّق بخلفته، أي: عن مراتب ثلاث نزلت فيها، وانتقلت عنها مرتبة دوام شهود الذات الإلهيّة، وهي مقام القطب. ومرتبة دوام شهود الصفات والأسماء الإلهيّة، وهي مقام إمام اليسار. ومرتبة دوام شهود الأفعال والأحكام الإلهيّة، وهي مقام إمام اليمين، وإنّما كان اليسار لمن يلي القطب؛ لأنّه إمام القلوب، واليمين لمن بعده، لأنّه إمام النفوس. وقوله **(خَلَفْتُهُ)**: أي صرت خليفة عن ذلك القطب بعد ذهابه من عالم الدنيّا؛ فإنّ إمام اليمين إذا مات جعل في مقامه غيره من الأولياء. وإذا مات إمام اليسار جعل مقامه إمام اليمين. وجعل في مقام إمام اليمين غيره من الأولياء. وإذا مات القطب جعل في مقامه إمام اليسار، وجعل في مقام اليسار إمام اليمين، وجعل في مقام إمام اليمين غيره من الأولياء. والقطبيّة التي أشار إليها الناظم قدّس الله سرّه بقوله في البيت السابق **(فاعجب لقطبها المحيط)** قطبيّة الذات الوجوديّة التي لم تزل ولا تزال في المنصب الأعلى، والمقام الأسنى أزلاً وأبداً، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [٧٩/ النازعات/ ٤٠] فأثبت له المقام، فإنّ هذ القطبيّة ليست موروثة، ولا مستفادة، ولا مسبوقة بمثلها. وقوله **(وقطبيّة الأوتاد)**: يعني الأوتاد الأربعة الذين هم في أربع جهات المعمور من الأرض، أقطاب أيضاً تدور على مقاماتهم أحوال من في أقطارهم من الأولياء، ولهم مقام قطبيّة من الوجه المذكور مع أنّهم أوتاد/ [٢٢٩/ ب]، جمع وتِد، بكسر التاء، والفتح لغة. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [٧٨/ النبأ/ ٧] فالله تعالى لمّا خلق

الأرض على الماء، مادت فأرساها بالجبال، فسمِّيَت الجبال أوتاداً. كما خلق النفوس البشريّة على الهوى، فمادت واضطربت في أغراضها فأرساها بثقل نفوس الأولياء المتحقِّقين بحقائق التوحيد والإيمان؛ فسكنت بالتوجّه الربّاني عليها فهي أوتاد لها؛ فالأوتاد هم المقصودون لكسر الفتن التي تهيج من قبل النفوس البشريّة، وتسكين غضب الرحمن على أهل المعاصي والمخالفات في أقطار المعمور من الأرض. وقوله (**عن بدليَّتي**): أي ناشئة تلك القطبيّة عن مقام البدليّة المنسوبة إليّ. والبدل هو المبتدل بالصور والأشكال فيتحد بها، ويتعدّد، ويتغيّر، ويتجدّد وهو على حاله. وإنّما يفعل ذلك باختلاف أفعاله. وليست البدليّة هنا سوى ما تقدّم من قوله (**فاعجب لقطبها المحيط**). والبدليّة من قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] وهو المقام الذاتيّ المنزّه عن المكان والزمان ومشابهة الأكوان.

٥٠٢- فَلَا تَعْدُ خَطِّي الْمُسْتَقِيْمَ فَإِنَّ فِي الْـ ـزَوَايَا خَبَايَا فَانْتَهِزْ خَيْرَ فُرْصَةِ

(**فلا**): الفاء للتفريع على ما قبله، ولا ناهيّة. وقوله (**تَعْدُ**) مجزوم بحذف واو العلة، من عدا يعدو. وقال في الصحاح: «عَدَاهُ يَعْدُوهُ، أي: جَاوَزَه، وما عَدَا فلان أنْ فَعَل كذا، وما لي عن فلان مَعْداً، أي: لا تجاوز لي [إلى] غيره، ولا قصور دونه». وقوله (**خطِّي**): بالخاء المعجمة والطاء المهملة، وهو واحد الخطوط. وقوله (**المستقيم**): وصف للخط، قال في الصحاح: الاستقامة الاعتدال، يقال: استقام له الأمر. وفي القاموس: «اسْتَقَام: اعْتَدَل. وقَوَّمْتُهُ: عَدَّلْتُهُ، فهو قويم ومستقيم». والمعنى: لا تتجاوز يا أيّها السالك طريقي المستقيم في الدين وإنْ كان خفيّاً عنك، غير ظاهر لك، إنّه طريق مستقيم، لقصورك بنظرك العقليّ في الأحوال الإلهيّة. وقوله (**فإن في الزوايا**): جمع زاوية، قال في القاموس: «الزاويّة من البيت: ركنه، والجمع زوايا. وتَزَوَّى، وزَوَّى وَانْزَوَى صار فيها». والمعنى هنا ناحية من نواحي البيت. وقوله (**خبايا**): جمع خبيّة بمعنى مخبوءة، وأصلها بالهمزة. قال في الصحاح: «خَبَأْتُ الشيءَ خَبْأً، ومنه الخابية، وهي الحَبْ، إلّا أنّ

العرب تركت همزه. والخَبْءُ ما خُبِئَ وكذلك الخَبِيْءُ على فَعِيل. وخَبْءُ السموات: القَطْر، وخَبْءُ الأرض: النبات، واخْتَبَأَتْ: اسْتَتَرَت». وفي القاموس: «خَبَأَهُ، كَمَنَعَهُ: سَتَرَهُ، كَخَبَّأَهُ وَاخْتَبَأَهُ. والخَبْءُ: ما خُبِئَ وغاب، كالخَبِيْءِ والخَبِيْئَة». وهذا مَثَل، يُقال للأمر الخفيّ: «في الزوايا خبايا». يعني: النواحي والجهات التي لا يُلتفت إليها فيها الأمور العظيمة الخفيّة عن الإدراك، فمن تطلَّبَها وسأل عنها بصدق العزم من أهلها وجدها؛ فإنّ في زوايا الستر والخمول خبايا الكشف والوصول. وقوله (**فانتهز**): قال في الصحاح: «نَهَزَتِ الدَابَّة: إذا نهضت بصدرها للسير. والنُهْزَةُ: الفُرْصَةُ. وانْتَهَزْتُهَا: إذا اغْتَنَمْتُها». وقوله (**خير فرصة**): أي فرصة هي خير الفرص كلّها، قال في الصحاح: «الفُرْصَة: الشِرْبُ والنَوْبَة، يقال: وجد فلانٌ فُرْصَةً أي: نُهْزَةً، وجاءت فُرْصَتُكَ من البئر، أي: نَوْبَتُك. وبنو فلان يتفارصون بئرهم إذا كانوا يتناوبونها. وانتهز فلان الفرصة: أي اغتنمها، وفاز بها. وأَفْرَصْتَنِي الفرصة: أي أمْكَنْتَنِي. وأَفْرَصْتُهَا: أي اغتنمتها».

٥٠٣- فَعَنِّي بَدَا فِي الذَّرِّ فِيَّ الوَلَا وَلِي ... لِبَانُ ثُدَيِّ الجَمْعِ مِنِّيَ دَرَّتِ

(**فعنّي**): الفاء للتفريع على ما قبله، وعنّي: أي متجاوزاً عنِّي. والجار والمجرور متعلِّق ببدا، قُدّم للحصر. وقوله (**بدا**): أي ظهر. وقوله (**في الذرّ**): جمع ذرّة، وهي أصغر النملّ، كذا في الصحاح. يعني: في عالم الذرّ حين أخرج الله تعالى ذريّة آدم كما هم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى. وقوله/ [٢٢٩/ أ] (**فيَّ**) بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (**الوَلَا**): بالفتح، المحبّة. وفي القاموس: «الوليّ المحبّ». والولا: فاعل بدا، أي: ظهرت في قلبي المحبّة الإلهيّة، وسرت فيه من قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] في عالم الذّرّ، وفي قوله (**بدا**): إشارة إلى أنّ محبّته الظاهرة فيه لربّه هي محبّة ربِّه لنفسه. المحبّة القديمة، ثمّ تفرقّت على المُحبِّين الإلهيّين بحسب استعداداتهم. و**الوَلَا** أيضاً القُرْب الإلهيّ والدُّنُوّ، قال في القاموس: «الوَلْيُ القُرْب والدنو» يعني: ظهر فيّ ذلك من عالم الذرّ، وظهر مِنّي في

جميع المقرَّبين، واختصّ بذلك الظهور للحِبّ، أو للقُرب باعتبار كمال فنائه، واستهلاكه فيما يغاير الحقّ تعالى. وقوله (ولي): جار ومجرور، خبر مقدّم. وقوله (لِبَان): مبتدأ مؤخر، قدّم خبره عليه للحصر. واللِبان بالكسر كالرِّضاع، تقول: هو أخوه بلِبان أُمّه. قال ابن السِكِّيت: ولا يقال بِلَبن أمّه؛ إنّما اَللَّبَنُ الذي يُشرب [من ناقة أو شاة أو بقرة]. كذا في الصحاح. وقوله (ثُدَيّ): بضمّ الثاء المثلّثة وفتح الدال المهملة وتشديد الياء التحتيّة: تصغير ثَدْي، قال في الصحاح: «الثُدَي يذكّر ويؤنّث، وهي للمرأة والرجل أيضاً». وقال في القاموس: «الثَدْيُ، ويُكْسَر، وكالثَرَى: خاصٌّ بالمرأة، أو عامٌّ ، ويُؤَنَّث». وقوله (الجمع): مضاف إليه، وهو مقام الجمع على الله، ضدّ الفرق. وقوله (مِنّي): متعلّق بـ درّتِ، وقدِّم للحصر. وقوله (دَرَّتِ) بفتح الدال المهملة وتشديد الراء وكسر التاء للقافية. والمعنى: لِبان ثدي مقام الجمع كائن لي بالأصالة لاتّحادي الحقيقيّ. وقد درّت تلك الثدي على أهل الجمع كلّهم منّي؛ فأنا أبوهم من الرِّضاع لمصّهم لِبان المعرفة الإلهيّة، والتحقّق بالمقامات الربّانيّة، مِنِّي إشارة إلى الحقيقة المحمّديّة التي هو مخلوق من نورها الذي هو من نور الله على ما ورد في الحديث.

٥٠٤- وَأَعْجَبُ مَا فِيْهَا شَهِدْتُ فَرَاعَنِي وَمِنْ نَفْثِ رُوْحِ القُدْسِ فِي الرَّوْعِ رَوْعَتِي
٥٠٥- وَقَدْ أَشْهَدَتْنِي حُسْنَهَا فَشُدِهْتُ عَنْ حِجَايَ[1] وَلَمْ أُثْبِتْ حِلَايَ لِدَهْشَتِي
٥٠٦- ذَهَلْتُ بِهَا عَنِّي بِحَيْثُ ظَنَنْتُنِي سِوَايَ وَلَمْ أَقْصِدْ سِوَايَ[2] مَظِنَّتِي

(وأَعْجَبُ): مبتدأ، خبره جملة قوله (ذهلت). و(أعجب): أفعل تفضيل، مضاف إلى ما النكرة الموصوفة بما بعدها، أي: أكثر عجباً من كلّ حال شهدته فيها، أي: في المحبّة المعبّر عنها في البيت قبله بلفظ (الولا): وهو الحبّ، كما تقدّم. أو الضمير المؤنّث للمحبوبة الحقيقيّة الذي هو في صدد ذكرها في جملة الأبيات

(١) في (ق): حجابي.
(٢) في (ق): سواء.

الماضية. وقوله (**شهدت**): من المشاهدة، وهي المعاينة. وقوله (**فراعني**): أي أَفْزَعَنِي وأَخَافَنِي. من الرَوْع بالفتح، وهو الفَزَعُ، والرَوْعَة: الفَزْعَة، وَرُعْتُ فلاناً ورَوَّعْتُهُ فَارْتَاعَ، أي: أَفْزَعْتُهُ فَفَزِعَ. وتَرَوَّعَ أي: تَفَزَّعَ. وقولهم: لا تُرَعْ، أي: لا تَخَفْ، ولا يلحقْك خَوْف. أو يقال: فَرَاعَنِي، أي: أَعْجَبَنِي. كما يُقال: رَاعَنِي الشيءُ، أي: أَعْجَبَنِي. والأَرْوَعُ من الرجال: الذي يعجبك حُسْنُه، كذا في الصحاح. وقوله (**ومِنْ نَفْثٍ**): قال في الصحاح: «النَفْثُ: شبيهٌ بالنَفْخِ، وهو أَقلُّ من التَّفْل، وقد نَفَثَ الرَاقِي يَنْفِث». وقوله (**روح القدس**): هو جبريل عليه السلام، قال في الصحاح: «القُدُسُ: الطُهْرُ، اسمٌ، مصدرٌ، ومنه قيل للجَنَّة: حَظْيَرَةُ القُدْسِ، وروح القُدُسِ: جبريل عليه السلام». وقوله (**في الرُّوع**): بالضمّ وهو القلب، أو موضع الفزع منه، أو سواده، والذهن، والعقل. وقوله (**رَوْعَتِي**): مبتدأ مؤخّر، وخبره قوله (**ومن نفث**) قدّم عليه للحصر. والرَّوْعَة بالفتح: الفَزْعَة. وقال في الصحاح: الرُّوعُ، بالضمّ: القلب، والعقل، يقال: وقع ذلك في رُوعي، أي: في خَلَدِي وبالي. وفي الحديث: «إنّ الروح الأمين نفث في رُوعي»[1] والمراد هنا معنى الإلهام، والفيض الربّانيّ بواسطة الروح المنفوخ عن الأمر الرحمانيّ، بطريق الإرث المحمّدي، من المقام الأحمديّ. وقوله (**وقد**/ [٢٢٩/ ب] **أشهدتني**): الواو للحال، والجملة حال من التاء في شهدت. وفاعل أشهدتني ضمير راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**حُسْنَها**) مفعول أشهدتني. والضمير راجع للمحبوبة المذكورة، وهو أثر الجمال الذاتيّ الظاهر على المظاهر. وقوله (**فَشُدِهْتُ**): قال في القاموس: «شَدَهَ فَلاَناً أَدْهَشَهُ كأَشْدَهَهُ. والاسم: الشَدْهُ، ويُحَرَّك. وشُدِهَ كعُنِيَ: دُهِشَ وشُغِل وحُيِّرَ». وفي الصحاح: «شُدِهَ الرجلُ شَدْهاً فهو مَشْدُوه: دُهِشَ. وقال أبوزيد: شُدِهَ الرجلُ شُغِلَ لا غير. وقوله (**عن**

---

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، الباب: الحادي والسبعون، ١٠٣٧٦، عن عبد الله بن مسعود، كما أخرجه السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: إنّ المشدّدة مع الهمزة، ٦٣٧٧.

حِجَايَ): أي عن عقلي، قال في القاموس: «الحِجَا كإلى: العقل» والمعنى: فاندهشت واشتغلت عن عقلي، فلم يبقَ لي عقل ولا إدراك لشيء، بما ظهر لي من معاني الحسن. وقوله (**فلم أُثبِتْ**): بضمّ الهمزة من أَثْبَتَ الشيءَ ضدّ نفاه. وقوله (**حِلَايَ**): مفعول أُثْبِتْ. و(**الحَلَا**): جمع حِلْيَة، قال في المصباح: «الحِلْيَةُ بالكسر: الصِّفَة، والجمع: حُلَىً مقصور، وتضمّ الحاء وتكسر». وقوله (**لدَهْشَتِي**): قال في المصباح: «دَهِشَ دَهَشاً، فهو دَهِش، من باب تعِب: ذهب عقلُه، حياءً أو خوفاً، ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أَدْهَشَهُ غيرُه، وهذه هي اللغة الفصحى، وفي لغة يتعدّى بالحركة فيقال: دَهَشَهُ خَطْبٌ دَهْشاً، من باب نفع، فهو مَدْهُوش، ومنهم من منع الثلاثي». والمعنى: نفيت صفاتي الباطنيّة والظاهريّة من شدّة دهشتي فلم أثبت لي صفة مع الحقّ تعالى حين أشهدني حُسْن كلّ شيء خلقة أثراً من آثار جماله الذاتيّ لظهور قيّوميّته على مجموع ذاتيّ وصفاتيّ وأفعاليّ وأحكاميّ. وقوله (**ذهلت**): قال في المصباح: «ذَهَلْتُ عن الشيء أَذْهَل «بفتحتين » ذُهُولاً: غَفَلْتُ. وقد يتعدّى بنفسه، فيقال: ذَهَلْتُهُ، والأكثر أنْ يتعدّى بالألف، فيقال: أَذْهَلَنِي فلان عن الشيء، وقال الزمخشري: ذَهَلَ عن الأمر: تناساه عمداً. وشُغِل عنه. وفي لغة: «ذَهِلَ يَذْهَلُ من باب تَعِب». وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة، أي: بسبب اشتغالي بمحبّتها، واستغراقي في بديع آثار صفاتها وأسمائها. وقوله (**عنّي**): أي عن ملاحظة نفسي، ووجدان صفاتي وأفعالي ظاهراً وباطناً. وقوله (**بحيث ظَنَنْتُنِي**): أي ظننتُ نفسي. وقوله (**سواي**): أي غيري. يعني: شخصاً آخر من شخوص الخلق. وقال ظننت، ولم يقل تحقّقت؛ لأنّه ليس شخصاً آخر من شخوص الخلق في التحقيق، بل هو وجميع الأشخاص في التحقيق أشخاص المتجلّي الواحد المقدرة بتقديره الأزليّ، الفانية المعدوميّة في ظهور وجوده الحقّ الحقيقيّ، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على

ماعليه كان»[1] وأشخاص العوالم كلّها مقدّرة. والمقدّر مفروض. والمفروض معدوم؛ وإنّما يظهر موجوداً بوجود الفارض المقدّر على وجه الالتباس من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] يعني: لوقدّرنا مَلَكاً لقدّرناه رجلاً، أي: فرضناه كذلك. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] على غيرهم، وعلى أنفسهم، بعقولهم، وأفعالهم، وأقوالهم. وقوله (**ولم أقصد**): أي ما قصدت. وقوله (**سواي**): أي غيري، وهو السوى الذي ظنّه نفسه كما ذكر. وقوله (**مَظِنّتي**): قال في المصباح: المَظِنَّةُ بكسر الظاء للمَعْلَم، وهوحيث يُعْلَمُ الشيءُ، قال النابغة الشاعر: (فإنّ مَظِنَّةَ الجهل الشباب). والجمع المَظَانُّ. وقال ابن فارس: مَظِنَّةُ الشيءِ موضعه، ومَأْلَفُهُ. والمعنى: إنّي لمّا ظننت نفسي سوايَ من الخلق لم أقصد ذلك السوى لأجد نفسي فيه، فيكون ذلك السوى مظنَّة وجود نفسي بحيث أجد نفسي فيه، وهو احتراز من قوله (ظننتُني سوايَ) كأنّه استدراك منه في المعنى، كقوله الشاعر:

كانت إذا أبصَرتْ في القوم محتشماً ... قال السرور له قُمْ غيرَ مطرود

وقال المتنبّي من هذا الباب:/ [٢٣٠/ ب]:

إذا خلَتْ منك حِمْص لاخَلَتْ أبداً ... فلا سَقاها من الوَسْميِّ باكره

فإنّ قوله (**لا خلت أبداً**): احتراس بالدعاء لممدوحه. وقوله في الأوّل (**قم غير مطرود**): هو في وصف الخمرة احتراس بالأدب، لأنّ المخاطب به ذو حشمة وهيبة من الرجال. والاحتراس كما يكون في وسط الكلام يكون في أواخره، كما مثّلنا، وهو نوع من أنواع البديع ذكره أهل المعاني. وهو هنا احتراس لإزالة وهم الغيريّة بالكليّة عن المتجلّي الحقّ في الصور المفروضة التقديريّة العدميّة.

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.